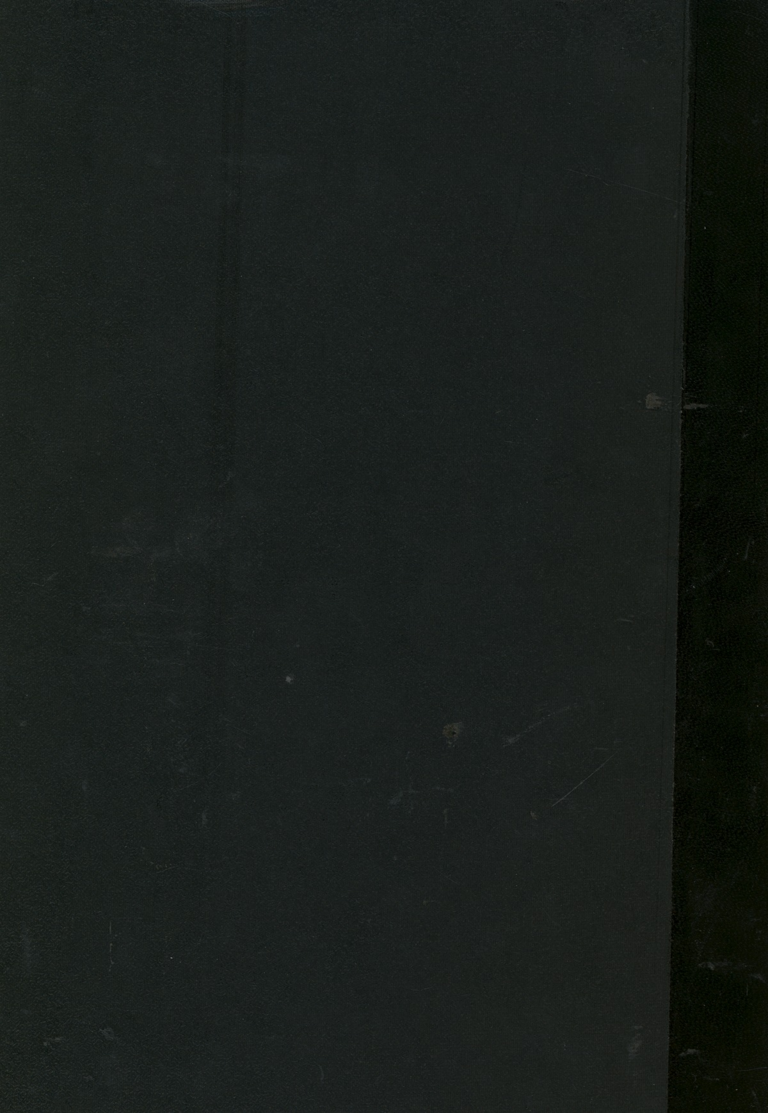




الجزء الأول — المجلد الثمانون





ذو القعدة ١٤٢٥هـ

كانون الثاني (يناير) ٢٠٠٥م



ص.ب ٣٢٧

البريد الإلكتروني: E-mail: mla@net.sy

أنشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١م

تصدر أربعة أجزاء في السنة

قيمة الاشتراك السنوي بدءاً من مطلع العام ١٩٩٦م:

- ١٦٠ ليرة سورية في الجمهورية العربية السورية
- ١٥ دولاراً أمريكياً في البلدان العربية
- ١٨ دولاراً أمريكياً في البلدان الأجنبية

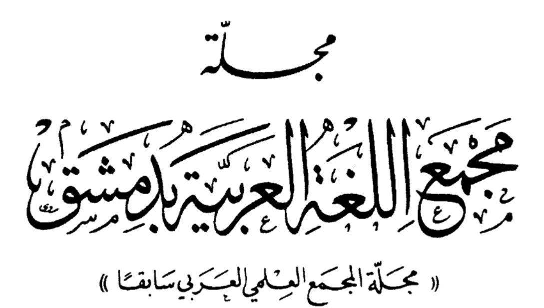
ترسل المجلة إلى المشترك خارج القطر بالبريد الجوي المسجّل

(تدفع قيمة الاشتراك عند طلبه)

(خطة المجلة)

- إن خطة المجلة التي تلتزمها أن تنشر لكتّابها المقالات التي يخصّونَها بها ويقصرونَها عليها.
- المقالات المنشورة تعبر عن آراء أصحابها.
- ترتيب المقالات يخضع لاعتبارات فنية.
- ينبغي أن تكون المقالات المرسلة إلى المجلة مطبوعة على الآلة الراقنة، أو على الحاسوب، ويفضل في هذه الحالة أن تشفع المقالة بقرص مرن (ديسك فلوبي) مسجلة عليه، أو مرسلة بالبريد الإلكتروني.
- المقالات التي لا تنشر لا تردّ إلى أصحابها.
- يرسل الكاتب الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة، مع مقالته، موجزاً بسيرته العلمية وآثاره وعنوانه.

الجزء الأول   المجلد الثمانون





ذو القعدة ١٤٢٥هـ

كانون الثاني (يناير) ٢٠٠٥م

نظرات في الشعر الجاهلي

-١-

الشاعر الجاهلي في مواجهة الموت

د. إحسان النص

موضوع الموت شغل منذ القديم الفلاسفة والحكماء والعلماء والشعراء، نظر إليه كل منهم من الزاوية التي تتعلق به، وتفاوتت نظرات هؤلاء إلى الموت ومحاولتهم التغلغل في كنهه.

والموت هو حقيقة الحقائق في هذا الوجود، ومنذ اللحظة التي يسجِّل فيها الكائن الحي وجوده في سجلّ الجماعات البشرية يقف له الموت بالمرصاد، ويغدو هاجسَ الكائن الحي الملازمَ لوجوده.

على أن الموقف من هذا المصير المحتوم يختلف من إنسان إلى آخر، يستقبله المؤمنون بالرضا والتسليم لمشيئة الله، ويرون فيه انتقالاً من دنيا فانية إلى أخرى باقية، ويستقبله آخرون بإذعان ولكن على كره منهم لأنهم لا يقوَوْن على مغالبته.

والشعراء الجاهليون متفقون في أن الموت هو المصير المحتوم للكائن الحي، ولكنهم يختلفون في موقفهم منه باختلاف نفسيتهم وعقيدتهم، يستقبله بعضهم والجزع يملأ قلبه، ويستقبله آخرون بروح التحدّي واللامبالاة.

وأول من نقف عنده من شعراء الجاهلية الذين كان لهم موقف من الموت في شعرهم طرفة بن العبد. وهو من عشيرة ضُبيعة البكرية، ونرجح أن تكون النصرانية انتشرت في بعض القبائل البكرية، وفي شيبان خاصة. وكان طرفة

يمثل في عصره فتوة الشباب والإقبال على لذائذ الحياة في مجتمع ليس لأفراده أهداف واضحة يعيشون من أجل تحقيقها، باستثناء من كانوا على النصرانية التي تجعلهم يخضعون لتعاليمها، ومنها الإيمان باليوم الآخر.

كان طرفة يرى أن أمورًا ثلاثة تستحق أن يعيش المرء من أجلها، ولولاها لما حفل بمقدم المنية، وهذه الأمور الثلاثة هي: معاقرة الخمرة، ومعاشرة النساء، والذود عن القبيلة، والأمران الأولان هما من الملذات الحسّية، أما الأمر الثالث فهو معنوي يمثل القيم القبلية العليا. فالدفاع عن القبيلة وتلبية دعوة المستجير هما يمثلان التزامًا قبليًا لا يتخلى عنه أحد من أبناء القبيلة الأحرار. وقد أعلن طرفة في معلقته تشبثه بهذه الأمور الثلاثة، ولولاها لما عبأ بمجيء المنية قال:

ولولا ثلاث هن من عيشة الفتى … وجَدّك لم أحفِل متى قام عُوّدي
فمنهن سبقي العاذلات بشربة … كُميت متى ما تُعل بالماء تُزبد
وتقصيرُ يوم الدَّجن والدجنُ معجِب … ببهكنة تحت الطِّراف المعمَّد
وكرّي إذا نادى المضاف مُحنَّبًا … كسِيد الغضا ذي السَّورة المتورّد[١]

فالحياة لامعنى لها في نظر طرفة إذا خلت من هذه الأمور الثلاثة، وقد استخلص من تجاربه في الحياة، مع قصر حياته، حكمًا فطرية في تصوير الموت، فهو نهاية حتمية لا معدى عنها للمرء، والخير كل الخير أن يسبق المرء وقوعه في مخالب المنية بالاستمتاع بملذات الحياة. وكان قومه يلومونه على حياته هذه العابثة وإنفاقه المال في تعاطي الخمرة والإقبال على الملذات، فكان يرد عليهم بقوله:

---

(١) معلقة طرفة بن العبد ص ٣٢ وما بعدها.

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفي عقيلة المال الفاحش المتشدّد

لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتى لكالطِّوَل المرخَى وثنياه في اليد

فإن كنت لا تسطيع دفع منيتي فدعني أبادرْها بما ملكت يدي(١)

تلك هي (فلسفة) طرفة في نظرته إلى الموت، وليس في شعره ما ينبئ بأنه كان يؤمن برجعة بعد الموت وحياة أخرى بعد الحياة الدنيا.

* * *

ونقف لدى شاعر جاهلي آخر هو أعشى بكر ميمون بن قيس، فنجده يرى أن في طول الحياة عناءً، والموت بالمرصاد للمرء مهما يطل به الزمن، شابًا كان أو مُسِنًّا:

لعمــرك مــا طــولُ هذا الزمنْ عــلى المــرء إلا عــناءٌ مُعِــنّ

يظــلّ رجــيمًا لــريب المنون وللسّــقم في أهلــه والحــزَنْ

مــا إن أرى الدهــر في صَــرفه يغــادر مــن شــارخٍ أو يَفَــن

فهــل يمــنعني ارتيــادي الــبلا دَ مــن حــذَر المــوت أن يأتيَن

وهو يستشهد بمن غالته أيدي المنون من الملوك الغابرين:

أزال أُذَيــنة عــن مُــلكه وأخــرج مــن حِصنه ذا يَزَنْ(٢)

وهو يقف من الموت وِقْفة عدم المبالاة ويرى أن ليس في موته عار:

أبا الموت خَشَّتني عُبادٌ وإنما رأيت منايا الناس يسعى دليلُها

---

(١) معلقة طرفة بن العبد ص ٣٢ وما بعدها.

(٢) شرح ديوان الأعشى، ص ٢٠٦، اليفن: الشيخ الهرم.

فما مِيتةٌ إن مُتُّها غيرَ عاجز بعارٍ إذا ما غالت النفسَ غُولها[١]

وللشاعر المخضرم بين الجاهلية والإسلام عَبْدة بن الطبيب أبيات وجّهها إلى أهله وأخبرهم فيها أنه ينتظر قدوم المنون، لأن حياة المرء إلى انقضاء فلا جدوى إذًا من جمع المال، فالمرء يسعى جاهدًا في جمعه ثم تدركه منيتّه فلا يجني شيئًا مما جمعه:

ولقد علمت بأن قصري حفرة عبراءُ يحملني إليها شَرجعُ

فبكى بناتي شجوهنّ وزوجتي والأقربون إليّ ثم تصدَّعوا

وتُركت في غبراء يُكرَه ورِدُها تسفي عليّ الرّيح حين أوَدَّع

إن الحوادث يخترمن وإنّـما عُمر الفتى في أهله مستودَع

يسعى ويجمع جاهدًا مستهترًا جدًا وليس بآكلٍ ما يجمع

حتى إذا وافى الحِمام لوقته ولكلّ جَنْبٍ لا محالة مَصرع

نبذوا إليه بالسَلام فلم يُجب أحدًا وصَمّ عن الدّعاء الأسمعُ[٢]

* * *

ويقف الشاعر المخضرم متمم بن نُويرة من الموت وقفة المذعن لمصيره المحقّق، وقد أهلك الدهر قبله قوم عاد وآل محرّق، فهو يستقبل مصيره غير جازع:

ولقد علمت ولا محالة أنني للحادثات فهل تريني أجزعُ

أفنين عادًا ثم آل محرّق فتركنهم بلدًا وما قد جمّعوا

(١) المصدر السابق ص ١٣٧.

(٢) المفضليات، المفضلية ٢٧، ص ١٤٥.

فعددت آبائي إلى عِرق الثرى فدعوتُهم فعلمت أن لم يسمعوا
لا بُدّ من تلف مُصيبٍ فانتظر أبأرض قومك أم بأخرى المصرَع
وليـــأتينّ عـــليك يـــومٌ مـــرّةً يُبكى عليك مقنَّعًا لا تسمع[١]

* * *

والشعراء الصعاليك كانوا ممن لا يحفلون بالموت إذا غالهم، وهم مستهدفون في غاراتهم المتصلة، فنسمع الشنفرى يقول:

أذا مـــا اتـــتني ميـــتتي لم أُبالِها ولم تُـــذر خالاتي الدموع وعمّتي
ولو لم أرم في أصل بيتي قاعدًا إذًا جاءني بين العمودين حُمّتي[٢]

والشاعر عُروة بن الورد الذي عرف بعروة الصعاليك وقف من المنية كذلك وِقفة المذعن للقدر، فليس عن المنيّة متأخَّر:

فإن فاز سهم للمنيّة لم أكن جَزُوعًا وهل عن ذاك من متأخَّر
فذلك إن يلق المنية يلقها حميدًا وإن يستغن يومًا فأجدرِ[٣]

* * *

وبمثل هذا الإذعان للقدر يستقبل الشاعر الأسود بن يعفر منيته وقد غالت قبله الملوك والقبائل:

ولقد علمت سوى الذي نبأتني أن السّبيل سبيل ذي الأعواد

(١) المفضلية (٩).

(٢) المفضلية (٢٠)، وشعر الشنفرى ص ٩٩ .

(٣) الأصمعيات، الأصمعية (١٠).

إن المنية والحتوف كلاهما يُوفي المخارم يرقبان سوادي
ماذا أؤمل بعد آل محرّق تركوا منازلهم وبعد إياد
جرت الرياح على مكان ديارهم فكأنّهم كانوا على ميعاد
أين الذين بَنَوا فطال بناؤهم وتمتّعوا بالأهل والأولاد
فإذا النعيم وكلُّ ما يُلهى به يومًا يصير إلى بلىً ونَفادِ[١]

* * *

وحين فُجع أبو ذؤيب الهذلي بمصرع أبنائه الخمسة، لم يفقد قدرته على التجلد والصبر على المصاب لئلا يشمت به الشامتون، مع ما أحسَّ به بعد فقدهم من حزن غامر، وقصيدته هذه من عيون الشعر الجاهلي في هذا المعنى، ومنها قوله:

أودى بنيّ فأورثوني غُصّةً بعد الرُّقاد وعَبرةً ما تُقلعُ
فغبرت بعدهم بعيش ناصب وإخال أني لاحقٌ مستتبَع
وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كلَّ تميمة لاتنفع
وتجلّدي للشامتين أُريهم أنّي لريب الدهر لا أتضعضع[٢]

* * *

وحين فقدت سُعدى بنت الشمرول الجُهنية أخاها في وقعة مع بني سُليم قالت في رثائه قصيدة تذكّر بقصيدة أبي ذؤيب، والقصيدتان تتشابهان في الوزن والقافية والمعاني، ومنها:

---

(١) المفضلية (٤٤).

(٢) المفضلية (١٢٦).

إن الحوادث والمنون كلاهما لا يُعتبان ولو بكى من يجزعُ
ولقد علمت بأنَ كلّ مؤخَّر يومًا سبيلَ الأوّلين سيتبع
ولقد علمت لو ان علمي نافع أنْ كلُّ حيٍّ ذاهب فمودَّع
أفليس فيمن قد مضى لي عِبْرة هلكوا وقد أيقنت أن لن يرجعوا
كم من جميعي الشَّمل ملتئمي الهوى كانوا كذلك قبلهم فتصدّعوا[١]

* * *

على وفرة ما قالته الخنساء في رثاء أخويها صخر ومعاوية، قلّما نجد لها شعرًا يدور حول الموت وأفاعيله؛ فهي لم تستقبل مصرع أخويها بالصبر والتأمل في أحداث الدهر واستخراج العبر منها، وإنما استقبلته بالجزع والبكاء وتعداد مناقب أخويها، شأن أكثر النساء، فهي كما وصفها بعضهم نوّاحة مدّاحة، وفي ديوانها أبيات تقرر فيها حتمية الموت، واصطفاءه أشراف الناس، فتقول:

مالذا الموت لا يزال مُخيفا كلّ يوم ينال منّا شريفا
مُولعًا بالسَّراة منا فما يأ خذ إلاَ المهذَّبَ الغطريفا
فلو ان المنون تعدِل فينا فتنال الشريف والمشروفا
كان في الحقّ أن يعود لنا الموتُ وأن لا نَسومَه تسويفا[٢]

* * *

(١) الأصمعية (٢٧).
(٢) شرح ديوان الخنساء، ص ٩٥ .

أما زهير بن أبي سُلمى فقد عرض في معلقته (فلسفته) في موضوع الموت، لقد عاش حتى بلغ ثمانين حولاً، فأحسّ بالسأم من الحياة وضاق بتكاليفها:

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولاً لاأبالك يسأمِ

والمنايا تخبط خبط ناقة عشواء، فمن أصابته لقي منيته، ومن أخطأته عُمِّر دهرًا:

رأيت المنايا خبطَ عشواءَ من تُصب تُمِته ومن تخطئ يعمَّر فيهرمِ

ولا مفر من لقاء المنية ولو حاول المرء الفرار منها بارتقائه أسباب السماء:

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه ولو رام أسباب السّماء بسُلّم[١]

وهو يؤكد رؤيته لحتمية الموت في موضع آخر فيقول:

تزوَّدْ إلى يوم الممات فإنه وإن كرهتْه النفسُ آخرُ موعد[٢]

وثمة قصيدة نسبها بعض الرواة إلى زهير – وهي في ديوانه– ونسبها آخرون إلى صرمة بن أبي أنس الأوسي، وهو شاعر مخضرم عاش طويلاً وأدرك الإسلام فأسلم، والراجح عندي أنها لصرمة لأن فيها معانيَ إسلامية، يقول:

إلى حُفرة أهوي إليها مقيمة يحثّ إليها سائق من ورائيا

ألا لا أرى على الحوادث باقيًا ولا خالدًا إلاّ الجبال الرواسيا

ألم تر أن الله أهلك تُبّعًا وأهلك لقمانَ بن عاد وعاديا

(١) ديوان زهير بن أبي سلمى ص ٢٩.

(٢) المصدر السابق ص ٢٣٦ .

وأهلك ذا القرنين من قبل ما ترى وفرعون أردى جنده والنجاشيا[١]

إذا استعرضنا كل ما قاله شعراء الجاهلية في مواجهة الموت لم نجد منهم أحدًا يذكر البعث بعد الموت، فالموت هو مغادرة هذه الدنيا، وبلا عودة بعده إلى حياة أخرى، وهذا الموقف متوقع من الشعراء الوثنيين، فليس في عقيدتهم إيمان بمبعث المرء بعد موته. ولكن ما موقف الشعراء المسيحيين من هذا الأمر؟ لقد عدت إلى شعر عدي بن زيد العبادي النصراني فما وجدت لـه شعرًا يذكر فيه بعثًا للموتى، وموقفه من الموت لا يختلف عن موقف الشعراء الآخرين، فهو المصير المحتوم الذي ينتظر الأحياء جميعًا، وقد تحدث عن هذا المصير في كثير من قصائده، وحسبنا إيراد نموذج واحد من شعره في هذا الموضوع وهو قوله:

أيّها الشامت المعيّر بالدهـــــر أأنت المبَّرأ الموفورُ

أم لديك العهد الوثيق من الأيـــام بل أنت جاهل مغرور

من رأيت المنون خلّدن أم من ذا عليه من أن يُضام خفير[٢]

بيد أن هناك شاعرًا واحدًا كان معاصرًا للنبي ﷺ نجد في شعره نظرات تحاكي ما في الآيات القرآنية، وهو أمية بن أبي الصّلت الثقفي. ولما ظهر الإسلام لم يُسلم، والراجح أنه كان على دين الحنيفية، دين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وكان ممّن حرّم على نفسه عبادة الأوثان وشرب الخمرة، فنجد في شعره تأكيدًا لحتمية الموت، شأن الشعراء الآخرين، نحو قوله:

كـــل عيـــش وإن تطاول دهرًا صـــائر مـــرّةً إلى أن يـــزولا

(١) المصدر السابق ص ٢٨٤ .

(٢) الأغاني للأصفهاني، ج٢/ ١٣٨ .

فاجعل الموت نُصب عينيك واحذر غولة الدهر إن للدهر غَولا[١]

وكل ما في الوجود هالك غير وجه الله:

ألا كل شيء هالك غير ربّنا ولله ميراثُ الذي كان فانيا

وإن يك شيء خالدًا ومعمرًا تأمّلْ تجد من فوقه الله باقيا[٢]

ولكنه يضيف إلى ما قاله الآخرون إيمانًا بالبعث والحساب والعقاب يوم القيامة:

يُوقف الناس للحساب جميعًا فشقيٌّ معذَّبٌ وسعيدُ[٣]

وقد أغار على بعض ما ورد في الآيات القرآنية.

ولّما ظهر الإسلام دخل فيه جلّ من عاصره من شعراء الجاهلية المخضرمين، وآمنوا برسالة محمد عليه الصلاة والسلام. ولكن بقي نفر قليل منهم لم يدخل الإيمان قلوبهم، وأنكروا مبعث الموتى يوم القيامة. وقد ذكر القرآن إنكار الوثنيين للبعث ومنه قوله تعالى:

﴿وَقَالُواْ أَإِذَا كُنَّا عِظَاماً وَرُفَاتاً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً * قُل كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيداً * أَوْ خَلْقاً مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ....﴾ (الإسراء ٤٩- ٥٠).

ومن الشعراء الذين عاصروا رسول الله ﷺ ولم يؤمنوا برسالته وأنكروا البعث والحشر، الشاعر شدّاد بن الأسود بن عبد شمس، فيقول في قصيدته التي رثى بها قتلى قريش يوم بدر:

---

(١) ديوان أمية بن أبي الصلت، ص ٤٥٠ .

(٢) المرجع السابق ص ٥٢٨ .

(٣) المرجع السابق ص ٣٧٩ .

يحدّثنا الرسول بأنْ سنحيا وكيف حياة أصداءٍ وهامِ[1]

وينسب إلى زهير بن أبي سلمى بيتان يصرّح فيهما بإيمانه بالبعث والحشر فيقول:

فلا تكتُمُنَّ اللهَ ما في نفوسكم ليخفى، ومهما يُكتَمِ اللهُ يُعلَمِ

يُؤخَّر فيوضع في كتاب فيدَّخَر ليوم الحساب أو يُعجَّل فينقمِ[2]

ومن الباحثين من يشك في صحة نسبة هذين البيتين إلى زهير، وهو وثني، وفي المعلقة بيت يقسم فيه بالبيت:

فأقسمت بالبيت الذي طاف حوله رجالٌ بنَوه من قُريش وجُرهُم[3]

فهو يقسم هنا بالكعبة حين كانت معبدًا وثنيًّا.

وخلاصة القول أن جمهور شعراء الجاهلية كان يؤكد في شعره حتمية الموت وكان يرى فيه نقطة النهاية لكل كائن حي، فليس في عقيدة الجاهليين الوثنيين إيمان بعودة الموتى إلى الحياة، ولا يشذ عن هؤلاء الشعراء إلا شعراء النصارى واليهود والحنيفية، على أننا لم نجد إلا أشعارًا قليلة في هذا الشأن للشاعر أمية بن أبي الصلت.

* * *

(١) سيرة ابن هشام ٢٩/٢ .

(٢) ديوان زهير بن أبي سلمى ص ١٨ .

(٣) المصدر السابق ص ١٤ .

مصادر البحث

١- القرآن الكريم.

٢- الأصمعيات تح. أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، القاهرة ١٩٥٥

٣- الأغاني للأصفهاني، ج١٤ ص٢٦٣.

٤- ديوان زهير بن أبي سلمى، دار الكتب المصرية ، شرح ثعلب، القاهرة ١٩٤٤.

٥- ديوان طرفة بن العبد. تح. درية الخطيب ولطفي الصقال، دمشق ١٩٧٥ .

٦- ديوان عدي بن زيد العبّادي.

٧- ديوان عروة بن الورد، بشرح ابن السكيت، تح. عبد المعين ملوحي، دمشق ١٩٦٦.

٨- ديوان علقمة الفحل ، جمع .أحمد الصقر، القاهرة ١٩٣٥.

٩- السيرة النبوية لابن هشام تح. أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، القاهرة ١٩٥٥.

١٠- شرح ديوان الأعشى، بيروت ١٩٦٨.

١١- شرح ديوان الخنساء، تح لويس شيخو، بيروت ١٨٩٥.

١٢- شعر الشنفرى، تح. علي ناصر غالب، الرياض ١٩٩٨.

١٣- المعلقات العشر. تح. أحمد الشنقيطي، القاهرة ١٣٥٣هـ.

١٤- المفضليات، تح. أحمد شاكر وعبد السلام هارون القاهرة ١٩٥٢.

تعريب تدريس العلوم

في الوطن العربي

الأستاذ شحادة الخوري

المقدمة:

«لُغَتُنا أُمُّنا» تلك هي الحقيقة، هي الذات والهُوِية. إنها ليست شيئًا منفصلاً عنا، بل بعضٌ منا نعيشه منذ الطفولة، وتتدرجُ ألفاظها على ألسنتنا وتستقر في أذهاننا، وترافقنا العمر كله.

إنها من مقومات وجودنا الإنساني، وبها نُعرَف ونُعَرَّف. لقد انتقلت إلينا من عصور موغلة في القِدَم، فحملت إلينا تراثَ الأجيال المتعاقبة، عقيدةً وفكرًا وعاطفة، واستوعبت ثقافتنا وغدت عنوانَها ووعاءَها.

إنها أكمل اللغات العربية القديمة - الساميَّة - وأغناها لفظًا، وأقواها تركيبًا وأجملها تعبيرًا وأوضحها دلالة على دقائق الكون وخفايا النفس؛ إنها لغة مرنة، حلوة الجرس، قادرة على التوالد والنماء. لقد أغناها القرآن الكريم بمعانيه السامية ومبانيه المُحْكَمة، مُدْرِكًا في البلاغة الإعجازَ، ووَحَّدَ لهجاتها المتعددة وأتاح لها أن تمتد في الأرض إلى حيث انتشر الإسلام الحنيف وهاجر العرب، وأن تمتد في الزمان، وهي اليوم من اللغات الحية الواسعة الانتشار، وهي الرابطة الأساسية بين الناطقين بها في أرجاء الوطن العربي والعالم، وهي سبيل العرب إلى وحدة ثقافية وقومية واعدة ومأمولة.

ولكن من المخاطر التي تتعرض لها اللغة العربية في هذا العصر، مزاحمة اللغات الأجنبية، وحلولها محلها في مجالات عديدة، منها مجال التعليم بمختلف

أنواعه ودرجاته، ولاسيما تعليم المواد العلمية.

ولئن كانت هذه الظاهرة محدودة في مراحل التعليم العام، وتقتصر على بعض المواقع في قطرين عربيين أو ثلاثة، فإنها في مرحلة التعليم العالي ظاهرة غالبة ومستمرة في أكثر الأقطار العربية. إن اللغات المزاحمة للغة العربية هي الفرنسية في أقطار المغرب العربي، والإيطالية في الصومال، والإنكليزية في الأقطار الأخرى.

إن هذه الظاهرة مخالفة لما هو جارٍ في أكثر بلدان العالم، ولا تعبر عن إرادة العرب، بل وُجدت في ظروفٍ قاهرة استثنائية لم يكن الشعب العربي يملك فيها خياراته. ولئن زالت أسبابها، فقد بقيت قائمة بل اتسع مداها بحكم الاعتياد ونزعة المحاكاة والتقليد والمصالح الخاصة.

١– في عصر النهضة الأولى:

لم يعرف العرب هذه الظاهرة في عصر نهضتهم الأولى، ذلك أن القرآن الكريم قد ثبَّت سيادة اللغة القرشية المضرية العدنانية، ومَهَّدَ لها السبيل لتكون لغةَ العلم والعرفان.

وهكذا صارت العربية لغة الحضارة العربية الإسلامية، وتراجعت أمامها اللغات الأخرى، واحتوت بفضل خصائصها الفريدة وقدرتها الفائقة على النمو والاتساع، جميع علوم الهند وفارس والسريان واليونان، وصارت الرابطة الوثقى بين مختلف الشعوب التي انتمت إلى الإسلام أو عاشت في داره.

إن العرب والمسلمين كافة لم يقرؤوا العلم إذ ذاك بلغات الآخرين و لم يؤلفوا بها، بل نقلوا معارف السابقين وعلومهم إلى اللغة العربية، فقرؤوا العلم بلغتهم وكتبوا مؤلفاتهم بها.

لقد رعى عدد من الخلفاء والحكام العرب حركة ترجمة نشيطة، وحشدوا لها المترجمين الأكفياء ممن يتقنون اللغة العربية ويحُسِنون لغة أو لغات أخرى، فتحصَّلوا على التراث العلمي الذي خلَّفه السابقون.

يذكر ابن النديم في كتابه (الفهرست) أسماء (٤٧) مترجمًا عن اليونانية والسريانية و(١٥) عن الفارسية و(٣) مترجمين عن السنسكريتية، ويدرج ابن أبي أصيبعة في كتابه «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» أسماء (٤٩) مترجمًا لكتب الطب وحدها، وقد بلغ عدد الكتب المترجمة آنذاك نحوًا من أربعمئة كتاب.

لقد استوعبت اللغة العربية معارفَ العالم القديم في مدة قصيرة لم تزد على قرنين، وذلك بفضل مرونتها وقابليتها للتوليد والاشتقاق؛ واغتنت بكثير من المصطلحات العلمية توليدًا وتعريبًا، فصارت لغةَ العلم بلا منازع، لغةً مستساغةً تعشَّقها ذووها ومَن تعلَّمها من أبناء الأقوام الأخرى. قال أبو الريحان البيروني في كتاب «الصيدنة»: «... إلى لسان العرب نقلت العلوم من أقطار العالم فازدانت وحلَّت في الأفئدة، وسرت محاسن اللغة منها في الشرايين والأوردة...».

و لم تكن أعمال الترجمة بالأمر الهيِّن اليسير، بل اقتضت جهودًا مضنية وتصحيحات متلاحقة، بداية من العصر الأموي، ومتابَعَةً في عهد الرشيد والمأمون حتى المتوكل. وعندما حلَّ القرن الرابع الهجري كان العرب قد استحوذوا على علوم الأولين وأضحت اللغة العربية لغة العلم والمتعلمين والعلماء، يعتز بها أهلها ويقبل على تعلمها الآخرون. يقول البحاثة الكبير الدكتور محمد السويسي: «ووصل العلماء باللغة العربية إلى الوفاء في

مستوى التعبير العلمي بمحتوى العلوم واستيعاب العمليات الفكرية والتفاعل معها وتجاوزها، وقد طوروا صيغ العربية وطوعوها وأغنَوْها بالمصطلحات فصارت لغةَ حضارةٍ شاملة» .

٢– في عصر النهضة الحديثة :

وبدأت النهضة العربية الحديثة في مطلع القرن التاسع عشر، بعد فترة من الجمود الفكري والحضاري، وعمل محمد علي حاكم مصر على نشر العلم وإنشاء معاهده ومؤسساته، وأرسل البعثات إلى الغرب لنقل علومه وصناعاته.

وكان على اللغة العربية أن تواكب هذه اليقظة الفكرية وتستجيب لمتطلباتها، وكان للرجل النابه رفاعة رافع الطهطاوي دور بارز في الحركة العلمية واللغوية الجديدة، ومعه جَمْعٌ من أفاضل الأساتذة المصريين، وأسهم معهم بعض من أهل الشام .

كان تدريس المواد العلمية يُؤَدَّى باللغة العربية. وعند تأسيس الكليات العلمية مثل كلية الطب بالقصر العيني عام ١٨٢٦ نشطت أعمال الترجمة والتأليف بغرض خدمة التعليم بهذه اللغة، وانبرى أهل الاختصاص لتوفير حاجات الطلبة إلى الكتب، كما شرعوا يلقون دروسهم بالعربية واستمر ذلك حتى عام ١٨٨٧ أي بعد الاحتلال البريطاني بخمس سنوات.

وفي بيروت بلبنان تأسست الكلية الإنجيلية السورية التي سُميت فيما بعد الجامعة الأمريكية عام ١٨٦٦، وكانت العربية لغة تدريس المواد العلمية فيها، بل شارك أساتذة أمريكيون في التعليم العلمي بالعربية. ولكن بعد ثمانية عشر عامًا أي عام ١٨٨٤ استُبعدت العربية لأسباب لا تَمُتُّ إلى العلم بصلة، لتحل محلها اللغة الإنكليزية.

أما دمشق فقد كان فيها أواخرَ الحكم العثماني مدرسة طبية تدرس باللغة التركية واستمرت عشر سنوات ١٩٠٣– ١٩١٣ ثم أغلقت مع هبوب رياح الحرب العالمية الأولى.

ولكن في العهد الفيصلي القصير الأمد، أُحدث فيها عام ١٩١٩ معهد للطب وآخر للحقوق، واعتُمدت العربية لغةً للتدريس فيها. وشَمَّرَ الفريقُ المؤسس لمعهد الطب عن ساعد الجد وعقد العزم على النجاح، وبذل الجهود المخلصة لتوفير مستلزمات التعليم بالعربية، فترجم وألف ووضع المصطلحات وصنف المعجمات وأصدر المجلات. وبعدئذ تابع اللاحقون ما قام به السابقون في هذا الميدان حتى اليوم، في جميع معاهد سورية وجامعاتها، وبنجاح مرموق.

وقد حذت حذو كلية الطب بدمشق كلياتُ الطب وطب الأسنان والصيدلة والمعاهد المتوسطة الصحية ومدارس التمريض المحدثة في نطاق جامعات دمشق وحلب وتشرين (اللاذقية) والبعث (حمص).

أضف إلى ذلك أن التعليم العالي باللغة العربية قد شمل، عدا الطب وما يلحق به، جميع العلوم الأساسية والتطبيقية والاجتماعية والإنسانية. وخلال أربعة وثمانين عامًا خَرَجَ من كليات الطب بسورية ألوف من الأطباء الذين عملوا ويعملون بنجاح داخل قطرهم وخارجه في أقطار الوطن العربي، ومنهم عدد كبير أتم دراساته العليا في البلدان الأوربية والأمريكية بلغات تلك البلدان دون عناء .

وجدير بالذكر أنه لم يُقصد بالتعريب الانطواء والانكماش أو هجران اللغات الأجنبية، بل على العكس توفر على الدوام حرص على إكساب

الطالب لغة أجنبية تعين على متابعة التخصص في الخارج، والاطلاع على المراجع الطبية المكتوبة بلغة أجنبية(١).

وقد تبين أن خرِّيجي هذه الكلية ومثيلاتها في سورية يتفوقون في امتحانات القبول التي يجريها المجلس التعليمي للأطباء الأجانب في الولايات المتحدة، بعد اجتيازهم دورة لغة إنكليزية قصيرة. ففي عام ١٩٨٠ نجح (٧١) طبيبًا سوريًا في دورتي الامتحانات وذلك بمعدل ٧١,٤% في الدورة الأولى ومعدل ٧٢,٦% في الدورة الثانية في حين أن المعدل العام للناجحين من مختلف البلدان بلغ ٧١,١% و ٧٢,٠%.

إن ابتداء التعليم الطبي في مصر ولبنان باللغة العربية في القرن التاسع عشر واستمراره بنجاح فيهما عشرات السنين، ثم تحوله إلى اللغة الأجنبية لم يكن من قبيل المصادفة، بل إن وراءهما أسبابًا لا تَمُتُّ إلى العلم بصلة.

وجدير بالذكر أن التعليم بالعربية لا يتعارض مع تعليم الطالب لغةً أجنبية تُعينه على التخصص في البلدان الأجنبية والاطلاع على المراجع العلمية بتلك اللغة. ولكن إذا كان تعليم اللغة الأجنبية مفيدًا، من وجوه عدة، فإن جعلها لغة تعليم للمواد العلمية عوضًا عن العربية، في التعليم العام والعالي ينتقص من دور اللغة العربية: إذ يُحِلُّها محل اللغة الأم في اكتساب المعرفة، وفي ذلك إضرار بالفرد والمجتمع وإساءة للغة العربية، قوامِ ذاتنا

---

(١) يدرس الطالب في كلية الطب بدمشق اللغة الأجنبية خمس سنوات. وفي كل سنة منها مئة وثمانون (١٨٠) حصة درسية أي بمعدل ست ساعات أسبوعيًّا (٣٠ × ٦ = ١٨٠) ويخضع للامتحان بها كأي مقرر آخر. أما في مجال الاختصاص فعليه أن يتقدم لإجراء فحص بمقررين طبيين من مقررات اختصاصه باللغة الأجنبية.

الفكرية والثقافية. إن العربية يجب أن تكون لغة التعليم والتعلم ثم لغة التأليف والبحث العلمي، وتكون اللغة الأجنبية رديفًا لها وعونًا.

٣- الحالة الراهنة :

وحرصًا على معرفة واقع استعمال اللغة العربية في تدريس المواد العلمية في الوطن العربي، نعتمد **على الدراسة التوثيقية الجادة التي أجرتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وأصدرتها عام ١٩٩٦** تحت عنوان: التعريب في الوطن العربي: واقعه ومستقبله.

وضعت المنظمة العربية استبانة مفصلة[١] وأبلغتها الدولَ العربية طالبة الإجابة عن الأسئلة الواردة فيها، كما طلبت من كل دولة دراسة عن احياجات التعريب لديها ولاسيما في المجالات التربوية.

وتلقت المنظمة عن الاستبانة المذكورة إجابات من خمسة عشر قطرًا عربيًا، كما تلقت تقارير عن مستلزمات التعريب من اثني عشر قطرًا.

وفيما يلي ملخص ما ورد في الإجابات والتقارير المشار إليها:

١- في المرحلة الابتدائية: يجري تدريس المواد العلمية باللغة العربية في المدارس الرسمية والخاصة، باستثناء بعض المدارس الخاصة في لبنان والمدارس التجريبية الرسمية في مصر .

٢- في المرحلة الإعدادية: يجري تدريس المواد العلمية باللغة العربية

---

(١) **ملاحظة:** الدول العربية التي أجابت عن الاستبانة هي: الأردن، الإمارات، البحرين، تونس، الجزائر، السعودية، سورية، العراق، فلسطين، قطر، لبنان، ليبيا، مصر، موريتانيا. الدول التي تقدمت بدراسات وتقارير قطرية هي: الأردن، الإمارات، تونس، الجزائر، سورية، العراق، فلسطين، الكويت، لبنان، ليبيا، مصر، موريتانيا.

في المدارس الرسمية والخاصة، باستثناء المدارس التجريبية الرسمية في مصر، ويجوز تقديم امتحان المواد العلمية في الشهادة الإعدادية في لبنان باللغة العربية أو بلغة أجنبية.

٣- في المرحلة الثانوية: يجري تدريس المواد العلمية باللغة العربية في المدارس الرسمية والخاصة، باستثناء المدارس التجريبية الرسمية في مصر، والمدارس الرسمية في تونس، والمدارس الرسمية والخاصة في لبنان، وبعض المدارس الخاصة في دولة الإمارات العربية المتحدة.

وعلى هذا، تكون مسألة تدريس المواد العلمية في التعليم العام، الرسمي والخاص، في الأقطار الثلاثة: مصر ولبنان وتونس بحاجة إلى إعادة النظر لجعل هذا التدريس باللغة العربية، لأن تعليمها باللغة الأجنبية يَعُوْق الطالب عن استيعابها وتَمَثُّلها، ويُضعف اهتمامه بالعربية ويتوهم أنها لغة قاصرة.

٤- في التعليم العالي:

أ – تُدرَّس العلوم الأساسية كليًا باللغة العربية في أربعة أقطار، وباللغة الأجنبية في ستة أقطار، ويُدرس بعضها بالعربية وبعضها الآخر بالأجنبية في خمسة أقطار.

ب- تُدرَّس العلوم الطبية كليًا باللغة العربية في قطر واحد، وباللغة الأجنبية في سبعة أقطار، ويدرس بعضها بالأجنبية في ثلاثة أقطار.

ج- تدرس العلوم الهندسية كليًا باللغة العربية في قطر واحد، وباللغة الأجنبية في أربعة أقطار، ويُدرس بعضها بالعربية وبعضها الآخر بالأجنبية في ثلاثة أقطار.

د- تدرس العلوم الاجتماعية والإنسانية كليًا باللغة العربية في ستة

أقطار، ويدرس بعضها بالعربية وبعضها الآخر بالأجنبية في سبعة أقطار.

هـ- تجري الدراسات العليا والبحث العلمي في العلوم الأساسية والعلوم التطبيقية باللغة العربية في قطرين، وباللغة الأجنبية في تسعة أقطار وجزئيًا باللغة العربية في قطر واحد.

ونستخلص من ذلك:

١ً- أن ثمة قطرًا عربيًا واحدًا حقق التعريب الكامل لتدريس المواد العلمية في التعليم العالي هو سورية. ويغلب تعليم هذه المواد باللغة الأجنبية في الأقطار العربية الأخرى .

٢ً- أن ثمة جهودًا تُبذل في بعض الأقطار العربية للأخذ بالتعريب وهي: العراق والسودان ومصر والجزائر واليمن والجماهيرية الليبية.

وينص التقرير الختامي لمؤتمر تعريب التعليم الطبي الذي عقد في القاهرة عام ١٩٩٠ على التالي:

يُدرّس الطب باللغة العربية في :

١- جميع الجامعات العربية السورية.

٢- كلية طب سبها وفي الجامعة الطبية العربية (بنغازي) في الجماهيرية العربية الليبية.

٣- في بعض الجامعات السودانية.

٤- وباللغة الفرنسية في الكليات المغربية والجزائرية والتونسية وكلية الطب الفرنسية ببيروت، وباللغة الإيطالية في الصومال وباللغة الإنكليزية المختلطة بالعربية في بقية دول الوطن العربي.

وبمتابعة الأوضاع في كليات الطب بعد المؤتمر المذكور حتى عام

١٩٩٦ الذي انعقد فيه مؤتمر تعريب التعليم الطبي في الكويت، اتضح الآتي:

١- أن كلية طب صنعاء قررت تدريس الطب الشرعي والسموم وطب المجتمع باللغة العربية، وأن بعض أساتذها كتبوا بحوثًا ومؤلفات طبية باللغة العربية.

٢- أن كليتي الطب بجامعتي الشرق ووادي النيل بالسودان، بالاتفاق مع جامعة أم درمان الإسلامية، بدأتا بتدريس مواد التشريح ووظائف الأعضاء والكيمياء الحيوية باللغة العربية.

٣- أن جامعة المنوفية في جمهورية مصر العربية قررت إلزام الباحثين ومقومي الرسالات العلمية بتقديم موجز باللغة العربية لأبحاثهم ورسائلهم لا يقل عن ٢٥% من حجم الرسالة أو البحث الأصلي.

٤- أن كلية طب الأزهر قررت وضع خطة لتعريب التعليم الطبي فيها على مدى عشر سنوات، كما قررت تدريس مادتي الطب الشرعي والصحة النفسية والامتحان بالعربية واستعمال اللغة العربية في الدراسات العليا.

٥- أن كلية طب قناة السويس تطبق نظام التعليم المرتكز على المجتمع، ولذا فإن لغة التعليم والتدريب الميداني في معظمها هي العربية، وتعد أسئلة الامتحان بالعربية والإنكليزية ويختار الطالب اللغة التي يجيب بها.

يتضح من ذلك كله أن ثمة رغبة صادقة في البلدان العربية لتعريب تعليم المواد العلمية، وإحلال العربية محلها الطبيعي الذي شغلته اللغات الأخرى لأسباب معروفة وفي ظروف معينة. إن هذا سيكون تصحيحًا لخطأ وإعادة للأمور إلى وضعها الطبيعي، ومجاراة لما هو متحقق في بلدان العالم التي تتمسك بلغاها وتعتز بتراثها وتحرص على مكانتها تحت الشمس.

ولكن يلاحظ أن الخطوات بطيئة لا تتفق مع وعي أبناء أمتنا

وطموحاتهم ولاسيما أن رياح العولمة العاتية لا يقتصر أذاها على الاقتصاد والسياسة، بل يمتد إلى الثقافة التي عمادها اللغة.

إن حماية اللغة العربية حماية لكرامة الأمة وسيادتها وحريتها، وصون لتراثها وحفاظ على مستقبل أجيالها.

٤- دواعي التعريب:

إن الدعوة إلى استعمال اللغة العربية في تدريس المواد العلمية في المدارس والجامعات ليست وليدة التعصب ولا هي صيحة عاطفية، بل هي دعوة يمليها العقل وتحتمها مصلحة أمتنا في الحاضر والمستقبل. إن ثمة حاجة لهذا التصحيح، وعوامل عديدة تدعو إليه دون إبطاء أو تردد، نذكر منها:

آ – العامل النفسي التربوي:

من الثابت بالبرهان القاطع أن من يكتسب علمًا بلغته الأم يكون أكثر استيعابًا له، والاستيعاب يؤول إلى التمثل، والتمثل سبيل الابتكار والإبداع.

وقد دلت الدراسات النفسية أن القارئ أو السامع يستوعب مضمون نص عربي بزيادة قدرها ١٦- ٢٠% أكثر مما يستوعب نصًا مقابلاً بلغة أجنبية. وقد أوصت المنظمة العالمية للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو) باستعمال اللغة القومية في التعليم إلى أعلى مرحلة ممكنة.

ب – العامل المهني الاجتماعي:

إن المتعلم يكتسب العلم ليعمل به، وفي عمله يتصل بزملائه وأعوانه وبالأفراد الذين يتعامل معهم، فإن كانت الأجنبية لغة تعلمه صعب عليه التفاهم مع هؤلاء جميعًا في نطاق مهنته، وإذا كانت العربية فالتواصل أيسر وأكثر جدوى.

هذا والتعليم بلغة أجنبية أكثر تكلفة من التعليم بالعربية، فالأول

يورث طبقية اجتماعية والثاني يوسع قاعدة التعلم ويساعد على تحقيق ديمقراطية التعليم.

ج – العامل القومي – الحضاري:

إن اللغة العربية مستودع تراثنا، ووعاء ثقافتنا وحضارتنا، وسمتنا المميزة، ومن الخطأ الجسيم إقصاؤها عن تعليم العلوم لأننا في هذه الحال نحكم عليها بالقصور والعجز، وهي على العكس من ذلك.

إن إعادة الأمور إلى طبيعتها إحباط لسعي الأعداء لاختراق ثقافتنا، وتحريرٌ لإرادتنا وحرصٌ على بناء حضارة عربية حديثة زاهرة تكون امتدادًا لحضارتنا السابقة.

إن شعوبًا في العالم لا تضاهي العرب عددًا وتاريخًا وتراثًا وقدرة بشرية ومالية تتمسك بلغاتها وتدرس العلوم بها حفاظًا على هويتها وثقافتها، مثل فنلندا وهنغاريا ورومانيا واليونان إن لم نذكر إسرائيل التي أحيت لغتها بعد موات.

٥– مستلزمات التعريب:

إن العدول عن اللغة الأجنبية في تعليم المواد العلمية والانتقال إلى الوضع السليم، ينبغي أن يتم دون أي أثر سيِّئ على مستوى التعليم، وأن يلقى القبول من جمهرة المتعلمين والدعم من السلطات السياسية والتعليمية والثقافية.

وحرصًا على تحقيق هذا الهدف ينبغي توفير مستلزمات التعريب واحتياجاته التي يمكن اختصارها في ثلاثة أمور:

أ– المدرس القادر على التدريس بالعربية: إن المعلِّمين والمدرسين الذين ألِفوا ممارسة التدريس باللغة الأجنبية يجب تأهيلهم للتدريس بالعربية، بإقامة دورات لهم للاطلاع على مصطلحات مادتهم، وتَعَرُّف المعاجم العلمية،

والاستماع إلى محاضرات نموذجية بالعربية وتعلُّم الكتابة العلمية بالعربية.

٢- الكتاب العلمي بالعربية: إن الكتاب هو الأداة الرئيسة للتعليم، فيجب توفيره مؤلَّفًا أو مترجمًا، كما يجب ترجمة المراجع الأساسية في كل علم من العلوم للاستزادة من المعرفة ومتابعة التطور العلمي في العالم.

٣- المصطلح العلمي الموحد: إن المصطلح العلمي الموحد عنصر أساسي في التدريس العلمي وفي التأليف والترجمة والبحث، ومن الواجب توحيد هذا المصطلح على المستوى القطري، أي بين الأقسام والكليات المتماثلة في جامعات كل قطر ومعاهده، وعلى المستوى القومي أي بين الجامعات في الوطن العربي.

إن هذه المتطلبات يجب تحقيقها قبل عملية التعريب وأثناءها وأن تتابع باستمرار، وهذا يتطلب تعاونًا وتنسيقًا وتنظيمًا وإشرافًا وتقويمًا باستمرار، ضمانًا لنجاح التعريب في تحقيق أغراضه.

٦- آفاق المستقبل:

ونتساءل بعد الذي سقناه من قول في هذا الموضوع عما تحصَّل لنا حتى الآن، وما ينقص، حتى يتحقق أمل المخلصين من أبناء أمتنا، وتطلعات الرواد الذين حَمَوا اللغة العربية في العصور المظلمة من الاندثار، والذين يعملون منذ قرن أو يزيد على إحياء تراثها وتجديد قُوَّتها وتوسيع دائرتها وجَلْوِ محاسنها وتحقيق عِلْميتها التي تحلت بها مدة ثمانية قرون في الزمن السالف.

لقد نص ميثاق الوحدة الثقافية الذي أقره مجلس جامعة الدول العربية عام ١٩٦٤ على موافقة الدول الأعضاء في الجامعة على أن تكون اللغة العربية لغة التعليم والدراسات والبحث في مراحل التعليم كلها.

دعت المؤتمرات الوزارية التي تنعقد بدعوة من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم كل سنتين وهي: مؤتمرات وزراء التربية، ووزراء الثقافة، ووزراء التعليم العالي والبحث العلمي، إلى تعريب تعليم العلوم جميعها واتخذت قرارات وتوصيات بذلك، بل أقامت أجهزة تساعد على تحقيق هذا الهدف: مكتب تنسيق التعريب بالرباط، والمركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق.

دعت مؤتمرات وزراء الصحة العرب منذ عام ١٩٧٤ حتى اليوم إلى تعريب التعليم الطبي وأحدثت جهازًا متخصصًا هو: المركز العربي للوثائق والمطبوعات الصحية بالكويت.

دعت الاستراتيجيات أو الخطط الشاملة التي وضعها رجال الفكر والثقافة والعلم العرب بإشراف المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم إلى تعريب العلوم تعليمًا وتعلمًا وإنتاجًا.

وُضِعت خطط وبرامج للتعريب آخرها الخطة العامة للتعريب التي أشرنا إليها والتي أصدرتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم عام ١٩٩٦.

تنص أكثر الدساتير والقوانين المتعلقة بالتعليم في الدول العربية على اعتماد اللغة العربية لغة رسمية.

بذلت الهيئات العلمية العربية جهودًا حثيثة لا تحصى لبلوغ هذه الغاية: الجامعات ومجامع اللغة العربية ووزارات التربية والثقافة والتعليم العالي والمنظمات والاتحادات العلمية العربية ولاسيما في العقود الخمسة الأخيرة.

ما الذي ينقص إذن؟ أقول: هو متابعة الجهود السابقة مع مزيد من التعاون والتنسيق على مستوى كل قطر وعلى مستوى الوطن العربي. وأزيد

على ذلك: ينقصنا وعي المواطن العربي بأهمية التعريب وفائدته، وقرار السلطات السياسية بتنفيذه وتوفير مستلزماته، لأنه لَبِنة في بناء وحدتنا القومية وعنصر من عناصر نهضتنا الحضارية.

الخاتمة:

ونختم هذه الدراسة ببعض المقترحات التي تساعد على الانتقال من النظر إلى الفعل:

١- قيام الجهات المعنية بالعمل على تنفيذ التشريعات والقرارات التي اتخذت بشأن التعريب.

٢- العمل على تنفيذ الخطط والبرامج التي أشرت إليها ودمجها في خطة واحدة تتجسد في برامج سنوية محددة.

٣- تفعيل المؤسسات والمراكز القائمة ومدّها بالقدرات البشرية والفنية والمالية لأداء المطلوب منها.

٤- القيام بحملة تبصير شعبية كي يصبح التعريب مطلبًا جماهيريًا، وتنظيم حملات إعلامية لهذا الغرض بكل الوسائل الممكنة.

٥- السعي لتحويل القرار الشعبي إلى قرار سياسي تعتمده الحكومات العربية وتعمل على تنفيذه.

إن التعريب ليس قضية لغوية فحسب بل قضية تتصل بهوية الأمة ومستقبلها.

المراجع

١- الأمير مصطفى الشهابي (رئيس مجمع اللغة العربية سابقًا) كتاب «المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث»، الطبعة الثانية ١٩٦٥.

٢- الدكتور عبد الكريم خليفة (رئيس مجمع اللغة العربية الأردني): كتاب «اللغة العربية والتعريب في العصر الحديث»، إصدار مجمع اللغة العربية الأردني – عمان ١٩٨٧.

٣- الدكتور ممدوح خسارة: كتاب «التعريب والتنمية اللغوية»، إصدار دار الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع بدمشق ١٩٩٤.

٤- الدكتور محمد هيثم الخياط (كبير مستشاري المدير الإقليمي لمنظمة الصحة العالمية – القاهرة): التعريب حديث مستطرد، منشور في مجلة «تعريب الطب» العدد (١٣) أيار/ مايو ٢٠٠٢ الصادرة عن مركز تعريب العلوم الصحية بدولة الكويت.

٥- الأستاذ شحادة الخوري: كتاب «الترجمة قديمًا وحديثًا»، إصدار دار المعارف في سوسة بتونس ١٩٨٨.

٦- الأستاذ شحادة الخوري، كتاب «تعريب التعليم الطبي والصيدلي في الوطن العربي»، إصدار دار الرائد العربي ببيروت – لبنان ١٩٨٧.

٧- الأستاذ شحادة الخوري: كتاب «دراسات في الترجمة والتعريب والمصطلح» إصدار دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر بدمشق الطبعة الثانية: ١٩٩٢.

٨- مراجع ودراسات أخرى متعددة.

ابن جُبارة المقدسيّ

(٦٤٨ – ٧٢٨هـ)

وكتابه (المفيد في شرح القصيد)

أ. خير الله الشّريف

أولاً – حياته وعِلْمه

١ – اسمه ونشأته:

هو شهاب الدين أبو العباس، أحمد بن محمد بن عبد الولي بن جُبارة[١] المقدسي المَرْداوي[٢] الصالحي الحنبلي.

ولد سنة (٦٤٨هـ) في سفح جبل قاسيون بدمشق في المنطقة المسماة بالصالحية التي اختارها المقادسة مكانًا لسكناهم، وأُحضر صغيرًا في الرابعة من عمره على عادتهم في إسماع الصغار دروس العلم، فسمع «السيرة النبوية» لابن إسحاق على خطيب مَرْدا، وسمع على الكَرْماني، وابن عبد الدائم، وابن أبي عمر.

٢ – أسرته:

اشتهر بالعلم من أسرته:

– والده: تقي الدين أبو عبد الله، محمد بن عبد الولي بن جُبارة المقدسي، الفقيه الفاضل المتقن الصالح، سمع بدمشق وبغداد، وتوفي سنة

---

(١) نص ابن قاضي شُهبة عند ترجمته لابن جُبارة في «طبقات النحاة واللغويين» – الورقة/ ٢٠٠ – ٢٠١ من مخطوط الظاهرية – على ضبط كلمة (جُبارة) بالضم، فقال: (بضم الجيم).

(٢) نسبة إلى «مَرْدا»، قرية قرب نابُلس («معجم البلدان» ٥/١٠٤).

(٦٨٣هـ)، ودفن بسفح قاسيون[١].

– عمه: تقي الدين أبو محمد، عبد الله بن عبد الولي بن جُبارة المقدسي، الإمام الفقيه المسند الثبت، المتوفى سنة (٦٧٩هـ) والمدفون بسفح قاسيون[٢].

– من بني عمِّه: شهاب الدين أبو العباس، أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عبد الولي بن جُبارة، المقدسي المعروف بالجزيري[٣]، المسند المعمَّر (٦٦٣– ٧٥٨هـ).

– جده: عبد الولي[٤] بن جُبارة: سمع منه ابن المحب، وأحمد بن يوسف الصالحي الطيار، وعبد الله بن عبد الرحمن القانوني، ومحمد بن أبي الزهر الهكاري، وعبد الرحمن ابن إبراهيم المقدسي.

– أخو جده: عبيد الله[٥] بن جُبارة المرداوي الصالحي، الفقيه الحنبلي المتوفى بجبل قاسيون سنة (٦٤٣هـ).

٣– صفاته:

نشأ ابن جُبارة في صلاح ودين وزهد، وكان رجلاً مباركًا، فيه صدق وقناعة وتعفف وخشونة عيش، وانقطاع وفراغ عن الرئاسة واللباس، تعلوه السكينة والوقار، وكان جمَّ الفضائل، يُعَدّ في العلماء الصالحين الأخيار.

وكان إلى ذلك إمامًا مفتيًا وفقيهًا متقنًا، وأصوليًّا مناظرًا، وعلامة مقرئًا

---

(١) ترجمته في: «شذرات الذهب» ٦٧١/٧، «القلائد الجوهرية» ٤١٦/٢.

(٢) ترجمته في: «المقصد الأرشد» ٤١/٢، «القلائد الجوهرية» ٤٢٤/٢.

(٣) ترجمته ومصادره في: «القلائد الجوهرية» ٤١٨/٢، «شذرات الذهب» ٣١٨/٨.

(٤) «الوفَيات» لابن رافع ١٥٣/١، ١٧٩، ٢٠٨، ٥٠٤ – «أعيان العصر» للصفدي ٢٣/١.

(٥) «تاريخ الإسلام» للذهبي: حوادث ووفيات ٦٤١ – ٦٥٠هـ.

متفننًا، ونحويًا ماهرًا، ولغويًا بارعًا، عني بفن القراءات فبرز فيه وأتقنه واشتهر بذلك، فهاجر الناس إليه، ووقع الاختيار من الطلبة عليه، واشتهر بمعرفة الرأي، وتصدّر وقُصد لإقراء القراءات والعربية، وانتهت إليه مشيخة بيت المقدس، وكان مع هذه المهارة ذا تمتمة في لسانه.

٤- رحلته[١]:

رحل سنة ٦٧٣هـ - وقيل: بعد سنة ٦٨٠هـ - لطلب العلم إلى القاهرة، فصحب الشيخ حسن الراشدي، وأخذ عنه القراءات السبع والنحو إلى أن مات سنة ٦٨٥هـ، وأخذ العربية عن ابن النحّاس، والأصول عن القَرافي، والفقه عن ابن حمدان .

ثم حج وجاور بمكة، وعاد إلى صالحية دمشق سنة ٦٩٣هـ، فأقرأ القراءات، وأخذ عنه الذهبي[٢]، واشتغل عليه الناس، ثم تحوّل إلى حلب، فاشتغل عليه ابن الوردي[٣]، وأقرأ بها مدة، ثم عاد إلى دمشق، فقرأ عليه البِرْزالي[٤]، ثم

---

(١) ذكر تاريخها الأول ابن رجب في «الذيل على طبقات الحنابلة» ٣١٨/٤ نقلاً عن البِرْزالي في «تاريخه»، وذكر الثاني الذهبي في «طبقات القراء» ١٢٧٢/٣، و «معرفة القراء الكبار» ٧٤٦/٢، والداوودي في «طبقات المفسرين» ٨٠/١، وابن العماد في «شذرات الذهب» ١٥١/٨.

(٢) قال الذهبي في «طبقات القراء» ١٢٧٣/٣: (قدم دمشق سنة ثلاث وتسعين، فجلست إليه، وسمعت بحوثه، وأخذت عنه بجلس البطاقة).

(٣) قال ابن الوردي في «تتمة المختصر في أخبار البشر» ٢٧٥/٢: (أقام رحمه الله بمصر دهرًا، وجاور بمكة، ثم قدم دمشق واشتغل الناس عليه بها مدة، ثم أقام بحلب واشتغلنا عليه، ثم بالقدس).

(٤) نقل الداوودي في «طبقات المفسرين» ٨١/١ قول البِرْزالي في «تاريخه»: (قرأت عليه بدمشق والقدس عدة أجزاء)، وقد تكون قراءة البِرْزالي عليه بعد عودته الأولى إلى دمشق سنة ٦٩٣هـ.

استوطن بيت المقدس، فتصدر للإقراء والعربية، وهاجر الناس إليه.

٥- من شيوخه:

- أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل المقدسي النابُلُسي الحنبلي، الشيخ الإمام الفقيه المسند خطيب مَرْدا[١]، (٥٦٦-٦٥٦هـ): حضر عليه في دمشق في الرابعة من عمره «السيرة النبوية» لابن إسحاق، وسمع منه «جزء البطاقة»[٢].

- زين الدين أبو العباس، أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسي الصالحي، الكاتب الخطيب المحدث المعمَّر[٣]، (٥٧٥- ٦٦٨هـ): أخذ عنه الحديث في دمشق.

- شمس الدين أبو الفرج وأبو محمد، عبد الرحمن بن أبي عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قُدامة المقدسي الصالحي الحنبلي، شيخ الإسلام وبقية الأعلام[٤]، (٥٩٧-٦٨٢هـ): أخذ عنه الحديث في دمشق.

- بدر الدين عمر بن محمد بن أبي سعد الكَرْماني، التاجر الواعظ المعمَّر[٥]، (٥٧٠-٦٦٨هـ): أخذ عنه الحديث في دمشق.

- بهاء الدين محمد بن إبراهيم ابن النحّاس الحلبي، شيخ العربية

---

(١) «سير أعلام النبلاء» ٣٢٥/٢٣، «شذرات الذهب» ٤٨٩/٧.

(٢) جزء البطاقة: مجموعة مشهورة في الحديث الشريف، منها نسخة خطية في مكتبة الأسد بدمشق ضمن المجموع (٥٢)، والأوراق (٦٤-٧٨).

(٣) «المنهج الأحمد» ٢٩٧/٤، «شذرات الذهب» ٥٦٧/٧.

(٤) «الوافي بالوفَيات» ٢٤٠/١٨، «شذرات الذهب» ٦٥٧/٧.

(٥) «الإعلام بوفيات الأعلام» ص٢٧٩، «شذرات الذهب» ٥٧٠/٧.

والآداب بمصـــر[١]، (-٦٩٨هـ): أخذ عنه العربية في القاهرة بعد سنة ٦٨٠هـ.

- نبيه الدين أبو علي، حسن بن عبد الله بن وَيْحيان، الرّاشدي التِّلمْساني، الأستاذ المقرئ، من بني راشد قبيلة من البربر، كان بصيرًا بالقراءات وعللها، عارفًا بالعربية، صاحب عبادة وزهد وإخـــلاص واشتغال بنفسه[٢]، (-٦٨٥هـ): أخذ عنه القراءات والنحو والتصوف في القاهرة بعد سنة ٦٨٠هـ.

- شهاب الدين أبو العباس، أحمد بن إدريس القَرَافي الصُّنْهاجي المصري المالكي، الإمام العلامة[٣]، (-٦٨٤هـ): أخذ عنه أصول الفقه في القاهرة بعد سنة ٦٨٠هـ.

- نجم الدين أبو عبد الله، أحمد بن حمدان بن وثّاب، النُّمَيري الحرّاني الحنبلي، القاضي الأصولي[٤]، (٦٠٣-٦٩٥هـ): تفقه عليه في المذهب الحنبلي في القاهرة بعد سنة ٦٨٠هـ.

٦- من تلامذته:

- علم الدين القاسم بن محمد بن يوسف بن محمد البِرْزالي الشافعي، الحافظ، مؤرخ العصر، محدث الشام، صاحب «التاريخ» و «المعجم الكبير»[٥]، (٦٦٣-٧٣٩هـ): أخذ عنه أجزاء حديثية في دمشق ثم في القدس سنة (٦٩٣هـ) وبعدها.

- شهاب الدين أبو العباس، أحمد بن عبد الرحمن بن عبد المنعم بن نِعْمة

(١) «معرفة القراء الكبار» ٧٢٩/٢، «بُغية الوعاة» ١٣/١.

(٢) «معرفة القراء الكبار» ٧٠١/٢، «شذرات الذهب» ٦٨١/٧.

(٣) «الديباج المُذْهَب» ٢٣٦/١.

(٤) «معجم شيوخ الذهبي» ص٢٩، «شذرات الذهب» ٧٤٨/٧.

(٥) «طبقات الشافعية» لابن قاضي شُهبة ٣٦٩/٢، «فوات الوفَيات» ١٣٠/٢.

النابُلسي، الإمام الفقيه العابر[1]، (٦٢٨-٦٩٧هـ): تلا عليه في دمشق بعض الختمة لابن عامر سنة ٦٩٣هـ وبعدها.

– شمس الدين أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي التُّرْكُماني، الإمام الحافظ محدّث العصر[2]، (٦٧٣-٧٤٨هـ): أخذ عنه سنة (٦٩٣هـ) وبعدها في دمشق «مجلس البطاقة»، وجلس إليه، وسمع بحوثه، وروى عنه.

– زين الدين، عمر بن مظفر ابن الوردي، المعرّي الحلبي الشافعي، إمام اللغة والفقه والنحو والأدب، ذو التصانيف[3]، (-٧٤٩هـ): أخذ عنه في حلب ثم في القدس سنة (٦٩٣هـ) وبعدها.

– شمس الدين أبو المعالي، محمد بن أحمد بن علي ابن اللّبّان، المقرئ[4]، (٧١٠-٧٧٦هـ): أفرد عليه قراءة نافع، ثم أبي عمرو، ثم عاصم، ثم حمزة إلى أثناء سورة «الزُّمَر»، وسمع منه «التيسير» للداني.

– أبو العباس، أحمد بن محمد بن يحيى بن نَحْلة[5] النابُلسي، سبط السَّلْعُوس[6]، (٦٨٧-٧٣٢هـ): قرأ عليه بعض القراءات في دمشق.

---

(١) «الذيل على طبقات الحنابلة» ٢/٣٣٦، «شذرات الذهب» ٧/٧٦٤.

(٢) «معجم شيوخ الذهبي» ص ٧٥، «الوافي بالوفَيات» ٢/١٦٣، «طبقات الشافعية الكبرى» ٩/١٠٠.

(٣) «فوات الوفَيات» ٣/١٥٧، «طبقات الشافعية الكبرى» ١٠/٣٧٣.

(٤) «غاية النهاية» ٢/٧٢، «شذرات الذهب» ٨/٤٢٠.

(٥) «غاية النهاية» ١/١٣٣.

(٦) هو شمس الدين، محمد بن عثمان التنوخي الدمشقي، الوزير الكامل التاجر الكاتب، توفي سنة ٦٩٣هـ، ترجمته ومصادره في : «شذرات الذهب» ٧/٧٤١.

– أبو إسحاق، إبراهيم بن أحمد بن عبد الواحد بن علوان الشامي الجريري، نزيل القاهرة[١]، (٧٠٩– ٨٠٠هـ): أجازه ابن جُبارة.

– عبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي العباس أحمد بن علي النِّفْزي الكَرْكي الشافعي[٢]، (قبل ٧٠٠–٧٧٢هـ): تلا عليه بالروايات في دمشق سنة ٦٩٣هـ.

– شرف الدين أبو العباس، أحمد بن عثمان القَرَمي الصوفي، (بعد ٦٦٠ –٧٣١هـ): تلا عليه بالروايات في دمشق سنة (٦٩٥هـ).

– فخر الدين عثمان بن إسحاق الدمشقي: سيُذكر في وصف النسخة (ب).

– عبد الله بن سليمان المَرَّاكُشي[٣]: تلا عليه بالروايات في دمشق سنة (٦٩٣هـ).

٧– مؤلفاته:

أ– في علوم القرآن:

١– «المفيد في شرح القصيد».

٢– «الفتوحات المكية والقدسية في شرح الشاطبية»:

نعت الذهبي هذا الكتاب بالجودة[٤]، وهو الشرح الثاني للشاطبية الذي ألفه ابن جُبارة بعد كتابه «المفيد»، يؤخذ هذا من قول ابن جُبارة في مقدمة «الفتوحات» – الورقة ١/ب:

---

(١) «غاية النهاية» ١/٧– ٨، «النشر» ٦٣/١.

(٢) «غاية النهاية» ٣٦٦/١.

(٣) «طبقات القراء» ١٢٧٣/٣، «ذيل التقييد» ٣٨٩/١، «غاية النهاية» ١٢٢/١.

(٤) «طبقات القراء» ١٢٧٢/٣.

(وسميته «المفيد في شرح القصيد»، ثم أضفت إليه «الفتوحات المكية والقدسية في شرح الشاطبية»).

ويتضح من خلال المقارنة بين مخطوطي الكتابين أن الكتاب الثاني «الفتوحات» يوافق الأول - أي كتاب «المفيد» - في عبارته كثيرًا مع الحذف، والإضافات الكبيرة، والصياغة الجديدة.

ذُكر الكتاب في أغلب المصادر دون تصريح بعنوانه السالف، وانفرد القَسْطلاني فذكره بعنوانه الصريح مع السند الذي أدى إليه الكتاب(١).

وصفت مصادر ترجمة المؤلف هذا الشرح بالكبير المطول المشهور، فحدد ابن الوردي حجمه في أربعة مجلدات(٢)، ولا تدع نسخة الكتاب الخطية الوحيدة التي بين يدي مجالاً للشك في هذا الحجم(٣).

---

(١) قال القَسْطلاني عند ترجمته ابن جُبارة في «الفتح المواهبي» ص ٩٢: (شرحها شرحًا كبيرًا سماه «الفتوحات المكية والقدسية في شرح الشاطبية»... قلت: وقد أنبأني بهما أبو العباس من طريق الجَمالي، عن أبي إسحاق إبراهيم بن علوان، قال: أخبرنا بهما مؤلفهما، فذكره).

(٢) «تتمة المختصر في أخبار البشر» ٢/٢٧٥.

(٣) تضم خزانة مجمع اللغة العربية بدمشق مخطوط المجلد الأول من الكتاب، وهو فيها برقم (٤١٦) ضمن مجموعة العلامة المحدِّث الأكبر الشيخ بدر الدين الحسَني رحمه الله (-١٣٥٤هـ)، وهي نسخة مقابلة على أصل كتب في حياة المؤلف، يظهر ذلك من المقدمة ومن العبارات المرقومة في طرر الكتاب، فرغ من زبرها في دمشق سعيد بن إبراهيم اليمني بعد صلاة الجمعة في (١٦) رمضان سنة ٨٥٤هـ، تقع النسخة في (٢٣١) ورقة، وتنتهي بنهاية شرح البيت رقم (٢٩٠) من الشاطبية، فهي تمثل ربع الكتاب تمامًا.

أما شهرة الكتاب المشار إليها فتعود إلى أمرين:

١- شَبَه عنوان الكتاب بعنوان كتاب ابن عربي «الفتوحات المكية»، وهو الكتاب المشهور الذي أثار ضجة كبرى، ولا غرو في اختيار ابن جُبارة هذا العنوان لكتابه، وهو الرجل المتصوف الزاهد الذي أخذ التصوف وعلم القراءات عن شيخه حسن الراشدي.

٢- ما تضمنه الكتاب من شرح يمكن تسميته (الشرح الإشاري)[1]، وهو ما توحي به الألفاظ من معانٍ خفية، وما ترمز إليه من دلالات غير ظاهرة، واحتمالات بعيدة.

وهذا النوع من الشرح هو الذي أدى بأصحاب مصادر ترجمة المؤلف إلى نقد الكتاب ومؤلفه، فبدأ الذهبي – وهو المؤرِّخ المُنْصِف – فوصف الشرح الكبير لشيخه ابن جُبارة بقوله: (حشاه بالاحتمالات البعيدة، وأودع فيه الدُّرَّة وأُذُن الجرَّة)[2]، ثم وصف شيخه بعد قليل بقوله:

(ذهنه جيد من حيث الفهم، لا من حيث التحقيق ... فمن أغرب شيء حدثني به ابن النابُلُسي وأعجبه عن ابن جُبارة أنه قال في قول الشاطبي [البيت رقم (٢٥٤) من «الشاطبية»]:

---

(١) قياسًا على التفسير الإشاري أو الفيضي، وهو تأويل آيات القرآن الكريم على خلاف ما يظهر منها بمقتضى إشارات خفية تظهر لأرباب السلوك. «التفسير والمفسرون» / د. محمد حسين الذهبي ٣٣٨/٢.

(٢) «طبقات القراء» ١٢٧٢/١، وجاء الشطر الأول من العبارة أو مقاربُه في: «معرفة القراء الكبار» ٧٤٦/٢، و «غاية النهاية» ١٢٢/١، و «المقفّى الكبير» ٦٠٨/١، و «الدرر الكامنة» ٢٧٦/١.

وفي الهمـــز أنحـــاءٌ وعـــند نحاته يضـــيءُ ســـناه كلما اسودّ أَلْيَلاَ.

يحتمـــل قول الناظم في هذا البيت ست مئة ألف احتمال، وثمانون ألف احتمال.

فانظر إلى هذا الهوَس المفرِط!

فلو كتبت هذه الاحتمالات التي لا وجود لعشر معشارها لجاءت في ثلاث مئة ألف سطر وزيادة، وذلك يجيء في ألف كراسة، فتجلد في أربعين مجلدًا!

ثم نقلتُ من خط ابن جُبارة بيت الشاطبي في وريقة، وما نصه:

هذا البيت يحتمل خمس مئة وجه وأزيد من ذلك، إلى غير نهاية من الوجوه، وقد نظرت فيه، وتأملته، فوجدته كذلك كما أخبرتك به، وما أظن أحدًا يهتدي إلى ذلك إلا من هداه الله تعالى ونوّر بصيرته. انتهى.

قلت: نعم، هدانا الله وبصّرنا، فإن الهمز موجود في كلام الله، وكلام الله تعالى لا يتناهى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ البحرُ مِداداً لِكَلِمَات رَبِّي لَنَفدَ البَحْرُ﴾ [الكهف١٠٩]، فدعْ يا أيها الشخص عنك الدعاوى، والْزَمِ الورع)[١].

أما الصفدي فوصفه بالبراعة في النحو والقراءات مع اتهامه بالتخبيط[٢]، وقال فيه: (عنده من الفضائل جَمْل وتفاريق، إلا أنه كان يتجازف، وينتقل بعد سعادة علمه لأجل ذاك ويتحارف)[٣].

هذا وقد خلا شرح البيت (٢٥٤) من «الشاطبية» في النسخة

(١) «طبقات القراء» ١/١٢٧٣ – ١٢٧٤.

(٢) «الوافي بالوفَيات» ٢٦/٨، ونقل العبارة الأخيرة عنه السيوطي في «بُغية الوعاة» ٣٦٣/١.

(٣) «أعيان العصر» ٣٤٣/١، (نشرة أبي زيد ورفاقه)، وفيه: كان يتجارف. وهو تصحيـــف، والصواب من نشـــرة سزكـــين ١٤٠/١.

المخطوطة للكتاب تمامًا من النصَّين اللذين نقلهما الذهبي آنفًا، ويمكن عزو ذلك إلى كونهما مأخوذين من كتب أخرى للمؤلف، أَثبَهُها كتاب «الهمز» الذي أشار ابن الجزري إلى أن ابن جُبارة قد أفرده بالتأليف(١)، كما أفرد «بيت خالصة» بالتأليف(٢)، أو أن هذه النسخة التي بين أيدينا من كتاب «الفتوحات» هي نسخة معدّلة عن الكتاب أملاها المؤلف بأَخَرَة بعد أن تغيّرت حاله، وآل إلى الاعتدال في أقواله ومؤلفاته، كما قال الصفدي: (ولم يزل على حاله إلى أن كُسِر ابنُ جُبارة، وبَطَلَتْ منه تلك الرموزْ والإشارة)(٣).

٣ - «شرح عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد»:

و «العقيلة» هي رائية الشاطبي المشهورة في رسم القرآن، وصف ابن الجزري(٤) هذا الشرح لابن جُبارة بأنه أحسن من شرحه المتقدم ذكره للامية، وأن كليهما حسن مفيد، وقد ذكر هذا الشرح الذهبي في «معجم شيوخه» ص٧٥، و «طبقات القراء» ٢/ ١٢٧٢، و «معرفة القراء الكبار» ٧٤٦/٢، والصفدي في «الوافي بالوفَيات» ٢٦/٨، و «أعيان العصر» ٣٤٣/١، وابن رجب في «الذيل على طبقات الحنابلة» ٣١٩/٤، والفاسي في «ذيل التقييد» ٣٨٩/١، والمقريزي في «المقفّى الكبير» ٦٠٨/١، وابن مفلح في «المقصِد الأرشد» ١٧٧/١، و السيوطي في «بغية الوعاة» ٣٦٤/١، والعُلَيمي في

---

(١) «النشر في القراءات العشر» ٤٢١/١.

(٢) وهو البيت رقم (٦٨٤) من الشاطبية، ذكر ذلك ابن جُبارة في مقدمة «الفتوحات المكية والقدسية في شرح الشاطبية» الورقة ٤٥/أ، كما سيأتي، وهو قول الشاطبي:

وخالصةٌ أصلٌ ولا يعلمون قل لشعبةَ في الثاني ويُفْتَح شمللا

(٣) «أعيان العصر» ٣٤٣/١.

(٤) «غاية النهاية» ١٢٢/١.

«المنهج الأحمد»٥/٢٤، و «الأُنس الجليل»٢/٣٨١، والداوودي في «طبقات المفسرين» ١/٨١، وابن القاضي في «درة الحِجَال» ١/١٥١، و ابن العماد في «شذرات الذهب» ٨/١٥٢، والبغدادي في «هدية العارفين» ١/١٠٧، وابن شطّي في «مختصر طبقات الحنابلة» ص ٦٦، والزركلي في «الأعلام» ١/٢١٤، وكحالة في «معجم المؤلفين» ١/٢٧٧.

وللكتاب نسختان خطيتان، أولاهما اطلعت عليها في مكتبة الأسد بدمشق برقم (٣٠٦)، والثانية ذُكرت في فهرس مخطوطات الأسكوريال[1] بمدريد برقم (١٤٠٧).

٤– «شرح نونية السخاوي في التجويد»:

ذكره الصفدي في «الوافي بالوفَيات» ٨/٢٦، و «أعيان العصر» ١/٣٤٣، وابن حجر في «الدرر الكامنة» ١/٢٧٦، وكحالة في «معجم المؤلفين» ١/٢٧٧.

٥– «الهمز»:

ذكره ابن الجزري في «النشر في القراءات العشر» ١/٤٢١ – باب الوقف على الهمز، عندما عد ابن جُبارة ممن أفرد الهمز بالتأليف.

٦– «أشياء في القراءات»:

ذكرها ابن رجب في «الذيل على طبقات الحنابلة» ٤/٣١٩، و العُلَيمي في «المنهج الأحمد» ٥/٢٤، و «الأُنس الجليل» ٢/٣٨١، والداوودي في «طبقات المفسرين» ١/٨١، وابن العماد في «شذرات الذهب» ٨/١٥٢، وابن شطّي في «مختصر طبقات الحنابلة» ص٦٦، كلهم دون بيان.

---

(١) «المخطوطات العربية بالأسكوريال – إسبانيا» ٣/٦٥.

٧- «تعاليق»:

ذكرها الصفدي في «الوافي بالوفَيات» ٢٦/٨ بهذا اللفظ دون بيان.

٨- «بيت خالصة»:

ذكر المصنف في كتابه «الفتوحات المكية» الورقة ٤٥/أ أنه أفرد بيت الشاطبية رقم (٦٨٤) بتأليف مستقل، وهو قوله:

وخالصةٌ أصلٌ ولا يعلمون قل لشعبةَ في الثاني ويُفْتَح شَمْلَلا

ب- في تفسير القرآن:

٩- «فتح القدير في التفسير»:

ذكره ابن رجب في «الذيل على طبقات الحنابلة» ٣١٩/٤، وابن مفلح في «المقصد الأرشد» ١٧٧/١، والعُلَيمي في «المنهج الأحمد» ٢٤/٥، و «الأُنس الجليل» ٣٨١/٢، وابن العماد في «شذرات الذهب» ١٥٢/٨، والداوودي في «طبقات المفسرين» ٨١/١، و حاجي خليفة في «كشف الظنون» ١٢٣٣/٢، والبغدادي في «هدية العارفين» ١٠٧/١، وابن شطّي في «مختصر طبقات الحنابلة» ص ٦٦، والزركلي في «الأعلام» ٢١٤/١، وكحالة في «معجم المؤلفين» ٢٧٧/١، ونويهض في «معجم المفسرين» ٦٨/١.

١٠- «مختصر الكشاف عن حقائق التنزيل للزمخشري»:

ذكـــره الزركلي في «الأعـــلام»، واطلعت عليه مخطوطًا في مكتبة الأسد برقم (٥٠٢)، وهو الجزء الأول من الكتاب، ينتهي في أثناء سورة الأنعام.

ج- في النحو:

١١- «شرح ألفية ابن معطٍ»:

ذكره ابن رجب في «الذيل على طبقات الحنابلة» ٣١٩/٤، والعُلَيمي

في «المنهج الأحمد» ٢٤/٥، و «الأُنس الجليل» ٣٨١/٢، والداوودي في «طبقات المفسرين» ٨١/١، وابن العماد في «شذرات الذهب» ١٥٢/٨، وابن شطّي في «مختصر طبقات الحنابلة» ص ٦٦، والزركلي في «الأعلام» ٢١٤/١، وكحالة في «معجم المؤلفين» ٢٧٧/١.

ومن شعر ابن جُبارة قطعتان انتهتا إلينا في بعض المصادر، هما قوله[١]:

تركُ السلام عليهمُ تسليمُ	فاذهبْ وأنتَ من الملامِ سليمُ
لا تخدعَنْك زخارفٌ من وُدِّهم	فلئن سألتهمُ بدا المكتومِ
ما للفقير مع الغنيِّ مودةٌ	أنّى تصاحب واجدٌ وعديمُ!

وقوله[٢]:

خلتِ الزوايا من خباياها كما	خلتِ القلوبُ من المعارفِ والتقى
وتنكّر الوادي فما غزلانُه	تلكَ الظباءُ ولا النَّقا ذاكَ النقا

٨- وفاته:

توفي ابن جُبارة في القدس الشريف فجأة[٣]، سحر يوم الأحد رابع رجب سنة (٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م) وله ثمانون سنة، ودفن من يومه بمقبرة (ما ملاّ) ظاهر القدس من جهة الغرب، وصلي عليه بجامع دمشق صلاة الغائب في السادس عشر من رجب.

---

(١) «الوافي بالوفَيات» ٢٦/٨، «بُغية الوعاة» ٣٦٤/١، «درة الحِجَال» ١٥٢/١.

(٢) «الوافي بالوفَيات» ٢٦/٨.

(٣) «طبقات القراء» ١٢٧٤/٣، وقد تحرفت كلمة (الذهبي) في «شذرات الذهب» – ١٥٢/٨ من نشرة الأرناؤوط – إلى (الدبيثي) عندما نقل ابن العماد عن الذهبي وفاة ابن جُبارة فجأة، وقد سبق الدُّبَيْثيُّ ابنَ جُبارة في الوفاة بنحو قرن من الزمن.

٩- مصادر ترجمته مسلسلة تاريخيًا:

١- «المقتفي لتاريخ أبي شامة» للبِرْزالي، أو: «تاريخ البِرْزالي»[1].

٢- «طبقات القراء» للذهبي ٣/١٢٧٢ — ١٢٧٤.

٣- «معجم شيوخ الذهبي» ص٧٥.

٤- «معرفة القراء الكبار» للذهبي ٢/٧٤٦.

٥- «تتمة: المختصر في أخبار البشر لأبي الفداء» لابن الوردي، ٢/٢٧٥.

٦- «أعيان العصر وأعوان النصر» للصفدي ١/٣٤٢ — ٣٤٤.

٧- «الوافي بالوفَيات» للصفدي ٨/٢٥ — ٢٦.

٨- «البداية والنهاية» لابن كثير ١٤/١٤٢.

٩- «تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه» لابن حبيب ٢/١٨٢ — ١٨٣.

١٠- «الذيل على طبقات الحنابلة» لابن رجب ٤/٣١٩ — ٣٢٠.

١١- «ذيل التقييد في رواة السنن والمسانيد» للفاسي ١/٣٨٩.

١٢- «غاية النهاية في طبقات القراء» لابن الجَزَري ١/١٢٢.

١٣- «المقفّى الكبير» للمقريزي ١/٦٠٨.

---

(١) لعل ترجمة ابن جُبارة في الجزء المخطوط من الكتاب الذي تضمه مكتبة كوبريلّي برقم (١٠٣٧)، ويشمل تراجم الوفَيات: من سنة ٧٢٦هـ إلى سنة ٧٣٨هـ، وقد ذكره المنجّد في «معجم المؤرخين الدمشقيين» ص ١٤٣، أما الجزء المطبوع منه فهو رسالة ماجستير في التاريخ من جامعة دمشق، حققه محمد مصباح مظلوم سنة ١٩٨٠، وهو يشمل تراجم الوفَيات: من سنة ٦٩٩هـ حتى سنة ٧٠٣هـ. والجزءان السابق واللاحق لهذه الفترة لمّا يحققا بعد.

١٤- «طبقات النحاة واللغويين» لابن قاضي شُهبة: الورقة ٢٠٠- ٢٠١ من مخطوط الظاهرية.

١٥- «الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة» لابن حَجَر ٢٧٦/١.

١٦- «المقصِد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد» لابن مُفلِح ١٧٧/١.

١٧- «بُغية الوعاة» للسيوطي ٣٦٣/١ – ٣٦٤.

١٨- «الفتح المواهبي في ترجمة الإمام الشاطبي» للقَسْطلاني ص ٩٢.

١٩- «الأُنس الجليل بتاريخ القدس والخليل» للعُلَيمي ٣٨١/٢.

٢٠- «المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد» للعُلَيمي ٢٣/٥ – ٢٤.

٢١- «طبقات المفسرين» للداوودي ٨٠/١-٨١.

٢٢- «دُرّة الحِجَال في أسماء الرجال» لابن القاضي ١٥١/١-١٥٢.

٢٣- «شذَرات الذهب في أخبار من ذهب» لابن العماد ١٥١/٨-١٥٢.

٢٤- «كَشْف الظنون عن أسامي الكتب والفنون» لحاجي خليفة ٤٥٩/١، ٦٤٨، ١١٥٩ – ١٢٣٣/٢.

٢٥- «روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات» للخُوانساري ٣٢٣/١.

٢٦- «هدية العارفين» للبغدادي ١٠٧/١.

٢٧- «مختصر طبقات الحنابلة» لابن شطّي ص ٦٦-٦٧.

٢٨- «الأعلام» للزركلي ٢٢٢/١.

٢٩- «معجم المؤلفين» لكحالة ٢٧٧/١.

٣٠- «معجم المفسرين» لعادل نُوَيهض ٦٨/١.

ثانيًا -كتاب «المفيد في شرح القصيد»

المفيد شرح للشاطبية، فلابد من تعريف الشاطبية والوقوف عند شروحها، ثم عند منزلة المفيد بين تلك الشروح ثم عند منهج مؤلف المفيد ومصادره وتاريخ تأليفه.

١-الشاطبية وشروحها:

بدأ التأليف في القراءات من القرن الهجري الأول، وتوسع شيئًا فشيئًا حتى أرسى قواعده الإمام الشاطبي[١] في منظومته اللامية المسماة: «حرز الأماني ووجه التهاني» أو «الشاطبية» التي بلغت (١١٧٣) بيت، وحازت من القبول والشهرة والعناية حظًا وافرًا لا يعلم له نظير في بابه؛ إذ افتنّ الشاطبي في ضبط القراءات السبع، فسلك سبيل الرمز، فمنح كل قارئ وراوٍ رمزًا إذا انفرد، ورمزًا إذا اجتمع مع غيره، وأخذ هذه الرموز من تسلسل ترتيب الحروف العربية الأبجدية عند المغاربة[٢]، ومع أن الشاطبية قد وردت فيها الضرورات الشعرية[٣] فإن ذلك لا

---

(١) هو أبو محمد، القاسم بن فِيُّرُه بن خلف بن أحمد الشاطبي الرُّعَيني الأندلسي الضرير. العالم العامل، القدوة الإمام المتوقد ذكاء، ذو الباع الأطول في فن القراءات والرسم والنحو والفقه والحديث، مع الورع والتقوى والتألّه والوقار، ولد سنة ٥٣٨هـ ، وتوفي سنة ٥٩٠هـ، ترجمته ومصادره في: «سِيَر أعلام النبلاء» ٢٦١/٢١، و«الفتح المواهبي في ترجمة الإمام الشاطبي» ، و «الإمام الشاطبي سيد القراء».

(٢) وذلك وفق ترتيبها في المقاطع التالية: أبج، دهز، حطي،كلم، نصع، فضق، رست، ثخذ، ظغش. وانظر:«المعجم العربي»/ د.عدنان الخطيب ص١٩.

(٣) كتسهيل الهمز في الأبيات: (٧، ١٥ ، ١٨)، وتخفيف ياء النسبة المشددة في الأبيات: (٢٨ ، ٢٩ ، ٣١)، وغير ذلك.

يقدح في هذه المنظومة الموسوعية، فلا عجب أن تتبوأ الشاطبية تلك المكانة الرفيعة عند العلماء باختلاف تخصصاتهم، فهي ليست وعاء للقراءات فحسب، بل هي على قدر جيد من الرقة والعذوبة والبيان، وقوة السبك، ووفرة المعاني.

وقد نهض عدد من العلماء لشرح هذه المنظومة[1] التي ضمت سبعًا من القراءات القرآنية المتواترة المشهورة، واعتمدت كتاب «التيسير» للداني أساسًا لها. فكان شرح السَّخاوي، تلميذ الشاطبي، رائدًا لهذه الشروح، وميّز كل واحد ممن تلاه من الشراح شرْحه بما فتحه الله عليه من علم وخبرة، ثم أتى شرح ابن جُبارة «المفيد» الذي نعرض له.

وفيما يأتي عرض لهذه الشروح ماكان منها سابقًا للمفيد أو معاصرًا له، وما كان تاليًا له.

أ- شروح سبقت «المفيد» أو عاصرته:

١- شـــرح لعبد الرحمن بن أبي القاسم الأزدي التونسي المعروف بابن الحدّاد (- نحو ٦٢٥هـ).

٢- «المهنّد القاضِبي شرح قصيدة الشاطبي» لأبي العباس أحمد بن علي بن محمد ابن علي بن شُكْر القرطبي الأندلسي (- نحو ٦٤٠هـ).

٣- «فتح الوصيد في شرح القصيد» لأبي الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد السَّخاوي الشافعي (-٦٤٣هـ).

٤- «الدُرَّة الفريدة في شرح القصيدة» لمنتَجَب الدين أبي يوسف المنتجب ابن أبي العز بن رشيد الهَمَذاني (-٦٤٣هـ).

---

(١) بلغت شروح «الشاطبية» في كتاب: «الإمام الشاطبي سيد القراء» (٥٤) شرحًا، وفي مقدمة تحقيق «العِقد النضيد» (٦٢) شرحًا عدا الحواشي والتعليقات عليها.

٥- «اللآلىء الفريدة في شرح القصيدة» لأبي عبد الله محمد بن الحسن بن محمد ابن يوسف الفاسيّ نزيل حلب (-٦٥٦هـ).

٦- «كنز المعاني في شرح حرز الأماني» لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن محمد، المعروف بشُعْلَة المَوْصِلي (-٦٥٦هـ).

٧- شرح لشمس الدين أبي الفتح محمد بن علي بن موسى الأنصاري الدمشقي (-٦٥٧هـ).

٨- «المفيد في شرح القصيد» لعلم الدين قاسم بن أحمد اللَّوْرَقي (-٦٦١هـ)، وهو سميّ كتاب ابن جُبارة، وقد يكون اطلع عليه.

٩- «إبراز المعاني من حرز الأماني» لأبي شامة عبد الرحمن بن إسماعيل الدمشقي (-٦٦٥هـ).

١٠- شرح لعماد الدين أبي الحسن علي بن يعقوب بن شجاع بن علي بن إبراهيم المَوْصِلي (-٦٨٢هـ).

١١- «حل رموز الشاطبية» لتقي الدين يعقوب بن بدران الجَرائدي (-٦٨٨هـ).

١٢- «كاشف المعاني في شرح حرز الأماني» لأبي الفضائل عباد بن أحمد بن إسماعيل الحُسَيني (كان حيًّا سنة ٧٠٤هـ).

١٣- شرح لعلاء الدين علي بن أحمد (-٧٠٦هـ).

١٤- شرح لأبي الحسن علي بن يوسف بن حريز بن فضل اللَّخْمي المعروف بالشَّطَّنَوفي (-٧١٣هـ).

١٥- شرح لأبي موسى جعفر بن مكّيّ المَوْصِلي (-٧١٣هـ).

١٦- «فرائد المعاني في شرح حرز الأماني» لأبي عبد الله محمد بن محمد بن داود الصُّنْهاجي المعروف بابن آجُرُّوم (-٧٢٣هـ).

١٧- شرح ليوسف بن أبي بكر المعروف بابن خطيب بيت الآبار (-٧٢٥هـ).

وقد أكثر ابن جُبارة في «المفيد» النقل مما استحسنه من كلام السَّخاوي والفاسي وأبي شامة ممن سبقه في شرح الشاطبية كما صرح بذلك في مقدمته، وكان دائمًا يشير إلى من ينقل عنه، خلا مرات قليلة نقل عنهم من دون إشارة، و نقل من كلام شيخه الراشدي قسطًا كبيرًا[1]، و لم يغفل العزو إليه، ونقل أيضًا عن آخرين نقلاً يسيرًا.

ب- شروح عاصرت «المفيد» أو جاءت بعده:

١- «كنز المعاني» لبرهان الدين أبي إسحاق إبراهيم بن عمر بن إبراهيم الجَعْبَري (-٧٣٢هـ).

٢- «الحواشي المفيدة في شرح القصيدة» لأبي محمد عبد الرحمن بن أحمد ابن عبد الرحمن الدُّقُوقي (-٧٣٥هـ).

٣- «الفريدة البارزية في حل القصيدة الشاطبية» لأبي القاسم هبة الله بن عبد الرحيم البارزي (-٧٣٨هـ).

٤- شرح لبدر الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن بَصْخَان (-٧٤٣هـ).

٥- شرح لبدر الدين أبي محمد الحسن بن قاسم المعروف بابن أم قاسم المرادي (-٧٤٩هـ).

٦- «العِقد النضيد في شرح القصيد» لشهاب الدين أبي العباس أحمد بن يوسف المعروف بالسَّمين الحلبي (-٧٥٦هـ).

---

(١) لم تذكر مصادر ترجمة الراشدي له تأليفًا.

٧- «سراج القارئ المبتدي وتذكار القارئ المنتهي» لعلاء الدين أبي البقاء علي ابن عثمان ابن القاصح العُذْري (-٨٠١هـ).

٨- شرح لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (-٩١١هـ).

٩- «إرشاد المريد إلى مقصود القصيد» لعلي محمد الضَّبَّاع (-١٣٨١هـ).

١٠- «الوافي» لعبد الفتاح القاضي (- ١٤٠٣هـ).

وقد صرح ابن القاصِح وهو من شُرّاح الشاطبية الذين جاؤوا بعد ابن جُبارة بنقله عن شرحه، فقال في مقدمته: (وقد اختصرت هذا الكتاب من شرح السَّخاوي والفاسيّ، وأبي شامة، وابن جُبارة، وغيرهم، وزدت فيه فوائد ليست من هؤلاء المشروحات، وسميته: سراج القارئ..)[١].

وجعله ابن الجزري – كما سلف – أحد الأصول التي استقى منها مادة كتابه «النشر في القراءات العشر»[٢]، فذكر فيه السندَ الذي أدى إليه كتاب ابن جُبارة.

٢- منــزلة «المفيد» في شروح الشاطبية:

- أنواع شروح الشاطبية:

أ- **الشروح المطوَّلة:** التي يُعنى شارحها بكل ما يتعلق بالأبيات من معنى، وإعراب، وخلاف بين العلماء، وتوجيه قراءات، وتصحيح أخطاء الشراح قبله، منها:

١- شرح ابن خطيب بيت الآبار المشار إليه، وهو في مجلدين ضخمين.

٢- شرح ابن جُبارة: «الفتوحات المكية والقدسية»، ربعه مخطوط في مجلد ضخم.

(١) «سراج القارئ المبتدي وتذكار القارئ المنتهي»/ ص ١٠ .

(٢) «النشر» ٦٣/١ .

٣- شرح الجَعْبَري: «كنز المعاني»، طبع أقل من ربعه في مجلد كبير.

٤- شرح السَّمين الحلبي: «العقد النضيد»، طبع ربعه في مجلدين كبيرين.

ب – الشروح المتوسطة: التي لم يطنب فيها أصحابها و لم يوجزوا، بل كانت وسطًا بين ذلك، منها:

١- شرح أبي شامة: «إبراز المعاني»، طبع في أربعة مجلدات صغيرة.

٢- شرح الفاسي: «اللآلئ الفريدة»، مخطوط في مجلدين.

٣- شرح شُعْلَة: «كنز المعاني»، طبع في مجلد.

ج – الشروح المختصرة: وتكتفي بحل رموز الأبيات مع بيان المعنى الإجمالي وهذه تعنى بالقارئ ذي المعرفة بالقراء ورواتهم ومصطلحات علم القراءات مثل:

١- شرح عبد الفتاح القاضي (-١٤٠٣هـ): «الوافي».

٢- شرح الضبّاع (-١٣٨١هـ): «إرشاد المريد إلى مقصود القصيد».

- **منـــزلة «المفيد»:**

عند التأمل في كتابنا «المفيد» الذي نحن بصدده نرى أنه من المجموعة الثانية، وهي الشروح المتوسطة، فهو:

١- يقدم لكل باب من أبواب الأصول بمقدمة متوسطة أو مختصرة، يتحدث فيها عن موضوع الباب ومعناه في اللغة والاصطلاح، وإعرابه، أو عن واحد مما تقدم، مثل: مقدمة باب الاستعاذة ، والبسملة ، وسورة أم القرآن ، والإدغام الكبير.

٢- يتكلم في مفردات البيت من حيث الاشتقاق اللغوي، وقد يستشهد على ذلك بالشعر.

٣- قد يتعرض لما في كلام الناظم من أمور بلاغية كالاستعارة والتشبيه والمجاز.

٤- يُعرب بعض الكلمات في الأبيات مما يدور المعنى حوله مع ذكر وجوه الإعراب أحيانًا، وقد يبين مذاهب النحاة في المسائل الخلافية.

٥- ينقل عن ثلاثة من أبرز شراح الشاطبية، وهم: السَّخاوي (-٦٤٣هـ)، والفاسي (-٦٥٦هـ)، وأبو شامة (-٦٦٥هـ)، ويكثر من تعقب أبي شامة، مما يدل على ذهن وقّاد، وقريحة ناقدة.

٦- يوجِّه بعض القراءات التي حوتها الشاطبية، ويذكر عللها مستشهدًا بأقوال أئمة النحو واللغة.

٧- يورد الاستفسارات والشبه والاعتراضات التي قد تعرض للمرء، ثم يجيب عنها بما يزيل لبسها أو يتركها دون إجابة أحيانًا.

٣- منهج ابن جُبارة في «المفيد»:

بدأ ابن جُبارة كتابه بمقدمة حمد الله فيها، وأثنى عليه بما هو أهله، وصلى على الرسول ﷺ وآله وأصحابه والتابعين، ثم تكلم على القرآن الكريم وحفظه، وأن الله قد أظهر ذلك على يد الشاطبي في منظومته، ويسّر له بحثها على شيخه حسن الراشدي، ثم وضع شرحه في كتاب، وأضاف إليه ما يسره الله لديه، ثم بيّن المنهج الذي سار عليه في شرح الأبيات، وهو يشمل النقاط الآتية:

أ- لايلتزم ذكر البيت دفعة واحدة كما فعل غيره.

ب- يذكر مسألة ويقف على رمزها.

ج- لايعرب من أبياتها إلا القليل، أو ما يتوقف عليه بيان حكم من أحكامها.

د- مقصوده حلُّ ألفاظها ومشكلاتها بإيجاز واختصار.

ويمكن رد هذه النقاط إلى أمرين: طلب الاختصار وترك التطويل، مع إيضاح المعنى قدر الإمكان. والنقطة الأخيرة التي ذكرها تعلل منهجه؛ فهو يريد اختصار الشرح قدر المستطاع لكي يبلغ القارئ هدفه من فهم المعنى بأسرع ما يمكن دون إخلال ببيان معنى الأبيات.

ويمكن إضافة نقاط أخرى غلبت على منهج المصنف هي:

هـ – الاهتمام ببيان معاني الألفاظ الغريبة في الأبيات.

و– إعراب بعض المفردات التي لها أدنى وشيجة بالمعنى.

ز– الاستشهاد لبعض الجزئيات بما يقويها من مقاطع الشاطبية نفسها أو الآيات الكريمة أو الآثار أو غير ذلك.

ح– تفسير الشاطبية بالشاطبية.

ط– توجيه القراءات.

ي– الاعتماد في الشرح على ثلاثة من أحسن شروح الشاطبية هي: «إبراز» أبي شامة، و «لآلئ» الفاسي، و «فتح» السَّخاوي. ونقل كلام شيخه حسن الراشدي، علاوة على التعقيب عليها إذا كان ذلك مناسبًا.

ويؤخذ على منهج المصنف:

أ– النقل عن بعض المصادر دون إشارة إليها، أو بشيء من التصريح بالنقل بعد ذلك، مما يوهم أن الكلام المتقدم هو لابن جُبارة.

ب– ترك الإجابة عن بعض الأسئلة التي طرحها في شرحه.

ج– الإطالة في بعض النقول.

٤– مصادر «المفيد»:

يمكن تقسيم مصادر المفيد إلى ضربين فيما يأتي:

أ- **مصادر رئيسة**: وهي الكتب التي أكثر المصنف النقل عنها في كتابه، وهي:

١- «حرْز الأماني ووجه التهاني»: وهي المنظومة التي يشرحها ابن جُبارة، فلم يكد يخلو شرح لبيت منها من استشهاد بمقاطع أخرى من المنظومة نفسها.

٢- «إبراز المعاني من حرْز الأماني» لأبي شامة المقدسي: وهو شرح على الشاطبية سار فيه أبو شامة على منوال شيخه أبي الحسن السَّخاوي في شرحه للقصيدة، وزاد عليه معاني لم يودعها كتابه، فشرع في تصنيفه بتوسع واستقصاء في كتاب كبير حتى بلغ باب الهمزتين من كلمتين، ثم عاد فاختصره وأكمله خوفًا من دنوّ الأجل وقصور الهمة، وسمى هذا المختصر: «إبراز المعاني من حرز الأماني»، وقد نقل ابن جُبارة عن أبي شامة في (٥١) موضعًا في التسع الأول من الكتاب وهو (٢٨) ورقة الأولى من المخطوط،كنى فيها عن اسم أبي شامة بلفظ «بعضهم».

٣- «اللآلئ الفريدة في شرح القصيدة» لأبي عبد الله الفاسيّ نزيل حلب: وهو شرح على الشاطبية أيضًا وصفه الذهبي بأنه في غاية الحسن، وقد اعتمد ابن جُبارة هذا الشرح أيضًا اعتمادًا كبيرًا فنقل عنه في التسع المذكور في (١١) موضعًا.

٤ - أقوال شيخه حسن الراشدي الذي صرح في مقدمته أنه أخذها عنه، وبحثها عليه بحثًا شافيًا مستقصيًا ألفاظها غاية الاستقصاء، وقال: (وأبرزَ إليّ ما استتر من معانيها ومشكلاتها مما خفي واستتر عن المتقدمين من شراحها والمتصدِّين لحل ألفاظها، فأحببت أن أضعه في كتاب، .. وأضفت إليه ما يسره الله لديّ وفتحه عليّ)، وقد نقل ابن جُبارة عن شيخه في التسع المذكور في (١٣) موضعًا.

ب – مصادر فرعية: وهي الكتب التي نقل عنها المصنف في مواضع معدودة وهي:

● كتب القراءات:

١- «فتح الوصيد في شرح القصيد» لأبي الحسن السَّخاوي، وقد نقل عنه ابن جُبارة عند شرح الأبيات: (٥٨، ٧٥، ٨٩، ١٠٢، ١٣١).

٢- «التيسير في القراءات السبع» لأبي عمرو الداني: وهذا الكتاب هو أصل القصيدة الشاطبية، نقل عنه عند شرح الأبيات: (١٠١، ١٢٣، ١٢٧، ١٢٩).

٣- «جامع البيان» للداني: نقل عنه عند شرح البيت (١٢٧).

٤- «الإيضاح» لأبي علي الأهوازي: نقل عنه عند شرح البيتين:(٣٩، ١٠٥).

٥- «التبصرة في القراءات السبع» لمكّيّ بن أبي طالب: نقل عنه عند شرح الأبيات: (٢٥، ٢٩، ٣٢، ٣٥، ٣٧، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٨).

٦- «الإبانة عن معاني القراءات» لمكّيّ بن أبي طالب: نقل عنه عند شرح البيت: (٢١).

٧- «كنز المعاني» للجَعْبَري، نقل عنه عند شرح البيت: (٩٥) بقوله: قال بعض المتأخرين.

٨- «العنوان في القراءات السبع» لابن خَلَف، نقل عنه في المقدمة ، وعند شرح البيت: (٥٥).

٩- «الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها» لمكّيّ، نقل عنه عند شرح البيت: (٩٥).

١٠- «التنبيه على أصول قراءة نافع وذكر الاختلاف عنه» لمكّيّ، نقل عنه عند شرح البيت: (١١١).

● **كتب التفسير:**

١١- تفسير ابن جُزَيّ: نقل عنه عند شرح البيت: (٩٥).

١٢- «الإبانة والتفهيم عن معنى بسم الله الرحمن الرحيم» للزّجّاج: نقل عنه عند شرح البيت: (١).

● **كتب الحديث:**

١٣- سنن التِّرْمذي: نقل عنه عند شرح البيت: (٥).

١٤- «سنن أبي داود» نقل عنه عند شرح البيت: (٤).

١٥- «صحيح البخاري»: نقل عنه عند شرح البيت: (٧).

١٦- «صحيح ابن خُزَيمة» نقل عنه عند شرح البيت: (٩٧).

١٧- «صحيح مسلم» نقل عنه عند شرح البيت: (٧، ١٨).

١٨- «معالم السنن» للخطّابي نقل عنه عند شرح البيت: (٤، ٩٣).

١٩- مسند بَقِيّ بن مَخْلَد: نقل عنه عند شرح البيت: (١٧).

٢٠- مسند البَزّار: نقل عنه عند شرح البيت: (٨٣).

● **كتب التراجم:**

٢١- «التاريخ الكبير» للبخاري: نقل عنه عند شرح البيت: (٣٢).

٥- تاريخ تأليف «المفـــيد»:

أما تاريخ تأليف الكتاب فالمرجّح أنه بين سنة ٦٧٣هـ- وهي سنة رحلته إلى مصر على أحد قولين - وسنة ٦٨٥هـ، فالظاهر من مقدمته أنه وضع كتابه قبل وفاة شيخه الراشدي سنة ٦٨٥هـ، وقد بقي في القاهرة بعد هذه السنة، وقرئ عليه الكتاب سنة ٦٨٧هـ كما يبدو مما كتبه بخطه في نهاية الجزء الأول من نسخة المكتبة البلدية.

٦ – توثيق الكتاب ونسبته إلى المصنف:

سبق القول: إن لابن جُبارة شرحين للشاطبية:

الأول: هو «الفتوحات المكية والقدسية في شرح الشاطبية»، وهو الذي انْتُقِدَ بسببه، وهذا الشرح الكبير أُلِّفَ بعد الشرح الصغير.

والثاني: هو كتابنا «المفيد في شرح القصيد»، والكتاب – كما سلف – سميّ كتاب سبقه لعلم الدين اللُّوْرَقي المتوفى سنة ٦٦١هـ، ولم يذكر كتاب ابن جُبارة في مصادر ترجمة المؤلف بهذا الاسم، إلا عند القَسْطلاني الذي ذكره صراحة فقال[١]: (وله شرح مختصر على الشاطبية سماه: «المفيد في شرح القصيد») وأشار ابن شطّيّ في «مختصر طبقات الحنابلة» إليه بقوله: (شرحًا يسيرًا)، ونعتُه بالمختصر وباليسير يصرف النظر عن كتابه الآخر الذي وصفته المصادر بالكبير المطول[٢]، وهو الذي حدد ابن الوردي وقوعه في أربعة مجلدات كما سلف، وقد ذكره – دون تحديد الاسم – ابنُ كثير في «البداية والنهاية» ١٤/ ١٤٢، وابن مفلح في «المقصد الأرشد» ١/١٧٧، والفاسيّ في «ذيل التقييد» ١/٣٨٩، والسيوطي في «بُغية الوعاة» ١/٣٦٤، وابن القاضي في «درة الحجَال» ١/١٥١، والبغدادي في «هدية العارفين» ١/١٠٧، والزركلي في «الأعلام» ١/٢١٤.

والذي يجزم أيضًا بعنوان الكتاب ويوثق نسبته إلى مؤلفه نسختا الكتاب الخطيتان الأولى: نسخة المكتبة البلدية بالإسكندرية، وهي النسخة الأم ، قرئت

---

(١) «الفتح المواهبي» ص ٩٢.

(٢) لعل هذا الوصف هو الذي حدا بالأستاذ الفاضل الدكتور أيمن رشدي سويد حفظه الله أن يعدّ «المفيد» في الشروح المطولة (مقدمة تحقيق «العِقد النضيد» للسَّمين الحلبي ١/٦٨).

على المصنف، وأثبت المصنف ذلك بخطه في نهاية الجزء الأول من الكتاب، وسيأتي وصفها عما قريب، والأخرى: نسخة مكتبة كوبريلّي ،ومقدمة المؤلف وصفحة الغلاف في النسختين توضحان ذلك إضافة إلى مقدمة شرح الشاطبية الآخر لابن جُبارة الذي تقدم ذكره.

٧- وصف نسخ الكتاب:

أمكنني الحصول – بفضل الله تعالى – على نسختين خطيتين من كتاب «المفيد» لم أجد لهما بعد البحث والتنقير فيما وقفت عليه ثالثة، وهما:

١- نسخة المكتبة البلدية بالإسكندرية:

تقع فيها تحت رقم (١٥٢٩-ب)، وتقع في مجلد من جزئين، الجزء الأول يضم الأصول وينتهي بنهاية الورقة (٩٧/ب)، والثاني يضم الفرش وينتهي في منتصف الوجه (ب) مـــن الورقة (٢٠٦)، تقع النسخة في (٢٠٦) ورقات من الحجم الكبير قياس (٣٦×٢٦سم)، في الوجه الواحد منها (٣٥) سطرًا، وفي كل سطر (٢٠) كلمة تقريبًا، كُتبت بخط نسخ معتاد صغير، ليس فيها صفحة عنوان، وهي صعبة القراءة، رديئة التصوير، نادرة الضبط، لها مصورة في معهد المخطوطات العربية بالقاهرة.

جاءت في الصفحة التي تسبق بداية الكتاب العبارة الآتية:

(طالع في هذا الكتاب العاجز الفقير إلى الله تعالى المعترف بذنبه الراجي عفو ربه محمد بن أحمد المقرئ الشهير بالأنصاري، غفر الله له ولوالديه ولمن قرأ فيه ولمن نظر إليه ولجميع المسلمين، وصلى الله على سيدنا محمد عدد ما أحاط علمه، وجرى به قلمه، وكتب في ليلة يسفر صباحها عن يوم الأربعاء الثالث والعشرين من شهر المحرم سنة سبعٍ وسبع مئة).

وتخللت عبارات المقابلة طرر أوراق الكتاب مثل:

١- بلغ قراءة وتصحيحًا على المصنف (في الورقة ٩/آ – ١٤/آ).

٢- بلغ قراءة تصحيح (في الورقة ٢٤/آ).

٣- قرئ جميعه على المؤلف (في الورقة ٢٠٦/آ وهي الورقة الأخيرة من الكتاب).

وفي نهاية الجزء الأول في الورقة (٩٧/ب) كتب المؤلف العبارة الآتية بخطه:

(قرأ عليَّ الأخ الصالح المقرئ المجود المتقن فخر الدين عثمان بن إسحاق ابن إبراهيم بن غياث الدمشقي هذا الجزء الأول من شرح القصيدة المسماة بحرز الأماني ووجه التهاني من أوله إلى آخره، وقد أذنتُ له في روايته عني على الوجه المعتبر، وقرأ عليَّ القصيدة المتقدمَ ذكرُها من أولها إلى آخرها حفظًا من صدره، وشرحتها له شرحًا كافيًا بما يسره الله لدي، وقد أذنت له في إقرائها لمن أراد؛ لما تحققته من فهمه ودينه وأمانته، والحمد لله وحده، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا وكتب المؤلف للشرح: أحمد بن محمد بن جُبارة المقدسي، ثم المَرْداوي، ثم الحنبلي بالقاهرة المحروسة بخانقاه سعيد السعد يوم الأربعاء التاسع من ربيع الآخر سنة سبع وثمانين وست مئة).

وهذه النسخة نفيسة قيمة؛ فهي:

- مقروءة كلها على المؤلف ومصححة عليه.

- مزيّنة بإذن المؤلف بالرواية عنه على الوجه المعتبر لتلميذه عثمان بن إسحاق الدمشقي سنة ٦٨٧هـ، أن يروي القسم الأول من الكتاب الذي يضم قسم الفرش، وتأتي هذه الإجازة الفريدة جامعة لأنواع عدة من طرق الأخذ المعروفة

عند العلماء كالسماع والقراءة والإذن بعد أن:

١- سمع المؤلفُ الشاطبية كاملة من تلميذه غيبًا عن ظهر قلب.

٢- أسمع المؤلفُ التلميذَ شرحًا كاملاً للشاطبية.

٣- قرأ التلميذُ على المؤلف شرحه للشاطبية من النسخة المصححة عليه.

٤- تحقّق المؤلف من فهم تلميذه للشاطبية ووثق بدينه وأمانته.

٥- أذن المؤلف للتلميذ برواية الجزء الأول من الشرح عنه وبإقراء الشاطبية لمن أراد.

ويذكر أن هذه الإجازة تدل على صفات عالية لابن جُبارة هي: تواضعه، وصبره،وإخلاصه في حمل العلم الغزير إلى تلميذ واحد من تلامذته حتى فرغ من شرح الشاطبية كلها له على ضخامتها، وهي تدل أيضًا على أنه أملى شرحه على تلامذته مرات عدة، مما يفسر الزيادات الكبيرة التي زادها النسخة (ك) على النسخة (ب)، وقد رمزت لهذه النسخة بالحرف «ب»، وهي النسخة الأم.

ب- نسخة مكتبة كوبريلّي زاده باستنبول:

وهي فيها بالأرقام (٥ – ٦ – ٧ – ٨)، وهي في (٦٩٠) ورقة قياس (١٤×٢٠)، في الصفحة الواحدة نحو (٢٠) سطرًا، في السطر نحو (١٠) كلمات، كُسرتْ على أربعة أجزاء:

- الأول في (١٦٠) ورقة، ينتهي بباب وقف حمزة وهشام.
- الثاني في (١٧٩) ورقة، ينتهي بباب سورة البقرة.
- الثالث في (١٧٩) ورقة، ينتهي بباب سورة الشورى.
- الرابع في (١٧٢) ورقة، ينتهي بنهاية الكتاب.

ناسخها علي بن آدم بن شعيب بن مجاهد الكناني نسبًا الشافعي مذهبًا، نسخها بين سنة ٧٨١هـ و ٧٨٢هـ، أي بعد وفاة المؤلف بنيف وخمسين عامًا، خطها نسخ معتاد واضح.

وُضِع ختْما تَمَلُّكٍ على جميع الأجزاء هذا نصهما:

– (وقف هذه النسخة الوزير أبوالخير أحمد بن الوزير الأعظم الفاضل نعمان بن الوزير الأعظم العلامة الصدر الشهيد مصطفى بن الوزير الأعظم النِّحْرير أبي عبد الله محمد كوبريلّي أقال الله عثاره).

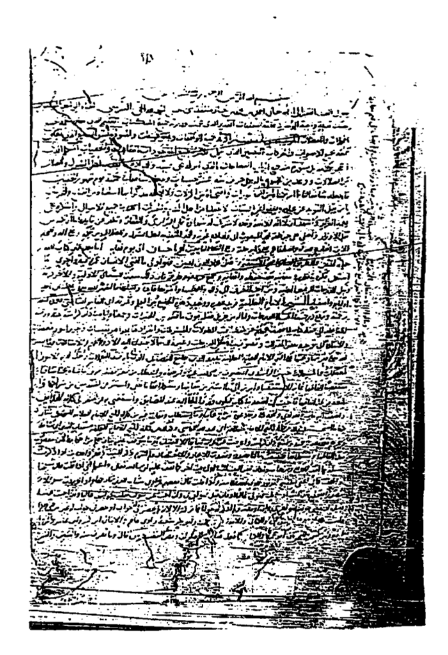
– (هذا مما وقفه الوزير أبو الخير الحاج أحمد بن الوزير الأعظم نعمان).

وهي نسخة كاملة، نادرة الضبط، كثر فيها التصحيف والتحريف والزيادات، وقد رمزت لهذه النسخة بالحرف (ك)، وهي نسخة مساعدة .

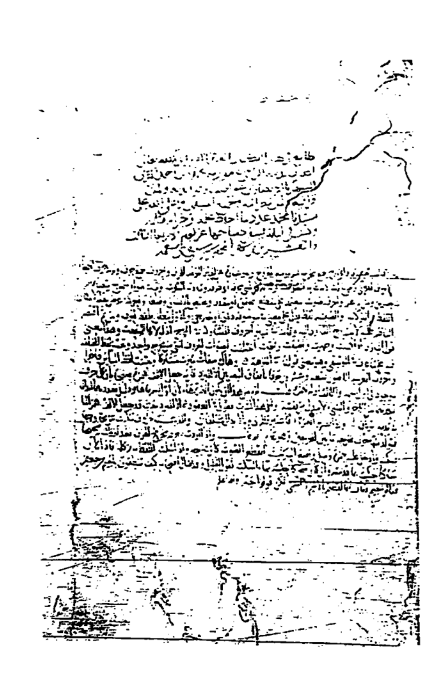
٨ – صور النماذج الخطية:

النسخة (ب) – صورة صفحة نهاية الجزء الأول

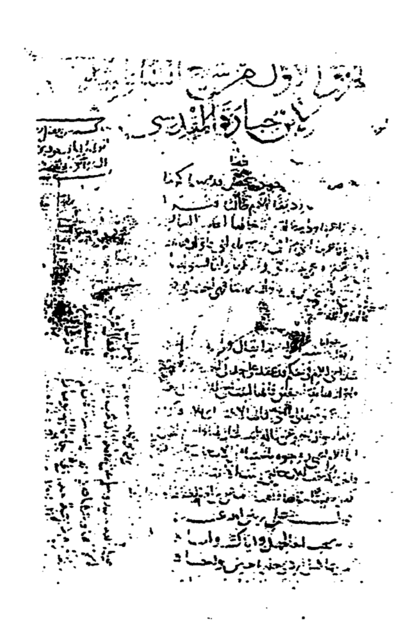
ويظهر في نهايتها خط المؤلف



النسخة (ب) – صورة صفحة بداية الكتاب



النسخة (ب) — صورة صفحة ماقبل بداية الكتاب



النسخة (ك) – صورة صفحة العنوان

النسخة (ك) — صورة الورقة الأولى من الجزء الأول

النسخة (ك) — صورة الورقة الأخيرة من الجزء الأول

المصادر والمراجع

١- الإعلام بوفيات الأعلام / الذهبي؛ حققه وعلق عليه: رياض عبد الحميد مراد، عبد الجبار زكار - بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٩٩١.

٢- الإمام الشاطبي: سيد القراء/ إبراهيم الجرمي - دمشق: دار القلم، ٢٠٠٠ - (أعلام المسلمين؛ ٧٤).

٣- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام/ الذهبي؛ تحقيق: عمر عبد السلام التدمري وآخرين - بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨٧ - ٤١مج.

٤- التفسير والمفسرون/ د. محمد حسين الذهبي - ط٤- القاهرة: مكتبة وهبة، ١٩٨٩-٣ج.

٥- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب/ ابن فرحون المالكي؛ تحقيق وتعليق: محمد الأحمدي أبو النور - القاهرة: مكتبة دار التراث، ١٩٧٢ — ٢ج.

٦- سراج القارئ المبتدي وتذكار القارئ المنتهي/ ابن القاصح؛ تحقيق: أحمد القادري - ط١- دمشق: دار سعد الدين، ١٩٩٤.

٧- شرح عقيلة أتراب القصائد/ ابن جبارة المقدسي (مخطوط الظاهرية).

٨- طبقـــات الشافعية/ ابن قاضي شهبة؛ تصحيح وتعليق: عبد العليم خان - بيروت: مؤسسة دار الندوة الجديدة، ١٩٨٧ - ٢ج.

٩- طبقات الشافعية الكبرى / السبكي؛ تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، محمود محمد الطناحي - ط٢ - القاهرة: هجر، ١٩٩٢ — ١١ج.

١٠- العقد النضيد في شرح القصيد/ السمين الحلبي؛ تحقيق: د. أيمن رشدي سويد - جدة: دار نور المكتبات، ٢٠٠٢ — ٢ج.

١١- الفتوحات المكية والقدسية في شرح الشاطبية/ ابن جبارة المقدسي (مخطوط بمجمع اللغة العربية بدمشق).

١٢- القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية/ ابن طولون؛ تحقيق: محمد أحمد دهمان - ط٢ - دمشق: مجمع اللغة العربية، ١٩٨٠ — ٢ج.

١٣- متن الشاطبية المسمى حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع/ القاسم بن فيرّه؛ ضبطه وصححه وراجعه: محمد تميم الزعبي - ط٢ - المدينة المنورة: دار المطبوعات الحديثة، ١٩٩٠.

١٤- المخطوطات العربية بالأسكوريال - إسبانيا/ هارتويغ ديرنبورغ، ليفي بروفنسال - باريس: المدرسة الوطنية للغات الشرقية، ١٩٢٨ - ٣ج - (فهارس المكتبات الخطية النادرة١).

١٥- معجم البلدان/ ياقوت الحموي - بيروت: دار صادر، ١٩٥٧ - ٥ج.

١٦- المعجم العربي ونظرات في المعجم الوسيط/ د. عدنان الخطيب - دمشق: مجمع اللغة العربية، ١٩٦٥.

١٧- معجم المؤرخين الدمشقيين وآثارهم المخطوطة والمطبوعة/ د. صلاح الدين المنجد - ط١ - بيروت: دار الكتاب الجديد، ١٩٧٨.

١٨- الوفيات/ ابن رافع؛ تحقيق وتعليق: صالح مهدي عباس - ط١ - بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٢، ٢مج.

١٩- قرص مرن (CD) متن الشاطبية تطبيقًا بالصوت/ مركز التراث لأبحاث الحاسب الآلي - ١٩٩٩ - (سلسلة علوم القرآن، المدخل إلى علم القراءات).

بقيّة أشعار بني سَلول

د. وليد محمد السراقبي

« سَلول» : قبيلة مضرية عدنانية من هوازن، وهي من بني مرَّة بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن. وسلول: هي ابنة ذُهل بن شَيْبان بن ثعلبة، وبها عُرفت القبيلة وإليها يُنسب أبناؤها، وهذه القبيلة غير القبيلة القحطانية التي عُرفت بهذا الاسم.

تقع ديار هذه القبيلة في أرجاء المدينة المنوَّرة، ومما عُرف من أوديتها :

وادي بيشة[1]، ويشاركها فيه بنو هلال .

وادي تُرَبة[2]، من أودية الحجاز، بعضه لبني هلال والضباب وسلول.

رَنْية[3]، وهو واد ينصبّ من تهامة في نجد، ويقال له: رَقْية .

بـــرز فيهـــا غير شـــاعر، أعلاهم كعبًا: عبد الله بن همّام السَلوليّ[4]، ثم العـــجير السلولي[5]. وقد جهدت منذ أن قمت بجمع شعر عبد الله بن همام السَّلولي وتحقيقه في تتبّع شعراء هذه القبيلة، وجمع ما أمكنني من أشعارهم، حتّى تجمَّع لديَّ كمٌّ لابأس به لمجموعة من شعراء هذه القبيلة، ورغبت في أنْ يكـــون لها ديوان شعر على غرار غيرها من القبائل التي جمعت أشعارها في

---

(١) معجم ما استعجم (١/٩٠).

(٢) المصدر نفسه (١/٣٠٨- ٣٠٩).

(٣) نفسه (١/٦٧٧) .

(٤) صدر شعره بتحقيقي عن مركز جمعة الماجد، دبي، ١٩٩٦م.

(٥) جمع شعره محمد نايف الدليمي، ونشر في مجلة المورد العراقية مج(٨)، عدد (١)، سنة ١٩٧٩م.

عصرنا، مثل شعر تغلب[١]، وأسد[٢]، وطيِّئ[٣]، وغيرها .

وهأنذا أقدِّم في الصفحات الآتية ما وقفتُ عليه في أثناء البحث والتنقير المقصود وغير المقصود عن شعر هذه القبيلة. وقد رتَّبت أسماء الشعراء وفق الترتيب الهجائي، وترجمت لمن أمكنني الوقوف على ترجمة له، وذكرت مناسبة بعض الأبيات، وفسَّرت ما غمض من ألفاظها، أما الشعراء فهم :

١- جَنَّاح بن عمرو السلولي .

٢- سوادة بن عبد الله السَّلولي .

٣- قَرَدة السلولي .

٤- مزاحم بن عمرو السلولي .

٥- مصعب بن عمرو السلولي .

٦- نُوَيْب[٤] «عبد الملك بن عبد العزيز السلولي» . وهو أكثر هؤلاء شعرًا.

---

(١) جمع شعرها وحقَّقه الأستاذ الدكتور علي أبو زيد ضمن متطلَّبات حصوله على شهادة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها وطُبع في الكويت، و لم أقف عليه. ونُشر مرَّة أخرى بتحقيق أيمن محمد ميدان، وصدر سنة ١٩٩٥م عن معهد المخطوطات العربية.

(٢) قام الدكتور محمد علي دقة بجمع شعرها، وطُبع في مجلَّدين في دار صادر، ١٩٩٩م، ثم صدر بتحقيق الدكتورة وفاء فهمي السنديوني، جامعة الملك سعود، الرياض، ٢٠٠٠م.

(٣) قام بجمع شعرها الدكتور أحمد حالو، ضمن متطلَّبات الحصول على شهادة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها بجامعة دمشق، بإشراف أستاذنا الدكتور عبد الحفيظ السطلي، ومازال مخطوطًا. وصدر بتحقيق د. وفاء السنديوني، دار العلوم، الرياض، ١٩٨٣م.

(٤) ذُكر باسم «تويت» وهو تصحيف، وتحت هذا الاسم قام الأستاذ الدكتور حمد الدخيل بجمع شعره، ونشره في مجلة العرب ضمن شعر شعراء اليمامة، وفاته بعض من شعره، مما هو في مجموعي هذا .

بقي أن أشير أخيرًا إلى أنني أهملت الأبيات التي جاءت نسبتها إلى «السَّلولي» فحسب، لأنه لم يثبت لي بوجه اليقين أنها لشاعر من القبيلة التي أنا بصدد جمع شعرها .

وبعـد؛ فلسـت أدَّعي لهذا الجمع إحاطته بشعر هذه القبيلة، أو أنه يقطع قول كل خطيب ، فحسبي أنني حاولت وسعيت واجتهدت، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين .

١- جنَّاح بن عمرو السَّلولي :

(١)

قافية الميم

قال : [الرجز]

والعُـرْف في وجهي لضيفي بيِّن ولا يخـافُ سـائلي مني الحرِمْ

٢- سَوادة بن عبد الله السلولي :

(٢)

قافية الجيم

وقال: [الكامل]

١- لا عيبَ في الوفد الذين بعثتَهم للصينِ إنْ سلكوا طريق المنهجِ

٢- كسروا الجفون على القذى خوفَ الردى حاشا الكريمَ هبيرةَ بنَ مُشَمْرجِ[1]

---

(١) هو هُبَيرةُ بن المشمرَج الكلابي، رئيس الوفد الذي أرسله قتيبة بن مسلم الباهلي إلى ملك الصين يعرِّفه بأمرهم، وكان هبيرة مفوَّهًا بسيط اللسان. تاريخ الطبري (٦/ ٥٠١-٥٠٢)، حوادث سنة ٩٦هـ. كان هبيرة قد أخبر ملك الصين أن قتيبة لن ينصرف حتى يطأ أرض الصين، ويختم ملوكها، ويُعطى الجزية . فقال الملـك: =

٣- لم يـــرضَ غير الخَتْمِ في أعناقهم ورهـــائن دُفِعــتْ بِحمْلِ سَمَرَّجِ
٤- أدَّى رســالتك الــتي استرعيته وأتاك من حِنْث اليمين بمخرجِ[1]

(٣)
قافية اللام

وقال : [الكامل]

١- لله قـــبرُ هُـــبَيْرةَ بن مُشَمْرَجٍ مـــاذا تضـــمَّن من ندًى وجمالِ
٢- وبديهـــةٍ يعيـــا بهـــا أبناؤها عـــند احـــتفال مشاهد الأقوالِ
٣- كان الربيع إذا السنون تتابعتْ والـــليثَ عند تكَعكُعِ الأبطالِ[2]
٤- فسقتْ بقربةَ حيث أمسى قبرُه غـــرٌّ يـــرُحْن بمســـبِلٍ هطَّـــالِ
٥- بكـــت الجياد الصافنات لفقده وبكـــاه كـــل مـــثقف عسَّالِ[3]
٦- وبكـــتْه شعثٌ لم يجدْن مواسيًا في العـــام ذي السنوات والإمحالِ

=إنّا نخرجه من يمينه، نبعث إليه بتراب من تراب أرضنا فيطؤه، ونبعث له ببعض أبنائنا فيختمهم، ونبعث إليه بجزية يرضاها. فدعا بصحاف من ذهب فيها تراب، وبعث بحرير وذهب وأربعة غلمان من أبناء ملوكهم، ثم أجازهم فأحسن جوائزهم. فساروا فقدموا بما بعث به، فقبل قتيبة الجزية، وختم الغِلْمة وردَّهم، ووطئ التراب. فقال سوادة بن عبد الله السلولي: [الأبيات]. تاريخ الطبري (٦/ ٥٠١- ٥٠٢).

(١) أوفد قتيبة بن مسلم الباهلي هبيرة بن المشمرج الكلابي، وكان رئيس وفده إلى ملك الصين، فمات هبيرة في طريق عودته في مكان يقال له: « قربة» من بلاد فارس، فرثاه سوادة بن عبد الله السلولي فقال:[الأبيات]. تاريخ الطبري (٦/ ٥٠١- ٥٠٢).

(٢) تكعكع الأبطال: ارتدعوا .

(٣) المثقَّف: الرمح الذي شُحذ سنانه. العسَّال: المطواع الليِّن.

٣- قَرَدة السلولي[١] :

(٤)

قافية اللام

قال: [البسيط]

١- الحمـــد لله إذْ لم يأتـــني أجلي حتّى لبستُ من الإسلام سِرْبالا[٢]

٢- وقد أُروِّي نديمي منْ مُشَعْشَعةٍ وقَـــدْ أقــلّب أوْراكًا وأكْفالا[٣]

قـــال أبـــو حـــاتم: «ويزعمون أن البيت الأول للبيد، وأنه لم يقل في الإسلام غيره، والله أعلم»[٤]. وأنشد له غير أبي حاتم قبل هذين البيتين :

٣- بـــان الشباب فلم أحفل به بالا وأقـــبل الشـــيب والإسلام إقبالا

٤- مزاحم بن عمرو السَّلولي:

(٥)

قافية الحاء

قال[٥]: [الطويل]

---

(١) هو قَرَدة بن نفاثة السَّلولي بن عمرو بن مرة بن صعصعة بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان، فقال في إسلامه: [الأبيات]. المعمَّرون: (٨٣). ووفد على النبي ﷺ في جماعة من بني سلول فأسلم وأسلموا، وأمّره النبي عليهم. عاش مئة وأربعين سنة. وقيل: مئة وخمسين سنة. أخباره في الإصابة (٥/ ٢٣٥- ٢٣٦)، والمعمرين: (٥٨) .

(٢) في جمهرة النسب: (٢٩٦) : «حتى اكتسيت...» .

(٣) الأوراك: جمع وَرِك، وهو ما فوق الفخذ، ولا يكسَّر إلا على أوراك. الكَفَلُ: العجز. وقيل: هو القطن، ويكون للإنسان وللدابَّة .

(٤) المعمَّرون: (٨٣).

(٥) نسبها أبو الفرج إلى أم مزاحم تحرِّض فيها مصعبًا وجناحًا، وترثي أخاهما مزاحمًا. الأغاني (١٧/ ٩٧) .

١- بأهـلي ومـالي ثم جُلّ عشيرتي قـتيل بـني تـيمٍ بـغير سلاحِ

٢- فهـلا قتلتم بالسلاح ابن أختكم فيصـبح فيـه للشهود جراحُ[١]

٣- فلا تطمعوا في الصلح مادمت حيّة* ومـادام حيّـا مصعب وجناحُ

٤- ألم تعـلموا أن الدوائـر بينـنا تـدور وأن الطالـبين شحاحُ[٢]

(٦)

قافية الهاء

وقال[٣] : [البسيط]

١- يـا بـن الدُمينة والأخبارُ يرفعها وَخْـدُ النجائب والمحقور يخفيها[٤]

٢- يـابن الدُّمينة إنْ تغضب لما فعلتْ فطـال خزيُك أو تغضبْ مواليها[٥]

٣- أو تبغضـوني فكـم منْ طعنة نَفَذ يغذو خلال اختلاج الجوف غاذيها

٤- جـاهدت فيها لكم إني لكم أبدًا أبغـي معايـبكم عمـدًا فآتيها[٦]

٥- فـذاك عـندي لكم حتى تُغيِّبني غبـراءُ مظلمةٌ هـارٍ نواحيـها[٧]

---

(١) في الأغاني (١٧/ ٩٧) : « ... فتظهر فيه ...».

(٢) الدوائر: (١)، شحاح: بخلاء.

(٣) كان مزاحم بن عمرو يُرْمى بامرأة ابن الدُّمينة، وكان اسمها حمَّاء. قال السكري: كان اسمها حمادة، فكان يأتيها ويتحدَّث إليها حتى اشتُهر بذلك، فمنعه ابن الدُّمينة من إتيانها، واشتدَّ عليها، فقال مزاحم يذكر ذلك: [الأبيات].

(٤) في نوادر المخطوطات: « ينميها» – الوَخْد: نوع من السير. النجائب: جمع نجيبة، وهي الناقة الكريمة.

(٥) في نوادر المخطوطات: « ... حمَّاد بالخزي...».

(٦) في نوادر المخطوطات: « جاهدت فيكم ...».

(*) انظر الحاشية الأخيرة في الصفحة السابقة [المجلة].

(٧) في نوادر المخطوطات: «لا بُرْء عندي» – الغبراء: الأرض. الهاري: المتهدِّم المتساقط. ويريد بها حفرة القبر.

٦- أغشـــى نساء بني تَيْمٍ إذا هجعتْ عـــني العيـــون ولا أبغي مقاريها[١]

٧- كـــم كاعبٍ من بني تيمٍ قعدْتُ لها وعـــانسٍ حين ذاق النومِ حاميها[٢]

٨- كقعْـــدة الأَغْسر العُلْفوف منتحيًا متيـــنةً مـــن متون النَّبْل يُنْحيها[٣]

٩- وشـــهقةٍ عـــند حسٍّ الماء تشهقها وقـــولُ ركبـــتها: قِضْ حين تثنيها

١٠- علامـــة كيَّـــة مـــا بين عانـــتها وبين ســـبَّتها[٤]، لا شـــلَّ كاويها

١١- وتعـــدِلُ الأَيْـــر إن زاغَتْ فتبعثه حـــتى يقـــيم بـــرفق صدرَه فيها[٥]

١٢- بين الصفوقين مِن مستهدفٍ وَمِدٍ ذي حَرَّة ذاق طعم الموت صاليها[٦]

١٣- ماذا ترى يا بن عبد الله في امرأةٍ ليســـت بمُحصَـــنة عذراء حاويها

١٤- أيـــام أنـــتَ طـــريدٌ لا تقاربها وصـــادف القوسَ في الغرَّات باديها

١٥- تـــرى عجـــوز بـــني تيمٍ ملفَّعةً سُـــمْطًا عوارضها رُبْدًا دواهيها[٧]

١٦- إذ تجْعـــل الدفْنسُ الوَرْهاء عذرها قُشَـــارة مـــن أديم ثم تفـــريها[٨]

١٧- حـــتى يظـــل هِدانُ القوم يحْسبُها بكرًا وقَبْلُ هوى في الدار هاويها[٩]

---

(١) في نوادر المخطوطات: «أبغي نساء...»- المقاري: الجفان التي يُقْرى فيها الأضياف.

(٢) في نوادر المخطوطات: « وكاعبٍ... أو عانسٍ...»-الكاعب:الفتيَّة الشابَّة.

(٣) في نوادر المخطوطات: « العلفوف... يمينه» - العلفوف: الكثير الشحم والعُرَّة.

(٤) في الأشباه والنظائر: « سرَّتها» .

(٥) في نوادر المخطوطات: « ... إنْ زالت قبيعته... حتى تقيم...» .

(٦) الصَّفوقان: الجانبان. الوَمِدُ: الشديد الحرارة. والوَمد: الغضب .

(٧) السمط: غير المحشوَّة. الرُّبْد: المغبَّرة.

(٨) الدفنس: لم أعرفها. الورهاء : الخرقاء .

(٩) الهدان: البليد الذي يرضيه القول، والأحمق الوخيم الثَّقيل في الحرب .

(٧)

قافية الهاء

وقال[1] : [البسيط]

١- يـا بن الدُّمينة كمْ من طعنة نَفَذٍ ... يعـوي انتزاع خلاف الحوق عاويها[2]!

٢- جاهدت فيكم بها إني لكم ولدٌ ... أبغـي مسـاويكم يومـًا فآتيهـا[3]

٣- أغشـى نساء بني تيم إذا رقدوا ... بعـد العشـاء ولا أبغـي مقاريهـا

٤- بآيـة الخـال منها عند سُرَّتها ... وقـول ركبـتها: قِـضْ حين تثنيها[4]

٥- وشـهقةٍ تعـتريها عـند لذَّتها ... وكيَّـة أنضـجت، لا شـلَّ كاويها[5]

٦- تـرى عجـوز بني تيمٍ مغلَّفةً ... شُـمْطًا عوارضـها رُبْـدًا دواهيهـا

٧- وتـأخذ العَـرْدَ إن زلَّت قبيعتُه ... حـتى تقـيم بـرفق حوقَـه فيهـا[6]

٥- مصعب بن عمر السلولي[7]:

(٨)

قافية الدال

---

(١) كان مزاحم بن عمرو يغشى زوج ابن الدُّمينة، وكانت معروفة بالفسق والفجور. فقال فيها: [الأبيات]. وقصة الأبيات في الأغاني، وفي الأشباه والنظائر (٢/ ٨٩).

(٢) يروى: «أستغفر الله لكم» ويروى: «كم من طعنة هِرٍ». نفذ: سريعة النفاذ. وفي الأشباه : «يعوى خلاف انتزاع الجوف...» .

(٣) في الأشباه: «قدمًا» .

(٤) في الأشباه : «... دون سرتها». وفي لسان العرب: «...برقعها...».

(٥) في الأشباه: «ككيَّة».

(٦) العَرْد: ذكر الإنسان. وقيل: هو الذكر الصلب الشديد .

(٧) هو أخو مزاحم السَّلوليّ السابق ذكره .

قال[١] : [الوافر]

١- لقيتُ أبا السَّريِّ وقد تَكالا ... لـه حـق العداوة في فؤادي[٢]

٢- فكـان الغيـظ يفرطـني إليه ... بطعـنٍ دونـه طَعْـنُ السَّدَادِ[٣]

٣- إذا نبحتْ كلابُ السجن حولي ... طمعـتُ هشاشةً وهفا فؤادي[٤]

٤- طماعـةَ أنْ يدقَّ السجنَ قومي ... وخوفـًا أن يُبَيِّتـني الأعادي

٥- فمـا ظـني بقومـي شرُّ ظنٍّ ... ولا أنْ يسـلموني في الـبلادِ

٦- وقـد جَدَّلْـتُ قاتلهم فأمسى ... يمـجُّ دم الـوتين على الوسادِ[٥]

٦- نويب «عبد الملك بن عبد العزيز السلولي»[٦] :

(٩)

قافية الباء

قال[٧] : [الكامل]

١- يـا بنت أزهرَ إنَّ ثأري طالبٌ ... بدمـي غـدًا والـثأرُ أجهدُ طالبِ

٢- فـإذا سمعتِ براكبٍ مُتعصِّبٍ ... يَـنْعَى قتيـلَك فافْـزَعِي لـلراكبِ

٣- فلأنـتِ من بين الأنام رميتِني ... عـن قَـوس مَتْلَفَةٍ بسهمٍ صائبِ[٨]

---

(١) بلغ مصعبًا أن قوم ابن الدُّمينة يريدون أن يقتحموا عليه سجن تبالة فيقتلوه به غيلةً، فقال يحرِّض قومه: [الأبيات]. الأغاني (١٧/ ٩٨- ٩٩).

(٢) تكالا: مخفَّفة من تكلأ إذا تجمَّع واستعدَّ .

(٣) يُفْرطني: يعجلني ويقدمني إليه. ومنه الحديث النبوي الشريف: «أنا فَرَطكم على الحوض» .

(٤) الهشاشة: الارتياح والخفَّة للمعروف .

(٥) جدَّلت: صَرَعتُ. يمجّ دمًا: يسيل دمه. الوتين: عرق في القلب إذا انقطع مات الإنسان.

(٦) وردت ترجمته في الأغاني باسم « تويت» ، وهو تصحيف .

(٧) من قصيدة في محبوبته سُعْدى .

(٨) المتلفة: التلف والهلكة .

٤- لا تأمني شُمَّ الأنوفِ وتَرْتِهم وتركتِ صاحبَهم كأمسِ الذاهبِ[١]

٥- من كان أصبحَ غالبًا لهوى التي يَهــوى فــإن هــواكِ أصبحَ غالبي

٦- قالت وأسبلتِ الدموع لِتِرْبها لمــا اغــتررتُ وأومأتْ بالحاجب[٢]

٧- قولي له: باللهِ يُطلِق رحلَه حتى يُزَوَّدَ أو يَروحَ بصاحبِ

(١٠)

وقال[٣] : [الوافر]

١- عــناءٌ ســيقَ للقلب الطروبِ فقــد حُجِــبتْ معذِّبــةُ القُلوبِ

٢- أقــول وقــد عرفتُ لها مَحَلاً ففاضت عبرةُ العينِ السَّكوبِ[٤]

٣- ألا يــا دارَ سُــعدَى كَلِّمينا ومــا في دار سُعدَى من مُجيبِ

٤- ولمــا ضــمَّها وحوَى عليها تركــتُ لــه بعاقبــة نَصيبــي

٥- وقلت: زِحامُ مثلكِ مثلَ يَحيى لعَمْــرُكِ ليــس بالرأي الُمصيبِ

٦- فمــا لــك مــثلُ لَمَّته تُدرَّى وما لك مثلُ بُخل أبي الجنوبِ[٥]

٧- إذا فقــد الــرغيف بكى عليه وأتــبع ذاك تشــقيق الجيــوبِ

٨- يعــذِّب أهله في القَرْص حتّى يظــلّوا مــنه في يوم عصيبِ[٦]

---

(١) وتره: إذا قتل قتيلاً. أمس الذاهب: مأخوذ من قولهم: ذهب أمس بما فيه .

(٢) التّرب: المساوي في السن. اغتررت: أشرفت على الهلاك .

(٣) قالها في هجاء يحيى بن أبي حفصة لزواجه من محبوبته «سُعْدى» .

(٤) السّكوب: الغزيرة .

(٥) اللمَّة: الشعر .

(٦) القَرْص: القطعة من العجين يُصنع منها الخبز. العصيب: الشديد .

(١١)

قافية الدال

وقال[١] : [الطويل]

١- ألا أيها الثأرُ الذي ليسَ نائمًا على ترَةٍ إن مُتَّ من حُبِّها غَدَا[٢]

٢- خُذُوا بدمي سُعدى فسعدى مُنيّتها غداةَ النَّقا صادتْ فُؤادًا مُقصَّدا[٣]

٣- بآيةِ ما ردَّت غداةَ لقيتها على طَرْفِ عَيْنَيها الرداءَ المورَّدا

(١٢)

وقال[٤] : [المنسرح]

١- إنَّ الغواني جرَّحْنَ في جسدي من بعدِ ما قد فَرَغْنَ من كَبِدي

٢- وقد شقَقْن الرِّداء ثُمَّتَ لم يُعدِ عليهن صاحبُ البلدِ[٥]

٣- لم يُعدِني الأحولُ المشؤومُ وقد أبصرَ ما قد صَنَعن في جَسدي

---

(١) قال أبو الفرج في خبر هذه الأبيات : «إنَّ سعدى كانت تتعرَّض لنويب إذا مرَّ بها، فاجتاز يومًا بفنائها فلم تتوارَ عنه، وأرته أنها لم تره. فلما وقف مَلِيًّا سترتْ وجهها بخمارها فقال: [الأبيات]».

(٢) الترة : الثأر .

(٣) المقصَّد: الميت .

(٤) كان نويب يهوى امراة من أهل اليمامة يُقال لها: سُعْدى بنت أزهر، وكان يقول فيها الشعر، فبلغها شعره من وراء وراءَ، ولم تره فمرَّ بها يومًا وهي مع أتراب لها، فقلن لها: هذا صاحبك، وكان دميمًا، فقامت إليه ومَن معها، فضربنه وخرَّ من ثيابه، فاستعدى عليهنَّ فلم يُعْده الوالي، فأنشأ يقول: [الأبيات].

(٥) لم يُعْد عليهن: لم ينصره عليهن ولم يأخذ على أيديهنَّ، ولم يقده منهنَّ .

(١٣)

قافية الراء

وقال[1]: [البسيط]

١- مــازال سيبُكَ يا يزيدُ[2] بحَوْزتي   حتى ارتويت وجودكم لا يُنْكرُ

٢- أنــت الربيع إذا تكُونُ خصاصةٌ   عــاش السقيم به وعاش المقْتِرُ

٣- عمــت ســحابته جميع بلادكم   فــرَوُوا وأغدقهم سحابٌ ممطرُ

٤- فســقاك ربك حيث كنت مخيلةً   ريـــا سحائبها تروح وتُبكِرُ

٥- أصــبحْت شيخًا أرى الشخصين   والشــخص شخصين لَمّا مسَّني

٦- وكنت أمشي على الساقين معتدلاً   فصــرت أمشي على ما تنبت

٧- إذا أقــومُ عجنتُ[3] الأرض متكئًا   على الرَّواجب حتى يذهبَ النَّفرُ

(١٤)

وقال: [الرمل]

١- أرَّق العينَ من الشوق السَّهَرْ   وصـــبا القـــلبُ إلى أمِّ عُمَـــرْ

---

(١) قال الطبري: «وصل يزيد عبد الملك السلولي فقال: [الأبيات]». تاريخ الطبري (٦/ ٥٢٩) (حوادث سنة ٩٧هـ).

(٢) هو يزيد بن المهلّب، والي سليمان بن عبد الملك على العراق، فوليها مدة وهو كاره، فأرسل عبد الله بن الأهتم يسأله تولية يزيد خراسان، فكتب سليمان عهدًا بخراسان إلى يزيد، فسار يزيد واستخلف على واسط الجراحَ بن عبد الله الحكَميّ، والي البصرة عبد الله بن هلال الكلابي، وصير مروان بن المهلّب على أمواله وأموره بالبصرة. تاريخ الطبري (٦/ ٥٢٩)، حوادث سنة ٩٧هـ.

(٣) يُقال: قد أعجن الرجل، في الكبر: إذا قام منحنيًا متكئًا على يديه. ويُقال: عجن وأعجن. النوادر: (٤٦) .

٢- واعــتَرتْــني فكرةٌ من حُبِّها ويــح هــذا القلبِ من طُول الفِكرْ
٣- قَــدَرٌ سِــيقَ فمــن يَملكه أيــن مَــن يمــلكُ أســبابَ القَدَرْ!
٤- كــلُّ شــيء نالني من حُبِّها - إن نَجتْ نفسي من الموتِ - هَدَرْ

(١٥)

قافية الفاء

وقال: [الكامل]

١- يــا لَلرِّجال لِقَلبكِ المتطرِّفِ والــعينُ إن تَــرَ بــرْقَ نَجْدٍ تَذْرِفِ
٢- ولحاجــةٍ يومَ العبير تعرَّضَتْ كــبرتْ فــرُدَّ رســولُها لم يُسعفِ
٣- يا بنت أزهر ما أراكِ مُثيبتي خيرًا عــلى وُدِّي لكــم وتــلطَّفي
٤- إني وإن خُــبِّرتِ أنّ حياتَنا في طــرف عينك هكذا لم تطرفِ[١]
٥- لَيَظــلُّ قَلبي من مخافة بَيْنكمْ مــثلَ الجــناح معــلَّقًا في نَفْــنَفِ[٢]
٦- لَيَظــلّ في هَجر الأحبَّة طالبًا لرضــاكِ ممــا جــار إن لم تُســعفِ
٧- كأخي الفَلاةَ يَغُرُّه من مائها قِطعُ السرابِ جَرَى بقاعٍ صَفْصَفِ[٣]
٨- أهــراقَ نُطفــتَه فلما جاءَها وَجَــدَ الْمَــنِيَّةَ عــندَها لم تُخلفِ[٤]

(١٦)

قافية القاف

وقال: [الطويل]

---

(١) تَطرف : تتحرَّك .
(٢) النَّفْنَفُ: المفازة، والنَّفْنف: ما بين السماء والأرض، والجمع: نفانف .
(٣) الصَّفْصَف: الخالي .
(٤) أهراق: أراق، لغة فيها .

١- ألا في سبيل الله نفسٌ تقسَّمتْ شَعاعًا وقلبٌ للحسان صديقُ[١]
٢- أفاقت قلوبٌ كُنّ عُذِّبن بالهوَى زمانًا وقلبي ما أراهُ يُفيقُ
٣- سَرَقْتِ فؤادي ثم لا ترجعينَه وبعضُ الغواني للقلوب سَرُوقُ
٤- عَروفُ الهوى بالوعد حتى إذا جرتْ ببَيْنك غِربانٌ لهن نَعيقُ
٥- ورُدَّت جِمالُ الحي وانشقّتِ العَصا وآذنَ بالبين الْمشتّ صَدوقُ[٢]
٦- ندمتِ على ألا تكوني جَزَيْتِني زَعمتِ وكلُّ الغانيات مَذُوقُ
٧- لعلك أن ننأى جميعًا بغُلّة تذوقين من حَرِّ الهوَى وأذوقُ[٣]
٨- عَصَيْتُ بكِ الناهين حتى لوَ انَّني أموتُ لَما أرعَى عليّ شَفيقُ

(١٧)

قافية اللام

وقال[٤]: [الكامل]

١- قل للتي بكرتْ تريد رَحيلا للحجّ إذ وجدتْ إليه سبيلا
٢- ما تصنعين بحَجَّةٍ أو عُمْرةٍ لا تُقْبَلانِ وقد قَتلتِ قَتيلا
٣- أَحيِي قتيلَكِ ثم حُجّي وانْسكي فيكون حَجُّكِ طاهرًا مَقبولا

(١٨)

وقال: [الوافر]

(١) الشَّعاع: المتفرِّقة .
(٢) انشقّت العصا: كناية عن التفرّق .
(٣) الغُلّة: ما يُطفئ الظمأ .
(٤) لقي نويب سُعْدى راحلة نحو مكة حاجَّة، فأمسك بخطام بعيرها، فقال: [الأبيات].

١- سلِ الأطلالَ إن نفع السُّؤالُ ... وإن لم يـربَع الركبُ العجالُ [1]

٢- عـن الخَوْدِ التي قتلتكَ ظلمًا ... وليـس بهـا إذا بَطَشت قتالُ [2]

٣- أصـابكَ مُقلـتانِ لها وجيدٌ ... وأشـنبُ بـاردٌ عذبٌ زُلالُ [3]

٤- أعـارَكِ ما تبَلْتِ به فُؤادي ... مـن العيـنَين والجيدِ الغَزالُ [4]

٥- أيـا ثاراتِ مَن قتلتْه سُعدَى ... دَمـي - لا تطلبُوه - لها حَلالُ

٦- أرِقُّ لهـا وأُشـفِق بعد قَتلي ... عـلى سُـعدى وإن قـلَّ النَّوالُ

٧- ومـا جـادتْ لنا يومًا ببذلِ ... يمينٌ مـن سُـعادَ ولا شِـمالُ

(١٩)

قافية النون

وقال : [الوافر]

١- سـنرضي في سُعَيدَى عاذلِيْنا ... بعاقـبة وإن كُـرمتْ علَيْـنا

٢- لقيـتُ سُعَيدَ تمشي في جَوارٍ ... بجـرعاء الـنَّقا فـلقيتُ حَيْنَا [5]

٣- سـلبنَ القلبَ ثم مضينَ عنِّي ... وقـد ناديـتُهنَّ فمـا لَوَيْـنا

٤- فقـلتُ وقد بقِيتُ بغير قَلب ... بقلـبي يـا سُـعَيدى أين أيْنا !

٥- فمـا تجـزينَ يا سُعدى مُحبًّا ... يهـيم بكـم ولا تَقضـينَ دَيْنا

---

(١) لم يربع الرَّكْب : لم ينزلوا الربع .

(٢) الخَوْد: الفتاة الحسنة الخَلْق الشابَّة .

(٣) الأشنب: الفم ذو الأسنان المتساوية .

(٤) تبلت فؤادك: أسقمته .

(٥) جوارٍ: جمع جارية، وهي الفتاة الحسنة. الجَرْعاء : الأرض ذات الحُزُونة التي تشاكل الرمْل .

٦- فقـــالوا إذ شكوتَ المطلَ منها لعمـــركَ من سمعتَ له قَضَيْنا [١]

٧- ومَن هذا الذي إن جاء يشكُو إليـــنا الحـــبَّ مـــن سَقَمٍ شَفَيْنا

٨- فهـــنَّ فواعـــلٌ بي غيرَ شكٍّ كمـــا قبـــلي فَعـــلْنَ بصاحِبَيْنَا

٩- بعـــروةَ والـــذي بسهامِ هِندٍ أُصِـــيب، فما أقدْنَ ولا وَدَيْنَا [٢]

(٢٠)

وقال : [الخفيف]

١- ماتـــزال الـــدّارُ في بُرقةِ النَّجــــ ـــــد لسُعدى بقرْقرى تُبكِيني [٣]

٢- قد تحيّلتُ كي أرى وجهَ سُعدى فـــإذا كـــل حيـــلة تعييـــني

٣- قـــلتُ لمـــا وقفتُ في سُدَّة البا ب لسُـــعدى مَقالـــةَ المســـكين

٤- افعـــلي بي يـــا ربَّةَ الخِدرِ خَيرًا ومـــن المـــاء شَـــربةً فاســـقيني

٥- قـــالتِ: المـــاءُ في الرَّكيِّ كثيرٌ قـــلتُ: ماءُ الركيّ لا يُرويني [٤]

٦- طـــرحتْ دونيَ الستورَ وقالتْ : كـــلَّ يـــوم بعـــلّةٍ تأتيـــني

٧- نعيم بن الحارث السلولي [٥]: لم أقف له على شعر .

---

(١) المَطْل: كثرة إخلاف الوعد .

(٢) عروة: هو عروة بن حزام. أقدن: أعطين القود. وودين: أعطين الدِّية .

(٣) برقة: موضع. قَرْقرى: موضع .

(٤) الركيّ: موضع تجمُّع الماء .

(٥) وورد ذكره في جمهرة النسب لابن الكلبي(٢/ ٦٤)– تحقيق محمود فردوس العظم.

تخريج الشعر

(١)

(١) البيت في شرح أبيات مغني اللبيب (٢/ ٣٣٥)

(٢)

(١-٤) في تاريخ الطبري (٦/ ٥٠٣)، سنة ٩٦هـ .

(٣)

(١-٦) في تاريخ الطبري (٦/ ٥٠١- ٥٠٢) .

(٤)

(١-٤) في تاريخ الطبري (٦/ ٥٢٦) .

(٥)

(١- ٣) في تفسـير الرُّسْعَنيّ [٢٠٦/ ب – ٢٠٧/ أ] (عن النوادر لأبي مسحل الأعرابي: ٧٥٧) .

(١- ٢) الإصابة (٥/ ٢٣٦).

(١) النوادر: (٤٦) بلا نسبة .

(١- ٢) في تـاريخ الطبري (٦/ ٥٢٦) (حوادث سنة ٩٧هـ)، وهما في جمهرة النسب لابن الكلبي (٥/ ٢٩٦) بتقديم الثاني على الأول .

(١) في تفسير القرطبي (١/ ١٥٣) ونقل نسبته عن ابن عبد البر إلى قَرَدة بن نفاثة .

(٣) «في كتاب المعمَّرين» : (٨٣) .

(٦)

(١- ٤) في نـــوادر المخطوطات (٢/ ٢٨٨)، والأغاني (١٧/ ٩٧). ونُسبت إلى أم مزاحم .

(٧)

(١- ١٧) في الأغاني (١٧/ ٩٤) .

(١- ١١) في نوادر المخطوطات (٢/ ٢٨٧) .

(٤) في لســـان العرب (قضض) بلا نسبة، وهو كذلك في ارتشاف الضَّرَب: (١٨٣٤)، وهمع الهوامع (٢/ ٥١)، والدرر اللوامع (٢/ ٦٤) .

(١- ٧) في ديوان ابن الدُّمينة: (٦) .

(٩)

(١- ٦) في الأغاني (١٧/ ٩٨- ٩٩)، ومعاهد التنصيص (١/ ١٦٩).

(١- ٥) في ديوان ابن الدّمينة مع خبر طويل: (١٢) .

(١، ٢، ٤، ٥) في الأشباه والنظائر (٢/ ٨٩).

(٥) في معجم الشعراء : (٣٢٧) .

(٤- ٥) في المختار من شعر بشار: (٩٨) .

(١٠)

(١- ٧) في الأغاني : (٢٣/ ١٧٣) .

(١١)

(١- ٨) في الأغاني : (٢٣/ ١٧٠- ١٧١) .

(١٢)

(١- ٣) في الأغاني : (٢٣/ ٣٠١) .

(١٣)

(١- ٣) في الأغاني : (٢٣/ ١٦٩) .

(١٤)

(١- ٣) في الأغاني : (٢٣ / ١٧٣) .

(١٥)

(١- ٤) في الأغاني : (٢٣/ ١٧٣) .

(١٦)

(١- ٨) في الأغاني : (٢٣/ ١٧٣) .

(١٧)

(١- ٨) في الأغاني : (٢٣/ ١٧٠) .

(١٨)

(١- ٣) في الأغاني : (٢٣/ ١٧٢) .

(١٩)

(١- ٧) في الأغاني : (٢٣/ ١٧١- ١٧٢) .

(٢٠)

(١- ٩) في الأغاني : (٢٣/ ١٦٨) .

(٢١)

(١- ٤) في الأغاني : (١٧/ ٢٨٨)، ونوادر المخطوطات (٢/ ٢٨٨).

المصادر

١- أسماء المغتالين «ضمن نوادر المخطوطات» : محمد بن حبيب البغدادي (ت ٢٤٥هـ)، حققه المرحوم عبد السلام هارون، ١٩٩١، دار الجيل، بيروت .

٢- الأشباه والنظائر: الخالديان، حققه د. السيد محمد يوسف، مط. لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٨م.

٣- الإصـــابة في تمييز الصـــحابة: ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، القاهرة، ١٣٢٨هـ.

٤- الأعلام: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين .

٥- الأغـــاني: أبو الفرج الأصفهاني (ت٣٦٠هـ)، نسخة مصورة عن نسخة دار الكتب، مؤسسة عمر جمال الدين للطباعة والنشر .

٦- تـــاريخ الأمم والملوك «تاريخ الطبري» : محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيـــق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان، بيروت، نسخة مصورة عن نسخة دار المعارف، كُتبت مقدمتها سنة ١٩٦٤م.

٧- ديوان ابن الدُّمينة (ت١٨٠- ١٨٣هـ): حققه العلاّمة أحمد راتب النفاخ، دار العروبة، ١٣٧٩هـ.

٨- شـــرح أبيـــات مغني اللبيب: عبد القادر البغدادي، تحقيق عبد العزيز رباح وزميله، دار المأمون للتراث .

٩- معاهد التنصيص: عبد الرحيم العباسي (ت٩٦٣هـ) حققه محمد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت .

١٠- المعمَّـــرون: أبو حاتم السجستاني (ت٢٥٠هـ)، حققه عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦١م .

الانحراف اللغوي

أسبابه وعلاجه

القسم الأول

د. فاتن خليل محجازي

الانحـــراف الـــلغوي هو الابتعاد عن سمت كلام العرب، وهو ما يعرف بالخطأ اللغوي.

أسباب الانحراف اللغوي وأساليب علاجه :

يحدث هذا الانحراف بسبب جهل العناصر اللغوية المكوِّنة للغة، والكيفية التي توظف فيها العناصر اللغوية، ولا يعود الانحراف إلى صعوبة النحو، وإنما إلى الأميـــة الـــتي تنتشر منذ مدّةٍ طويلة على مساحة واسعة من الوطن العربي، إلى جـــانب الازدواجيـــة اللغوية، وشراسة الهجوم على اللغة[1]، فالأمة لا تستطيع الدفاع عن لغتها وهي غارقة في الجهل، ومن ثمّ تجد محاولات الغزو اللغوي، أو إزالـــة لغـــة الأمـــة فرصًا طيبة للنجاح أو على الأقل دعمًا في المجتمع الجاهل بوظـــائف اللغة من مثل: دور اللغة في تحقيق الهوية، والتعبير عن الذات القومية، وتحقيق التواصل، وحفظ التاريخ والتعبير عن الأحاسيس والمشاعر.

---

(١) الهجوم على الفصحى ارتبط في القديم بالشعوبية وفي الحديث بالاستعمار وأعوانه ومـــن أشـــهر المهاجمين الألماني سبيتا الذي ألف كتابًا في قواعد اللغة عام ١٨٨٠ نادى فيه باتخاذ العامية لغة أدبية، ومهندس الري الإنكليزي وليم ولكوكس الذي وفـــد إلى مصر عام ١٨٨٣ وتفرغ للهجوم على الفصحى وتقويض دعائمها، ثم سيلدون ويلمور الذي نشر عام ١٩٠١ كتابه «العربية المحكية في مصر» وسلامة موسى، وأنيس فريحة، وغيرهم.

وقد توزعت جهود العلاج التي بذلت سابقًا على مجالين:

أ- الدراسات:

منذ أن بدأ الانحراف اللغوي هرع العلماء إلى ابتكار النحو والتصنيف والتأليف في اللغة، لإعادة الناطق إلى جادة الصواب، الصواب الذي تحكمه معايير دقيقة، اختلف فيها من زمن إلى آخر، وأصبحت تشمل اليوم: السماع والقياس، والاستناد إلى المعاجم، والشيوع والاستعمال، وقواعد النحو والصرف، وقرارات المجامع اللغوية. وتتشعب الدراسات السابقة إلى ثلاثة فروع:

أولاً – كتب الخطأ والصواب ومنها:

ومن أهم المصنفات التي وصلت إلينا في الانحراف اللغوي:

- ما تلحن فيه العامة للكسائي (ت ١٨٩ هـ)[٢].
- إصلاح المنطق، لأبي يوسف يعقوب بن إسحق بن السكّيت (ت ٢٤٤هـ)[٣].
- أدب الكاتب لابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ)[٤].
- لحن العوام لأبي بكر الزبيدي (ت ٣٧٩ هـ)[٥].
- تثقيف اللسان وتلقيح الجنان لابن مكي الصقلي (ت ٥٠١هـ)[٦].
- درة الغوّاص في أوهام الخواص، للحريري (ت ٥١٦ هـ)[٧].

---

(٢) تحقيق رمضان عبد التواب، القاهرة / مكتبة الخانجي – الرياض/ دار الرفاعي، ط١، ١٩٨٢.

(٣) تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون، القاهرة، دار المعارف، ط٢، ١٩٥٦.

(٤) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، مطبعة السعادة، ١٩٦٣.

(٥) تحقيق رمضان عبد التواب، القاهرة، المطبعة الكمالية، ١٩٦٤م.

(٦) تحقيق عبد العزيز مطر، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٩٦٠م.

(٧) تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، القاهرة، دار نهضة مصر، ١٩٧٥م.

- عثرات اللسان في اللغة، لعبد القادر البغدادي[٨].
- أخطاؤنا في الصحف والدواوين، لصلاح الدين الزعبلاوي[٩].
- محاضرات عن الأخطاء اللغوية الشائعة، لمحمد علي النجار[١٠].
- قل ولا تقل، لمكتب تنسيق التعريب في الجامعة العربية[١١].
- حول الغلط والفصيح على ألسنة الكتاب، لأحمد أبي الخضر منسي[١٢].
- التطور اللغوي التاريخي، لإبراهيم السامرائي، (فيه فصول تتعلق بالتصحيح اللغوي)[١٣].
- الكتابة الصحيحة لزهدي جار الله[١٤].
- قل ولا تقل، لمصطفى جواد[١٥].
- أزاهير الفصحى في دقائق اللغة، لعباس أبي السعود[١٦].
- معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة، لمحمد العدناني[١٧].

---

(٨) دمشق، المجمع العلمي العربي، ١٩٤٩م.

(٩) دمشق المطبعة الهاشمية، ١٩٣٩م.

(١٠) القاهرة، معهد الدراسات العربية العالمية ١٩٥٩ — ١٩٦٠م.

(١١) الرباط، المكتب الدائم لتنسيق التعريب، ١٩٦٣م.

(١٢) القاهرة ، مكتبة دار العروبة، ١٩٦٣م.

(١٣) القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٦٦م.

(١٤) بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٣، ١٩٨١م.

(١٥) بغداد، مطبعة الإيمان، ط١، ١٩٦٩م.

(١٦) بيروت، دار الفكر، ١٩٧٢م.

(١٧) بيروت، مكتبة لبنان، ط١، ١٩٨٦م.

- معجم الخطأ والصواب، لإميل يعقوب[١٨].
- العربية الصحيحة، لأحمد مختار عمر[١٩].

وتعدّ كتب التصويب اللغوي كتبًا تعليمية ترشد الناطق إلى النطق السليم بذكـــر الاستعمال المنحرف، والاستعمال الصائب وبيان القاعدة في الغالب، أو الشاهد الذي يرضي فصحاء العرب في عصر الاحتجاج.

ثانيـًــا– دراسات نحوية عامة أو خاصة بمستوى لغوي معين: صوتي، أو صـــرفي، أو إعرابي، وغاية هذه الدراسات تعليمية، وقد قامت التآليف التعليمية المختصة في فروع اللغة المختلفة على كتاب سيبويه شرحًا وتبسيطًا واختصارًا، ووصـــلت إلى ذروتهـــا في القـــرن الرابع الهجري، على أيدي الزَّجَّاجي[٢٠]، والـــزُّبَيْدي، وابن جنّي[٢١] من ناحية التطبيق العملي. أما النظريات التعليمية فقد تمثلت في القرن الخامس الهجري بآراء ابن حزم الأندلسي الظاهري[٢٢]، والإمام

(١٨) بيروت، دار العلم للملايين، ط١، ١٩٨٣م.

(١٩) بيروت، عالم الكتب، ط٢، ١٩٩٨م.

(٢٠) أبـــو القاســـم عبد الرحمن بن إسحق (-٣٣٧هـ) نحوي بغدادي لازم الزَّجَّاج فنُسِـــب إليـــه. له كتاب الجمل، والإيضاح في علل النحو، والأمالي، واللامات، والإبدال والمعاقبة والنظائر، وغيرها.

(٢١) عـــثمان بـــن جني (-٣٩٢هـ) عالم بارع في اللغة والصرف، لـــه الخصائص، والمنصف، والمحتسب، وشرح ديوان المتنبي، وسر صناعة الإعراب.

(٢٢) ابن حزم الأندلسي أبو محمد علي بن أحمد (-٤٥٦هـ) إمام المذهب الظاهري، كـــان فقيهًـــا عالمًا زاهدًا في المناصب، له الكثير من المؤلفات، من مثل الإحكام لأصول الأحكام، وإبطال القياس، وطوق الحمامة.

عـــبد القاهـــر الجرجاني[٢٣]. ويرى الدكتور عبد الكريم خليفة أن التآليف التي أعقبتها حتى القرن الرابع عشر الهجري وبداية القرن العشرين الميلادي لم تخرج عن كونها تقليدا لها بصورة أو بأخرى[٢٤].

ثالـــثًا– المعاجم اللغوية التي بدأت بكتاب العين في القرن الثاني الهجري، ومـــا زال التأليف فيها مستمرًا دون أن تستطيع سَدَّ حاجة الناطق، ومساعدته على النطق السليم، وتوظيف اللغة توظيفًا دقيقًا في المراحل اللغوية المختلفة.

وقـــد كان المؤلفون في الكتب التعليمية ينتقدون الكتب السابقة أحيانًا، ويذكـــرون المســـوِّغات الـــتي دفعتهم إلى التأليف فيذكرون الغموض والإبحام والـــتطويل، والاستطراد، هذه الأمور التي تجعل الموضوع صعبًا ومملاً، لا يحقق غايـــته التعلـــيمية ولعل أهم كتب تيسير تعليم النحو بمعنى الإعراب كتاب ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ) وقد جاء في مقدمة الكتاب:

«وضـــعت هـــذا التصنيف، على أحسن إحكام وترصيف، وتتبعت فيه مقفلات مسائل الإعراب فافتتحتها، ومعضلات يستشكلها الطلاب فأوضحتها ونقّحـــتها، وأغلاطًـــا وقعـــت لجماعـــة مـــن المعربين وغيرهم فنبهت عليها وأصلحتها»[٢٥].

---

(٢٣) أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (-٤٧١هـ) إمام البلاغيين، عالم في النحو واللغة، له دلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة، وغيرهما.

(٢٤) عـــبد الكريم خليفة رئيس مجمع اللغة العربية الأردني، تيسير العربية بين القديم والحديث، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، ص ٨١.

(٢٥) مغـــني اللـــبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، راجعه سعيد الأفغاني، ط٣/ دار الفكر، بيروت، ١٩٧٢م، ص ١٢.

وقد بدأ ابن هشام بتحديد العيوب التي تجعل الإعراب موضوعًا صعبًا ومطوّلاً وهي:

١- كثرة التكرار فإنها لم توضع لإفادة القوانين الكلية، بل للكلام على الصور الجزئية، فتراهم يتكلمون على التركيب المعين بكلام، ثم حيث جاءت نظائره أعادوا ذلك الكلام... وكذلك يكررون الخلاف في جواز العطف على الضمير المجرور من غير إعادة الخافض، وعلى الضمير المتصل المرفوع من غير وجود فاصل...

٢- إيراد ما لا يتعلق بالإعراب كالكلام في اشتقاق اسم وإيراد الآراء البصرية والكوفية وحجج كل فريق.

٣- إعراب الواضحات كالمبتدأ وخبره والفاعل ونائبه والجار والمجرور[٢٦].

لقد كان هذا النقد للمؤلفات السابقة خطوة تسبق الحديث في الموضوع اللغوي، تترافق في كثير من الأحيان مع ذكر وظائف اللغة وأهمية العربية وما آلت إليه على ألسنة الناطقين من الضعف. ومنذ القرن التاسع عشر بدأت رياح اليقظة والتجديد تهب على المشرق العربي، حين بدأت حركة إحياء للغة العربية وآدابها، وكان للنحو وقواعد العربية مكانة مهمة بين رواد هذه الحركة. وظهرت تآليف في النحو في مصر وبلاد الشام والعراق وغيرها تهدف إلى إزالة تعقيد العبارات المبهمة، واختصار جميع ما تجب معرفته من قواعد العربية في مؤلف واحد.

---

(٢٦) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ص ١٤ – ١٥ – ١٦.

ب- الندوات والمؤتمرات:

عقـــدت المؤتمرات اللغوية والندوات التي تهدف إلى تيسير تعليم العربية، ورفـــع كفـــاءة الـــناطق بها، ومنها مؤتمرات المجامع اللغوية، والمؤتمرات الثقافية لجامعـــة الدول العربية، ونذكر على سبيل المثال المؤتمر الثقافي العربي الأول الذي عقدتـــه جامعـــة الدول العربية سنة ١٩٤٧م، الذي انتهى إلى قرارات دعا إلى صـــدورها حاجـــة القواعـــد إلى تيسير وتبسيط، على ألا يمس ذلك بحال من الأحـــوال جوهـــر اللغة. وحين عرضت القرارات على مجلس الجامعة أوصى الحكومـــات العـــربية بأن تضع هذه القرارات موضع العناية والبحث، وأوصى أيضًـــا بأن توضع موضع التنفيذ أمور لها أهميتها، لأنها تشمل القدر الذي يجب أن يكون مشتركًا في التعليم بالبلاد العربية[٢٧].

أما التوصيات التي أصدرتها المجامع فأهمها:

١- تـــأليف كتاب يتقيد بما ينعقد عليه الإجماع ووضعه موضع التجربة في التعليم.

٢- إدخـــال جـــزء من علم المعاني في علم النحو كي يثمر الوقوف على تغير المعاني المستفادة من الصيغ، لا مجرد ضبط أواخر الكلم، ومعرفة طرق الاشتقاق.

٣- العـــناية بكـــتاب النحو تأليفًا وطبعًا وضبطًا، وتقديم كتب أدبية وثقافية مُشَوِّقة ومعجم مدرسي لضبط الكلم، ولبيان المعاني المحدثة التعبيرات.

٤- اصطناع المعلم الفصحى في حديثه.

---

(٢٧) تيسير تعليم اللغة العربية، سجل ندوة الجزائر ١٩٧٦م، اتحاد الجامعات العربية القاهرة ١٩٧٧م ص ٧٧.

٥- الاقتصار في النحو على ما ييسّر القراءة الصحيحة، للنصوص قديمها وحديثها دون تعليل أو تحليل.

٦- العناية ببحث الأصوات، بوصفه جزءاً من النحو للتوصل إلى النطق العربي السليم.

٧- اقتباس الشواهد والأمثلة من القرآن والحديث.

٨- الأخذ بالسائد اتباعه في القرآن والنحو.

٩- الجمع بين المفردات التي تؤدي معنى واحدًا، ويختلفُ أثرها الإعرابي فيما تدخل عليه كأدوات النفي.

١٠- ضم بعض القضايا الصرفية إلى قضايا النحو، فعند دراسة أوزان الفعل يدرس ما يحدث لها عند الإسناد إلى الضمائر، وعند دراسة الجمع السالم تدرس جموع التكسير.

١١- تفضيل المصطلح الواضح على غيره مع المحافظة على مصطلحات التراث[٢٨].

واهتم المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية في دمشق أيضًا بهذا الموضوع وعقد ندوة النحو والصرف عام ١٩٩٤م التي تمحورت حول واقع تدريس النحو في المراحل الدراسية المختلفة: الامتحانات والأنظمة الجامعية والإعداد التخصصي لمدرسي اللغة العربية وخرجت بتوصيات أهمها:

أولاً: في واقع تدريس النحو والصرف في المرحلة ما قبل الجامعة:

١- الاكتفاء بتدريس القواعد الأساسية والابتعاد عن الخلافات والتعليلات.

(٢٨) تيسير تعليم العربية، سجل ندوة الجزائر ١٩٧٦م، ص ١٤٩ – ١٥٠.

٢- الإكثار من التدريبات وتنويعها بغية إكساب الناشئة المهارات اللغوية.

٣- وجوب ضبط الكتب بالشكل.

٤- الارتقاء بمستوى المعلم اختيارًا وإعدادًا وتدريبًا.

٥- العناية بتعليم النطق السليم.

٦- الإفادة من وسائل التقنيات الحديثة.

٧- الحرص على استخدام اللغة العربية السليمة في المؤسسات التعليمية.

ثانيًا: في واقع تدريس النحو والصرف في أقسام اللغة العربية:

١- تأكيد الهدف من تدريس النحو والصرف في إعداد الطلاب ليكونوا مدرسين أو باحثين.

٢- تنويع أساليب التقويم والاختبار.

٣- الإكثار من الجانب التطبيقي، وربط النحو والصرف بالواقع اللغوي المعاصر.

٤- الحرص على استخدام اللغة العربية السليمة في البحث والتخاطب والمحاضرة.

٥- إحداث مقرر دراسات نحوية وتطبيقية في اللغة العربية.

٦- إعادة النظر في توزيع مفردات مقرر النحو والصرف على السنوات الجامعية والاهتمام بالأساليب النحوية.

٧- العمل على إيفاد الطلاب المتفوقين إلى أقسام اللغة العربية إيفادًا داخليًا.

ثالثًا : وثمة توصيات عامة هي:

١- تأمُلُ الندوة أن تُعْنى وسائل الإعلام كافة بمراعاة أساليب اللغة العربية السليمة.

٢- تأمل الندوة أن يجري تبادل لأساتذة النحو والصرف بين جامعات الدول العربية.

٣- إجـــراء تجـــربة بتدريس كتب تراثية نحوية موجزة للسنتين الأولى والثانية، ووضـــع تقريـــر عن هذه التجربة في جامعات الأقطار العربية بعد عامٍ من إجراء التجربة(٢٩).

محاولة جديدة لتحديد أسباب الانحراف اللغوي:

لكـــن هـــذه القرارات والتوصيات كلها لم تغير من واقع العربية شيئًا، ولذلـــك فقد تجاوزنا الحديث عن أسباب الانحراف اللغوي: الأمية، والازدواج الـــلغوي، وإهمال ممارسة اللغة الفصحى في الحياة الثقافية والعلمية، ودور وسائل الإعـــلام والغزو اللغوي الأجنبي، ولجأنا إلى تحليل الأخطاء الشائعة، وتصنيفها لمعـــرفة العـــلة الكامنة وراء الخطأ واقتراح العلاج، وذلك بوساطة تحليل أخطاء تنـــتمي إلى المســـتويات اللغوية المختلفة: المستوى الصوتي، والمستوى الصرفي، والمستوى التركيبي، والمستوى الدلالي للإجابة عن سؤال: هل الوقوع في الخطأ نـــاتج من صعوبة النحو صعوبة تجعل المرء غير قادر على اكتسابه، ومن ثمَّ علينا أن نسعى لتيسير النحو؟

الملاحظ من استقراء مجموعة من الكتب(٣٠) أن كثيرًا من المواد مكررة، وان هـــذه الأخطـــاء تسربت إلى الفصحى من العامية. إن كثرة المصنفات في الانحـــراف الـــلغوي، لم تنجح في رفع كفاية الناطق إلا بنسبة قليلة، لأن العودة إليهـــا تجري في مرحلة النضج، أي بعد أن يكون المرء قد اعتاد الخطأ، في حين

---

(٢٩) ندوة النحو والصرف، دمشق ٢٧ - ١٩٩٤/٨/٣٠م، الكتاب الثاني، ص١٣٢ - ١٣٣.

(٣٠) ما تلحن فيه العامة للكسائي، وإصلاح المنطق لابن السكيت والكتابة الصحيحة لـــزهدي جـــار الله، ومعجـــم الأغلاط اللغوية المعاصرة لمحمد العدناني، والعربية الصحيحة لأحمد مختار عمر، ومعجم الخطأ والصواب لإميل يعقوب.

يجـــب أن يؤخذ بها في مرحلة الاكتساب اللغوي، قبل الخامسة عشرة، أي في المرحلة الدراسية الابتدائية والإعدادية، ففي مرحلة الاكتساب اللغوي يمكننا أن ننـــبه على أنواع الأخطاء المختلفة وأن نحلل للطالب الخطأ تحليلاً مبسطًا، وأن نـــبين له الفرق الدلالي والانحراف عن الدلالة المقصودة انحرافًا يفقد اللغة قدرتها عـــلى التبـــليغ السليم والتواصل المطلوب، أي يجعل منها أداة ضعيفة غير قادرة على سَدِّ حاجة الناطق فيعزف عنها إلى غيرها.

يكشف التحليل أن الأخطاء الشائعة تنتمي إلى المستويات اللغوية كافة، فهي أخطـــاء صوتية، وصرفية، وإعرابية، ودلالية، ونلاحظ أن الأخطاء الصوتية الشائعة قليلة جدًا، وإن أضفنا إليها ما يمكن أن يكون ناجمًا عن ظاهرة المعاقبة، والأخطاء التي تصـــيب الفونيمات المتشابهة والمتقاربة المخرج، وسببها الميل إلى السهولة واختصار الجهد العضلي، أو قد تكون ناجمة عن عادة نطقية شائعة ومن أمثلتها:

الخطأ	الصواب	التعليل
١- بَخَس – بَخَسَتْ عينُه.	بَخَصَتْ.	الســـين النظير المرقق للصاد = ترقيق الصاد= عادة نطقية.
٢- بَرَش – بَرَش الصابون.	بَشَرَ/ برش: ظهر على جلده نقط يخالف لونها سائر الجلد فهو أبرش.	قلب مكاني + الجهل بمعنى برش.
٣-ثَبَتَ – وجدته في ثُبات عميق: في نوم عميق.	وجدته في سُبات عميق. الثُّبات/ داء معجز عن الحركة.	قانون السهولة نفسه .
٤- ثفـــل – تَفَلَ الشيء: نثره مرة واحدة.	ثَفَلَ الشيء. تفل / بصق.	قانون السهولة نفسه .

٥-ثوم – أكلت تومًا.	أكلت ثومًا.	قانون السهولة نفسه.
٦- خضر – أحب الخُضار.	أحبّ الخُضَر.	مـد الفتحة بسبب النبر= عادة نطقية.
٧-درج – انحط إلى أسفل الدرجات.	انحط إلى أسفل الدركات.	إذا كانت الجيم القديمة الانفجارية أشبه بالجيم القاهرية فجيم «درج» هنا ألوفون مجهور للكاف، وليس فونيم الجيم= عادة نطقية.
٨- دكّ – دِكّة السروال.	تِكّة السروال. من معاني الدكّة/ ما استوى من الرمل، البناء الذي يسطح أعلاه للجلوس عليه، ومقعد مستطيل من الخشب يُجلس غالبًا عليه.	تجهير التاء= عادة نطقية.
٩-دهم – داهَمَنا الشتاء.	دَهَمَنا الشتاء.	مـدّ الفتحة بسبب النبر = عادة نطقية.
١٠-زعتر – أحب الزعتر.	أحبّ الصعتر أو السعتر.	الزاي والسين والصاد من مخرج واحد: الزاي هو النظير المجهور للسين، والصاد هو النظير المفخَّم للسين = عادة نطقية.
١١- عمد – عامود.	عَمود.	مـد الفتحة بسبب النبر= عادة نطقية.

١٢- قسّ الشاة – زور الشاة.	قصّ الشاة وقصصها.	السين النظير المرقق للصاد = ترقيق الصاد عادة نطقية.
١٣-كلل – له همة لا تعرف الكلل.	الكَلال.	اختزال الفتحة بسبب النبر= عادة نطقية.

وهذا يطمئن إلى سلامة الجانب الصوتي في اللغة، الجانب المتعلق بسلامة المخارج وسلامة الصفات، إلا أن ثمة نوعًا من الأخطاء «صوت صرفية» أو «صوت دلالية» ناتجة من تبني الفكر اللغوي القديم وإن ادعينا الحداثة وسعينا خلف المناهج الحديثة، فالتجديد المنهجي لابد من أن يسبق بتوطيد دعائم نظرية لغوية جديدة، وإن انتشار اللحن اليوم في قسم كبير من اللغة عائد إلى سيادة فكرة قديمة لم ننتبه إلى قيمة تبنيها و لم نعمل فكرنا في تمحيصها، وأذكر مثالاً مما جاء في كتاب سيبويه منسوبًا إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي: «الفتحة والضمة والكسرة زوائد، وهن يلحقن الحرف ليوصل إلى التكلم به، والبناء هو الساكن الذي لا زيادةَ فيه» سيبويه الكتاب ٢٤١/١ -٢٤٢.

وقد دوَّن اللغويون كثيرًا من الألفاظ التي لا تستغني فيها الصوامت أو الصحاح عن الصوائت أو الحركات في تقديم المعنى الأساسي كما نجد في كتاب إصلاح المنطق لابن السِّكِّيت ١٨٦ – ٢٤٤[٣١]، وهذا جدول ببعض هذه الألفاظ على وزن (فَعْل) ووزن (فِعْل)، يبين اختلاف المعنى باختلاف الحركة:

(٣١) شرح وتحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، طبع دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م.

١- الحَمْـل: ما كان في بطن أو على رأس شجرة وجمعه أحمال	- الحِمْل: ما حُمِلَ على ظهرٍ أو رأس.
٢- الوَقْر: الثقل في الأذن.	- الوِقْـر: الثقل يحمل على رأس أو على ظهر.
٣-الرَّق: ما يكتب فيه.	- الرِّقُّ: من الملْك.
٤- الغَمْر: الماء الكثير.	- الغِمر: الحقد.
٥- الشَّقُّ: الصَدْعُ في عودٍ أو حائط أو زجاجة.	- الشِّقُّ: نصف الشيء. - الشِّقُّ: المشقّة.
٦- المَسْكُ: الجلد.	- المِسْك: من الطِّيب.
٧- الدَّبْر: النَّحْل.	- الدِّبْرُ: المال الكثير.
٨- البَيْن: الفِراق.	- السِّين: القطعـة من الأرض قَدْرُ مَدِّ البصر.
٩- الشَّعْبُ: - القبيلة العظيمة. (مصدر شَعَبْتُ الشيْءَ شَعبًا إذا لاءَمْتَهُ، وإذا فرّقْتَه أيضًا).	- الشِّعْب: الطريق في الجبل.
١٠- الحَبْل: حبل العاتق.	- الحِبْل: الداهية.
١١- الأَزْلُ - الضِّيقُ والحبسُ.	- الإِزْل: الكذب.
١٢- الخَلّ – الطريق في الرمل.	- الخِلّ: الخليل.
١٣- القَـبْصُ: مصدر قَبَصْتُ، وهو أخذُكَ الشيءَ بأطراف أصابعك.	- القِبْصُ: العَدَد الكثير.
١٤- الفَرْقُ: مصدر: فَرَقْتُ الشَّعْرَ.	- والفِرْقُ: القطيعُ العَظيمُ من الغَنَم.
١٥- الذَّبْحُ: مصدر ذَبَحْتُ. والشَّقُّ.	- الذِّبْحُ: ما ذُبِحَ.
١٦- الرَّبْعُ: دار القوم.	- الرِّبْعُ: الحُمَّى.
١٧- الرَّعْيُ: مصدر رَعَيْت.	- الرِّعْي: الكلأ، مقصور.
١٨- الطَّحْنُ: مصدر طحنت.	- الطِّحْن: الدقيق نفسه.

١٩– الفَــرْك: مصدر فركْتُ الحبّ والثّوبَ وغيره أفرُكُ فَرْكًا.	– الفِرْكُ: البغض.
٢٠– الأجْلُ: مصدر أجَلَ عليهم شَرًّا يأجلُهُ أجلاً إذا جناه عليهم وحرّه.	– الإجْل: القطيع من البقر، وجمعه آجال. والإجل وجع في العنق ومثله: الإدل.
٢١– السّبْتُ: الحلْق، يقال سَبَتَ رأسَه يَسْبِتُه سَــبْتًا. والسبت: السير السريع. والسبت: برهة من الدهر. والسبت: من الأيام.	– السِّبْت: جلود البقر المدبوغة بالقَرَظ.
٢٢– اللّبْس: اختلاط الأمر.	– اللِّبس: اللّباس.
٢٣– الشِّف: – الستر الرقيق.	– الشَّفّ: مصدر شَفّني الأمرُ يَشُفّني شفًا إذا حزنني.
٢٤– القَرْن: – قرن الشاة والبقرة. والخُصْلَة من الشعر. والجُبَيْل المنفرد. والقَرْن من الناس. يقال فلان على قَرْنِ فُلان، إذا كان على سنّه.	– القِرْن الذي يقاومك في قتال أو بطش أو علم.
٢٥– الهَمّ من الحزن. – الهَمّ مصدر همَّ الشَّحْمَ يَهُمُّه، إذا أذابه. – الهمّ: مصدر همَمْتُ بالشيء همًا.	– الهِمُّ: الشيخ الكبير الفاني.
٢٦– الأمر: من الأمور. – الأمر: مصدر أمرت أمرًا.	– الإمْر: الشيء العجيب.
٢٧– الخَيْر: ضد الشرّ.	– الخِير: الكَرَم.
٢٨– الحَلف: مصدر حَلَفْتُ أحلف حَلْفًا.	– والحِلْفُ: العهد يكون بين القوم.
٢٩– الخَطْبُ: الأمر.	– الخِطْب: الذي يخطب المرأة.
٣٠– الخَرْق: الفلاة الواسعة. – الخَرْق: الذي يكون في الثوب وغيره.	– الخِرْق: السخيّ الكريم.
٣١– السَّيْف الذي يُضرَب به.	– السِّيف: شاطئ البحر.

٣٢- الضَّيْف: واحد الأضياف.	– الضِّيف: شاطئ: النهر والوادي.
٣٣- النَّقْس: مصدر نَقَسْتُ الرجل أنقُسُه نقسًا، وهو أن تلقِّبه وتَعيبَه.	– النِّقْس: من المداد.
٣٤- الخَيْمُ: جمع خَيْمة، وهي أعواد تنصب في القَيْظ، ويجعل لها عوارض، وتظلّل بالشجر فتكون أبرد من الأخبية.	– الخِيْم: الطبيعة: «إنه لكريم الخِيم».
٣٥- الغَيْمُ والغَين واحد وهو السحاب.	– والغِيْنُ: جمع شجرة غيناء وهي الكثيرة الورق الملتفة الأغصان.
٣٦- الفَلْق: مصدر فَلَقْت أفلِقُ فلقًا ويقال سمعت ذلك من فَلْق فيه.	– الفِلق: القَضيبُ يُشَقُّ فيعمل منه قوسان ويقال لكلّ واحدة فِلْق. – الفِلْقُ: الداهية.
٣٧- الطَّرْف: طَرْف الإنسان وهو أن يطرِفَ بعينه.	– والطِّرف: الفرس الكريم.
٣٨- السَّيْب: العطاء.	– السِّيب: مجرى الماء ج: سيوب.
٣٩- البَلّ: مصدر بللت الشيء أبُلّه بلاً.	– البِلّ: المباح.
٤٠- العَفْوُ: مصدر عفوت عنه أعفو عفوًا.	– والعِفْو: ولد الحمار.
٤١- الهَيْف والهُوف: ريح حارّة تأتي من قبل اليمن.	– والهِيف: جمع أهيف وهيفاء وهو الضامر البطن.
٤٢- الأَفْك: مصدر أَفَكَه عن الشيء يأفِكُه أفكًا: إذا صفه عنه وقلبه.	– والإفك: الكذب.
٤٣- الفَلّ: الثّلم يكون في السّيف وجمعه فَلول. والفَل أيضًا: المنهزمون.	– الفِلّ: الأرض التي لم يُصِبْها مطر وجمعها أفلال وقد أفلَلْنا إذا وطئنا أرضًا فلاً.
٤٤-القَطْرُ: جمع قَطْرَة.	– والقِطْر: النّحاس.
٤٥- السَّعْرُ: مصدر سَعَرْتُ الحرب.	– والسِّعْر: من الأسعار.
٤٦- الرَّجْس: صوت الرَّعد وتمخُّضُه.	– الرِّجْس: الشيء القذر.

٤٧- العَكْـمُ: مصدر عكمتُ المتاع أعكُمُهُ عَكْمًا.	- العِكْـم: نمـط المرأة تجعله كالوعاء، وتجعل فيه ذخيرتها.
٤٨- السَّلْم: الدلو.	- السِّلْم: الصّلح.
٤٩- المَيْل: مصدر مال عليه يميل ميلاً.	- والمِيل من الأرض: منتهى مدِّ البصر.
٥٠- النّقض: مصدر نقضت العهد والحبل، وكذلك البناء أنقضه نقضًا.	- النِّقض: البعير المهزول.

وهذه ألفاظ أخرى على وزن (فِعْل) و (فُعْل) يختلف معناها باختلاف الحركة:

٥١- الذِّلّ: ضدّ الصعوبة.	- الذُّلّ: ضدّ العزّ.
٥٢- الصِّفْر: الخالي.	- الصُّفْر: الّذي تعمل منه الآنية.
٥٣- الغِلّ: الغشُّ والعداوة.	- الغُلّ: العطش وهو الغُلّة. -والغُلّ: الذي يُغَلُّ به الإنسان.
٥٤- العِبْر: شاطىء النّهر.	- العُبْر: العَبْرَة.
٥٥- التِّرْب: السنّ.	- والتُّرْب: التراب.
٥٦- المِزّ: الفضل.	- المُزّ: بين الحامض والحلو.

وهذه ألفاظ أخرى يختلف معناها باختلاف الحركة بين (فَعْل) و (فَعَل).

٥٧- القَصْب: العَيْب.	- القَصَب: عروق الرئة.
٥٨- الغَضْب: الأحمر الشديد الحمرة.	- والغَضَبُ: مصدر غَضِبَ يغضَبُ غَضبًا.
٥٩- النَّشْر: أن يخرج النبت ثم يبطئ عنه المطر فييبس ثم يصيبه مطر فينبت بعد يبس وهو رديء للإبل والغنم إذا رعته الإبل في أوّل ما يظهر.	- النَّشَر: أن تنتشر الإبل بالليل فترعى.
٦٠- السَّبْق: مصدر سبقْت.	- والسَّبَق: الخطر.
٦١- الحَرْدُ: القَصْد.	- الحَرَدُ: الغيظ.
٦٢- الجَرْد: الثّوب الخَلَق.	- الجَرَدُ: أن يشرى جلدُ الإنسان عن أكل الجراد.

٦٣- النَّجْد: الطريق. والنَّجد: ما ارتفع من الأرض.	- النَّجَد: العَرَق والكَرْب.
٦٤- الرَّمْد: الهلاك.	- الرَّمَدُ: في العين.
٦٥- النَّقْد: مصدر نقَدتُه دراهمَه.	- النَّقَدُ: غنم صغار.
٦٦- الصَّمْدُ: الغليظ من الأرض المرتفع.	- الصَّـــمَدُ: السيّد الذي يُصمَدُ إليه في الحوائج.
٦٧- النَّجْلُ: الولد.	- النَّجَلُ: سَعَة شَقِّ العينين.
٦٨- القَفْلُ: ما يَبِس من الشجر.	- القَفَل: القفول، وهو الرجوع من السفر.
٦٩- الشَّمْلُ: الاجتماع.	- الشَّمَلُ: الشَّيء القليل يبقى على النخلة من حملها.
٧٠- الفَنُّ: الضرب من العلم وغيره.	- الفَنَن: الغصن والجمع أفنان.
٧١- الرَّعْنُ: أنف الجبل المتقدّم منه.	- الرَّعَنُ: الاسترخاء والحمق.
٧٢- الحَزْم: حزم الإنسان في أمره.	- الحَزَمُ: كالغصص في الصدر.
٧٣- اللَّمُّ: مصدر لممتُ الشيء، فهو جمعك الشيء وإصلاحُكَه.	- اللَّمَمُ: من الجنون. - واللَّمَمُ: دون الكبيرة من الذنوب.

وهذه ألفاظ أخرى يختلف معناها باختلاف الحركة بين (فُعْل) و (فَعْل):

٧٤- المُور: الغُبار.	- المَوْر: الطريق. - مصدر مارَ يمور مورًا.
٧٥- الزُّور: الكذب.	الزَّوْر: أعلى الصدر.
٧٦- النُّور: الضياء.	- النَّور: الزهر.
٧٧- الكُفْر: مصدر كفَر بالله كُفرًا .	- الكَفْر: مصدر كَفَرْتُ الشيءَ إذا غطيته وسترته.
٧٨- العُرْف: عُرْف الدابّة وعُرْف الديك.	- العَرْف: الرّيح.

للبحث صلة

مفهوم الغرض في الشعر العربي

(نحو بناء جديد للمفهوم)

د. محمد أمين المؤدِّب

تقديم:

ليس الهدف من هذا البحث الوقوف على عدد أغراض الشعر، وأصنافها، ولا اختلاف النُّقاد حول تلكم الأغراض والأصناف، وليس الهدف منه تحديد المصاعب والمزالق التي واجهتهم في ذلك، ولا تقييم جهودهم بما لها وما عليها في هذا الباب[1].وإنما الهدف منه الوقوف عند مفهوم الغرض الشعري في تراثنا القديم، من حيث أثره في دراسة هذا التراث، إبداعًا ونقدًا، فهمًا وتقويمًا، ولا سيما في دراسة النصوص الشعرية وتحليلها. ذلك أن مفهوم أغراض الشعر ربما كان (أبعد مفهومات نقدنا القديم عن الصواب، وأشدها إيغالاً في المغالطة، وأقواها تعبيرًا عن النظرة الجزئية الضيقة وقصر النظر) [2]، لجملة أسباب، لعل أهمها أنه مفهوم غير منبثق من الشعر، ولا مستوحى من روحه، وإنما هو منبثق من خارجه، بعيداً عن وحدة الشعر التي تؤكّد فساد فكرة الموضوعات[3].

يُضاف إلى ذلك أن تفشِّيَ مصطلح الغرض بهذا المعنى المشار إليه، في الدراسات الأدبية والنقدية، والتأليفَ فيه تحت هذا العنوان، مع تكرار ممل أحيانًا، وسطحية واضطراب في كثير من الأحيان، قد أساء عن وعي أو عن غير وعي،

---

(١) انظر جوانب من ذلك في نقد الشعر لأستاذنا الدكتور أمجد الطرابلسي (٢٢٣).

(٢) شعرنا القديم والنقد الجديد (١٤١).

(٣) دراسة الأدب العربي لمصطفى ناصف (٢٣١). وانظر شعرنا القديم (١٤١).

إلى هذا المفهوم، تنظيرًا وإجراء، إساءة ترتبت عليها تلك النظرة المشوهة إلى القصيدة، ونتج عن كل ذلك أن القصيدة، ولاسيما قصيدة المديح، أغراض متباينة يصعُب البحث عن رابط بينها، وبدا الشاعر القديم من خلالها (شخصية غريبة، لاتخلو من ملامح ساخرة (كاريكاتورية)، تذكّرنا بشخصية البهلوان أو المشعوذ المحتال، وبدت القصيدة القديمة سلسلة من الشراك الخادعة، يفضي بعضها إلى بعضها الآخر،حتى تستقر ويستقر صاحبها معها بين يدي الممدوح)[١].

أهمية المصطلح وشروط ضبطه :

إذا كان المصطلح يحدِّد أفق القصيدة وأفق تلقيها، عند القدماء أولاً، وعند القرّاء الذين أتوا بعدهم ثانيًا، فإن إدراكه على هذا النحو أو ذاك، من شأنه أن يسهم في قراءة رديئة أو جيدة، تسهم هي بدورها، في تطوير العملية النقدية والشعرية، سلبًا أو إيجابًا. وبناء على ذلك ينبغي أن نتوقف عند ضبط هذا المصطلح قبل أن نتساءل: كيف أدرك أولئك وأولاء هذا المصطلح؟ وما هو أثر ذلك الإدراك في العملية النقدية عمومًا، وفي تراثنا الشعري على وجه الخصوص ؟

إن دراسة المصطلح – أي مصطلح – تستلزم أمورًا، لعل أهمها :

١- استحضار الخلفية المعرفية التي تشمل بالأساس السُّنن الجمالية والاجتماعية، والإلمام بالتاريخ الثقافي للعصر والبيئة، وإن كنا نعي صعوبة الوقوف على هذه الخلفية المعرفية، ولا سيما في العصر الجاهلي، مع مواكبة ثقافة الحاضر، بما يجدُّ فيها من مناهج تمكّن الباحث من امتلاك آليات البحث والتأويل.

٢- النظر إلى المصطلح بوصفه منظومة، بمعنى أن نبحث في إطار كلي، عن الروابط بين المصطلحات وَفق تصور شامل، من أجل أن نكوِّن مفهومات

(١) شعرنا القديم (١٤٣).

موحَّدة مترابطة ومنسجمة[١]. فالغرض – مثلاً – لا يمكن دراسته دراسة جادة، ما لم يُنظر إليه في علاقته بالمعنى، والقصيد، والنسيب، والتشبيب، باعتبارها مصطلحات أولاً، ومفاهيم ثانيًا.

٣- اعتماد النصوص النقدية والشعرية معًا، في دراسة المصطلح وبناء المفاهيم، أولاً وأخيرًا، لأنهما توأمان لا يفترقان، ولأن (كل فهم للمصطلح بمعزل عن الشعر والثقافة العربية وسائر المصطلحات جدير ببعض الشك)[٢].ولا يتأتى ذلك إلا لمن خبر الشعر، ووقف على بعض أسراره، وأساليبه، ومذاهب الشعراء في صناعته. وقد (تورطت حركة النقد الجديد، وهي تعالج القصيدة العربية القديمة، بافتراض جملة من الأفكار والمفاهيم المستمدة من النقد العربي القديم، بدل أن تستمد هذه الأفكار والمفاهيم من القصيدة نفسها)[٣].

٤- البعد عن الذاتية التي قد تذهب ببعض الدارسين المعاصرين، بدافع الرغبة الصريحة أحيانًا، والمضمرة أحيانًا أخرى، إلى تأكيد عيوب القصيدة القديمة، ولاسيما في إطار الموازنة بينها وبين القصيدة المعاصرة.

أثر غياب هذه الشروط في تصوُّر المعاصرين لمفهوم الغرض:

أ — في القضايا النقدية:

لقد ترتب على ذلك الفهم المضطرب جملة أحكام، لعل أخطرها:

١- نفي الوحدة عن القصيدة القديمة، ولاسيما الجاهلية منها، ورميها بالتفكك، وعدم الاتساق، وتشتت الصور..، وغالبًا ما يرد ذلك في إطار

(١) النقد العربي نحو نظرية ثانية (٩، ١٧).

(٢) نفسه (٩، ١٤).

(٣) شعرنا القديم (١٤١).

الموازنة بينها وبين القصيدة المعاصرة، كما سبقت الإشارة. ولقد روَّج المستشرقون لهذا الرأي، بناء على عدم استقراء، وسوء فهم، كما مال إليه معظم النقاد في العصر الحديث، كغنيمي هلال، وأدونيس، وسواهما. ومعروف أن طه حسين أعاد الاعتبار للقصيدة الجاهلية، حين وصفها بالإتقان، والإحكام، وعدّ تفككها، واقتصار وحدتها على الوزن والقافية، أسطورة من الأساطير التي أنشأها الافتتان بالأدب الأوربي الحديث[١]، ثم نحا نحوه بعض الباحثين، من أمثال محمد النويهي[٢]، ومصطفى ناصف[٣]، وعبد الله الطيب[٤]. غير أن ما يثير الانتباه هنا، هو تبنّي شوقي ضيف والرافعي - وهما من أنصار التراث والمدافعين عنه – لهذا الرأي، فلقد شبَّه شوقي ضيف القصيدة الجاهلية بمجموعة من الخواطر التي لا يربطها إلا الوزن والقافية، زاعمًا أن ذلك هو كل روابطها، وليس بعدُ إلا التفكك والاضطراب[٥]. وذلك هو رأي الرافعي في رده على طه حسين، كما في كتابه وحي القلم[٦].

٢- قراءة الشعر القديم وفق هذا التصور التجزيئي، على نحو ما نرى في دراستهم لمقدمة القصيدة، في عصورها المختلفة، ودراستهم تبعًا لذلك لموضوعات الغزل، والفخر، والمدح، والهجاء، وما يتصل بها من أغراض

(١) حديث الأربعاء (١/ ٣٠- ٣١).

(٢) الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه (٢/ ٤٣٥) (الفصل ١١).

(٣) دراسة الأدب العربي (٢٣١) (الفصل الخامس) .

(٤) المرشد بأجزائه الأربعة في أماكن متفرقة.

(٥) العصر الجاهلي (١٢٤).

(٦) وحي القلم (٣/ ٢٣٣).

الشعر القديم، انطلاقًا من تصورهم المشار إليه.

٣- إصدار أحكام تطبعها السطحية والتعميم، وتُعوزها الدقة والتروِّي، في الشعر العربي القديم بعامة، وفي موضوعنا هذا بخاصة، ولا سيما فيما له صلة مباشرة بمفهوم الغرض، كمصطلحي النسيب والتشبيب[١]. وما قيل عن النسيب والتشبيب، يقال عن الطلل، والمطلع، والمقطع، والتخلص، والتضمين العروضي. ومن المؤسف أن تسود هذه الآراء المنبنية على قراءة سريعة متعجلة، فتُخْمِل الجهود التصحيحية الرصينة التي بذلها بعض الباحثين المرموقين، كعبد الله الطيب، ويوسف خليف، وإبراهيم عبد الرحمن، ومصطفى ناصف، وسواهم.

٤- غياب الدراسات الموازية في علوم القرآن، كتلك التي تناولت مبحث التناسب في القرآن الكريم، والوحدة الموضوعية فيه[٢]. وهي دراسات من شأنها أن تفيد الباحث في الشعر، رؤية ومنهاجًا، لأنها تنظر إلى النص القرآني نظرة كلية، متوخِّية الوقوف على الروابط والعلاقات التي تحقِّق للنص تماسكه وانسجامه، في ارتباط معانيه، وتحالقها بالمباني والأساليب.

ب – عند القدماء:

هل كان الشعراء والنقّاد يملكون رؤية شعرية ونقدية ؟

يبدو أن الشعراء كانوا يملكون رؤية شعرية واضحة، كما أشار إلى ذلك الجاحظ حين قال عنهم: (وصفوا كلامهم في أشعارهم)[٣]. والواقع أن

---

(١) الغزل للحوفي، والشعر الجاهلي ليحيى الجبوري، وخصوبة القصيدة الجاهلية لمحمد صادق عبد الله.

(٢) ينظر الإتقان للسيوطي، والبرهان في علوم القرآن للزركشي، والبرهان في ترتيب سور القرآن لابن الزبير الغرناطي، والوحدة الموضوعية في القرآن الكريم لمحمد محمود حجازي.

(٣) البيان والتبيين (١/ ٢٢٢)، وانظر مصطلحات النقد العربي (١٦٠).

القدامى، أو بعضهم على الأقل، شعراء ونقّادًا، قد ألمعوا إلى ذلك بطريقتهم، وذكروا الفروع التي تُنبئ عن الأصول، والكليات التي تقبل أن تندرج تحتها الجزئيات[١]، ومنها رؤيتهم للغرض الشعري.

– من ذلك تنصيص حازم القرطاجني على نقص تقسيمات النقّاد القدماء، وتداخلها، وفساد صحتها، في قسمة الشعر إلى «فنون الأغراض»[٢]، ومَيْله – فيما يبدو – إلى ترجيح مصطلح الأغراض تارة، وإلى مصطلح الطرق الشعرية تارة أخرى. وهذه الطرق عنده – أو على الأصح – أمهات الطرق هي: التهاني وما معها، والتعازي وما معها، والمدائح وما معها، والأهاجي وما معها[٣]، وكل منها يحتوي مَناحِيَ شعرية كالنسيب وغيره.

– ومن ذلك أيضًا إشارة المرزوقي في شرح «الحماسية١٤١»، وهي لبعض بني قيس بن ثعلبة، ويقال إنها لبشامة بن جزء النهشلي:

إنـــا مُحَيُّـــوكِ يا سلمى فحيينا وإن سَقيت كرام الناس فاسقينا

وإن دعـــوت إلى جُلّى ومكرمة يومـــًا سَراة كرام الناس فادعينا

قال بعد شرح البيتين: (وهذا الكلام ظاهره استعطاف لها، والقصد به التوصُّل إلى بيان شرفه، واستحقاقه ما يستحقه الأفاضل الأشراف، والأماثل الكرام، ولا سقي ثَم، ولا تحية، ولا دعاء، ولا مَغاثة. ألا ترى كيف اشتغل بمقصوده من الافتخار فيما يتلو هذا البيت؟ وهم كما يتخلصون من التشبيبات وغيرها، إلى أغراضهم على اختلافها، فإنهم قد يتوصلون بمبادئ كلامهم إلى

(١) مصطلحات النقد العربي (١٦٠، ٢٦٣).

(٢) المنهاج (٣٣٧).

(٣) نفسه (٣٤١)، وانظر (٣٥١- ٣٥٣).

أمثالها، فتقل المؤونة، وتخف الكلفة. ولهذا نظائر وأشباه تجيء فيما بعد)[١].

في السياق التاريخي:

لقد فهم الدارسون السياق التاريخي الذي تمّ فيه إبداع النصوص الشعرية القديمة، على غير وجهه الصحيح، في كثير من الأحيان. وربما كانت مسألة البداوة والحضارة من أبرز الأمثلة على ذلك، فلقد فُهمت فهمًا أساء إلى القصيدة عمومًا، والجاهلية منها على وجه الخصوص، وأسهم في تعميق ما اتُّهمت به من تفكك، بناء على سذاجة البدوي وبساطة تفكيره، وغاب عنهم أن البداوة والحضارة قد كانتا ملتحمتين متكاملتين. قال أبو حيان في الإمتاع والمؤانسة[٢]، بعد أن ذكر كثيرًا من فضائل العرب، وما خُصَّت به في جاهليتها قبل الإسلام، من مثل طول الوحدة، وصفاء الفكرة، وجودة البنية، واعتدال الهيئة، وصحة الفطرة، ومن النجدة، والقِرى، والوفاء، والبلاء، والجود، والذمام، والخطابة، والبيان، مع صواب الفكر، وذكاء الفهم: (وهذا لأنهم مع توحشهم مستأنسون، وفي بواديهم حاضرون، فقد اجتمع لهم من عادات الحاضرة أحسن العادات، ومن أخلاق البادية أطهر الأخلاق.. ومما يدل على تحضرهم في باديتهم وتبدِّيهم في تحضرهم وتحليهم بأشــرف أحـــوال الأمرين أسواقهم التي لهم في الجاهلية التي يقيمون فيها – سوقًا بعد سوق – ثم يتوجَّهون إلى أوطانهم. وهذه الأسواق كانت تقوم طول السنة، فيحضرها مَن قرب من العرب ومن بعد. هذا حديثهم، وهم هَمَل لا عز لهم إلا بالسؤدد، ولا معقل لهم إلا بالسيف، ولا حصون إلا

(١) شرح المرزوقي (١/ ١٠١ – ١٠٢).

(٢) الإمتاع والمؤانسة (٨٢).

الخيل، ولا فخر إلا بالبلاغة)[١].

قراءة المصطلح في كتب النقد والبلاغة:

أولاً: بمعنى الفنون:

قال أبو عبيدة في سياق الاحتجاج لجرير: (كان أكثرهم فنون شعر، وأسهلهم ألفاظًا)[٢]. وقال في السياق نفسه متحدثًا عن الأعشى: (له تصرف في المديح والهجاء وسائر فنون الشعر)[٣]. وقال ابن سلام على لسان أصحاب الأعشى: (هو أكثرهم عروضًا، وأذهبهم في فنون الشعر، وأكثرهم مدحًا وهجاء وفخرًا ووصفًا، كل ذلك عنده)[٤]، وقال عن كثير: (وله في فنون الشعر ما ليس لجميل)[٥].

وقد استعمل ابن طباطبا[٦]، وابن وهب[٧]، مصطلح الفنون بهذا المعنى، كما استعمله من بعدهما الأصبهاني[٨]، وابن خلدون[٩].

والفن – كما في اللسان – واحد الفنون وهي الأنواع.. والفن الضرب

(١) الإمتاع والمؤانسة (٨٢). وانظر المقابسات (٢١٢– ٢٢٢).

(٢) الأغاني (٨/ ٧).

(٣) نفسه (٩/ ١٢٩).

(٤) طبقات الشعراء (١/ ٦٥).

(٥) نفسه (٢/ ٥٤٥).

(٦) عيار الشعر (١٣).

(٧) البرهان (١٧٠). قال: وللشعراء فنون من الشعر كثيرة، تجمعهما في الأصل أصناف أربعة، وهي: المديح والهجاء والحكمة واللهو. ثم يتفرع عن كل صنف من ذلك فنون...

(٨) الأغاني (٢/ ١٤٩).

(٩) المقدمة (٣٥٣).

من الشيء والجمع أفنان وفنون[١].

وبهذا المعنى ورد تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ [الشعراء:٢٢٥] فقد قال ابن عباس: في كل فن من الكلام. وكذا قال مجاهد وغيره[٢]، وقال مجاهد: في كل فن يفتنّون كما في الطبري[٣]، وبنحو ذلك قال الحسن البصري[٤].

واستعمل المتأخرون الغرض بمعنى الفن كثيرًا، من ذلك قول الحموي: (الافتنان هو أن يفتنّ الشاعر، فيأتي بفنّين متضادين من فنون الشعر في بيت واحد فأكثر، مثل النسيب والحماسة والمديح والهجاء والغزل)[٥]. ومن ذلك قول صاحب المستطرف[٦]، بعد أن ذكر أن الناس قد قسموا فنون الشعر إلى عشرة أبواب، ونص على المرزوقي منهم بخاصة: (وقال لي عبد العزيز بن أبي الأصبع: الذي وقع لي أن فنون الشعر ثمانية عشر فنًّا، وهي: غزل ووصف وفخر ومدح وهجاء وعتاب واعتذار وأدب وزهد وخمريات ومَرَاثٍ وبشارة وتَهَانٍ ووعيد وتحذير وتحريض ومُلح وباب مفرد للسؤال والجواب).

ثانيًا: وروده بمعنى الأبواب عند أبي تمام:

عُــرف أبو تمام شاعرًا كما عُرف ناقدًا، وقد (شهد لــه معاصروه

(١) اللسان (فنن).

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٥٤).

(٣) تفسيره (١٩/ ٧٩).

(٤) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٥٤).

(٥) الخزانة (١/ ١٣٨).

(٦) المستطرف (٢/ ٣٦٩).

بعدهم بجودة الذوق والقدرة على الموضوعية الشاملة النظرة في ذلك. ثم قد ضَـمَّن شعره مسائل أخرى في النقد تجعله من المقدَّمين حقًا في هذا الباب، وهذا أمر ينبغي ألا يُغفل عنه)[1].

ومعروف أن أبا تمام أقام حماسته على أبواب ثابتة متداولة عند النقاد قبله وبعده هي: الحماسة والمراثي والنسيب والهجاء. وأضاف إليها: الأدب والأضياف والصفات والسير والنعاس والملح ومذمة النساء، وأغفل إغفالاً تامًا باب العتاب والاعتذار. فأبواب الحماسة عنده عشرة، كما يظهر من خلال ديوان الحماسة، ومن خلال الشروح عليها، باستثناء المرزوقي الذي فصَل بين الأضياف والمديح، فبلغت الأبواب بذلك عنده أحد عشر بابًا، وأغلب الظن أن هذا من عمل النسَّاخ. وكل باب من هذه الأبواب، كما يقول المرزوقي في خاتمة شرحه للحماسة: (ذو فنون من آثار العقول الصحيحة والقرائح السليمة.. واعلم أن ما جمعت منتشره، وأثرت مكتمنه، وحللت معقوده، وأعدت محذوفه، ونشرت مطويه، ومددت مقصوره من بيوت هذا الاختيار وفصوله، فإني لم أدركه إلا في مدة طويلة لا أذكر طرفيها... مع تمام البراعة، واجتماع المادة والآلة)[2].

غـير أن أبـا تمـام نظر إلى هذه الأبواب نظرة نقدية ذات أبعاد جمالية متميزة، فأدخل في بعضها ما قد يبدو غريبًا عنه، وقد أخذوا عليه ذلك، ظنًّا منهم أن الرجل يخلط بين تلك الأبواب، من ذلك:

ما دخل في باب النسيب، وليس منه في ظاهر الأمر:

(١) المرشد الجزء الرابع. القسم الأول (١٦٦).

(٢) شرح المرزوقي (٤/ ١٨٨٥– ١٨٨٦).

١- أبيات في الحنين إلى الوطن[١].

٢- أبيات في الحنين إلى الخمر، من ذلك أبيات لشُبْرُمة بن الطفيل[٢]، قال عنها الفارسي أحد شرَّاح الحماسة – وكأنه يعترض على وجودها في باب النسيب-: (ليس في هذه الأبيات نسيب، إنما فيها ذكر الشرب والقصف)[٣]، وقال المرزوقي معلّلا ذلك، ومبيّنا سر إدراجها في باب النسيب: (وأدخل هذه القطعة في باب النسيب، لرقتها ودلالتها على اللهو والخسارة)[٤].

٣- ومثل تلك الأبيات في الحنين إلى الخمر أبيات أبي محجن الثقفي، التي أوردها في الوحشيات ضمن باب النسيب أيضًا[٥].

٤- كما أدخل في باب النسيب بيتين آخرين لأبي الطمحان، وهما في الخمر، للعلة نفسها. قال المرزوقي: (وإنما جاز أن يودع البيتين باب النسيب لرقتهما، ولأن المتعلَّل به كان لذة من اللذات. وهذه عادته في أبواب اختياره)[٦].

والصلة بين المرأة والخمر قديمة في الشعر العربي قدم الشعر نفسه، من ذلك قول الشاعر[٧]:

هي الخمر في حسن وكالخمر ريقها ... ورقة ذاك اللون في رقة الخمر

(١) شرح المرزوقي (٣/ ١٣٧٧).

(٢) نفسه (٣/ ١٢٦٩).

(٣) نفسه (٣/ ٨٥).

(٤) نفسه (٣/ ١٢٧٠).

(٥) الوحشيات (١٩٢). ومثل ذلك في ص(١٨٦).

(٦) شرح المرزوقي (٣/ ١٢٦٦).

(٧) الوحشيات (١٨٦).

وقــد جُمعــت فيهــا خمور ثلاثة وفي واحد سُكر يزيد على السكر

وقد وجدنا الشاعر أبا عمر يوسف بن هارون الكندي، المعروف بالرمادي، يبكي الخمرة، لما أمر الحكم المستنصر بالله (الحكم بن عبد الرحمن) بإراقة الخمور في سائر الجهات، متوجعًا لصاحبها، ومشيرًا إلى صلتها بالنسيب، في بيتين مشهورين، قال فيهما[1]:

لخطــب الشاربين يضيق صدري وتُرمضــني بليــتهم لعمــري

وهــل هــم غير عشاق أُصيبوا بفقــد حــبائبِ ومُــنُوا بهجــر

ما دخل في باب الحماسة وليس منه:

أبيات في النسيب:

١- من ذلك ستة أبيات لجعفر بن عُلْبة الحارثي من حُرِّ النسيب، أدخلها في الحماسة، وهي:

هواي مع الركب اليمانين مصعد جــنَيب وجــثماني بمكــة مُوثَق

عجــبت لمســراها وأنى تخلصت إليّ وبــاب الســجن دونيَ مغْلق

أتتــنا فحيَّــت ثم قامت فودَّعت فــلما تولت كادت النفسُ تزهق

فــلا تحسبي أني تخشعت بعدكم لشــيء ولا أني من الموت أفرَق

ولا أن نفســي يزدهيها وعيدكم ولا أنــي بالمشي في القيد أخرق

ولكــن عــرتني من هواك صبابة كما كنت ألقى منك إذ أنا مطلق

قال المرزوقي بعد البيت الأول مباشرة: (هذه الأبيات ضمَّنها هذا الباب - أي باب الحماسة - لما اشتملت عليه من حُسن صبره على البلاء، وقلة

(١) المعجب (٦٦).

ذعره من الموت والفناء، واستهانته بوعيد المتوعِّد، وحذقه برَسَفَان المقيَّد)[١]. وقال وهو يشرح البيت الرابع، بعد أن أظهر ما فيه من استهانة الشاعر، بما اجتمع عليه من الحبس والتقييد، وتبجح عندها بالصبر على الهوى والتهالك فيه: (وبهذا دخلت الأبيات في الحماسة)[٢].

وقال أيضًا بعد الحماسيات ٧٧- ٨٠، وكلها من النسيب الذي أودعه في باب الحماسة: (وهذه المقطوعات بما اشتملت عليه من الفظاظة والقسوة، وذكر قلة الفكر في الأوطان والأحبة، وتناسي العهود والأذمة، ومفارقة الأماكن المألوفة، والحِلَل المورودة، وشكوى النفس إلى التنائي والغربة، دخلت في باب الحماسة)[٣].

٢- حماسية في المديح لأبي الغول الطهوي[٤].

٣- حماسية في الهجاء[٥].

ثالثًا: بمعنى الضروب والأنواع:

قال جرير في إجابة له عن سؤال عبد الملك أو ابنه الوليد: من أشعر الناس؟ بعد أن ذكر مجموعة من الشعراء: (نسبت فأطربت، وهجوت فأرديت، ومدحت فسنَّيت ... فأنا قلت ضروب الشعر كلها، وكل واحد

---

(١) شرح المرزوقي (١/ ٥١).

(٢) نفسه. وانظر أمثلة أخرى من هذا القبيل في الحماسيات (٢٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨٢، ٩٩، ١٠٧...).

(٣) شرح المرزوقي (١/ ٢٧٦).

(٤) انظر الحماسية رقم (٣).

(٥) انظر الحماسية رقم (١٠١). هذا وقد فات المرزوقي التنبيه على بعضها، ومنها الحماسية رقم (٩٩) التي نبَّه عليها البغدادي في الخزانة (٥/ ١٢٢).

منهم قال نوعًا منها)[١]. وقال ابن سلام: (سألت بشارًا العقيلي عن الثلاثة فقال: لم يكن الأخطل مثلهما.. قلت: فجرير والفرزدق؟ قال: كان يُحسن ضروبًا من الشعر لا يُحسنها الفرزدق)[٢]. وحكى ابن رشيق أن قومًا قالوا: الشعر كله نوعان: مدح وهجاء، وأن سائر التفريعات الأخرى تنشعب عنهما وترتد إليهما[٣].

وفي اللسان: الضرب: المثل والشبيه وجمعه ضروب.. والضرب المثال. والضرب الصنف من الأشياء. والضروب والضرائب الأشكال. وعلى ذلك وردت ضروب الرجز وغيرها[٤].

رابعًا: بمعنى البيوت:

قال القطامي:

ألم تــر للبــنيان تبــلى بيوته وتبقى من الشعر البيوت العوارم[٥]

وقال ابن سلام: (وسألت الأُسيدي، أخا بني سَلاَمة، عنهما، فقال: بيوت الشعر أربعة: فخر ومديح ونسيب وهجاء. وفي كلها غُلِّب جرير)[٦]. وبهذا المعنى ورد عند العسكري[٧]، وأبي الفرج[٨].

(١) الأغاني (٨/ ٥٣).

(٢) طبقات الشعراء (٣٧٤)، والأغاني (٨/ ٥٨)، (١٠/ ٤٢).

(٣) العمدة (١/ ٢٤٨).

(٤) اللسان (ضرب).

(٥) ديوانه (١٣١)، وانظر مصطلحات النقد (١٥٣، ٢٧٥).

(٦) طبقات الشعراء (١/ ٣٧٨).

(٧) ديوان المعاني (١/ ١٣١).

(٨) الأغاني (٩/ ٢٠٠).

خامسًا: بمعنى الأركان:

قال ابن رشيق: وقال بعض العلماء: (بُني الشعر على أربعة أركان، وهي: المدح والهجاء والنسيب والرثاء) [١]، وحكى المرزباني أن البُطَين وضع الشعر أيضًا على أربعة أركان: مدح رافع، أو هجاء واضع، أو تشبيه مصيب، أو فخر سامق[٢].

وفي اللسان: أركان كل شيء: جوانبه التي يستند إليها ويقوم بها.

سادسًا: بمعنى الأغراض:

استُعمل مصطلح الغرض بصفة خاصة، عند قدامة والرماني والآمدي وابن رشيق وحازم. قال الرماني: (أكثر ما تجري عليه أغراض الشعر خمسة: النسيب والمدح والهجاء والفخر والوصف. ويدخل التشبيه والاستعارة في باب الوصف)[٣]. وقد أشار حازم إلى رأي الرماني وابن رشيق القائل بأن التشبيه راجع إلى الوصف[٤]، وقال الآمدي مستعملاً مصطلح الغرض: (وكانوا كثيرًا ما يقولون إذا فرغوا من النسيب، وأرادوا المدح أو غيره من الأغراض، فدع ذا، فتجنَّبها المتأخرون واستقبحوها)[٥]، كما استعمله ابن حجة الحموي في الخزانة حين حديثه عن الاستتباع والاستطراد فقال: (الاستتباع هو أن يذكر الناظم معنى مدح أو ذم أو غرض من أغراض الشعر، فيستتبع معنى آخر من جنسه يقتضي زيادة في وصف ذلك الفن) [٦]. وأما الاستطــراد فهو (أن تُوهم أنك

---

(١) العمدة (١/ ٢٤٦).

(٢) الموشح (٢٧٣).

(٣) العمدة (١/ ٢٤٧).

(٤) المنهاج (٣٣٦).

(٥) الموازنة (٢/ ٢٩١).

(٦) خزانة الأدب للحموي (٢/ ٣٩٤).

مستمر في غرض من الأغراض، ثم تخرج منه إلى غيره لمناسبة بينهما)[١].

سادسًا: بمعنى الصنف:

يُعد ابن وهب من أوائل النُّقاد الذين تحدَّثوا عن المديح، والهجاء، والحكمة، واللهو، باعتبارها أصنافًا للشعر، تندرج تحتها فنون منه، ثم يتفرع عن كل صنف من تلك الأصناف فنون أخرى[٢]. وبعده جاء ابن رشيق فعقد لتلك الفنون والأصناف بابًا أسماه: باب في أغراض الشعر وصنوفه[٣]، وإن أدرج كل غرض تحت اسم باب، فعقد للنسيب بابًا، وللمديح بابًا، وهكذا.

سابعًا: بمعنى المقاصد

واستُعمل لفظ المقاصد في سياق قد يرتبط بالمقام وغيره من مقاصد المخبر والسائل، ومقاصد الإجادة والخطابة، عند الجرجاني وحازم بصفة خاصة. وقد ورد بهذا المعنى عند الجرجاني في الدلائل أكثر من عشر مرات، وعند حازم في جملة من المواضع[٤]. كما استُعمل لفظ المقاصد بمعنى الغرض، عند بعض المتأخرين كالقلقشندي، قال: (وقد يبرز الشاعر في معنى من مقاصد الشعر، دون غيره من المقاصد، ولهذا قيل: امرؤ القيس إذا ركب، وزهير إذا رغب، والنابغة إذا رهب، وعنترة إذا كلب، والأعشى إذا طرب)[٥]. على أن قول القلقشندي هذا قريب الصلة بالمعنى السابق الوارد عند الجرجاني وحازم. وهو قريب أيضًا من لفظ الطرق الشعرية عند حازم، في النصين المشار إليهما آنفًا.

---

(١) نفسه (١/ ١٠٢).

(٢) البرهان (١٧٠). وانظر العمدة (١/ ٢٤٦- ٢٤٧).

(٣) العمدة (٢/ ٧٤٨).

(٤) المنهاج (٣٣٦).

(٥) صبح الأعشى (٢/ ٣٤٤).

ثامنًا: بمعنى الأقسام:

يقول العسكري مشيرًا إلى تطور أغراض الشعر: (وإنما كانت أقسام الشعر في الجاهلية خمسة: المديح، والهجاء، والوصف، والتشبيب، والمراثي، حتى زاد النابغة فيها قسمًا، وهو الاعتذار، فأحسن فيه)[١].

تاسعًا: بمعنى المعنى:

قال ابن سلام في امرئ القيس: (هو أول من فصل بين النسيب والمعنى)[٢]. وقال فيه أبو عبيدة في الديباج[٣] – وعنه نقل ابن قتيبة في الشعر والشعراء[٤]–: (وهو الذي فتح لهم الشعر، فاستوقف، وبكى في الديار، وذكر ما فيها، ثم قال: دع ذا، رغبة منه عن المنسِبة فقال: فتبعت الشعراء أثره في هذا). والمقصود بالمعنى هنا الغرض الشعري، كما هو واضح. وتحدَّث ابن طباطبا عن التخلص من الغزل إلى المديح، بلا انفصال للمعنى الثاني عما قبله بهذا المعنى. هذا وقد نصَّ قدامة على أعلام أغراض الشعر تارة، وعلى أعلام المعاني تارة أخرى، مؤسِّسًا بذلك هذا المصطلح، وإن استعمله بنوع من الاضطراب، كما أسمى العسكري كتابه ديوان المعاني، منطلقًا في اسمه، واختيار مادته، من المعنى بهذا المفهوم، مقتديًا بقدامة. قال في مقدمة كتابه هذا: (جمعت في هذا الكتاب أبلغ ما جاء في كل فن، وأروع ما رُوي في كل نوع، من أعلام المعاني وأعيانها... جعلته اثني عشر بابًا هي أعلام معاني الشعر)[٥].

---

(١) ديوان المعاني (١/ ٩١).

(٢) طبقات الشعراء (٥٥).

(٣) الديباج (٣– ٤).

(٤) الشعر والشعراء (١/ ١٢٨)

(٥) انظر المقدمة (٧، ١٢).

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الفصل بين النسيب والغرض فصل شكلي فقط، لأنهما متداخلان، ولأن النسيب من نسيج القصيدة وصميمها، سواء داخَلها وتخللها، كما في معلقة عنترة المشوب غزلها بحماستها، أو المشوبة حماستها بغزلها[١]، أم بدا منفصلاً عنها، كما هو الشأن في كثير من القصائد التي تُفتتح بالنسيب، وإن كان التأمل والنظر يُفضيان في نهاية الأمر إلى تلكم الملابسة الخفية بينهما. كما تجدر الإشارة إلى أن بناء القصيدة، اعتمادًا على هذا الفصل بين النسيب والموضوع، أصبح – مع امرئ القيس ومن تقيّله – مقياسًا صارمًا، لدى بعض النُّقاد والشعراء، وربما فُهم ذلك عنهم على وجه غير صحيح، بلغ من صرامته أن اتُّخذ منه مقياسًا فنيًّا ثابتًا، على نحو ما تشير إليه مقولة ابن قتيبة، التي مُكّن لها كل التمكين، وقُرئت في ضوئها أشعار المتقدمين، في الوقت الذي غُيّبت فيه نصوص نقدية أخرى، لأسباب لا مجال للتفصيل فيها هنا.

وبعد، فتأسيسًا على ما سبق، ينبغي أن نُعيد النظر في مفهوم الغرض، وفق الضوابط الآتية:

– ارتباط الغرض بأعلام المعاني، أي بالمعاني الكبرى في القصيدة، وَفق رؤية شعرية خاصة، تتشكّل من خلال القصيدة برمتها، في ترابط بين وحدات القصيدة، ومعانيها الكبرى.

– ارتباطه بالقصيدة في كليّتها، وليس بالغرض المعزول الذي لا يشكّل إلا جزءًا من أجزاء القصيدة، أو عنصرًا من عناصرها، والذي كان قد حدّدت ضوابطه، وليكت مواصفاته، وفق تصوُّر، فيه كثير من التشويش والاضطراب.

– ارتباطه بتصوُّر نقدي، مُنْبَنٍ على قراءة مراعية ودقيقة لتراثنا، مغاير لما ترسَّخ وشاع في الدرس النقدي الحديث، مما هو غير صحيح، ولا دقيــق، في

---

(١) حديث الأربعاء (١/ ١٥٠– ١٥٣).

كثير من الحالات.

- ارتباطه بقراءة جديدة، تتخذ التراث الشعري والنقدي منطلقًا لها، آخذة بعين الاعتبار السياق التاريخي والمعرفي الذي تشكّل فيه ذلك التراث، كما تتَّخذ المناهج الجديدة وسيلة من وسائلها، في قراءة ذلك التراث، وتحليله، ودراسته، ونقده.

ولعل القارئ الكريم يدرك، بعد كل هذا، أنه ليس من المهم أن نحتفظ بهذا المصطلح النقدي القديم، مصطلحِ الغرض، أو نقترح بديلاً منه، من تلك الأبدال المستعملة لدى نقادنا القدامى والمعاصرين معًا، إذ لا مشاحة في المصطلح، كما يُقال، ولأنْ (تخسر صحة اللفظ الذي يرجع إلى الاصطلاح، أولى من أن تعدم حقيقة الغرض الذي يرجع إلى الإيضاح)[1]، وإنما المهم تبيُّن المفهوم تبيُّنًا واضحًا، يُزيل عنه كل لَبس وغموض، لما له من أثر بالغ في عمليتي التصور والتحليل، والتنظير والإجراء، إيمانًا منّا بالعلاقة الجدلية القائمة بين الرؤية والمنهج، والنظرية والتطبيق.

فهرس المصادر والمراجع

أولاً: فهرس المصادر

- أســـرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني، تحقيق المستشرق ريتر، دار المسيرة، بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٨٣.
- الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والمخضرمين (حماسة الخالديين) لأبي بكر وأبي عثمان الخالديين، تحقيق محمد يوسف،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٥٨.
- أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد) للشريف المرتضى، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٦٧.

---

(١) المقابسات (٣٠٠).

– الإمتاع والمؤانسة، لأبي حيان التوحيدي، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين، المكتبة العصرية، بيروت.
– البديع في البديع لأسامة بن منقذ، تحقيق علي مهنا، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٧.
– بيان إعجاز القرآن للخطابي (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) تحقيق محمد خلف الله أحمد، والدكتور محمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، الطبعة الرابعة.
– البيان والتبيين للجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الطبعة الرابعة.
– تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن لابن أبي الأصبع المصري. تحقيق الدكتور حنفي محمد، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة التراث الإسلامي، الجمهورية العربية المتحدة.
– جوهر الكنز لنجم الدين ابن الأثير، تحقيق الدكتور محمد زغلول سلام، منشأة المعارف بالإسكندرية.
– الحيوان للجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت ١٩٩٢.
– خزانة الأدب لتقي الدين الحموي، تحقيق عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٧.
– خزانة الأدب للبغدادي، تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة المدني، القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٨٨.
– الخصائص لابن جني، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت.
– دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٨٩.
– ديوان أبي تمام بشرح التبريزي، تحقيق محمد عبده عزام، دار المعارف بمصر ١٩٦٤.
– ديوان عمرو بن الأهتم (شعر الزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم). تحقيق الدكتور سعود محمود عبد الجابر. مؤسسة الرسالة ١٩٨٤.
– ديوان المعاني لأبي هلال العسكري، دار الحيا، بيروت.
– ديوان النمري (شعر منصور النمري)، جمعه وحققه الطيب العشاش، دمشق ١٩٨١.

- الزيـــنة في الكلمات الإسلامية العربية لأبي حاتم الرازي، تحقيق حسين بن فيض الله الهمداني، مركز الدراسات والبحوث اليمني، الطبعة الأولى ١٩٩٤.
- شـــرح اخـــتيارات المفضَّل للتبريزي، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٧.
- شـــرح الحماسة للمرزوقي (شرح ديوان الحماسة)، تحقيق أحمد أمين وعبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩١.
- شـــرح القصـــائد السبع الطوال الجاهليات لابن الأنباري، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف بمصر.
- شرح الكافية البديعية لصفي الدين الحلي، تحقيق نسيب نشاوي، دمشق ١٩٨٢.
- شـــروح سقط الزند، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة ثالثة ١٩٨٧، مصورة عن دار الكتب.
- الشعر والشعراء لابن قتيبة، تحقيق العلامة أحمد محمد شاكر، دار المعارف بمصر ١٩٦٦.
- الصـــبح المنبي عن حيثية المتنبي للشيخ يوسف البديعي، تحقيق مصطفى السقا ومحمد شتا وعبده زيادة عبده، الطبعة الثانية، دار المعارف.
- الصـــناعتين لأبي هـــلال العسكري، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي.
- طبقات فحول الشعراء لابن سلاَّم الجمحي، تحقيق محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة.
- طيـــف الخيـــال للشريف المرتضى، تحقيق حسن كامل الصيرفي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٦٢.
- العمـــدة في محاســـن الشعر وآدابه لابن رشيق، تحقيق الدكتور محمد قرقزان، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٨.
- عيـــون الأخبار لابن قتيبة، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.
- الغيث المسجم في شرح لامية العجم للصفدي، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٩٠.

- الكامل للمبرِّد، تحقيق الدكتور محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٩٣.
- لسان العرب لابن منظور، دار صادر، بيروت.
- المفضليات للمفضل الضبي، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف بمصر، الطبعة الخامسة.
- المقابسات لأبي حيان التوحيدي، تحقيق محمد توفيق حسين، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٩.
- منهاج البلغاء لحازم القرطاجني، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثالثة ١٩٨٦.
- الموازنة للآمدي، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، الطبعة الرابعة.
- الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء للمرزباني، تحقيق علي البجاوي، دار النهضة، مصر ١٩٦٥.
- نفحات الأزهار على نسمات الأسحار لعبد الغني النابلسي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٨٤.
- نقد الشعر لقدامة بن جعفر، تحقيق كمال مصطفى، الطبعة الثالثة.
- النكت في إعجاز القرآن للرماني، (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن).

ثانيًا: فهرس المراجع

- إشكالية القراءة وآليات التأويل، للدكتور نصر حامد أبو زيد، المركز الثقافي العربي، الطبعة الثانية ١٩٩٢.
- انفتاح النص الروائي لسعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى ١٩٨٩.
- البلاغة تطور وتاريخ، للدكتور شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، الطبعة السادسة.
- المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، الدكتور عبد الله الطيب، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٧٠.
- المشاكلة والاختلاف للدكتور عبد الله الغذامي، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى ١٩٩٤.
- الممنوع والممتنع (نقد الذات المفكرة) لعلي حرب، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى ١٩٩٥.

فهرس موضوعات مجلة اللسان العربي

من العدد ١-٤٧

(القسم الخامس)[1]

حرف الميم

إعداد: أ.عدنان عبد ربه

معجم الفقه والقانون في الميزان	نقابة المحامين الأردنيين	٥٢٥/٦
المعجم الفقهي المالكي	أ. عبد العزيز بنعبد الله	٢١٥/٤
المعجم الفلاحي العربي	أ. عبد اللطيف عبيد	٢٩٧/١/١٧
معجم الفنون الجميلة	المكتب الدائم للتعريب	١٠٣/٢
معجم الفنون الجميلة والترفيهية والإذاعة والتلفزة...	أ. عبد العزيز بنعبد الله	٢٠٨/٢/١٠
معجم الفيزياء .. (اقتراحات وتصحيحات)	أ. فتحي قدورة	٣٤٧/٢/٧
معجم الفيزياء أو الطبيعة	إعداد وزارة التربية «ج.ع.م» تنسيق المكتب الدائم للتعريب	٦٥/٣/٨
المعجم القياسي أو معجم المتواردات	أ. عبد العزيز بنعبد الله	٣/٢/١٨، ٢٢٩/٢٠

(١) نشر القسم الأول في المجلد ٧٦ الجزء الرابع، ونشر القسم الثاني في المجلد ٧٧ الجزء الثاني، ونشر القسم الثالث في المجلد ٧٨ الجزء الثاني، ونشر القسم الرابع في المجلد ٧٩ الجزء الرابع.

معجم الكيمياء	ملاحظات اللجنة الأردنية للتعريب والترجمة والنشر	٣٥٣/٢/٧
معجم الكيمياء	إعداد: وزارة التربية «ج.ع.م» تنسيق: المكتب الدائم للتعريب	٦٤/٢/٨
معجم اللغة العامية بتطوان	أ. محمد داود	٢٦٢/٣
معجم المترولوجيا القانونية (علم القياس القانوني)	تقديم: أ. فؤاد حمودة	٢٧٢/٢٤
معجم المتواردات	أ. عبد العزيز بنعبد الله	٢١٧/٢٢١،٢٢/٢١، ٢٥٩/٣٠٥،٢٦/٢٣، ٢٣٥/٢٨
معجم المرأة	أ. عبد العزيز بنعبد الله	١٨/٣/١٠
معجم المصطلح اللساني (إنكليزي – فرنسي – عربي)	د. عبد القادر الفاسي الفهري	١٣٩،٢٦/٢٣/ ٢٥٩/١٩٣،٢٧، ٢١٧/٢٨
معجم مصطلحات البتروكيمياء (فرنسي – إنكليزي – عربي)	د. مصطفى ديبون	١٩٩/٢٣
معجم المصطلحات التقنية الإخراطية	المكتب الدائم للتعريب	١٢٣/٢/٧
معجم المصطلحات الحديثية	د. نور الدين عتر	٢١٥/١/١٤
معجم المصطلحات الصوتية (إنكليزي – عربي) لكتاب «الصوتيات» لمالمبرج	د. محمد حلمي هليّل	١٠٧/٢٣

معجم مصطلحات صيانة الطبيعة	تعريب: أ. عبد الحق فاضل	٢٠٦/١/١٢
معجم مصطلحات ضبط الجودة إنكليزي – عربي	المنظمة الدولية لضبط الجودة	٢١٧/٢٣
معجم مصطلحات العلف والمراعي.	د. محمد السيد رضوان ود. عبد الله الفخري	٢٣٧/٢١
معجم مصطلحات علم الاجتماع	د. عزت حجازي ود. أحمد زكي بدوي	٣٢٨/١٣
معجم مصطلحات علم حياة الجهاز العصبي	د. صادق الهلالي	١٩٧/٢٩،١٢١/٢٨
معجم مصطلحات علم اللغة الحديث (عربي إنكليزي، وإنكليزي عربي) وضع نخبة من اللغويين العرب	بقلم: أ. عبد المجيد الماشطة	١٣٧/٢٤
معجم مصطلحات علم المتحجرات (إنكليزي – عربي)	د. فاروق صنع الله العمري	١٧٥/٢٨
معجم المصطلحات العلمية	د. ممدوح حقي	٤٣٨/١/٩
معجم المصطلحات العلمية، وألفاظ الحضارة في مواجهة الغزو اللغوي الوافد	د. خليل عودة	٥٦/٣٩
معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية (إنكليزي – فرنسي – عربي) للدكتور أحمد زكي بدوي	بقلم: د. عدلي عبد العزيز مصطفى	٢٦٨/١/١٧

معجم مصطلحات العلوم الإدارية	د. أحمد زكي بدوي عرض: أ. مساعد عبد الله مساعد	٣٥٦/٢٦
معجم مصطلحات علوم البيئة (إنكليزي – عربي)	د. فاضل حسن أحمد	٣٢/ ١٧٧،٣٦/ ٢١٩/٢٦٣،٣٧، ٤٠/١٩١،٤١/ ٤٢،١٠٣/٢٢٢، ٤٣/٤٤،٢٢٧/ ١٩٦
معجم مصطلحات القوى العاملة (إنكليزي – فرنسي – عربي)	إعداد د. أحمد زكي بدوي ود. محمد كمال مصطفى، عرض: أ. مساعد عبد الله مساعد	٣٥٧/٢٦
معجم مصطلحات القياس النفسي (إنكليزي – عربي)	د. عبد الرحمن عيسوي	٢٧٥/٢٢
المعجم المصور	المكتب الدائم للتعريب	٢٧٥/٣، ٢٩٦/٤
معجم المعاجم العربية المؤلفة خلال مئة عام	أ. الصديق بن العربي	١٦٠/٢/٧
معجم المعاجم العربية (ملحق)	المكتب الدائم للتعريب	٢٤٧/٣/١٠
معجم المعاني	أ. عبد العزيز بنعبد الله	٣٢٥/٦، ٧/ ٢/ ٢٠٨، ٢/٩/٣٨٥
معجم المعاني	أ. محمد عنبر	٣٦/٢/٨
معجم المعاني و«قل ولا تقل»	الاتحاد البريدي العربي (القاهرة)	٣٩/٢/٨

معجم المغرب التاريخي	أ. عبد العزيز بنعبد الله	١٦٤/٣
معجم مفردات علم المصطلح	مؤسسة ايزو	٢٠١/٢٢
معجم مفردات علم المصطلح (إنكليزي – فرنسي – عربي) مواصفة ايزو (١٠٨٧)	ترجمة: هيئة المواصفات والمقاييس العربية السورية	٢٠٣/٢٤
المعجم المفصل لأسماء الملابس عند العرب	رينهارت دوزي تعريب د. أكرم فاضل	٥/٢١٥، ٨/٣/٢٥، ٩/٢/١٠، ١٠/٣/١٥٤
معجم الملابس	أ. عبد العزيز بنعبد الله	١٠/٢/١٣٦
المعجم الملاحي البحري فرنسي – عربي	أ. عبد العزيز بنعبد الله	١٧/٢/٣٢٦
المعجم المنزلي	أ. عبد العزيز بنعبد الله	٧/٢/٢٣١، ١٠/٣/٢٥٢
المعجم المنهجي لعلم المصطلحات (عربي – فرنسي)	ترجمة: أ. عصام عمران	١٩١/٣٦
المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات	د. مصطفى غلفان	١٤٦/٤٦
المعجم الموسوعي للمعرب والدخيل في اللغة العربية	د. مناف مهدي الموسوي	٣٧/٤٠، ٢٧٤/١٦٧
معجم النبات	إعداد: وزارة التربية «ج.ع.م» تنسيق المكتب الدائم للتعريب	٨/٢/١٩٧
معجم النبات الأصيل	أ. عبد العزيز بنعبد الله	١٢/٢/٥

معجم النباتات المفيدة إنكليزي – لاتيني – فرنسي – عربي	منظمة الأمم المتحدة للتغذية والزراعة	٢٩٣/٢٢
معجم الهيدروجيولوجية وعلم المياه الجوفية (إنكليزي – فرنسي – عربي)	أ. محمد بن زيان	٩٢/٢/١٢ من اليسار
معجم الوسائل التعليمية لمعلمي اللغات...(إنكليزي – عربي)	د. محمود إسماعيل صيني وأ. عمر الصديق عبدالله	٢٤٩/٢٠
المعجم واللغات الأجنبية	–	١٤٥/٤٦
معجما الدم والعظام في الميزان	مكتب تنسيق التعريب	١٤٤/١٣
معجمات وقوائم مصطلحية	–	١٩٥/٤٤
المعرّب والدخيل ضروريان لازدهار اللغة...	أ. نور الدين صمود	١٨٦/١/١٤
المعرّب والدخيل في اللغة العربية	د. مناف مهدي الموسوي	٩٩/٣٤
معرض الكتاب العربي	المكتب الدائم للتعريب	١٣٨/٢
معرض الكتاب المدرسي العربي	المكتب الدائم للتعريب	١٥٣/١
معركة العربية في الجزائر	د. محمود عبد المولى	١٣/١/٩
معركة الفصحى والعامية في الصين	أ. عبد العزيز بنعبد الله	٣١٧/٥
المعلمة العربية	المكتب الدائم للتعريب	٢٧١/١/٨، ٢٢٣/١/٩
معلمة مركزة من القبائل والمدن والقرى	مكتب التعريب	٣٢٨/١/٧
معهد تعليم العربية لغير العرب	جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية	٣٠٨/٢٤

مفاهيم وإصطلاحات في التربية وطرق التدريس.. (إنكليزي – عربي)	د. رشدي أحمد طيمة	٧١/٢/١٧
المفــردات الشــائعة في الــلغة العربية للدكتور داود عبده	بقلم: أحمد أسلمو	١٧٤/١/١٩
المفقــود مــن اللغة العربية موجود في معاجم مرقمة	(مجلة الأسبوع العربي)	٤٥/٢/٨
مفهــوم البنية العميقة بين جومسكي والدرس النحوي العربي	د. مرتضى جواد باقر	٥/٣٤
مفهوم تنسيق التعريب	المكتب الدائم للتعريب	١٧٧/١/١٥
مفهــوم الخَزَاز والطحْلب والأُشْن في اللغة والطب وعلم النبات	أ. الحسن بنلفقيه	١٧٥/٣٦
مفهوم «حياة اللغة» وأسس تطوير اللغة	أ. محمد الهادي الطرابلسي	١٧٠/١/١٤
المفهومــات الأساسية للتحليل اللغوي عند العرب	د. عبد الرحمن أيوب	١٣/١/١٦
مقــابلات مــع شخصيات علمية مع الأستاذ الفاضل ابن عاشور	المكتب الدائم للتعريب	٣١٤/٤
مقابلات مع صحف عربية		= رحلة الأمين العام إلى العواصم العربية
مقابلة مع الأستاذ إبراهيم الكتاني	المكتب الدائم للتعريب	٣١٦/٤
مقارنــات بــين المصطلحات القانونية العربية والأجنبية	أ. عبد الرحيم بن سلامة	٣٣/٢/٧
مقارنــات خفيفــة بين متنبي المشرق ومتنبي المغرب	أ. أبو القاسم كرو	٨٧/٤

ملاحظات حول: مصطلحات الإعلامية	المكتب الدائم للتعريب	٢٦٩/٢/١٦
ملاحظات حول: مصطلحات التنمية الاجتماعية	المكتب الدائم للتعريب	٢٢٥/٢/١٦
ملاحظات حول: مصطلحات الخرسانة	د. محمود فيصل الرفاعي	٢٩٤/٢٧
ملاحظات حول: مصطلحات الطرق والنقل البري... (إنكليزي – فرنسي – عربي)	إدارة النقل والمواصلات لجامعة الدول العربية	٧٥/٢/١٥
ملاحظات حول: «مصطلحات علم الوراثة والعلوم الوراثية» ومقترح لمصطلحات علوم الوراثة	د. صادق الهلالي د. سفيان العسولي	١٥٧/٢٢
ملاحظات حول: مصطلحات العلوم الهندسية للدكتور محمود فوزي حمد	د. فيصل الرفاعي	١٩٧/٢٢
ملاحظات حول: «مصطلحات الملكية الصناعية»	د. عدنان شفيق فهمي	٣٠٦/١/١٧
ملاحظات حول: معجم ألفاظ الفلاحة في شمال الأردن للدكتور عبد العزيز طشطوش	بقلم: د. محمد علي الزركان	٢١٨/٣٨
ملاحظات حول معجم الدبلوماسية والشؤون الدولية (مقاربة لسانية)	د. ليلى المسعودي	١٦٤/٤٦
ملاحظات حول معجم صيانة الطبيعة	أ. عبد الحق فاضل	٢٨٢/١/١٢
ملاحظات حول: المعجم الطبي الموحد	د. صادق الهلالي	٧٦/٢٣

ملاحظات منهجية حول الدراسات الاجتماعية في الوطن العربي	د. محمود عبد المولى	١٥٨/١/١٠
ملاحظات لجنة الكيمياء المركزية المكونة من خبراء عرب بالرباط	لجنة الكيمياء المركزية	٢٩٣/٤
ملاحظات المكتب حول المعاجم في المؤتمر الثالث للتعريب	المكتب الدائم للتعريب	٩١/٣/١٥
ملاحظات وأفكار حول: ورقة عمل ندوة توحيد منهجيات وضع المصطلح	د. أحمد شفيق الخطيب	١١٣/٢٤
ملاحظات ومقترحات مجمع اللغة العربية بالقاهرة (على معجم الكيمياء)	مجمع القاهرة	٢٦٣/٤
ملاحظات ومقترحات وزارة التربية والتعليم الأردنية (على معجم الكيمياء)	وزارة التربية والتعليم بالأردن	٢٩١/٤
ملامح من حياة اللغة العربية	د. مناف مهدي محمد	٣٧/٣١
الملتقى العربي الإفريقي في السنغال ١٩٨٤	–	= افتتاحية العدد ٢٣
ملحق معجم الإعلامية إنكليزي – فرنسي – عربي	م. مصطفى بنموسى	٧٥/٢/١٧
ملحق معجم البترول	إعداد المكتب الدائم للتعريب	٥٢٥/٢/٨
ملحق معجم الجيولوجيا	إعداد المكتب الدائم للتعريب	٢٩٩/٣/٨
ملحق معجم الحيوان	إعداد المكتب الدائم للتعريب	٤١٤/٢/٨
ملحق معجم الرياضيات	إعداد المكتب الدائم للتعريب	٦١٦/٣/٨
ملحق معجم الفيزياء أو الطبيعة	إعداد المكتب الدائم للتعريب	١٣٥/٣/٨

ملحق معجم الكيمياء	إعداد المكتب الدائم للتعريب	١٤٣/٢/٨
ملحق معجم المرأة	أ. عبد العزيز بنعبد الله	٨٥/٣/١٠
ملحق معجم المصطلحات الطبية	وزارة الصحة في جمهورية مصر	٤٧٩/٦
ملحق معجم الملابس	أ. عبد العزيز بنعبد الله	٢٠١/٢/١٠
ملحق معجم النبات	المكتب الدائم للتعريب	٢٧٩/٢/٨
ملحوظات بشأن معجم المالية	المكتب الدائم للتعريب	٢٠٧/١/١١
ملف اللقاء الضبي الأول (المفاهيم والمصطلح: الماضي التأملي والواقع العلمي)	المكتب الدائم للتعريب	٩/٤٣
ملف المجلة		٢٩٣/٢٧
من أجل مفهوم أدق للاشتقاق	د. عبد الجبار محمد علي	١٥/٢٥
من أسرار العربية في البيان القرآني	د. عائشة عبد الرحمن	١١/١/٨
من الأنواع النباتية لجزيرة العرب	د. محمد نذير سنكري	٣٤٥/٢/١٨
من التراث اللغوي (التركيب)	د. محمد عبد السلام شرف الدين	١٠٨/١٣
من خصائص اللغة العربية	أ. أحمد عبد الرحيم السايح	٣٨/١/٨
من خصائص اللغة العربية	أ. محمد السيد علي بلاسي	١٠٢/٣٧
من رسالة الطرق إلى القاموس التقني للطرق...	المهندس أنيس شباط	٦٣/٢/٧
من روائع تراثنا: غراس الأساس لابن حجر	تحقيق وتعليق: د. توفيق محمد شاهين	٨٧/٢٩
من عجائب التصغير في بعض الكلمات	أ. محمد بن تاويت	٧١/١/١٦

مؤتمر توحيد المصطلحات العلمية	المكتب الدائم للتعريب	٥٦/٢/٧
المؤتمر الثالث لوزراء التربية العرب بالكويت	المكتب الدائم للتعريب	٥٨٩/٦
المؤتمر الثاني للتعريب	المكتب الدائم للتعريب	٢٥٤/١/١١
مؤتمر الشؤون الثقافية في الوطن العربي	المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم	٢١٨/١/١٥
المؤتمر العام الرابع لاتحاد الجامعات العربية حول تعريب التعليم العالي	المكتب الدائم للتعريب	٢٠٥/٢١
المؤتمر العلمي العربي السادس بدمشق ١٩٦٩	د. عبد الحليم منتصر	٣٤٩/١/٧
مؤتمر اللغة العربية في الجامعات واقعها ووسائل الارتقاء بها/ الإسكندرية	المكتب الدائم للتعريب	١٩٢/١/١٩
مؤتمرات التعريب	المكتب الدائم للتعريب	٢٥١/١/١٦
مؤتمرات التعريب ودورها في توحيد المصطلح العربي	أ. عبد العزيز بنعبد الله	١١/١/١٩
مؤتمرات وندوات		٢٧٥/١/١٧، ١/١٩/ ١٨٢
مؤتمرات وندوات واجتماعات		٢٠٣/٢١،٢٦/٣٣٦
المؤثرات الفاعلة في التراكيب اللغوية (دراسة موجزة عن طبيعة الذات اللغوية للسان العرب)	د. لطيف الخياط	٧٣/٤٢
المؤسسات والمعاهد العلمية	المكتب الدائم للتعريب	٢٨٥/٢٤
مؤسسة التعريب والترجمة في دمشق	المكتب الدائم للتعريب	٩/٣/١٠

حرف النون

نحو إنشاء بنك المصطلحات المركزي في الوطن العربي	د. علي القاسمي	١٠٩/١/١٦
نحو تطوير بنوك المصطلحات	د. علي القاسمي	٧٧/٢٨
نحو التعريب في مجال العلوم والتكنولوجيا	د. دفع الله الترابي	٧٧/١/١٤
نحو تعليم المصطلحيات والتدريب عليها... مشروع للعالم العربي	د. محمد حلمي هليّل	١٠١/٣٢
نحو تفصيح العامية في العالم العربي	أ. عبد العزيز بنعبد الله	١٢/١ ٩/ ١/ ٤٨٩
نحو تفصيح العامية في الوطن العربي (دراسات مقارنة بين العاميات العربية)	أ. عبد العزيز بنعبد الله	٥٢٩/٢/٩
نحو تنسيق أفضل للجهود الرامية إلى تطوير اللغة العربية	د. تمّام حسان	٢٨٤/١/١١
النحو العربي بين التخصص والتعليم	د. محمد خان	٩١/٤٥
نحو معجم مصور للعلوم الطبية فرنسي – عربي – إنكليزي	د. عبد الحفيظ هلايدي	٤٧/٤٣
النحو من القرآن الكريم ١ – تقويم جديد لكاد وأخواتها	د. محمود عبد السلام شرف الدين	١١٦/١/١٢
نحو منهج محدد في الدراسات اللغوية	د. محمد خليفة الأسود	٤٩/٣٧
نحو منهجية شاملة للعمل المصطلحي	أ. فارس الطويل	٢٢٥/٣٩
نحو نظام عربي للرموز العلمية	د. أحمد سعيدان	٣٩/٢٧
نحو نظرية وظيفية لنحت المصطلحات في اللغة العربية	د. حسن عطية طمان	١٤١/٣٧

نداء الأمين العام لجامعة الدول العربية	الأمين العام لجامعة الدول العربية	٥/١
ندوات	–	١٨/ ١/ ١٧٣
الندوات: ماهيتها وأهدافها	أ. أحمد المحلاوي	٣٦٥ /١/٧
ندوات واجتماعات	–	٢٧١ /٣٦
ندوات وتوصيات	المكتب الدائم للتعريب	٢٥٩/٢٤
ندوة اتحاد المجامع العلمية اللغوية العربية في الرباط ١٩٨٤ (تعريب التعليم العالي والجامعي)	إعداد: أ. جواد حسني عبد الرحيم	٢٥٩/٢٤
ندوة اجتماع خبراء الحسابات القومية بالدول العربية الرباط – ١٩٨١	المكتب الدائم للتعريب	٢١٦/١/١٨
ندوة إشكالية المنهج والمصطلح النقدي ... الرباط ١٩٨٥	عرض وتلخيص: أ. جواد حسني عبد الرحيم	٢٦٤/٢٤
الندوة الأولى للذخيرة اللغوية العربية بالجزائر...	المكتب الدائم للتعريب	٢٧١/٣٦
ندوة التاريخ العلمي للعرب	معهد التراث العلمي العربي	٧٠/١/١٥
ندوة تأليف كتب التعليم العربية للناطقين باللغات الأخرى/ الرباط ١٩٨٥	المكتب الدائم للتعريب	٢٨٩/١/١٧
ندوة التعاون العربي في مجال المصطلحات	المكتب الدائم للتعريب	٢٦٩/٢٨
ندوة تعريب الكيمياء/ تونس ١٩٧٩	اتحاد الكيميائيين العرب	٢٧٦/١/١٧

ندوة تعريب المواد القانونية بكلية الحقوق والمعاهد العليا بتونس	أ. رشيد عبد الحق	٢٠٩/٢١
ندوة تنميط الأسماء الجغرافية/ تونس ١٩٨١	المكتب الدائم للتعريب	١٧٩/١/١٨
ندوة توحيد منهجيات وضع المصطلح العلمي العربي/ الرباط ١٩٨١	المكتب الدائم للتعريب	١٧٥/١/١٨
ندوة حول فلسطين العربية	المكتب الدائم للتعريب	٢٤٧/٣
ندوة دراسة معاجم مؤتمر التعريب السابع	المكتب الدائم للتعريب	٢٩٢/٣٧
الندوة السابعة لتوحيد وتعريب مصطلحات الألعاب الرياضية	المكتب الدائم للتعريب	٣٠٠/٣٧
الندوة العالمية حول المشكلات النظرية والمنهجية في علم المصطلحات/ موسكو ١٩٧٩	المكتب الدائم للتعريب	٢٨٧/١/١٧
الندوة العالمية لتاريخ العلوم عند العرب	معهد التراث العلمي العربي	٧٠/١/١٥
ندوة لدراسة الألفاظ ومفاهيمها في التعليم الابتدائي	المكتب الدائم للتعريب	١٥١/١
ندوة اللغة العربية بالجامعة الأردنية ١٩٨٢	المكتب الدائم للتعريب	٢٠٧/٢١
ندوة مشكلات اللغة العربية على مستوى الجامعة/ الكويت ١٩٧٩	المكتب الدائم للتعريب	٢٨١/١/١٧

النظائر في القرآن الكريم بين مقاتل بن سليمان البلخي ومحمد بن علي الحكيم الترمذي	د. محمد الشاذلي	١١٦/١/١٥
نظرة جديدة إلى المعجم العربي (مراحل تشكل نظام المعجم العربي واكتماله)	د. جعفر دك الباب	٨٣/٢٦
نظرة في آراء مطروحة للمناقشة	أ. محمد شيت صالح الحيلاوي	٨٣/٢٣
نظرة في حاضر العربية، وتطلع نحو مستقبلها	د. محمد راجي الزغلول	٢١/١/١٨
نظـرة في الصلات العربية الفارسية حتى مطلع الإسلام	د. محمد التونجي	١٢٦/١/٧، ١٥٩/١/٨
نظرة في معاجمنا اللغوية	أ. عيسى فتوح	١٦١/١/١٦
نظـرة في معجم الطحانة والخبازة والفرانة	د. صـلاح الديـن الكواكبي	٣٢٣/٢/٧
نظرة في منجد الآداب والعلوم	أ. عبد الله كنون	١١٣/١
نظرة معجمية سريعة	أ. عبد الحق فاضل	١٠/٢/٧
نظرية جديدة في دراسة بنية اللسان العربي	د. جعفر دك الباب	٩/٣٢
الـنظرية الخاصـة في علم المصطلح وتطبيقاتها في مهنة المحاماة	د. علي القاسمي	١١١/٤٥
الـنظرية العامة لوضع المصطلحات وتوحيدها وتوثيقها	د. علي القاسمي	٧/١/١٨

حرف الهاء

هجمات الصهاينة على اللغة العربية في فلسطين المحتلة	تقرير الوفد الفلسطيني في المؤتمر الثالث للتعريب	٤٢/٣/١٥
ابن هشام اللخمي وآثاره مع العناية بكتابه «شرح الفصيح»	د. عبد الكريم عوفي	١٠٢/٣٨
هل كانت العربية لغة خليل الرحمن؟	أ. علي الخطيب	٤٧/١/٨
هل اللغة العربية صعبة؟ كيف يمكن تيسيرها؟	أ. رشاد دارغوث	٥٦/٥
هل يعدُّ معجم الاستشهادات معجمًا	د. علي القاسمي	٢٠١ /٤٧
همُّ العالمين	للشاعر عمر بهاء الدين الأميري	٣٧١/٤
الهيئة المغربية لموسوعة المغرب العربي	المكتب الدائم للتعريب	١٢٤/٣

حرف الواو

واحات الفصحى	أ. عبد العزيز بنعبد الله	٥١٣/١/٩
وثيقة جديدة حول العامية في المغرب والأندلس	أ. جورج كولان	٧٢/٢
وثيقة المؤتمر الثاني للتعريب	المكتب الدائم للتعريب	٢٧١/١/١١
وجوب إعداد المراجع العلمية بالعربية في المستوى الجامعي	د. أحمد محمد حسين	١٧٢/٥
وجوب الاهتمام بتعريب جميع مظاهر الحياة العربية مع رفع مستوى الكتاب العلمي	جامعة الكويت	١١٥/٥

الوعي الإسلامي ولغة القرآن	ثلة من أساتذة كلية الشريعة (دمشق)	٦/ ٢٠١
الوعي الإسلامي يقوى بانتشار اللغة العربية	أ. حسني المحتسب وأ. نديم عدي	١١٧/١/٧
الوقف على المختوم بالتاء وطبيعة ذلك الوقف	د. أحمد كشك	١٢٠/١/١٧

معجم مصطلحات الصيدلة والعقاقير

في كتاب القانون لابن سينا

(القسم الحادي والعشرون)(*)

د . وفاء تقي الدين

تُرْمُس**

ترمس ١: ٢٤٦، ٢٦٢، ٣٠٩، ٣٢٠، ٣٤٢،
٣٨٠، ٣٨٥، ٤٢٧، ٤٤٤، ٤٥٧/ ٢:
١٨٥، ١٩٨، ٢٠٥، ٣٦٥، ٣٩١، ٤١٣.
٤١٦، ٥٧١/ ٣: ٧٢، ١٢٢، ١٣٣،
٢٧٤، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨١، ٣٣١

(*) نُشرت الأقسام العشرون السابقة في مجلة المجمع (مج٦٧: ص٧٤، ٤٢٨) و (مج ٦٩: ص ٣٤١، ٥٢٥) و (مج ٧٠: ص٧٥، ٣٠٣) و (مج ٧١: ص ٣٠٩، ٦٠٣) و (مج ٧٢: ص ١١٧، ٣٢٣، ٧٤٧) و (مج٧٣: ص ١١٧) و (مج ٧٥: ص ١٥٣) و (مج ٧٦: ص ١٣٥، ٦١١) و (مج ٧٧: ص٥٢٥) ومج (٧٩: ص٧١، ٣٣٣ ، ٦٢٥، ٨٣٧).

** كتاب ديسقوريدس ١٨٧، وكتاب النبات ٧٢، والحاوي ٢٠: ٢٠٧، والملكي ١: ١٨٣/ ٢: ١١٢، ومفاتيح العلوم ١٦٨، والصيدنة ١١٢، ومنهاج البيان ٥٨ أ، والمختارات ٢: ١٨٨، ومفردات ابن البيطار ١: ١٣٤، والمعتمد ٤٩، والشامل ١٢٩، وما لايسع الطبيب جهله ١٢٤، وحديقة الأزهار ٢٩١ (٣١٧)، وتذكرة داود الأنطاكي ١: ٨٧، ومعجم الدكتور أحمد عيسى ١١٢ (١٣)، ومعجم الشهابي ٤٠٠، والمعجم الموحد ١٢٩، والقاموس المحيط، ولسان العرب، وتاج العروس (ترمس)، والمعجم الوسيط ١: ٨٤، وصحاح المرعشلي ١٠٩.

مطبوخ الترمس المر ٢: ٣٦٦

نقيع الترمس ١: ٣١٠

ذكره ابن سينا في أدويته المفردة فقال: «الماهية: زعم ديسقوريدس أن الترمس منه ماهو بستاني، ومنه ماهو بري. والبري أصغر من البستاني وهو شبيه بالبستاني، ويصلح لكل مايصلح له البستاني. وكلاهما حب مفرطح الشكل، مر الطعم، منقور الوسط، وهو الباقلّى المصري»

تابع ابن سينا في قوله إن الترمس هوالباقلاء المصري كثيرون، منهم الخوارزمي مؤلف مفاتيح العلوم، وابن جزلة، وابن هبل، وداود الأنطاكي. على حين قال أبو حنيفة في كتاب النبات: «ترمس: الجِرجِر المصري، وهو من القطاني». وقال البيروني: «ترمس: يقال له الجرجر المصري .. الرازي: حب مثل الباقلى مر الطعم، وكِركِر هو الباقلى المصري، فإذا تأملتهما لم تجد بينهما تشابهاً غير ماجرت به العادة، لأن حبه مدور مفرطح أبيض يقق، ومنابت أوراقه كمنابت أوراق الملوكية إلا أن استدارتها مشققة ..» وخطأ مؤلف الشامل في كلامه على الباقلاء من قال إن الباقلاء المصري هو الترمس[1]. وفي الكلام على الترمس وصفه وصفاً شاملاً حيث قال: «هو حب معروف مفرطح بين الاستدارة والتربيع، منبسط، مر الطعم، وإذا نقع في الماء والملح أياماً كثيرة ذهبت مرارته، ويطبخ بعد ذلك ليطيب أكله. ومنه بري، ومنه بستاني والبري أصغر حجماً وأشد مرارة. ونباته منتصب يزيد طوله على قامة، وورقه كورق الزيتون إلا أنه ألين وأخضر، وعلى رأس كل قضيب خمس ورقات مجتمعة في أسفله وقد تكون ستة، وساقه غليظ، وله أصل غليظ. ونَوْر البستاني منه إلى البياض، ونور البري إلى الزرقة». وقد ذكرت المراجع الطبية فوائد كثيرة لحب هذا النبات، وهو عند أكثرهم دواء أكثر منه غذاء، أو هو دواء في حال مرارته وغذاء بعد تحليته.

الاسم العلمي للترمس هو Lupinus جنس نباتات زراعية من الفصيلة

(١) انظر ما جاء عن الباقلاء المصري في مادة (باقلاء) التي سبقت.

القرنية والقبيلة الفراشية، له أنواع منها الترمس الشجري، والترمس الزراعي الذي يدعى أيضًا جرجر مصري أو بسيلة، ومنه أنواع تزرع لزهرها.

في معجمات اللغة ضبطت كلمة ترمس بالضم. قال أبو حنيفة: «..الواحدة ترمسة، ولا أحسبها عربية. ويقال له البسيلة بالعربية للمرارة التي فيه، وكل كريه بسيل»، على حين اعتبره بعض اللغويين عربيًا تاؤه زائدة، جاء في تاج العروس قوله: ونقل شيخنا عن جماعة أن تاءه زائدة لأنه من رَمَس الشيء ستره .. عن ابن الأعرابي: ترمَّسَ الرجلُ إذا تغيب عن حرب أو شغب ..» ويبقى الأرجح ما قاله أبو حنيفة، فاللفظة معربة منذ القديم لها أشباه في اليونانية والسريانية وغيرهما[1]، ونقل الشهابي عن مايرهوف أن كلمة ترمس من اليونانية Thérmos وأنها نقلت إلى القبطية والعبرية والآرامية، ومنها إلى العربية والفارسية.

تَرَنْجَبِين°

ترنجبين ١: ١٨٠، ٣٧١، ٤٣٠، ٤٣٧، ٤٤٣،
٤٥٨/ ٢: ٣٢، ٩٨، ١٨٠، ٢٥٢، ٢٥٤،
٢٥٦، ٣٣٥، ٣٧٣، ٣٧٥، ٣٧٦، ٤١٢،
٤٤٥، ٤٦٦، ٤٦٨، ٤٩٠، ٥٣٨، ٥٤٢،
٥٤٣/ ٣: ٢٤، ٣٥، ٣٦، ٧٦، ٧٧،
١٠٦، ٣٦٢، ٣٧٦، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥،
٣٩٠.

(١) نقل بعضها البيروني في الصيدنة.

° كتاب النبات ٢: ٩٥، والحاوي ٢٠: ١٨٩، والملكي ١: ١٩٩، والصيدنة ١١٣ (تُرُنْجُبين)، ومنهاج البيان ٥٨ وأقرباذين القلانسي ١٩١ (شراب الترنجبين)، والمختارات ٢: ١٩٢. ومفردات ابن البيطار ١: ١٣٧، ومفيد العلوم ٢٣ والمعتمد ٥٠، والشامل ١٣١، وما لايسع ١٢٦، وحديقة الأزهار ٢٤٩ (٣٢٠) تُرُنْجُبيل، وتذكرة داود ١: ٨٨، ومعجم الشهابي ٤١١. والمخصص ١١: ٢١٨ (تَرَنْجَبيل)، والمعربات الرشيدية ٢٠٢، وبرهان قاطع ١: ٤٩١ (ترنگَبين)

ترنجبين طري أبيض	١: ٤٤٣
عسل الترنجبين	٣: ٤٦
ماء الترنجبين	٢: ٢٧١/ ٣: ٣٢٤، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٩.

الترنجبين من أدوية القانون المفردة. قال ابن سينا في ماهيته: «هذا طلّ أكثر ما يسقط بخراسان وماوراء النهر، وأكثر وقوعه في بلادنا على الحاج»[1]

رددت المراجع الطبية هذا القول أو ما يشبهه فكادت كلها تجمع على أن الترنجبين نوع من الطل يقع على أنواع من الشجر تختلف باختلاف البلاد. فقال مؤلف الشامل: «ماهية الترنجبين طل منعقد متحبب حلو مع حدةٍ ما، أكثر سقوطه على شجر الحاج وذلك بخراسان وبلاد ماوراء النهر. وكل طل فإن تكوُّنه هو من تكاثف المواد الموجودة في الجو، وذلك إذا صادفه برد الليل، وإذا تكاثف استحال إلى جوهر أغلظ ما كان عليه وأثقل فلذلك يهبط ويقع على ما يصادفه عند موقعه .. يكون مايقع على بعض النبات لادنًا، وما يقع على بعضها منّا، وما يقع على بعضها نوع آخر». أما كلام أبي حنيفة في كتاب النبات فكان أقرب إلى الوصف العلمي حيث قال: «ومن أجناس المغافير العسل الجامد الذي يسمى عندنا الترنجبين إنما هو نبع شجرة من شجر الشوك صغيرة والترنجبين بلغةِ العلم الحديث هو كما قال الشهابي: «مادة سكريةِ تفرزها بعض النباتات كالندى المنعقد إما طبيعيًا وإما بتأثير قملة المنّ. ومن هذه النباتات في سيناء ضرب من الطرفاء النيلية .. ومنها الشيح .. ومنها في إيران والأفغان أنواع من العاقول».

---

(١) هو الشجر الذي يدعى أيضاً العاقول.

اسم هذه المادة العربي هو المنّ، وذكرت المعجمات أنه هو نفسه الترنجبين أو الطرنجبين أو الترنجبيل، وكلمة ترنجبين معربة عن الفارسية تَرَنْگَبِين بالكاف الفارسية وقد ضبطت في أكثر المراجع العربية بفتح التاء والراء والجيم وسكون النون، على حين استبدل الضم بالفتح في بعضها ولم أجد مرجعاً عربياً ضبطها ضبط ألفاظ لأنها كلمة غريبة لها ما يقابلها بالفصحى.

ترياق*

ترياق، ترياقات

١: ١٠٠، ١٧٩، ١٨١، ١٨٦، ١٩١، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٢٣، ٢٣٢ ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٤٢، ٢٥٩، ٢٦١، ٢٦٧، ٢٨٧، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٧، ٣٥١، ٣٨٢، ٤٠٧، ٤١٥، ٤٤٩، ٤٦٨/ ٢: ٣٣، ٦٨، ٧١، ٨٨، ٩٣، ٩٤، ١٠٠، ١١٩، ١٤٠، ١٧٠، ١٨٢، ١٨٨، ١٩٣، ٢٣٧، ٢٥٦، ٢٥٨، ٣٠٠، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٩، ٣٤٤، ٣٤٧، ٣٨٩، ٣٩١، ٤٠٦، ٤٠٩، ٤٣٤، ٤٤٤، ٤٥٠، ٤٥٢، ٤٦٠، ٤٦٥، ٤٦٩، ٤٧٧.

---

* الحيوان للجاحظ ٤: ١٢٣ ـ ١٢٥، والملكي ٢: ٥٢٦ (ترياق الفاروق)، ٥٣٤ (ترياق الأربعة، ترياق عزرة)، ومفاتيح العلوم ١٧٥، ١٧٦ (ترياق الأربعة)، والصيدنة ١١٠، ومنهاج البيان ١٤ أ (الفادزهر والترياق)، ٥٩ أ (ترياق الفاروق)، ٦٠ أ (ترياق عزرة)، وأقرباذين القلانسي ٤٨ (الترياق، ترياق الأربعة)، ٢٧٦ (ترياق الأربعة)، ومختارات ابن هبل ٢: ٢١٠ (الترياق الكبير المعروف بالفاروق)، ومفيد العلوم ٢٥، وتركيب ما لايسع ٢٢ أ (الترياق الفاروق) ٢٣ ب (ترياق الأربعة، ترياق عزرة)، ٢٤ ب (ترياق الطين المختوم)، وتذكرة داود ١: ٨٨، ٩١ (ترياق الأربع)، ولسان العرب وتاج العروس (ترق، ريق)، وشفاء الغليل ٨٣، ١٢٠، وبرهان قاطع ١: ٤٩٣ (ترياك) والمعجم الوسيط ١: ٨٥. وانظر مادة (بادزهر) التي سبقت.

في الكتاب الخامس من كتب القانون، وهو كتاب الأدوية المركبة، كانت المقالة الأولى من الجملة الأولى في الترياقات والمعاجين الكبار. أورد منها ابن سينا الترياقات المعروفة في عصره وشرح تركيب كل منها، وبعضه ذو نسخ متعددة تختلف باختلاف الأطباء، لكنه لم يشرح مصطلح الترياق نفسه، ربما لشهرته بين الأطباء وعامة الناس.

عرف البيروني في الصيدنة الترياق بقوله: «هو الدافع السموم»، و كذلك القلانسي قال: «الترياق كل دواء قاوم السموم»، وعرفه المعجم الوسيط لمجمع القاهرة بأنه «ما يمنع ميكانيكيًا امتصاص السم من المعدة أو الأمعاء» فلا خلاف في دلالة المصطلح. لكن الاختلاف في معناه اللغوي وأصله. فقد قال الخوارزمي في مفاتيح العلوم: «الترياق مشتق من تيريون باليونانية، وهو اسم لما ينهش من الحيوان كالأفاعي ونحوها. قال قوم إنما سمي بهذا الاسم بعدما ألقي فيه لحوم الأفاعي، إذ كانت الأفاعي داخلة في جملة الحيوان الناهش» وفي ما لايسع الطبيب جهله تعليل مشابه حيث يقول ابن الكتبي: «وإنما سمي ترياقًا لأن السموم، وذوات النهوش يسمى باليوناني تيريون، ولما كان هذا الدواء معمولاً لذلك سمي تيرياقون، فعرب فصار ترياقًا ...».

أشهر الترياقات المعروفة الترياق الفاروق وهو نفسه الذي يدعوه ابن سينا الترياق الأكبر أو الترياق الكبير هو مما صنعه أحد أطباء اليونان القدامى قيل

هو أندروماخس الأول، ثم أُدخلت عليه تعديلات وزيادات. قال ابن الكتبي: «وسمي بالفاروق، قيل إنما سماه اندروماخس الثاني بذلك. وقيل سُمي بذلك لأنه يفرق بين السم وطبيعة البدن، وقيل يفرق بين الموت والحياة».

تدخل في تركيبه مجموعة كبيرة جدًا من العقاقير النباتية المفردة والأقراص المركّبة أهمها أقراص الأفاعي. وكان يُعدُّ شفاء لكثير من الأمراض، ومقاومًا للسموم بخاصة. وهو من الأدوية المركبة التي تبقى صالحة للاستعمال مدة طويلة قد تجاوز العشرين سنة في البلاد الباردة. وهناك نسخ مصغرة من الترياقات مثل ترياق الأربعة الذي يقتصر في تركيبه على أربعة عقاقير هي: جنطيانا رومي، وحب الغار، والمر الصافي، والزراوند الطويل، يؤخذ منها أجزاء متساوية تدق وتنخل وتعجن بثلاثة أمثالها عسلاً. ويُظن أنه هو أول ما صُنع من الترياقات ثم زاد فيه الأطباء.

ولأطباء العالم الإسلامي نسخ خاصة بهم من الترياق، من ذلك ما ذكره ابن سينا باسم ترياق عزرة وترياق يحيى وترياق صنعه ابن سينا نفسه ... إلخ. وقد يُسمى الترياق باسم مادة مميزة داخلة فيه كترياق الطين المختوم، وقد يسمى باسم المادة التي يقاوم سمها كترياق الفطر الخانق، أو ترياق الأفيون أو ترياق الأرنب البحري .. إلخ.

ذكر مصنفو اللسان والقاموس والتاج الترياق بلفظه في فصل التاء من باب القاف ونصوا على أنه معرب. فقال الفيروزابادي إنه من اليونانية، وقال ابن منظور فارسي معرب؛ لكن بعض علماء اللغة حاولوا رده إلى أصل عربي. إذ نقل الفيروزابادي والزبيدي في (ريق) عن التهذيب: «الترياق تفعال، سمي بالريق لما فيه من ريق الحيات ..»

ضبطت ترياق بالكسر على وزن تِفعال. وهو ما أكده الأزهري بقوله: « ولا يقال تَرياق ويقال دِرياق».

تَشْمِيزَجْ*

تشميرح ١: ٤٤٤ (كذا وردت في المطبوع بإهمال الراء والحاء والصواب من المخطوطات)

ذكر ابن سينا هذا العقار في الأدوية المفردة فكان كل ما قاله فيه: «الطبع: حار يابس. الخواص: قابض بقوة».

وجاء في الحاوي: «تسميزج: قال ابن ماسة، وقال بولس إنه حار يابس قابض نافع من الرمد وأوجاع العين الحادة». وفي مختارات ابن هبل: «تشميزج يسمى عين السرطان وهو الجوز القرنفلي. حار يابس .. ينفع من الرمد»، وفي مفردات ابن البيطار أن تشميرج هو البشمة عند أهل الحجاز، وعرّف البشمة بأنها «اسم حجازي للحبة السوداء المستعملة في علاج العين يؤتى بها من اليمن، وهي أيضًا بأطرابلس من المغرب كثيرًا» ويؤيد هذا ما جاء في مفيد العلوم حيث قال ابن الحشّاء: «تشميزج هي حبة سوداء تجلب مع الكافور. وتوجد بالأندلس، ويسمى نباتها عندهم الدَيس بفتح الدال»، وما جاء في الشامل أيضًا: «تشميزج ويقال أيضًا جشميزك وهو الحبة السوداء» وفي ما لا يسع الطبيب جهله: «تشميزج هو الجمشك[1] المسمى بشمه» .. و «بشمه عربي وجشميزك وتشميزج معرب وهي اسم لحبة سوداء حارة حادة. خاصيتها النفع من أمراض العين ضمادًا وذرورًا». واسم نبات هذا الحب في معجم الدكتور أحمد عيسى هو Cassia absus وقال إن جشميزج وتشميزج وشمشم .. إلخ كلها فارسية وعدسة مرّة هي بذور هذا النبات.

لفظة تشميزج معربة من الفارسية جشميزج. إذ قال في برهان قاطع إنها

* الحاوي ٢٠: ١٩٦ (تسميزج) / ٢٢: ٣٤٦ (تسمرج)، ومنهاج البيان ٦٠ ب، والمختارات ٢: ١٩١ ومفيد العلوم ٢٣، ومفردات ابن البيطار ١: ٩٥ (بشمه)، ١٣٨ (تشميرج). والمعتمد ٥٠، والشامل ١٤٦، ومعجم الدكتور أحمد عيسى ٤٢ (٨)، وما لا يسع الطبيب جهله ٨٧ (بشمه)، ١٢٧ (تشميزج)، ومعجم دوزي ١: ١٤٧، وبرهان قاطع ١: ٤٩٨ (تشميزج)/ ٢: ٦٤٢ (جشميزك).

(١) رسمت في المخطوط هكذا الحشول والصواب من معجم الدكتور أحمد عيسى.

كلمة مركبة من مقطعين «چشم» وهو اسم العين بالفارسية وايزيك وهو ما يصب فيها.

تصعيد

تصعيد ١:٨٣، ٩٨، ١٠٥، ١٨٦.

صَعُدَ، يصعد، صَعِدَ ١: ٣٠٣، ٤٤٣/ ٣: ١٧٨

من أعمال الصيدلة التي عرضت في القانون التصعيد. ذكره ابن سينا مثلاً في الكلام على الماء وطرق تنقيته، فذكر منها تقطير الماء بالتصعيد، كما ذكره في تحضير بعض الأدوية المركبة المعدنية فقال(١): « .. الكي بالأدوية الحادة مثل النوشادر والزرنيخ والكبريت والزنجار والزئبق. يقتل الزئبق من جملتها في الجميع ويخلط بمثله برادة الحديد ونصفه قلي، ونصفه نورة، ويصعد في الأثال أو يجفف في قنينة ..». والأثال جهاز خاص للتصعيد، وصفه لنا ابن الحشاء فقال:(٢) «أثال هو آلة التصعيد، وهي إناءان مقعران يطبق أحدهما على الآخر ويلقى الدواء في أسفلهما، ويطين الوصل بينهما بطين البواطي، ويوضع على النار فما صعد من دخان الدواء تراكم في الأعلى فإذا برد جُمع فكان دواء مُصَعداً».

تفاح*

تفاح، تفاحة ١: ٩٧، ١٨٦، ١٨٧، ٢٠٠، ٢٠٢،

---

(١) في علاج النواصير. القانون ١: ١٧٨.

(٢) مفيد العلوم ٩.

* كتاب ديسقوريدس ١١١ (شجرة التفاح والسفرجل)، وكتاب النبات ١: ٧٥، والحاوي ٢٠: ١٨٣، والملكي ١: ١٨٩، ٢٠٨، ٥٨٨ (شراب التفاح)، ٥٩١ (رب التفاح)، ٥٩٥ (تفاح مربى)، والصيدنة ١١٥، ومنهاج البيان ٦٠ب، ٦١ (تفاحية). ١٢٦أ (دهن السفرجل والتفاح) ١٣٢أ (رب التفاح)، ١٥٨ب (سويق التفاح)، ١٦٥ب (شراب التفاح)، والمختارات ١: ٢٦٠، ٢٤٢ (التفاحية)، والجامع ١: ١٣٨، والمعتمد ٥٠، والشامل ١٣٣، وما لايسع ١٢٧، وتركيب ما لا يسع ١٣ب (شياف تفاحي)، وحديقة الأزهار ٢٩٥ (٣٢١)، والتذكرة ١: ٩٢، ومعجم أسماء النبات ١٥١ (١٧)، ومعجم الشهابي ٥٢٩، والمعجم الموحد ١٣، والمخصص ١١: ١٣٨ ومعجمات اللغة الأخرى (تفح).

ذكر ابن سينا التفاح في الأدوية المفردة ولم يذكر ماهيته لشهرته بل بدأ بذكر أنواعه ومميزات كل منها فقال: «تفاح: الاختيار: أعدله الشامي، والتفه منه رديء...». وقال أبو حنيفة في كتاب النبات: «التفاح معروف، وهو بأرض العرب كثير» ونبه ابن الكتبي في ما لايسع الطبيب جهله على أنه لا

يعيش في البلاد الحارة حيث قال: «تفاح: شجر معروف كبير، ولا يوجد في بلاد الزنج والحبشة، وهي شجرة بجميع أجزائها باردة قابضة إلا ثمرها إذا حلا وعذب فالحلو منه فيه حرارة ورطوبة ..» وذكر الغساني في حديقة الأزهار أن أصنافه كثيرة جداً وعدد بعض أسمائها المعروفة ببلاد المغرب. الاسم العلمي لشجر التفاح هو Pyrus malus وهو شجر مثمر من الفصيلة الوردية. استخدمت كل أجزائه تقريباً في الطب وبخاصة ثمرته وأفضل أنواعها ما كان من التفاح الشامي.

يطلق اسم التفّاح على الشجر والثمر كليهما. الواحدة تُفّاحة، وقد ذكرته معجمات اللغة في مادة (تفح) ونقلت عن أبي الخطاب أن «التفاح من النفحة وهي الرائحة الطيبة ... والسِيب التفاح».

تُفّاحٌ بَرّيٌ

تفاح بري ١: ٣٠٨/ ٢: ٢٣٧

ورد هذا المصطلح في القانون مرتين وبمدلولين مختلفين. المرة الأولى حيث قال ابن سينا في كلامه على الزعرور: « .. ونوع من الزعرور يسميه اليونانيون هيفلمون و .. ساطيون، وربما سموه التفاح البري، وشجرته تشبه شجرة التفاح حتى في ورقه إلا أنه أصغر منه ..» وهذا الاسم مما ذكرته المراجع الأخرى كالصيدنة ومنهاج البيان على أنه من أسماء الزعرور الجبلي وذلك للشبه الذي بينه وبين التفاح وبخاصة في الثمرة واسمه العلمي Car-taegus azarolus من الفصيلة الوردية أيضاً.

والمرة الثانية حين عرض هذا الاسم في أثناء كلام ابن سينا على تركيب أحد السفوفات لعلاج نفث الدم، وهو: « .. وأيضاً سومقطون وهو حي العالم. وقال رجل في بعض ماجمع إنه نوع من الفوذنج ينبت بين الصخر، يفرك ويؤكل بالملح، ويسمى بالموصل اليبروح البري أو التفاح البري. وفي ذلك نظر» وأظن ابن سينا إنما يعرّض هنا بالبيروني، وكانا متعاصرين متعاديين[1]، فلم أر أحدهما ذكر الآخر في كتابه مع أنه قد ينقل عنه فيما لاحظت. وليس هنا محل مناقشة هذا الموضوع، لكنني أسوق كلام البيروني للتوضيح، قال في كلامه على التفاح. بريّه «وقد قال الخوز في بريّه إنه الزعرور. وقال اطيوس هي نوع من الفوتنج ينبت بين الصخور يفرك ويؤكل بالملح، ويسمى بالموصل تفاحاً بريًا. وليس لتمثيله وجه، لأن تشبيه الشيء بالشيء إما أن يكون بالصورة، وإمابالشكل، وإما بعرض من الأعراض ظاهر فيه. وليس من ذلك فيه شيء». الاسم العلمي لهذا النبات الذي قد يدعى أيضًا تفاح الشيطان أو تفاح المجانين Mandragora officinarum.

تفسيا

انظر مادة (ثافسيا) في باب الثاء من هذا المعجم.

تفل

تفل الصائم　　　　انظر مادة (إنسان) التي سبقت.

---

(١) انظر ما قلناه عنهما في المقدمة عند الكلام على ابن سينا وعلاقته بمعاصريه صفحة ٣٤ وما بعدها.

تَقْطير*

التقطير	١: ٩٨، ٣٠٦/ ٣: ٢٦٥، ٤٠٠
التقطير التصعيدي	٣: ٤٠٠
تقطير الماء بالتصعيد	١: ١٨٦
قَطَّرَ (الماءَ)، يُقَطِرُ، قُطْرَ ..	١: ١٠، ١٥٥، ٣٠٦، ٣٢٣، ٤٢١، ٤٤٧/ ٢: ٤٠٨/ ٣: ٣٠، ٢٢٤، ٢٦٥.
(دواء) مقطَّر على آخر	٢: ٢٢٢
(دواء) قُطِّر على آخر	٢: ٢٢٧

وردت كلمة التقطير في كتاب القانون بعدة معان ذات أصل لغوي واحد ومدلولات اصطلاحية شتى[1]، منها هذا المعنى الذي يستعمل في صناعة الأدوية وتحضيرها والذي لم تبينه معجمات اللغة الأصلية، على حين حددته المعجمات الاصطلاحية مثل كشاف اصطلاحات الفنون الذي جاء فيه: «التقطير هو أن يوضع الشيء في القرع، ويوقد تحته، فيصعد ماء إلى الانبيق ويجتمع فيه. والتصعيد مثله». وفي المعجم الوسيط ميز مجمع القاهرة بين مدلولين متقاربين فقال: «التقطير: تنقية الماء وتصفيته مما يعلق به من مواد غريبة ضارة. وتحويل السائل إلى بخار بالحرارة، ثم تبريده ليعود سائلاً كما كان. وذلك بجهاز التقطير».

وقد استعمل ابن سينا التقطير في الكلام على الماء غالبًا، وفي الكلام على غيره من السوائل نادرًا كالزفت مثلاً[2]، فيكون أقرب تعريف لمصطلحه

---

* المعجمات الأصلية (القاموس، التاج، اللسان: قطر)، وكشاف اصطلاحات الفنون ٢: ١١٨٦، والمعجم الوسيط٢: ٧٤٤، وصحاح المرعشلي ٩٣٤، ومحيط المحيط ٧٤٣.

(١) منها مثلاً معنى يدل على طريقة استخدام الدواء كتقطيره في العين أو الأذن تجده في مادة (قطور) من هذا المعجم، ومعنى آخر يدل على مرض من الأمراض البولية.

(٢) القانون ١: ٣٠٦.

ما جاء في صحاح المرعشلي وهو: التقطير Istillation وDistillation : تحويل سائل إلى بخار ثم تكثيفه إلى سائل بالتبريد، بقصد تنقية أو فصله عن غيره من الشوائب، كتقطير ماء البحر للحصول على ماء عذب».

وفي معجمات اللغة: قطر الماء وغيره قطرًا وقطورًا وقطرانًا: سال قطرةً قطرةً. وتقطير الشيء إسالته قطرة قطرة. ومن هذا المعنى الأصلي تولدت عدة معان اصطلاحية في الطب والصيدلة والكيمياء.

تَمْر

ذكره ابن سينا في أدويته المفردة فقال: «الماهية: معروف. الطبع: حار رطب..» وآثرت أن أجمعه إلى أشباهه في مادة (نخل) فاطلبها في باب النون من هذا المعجم.

تَمْرٌ هِنْدِيٌّ *

تمر هندي، تمرة هندية	١: ١٨٠، ٤٤٢ / ٢: ٢١، ٢٣٢، ٢٥٦، ٣٠٣، ٣٣٦، ٣٣٨ ٣٤٢، ٣٤٥، ٣٤٨، ٣٥٦، ٤٥١، ٤٦٨، ٦٢٣ / ٣: ١٥، ٢٤، ٣١، ٣٥، ٣٦، ٤١، ٦٩، ٧٠، ١٢٠، ٢٧٦، ٢٩٣، ٣٣٦، ٤١٥، ٤٣٤.

* كتاب النبات ١: ١٣٤، والحاوي ٢٠: ١٨٩، والملكي ٢: ١٢٠/ ١: ٢٠٨ (شراب التمر هندي)، ومنهاج البيان ٥٦١، ١٦٦أ (شراب التمر هندي)، ومختارات ابن هبل ٢: ١٩٢. ومفردات ابن البيطار ١: ١٤٠، ومفيد العلوم ٢٥، والمعتمد ٥٢، والشامل ١٣٨، وما لايسع ١٢٨، وتركيب ما لايسع ٦٠ أ (شراب التمر هندي)، وحديقة الأزهار ٢٩٨ (٣٢٤)، وتذكرة الأنطاكي ١: ٩٣، ومعجم أحمد عيسى ١٧٦ (١٦)، ومعجم الشهابي ٦٢٨، والمعجم الموحد ١١٤، ولسان العرب وتاج العروس (حمر)، والمعجم الوسيط ١: ٨٨، وصحاح المرعشلي ١٣.

تمر هندي طري	١: ٤٤٢
شراب التمر هندي	٢: ٤٠
طبيخ التمر هندي	١: ٤٤٣
ماء التمر هندي	٣: ٢٧، ٣٩، ٤٦، ٣٦١، ٣٧٢.
مبلول التمر هندي	٢: ٣٤٨
نقيع التمرهندي	٢: ٦٢٣/ ٣: ٧٦.

ذكره ابن سينا في كتاب الأدوية المفردة فقال: «الماهية: معروف، يؤتى به من الهند. مسهل ينفع من القيء .. ينفع من الحميات ذات الغشي والكرب..».

عرف العرب هذا النبات منذ القديم فقد ذكره أبو حنيفه في كتابه فقال: «الحُمَر: التمر الهندي وهو بالسراة كثير، وكذلك ببلاد عمان، وورقه مثل ورق الخلاف الذي يقال له البلخي، وقد رأيته فيما بين المسجدين. ويطبخ به الناس ، وسمعت بعض الأعراب يسميه الحومر وقال: شجره عظام مثل شجر الجوز، وثمره قرون مثل ثمر القرظ». وفي كتاب مالا يسع الطبيب جهله وصف أدق لهذا الشجر حيث يقول ابن الكتبي: «تمر هندي هو الحمر ويقال الحومر أيضاً، وهو ثمر شجرة عظيمة ورقه كورق شجر الخرنوب والبرم، ويضم أوراقه بعضها إلى بعض في الليل، ويكون ببلاد عمان والسراة .. ويكون باليمن وبلاد السودان، ويخرج ثمره في غلف دقاق سود عليها عسلية تدبق باليد، وداخل الغلف حب صلب مفرطح أحمر اللون يشبه ثمر البلاذر، والقشرة هي المستعملة بارد يابس ..» الاسم العلمي لهذا النبات Tamarindus indica وهو جنس شجر مثمر من الفصيلة القرنية ينمو في البلاد الحارة. والمراد بالتمر هندي في كتب الطب الثمرة أي القرون وكلما كانت حديثة غير متخشبة كانت أجود. يستعملها أهل الشام في تحميض بعض أصناف الأطعمة ويكثرون من شرب مائها في رمضان دفعاً للعطش.

لم تورد المعجمات العربية الأصلية التمر هندي في مادة (تمر) لكنها أوردته في (حمر) شرحًا للحمر والحومر مع أن اسم الجنس العلمي مأخوذ من الاسم العربي (تمر هندي) كما جاء في معجم الأمير الشهابي.

تِمْساح*

تمساح	١: ٢٥٨، ٣٨٩، ٤٤٥
خرء التمساح	٣: ٢٦٧
زبل التمساح	١: ٣٠٩، ٤٤٥
شحم التمساح	١: ٤٤٥/ ٣: ٢٣٦، ٢٤٧، ٢٥٣.
كلية التمساح	١: ٤٤٥

ذكر ابن سينا التمساح في مفردات القانون فلم يصفه لأنه معروف واكتفى بذكر فؤائده الطبية فقال: «زبله ينفع من بياض العين. قيل إنه إذا أخذ من حوالي كليته وزن مثقال وشرب بشراب هيج شهوة الجماع .. شحمه ضمادًا على عضته يسكن وجعه في الساعة . وعلى هذا النحو تقريبًا ذكرته معظم كتب الأدوية القديمة وبعضها وصف هذا الحيوان فقال مؤلف الشامل : «تمساح: هو الورل النيلي ويوجد في نيل مصر ونحوه من الأنهار الكبار، ويكون كثيرًا ببلاد الحبشة والنوبة ويختص بأنه وحده يحرك عند المضغ فكه الأعلى وإنما كان كذلك لأن هذا من جملة الحيوانات التي تأكل اللحم .. فلذلك يحتاج أن يكون عضه شديدًا ليكون تشبثه بالمصيد متمكنًا ولذلك خلقت أسنانه كأسنان المنشار بينها خلل تدخله الأسنان من الفك الآخر...» وفصّل في تعليل هذا تفصيلاً ثم

---

* الحيوان للجاحظ ١: ٣١، ٣١٠/ ٧: ٦٦، ١٠٣، ١٤٤ وغيرها، والحاوي ٢٠: ١٩٦، والصيدنة ١١٧، ومنهاج البيان ٦١ أ، والمختارات ٢: ١٩١، ومفردات ابن البيطار ١: ١٤١، والشامل ١٤٦، وما لايسع الطبيب جهله ١٢٩، ومعجم البلدان (النيل)، وحياة الحيوان ١: ١٤٣، وتذكرة الأنطاكي ١: ٩٣، ومعجم الشهابي ١٩٩٠، ومعجم الحيوان ٧٦، ولسان العرب وتاج العروس (مسح)، والمعجم الوسيط ١: ٨٨.

ذكر فوائده الطبية« يطلق اسم التمساح على جنس حيوان من الزواحف اسمه العلمي Corcodilus وأشهر أنواعه تمساح النيل وهو حيوان برمائي في شكل الضب كبير الجسم طويل الذنب قصير الأرجل على ظهره ورأسه وذنبه ترس متين كترس السلاحف..

ذكرت معجمات اللغة التمساح في مادة (مسح) وضبطته بكسر التاء وسكون الميم، وهو مما عُرِّب قديمًا. فقد قال الدكتور أمين المعلوف في معجم الحيوان: «تمساح أكبر الزحافات المعروفة حجمًا واللفظة مصرية الأصل، وهي امساح بالقبطية فإذا زيدت التاء في أولها وهي عندهم أداة التعريف للمؤنث صارت تمساح وكل ذلك من امسوح بالمصرية القديمة ومعناه من البيضة. عن بغية الطالبين لأحمد كمال باشا».

تنبول*

تنبول	١: ٤٤٥
تنبول هندي	١: ٤٤٥
رائحة التنبول	١: ٤٤٥
عصارة ورق التنبول	١: ٤٤٥
أغصان التنبول	١: ٤٤٥
ورق التنبول	١: ٤٤٥

التنبول من مفردات القانون. قال ابن سينا في ماهيته: «أوراق شجرة تنبت في الهند .. ورقه شبيه بورق الليمون وكذلك أغصانه، وأهل الهند .. لا يزالون

* كتاب النبات ٢: ٢٢١ (تامول)، ٢٣٠، والملكي ٢: ١١٦ (ورق التنبول)، ومنهاج البيان ٥٨ أ (تامول)، ١٦١ أ (تنبول)، ٢٦٨ ب (ورق التانبول)، والمختارات ٢: ١٩١ (تانبل)، ومفردات ابن البيطار ١: ١٣٣ (تانبول) والمعتمد ٤٦ (تانبول)، وما لايسع ١٢٣ (تانبول)، وتذكرة داود ١: ٨٦، ومعجم أحمد عيسى ١٤٠ (٢٠)، ونخب الذخائر ٤٤ (الحاشية ٢)، ومعجم الشهابي ٥١٤، والقاموس والتاج (تمل، تنبل)، والمعجم الوسيط ١: ٨٨ (تامول). ٨٩ (تنبول)، وصحاح المرعشلي ١١٤، وبرهان قاطع ١: ٤٦٣ (تانبول).

يتناولونه في أكثر أوقاتهم ويفخرون بذلك ... يطيب النكهة .. يقوي العمود ويشد اللثة ...».

هو مما ينبت بأرض العرب فقد وصفه أبو حنيفة في كتاب النبات فقال[١]: «ومن النبات الطيب الريح والطعم التامول، وهو ينبت نبات اللوبياء، طعمه طعم القرنفل فيطيب النكهة، وهو ببلاد العرب من أرض عمان كثير واسمه أعجمي» وهو كثير ببلاد الهند، روى الشريف فيما نقله عنه ابن البيطار أن «أهل الهند يستعملونه بدلاً من الخمر ويأخذونه بعد أطعمتهم فيفرح نفوسهم ويذهب بأحزانهم وأكلهم له على هذه الصفة: إذا أحب الرجل أكله أخذ منه الورقة ومعها زنة ربع درهم من الكلس .. كلس الصدف وقطعة من قرنفل، ومتى لم يأخذوا الكلس منه لم يحسن طعمه ولم يخامر العقل. وآكله يجد عند أكله منه سروراً وطيب نفس، ويتم الانتعاش عنه بعطريته وتفريح آكله ونشوته قليلاً وهو خمر أهل الهند وهو كثير بها مشهور» ثم أضاف ابن البيطار تعليقًا له ينبه فيه على أن التانبول لا يجلب من بلاده إلى المغرب لأن ورقه إذا جف يضمحل ويتلاشى ويصعب حفظه، وما يعرف في المغرب بهذا الاسم هو ورق نبات آخر. ولعل بعض المؤلفين القدامى ممن لم يعاينوا هذا النبات أخطؤوا حين قالوا إن التنبول من الأشجار. فقد قال أبو حنيفة بعد صفحات مما نقلته آنفًا «والتامول ورق شجرة ينفرش»[٢] ونقل ابن البيطار عن ابن جلجل أنه قال أيضًا «التنبول ورق شجرة عظيمة تستعمله أهل الهند استعمالاً شديداً يمضغونه كل صباح، يحمر الشفاه ويطيب النكهة ويفرح القلب ..» والمشهور هو الأول. الاسم العلمي لنبات التنبول هو Piper betel قال الشهابي: أظنه التامول

(١) كتاب النبات ٢: ٢٢١.

(٢) كتاب النبات ٢: ٢٣٠.

والتانبول اللذين ذكرهما الفيروزابادي في القاموس[١]. نبات من الفصيلة الفلفلية يمضغون أوراقه.

ورد اسم هذا العقار في كتب المفردات وفي المعجمات على عدة أشكال منها: تَامُول، وتانْبول، وتَنْبول، وتَنْبل، وهو اسم معرب، قاله أبو حنيفة، وأكده ابن الكتبي إذ قال: «تانبول وهو التنبل ويقال تامول[٢] وكلاهما معرب من الهندي ..».

تِنْكَار*

تنكار	١: ٤٤٤/ ٢: ١٧٢
تنكار مصنوع	١: ٤٤٤
تنكار معدني	١: ٤٤٤

هو من الأدوية المعدنية التي ذكرها ابن سينا في القانون. قال في ماهيته: «منه معدني ومنه مصنوع، ويقال إنه لحام الذهب، يستعمله الصائغون .. ينفع من وجع الضرس وأُكال الأسنان لخاصية فيه».

ذكرت أكثر كتب العقاقير التنكار، فاختلف المصنِّفون فيه بين قائل بأنه معدني أي طبيعي، وقائل إنه مصنوع، وقائل بوجود الاثنين معًا. كما اختلفوا في مكونات المصنوع وفي طريقة صنعه. وفي الصيدنة نقل البيروني نماذج من أقوال القدامى في التنكار واكتفى بعد نقلها بما فيها من تناقض بالقول: «فتأمل» والذي يمكن استخلاصه من هذه الكتب ـ ومن المألوف أن يكثر اضطرابها عندما يتعلق

(١) وفي برهان قاطع أن التانبول هو التامول.

(٢) في المخطوطة المعتمدة بامول والصواب من الأخرى.

* كتاب الصيدنة للبيروني ١١٨، ومنهاج البيان فيما يستعمله الإنسان ٦١ ب، ومختارات ابن هبل ٢: ١٩١، وجامع مفردات الأغذية والأدوية لابن البيطار ١: ١٤١، والمعتمد في الأدوية المفردة ٥٢، والشامل في الطب ١٤٦، وما لايسع الطبيب جهله ١٢٩، وتذكرة أولي الألباب لداود الأنطاكي ١: ٩٣، ومعظم الألفاظ الزراعية ٦٤٤، ونخب الذخائر ٤٤ (ح ٢)، ومحيط المحيط ٧٤.

الأمر بعقاقير كيماوية معدنية ـ أن التنكار اسم يطلق على مادة طبيعية توجد في معادن الذهب والفضة غالباً، ينتفع منها في طب الأسنان. وهي ملح من أملاح البورق، قال الشهابي «هو بورات الصود المائي الطبيعي، واسمه الفرنسي مأخوذ من العربي بوساطة الإسبانية وهو Tincal أو Tinkal ». كما يطلق اسم التنكار على مادة، تدعى أيضاً لزاق الذهب ولحام الذهب، مركبة إما من الملح والقلي والنطرون مطبوخة بلبن البقر أو الجاموس، كما جاء في الصيدنة ومنهاج البيان ومختارات ابن هبل، وهي مما يعين على سبك الذهب. وإما من بول الصبيان الموضوع في إناء نحاسي مدةً طويلة في الشمس كما جاء في ما لا يسع الطبيب جهله، وهي حسبما يقول مؤلفه مما يكتم الصائغ عمله ويستعين به في سبك الذهب[١].

لم يذكر التنكار في معجمات اللغة القديمة : قال الأب أنستاس الكرملي في إحدى حواشيه على كتاب نخب الذخائر: «تَنْكار وزان تَرحاب ..ذكره فريتغ ومن نقل عنه كصاحب محيط المحيط وأولاده. وقد ذكر الكلمة صاحب مفاتيح العلوم وضبطها بكسر الأول وهو الصواب كترياق وتمثال لأنه اسم بخلاف المصادر .. واسم التنكار بالألمانية والإنكليزية والفرنسية Spalt.

تَنُّوب*

تنوب ١: ٤٢٧، **٤٤٣**

(١) وانظر (لزاق الذهب) في باب اللام من معجمنا هذا.

* كتاب ديسقوريدس ٦٨ (فيطس)، والنبات ١: ١٢٨، والحاوي ٢٠: ١٧٧، ومنهاج البيان ٦١ ب، والمختارات ٢: ١٩٠ ومفردات ابن البيطار ١: ١٤١/ ٣: ٨٨ (صنوبر)، والشامل ١٤٦، وما لا يسع ١٣٠، والتذكرة ١: ٩٤، ومعجم د. عيسى ١٣٩ (١٥)، ومعجم الشهابي ٢، والمخصص ١١: ١٤٥، واللسان والتاج (تنب)، والمعجم الوسيط ٨٩، وصحاح امرعشلي ١١٤. وانظر (صنوبر).

بزر التنوب	١: ٤٤٣
ثمرة التنوب	١: ٤٢٨
خشب التنوب	١: ٤٤٣
دخان التنوب	١: ٤٤٣
صمغ التنوب	١: ٤٤٣
طبيخ التنوب	١: ٤٤٣
قشر التنوب	١: ٤٤٣
ورق شجرة التنوب	١: ٤٤٣

ذكر ابن سينا التنوب في أدويته المفردة فقال: «الماهية: شجرة معروفة والقوفى[١] ضرب منها، وقضم قريش ثمرة شجرته، والزفت البري يتخذ منه ..».

وصف أبو حنيفة هذا الشجر بقوله: «شجر يعظم جداً ويسمو، ومنابته جبال دروب الروم وهو اسم أعجمي، ومنه يتخذ أجود القطران»، ثم نقل هذا الوصف ابن جزلة في المنهاج، أما ابن البيطار فعرفه بقوله: «هو الصنوبر الصغير الذي يحمل قضم قريش»[٢] وفي تذكرة داود أنه ذَكَر الصنوبر. يطلق اسم التنوب علمياً على جنس شجر من فصيلة الصنوبريات والقبيلة التنوبية فيه أنواع تزرع للتزيين وأخرى حراجية منها الأزر. الاسم العلمي للتنوب هو Piceaexcelsa أو Abies excelsa

ضبطت لفظة التَّنُّوب في المعجمات كالتنور بفتح التاء وتشديد النون المضمومة، وهي أعجمية معربة كما قال الدينوري.

(١) في المطبوع «الفوفى» انظر التحقيق في (قوفى).

(٢) في المطبوع «وضم قريش».

تِنّين بحريّ*

تنين بحري ١: ٢٤٢، ٢٤٥، ٢٧٤، ٤٤٤، ٤٤٥

ذكر ابن سينا التنين البحري في مفردات القانون وكل ما جاء فيه هو: «تنين بحري: السموم: قال جالينوس يشق ويوضع على عضته فينفع، ويوضع على ضربة التنين البحري الحيوان طريغلن فينفع».

يفهم من العبارة أنه حيوان بحري سام. وقد أطلق اسم التنين في كتب المفردات والحيوان على الحيّات الكبيرة جدًا. قال ابن الكتبي في ما لا يسع الطبيب جهله: «تنين البحر: التنين هو اسم لما عظم من الحيّات، وقيل لما عظم منه وكان له يد أو رجل خارجة، والبري والبحري أيًا ما كان إذا شُق وهو حيّ ووضع على نهشة البري وضربة البحري أبرأهما. والتنين البحري له حمة كالعقرب يلسع بها، وليس كالبري ينهش بفمه» ونقل جلّ وصفه هذا الأنطاكي، وسائر ما جاء في القانون قد يوافق النعت السابق فمثلاً أثناء الكلام على منافع الافسنتين قال ابن سينا: «ينفع من نهش التنين البحري والعقرب ونهشة موغالي»[1] وهي حية برية. وقال أيضًا في الكلام على فوائد الباذروج: «يوضع على لسع الزنابير والعقارب وتنين البحر»[2] فيلاحظ أنه قرنه بالعقرب والزنابير لكنه لم يحدد شكله ولا أداة السم فيه. وبعد العودة إلى كل المراجع الأخرى لا يستطيع الباحث أن يعرف تمامًا هذا الحيوان البحري الذي ذكره ابن سينا نقلاً عن جالينوس، لأن الخرافات

* كتاب ديسقوريدس ١٣٢ (ذراقن ثالاسيوس)، ومنهاج البيان ٦١ب، ومختارات ابن هبل ٢: ١٩١ ومفردات ابن البيطار ١: ١٤١، والشامل ١٤٦، وما لا يسع ١٢٩، وحياة الحيوان ١: ١٤٤، وتذكرة داود الأنطاكي ١: ٩٣، والقاموس واللسان والتاج (تنن)، والمعجم الوسيط ١: ٨٩، وصحاح المرعشلي ١١٤.

(١) القانون ١: ٢٤٥.

(٢) القانون ١: ٢٧٤.

والأساطير أحاطت باسم التنين وأعطته أوصافًا لا تنطبق على أي حيوان معروف في الكون الآن برًا أوبحرًا، ومن الناحية الطبية ليس في المراجع كثير زيادة على ماجاء في القانون.

التواء

التواء العتيق النخر الملقوط من الحيطان ٣: ٢٨٣

في أثناء كلام ابن سينا على علاج البهق والبرص الأسود ذكر أدوية تنفع منها، فعدً منها العظام النخرة «والتواء العتيق النخرِ الملقوط من الحيطان» كذا وردت اللفظة في القانون المطبوع ببولاق، وهي في طبعة رومة والمخطوطات «النوا، النوى» فالأمر لا يعدو التصحيف، والمراد نوى التمر المعروف إذا بقي مدة طويلة في أرض بساتين النخيل.

توابل

انظر المفرد تابل.

(التعريف والنقد)

تعريف بكتاب:

«في عصور حضارتنا وتوصيفها»

عماد يوسف قدسي

د. مروان المحاسني

إن الحاجة إلى إعادة النظر في المصطلحات المناسبة لكل فرع من فروع العلم الحديثة حاجة ملحّة، نظرًا لتشعُّب العلوم وتعدد مجالات تطبيقها. وإن هذا التشعب ينتج سيلاً من المصطلحات تضاف إلى ما تطرحه الحداثة من مصطلحات جديدة لابد من إيجاد المقابلات العربية لها، والإسراع إلى تثبيت هذه المقابلات قبل أن تسبقنا الألسنة إلى استعمال الكلمات الأجنبية كما هي، أو بعد تحويرها تحويرًا بسيطًا يكسبها رنة مع بقائها على عجمتها.

وقد أهدي إلى مجمع اللغة العربية كتاب ألّفه الأستاذ عماد يوسف قدسي رحمه الله، وهو يتطرق إلى المصطلحات المستعملة في مضمار التعريف بالمراحل المتتابعة للحضارة في عالمنا وفي بلاد الشام بخاصة.

وهو كتاب يشهد لصاحبه بثقافة واسعة متعددة الوجوه في معالجة موضوعات هامة تتصل بتاريخ الحضارة. فهو يتخذ موقفًا نقديًا من المصطلحات المتعارفة في توصيف مراحل الحضارة العالمية، وذلك بدءًا من العصر السابق لأقدم تاريخ معروف، أي من عصر ما قبل التاريخ حتى عصرنا هذا.

ويتراءى من مطالعة فصول هذا الكتاب، حرصُ المؤلف على توضيح بعض التجاوزات التي أصابت تاريخ بلاد الشام من قبل الأوربيين، وبصورة خاصة إطلاقهم اسم الحضارة الفينيقية على ما هو بالفعل حضارة كنعانية. وينطلق من هذا إلى التسميات الأخرى المتعارفة: العصر الحجري القديم والأوسط والحديث؛ فيرى إطلاق تسميات اصطلاحية جديدة عليها مستقاة من لغة عربية تراثية ما أمكن له ذلك.

فهو يرى أن العصر الحجري القديم هو عصر الحجر المظرّر، إذ يأخذ هذا المصطلح عن التاج واللسان حيث الظُّرُّ والظِّرر والمظرَّة هو (الحجر المحدَّد، له حد كالسكين، يقطع به) ويضيف تسمية المرحلة التالية في العصر ذاته بأنها مرحلة الحجر المُخمَّش أي الأدق صنعًا، تأكيدًا لفعله القاطع. ثم يأتي العصر الحجري الأوسط، حين ظهرت علامات ذوق فني واعٍ في تصنيف القواطع من الأحجار، وهذا ما يسميه عصر الحجر المشذّب. وأما العصر الحجري الحديث، حين ظهرت علامات الصقل على الحجارة، فهو ما يسميه عصر الحجر المهذّب.

وهكذا يستمر المؤلف في استعراض مراحل التطور الحضاري إلى ما هو معروف بثورة العصر الحجري الحديث، حين ظهرت إنجازات حضارية هامة كاختراع العجلة وتصنيع الأواني الفخارية. فهو يطلق على هذه الثورة الحضارية مصطلح صَمَيان العصر الحجري الحديث (بدل ثورة).

كما أنه يطلق مصطلحًا جديدًا على مجموع مراحل العصر الحجري فيسميها عصر الإسداف (عن التاج واللسان حيث السُّدفة اختلاط الضوء والظلمة معًا).

إنه مجهود كبير مرتبط ببحث أصيل في المعاجم التراثية لإيجاد مصطلحات جديدة يمكن إطلاقها على توصيف مراحل الحضارة الإنسانية. وعدد ما يقترحه في الكتاب يربو على أربعين مصطلحًا. لذلك نراه عند استعراضه للمراحل التاريخية التي مرت بها بلاد الشام يطرح مصطلحات يريد أن يستعيض بها عن تلك الصادرة عن الثقافة الغربية. فهو يرى استبدال مصطلح الجبيرة بلفظة إمبراطورية حيث يكون الجبير هو الإمبراطور الذي يفرض سيطرته على الدولة، كما يعرض استخدام لفظة الاقتدار عوضًا عن الستراتيجية وذلك خلال استعراضه للقوى التي سيطرت على بلاد الشام في الحقب التاريخية المتتالية ما بين دخول الإسكندر والفتح الإسلامي.

وفي سياق الكلام عن تحليل المجتمعات المتعاقبة في بلاد الشام، يقترح المؤلف إلقاء نظرة جديدة على التركيب الاجتماعي، من حيث القرابة والنسابة ليقول بوجود نوع أعم من الانتماء القبلي أو العشائري؛ ويطلق على ذلك لفظة عَسابَة إذ إنهم عُسُب من نخلة واحدة (العسيب هو الجريدة من النخل مستقيمة عن التاج واللسان) ولهم كذلك قرابة من نوع آخر مع أقوام مجاورة في مصر القديمة، ومع البربر والشعوب الكوشية الإفريقية وهذه القرابة يسميها العَزَاوة.

والخلاصة أننا أمام كتاب يلقي نظرة فاحصة على التطورات التاريخية والحضارية في بلاد الشام، ليصل إلى نظرة ناقدة لبعض المسلمات التي أطلقها علماء الغرب، ويعيد إلى الأذهان مراحل ماجدة من ثقافة بلاد الشام حتى يصل إلى الفتح الإسلامي، مفصلاً نقاطًا هامة في نسيج العمران البشري

الذي انتهى إلى وجود « أداة التبادل المعرفي الأمثل بين البشر شاخصة في اللسان العربي الفصيح المتداول آنذاك» (ص١١٤).

إنه كتاب موجه إلى جمهورنا المثقف الذي سوف يجد فيه مادة غزيرة من المعلومات عن التاريخ الحضاري لبلاد الشام، ويلحظ دأب المؤلف على العودة إلى تراثنا اللغوي لإيجاد مقابلات أصيلة لبعض المسميات والمصطلحات التي تقدم للقارئ العربي وكأنها قوالب جاهزة لا يجوز أن يعتريها التغيير. وأما المصطلحات المقترحة في هذا الكتاب فهي جديرة بالاهتمام، ولابد من الانكباب على إعادة النظر في أصولها اللغوية ومدى انطباقها على احتياجات عالمنا المعاصر، وهي مطروحة على لجنة المصطلحات في المجمع، للبت في قبول ما يستساغ منها ويمكن إحلاله بديلاً عن مصطلحات دارجة لا تفي بالغرض تمامًا.

عبد الله بن أيوب التيمي

في شعره بعد ديوانه

د. مجاهد مصطفى بهجت

صدر عن معهد المخطوطات العربية في القاهرة سنة ٢٠٠١ شعر عبد الله ابن أيوب التيمي (ت٢٠٩هـ) جمع وتحقيق وشرح الدكتور حمد بن ناصر الدخيل، وإني لأهنئ المعهد أولاً على اهتمامه ورعايته للدواوين القديمة بنشرها مستقلة رديفة للمجلة وليس بديلاً عنها، وأهنئ أيضًا المحقق الدكتور حمد بن ناصر الدخيل على جهده الكبير في جمع شعر شاعر من غير الأعلام البارزين، وتوثيق نصوصه الشعرية وتحقيقها.

وكنت أترقب من المعنيين بشعر العصر العباسي الأول الغيورين عليه، أن ينهض من يتفرغ لهذا الجمع بمهمة جمع شعره من المصادر والمظان التراثية ليضيف لبنة في بناء تراثنا الأدبي، ولكن المشكلة الأولى التي تجابه المحقق أن يكون الموضوع غير مسبوق إليه، تجنبًا للتكرار وحذرًا من تضييع الجهد والوقت في موضوع غير جديد، وللأسف الشديد ليست لدينا وسيلة علمية تحقق ذلك إلا مدى معرفة المحقّق وصلته بالمختصين في موضوعه من خلال المجلات العلمية الصادرة عن مجامع اللغة العربية والجامعات.

ولذلك ظهرت جهود كثيرة مكررة في مجال تحقيق الشعر وجمعه وفي أوقات متقاربة، ودون معرفة المتأخر بجهود المتقدم(١).

---

(١) من هذا القبيل ديوان أبي هلال العسكري (بحدود ٤٠٠هـ) الذي نشره د. محسن غياض سنة ١٩٧٥ ثم د. جورج قنازع سنة ١٩٧٩.

والشاعر عبد الله التيمي يذكر في هذا السياق، إذ نشرت مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ديوانه بتحقيق د.رشدي علي حسن في العدد ٥٥ سنة ١٩٩٨ ص (١٦٩-٢١٣) .

وليس من شأن هذا البحث إجراء المقارنة بين الجهدين، وإن كان الغالب أن يتفوق المتأخر على المتقدم لاطلاعه على مصادر قد لا تكون متوفرة عند المتقدم.

وتسمية المجموع بالشعر أولى من تسميته بالديوان، إذا كان ذلك معتمدًا على الجمع وليس على تحقيق المخطوط وهو ما تحقق في النشرة الأخيرة.

وتأتي نشرة د.الدخيل متميزة عن النشرة السابقة بزيادة ٥٠ بيتًا على النحو الآتي:

أ) زيادة أربعة نصوص في ٤٤ بيتًا وهي:

النص رقم (١) في ٢٣ بيتًا خرّجه من زهر الآداب ص(٨٣٧) .

النص رقم (٧) في ١٧ بيتًا خرّجه من تاريخ الطبري (٣٠٨/٨) .

النص رقم (١٤) في ٣ أبيات خرّجه من ذم الهوى ص (٦٤٧).

النص رقم (١٩) في بيت واحد خرّجه من رسائل الجاحظ (٨٢/٢).

ب) زيادة أبيات على نصوص سابقة وهي:

النص رقم (٤) زاد عليه ٣ أبيات خرّجها من البيان والتبين (١٩٥/٣).

النص رقم (٨) زاد عليه ٣ أبيات خرّجها من حماسة فضل الله الراوندي ص (١٢٠١)، وشرح الحماسة للمعرّي (٥٧٦/١).

ويأتي الكتاب متميِّزًا كذلك في خطته ومنهج دراسته إذ جعله في قسمين:

الأول: حياته وشعره ص (٥-٣٠).

تناول حياته أولاً في اسمه ونسبه، وولادته ونشأته، وصلته برجال عصره، ووفاته.

وتناول شعره ثانيًا في ديوانه ومصادر شعره، ومنهج جمع شعره، وقطع الديوان، وموضوعات شعره (المدح والرثاء وشكوى الكبر وأغراض أخرى).

الثاني: مجموع شعره ص (٣٣-١١٧) .

ويتضمن نصوص شعره وعددها ٢٤ نصًا في ١٨٢ بيتًا[1].

الخاتمة ثم الكشافات ص(١٢٢-١٥٣) وتتضمن الفهارس الستة للآيات والأمثال والقوافي والأعلام واللغة، والمصادر والمراجع وعددها ١٢٩ كتابًا، وهو بهذا يتميَّز على النشرة السابقة التي اقتصرت على ٢٣ كتابًا.

وقد اتبع المحقّق المنهج التقليدي الأصيل في صنعة الدواوين مما ارتضاه واتبعه أكثر المحققين، ولكن تبقى أعمال الجمع للنصوص الشعرية قاصرة ومظنة الخطأ والوهم، قابلة للزيادة والاستدراك، ومن هنا بادرت بالكتابة حول شعر عبد الله التيمي مسجِّلاً ملاحظتين على الدراسة والتحقيق.

أولاً: الدراسة

جاءت الدراسة وافية إلى حد بعيد، مفصّلة حياة الشاعر ونشأته وصلاته، ثم دراسة مصادر شعره، ومنهج جمع الشعر، وقطع الديوان، وموضوعات شعره. ولكن الدراسة بحاجة إلى بعض القضايا الفنية والنقدية، مما يدخل في الخصائص الفنية، كدراسة لغة الشاعر وأسلوبه، وأفكاره ومعانيه، والصورة والخيال والعاطفة، والأوزان والقوافي، وشكل القصيدة وبنائها، وكل ذلك يمكن استخلاصه من نصوصه الشعرية التي جاءت في قرابة مئتي بيت، وينبغي أن يكون ذلك بصورة مستقلة وإن كان قد ورد بصورة

---

(١) ورد في التصدير ص (٤) أنه في ٢٨٢ بيتًا، وهـو خطأ طباعي، وورد في المـقدمـة (ص ٢٠) أنه في ١٧٩ بيتًا وهو من قبيل السهو.

إشارات سريعة في دراسة موضوعات شعره[١].

وقد تحدَّث المحقّق عن حجم ديوان التيمي معتمدًا على ما ورد في كتاب الفهرست لابن النديم الذي جعله في مئة ورقة، واجتهد في تقدير عدد أبيات الصفحة الواحدة فقال «وربما لا تقل أبيات الصفحة الواحدة عن خمسة عشر بيتًا»[٢]، واجتهاده في تقدير عدد الأبيات معقول، ولكننا في الحقيقة لا نحتاج إليه لأننا نستطيع معرفة عدد الأبيات من ابن النديم صاحب الفهرست نفسه، فهو يقول: «فإذا قلنا إن شعر فلان عشر ورقات، فإنما عنينا بالورقة أن تكون سليمانية ومقدار ما فيها عشرون سطرًا، أعني في صفحة الورقة، فليعمل على ذلك» [٣]، وابن النديم يستدرك فيحتاط فيما ذكره من تحديد دواوين الشعراء في عدد الأوراق أو عدد الأبيات في كل ورقة فيقول: «وعلى التقريب قلنا ذلك، بحسب ما رأينا على مر الزمان، لا بالتحقيق والعدد الجزم»[٤]. وبهذا يمكن تحديد عدد أبيات ديوان التيمي بقرابة أربعة آلاف بيت، وليس ثلاثة آلاف بيت كما ذكر المحقّق .

وقد أطلق المحقّق تسمية القطع على نصوصه الشعرية في عنوان ورد ضمن الدراسة «القطع التي يتكون منها الديوان» وتكرر هذا المصطلح غير مرة شاملاً قصائده كذلك، والفرق معروف بين القصيدة والقطعة، فما زاد على السبعة أو العشرة أبيات يسمى قصيدة، وقد يصح هذا الإطلاق على جهة التغليب، إذ ليس في نصوصه الأربعة والعشرين إلا خمس قصائد هي (١، ٥،

(١) راجع شعر عبد الله بن أيوب التيمي، ص (٣١-٣٢) .

(٢) شعر عبد الله بن أيوب التيمي، ص (٢٠).

(٣) الفهرست، ص (٢٩٤) بتحقيق د.شعبان خليفة، ط دار العربي، مصر ١٩٩١م.

(٤) المصدر نفسه.

٧، ٨، ٢٠) ولكنه سجَّل فوق هذه القصائد مصطلح القطعة فقال: القطعة الأولى، القطعة الخامسة..إلخ، ولا يصح ذلك لأن عدد أبيات هذه النصوص يزيد على العشرة، وله قصيدة طويلة تبلغ الخمسين بيتًا.

ثانيًا: الجمع والتحقيق

ذكر في الدراسة منهجه في ترتيب النصوص فقال «بحسب رويها ترتيب حروف الهجاء..»[1]، ولكنه لم يذكر طريقة ترتيبه للنصوص التي جاءت على حرف روي واحد، فوقع في الاضطراب في قافية الباء والراء، إذ جاءت أربعة نصوص على قافية الباء، ذكر الباء المكسورة أولاً ثم المضمومة؛ لكنه في قافية الراء ذكر المضمومة أولاً ثم المفتوحة ثم المكسورة، والمنهج يقتضي أن يأتي ذلك على نسق واحد، ويمكن ذكرها على المنهج المعتمد ابتداءً بالساكنة ثم المفتوحة، والمضمومة، ثم المكسورة.

ومثل ذلك نجد الاضطراب في الترتيب في قافية اللام والميم، إذ ذكر اللام المكسورة أولاً ثم المضمومة، والميم المكسورة ثم الساكنة. والأمر ممكن بترتيب النصوص على منهج ثابت يطّرد معها جميعًا.

ونأتي أخيرًا على مسألة توثيق النصوص في نسبتها للشاعر، وذلك خلال تخريجه لها، والملاحظ أنه ذكر نصوصه الأربعة والعشرين دون أن يفصل بين الصحيح النسبة والمتنازع، وهو إن كان ذكر نسبة بعض النصوص لشعراء آخرين، لكنه لم يعلّق أو يُرجح النسبة لشاعره أو للآخرين. وهذا يعني ضمنًا أنها جميعًا بمرتبة واحدة في صحة النسبة للشاعر، وليس الأمر كذلك.

فإذا استعرضنا نسبة نصوصه للشاعر وجدنا الثابت الصحيح النسبة مما لم يُنسب

---

(١) راجع شعر عبد الله بن أيوب التيمي، ص (٢٣).

لغير الشاعر ١٤ نصًّا وهي النصوص (٢، ٣، ٦، ٩، ١٢-١٥، ١٧، ١٨، ٢٠، ٢٢-٢٤) وأما العشرة الباقية فنُسبت للشاعر وغيره، وينتظر أن يشير إلى ما يرجح نسبة هذه النصوص العشرة إلى شاعره التيمي، وذلك بنقدها من الخارج والداخل، معتمدًا على عدد المصادر أو قدمها في نسبتها للتيمي أو غيره، ومحاولة توثيق النسبة معتمدًا على لغة الشاعر ومعانيه، وهل هي من جنس لغته ومعانيه، وبالمعيار الأول يمكن ترجيح النص الخامس والثامن للتيمي لكثرة المصادر التي أثبتت النسبة له.

وحين لا يجد المحقّق ما يرجح به نسبة النص للشاعر دون الآخرين، ينبغي أن يشير في الحد الأدنى خلال الدراسة إلى هذه الظاهرة لتنبيه القارئ إلى وجود صنفين في شعره: ما هو ثابت وصحيح النسبة، وما هو منسوب له ولغيره.

ونلاحظ أن بعضًا من هذه النصوص المنسوبة لغير الشاعر يصل عدد شعرائها إلى ثمانية، كالنص الثامن الذي يُنسب لخزاعي، ولحارثة الغداني، ولمسلم بن الوليد، ولقطرب، ولكثير، وللشمردل الليثي، ولأشجع السلمي، ولرجل.

أما النص الرابع فيُنسب إلى خمسةَ غير الشاعر وهم الحسن الإباضي، والحجاج التيمي، وحميد الهلالي، وأبو الفضل العجلي، ولبعض بني أسد. والنص الخامس ينسب لثلاثة وهم مسلم بن الوليد، وأبو موسى التيمي، وأبو سعد المخزومي.

والنص السابع يُنسب لاثنين آخرين هما الحجاج التيمي، وشاعر من أهل جُدَّة.

أما النصوص الأخرى وهي: الأول والعاشر والحادي عشر، والسادس عشر والتاسع عشر فتُنسب لشاعر آخر.

وأخيرًا يمكن مراجعة نصين من نصوصه لزيادة مصادر تخريجها، وهما النص **الرابع، والواحد والعشرون** :

النص الرابع في خمسة أبيات أولها:

إذا كـــانت السبعون سنك لم يكن   لدائـــك – إلا أن تمـــوت – طبيب

خرّج النص منسوبًا للتيمي من البيان والتبيين (١٩٥/٣)، لكن الجاحظ نسب الأبيات الأربعة الأولى فقط للتيمي، ولم ينسب الخامس له فحقه إسقاطه من المجموع لأنه ورد منسوبًا لغير التيمي، وخرَّج البيت الأول والثاني من موضعين في مخطوطة الدر الفريد، وقد ورد الثالث في موضع ثالث من المخطوطة وهو(٢٦/٢)، ووردت الأبيات الثلاثة بتقديم الثالث على الأول والثاني في موضع رابع هو (٣٢١/١)، وورد الثاني بروايتين «قد عاش» و«وقد سار» لكن اسم الشاعر ورد محرَّفًا (التميمي) بدلاً من التيمي في الموضعين السابقين. وفي تخريجه ذكر خمسة شعراء آخرين نُسبت إليهم الأبيات أو بعضها.

وزيادة على تخريجه نذكر ما يأتي: البيتان (٤،٥) مع أبيات أخرى لصالح بن عبد القدوس (ت١٦٧هـ) في شعره ق٢٦ ص (١٣٣)، ولأبي نواس (ت١٩٨هـ) في ديوانه ص (٦١٥)، وللإمام الشافعي (ت٢٠٤هـ) في مناقبه للبيهقي (١٠٨/٢)، وللرازي ص (١٩٦)، وطبقات الشافعية للأسنوي (١٤/١)، ولأبي العتاهية (ت ٢١١هـ) في أشعاره وأخباره ق١٦ ص (٢١)، وللإمام أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ) في حلية الأولياء (٢٢٠/٩)، وتاريخ بغداد (٢٠٥/٥) ومصادر أخرى، ولنصيح ابن منظور الفقعسي في أخلاق الوزيرين ص (٣٧٤). وهما دون عزو، فضلاً عن أمالي القالي في روضة العقلاء ص (١٣)، وبهجة المجالس (٢٠٥/٢)، وإحياء علوم الدين (٣٩٨/٤) وشرحه الإتحاف (٩٨/١٠) وحماسة الظرفاء (١٨٧/١)[١].

أما النص الواحد والعشرون وهو في ثلاثة أبيات فخرّجه منسوبًا للتيمي

---

(١) راجع التخريج المفصَّل في «النصوص الشعرية المنسوبة إلى الشافعي وغيره»، المجلة الأحمدية، دبي، عدد٨، ص (٣١٧) .

من الأغاني(٣٣٧/١٩)، ودون عزو من أدب الدنيا والدين وعين الأدب والسياسة، وزيادة على تخريجه نذكر ما يأتي:

للإمام عبد الله بن المبارك (ت١٨١هـ) في تاريخ دمشق (خ) ٢٦٠/٦ ب، والأول فقط لأبي العتاهية (ت٢١١هـ) في أشعاره وأخباره ق٢٧٤ ص (٦٥٩) ولمحمود الوراق (ت٢٢٥هـ) في ديوانه ق ١٦٦ ص (١٢٦). ودون عزو في عيون الأخبار (١٨٨/٣)، ونثر النظم ص(٨٤)، والذخائر والأعلاق ص(١٨٨) ومصادر أخرى[١].

وقد رجع المحقّق إلى مخطوطة الدر الفريد وخرّج منها النص الرابع، وفاته تخريج نصين آخرين من المخطوطة نفسها، وهما النصان التاسع والثاني عشر، فالتاسع في خمسة أبيات اقتصر في تخريجه على تاريخ بغداد، وهو مذكور في الدر الفريد (١٠٨/١)، والنص الثاني عشر في ثلاثة أبيات ورد في الدر الفريد أيضًا (١٧٥/٣) . ولا يبعد أن يجد المحقّق نصوصًا أخرى إذا عنّى نفسه وجرد المجلدات الخمسة من المخطوط النفيس والعلق الثمين[٢].

وبعد: فهذه ملاحظات لا تقلّل من الجهد الكبير للمحقّق في إخراج شعر عبد الله التيمي، والملاحظات والاستدراكات من شأن مجاميع الشعر، وإنما أردت بها إفادة الباحث الدكتور حمد الدخيل لاستدراكها وإضافتها – مع ما سيجدّ لـه – في الطبعة الثانية إن شاء الله، وكل أعمالنا يؤخذ منها ويُرد، ولا عصمة إلا لنبي، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) راجع التخريج المفصَّل في ديوان الإمام عبد الله بن المبارك ق٢٩، ص (٩١)، ط٣، بتحقيقي دار الوفاء بالمنصورة ١٩٩٢.

(٢) ورد بيتان في الدر الفريد (١٠٦/٣)، لعبد الله بن أيوب وقد يكون البيتان للتيمي؟!

حول تحقيق
«محاضرات الأدباء ومحاورات البلغاء والشعراء»
للراغب الأصفهاني

د. عمر الساريسي

تقديم

حيـــنما عُقد مؤتمر «تحقيق التراث العربي» في جامعة آل البيت، بالأردن، فـــيما بين ٢١- ٢٢ من شهر كانون الأول من عام ٢٠٠٤م، تعرَّفت إلى الدكـــتور رياض عبد الحميد مراد، وقد شارك في المؤتمر بكلمة حول جهود الدكتور شكري فيصل، رحمه الله، في تحقيق التراث، وشاركت بكلمة حول جهودي «في سبيل تحقيق تراث الراغب الأصفهاني».

ولقد تبيَّن من المناقشات في هذا المؤتمر أن الدكتور رياض قد أنجز، لتوّه، تحقيـــق كـــتاب «محاضـــرات الأدباء ومحاورات البلغاء والشعراء» للراغب الأصـــفهاني، وقد سررتُ لهذا الإنجاز أيما سرور، فـــ«خزانة الأدب والشعر والحكم والأمثال»، كما يقول جورجي زيدان[1]، حقيقة بكل جهد علمي عـــريض وهي خير ممثّل لثقافة العصر الذي عايشه الراغب كما يقول عمر فروخ[2]، رحمه الله.

وبعد عودة الدكتور المحقّق إلى دمشق، إثر انفضاض المؤتمر، تفضَّل بإهداء نسخة من تحقيقه لي، فاستحق مني الشكر والتقدير.

---

(١) تاريخ آداب اللغة العربية، ج٣- دار الهلال ص (٤٤).

(٢) تاريخ الأدب العربي (٣/ ٢١٤).

بين النشر والتحقيق

وكانت النفس تتوق إلى تحقيق هذا الأثر النفيس، ولكن انشغالي بغيره من المصنفات المخطوطة للراغب حال دون ذلك. فظفر به من تفرَّغ له وصبر عليه، فأخرجه في أربعة مجلدات وقعت في نحو من ثلاثة آلاف صفحة، فضلاً عن مجلد الفهارس، وصدرت عن دار صادر، بيروت، ٢٠٠٤م.

ذلك أن هذا الكتاب المحقَّق كان قد طُبع عدة مرات، دون جهد أكاديمي كاف للتحقيق والنشر:

فقد طُبع أولاً في مطبعة بولاق بمصر عام ١٢٨٤هـ.

وطُبع ثانية في المطبعة العثمانية عام ١٢٨٧هـ.

وطُبع ثالثة بمطبعة جمعية المعارف عام ١٣٠٥هـ.

وطُبع رابعة بالمطبعة الشرقية عام ١٣١٠هـ.

وطُبع خامسة بمطبعة السعادة عام ١٣٢٤هـ.

وطُبع سادسة بالمطبعة العامرة الشرقية عام ١٣٢٦هـ.

وطُبع سابعة في دار مكتبة الحياة في بيروت، عام ١٩٦٠م في أربعة أجزاء ومجلدين، وهي المشهورة[١]، بين الناس.

وقد نُشرت المحاضرات منقوصة مرتين:

الأولى نشرة إبراهيم زيدان عام ١٩٠٢ بمطبعة الهلال بمصر. وقد اكتفى الناشر باثني عشر بابًا من الكتاب.

والثانية الطبعة التي أشرف عليها أنور الجندي وأخرجتها وزارة الثقافة

---

(١) الراغب الأصفهاني وجهوده في اللغة والأدب، د. عمر الساريسي، ص (٨٧).

المصرية عام ١٩٦٠، وقصرت أبوابه على اثني عشر بابًا[١].

فضل التحقيق

ولما كانت هذه الطبعة الوحيدة المحقّقة من المحاضرات، استحقت منا، ومن كل مُنصِف، تقدير جهود المحقّق الدكتور رياض مراد والثناء عليها.

فلقد صبر على هذا السفر مدة خمس سنوات حتى أنجز تحقيقه، وهو جهد قد يعجز عنه عدد من الرجال المتخصصين المتفرغين.

وقد اعتمد في تحقيقه على ثلاث نسخ مخطوطة للمحاضرات، الأولى من نسخ المكتبة الظاهرية بدمشق، والأخرى نسخة المتحف البريطاني، والثالثة نسخة من دار الكتب بالقاهرة[٢].

ملاحظات

على أن هذا الجهد الكبير تتراءى لنا عليه بعض الملاحظات، التي نرى أن الحق يقتضي رفع الصوت بها، لإعلاء صوت الحق، الذي يُعرف به الرجال.

وتنقسم هذه الملاحظات إلى طائفتين: الأولى تتصل بالجانب الأكاديمي المبذول في التحقيق والثانية ذات طابع شخصي، وهي دون سابقتها في العدد والأهمية.

أولاً- في الجانب الأكاديمي من التحقيق

١- ونبدأ **بالنسخ المخطوطة** التي ذكر الدكتور المحقّق أنه اعتمد عليها في تحقيقه:

لقد كانت ثلاث نسخ كما تقدَّم. وذلك فضلاً عن النسختين المطبوعتين

(١) المصدر السابق والصفحة.

(٢) ص (٢٢، ٢٣) من مقدمة التحقيق.

بمصر وبيروت، بعضها كاملة وأخرى منقوصة.

وربما يرى المدقّق أن ثمة نسخًا أخرى من المحاضرات، لو أن المحقّق اطلع عليها لزاد في قيمة جهده العلمي.

فلقد ذكر بروكلمان[١]، أن من هذه النسخ:

- أجزاء في برلين ٨٣٤٦- ٨٣٤٩.
- وفي مكتبة جمعية المستشرقين الألمان ١١٦ ورقة.
- وفي فينا ٣٦٩ - ٣٧٠.
- وفي لندن ٤٦٤.
- وفي تركيا - في مكتبة أياصوفيا ٤٢٥٤- ٤٢٥٥- ٤٢٥٨.
  - في مكتبة كوبريللي ١٣٧١ رقم ١، ١٣٧٢، ١٣٧٣ - ٧٦ - ٧٧ - ٧٨.
- وفي القاهرة - ٣/ ٣٣٤ في مكتبة حميدية كتبخانة - نسختان من المحاضرات برقم ١١٨٨، ١١٨٩.
  - مكتبة سليم آغا ٩٨٧.
  - مكتبة دمشق عمومية ٨٦، ٥.

وفي مشهد - ١٥/ ٣٨، ١٠٣.

٢- وفيما يتصل **بتحديد عام وفاة الراغب**، فإن المحقّق يميل مع القائلين بأنه عام ٥٠٢هـ، وبعضهم من أصحاب التراجم القدامى وآخرون من الباحثين المحدثين.

ويُذكر أن الراغب قد أورد شيئًا من شعر أبي العلاء المعري المتوفى عام

---

(١) ترجمة رمضان عبد التواب الجزء ٥ ط٢ عام ١٩٧٧، ص (٢٠).

٤٤٩هـ. ولشاعر آخر توفي عام ٤٦٨هـ[1].

وربمـــا يرى المدقّق أن اسم أبي العلاء المعري لم يدر على لسان الراغب قـــط، وإنما هو خلط في الأسماء. ويكشف عن ذلك النظر فيما قيل إنه ذكر للمعري في المحاضرات.

إن المحقّـــق يذكر أن الراغب قد أورد اسم أبي العلاء المعري في مخطوطة المحاضـــرات مرتين: الأولى في المجلد الأول ص (٥٨) والثانية في المجلد الرابع ص (١٣). فلننظر في هذا الأمر بشيء من التأني والتثبت.

فعـــن الأولى نلاحظ أن اسم أبي العلاء المعري لم يُذكر في متن الصفحة الثامنة والخمسين من المجلد الأول - كما ذكر المحقّق. إنه قد ذكر في الهامش السادس وليس في المتن كما ذكر! فهذه واحدة.

أمـــا الثانية فالذي ورد في الهامش السادس هو نسبة بيت شعر لأبي تمام، وتوثيق لهذه النسبة، أنها في ديوانه (١/ ١٤٤) بشرح التبريزي. وهذا حق، ولكـــن يتبعه قول المحقّق: «التبريزي الذي ينقل تعليق أبي العلاء المعري على هـــذا الـــبيت وهو ...». فهل يُفهم من هذا أن الراغب قد ذكر أبا العلاء المعـــري؟. إن الـــذي ذكـــره هو الخطيب التبريزي، شارح ديوان أبي تمام وشارح حماسته وليس الراغب، وهو الذي قد توفي عام ٥٠٢هـ أي بعد وفاة أبي العـــلاء المعري (٤٤٩هـ) بنحو خمسين سنة[2]، والخلاصة أن الراغب لم يذكر شاعر المعرة الكبير.

---

(١) ص (٩)، ص (١٠) من مقدمة التحقيق.

(٢) راجع ترجمته في «وفيات الأعيان» (٢/ ٢٣٣)، وفي «دمية القصر» للباخـــرزي ص (٦٨).

أمـا الموضـع الآخر الذي ذكر المحقِّق أن الراغب قد ذكر فيه اسم أبي العـلاء المعري، وهو على الصفحة الثالثة عشرة من المجلد الرابع، فقد ورد على النحو التالي: «قال ابن أبي داود، وكان مضطرب الطيلسان، لا يُحسن لبسه: فقال له أبو العلاء المعري: لئن كنت لا تُحسن أن تلبس الطيلسان إنك لتحسـن أن تلـبس نعمك جماعة الأخوان» (وفي هذه الصياغة ما فيها من الحاجة إلى التثبُّت والتصويب).

إن المحقِّـق يذكـر في الهامش الرابع من هذه الصفحة (الثالثة عشرة من المجـلد الـرابع) تعليقه على اسم أبي العلاء المعري، الوارد في المتن: «م (أي النسـخة الـتي سماها م من مخطوطات المحاضرات) المنقري، وفي نسخة ق المـتعري»، ويضـيف المحقِّق: وهما تحريفان، وفي ربيع الأبرار (وهو كتاب للزمخشري(٥٣٨هـ)- المهدي».

إن المحقِّق، فيما يبدو للمتأمل، قد رجَّح اسم أبي العلاء المعري على غيره. ولذلـك أثبته في المتن، وهو كذلك في النسخة المطبوعة من المحاضرات (دار مكتبة الحياة)، وأورد سائر الروايات في الهامش على أساس أنها مرجوحة.

ويحسب الباحث أن الأمر لا يعدو التصحيف الواقع في المنقري والمتعري والمهـدي. ولا أدري لماذا رجَّح المحقِّق اسم المعري على غيره؟ وكان ينبغي أن يكـون مـن المرجوحين. إذ كيف يمكن أن يلتقي أبو بكر بن أبي داود السجسـتاني المتوفى عام ٣١٦هـ[١]، وأبو العلاء المعري المتوفى عام ٤٤٩هـ. كيف يمكن أن يلتقيا؟؟ وبين وفاة الأول والآخر أكثر من مئة وثلاثين عاماً؟

---

(١) راجع ترجمته في «وفيات الأعيان» (٢١٤/١) و«تاريخ ابن عساكر» (٣٩/٧؛ و«ميزان الاعتدال» (٤٣/٢).

ويذكـــر المحقّـــق في مقدمة التحقيق ص(٩)، أن الراغب قد ذكر رجلاً آخر، مع المعري، حمله، أي المحقّق، على أن يجعل وفاته، أي الراغب، بعيدة عن عام ٤٠٢هـ هو المشطب الهمذاني المتوفى عام ٤٦٨هـ.

ولقـــد راجعـــت المرجعين اللذين ذكر المحقّق أنه أخذ منهما هذه المعلومة المتصلة بالمشطب الهمذاني، وهما: دمية القصر للباخرزي، بتحقيق الحلو، (١/ ٥٧٢)، ودمية القصر نفسه أيضًا للباخرزي ولكن بتحقيق العاني (١/ ٣٧٦)، فلم أجد فيهما ذكرًا للعام الذي توفي فيه هذا المشطب الهمذاني!.

كما أن المحقّق يُورد خبرًا للراغب مفاده أنه تحدَّث مع أبي القاسم بن أبي العـــلاء في أمر استعارة كتاب [١]، وحينما يترجم لأبي القاسم هذا، في الهـــامش، يذكر أنه من رجال الصاحب بن عبَّاد المتوفى عام ٣٦٩هـ[٢]. وما يغلب على الراغب أنه أيضًا من عصر الصاحب بن عباد. وقد كتبت في هذا الأمـــر كلمة نُشرت في مجمع اللغة العربية الأردني (١١- ١٢) (١٩٨١)، وأثبته في كتابي عن «جهود الراغب في اللغة والأدب» المنشور عام ١٩٨٧. ص(٤٥)، ووافقـــني عليه أولاً الدكتور إحسان عباس رحمه الله (في العددين ٢٢، ٢٣) مـــن مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، وثانيًا الباحث الدمشقي في المخطوطـــات عدنـــان جوهـــرجي (مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق) (يناير ١٩٨٦، مجلد ٦١، ص١٩١).

أمـــا الاعتماد على صاحب «سير أعلام النبلاء» بأن الراغب قد توفي

(١) الجزء الثاني ص (٥٣٢).

(٢) الجزء السابق والصفحة.

عام ٤٤١ أو ٤٤٢هـ فليس داعمًا، فهو يقول عن الراغب: «فكان إن شاء الله في هذا الوقت حيًّا»، فهي صيغة تمريض واهية لا تقوّي شيئًا.

٣- مصنَّفات الراغب

ويبدو أن ثمة خلطًا في المصنفات التي أوردها المحقّق للراغب:

أ- فـ«حلّ متشابهات القرآن» التي ذكرها في الرقم الرابع عشر من مصنفات الراغب هي نفسها «درة التنزيل وغرة التأويل» الواردة في الرقم الخامس عشر. وهي على الأغلب، «تحقيق الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد»، رقم (٩).

ب- والاعتقادات رقم (٦) هو «تحقيق البيان في تأويل القرآن» المذكور في رقم (١٠).

ج- وتفسير الراغب رقم (١١) هو جامع التفاسير رقم (١٣) وأوله مقدمة التفسير رقم (٣٢).

د- وحينما يورد المحقّق اسم مجمع البلاغة رقم (٢٧) يضيف «ويسمى أفانين البلاغة». وكان قد أورد اسم «أفانين البلاغة» لمصنف آخر للراغب برقم (٧).

هـ- يورد المحقق اسم «أطباق الذهب» رقم (٥) على أنه من مصنفات الراغب، وفي الحديث عنه يُورد ما يُثبت أنه ليس له!.

و- ذكر المحقّق أن الراغب قد صنَّف «تفصيل النشأتين» - للوزير أبي العباس الضبي، دون أن يطلعنا على ما يُثبت ذلك.

ز- رقم مجموع رسائل الراغب هو في مصنفاته رقم (١٣) ورقم (١٤) هو (١٢٦٧) أما في رقم (٢٠) فهو (٢٦٧) فقط.

٤- شيوخ الراغب

يذكر المحقّق أن الراغب قد ذكر اسم أحد شيوخه، في مصنف آخر غير الذي عُني بتحقيقه. إنه لم يذكره في المحاضرات ولكن في معجم المفردات. ففي مادة «دلو» في هذا المعجم يقول الراغب: «أدليت الدلو أي أخرجتها، وقيل يكون بمعنى أرسلتها قاله أبو منصور في الشامل».

ويقرر المحقّق أن أبا منصور الشامل هذا هو أحد شيوخ الراغب! دون أن يدري القارئ سبب إطلاق هذا الحكم. وإذا طردنا هذا الرأي، على سائر الأعلام الذين ذكرهم الراغب في تصانيفه المخطوطة والمنشورة، لكان للراغب منهم شيوخ كثيرون. فهو يذكر، على سبيل المثال، أبا عمرو بن العلاء في مجمع البلاغة (١/ ١٣٤) وقد توفي عام ١٥٤هـ!!!.

ويحسب الباحث أن أبا القاسم الراغب لم يذكر اسم شيخ من شيوخه فيما ظهر له، حتى اليوم، من مصنفات.

٥- مراجع التحقيق

ويحسب الباحث أيضًا أن المحقّق لم يرجع إلى المراجع المختصة بالقدْر الكافي، في تحقيق ما يعرض له من نصوص. أنا لا أقول هذا الكلام على إطلاقه، ولكنني أحس به إحساسًا حقيقيًا، فيما يتصل بتحقيق الأحاديث النبوية الشريفة الواردة في المحاضرات، على وجه خاص.

إن المحقّق يرجع في تحقيق أحاديث رسول الله ﷺ إلى كتب الأدب، لا إلى كتب الحديث النبوي كالكتب الستة أو كتب السند والمتون الأخرى. وهوامش الصفحة ٢٥٠، على سبيل المثال لا الحصر، فيها الإثبات. إنه يذكر في تحقيق الحديث الأول (في هامش رقم٢) أنه مُثبت في عيون الأخبار (٢/٥)

لابن قتيبة، وفي تحقيق الحديث الثاني (في هامش رقم٥) يذكر أنه مثبت في كتاب «أدب الدنيا والدين» (٤١٩) للماوردي، وفي الصفحة التالية ٢٥١ يذكر أن حديثًا لعمر بن الخطاب ﷺ، مُثبت في «معجم الأمثال العربية» الذي أخذ عن «مجمع الأمثال» (١/ ١٣).

٦- تخريج الأقوال

وفيما يتصل بالأقوال الواردة في المخطوطة يذكر أنه يتسقطها في كتب الأدب، أيضًا، «فإن تيسر لي تخريجها في أحد كتب الأدب فبها ونعمت، وإلا تركتها على حالها وضبطتها كما وردت في الأصول»[1]. أقول: ويمكن للمحقق أن يبحث عن الأقوال، بعد كتب الأدب، في كتب التاريخ أو اللغة أو الفكر أو الفلسفة أو التربية. وذلك تبعًا لميدان صاحب الأقوال وتخصصه.

ليس هذا فقط ما أريد أن أنبِّه عليه في تحقيق الأقوال، في هذا الكتاب، ولكنني أقف عند ما يسميه المحقّق «بالإشكال المحيّر» في هذه الأقوال. ويوضِّح ذلك بقوله «وهو شيوع ألفاظ الفحش فيها وفي الأشعار». وهو يعني ما ورد في الباب السادس عشر من المخطوط من ذكر السوأتين وما إلى ذلك من مفردات المجون والسخف.

إنّ أدباء القرون الهجرية الثلاثة (الثالث والرابع والخامس) قد اعتادوا أن يذكروا بعض الألفاظ الدالة على مواضع حساسة من الجسد، وذلك

---

(١) ص (٢٥) من مقدمة التحقيق.

بدافع الاستقصاء العلمي لذكر هذه المسميات[١]، دون تحرُّج أو إحساس بالخطأ. كما نحسُّ به نحن في هذه الأيام.

وآية ذلك أنني حينما وقفت عند باب من أبواب من مخطوطة «مجمع البلاغة»، وهي ذات علاقة عضوية مشابهة للمحاضرات - حذفت هذا الباب من تحقيق هذه المخطوطة، وحينما قدمتها للمناقشة عام ١٩٧٧، لم يعترض على ذلك أحد من لجنة الإشراف والمناقشة.

أما المحقِّق فقد أثبتها حفاظًا على الأمانة العلمية. وليس في ذلك غضاضة أو اعتراض، لكنه في نهاية الفقرة يقول: «نسأل الله تعالى أن يغفر للراغب الأصفهاني ما سطَّرت يداه من مثل هذه الكلمات»!.

إن الراغب الأصفهاني مفسِّر القرآن الكريم وشارح مفرداته وأحد سدنة لغته - لم يقترف إثمًا في جنب الله تعالى. وإن تسمية بعض أجزاء جسم الإنسان بأسمائها في اللغة ليس فيها إثم مادامت بعيدة عن ذكر أسماء أشخاص بأعيانهم لهذه التسميات، إنها ليست قذف محصنات، كما يقول الفقيه السني المحقِّق ابن قتيبة الدينوري[٢].

٧- من أقوال الراغب

لكن ما يوقف الباحث أكثر في كلام المحقِّق عن بعض أقوال الراغب

---

(١) من ذلك ما يقول به ابن قتيبة الدينوري في مقدمة كتابه «عيون الأخبار»، وهو يتحدث عما سيورد في كتابه هذا، من مفردات قد يشعر بعض الناس إزاءها بالحرج: «وأحببت أن تجري في القليل من هذا على عادة السلف الصالح وإرسال النفس على السجية، وفرغته بها عن لبسة الرياء والتصنع».

(٢) المصدر السابق والصفحة.

في مخطوطة المحاضرات - «أن الراغب قد شتم الصحابة»[١]، ثم يذكر أي المحقّق، أنه أورد هذه الشتائم كما هي، بدافع الأمانة العلمية.

لقد بحثت في الكتاب المحقّق فلم أعثر على سبٍّ من المصنِّف للصحابة. وغاية ما ظفرت به، مما قد يُظن أنه كذلك، حوار جرى بين اثنين: «سأل أبو الحسن السيرافي أبا الحسن الرضى الموسوي، وهو صغير، فقال: إذا قلت رأيت عمرَ، فما علامة النصب فيه؟ فقال: بغضه لأمير المؤمنين علي ﷺ»[٢]، فهل ترى في هذا سبًا للصحابة؟ إنه حوار، أساسه في النحو وآخره إجابة من متشيّع. إن المصنف، فيما يبدو، لم يقترف إثم السب، ولكنه أورد الرواية التي قد تدل على بغض الصحابة بعضهم بعضًا. ولئن قيل إن في الاختيار موقفًا، قلنا هذا صحيح ولكنه لا يصل إلى درجة التصريح بالسب.

وفي مكان آخر نرى في المحاضرات خبرًا آخر يقول: «أول من أخذ البيعة لغيره أبو بكر لعمر»[٣]. فهل ترى في هذا مسبة؟! أم في قوله: كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما شاعرين[٤]؟، وقد نجد في المخطوطة المحقّقة أن عثمان بن عفان ﷺ، قد قرَّب بعض أقاربه[٥]، وأن معاوية بن أبي سفيان ﷺ، قد أخذ البيعة لابنه يزيد في حياته[٦]، كما نجد أقوالاً مشابهة لهذه الأقوال

(١) مقدمة التحقيق ص (٢٦).

(٢) (١/ ١٣٨).

(٣) (١/ ٣٣٧).

(٤) (١/ ١٦٣).

(٥) (١/ ٢٠١).

(٦) (١/ ٥٨).

وردت في مخطوطة المحاضرات كما ترد في سائر كتب الأدب العباسي الأخرى مثل «أمالي أبي علي القالي» وغيرها. ومن الأصوب أن نعدَّها في باب الأحداث التاريخية التي تُعتبر مصادر ومراجع للتاريخ، وليست سبًا للصحابة، رضوان الله عليهم.

ولا أحسب أن الذي ينتقد المتشيعة لتطرفهم في حب علي وآل البيت، وينتقد الذين يشتمون الصحابة بعد ما قال الله تعالى فيهم بعد صلح الحديبية: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عن المؤمنينَ إذْ يُبَايعُونَكَ تحتَ الشجَّرة ﴾ [سورة الفتح: ١٨]، وينتقد الفرق الأخرى لأسباب ذكرها، ويصرِّح بملء صوته: إنني أدين بدين الله على مذهب أهل السنة والجماعة[1]، لا أحسب أنه يُقدِم على شتم أحد من الصحابة.

٨- تخريج الأشعار

يقول المحقِّق في تخريجه لأشعار المخطوطة: «إذا كان الشاهد الشعري منسوبًا إلى صاحبه فأمر تخريجه هيِّن، سواء أكان الديوان مطبوعًا طبعة محققة أو غير محققة... وأما إذا كان مجهول النسبة فالعودة إلى كتب الأدب هي السبيل الوحيد إلى معرفة الشاعر.. »[2].

أقول إن جهد المحقِّق في تخريج بيت شعر منسوب لصاحبه هو جهد المقل، ولو كانت الأشعار في المخطوط «تصل إلى الآلاف وعشرات الآلاف» كما يقول المحقِّق.

---

(١) مخطوطة «رسالة في الاعتقاد» للراغب رقم (٣٨٢)، مكتبة سعيد علي باشا. السليمانية، إسطنبول.

(٢) مقدمة التحقيق ص (٢٥).

ولكن ما يستفز المحقّق هو البيت المجهول النسبة. وههنا يكمن الجهد العلمي المبارك المطلوب في معاناة البحث الطويل، ليس في كتب الأدب فحسب، كما يذكر المحقّق، ولكن في دواوين الشعراء منذ عصر الجاهلية حتى عصر المصنف أيضًا. ﴿وفي ذَلكَ فَليتنَافَس المُتنافسُون﴾ [المطففين٢٦] كما قال تعالى. حتى إذا ما بذلت الجهود المضنية الصادقة وبقيت أبيات لم تُعرف أصحابها فإن المحقّق حينئذ معذور. ومن تجربتي الخاصة في تحقيق مخطوطة «مجمع البلاغة»، وهي سِفر آخر من مصنفات الراغب الأدبية، أذكر أنني قد حقّقت قدرًا مناسبًا من أشعارها، ونسبتها إلى قائليها، وبقيت أبيات كثيرة، بعد ذلك كله، دون نسبة إلى أحد، على الرغم من الجهود المتواضعة التي بذلت في هذا المجال.

إننا لا ننتقص من جهد المحقّق، ولكننا نشير إلى صورة التحقيق الأكاديمية وإلى تخريج الأشعار بوجهٍ خاص منها.

ثانيًا – في الجانب الشخصي

كانت الملاحظات السابقة في نطاق العمل التحقيقي الأكاديمي من الجهة الفنية، أما الملاحظات الأخرى فربما كانت ذات طابع شخصي تتصل بشخصي الضعيف، وذلك لما سبق لي من جهود في خدمة تراث الراغب الأصفهاني، تحقيقًا ودراسة.

١- لم يُورد المحقّق اسم كتابي الذي نُشر عام ١٩٨٧ عن «الراغب الأصفهاني وجهوده في اللغة والأدب». وقد نُشر مع «مجمع البلاغة» الذي حققته للراغب.

٢- لم يُورد المحقّق ما كتبته عن تحقيق مقدمة تفسير الراغب للدكتور أحمد فرحات في المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، خريف

١٩٨٨[١]، ولم يُورد المحقّق ما كتبته عن تحقيق مفردات ألفاظ القرآن، الذي قام به رضوان صفوان الداوودي عام ١٩٩٦ ونُشر في مجلة جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا ص(٥٦).

٣- لم يذكر، حينما أورد رسائل الراغب الأربع من بين مصنفات الراغب أنني حققتها جميعًا، وبالتوثيق التالي:

أ- رسالة في تحقيق الواحد والأحد. وقد نُشرت عام ١٩٩٢ عن دار الفرقان بعمان.

ب- رسالة في تحقيق أدب الاختلاط بالناس. وقد نُشرت عام ١٩٩٨ عن دار البشير بعمان.

ج- رسالة في تحقيق أن فضيلة الناس بالعلوم. وقد نُشرت عام ٢٠٠١ في مجلة كلية الدراسات الإسلامية في دبي.

د- رسالة في تحقيق مراتب العلوم والأعمال الدنيوية. وقد نُشرت عام ٢٠٠٢ في مجلة «آفاق الثقافة والتراث» الصادرة عن مركز جمعة الماجد - دبي.

وقد نُشرت هذه الرسائل الأربع مجموعة في كتاب واحد عام ٢٠٠٥ باسم رسائل الراغب الأصفهاني عن دار عالم الكتب الحديث - إربد - الأردن.

٤- لم يذكر رأيي في وفاة الراغب وفي عصره، وهو يناقش الآراء التي تحدثت عن هذا الأمر. وقد ذُكر اسم المحقّق عدنان جوهرجي - من دمشق - ولم يُذكر أنه أيّد قولي في هذا الأمر. وأزعم أنني قد ناقشت هذا الموضوع مناقشة علمية غير مسبوقة. وقد توصّلت إلى ترجيح رأي السيوطي الذي قال «بأن الراغب قد أدرك رأس المئة الخامسة للهجرة». أي أنه يمكن

---

(١) ص (٣١٦).

أن يكون قد عاش عقدًا، أو عقدًا ونصف عقد، أو عقدين على الأكثر، من القرن الخامس.

٥- بين المحاضرات ومجمع البلاغة:

ذكر المحقِّق أولاً أن «مجمع البلاغة» قد ذكرته أنا أولاً في مقالي عن عصر الراغب في مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، ثم ذكر أنه طُبع مؤخرًا في عمان.

ثم يناقش قولي في تحقيقي لمجمع البلاغة أنها مختصر لكتاب المحاضرات، ويحاول جاهدًا أن يثبت أنه مسوّدة للمحاضرات لا مختصر له.

وربما كان من الضروري معرفة أيهما الأسبق في مصنفات الراغب.

إنه لم يتحدث في إحداهما عن الأخرى. ولا أزال أميل أنه ألّف أولاً كتاب المحاضرات، ثم لخصه في مجمع البلاغة.

٦- أورد اسمي محرَّفًا إلى السريسي غير مرة.

وبعد فإنني لا أغض من جهد الدكتور رياض مراد، ففيه جهد علمي كبير ودأب وصبر ومثابرة لا تُتاح للكثيرين، ويكفي أنه أعطاه من عمره نحوًا من خمس سنوات طوال. ولكنني أحببت أن أشير إلى بعض الأمور التي درج الباحثون على القيام بها في نشر كتب التراث وتحقيقها.

والله من وراء القصد.

[١]

أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق

في مطلع عام ٢٠٠٥م (ذي القعدة ١٤٢٥هـ)

أ ـ الأعضاء

	تاريخ دخول المجمع
الدكتور شاكر الفحام	١٩٧١
«رئيس المجمع»	
الدكتور عبد الرزاق قدورة	١٩٧٥
الدكتور محمد هيثم الخياط	١٩٧٦
الدكتور عبد الكريم اليافي	١٩٧٦
الدكتور محمد إحسان النص	١٩٧٩
«نائب رئيس المجمع»	
الدكتور محمد مروان المحاسني	١٩٧٩
الدكتور عبد الحليم سويدان	١٩٨٣
الدكتور عبد الله واثق شهيد	١٩٨٨
«أمين المجمع»	

	تاريخ دخول المجمع
الدكتور محمد زهير البابا	١٩٨٨
الأستاذ جورج صدقني	١٩٩١
الأستاذ سليمان العيسى	١٩٩١
الدكتورة ليلى الصباغ	٢٠٠٠
الدكتور محمد الدالي	٢٠٠٠
الدكتور محمد مكي الحسني	٢٠٠١
الدكتور محمود السيد	٢٠٠١
الأستاذ شحادة الخوري	٢٠٠٢
الدكتور موفق دعبول	٢٠٠٢
الدكتور محمد عزيز شكري	٢٠٠٣
الأستاذ محمد عاصم بيطار	٢٠٠٣

* * *

ب- الأعضاء المراسلون في البلدان العربية(*)

تاريخ دخول المجمع

المملكة الأردنية الهاشمية

الدكتور ناصر الدين الأسد ١٩٦٩

الدكتور سامي خلف حمارنة ١٩٧٧

الدكتور عبد الكريم خليفة ١٩٨٦

الدكتور محمود السمرة ١٩٨٦

الدكتور نشأت حمارنة ٢٠٠٢

الدكتور عدنان بخيت ٢٠٠٢

الدكتور علي محافظة ٢٠٠٢

الجمهورية التونسية

الأستاذ محمد المزالي ١٩٧٨

الدكتور محمد الحبيب بلخوجة ١٩٨٦

الدكتور محمد السويسي ١٩٨٦

الدكتور رشاد حمزاوي ١٩٨٦

الأستاذ أبو القاسم محمد كرو ١٩٩٣

الدكتور إبراهيم شبوح ١٩٩٣

الدكتور إبراهيم بن مراد ١٩٩٣

الدكتور سليم عمار ١٩٩٣

الدكتور عبد الوهاب بوحدية ٢٠٠٠

الدكتور صالح الجابري ٢٠٠٠

تاريخ دخول المجمع

الدكتور عبد السلام المسدّي ٢٠٠٢

الدكتور عبد اللطيف عبيد ٢٠٠٢

الجمهورية الجزائرية

الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي ١٩٧٢

الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح ١٩٧٧

الدكتور أبو القاسم سعد الله ١٩٩٢

الدكتور عبد الملك مرتاض ٢٠٠٢

الدكتور العربي ولد خليفة ٢٠٠٢

المملكة العربية السعودية

الأستاذ حسن عبد الله القرشي ١٩٩٢

الأستاذ عبد الله بن خميس ١٩٩٢

الدكتور أحمد محمد الضبيب ٢٠٠٠

الدكتور عبد الله صالح العثيمين ٢٠٠٠

الدكتور عبد الله الغذامي ٢٠٠٠

الدكتور عوض القوزي ٢٠٠٠

جمهورية السودان

الأستاذ سر الختم الخليفة ١٩٩٣

الأستاذ حسن فاتح قريب الله ١٩٩٣

(*) ذكرت الأقطار حسب الترتيب الهجائي والأسماء حسب الترتيب الزمني.

الجمهورية العربية السورية

	تاريخ دخول المجمع
الدكتور صلاح الدين المنجد	١٩٩٢
الدكتور عبد الله عبد الدايم	١٩٩٢
الأستاذ عبد المعين الملوحي	١٩٩٢
الدكتور عبد السلام العجيلي	١٩٩٢
الدكتور عبد الكريم الأشتر	١٩٩٢
الدكتور عمر الدقاق	١٩٩٢
قداسة البطريرك مار اغناطيوس زكا الأول عيواص	٢٠٠٠
الدكتور محمود فاخوري	٢٠٠٠
الدكتور عدنان تكريتي	٢٠٠٠
الدكتور عدنان درويش	٢٠٠٠
الدكتور عدنان حموي	٢٠٠٠
الدكتور عمر موسى باشا	٢٠٠٠
الدكتور محمد مراياتي	٢٠٠٠
الأستاذ مدحة عكاش	٢٠٠٠
الدكتور عبد السلام الترمانيني	٢٠٠٠
الدكتور أحمد دهمان	٢٠٠٠
الدكتور عبد الإله نبهان	٢٠٠٢
الدكتور يحيى مير علم	٢٠٠٢
الدكتور علي عقلة عرسان	٢٠٠٢
الدكتور صلاح كزارة	٢٠٠٢
الدكتور مازن المبارك	٢٠٠٢
الدكتور محمود الربداوي	٢٠٠٢
الدكتور رضوان الداية	٢٠٠٢
الأستاذ مروان البواب	٢٠٠٢
الدكتورة فاتن محجازي	٢٠٠٢
الدكتور محمد حسان الطيان	٢٠٠٢
الدكتور علي أبو زيد	٢٠٠٢
الدكتور عبد الكريم رافق	٢٠٠٢

الجمهورية العراقية

	تاريخ دخول المجمع
الدكتور عبد اللطيف البدري	١٩٧٣
الدكتور جميل الملائكة	١٩٧٣
الدكتور عبد العزيز الدوري	١٩٧٣
الدكتور محمود الجليلي	١٩٧٣
الدكتور عبد العزيز البسام	١٩٧٣
الدكتور صالح أحمد العلي	١٩٧٣
الدكتور يوسف عز الدين	١٩٧٣
الدكتور حسين علي محفوظ	١٩٩٣
الدكتور ناجح الراوي	٢٠٠٠
الدكتور أحمد مطلوب	٢٠٠٠
الدكتور محمود حياوي حماش «رئيس المجمع»	٢٠٠٢
الدكتور هلال ناجي	٢٠٠٢
الدكتور بشار عواد معروف	٢٠٠٢

	تاريخ دخول المجمع

الكويت

الدكتور عبد الله غنيم	١٩٩٣
الدكتور خالد عبد الكريم جمعة	١٩٩٣
الدكتور علي الشملان	٢٠٠٠
الدكتور سليمان العسكري	٢٠٠٠
الدكتور سليمان الشطي	٢٠٠٠
الأستاذ عبد العزيز البابطين	٢٠٠٢

الجمهورية اللبنانية

الدكتور فريد سامي الحداد	١٩٧٢
الدكتور محمد يوسف نجم	١٩٩٣
الدكتور عز الدين البدوي النجار	٢٠٠٠
الدكتور أحمد شفيق الخطيب	٢٠٠٢
الدكتور جورج عبد المسيح	٢٠٠٢
الدكتور نقولا زيادة	٢٠٠٢

الجماهيرية الليبية

الدكتور علي فهمي خشيم	١٩٩٣
الدكتور محمد أحمد الشريف	١٩٩٣

جمهورية مصر العربية

الدكتور رشدي الراشد	١٩٨٦
الأستاذ وديع فلسطين	١٩٨٦
الدكتور شوقي ضيف	١٩٩٢
الدكتور كمال بشر	١٩٩٢
الدكتور محمود علي مكي	١٩٩٣
الدكتور أمين علي السيد	١٩٩٣
الأستاذ مصطفى حجازي	١٩٩٣
الأستاذ محمود فهمي حجازي	١٩٩٣

	تاريخ دخول المجمع
الدكتور محمود حافظ	٢٠٠٠
الدكتور عبد الحافظ حلمي	٢٠٠٠
الدكتور عز الدين إسماعيل	٢٠٠٠
الدكتور جابر عصفور	٢٠٠٠
الدكتور فاروق شوشة	٢٠٠٢
الدكتور حسين نصار	٢٠٠٢
الدكتورة وفاء كامل فايد	٢٠٠٢

المملكة المغربية

الأستاذ أحمد الأخضر غزال	١٩٧٨
الدكتور عبد الهادي التازي	١٩٨٦
الدكتور محمد بن شريفة	١٩٨٦
الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله	١٩٨٦
الأستاذ محمد المكي الناصري	١٩٩٣
الأستاذ عبد الوهاب بن منصور	١٩٩٣
الدكتور عباس الجراري	١٩٩٣
الدكتور عبد اللطيف بربيش	٢٠٠٠
الدكتور الشاهد البوشيخي	٢٠٠٢
الأستاذ عبد القادر زمامة	٢٠٠٢

الجمهورية العربية اليمنية

الأستاذ القاضي إسماعيل بن علي الأكوع	١٩٨٥
الدكتور عبد العزيز مقالح	٢٠٠٠

ج- الأعضاء المراسلون في البلدان الأخرى

تاريخ دخول المجمع

الاتحاد السوفييتي «سابقاً»

الدكتور غريغوري شرباتوف ١٩٨٦

أزبكستان

الدكتور نعمة الله إبراهيموف ١٩٩٣

إسبانية

الدكتور خيسوس ريو ساليدو ١٩٩٢

ألمانية

الدكتور رودلف زلهايم ١٩٩٢

الدكتور فولف ديتريش فيشر ٢٠٠٢

إيران

الدكتور فيروز حريرجي ١٩٨٦

الدكتور محمد باقر حجتي ١٩٨٦

الدكتور مهدي محقق ١٩٨٦

الدكتور محمد علي آذر شب ٢٠٠٢

الدكتور محمد مهدي الآصفي ٢٠٠٢

الدكتور هادي معرفت ٢٠٠٢

الدكتور محمد علي التسخيري ٢٠٠٢

باكستان

الأستاذ محمود أحمد غازي الفاروقي ١٩٨٦

الدكتور أحمد خان ١٩٩٣

تاريخ دخول المجمع

البوسنة والهرسك

الدكتور محمد أرناؤوط ٢٠٠٢

الدكتور أسعد دراكوفيتش ٢٠٠٢

د. فتحي مهدي ٢٠٠٢

تركية

الدكتور فؤاد سزكين ١٩٧٧

الدكتور إحسان أكمل الدين أوغلو ١٩٨٦

رومانية

الدكتور نقولا دويرشيان ٢٠٠٢

الصين

الأستاذ عبد الرحمن ناجونغ ١٩٨٥

فرنسة

الأستاذ أندره ميكيل ١٩٨٦

الأستاذ جورج بوهاس ١٩٩٣

الأستاذ جيرار تروبو ١٩٩٣

الأستاذ جاك لانغاد ١٩٩٣

الهند

الدكتور مختار الدين أحمد ١٩٨٥

الدكتور محمد أجمل أيوب الإصلاحي ٢٠٠٢

[٢]

أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق الراحلون

أ– رؤساء المجمع الراحلون

رئيس المجمع	مدة تولّيه رئاسة المجمع
الأستاذ محمد كرد علي	(١٩١٩ - ١٩٥٣)
الأستاذ خليل مردم بك	(١٩٥٣ - ١٩٥٩)
الأمير مصطفى الشهابي	(١٩٥٩ - ١٩٦٨)
الأستاذ الدكتور حسني سبح	(١٩٦٨ - ١٩٨٦)

* * *

ب- أعضاء مجمع اللغة العربية الراحلون

١- الأعضاء

	تاريخ الوفاة
الشيخ طاهر السمعوني الجزائري	١٩٢٠
الأستاذ إلياس قدسي	١٩٢٦
الأستاذ سليم البخاري	١٩٢٨
الأستاذ مسعود الكواكبي	١٩٢٩
الأستاذ أنيس سلوم	١٩٣١
الأستاذ سليم عنحوري	١٩٣٣
الأستاذ متري قندلفت	١٩٣٣
الشيخ سعيد الكرمي	١٩٣٥
الشيخ أمين سويد	١٩٣٦
الأستاذ عبد الله رعد	١٩٣٦
الأستاذ رشيد بقدونس	١٩٤٣
الأستاذ أديب التقي	١٩٤٥
الشيخ عبد القادر المبارك	١٩٤٧
الأستاذ معروف الأرناؤوط	١٩٤٨
الدكتور جميل الخاني	١٩٥١
الأستاذ محسن الأمين	١٩٥٢
الأستاذ محمد كرد علي «رئيس المجمع»	١٩٥٣
الأستاذ سليم الجندي	١٩٥٥

	تاريخ الوفاة
الأستاذ محمد البزم	١٩٥٥
الشيخ عبد القادر المغربي «نائب رئيس المجمع»	١٩٥٦
الأستاذ عيسى اسكندر المعلوف	١٩٥٦
الأستاذ خليل مردم بك «رئيس المجمع»	١٩٥٩
الدكتور مرشد خاطر	١٩٦١
الأستاذ فارس الخوري	١٩٦٢
الأستاذ عز الدين التنوخي «نائب رئيس المجمع»	١٩٦٦
الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي «رئيس المجمع»	١٩٦٨
الأمير جعفر الحسني «أمين المجمع»	١٩٧٠
الدكتور سامي الدهان	١٩٧١
الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي	١٩٧٢
الأستاذ عارف النكدي	١٩٧٥
الأستاذ محمد بهجة البيطار	١٩٧٦
الدكتور جميل صليبا	١٩٧٦

	تاريخ الوفاة
الدكتور أسعد الحكيم	١٩٧٩
الأستاذ شفيق جبري	١٩٨٠
الدكتور ميشيل الخوري	١٩٨٠
الأستاذ محمد المبارك	١٩٨١
الدكتور حكمة هاشم	١٩٨٢
الأستاذ عبد الكريم زهور عدي	١٩٨٥
الدكتور شكري فيصل «أمين المجمع»	١٩٨٥
الدكتور محمد كامل عياد	١٩٨٦
الدكتور حسني سبح «رئيس المجمع»	١٩٨٦

	تاريخ الوفاة
الأستاذ عبد الهادي هاشم	١٩٨٨
الأستاذ أحمد راتب النفاخ	١٩٩٢
الأستاذ المهندس وجيه السمان	١٩٩٢
الدكتور عدنان الخطيب «أمين المجمع»	١٩٩٥
الدكتور مسعود بوبو	١٩٩٩
الدكتور محمد بديع الكسم	٢٠٠٠
الدكتور أمجد الطرابلسي	٢٠٠١
الدكتور مختار هاشم	٢٠٠٢
الدكتور عبد الوهاب حومد	٢٠٠٢
الدكتور عادل العوا	٢٠٠٢

* * *

٢- الأعضاء المراسلون الراحلون من الأقطار العربية(*)

	تاريخ الوفاة
المملكة الأردنية الهاشمية	
الأستاذ محمد الشريقي	١٩٧٠
الدكتور محمود إبراهيم	١٩٩٩
الجمهورية التونسية	
الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب	١٩٦٨
الأستاذ محمد الفاضل ابن عاشور	١٩٧٠
الأستاذ محمد الطاهر ابن عاشور	١٩٧٣
الأستاذ عثمان الكعاك	١٩٧٦
الدكتور سعد غراب	١٩٩٥
الجمهورية الجزائرية	
الشيخ محمد بن أبي شنب	١٩٢٩
الأستاذ محمد البشير الإبراهيمي	١٩٦٥
محمد العيد محمد علي خليفة	١٩٧٩
الأستاذ مولود قاسم	١٩٩٢
الأستاذ صالح الخرفي	١٩٩٨
المملكة العربية السعودية	
الأستاذ خير الدين الزركلي	١٩٧٦
الأستاذ عبد العزيز الرفاعي	١٩٩٣
الأستاذ حمد الجاسر	٢٠٠٠

	تاريخ الوفاة
جمهورية السودان	
الشيخ محمد نور الحسن	
الدكتور محيي الدين صابر	٢٠٠٣
الدكتور عبد الله الطيب	٢٠٠٣
الجمهورية العربية السورية	
الدكتور صالح قنباز	١٩٢٥
الأب جرجس شلحت	١٩٢٨
الأب جرجس منش	١٩٣٣
الأستاذ جميل العظم	١٩٣٣
الشيخ كامل الغزي	١٩٣٣
الأستاذ جبرائيل رباط	١٩٣٥
الأستاذ ميخائيل الصقال	١٩٣٨
الأستاذ قسطاكي الحمصي	١٩٤١
الشيخ سلمان الأحمد	١٩٤٢
الشيخ بدر الدين النعساني	١٩٤٣
الأستاذ ادوارد مرقص	١٩٤٨
الأستاذ راغب الطباخ	١٩٥١
الشيخ عبد الحميد الجابري	١٩٥١
الشيخ محمد زين العابدين	١٩٥١
الشيخ عبد الحميد الكيالي	١٩٥٦

(*) ذكرت الأقطار حسب الترتيب الهجائي والأسماء حسب الترتيب الزمني.

	تاريخ الوفاة
الشيخ محمد سعيد العرفي	١٩٥٦
البطريرك مار اغناطيوس افرام	١٩٥٧
المطران ميخائيل بخاش	١٩٥٨
الأستاذ نظير زيتون	١٩٦٧
الدكتور عبد الرحمن الكيالي	١٩٦٩
الأستاذ محمد سليمان الأحمد «بدوي الجبل»	١٩٨١
الأستاذ عمر أبو ريشة	١٩٩٠
الدكتور شاكر مصطفى	١٩٩٧
الدكتور قسطنطين زريق	٢٠٠٠
الدكتور خالد الماغوط	٢٠٠٠

الجمهورية العراقية

الأستاذ محمود شكري الآلوسي	١٩٢٤
الأستاذ جميل صدقي الزهاوي	١٩٣٦
الأستاذ معروف الرصافي	١٩٤٥
الأستاذ طه الراوي	١٩٤٦
الأب انستاس ماري الكرملي	١٩٤٧
الدكتور داود الجلبي الموصلي	١٩٦٠
الأستاذ طه الهاشمي	١٩٦١
الأستاذ محمد رضا الشبيبي	١٩٦٥
الأستاذ ساطع الحصري	١٩٦٩
الأستاذ منير القاضي	١٩٦٩
الدكتور مصطفى جواد	١٩٦٩
الأستاذ عباس العزاوي	١٩٧١
الأستاذ كاظم الدجيلي	١٩٧٢
الأستاذ كمال إبراهيم	١٩٧٣
الدكتور ناجي معروف	١٩٧٧
البطريرك اغناطيوس يعقوب الثالث	١٩٨٠
الدكتور عبد الرزاق محيي الدين	١٩٨٣
الدكتور إبراهيم شوكة	١٩٨٣
الدكتور فاضل الطائي	١٩٨٣
الدكتور سليم النعيمي	١٩٨٤
الأستاذ طه باقر	١٩٨٤
الدكتور صالح مهدي حنتوش	١٩٨٤
الأستاذ أحمد حامد الصراف	١٩٨٥
الدكتور أحمد عبد الستار الجواري	١٩٨٨
الدكتور جميل سعيد	١٩٩٠
الأستاذ كوركيس عواد	١٩٩٢
الشيخ محمد بهجة الأثري	١٩٩٦
الأستاذ محمود شيت خطاب	١٩٩٨
الدكتور فيصل دبدوب	١٩٩٨
الدكتور إبراهيم السامرائي	٢٠٠١
الدكتور محمد تقي الحكيم	٢٠٠٢

فلسطين

الأستاذ نخلة زريق	١٩٢١
الشيخ خليل الخالدي	١٩٤١

	تاريخ الوفاة
الأستاذ عبد الله مخلص	١٩٤٧
الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي	١٩٤٨
الأستاذ خليل السكاكيني	١٩٥٣
الأستاذ عادل زعيتر	١٩٥٧
الأب أوغسطين مرمرجي الدومنيكي	١٩٦٣
الأستاذ قدري حافظ طوقان	١٩٧١
الأستاذ أكرم زعيتر	١٩٩٦
الدكتور إحسان عباس	٢٠٠٣
الأستاذ أحمد صدقي الدجاني	٢٠٠٣
الدكتور إدوارد سعيد	٢٠٠٣

الجمهورية اللبنانية

	تاريخ الوفاة
الأستاذ حسن بيهم	١٩٢٥
الأب لويس شيخو	١٩٢٧
الأستاذ عباس الأزهري	١٩٢٧
الأستاذ عبد الباسط فتح الله	١٩٢٩
الشيخ عبد الله البستاني	١٩٣٠
الأستاذ جبر ضومط	١٩٣٠
الأستاذ أمين الريحاني	١٩٤٠
الشيخ عبد الرحمن سلام	١٩٤١
الأستاذ جرجي يني	١٩٤١
الشيخ مصطفى الغلاييني	١٩٤٥
الأستاذ عمر الفاخوري	١٩٤٦
الأمير شكيب أرسلان	١٩٤٦
الأستاذ بولس الخولي	١٩٤٨
الشيخ إبراهيم المنذر	١٩٥١
الشيخ أحمد رضا (العاملي)	١٩٥٣
الأستاذ فيليب طرزي	١٩٥٦
الشيخ فؤاد الخطيب	١٩٥٧
الدكتور نقولا فياض	١٩٥٨
الأستاذ سليمان ظاهر	١٩٦٠
الأستاذ مارون عبود	١٩٦٢
الأستاذ بشارة الخوري «الأخطل الصغير»	١٩٦٨
الأستاذ أمين نخلة	١٩٧٦
الأستاذ أنيس مقدسي	١٩٧٧
الأستاذ محمد جميل بيهم	١٩٧٨
الدكتور صبحي المحمصاني	١٩٨٦
الدكتور عمر فرّوخ	١٩٨٧
الأستاذ عبد الله العلايلي	١٩٩٦

الجمهورية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية

	تاريخ الوفاة
الأستاذ علي الفقيه حسن	١٩٨٥

جمهورية مصر العربية

	تاريخ الوفاة
الأستاذ مصطفى لطفي المنفلوطي	١٩٢٤
الأستاذ رفيق العظم	١٩٢٥
الأستاذ يعقوب صروف	١٩٢٧

	تاريخ الوفاة
الأستاذ أحمد تيمور	١٩٣٠
الأستاذ أحمد كمال	١٩٣٢
الأستاذ حافظ إبراهيم	١٩٣٢
الأستاذ أحمد شوقي	١٩٣٢
الأستاذ داود بركات	١٩٣٣
الأستاذ أحمد زكي باشا	١٩٣٤
الأستاذ محمد رشيد رضا	١٩٣٥
الأستاذ أسعد خليل داغر	١٩٣٥
الأستاذ مصطفى صادق الرافعي	١٩٣٧
الأستاذ أحمد الاسكندري	١٩٣٨
الدكتور أمين المعلوف	١٩٤٣
الشيخ عبد العزيز البشري	١٩٤٣
الأمير عمر طوسون	١٩٤٤
الدكتور أحمد عيسى	١٩٤٦
الشيخ مصطفى عبد الرازق	١٩٤٧
الأستاذ أنطون الجميل	١٩٤٨
الأستاذ خليل مطران	١٩٤٩
الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني	١٩٤٩
الأستاذ محمد لطفي جمعة	١٩٥٣
الدكتور أحمد أمين	١٩٥٤
الأستاذ عبد الحميد العبادي	١٩٥٦
الشيخ محمد الخضر حسين	١٩٥٨

	تاريخ الوفاة
الدكتور عبد الوهاب عزام	١٩٥٩
الدكتور منصور فهمي	١٩٥٩
الأستاذ أحمد لطفي السيد	١٩٦٣
الأستاذ عباس محمود العقاد	١٩٦٤
الأستاذ خليل ثابت	١٩٦٤
الأمير يوسف كمال	١٩٦٦
الأستاذ أحمد حسن الزيات	١٩٦٨
الدكتور طه حسين	١٩٧٣
الدكتور أحمد زكي	١٩٧٥
الأستاذ حسن كامل الصيرفي	١٩٨٤
الأستاذ محمد عبد الغني حسن	١٩٨٥
الأستاذ محمود محمد شاكر	١٩٩٧
الأستاذ إبراهيم الترزي	٢٠٠٢
الدكتور عبد القادر القط	٢٠٠٣
الدكتور أحمد مختار عمر	٢٠٠٣

المملكة المغربية

الأستاذ محمد الحجوي	١٩٥٦
الأستاذ عبد الحي الكتاني	١٩٦٢
الأستاذ علال الفاسي	١٩٧٣
الأستاذ عبد الله كنون	١٩٨٩
الأستاذ محمد الفاسي	١٩٩١
الأستاذ عبد الرحمن الفاسي	٢٠٠١

٣- الأعضاء المراسلون الراحلون من البلدان الأخرى

	تاريخ الوفاة
الاتحاد السوفييتي	
«سابقاً»	
الأستاذ كراتشكوفسكي (أغناطيوس)	١٩٥١
الأستاذ برتل (ايفكني ادوارد دو فيتش)	١٩٥٧
إسبانية	
الأستاذ آسين بلاسيوس (ميكل)	١٩٤٤
الأستاذ اميليو غارسيا غومز	١٩٩٥
ألمانية	
الأستاذ هارتمان (مارتين)	١٩٢٨
الأستاذ ساخاو (ادوارد)	١٩٣٠
الأستاذ هوروفيتز (يوسف)	١٩٣١
الأستاذ هوميل (فبريتز)	١٩٣٦
الأستاذ ميتفوخ (أوجين)	١٩٤٢
الأستاذ هرزفلد (أرنست)	١٩٤٨
الأستاذ فيشر (أوغست)	١٩٤٩
الأستاذ بروكلمان (كارل)	١٩٥٦
الأستاذ هارتمان (ريتشارد)	١٩٦٥
الدكتور ريتر (هلموت)	١٩٧١

	تاريخ الوفاة
إيران	
الشيخ أبو عبد الله الزنجاني	١٩٤٧
الأستاذ عباس إقبال	١٩٥٥
الدكتور علي أصغر حكمة	١٩٨١
الدكتور محمد جواد مشكور	١٩٩٥
إيطالية	
الأستاذ غريفيني (اوجينيو)	١٩٢٥
الأستاذ كايتاني (ليون)	١٩٢٦
الأستاذ غويدي (اغنازيو)	١٩٣٥
الأستاذ نلّينو (كارلو)	١٩٣٨
الأستاذ غبريلّي (فرنسيسكو)	١٩٩٦
باكستان	
الأستاذ محمد يوسف البنوري	١٩٧٧
الأستاذ عبد العزيز الميمني الراجكوتي	١٩٧٨
الأستاذ محمد صغير حسن المعصومي	١٩٩٦
البرازيل	
الدكتور سعيد أبو جمرة	١٩٥٤
الأستاذ رشيد سليم الخوري (الشاعر القروي)	١٩٨٤
البرتغال	
الأستاذ لويس (دافيد)	١٩٤٢

	تاريخ الوفاة
بريطانية	
الأستاذ ادوارد (براون)	١٩٢٦
الأستاذ بفن (انطوني)	١٩٣٣
الأستاذ مرغليوث (د.س.)	١٩٤٠
الأستاذ كرينكو (فريتز)	١٩٥٣
الأستاذ غليوم (الفريد)	١٩٦٥
الأستاذ اربري (أ.ج.)	١٩٦٩
الأستاذ جيب (هاملتون أ.ر.)	١٩٧١
بولونية	
الأستاذ (كوفالسكي)	١٩٤٨
تركية	
الأستاذ أحمد اتش	
الأستاذ زكي مغامز	١٩٣٢
تشكوسلوفاكية	
الأستاذ موزل (ألوا)	١٩٤٤
الدانمرك	
الأستاذ بوهل (فرانز)	١٩٣٢
الأستاذ استروب (يحيى)	١٩٣٨
الأستاذ بدرسن (جون)	١٩٧٤
السويد	
الأستاذ سيترستين (ك.ف.)	١٩٥٣
الأستاذ ديدرينغ سفن	١٩٨٦

	تاريخ الوفاة
سويسرة	
الأستاذ مونتة (ادوارد)	١٩٢٧
الأستاذ هيس (ح.ح)	١٩٤٩
فرنسة	
الأستاذ باسيه (رينه)	١٩٢٤
الأستاذ مالانجو	١٩٢٦
الأستاذ هوار (كليمان)	١٩٢٧
الأستاذ غي (ارثور)	١٩٢٨
الأستاذ ميشو (بلير)	١٩٢٩
الأستاذ بوفا (لوسيان)	١٩٤٢
الأستاذ فران (جبريل)	١٩٥٣
الأستاذ مارسيه (وليم)	١٩٥٦
الأستاذ دوسو (رينه)	١٩٥٨
الأستاذ ماسينيون (لويس)	١٩٦٢
الأستاذ ماسيه (هنري)	١٩٧٠
الدكتور بلاشير (ريجيس)	١٩٧٣
الأستاذ كولان (جورج)	
الأستاذ لاوست (هنري)	١٩٨٣
الأستاذ نيكيتا إيلييسف	١٩٩٧
فنلندة	
الأستاذ كرسيكو (يوحنا اهتنن)	

تاريخ الوفاة

المجر

الأستاذ غولدزيهر (اغناطيوس) ١٩٢١

الأستاذ ماهلر (ادوارد)

الأستاذ عبد الكريم جرمانوس ١٩٧٩

النروج

الأستاذ موبرج

النمسا

الدكتور اشتولز (كارل)

الأستاذ جير (رودلف) ١٩٢٩

الدكتور موجيك (هانز) ١٩٦١

الهند

الحكيم محمد أجمل خان ١٩٢٧

تاريخ الوفاة

الأستاذ أبو الحسن علي الحسني الندوي ١٩٩٩

الدكتور عبد الحليم الندوي ٢٠٠٥

هولاندة

الأستاذ هورغرونج (سنوك) ١٩٣٦

الأستاذ هوتسما (مارتينوس تيودوروس) ١٩٤٣

الأستاذ اراندونك (ك. فان) ١٩٤٧

الأستاذ شخت (يوسف) ١٩٧٠

الولايات المتحدة الأمريكية

الدكتور مكدونالد (ب) ١٩٤٣

الأستاذ هرزفلد (ارنست) ١٩٤٨

الأستاذ سارطون (جورج) ١٩٥٦

الدكتور ضودج (بيارد) ١٩٧١

* * *

الكتب والمجلات المهداة

إلى مكتبة مجمع اللغة العربية

في الربع الرابع من عام ٢٠٠٤م

أ – الكتب العربية

أ. خير الله الشريف

- **أبيات ريفية/** عبد الباسط الصوفي – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٤- (سلسلة آفاق ثقافية ١١).
- **اتجاهات جديدة في التسويق/** أوبري ويلسون، ترجمة: نيفين غراب – القاهرة: الدار الدولية للنشر، ١٩٩٥ .
- **الاتجاهات الفكرية المعاصرة من السلفية إلى الحداثة/** محمد عزام – دمشق : وزارة الثقافة، ٢٠٠٤ – (سلسلة دراسات فكرية ٧٨).
- **٤٢ راكباً ونصف/** فارس زرزور – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٣ – (سلسلة آفاق ثقافية ٨).
- **الإجراءات القضائية في أمريكا/** روبرت. أ. كارب، رونالد ستيدهام، ترجمة: د. علا أبو زيد – القاهرة: الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة، ١٩٩٧.
- **اختيارات من زهر الآداب وثمر الألباب/** القيرواني، اختارها: د. شوقي المعري - دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٣ - ٢مج – (سلسلة المختار من التراث العربي ١٢٨، ١٢٩).
- **الإدارة عبر الحدود: الحلول بين القطرية/** كريستوفر أ. بارتلت،

سومنيرا جوشال، ترجمة: سعاد الطنبولي – القاهرة: الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة، ١٩٩٤ .

- **الأسواق أم الحكومات/** تشارلز وولف الابن، ترجمة: د. علي حسين حجاج، مراجعة: د. غسان أومت - عمان: دار البشير، ١٩٩٦.
- **أزمة المياه/** بول سيمون، ترجمة: أمجد عبد الرزاق - عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، ٢٠٠١.
- **الأعراس، اللوز والثريا/** محمود مفلح البكر، دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٣ - (سلسلة من الشعر العربي ١٢٩).
- **الأعمال الكاملة: المجموعات القصصية، الروايات /** أديب النحوي – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٣ - ٢ج - (سلسلة قصص عربية ٤٠).
- **أفراح مؤجلة/** عوض سعود عوض - دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٤ – (سلسلة قصص عربية ٣٥).
- **أفكار جديدة من اقتصاديين راحلين/** تودج. بوشهولز، ترجمة: نزيرة الأفندي، عزة الحسيني – القاهرة: المكتبة الأكاديمية، ١٩٩٦.
- **الالتزام واستراتيجية اتخاذ القرارات الإدارية/** بنكاج جيماوات، ترجمة: سعاد الطنبولي - القاهرة: الدار الدولية للنشر والتوزيع، ١٩٩٤.
- **الانتخابات الحرة والنزيهة: القانون الدولي والممارسة العملية /** جاي. س. جودوين، ترجمة: أحمد منيب، فايزة الحكيم - القاهرة: الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، ٢٠٠٠.
- **إنقاذ الكوكب /** لستر ر. براون، كريستوفر فلافين، ساندرا بوستل، ترجمة: سيد رمضان هدارة – القاهرة: الدار العربية للنشر، ١٩٩٥.

- **الأنهار الضائعة: قصائد كتبها أطفال/** ترجمة: أنطوانيت القس – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٤.
- **الأوراق: مقالات مختارة في الأدب والفن والاجتماع/** د. إبراهيم الكيلاني – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٣ – (سلسلة آفاق ثقافية ٧).
- **أوراق من حياتي /** سليمان العيسى، نقلتها إلى الفرنسية: د. ملكة أبيض – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٤.
- **أوهام ضائعة/** بلزاك، ترجمة ميشيل خوري – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٤ – الرواية الثالثة: آلام المبتكر – (سلسلة روايات بلزاك٣٧).
- **بابلونيرودا/** ألبيرتوكوستي، ترجمة: صالح علماني – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٣ – (سلسلة آفاق ثقافية ٥).
- **بعض ماجرى للمغترب غريب... /** أُبَيّ حسن – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٣ – (سلسلة مسرحيات عربية ٢٥).
- **البيئة من حولنا: دليل لفهم التلوث وآثاره/** ترافس واجنر، ترجمة: د. محمد صابر – القاهرة: الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة، ١٩٩٧.
- **بيل كلينتون: من أركانسو إلى البيت الأبيض/** تشارلز ف ألن، جوناثان بورتيس، ترجمة: كمال عبد الرؤوف – القاهرة: الدار الدولية للنشر والتوزيع، ١٩٩٥.
- **تاريخ الكتابة العربية وتطورها وأصول الإملاء العربي /** محمود حاج حسين – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٤ – ٢ج.
- **تطور الهوية الأمريكية العربية /** إيرنست ماك كاروس، ترجمة: أمل الشرقي، مراجعة: د. فؤاد شعبان – عمان: دار النسر للنشر والتوزيع، ١٩٩٨ .

- **تعليم الديموقراطية: مذكرات أستاذ جامعي/** جون إيه ميناهان، ترجمة: شحدة فارع، مراجعة: فاروق جرار – عمان: دار البشير، ١٩٩٥.
- **تغيير المسار/** ستيفن شميدهايني، ترجمة: د. علي حسين حجاج، مراجعة: د. موفق الصقار – عمان: دار البشير، ١٩٩٦.
- **التيارات المتناوبة/** وفيق يوسف – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٣ – (سلسلة قصص عربية: ٣٧).
- **الثروة الطبيعية للأمم** .../ دافيد مالين رودمان، ترجمة: حسني تمام – القاهرة: الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، ١٩٩٩.
- **ثقافة تنظيم العمل** / بريجيت بيرجر، ترجمة: محمد مصطفى غنيم – القاهرة: الدار الدولية للنشر والتوزيع، ١٩٩٥.
- **ثلاث قصص: الوقواق، الغراب والوطن، الهدهد/** مريم خير بك – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٣.
- **ثورة في عالم الإدارة../** توم بيترز، ترجمة: محمد الحديدي – القاهرة: الدار الدولية للنشر والتوزيع، ١٩٩٥ – ٢ج.
- **حزن معصوم عن الخطأ/** عادل محمود – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٣ – (سلسلة من الشعر العربي ١٣٦).
- **حضارة الطين** / شاكر مصطفى – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٤ – (سلسلة آفاق ثقافية: ١٠).
- **الدب الطماع: مسرحية للأطفال/** نور الدين الهاشمي – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٣.
- **ديوان فايز خضور/** فايز خضور – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٣.

- **رأسمالية القرن ٢١/** روبرت هيلبرونر، ترجمة: كمال السيد – ط١ – القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، ١٩٩٥.
- **الوز المو/** جوسيي دي لورنيتس، ترجمة: إيليا قجميني – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٤ – (سلسلة الفن السابع ٦٩).
- **ساه كما الدموع/** أحمد الخير – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٣ – (سلسلة من الشعر العربي ١٣٢).
- **السكان وكوكب الأرض/** ليستر ر. براون، هال كين، ترجمة: ليلى زيدان – القاهرة: الجمعية المصرية للنشر، ١٩٩٥.
- **سورية: دراسة في الجغرافية السياسية /** د. صفوح خير – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٣.
- **السيطرة على الفساد/** روبرت كليتجارد، ترجمة: د. علي حسين حجاج، مراجعة: فاروق جرار – عمان: دار البشير، ١٩٩٤.
- **الشفاء من الإدمان/** باربرا كوتمان بكنل، ترجمة: د. زكريا عبد العزيز حليم، د. سعاد موسى – القاهرة: الدار الدولية للنشر والتوزيع، ١٩٩٤.
- **الصخرة والصفصاف /** ميلدريد لي، ترجمة: نبيل مرشة – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٤ – (سلسلة روايات عالمية: ٩٧).
- **الصورة الكلية مفهوم وإنجاز/** فائز الشرع – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٤.
- **طاقة الرياح: نقطة تحول /** كريستوفر فلافين، ترجمة: د. سيد رمضان هدارة – ط١ – القاهرة: الجمعية المصرية لنشر المعرفة، ١٩٩٣.
- **الطريق إلى العبودية /** ف. أ. هايك، ترجمة: محمد مصطفى غنيم – ط١– القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٤.

- **العجز المكتسب**/ د. مطاع بركات – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٤ – (سلسلة دراسات نفسية ٥٢).
- **عمر أبو ريشة: آثار مجهولة**/ هاشم عثمان – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٣.
- **العلاقات الحيوية**/ لستر. ر. براون، ترجمة: سيد رمضان هدارة – القاهرة: الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة، ١٩٩٦.
- **فتاوى كبار الكتاب والأدباء**/ مجموعة من الكتاب – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٣ – (سلسلة آفاق ثقافية ٤).
- **الفصول: دراسة في القصة القصيرة**/ أحمد المعلم – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٤.
- **فكر فيّ غداً أثناء المعركة**/ خابيير ماریاس، ترجمة: علي إبراهيم أشقر – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٣ – (سلسلة روايات عالمية ٩٨).
- **في هزيم الريح**/ ثائر زين الدين – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٣ – (سلسلة من الشعر العربي ١٣٣).
- **قصة الاستبداد..**/ د. فاضل الأنصاري – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٤.
- **القوة الرئاسية والرؤساء المعاصرون**/ ريتشارد إي نويشتات، ترجمة: عبد القادر عثمان، مراجعة: د: فاروق منصور – ط١ – عمان: دار عمار، ١٩٩٥.
- **كتاب الشهوات: شعر**/ علي سليمان – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٣.
- **كيف تنقذ بيئة المجتمعات الحضرية** / ماريتزا بيك، ترجمة: د. سيد رمضان هدارة – ط١ – القاهرة: الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة، ١٩٩٥.

- **للحب أحوال كثيرة** / فؤاد نعيسة – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٣ – (سلسلة من الشعر العربي١٣٧).
- **اللغة العربية** / تحرير: محمد كامل الخطيب – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٤ – ٤ أقسام – (سلسلة قضايا وحوارات النهضة العربية ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠).
- **ماوراء الأرقام: قراءات في السكان والاستهلاك والبيئة**/ لوري آن مازور، ترجمة: د. سيد رمضان هدارة، نادية حافظ خيري – ط١ – القاهرة: الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة، ١٩٩٤.
- **مختارات**/ عمر أبو ريشة – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٣ – (سلسلة آفاق ثقافية ٦).
- **مختارات من شعر أبي الشمقمق**/ دراسة وتحقيق: كارين صادر – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٣– (سلسلة المختار من التراث العربي: ١٢٤).
- **المختار من المزهر في علوم اللغة وأنواعها**/ السيوطي، اختاره: د. شوقي المعري – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٣ – ٢ج – (سلسلة المختار من التراث العربي: ١٢٢، ١٢٣).
- **مشاركات استثمارية من أجل الرخاء**/ جوردان د. لويس، ترجمة: سعاد الطنبولي – القاهرة: الدار العربية للنشر والتوزيع، ١٩٩٦.
- **مشروع ترميم حصن بالتيت وتطوير كريم أباد**/ ترجمة: هزار مديح عمران – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٣ – (سلسلة العلم والترميم: ٣).
- **مشكلات التعليم المطور...**/ ف. ف. دافيدوف، ترجمة: د. بدر الدين عامود – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٣ – (سلسلة دراسات نفسية ٥٣).

- **مفاهيم الأحزاب السياسية للديمقراطية الأمريكية /** جيرالد. م. بومبر، ترجمة: محمد نجار، مراجعة: د. فيصل الرفوع - عمان: دار النسر للنشر والتوزيع، ١٩٩٩.
- **مقالات ودراسات مهداة إلى الدكتور صلاح الدين المنجد/** مجموعة من الأساتذة - لندن: مؤسسة الفرقان، ٢٠٠٢ - (سلسلة منشورات مؤسسة الفرقان ٧٠).
- **المنازعات الدولية: مقدمة للنظرية والتاريخ/** جوزيف س. ناي الابن، ترجمة: د. أحمد أمين الجمل، مجدي كامل - القاهرة: الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة، ١٩٩٧.
- **المنطق والأبستيمولوجيا/** د. هاني يحيى نصري - دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٣ - (سلسلة دراسات فلسفية: ٥١).
- **من يدفع الثمن؟.../** باربرا روز جونستون، ترجمة: صادق إبراهيم عودة، مراجعة: د. عودة الجيوسي - ط١ - عمان: دار الفارس، ١٩٩٨.
- **من يَستحق من؟.../** لورا داندريا تايسون، ترجمة: د. عبد الحميد محبوب، مراجعة: فايزة حكيم - القاهرة: الدار الدولية للنشر والتوزيع، ١٩٩٧.
- **موت آدم/** سمير السعيدي - دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٤ - (سلسلة من الشعر العربي: ١٤٠).
- **ناي الأوجاع القصب/** انتصار سليمان - دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٣ - (سلسلة من الشعر العربي: ١٣٤).
- **النمو مع المساواة.../** مارتن نيل بايلي ورفيقاه، ترجمة: د. محمد فتحي صقر - القاهرة مركز الأهرام للترجمة والنشر، ١٩٩٦.

- **نهايات**/ طارق عبد الواحد – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٣ – (سلسلة من الشعر العربي ١٣١).
- **النهج الأمثل لتحرير الاقتصاد...**/ رونالد ماكينون، ترجمة: د. صليب بطرس، سعاد الطنبولي – القاهرة: الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة، ١٩٩٦.
- **الهجرة إلى القمر الأخضر**/ د. قاسم عزاوي – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٣ – (سلسلة من الشعر العربي ١٣٨).
- **ياليل** / خير الدين الأسدي – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٤ – (سلسلة آفاق ثقافية ٩).

ب- المجلات العربية

أ.ماجد الفندي

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
١ – الأسبوع الأدبي	٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢	٢٠٠٤م	سورية
٢ – البطريركية	(٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦)	٢٠٠٤م	سورية
٣ – الحياة التشكيلية	العدد (٦٨)	٢٠٠٤م	سورية
٤ – المعلم العربي	العدد (١)	٢٠٠٤م	سورية
٥ – الشريعة	العدد (٤٦٤)	٢٠٠٤م	الأردن
٦ – الأمن والحياة	العدد (٢٦٣)	٢٠٠٤م	السعودية
٧- عالم الكتب	العدد (٥، ٦)	٢٠٠٤م	السعودية
٨ – المجلة العربية	العدد (٣٢٨، ٣٢٩)	٢٠٠٤م	السعودية
٩ – البيان	العدد (٤٠١)	٢٠٠٤م	الكويت
٩ – صوت الأمة	العدد (٩) المجلد (٣٦)	٢٠٠٤م	الهند

ج- الكتب والمجلات الأجنبية

طهران صارم

1- Books:

- The adventures of philip / by: William Makepeac Thackeray.
- A Literrary History of Persia / by: Edward G. Brown.
- Auden / by: Barbara Everett.
- The Awakening of Europe/ by: philippe Wolff
- The Comedy of Manners / by: Kenneth Muir.
- European Literature/ by: Anthony Thorlby.
- The Function of Literature / by: David N. Margolies.
- Gerard Manley Hopkins / by: W. H. Gardner.
- Ivan Ivanoveich/ by: Antonina Koptayeva.
- An introduction to the English Novel/ by: Arnold Kettle.
- King Henry VI / by: Shakespear.
- King Henry VIII/ by: Shakespear.
- King Henry V/ by: Shakespear.
- King John / by: Shakespear.
- The Languages of Criticism and the Structure of Poetry / by: R. S. Crane.
- The Modern Novel / by: Paul West.
- The New Poetry / by: A. Avarez.
- Sophoclean Tragedy / by: Sir Maurice Bowra.

2 – Periodicals:

- Acta Orientalia, Vol. 58, No. 1, 2005.
- A R S Orientalis, Vol. 33, 2005.
- Deutschland, No. (1-2-3-4), 2005.

- East Asian Review, No. 2, 2005.
- Family planning perspectives, Vol. 31, No. (1-2).
- Hamdard Islamicus, Vol. XXVII, No.(2, 3), 2004.
- IBLa, No. 195, 2005, Tunis.
- Journal of Asian and African Studies, No. 68, 2004. Tokyo.
- Korea and World Affairs, Vol. XXVIII, No.2, 2004.
- Le Musèon, Tome, 117- 118, Fasc. 3-4, 2004 .
- The Muslim World, Vol. 95, No. 2, 2005 .
- Orient, Vol. XL. 2005, Japan.
- Population and Development Review, Vol. 31, No. 1, 2005.
- Self – Realization, Fall, 2005 .

فهرس الجزء الأول

من المجلد الثمانين

(المقالات)

(التعريف والنقد)

(آراء وأنباء)

الجزء الثاني المجلد الثمانون





صفر ١٤٢٦هـ
نيسان (أبريل) ٢٠٠٥م



ص.ب ٣٢٧

البريد الإلكتروني: E-mail: mla@net.sy

أنشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١م

تصدر أربعة أجزاء في السنة

قيمة الاشتراك السنوي بدءاً من مطلع العام ١٩٩٦م	١٦٠ ليرة سورية في الجمهورية العربية السورية
	١٥ دولاراً أمريكياً في البلدان العربية
	١٨ دولاراً أمريكياً في البلدان الأجنبية

ترسل المجلة إلى المشترك خارج القطر بالبريد الجوي المسجّل

(تدفع قيمة الاشتراك عند طلبه)

(خطة المجلة)

- إن خطة المجلة التي تلتزمها أن تنشر لكتّابها المقالات التي يخصّونها بها ويقصرونها عليها.
- المقالات المنشورة تعبر عن آراء أصحابها.
- ترتيب المقالات يخضع لاعتبارات فنية.
- ينبغي أن تكون المقالات المرسلة إلى المجلة مطبوعة على الآلة الراقنة، أو على الحاسوب، ويفضل في هذه الحالة أن تشفع المقالة بقرص مرن (ديسك فلوبي) مسجلة عليه، أو مرسلة بالبريد الإلكتروني.
- المقالات التي لا تنشر لا تردّ إلى أصحابها.
- يرسل الكاتب الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة، مع مقالته، موجزاً بسيرته العلمية وآثاره وعنوانه.





صفر ١٤٢٦هـ

نيسان (أبريل) ٢٠٠٥م

الشرق والغرب والتواصل بينهما
حافظ الشيرازي و«يوهان فون غوتي»
مثال هذا التواصل

د. عبد الكريم اليافي

الشرق بلاد النور والسموّ والحب والانفتاح والتفاؤل والتواصل. يصل النور إلى بلاد الشرق أول ما يصل إلى الأرض ثم ينتقل منها إلى الغرب وبقية أنحاء العالم.

في بلاد الشرق نشأت الديانات السماوية الساميَة وسَعَت إلى أن تحدّ من غطرسة الإنسان وطغيانه.

فيها نشأت أوّل أبجدية في تاريخ العالم فكانت أهمّ مرحلة في الحضارة الإنسانية حين يسّرت الكتابة وتسجيل المعارف وخزنها، كما سهّلت بذلك التواصل والتعارف وتبادل المعرفة بين الشعوب. لقد نهض البطل السوري قدموس كما يدعوه اليونان وحمل تلك الأبجدية إلى بلاد اليونان، ومنها انتشرت إلى بلاد العالم.

ودليل أصلها السوري الفينيقي العربي أن «كلمن» وهو رئيس الأبجدية يوجد في سائر الأبجديات محافظًا على ترتيب حروف اسمه «ك ل م ن» «KLMN».

لقد أشاد اليونان القدماء ولا سيما أرسطوطاليس بعبقرية أبناء الشرق وذكائهم ومهاراتهم. كان ذكاء الفينيقيين وعبقرياتُهم وتجاراتُهم سلامًا وتضامنًا وتعارفًا في تاريخ العالم. لقد أنشؤوا فيما أنشؤوا مركزًا لهم في

جزيرة كوثير اليونانية، كما أنشؤوا قرطاجنّة في شماليّ تونس للتجارة والحضارة. وكلمة كوثير تذكّرنا بالجذر العربي وهو الكثرة وكانت مشهورة بالجمال والتحضّر والرفاهية وكثرة المتاع. وقد ترجمناها بالكوثرة حين تكلّمنا عليها عرضًا في بحوثنا في علم الجمال.

كلمة Orientation في اللغات الأجنبية معناها الاتجاه أو التوجيه نحو الشرق ومعناها أيضًا التوجيه الرشيد السديد.

ليس هنا مجال للإفاضة في المآثر الإنسانية النورانية الشرقية. ولكني أقتصر على مثال حديث رائع يرد لمحًا في تاريخ الأدب المقارن يدلّ على التواصل العميق والمحبّة والتفاؤل والانفتاح بين الشرق والغرب يجب أن نؤكّده وأمثاله حتى نتعرف الأخوّة الإنسانية وتقدير الأدباء والمفكرين الكبار بعضهم لبعض في أي مكان وهو قصة الشاعر والكاتب الكبير الألماني الحديث «يوهان غوتي» (١٧٤٩– ١٨٣٢) وحافظ الشيرازي الإيراني (١٣٢٥– ١٣٨٩). بينهما أكثر من أربعة قرون. وهذا دليل على أن الإبداع والمعرفة والاقتباس نسب خالد على مدى الأيام والأعوام.

لقد اهتم «غوتي» في صباه بالآداب الشرقية عربية وهندية وفارسية، مستجيبًا للنزعة الرومنسية التي غدت تستفيض في فنون أوربّة. اطّلع على ترجمة للقرآن الكريم وأُعجب به. فازدادت عنايته بالأدب العربي. قرأ المعلّقات في ترجمة «جونز» اللاتينية وترجم هو قطعة من معلقة امرئ القيس. ثم حاول أن يتعلم اللغة العربية. ولكن لم يصل في تعلّمها إلاّ إلى الإلمام ببعض ألفاظها وقواعدها وبكتابة حروفها.

كذلك أُعجب كلّ الإعجاب بالأدب الفارسي. فقرأ قصة «ليلى

ومجنون» التي نظمها الشاعر الفارسي نظامي كنجوي في ترجمتها اللاتينية، وبقي اهتمامه بكنوز الشرق اهتمام الطُّلَعة البحاثة عن الغذاء الروحي أيّان وجده حتى ٧ حزيران عام ١٨١٤.

أما في هذا التاريخ فنجد دفتر يومياته يحمل على إحدى صفحاته هذين اللفظين: «ديوان حافظ». وكان المستشرق الدبلوماسي يوسف همّر قبل حينٍ نشر ترجمة ألمانية له. ولم يكد يطّلع «غوتي» على هذا الديوان حتى فجّر هذا الاطلاع مكامن جديدة للإبداع في شاعريته. وانتهى هذا الإعجاب إلى امتزاج روحيّ قويّ يستلهم الشاعر الألماني الكبير منه أنوار عبقرية حافظ، وغدا ينظم القصائد اللطيفة البديعة التي ضمّنها ديوانًا كتب هو نفسه عنوانه باللغة العربية: «الديوان الشرقي للمؤلف الغربي» وأصبح الشعر ينبعث من فيه كما يندفع الصداح الساحر من حنجرة عندليب.

إن هذا التحوّل لم يقتصر على الاستلهام واقتفاء الأثر والائتمام بالهَدْيِ والطريقة، بل كأن ديوان حافظ بما فيه من شاعرية أصيلة وإبداع مبتكر قد نفح «يوهان» بحيويّة جديدة وردَّه إلى شَرْخٍ من الشباب وإلى نضارة من التفاؤل والحبّ، فغدا يشارك حافظًا في مشاعره ومواجيده وإبداعه.

نجد «غوتي» في ربيع سنة ١٨١٥ وهو في سن الخامسة والستين يشكو من مرض «النقرس». فهو يركب عربته ويقصد إلى مدينة «فسبادن» ذات المياه المعدنية. وهو يشعر أن نفسه قد امتلأت بألحان الشعر العذبة. وكأنه يخاطب ذاته قائلاً: «لقد اشتعل رأسك بالشيب. ومع ذلك أمامك أن تحبّ». وحقًا نزلَ ضيفًا على أسرة من أصدقائه فأحب بينهم الحسناء «ماريان ڤِلّمِر» وبادلته حبًّا بحبّ.

«الديوان الشرقي للمؤلف الغربي» قسمان: شعر ونثر. أما النثر فهو تعليقات وضعها الشاعر نفسه إيضاحًا لمقاصد الديوان، وهي خاصة بتاريخ الآداب العربية والفارسية وغيرها من الآداب الشرقية. وأما الشعر فبناهُ الشاعر على اثني عشر كتابًا أو كُتَيِّبًا. وهي كتاب المُغنّي وكتاب حافظ وكتاب العشق وكتاب التفكير وكتاب الغضب وكتاب الحكمة وكتاب تيمور وكتاب زليخا وكتاب الساقي وكتاب الأمثال وكتاب البارسي (أي الفارسي) وكتاب الخلد. وقد وضع الشاعر عنوانات هذه الكتب باللغة الفارسية وتحتها ترجمتها بالألمانية.

قصائد هذا الديوان فيض من الإلهام ولون من ألوان الانسجام والحبّ والحنان وبوحٌ بمشاعر المؤلف الكامنة. وقد أخذت «ماريان» فيه لقب «زليخا» عاشقة النبيّ يوسف التي تغنّى بها حافظ.

أما غوتي فيسمّي نفسه في الديوان باسم حاتم إشارة إلى حاتم الطائي العربي المشهور بالسخاء العظيم. إنه لم يختر لنفسه اسم واحد من العشاق المشهورين كقيس بن الملوّح مجنون ليلى وقيس بن ذريح عشيق لبنى وغيرهما. ولكنه اختار حاتمًا ذلك أن الحب العميق يبذل المحب فيه نفسه للمحبوب. والجود بالنفس أقصى غاية الجود.

ولم يقصّر «غوتي» في تمجيد أستاذه حافظ وبيان تأثيره فيه. فقد وسم أحد كتب الديوان باسمه وهو «حافظ نامه» (أي كتاب حافظ).

القصيدة الأولى فيه بعنوان «لقب» وهي نوع بارع من الحوار بين الشاعرين: يسأل الشاعر الألماني حافظًا عن سبب تلقيبه بحافظ. ويجيبه بأنه يحفظ في ذاكرته القوية المحظوظة التراث المقدّس وهو القرآن الكريم صحيحًا غير محرّف.

ويخاطبه «غوتي» بأنه يسير على خطاه وينهج نهجه فهو قد تمثّل أيضـ الكتاب المقدّس المسيحي وانطبع في قلبه انطباع صورة السيّد المسيح عمى المنديل المبارك. فهما في هاتين المأثرتين متشابهان كل الشبه. إنهما توأمان: حافظ الأسبق و«غوتي» الأحدث.

وفي كلام «غوتي» ذِكْرُهُ للمنديل المبارك إشارةٌ إلى انطباع وجه السيّد المسيح على ثوب «فيرونيكا» الأبيض، وهي التي مسحت وجه المسيح وهو يصعد الجبل بقماش أبيض فانطبعت عليه صورة وجه السيّد المبارك.

وتوكيدًا لفضل حافظ يقول «غوتي» في القطعة الشعرية بعنوان «محاكاة» رقم ٧ من كتاب «حافظ نامه» نفسه:

«وكما أن الشرارة قادرة على أن تحرق مدينة السلطان

إذا سار اللهب وأنتج بنفسه الريح

فاشتعل من ريح نفسه، حتى إذا ما انطفأ

اختفى في أعلى السماء

كذلك احترق بلهيبك الخالد

قلبٌ ألمانيٌ قد أشعت فيه القوة من جديد».

كان «غوتي» قد أعلن عن كتاب «حافظ نامه» في (المجلة الشرقية) سنة ١٨١٦ برقم ٤٨ ص (١٨٩) كما يلي:

«هاهو ذا حافظ نامه أو كتاب حافظ. وقد كُرِّس لوصف هذا الرجل العظيم وتقديره وتمجيده. كما أن به تعبيرًا عن الصلة التي تربط بين الشاعر الفارسي والشاعر الألماني الذي تحمّس له وتعلق به إلى درجة من الوجد هائلة، ونعته بأنه لا يستطيع أن يبلغ شأوه ولا أن يلحق به».

على أن السمة الغالبة في «الديوان الشرقي للمؤلف الغربي» هي الرغبة في التحرّر والتحوّل أو الهجرة التي تتضمن التغيير من حالٍ إلى حالٍ أفضل وأسمى. «لغوتي» قطعة من أجمل الشعر الألماني بعنوان «الحنين السعيد» رقم ١٧ في الكتيّب الأول، كتاب «المغنّي» يضرب الشاعر فيها مثلاً، كثيرًا ما استعمله الشعراء الفرس على هذا التحوّل، وهو احتراق الفراشة (أي النفس الإنسانية) عاشقة النور بالنور نفسه لتصبح هي نفسها نورًا. (وقد نقلنا القطعة إلى العربية وأثبتناها في ديواننا «حصاد الظلال» بين الأشعار المترجمة).

في كتاب «المغنّي» أيضًا قبل هذه القطعة قطعة أخرى بارعة ومؤثّرة بعنوان «الخاطر الحر» رقم٣ يصوِّر الشاعر نفسه بصورة رحّالة يريد أن يجوب الشرق ومختلف الآفاق يستهلها بقوله:

«دعوني وحيدًا أقيم على سرج جوادي
وأقيموا أنتم ما شئتم في دياركم ومضارب خيمكم
أما أنا فسأجوب من الأنحاء قاصيها على صهوة فرسي
فَرِحًا مسرورًا لا يعلو على قلنسوتي غير نجوم السماء..».

نظن، كما هي طبيعة الشعر البليغ، أن الشاعر يرمز هنا بنجوم السماء إلى ملوك الشعر الفارسي أمثال «نظامي كنجوي» و«فريد الدين العطار» و«جلال الدين الرومي» و«عبد الرحمن جامي» و«حافظ الشيرازي» وأمثالهم. وليس فوق قلنسوته سوى أولئك النجوم.

عاش حافظ في عصر مضطرب، عصر «تيمور».

وعاش «غوتي» مثله في عصر مضطرب، عصر «نابليون بونابرت».

ولم يَحُلْ اضطرابُ عصريهما دون إيراق موهبة كليهما أجمل إيراق،

واكتمال شاعريّتهما أروع اكتمال لتتفتّحا بأبهى الورود والأزاهير، وتنفحا بأزكى الشذا وأرقّ العبير. هذا العبير وذاك الشذا أغاريد حبٍّ وتفاؤل، ورسائل سلام وتواصل، تصدر هي وأمثالها عن قيثارة الإنسان الراقي الفاضل المحب للإنسان، والعريق في الحضارة وحلو البيان. إنها خالدة على مدى الزمان، وتعاقب الأجيال والحدثان.

ها نحن أولاء في أوائل القرن الحادي والعشرين نعيش في عصر مضطرب كما عاش «غوتي» وحافظ. بل نعيش في عصر أمرَّ وأدهى من عصريهما. أوليس لنا مع ذلك أن نقلدهما وغيرهما من البلغاء والأحرار ونتغنّى بالمحبة والتواصل والازدهار، وننشد ما طاب لنا في الخاتمة من الأشعار مستلهمين شاعرية حافظ المبدعة وما لديها من الأسرار:

ألا أيهـــــا الســـــاقي	أدر كأسَــــا وناولهـــــا
وأغـــرق مشـــكلات العيـــ	ـــش في الصـــهبا وأبطـــلها
إذا ضـــاقت بـــك الدنيـــا	بـــورد الكـــأس جمِّـــلها
ودعــــني أنـــا والحســـنا	مـــع الصـــهبا أغازلهـــا
وإن نـــاءت بـــك الأوزا	ر لـــلرحمــــــن أوكلها
فيـــا ربّـــي عـــلى الفقـــرا	ء سُـــحْبَ العفـــو أسـبلها
مـــلأت قـــلوبهم عشـــقًا	حيـــارى في الهـــوى بُـــلْها

* * *

دجـــا الدهـــر ومـــا زلـــنا	عـــلى فُـــلْك الهـــوى نســري
ونحمـــل رايـــة العشـــا	ق مـــن عصـــر إلى عصـــر

ومـــن قطـــب إلى قطـــب ومـــن قطـــر إلى قصـــر
دعـــاة الحـــب في الدنيـــا وفي الأخـــرى وفي الحشـــر
ســـكارى مـــنذ أن كـــنا بـــلا كـــأس ولا خمـــر
أتتـــنا نشـــوة الصـــهبا ء قـــبل القطـــف والعصـــر
ســـرى تأثيرهـــا في الـــرو ح مـــثل الـــنور في الفجـــر
فجـــدِّد نشـــوة ســـلفت ونفســـك لا تحمِّـــلها

* * *

ألا يـــا أيهـــا الدرويـــش حســـ ـــبك كوبـــك المـــلآن
وزهـــدك في حطـــام العيـــ ـــش والـــرحمةُ والرضـــوان
فـــلا تحفـــل بمـــا قـــالوا ومَـــا يجـــري ولا مـــا كـــان
فكـــم حـــلَّ عـــلى شـــيرا ز مـــن بغـــيٍ ومـــن طغيـــان
وزال الـــبغي والـــباغي وغـــاب الملـــك والســـلطان
ولكـــن بقـــي النِّســـريـ ـــن والـــنرجس والـــريحان
أليســـت هـــذه دار ك بـــرج العـــلم والعـــرفان
صـــلاتك حيـــنما ليـــلى تجـــيء إليـــك أجِّـــلها

* * *

تؤاخـــذني عـــلى عـــاري ومجـــدي هـــو في عـــاري
ومـــا عـــاري ســـوى حـــبي وصـــهبائي وقيـــثاري
وهيـــامي بـــذات الشـــ ـــفـــة الحمـــراء كالـــنار
ومـــا دري زوايـــا النســـ ـــك بـــل حانـــة خمـــار

أنـــا الســـكران لكـــني أُرجِّـــي رحمـــة الــــباري
يـــدارون المـــلوك وأنــــ ـــتَ ربّـــاتِ الـــبها داري
لباســـهم الـــرياء وأنـــ ـــت مـــن ثـــوب الريا عاري
ذنوبَـــك أيهـــا العاصـــي بمـــاء الـــتوبة اغســـلها

* * *

عجيـــب أمـــر هـــذا الشـــعـ ـــر طفـــل عمـــره ليلـــه
يطـــوف العـــالم المعمـــور يقطـــع وعـــرد ســـهله
ويمضـــي خـــالدًا في كـــ ـــل قـــلب ملهـــبًا شـــعله
وكـــم مـــن عـــلة يأســـو وكـــم يـــنقع مـــن غلـــه
كـــأن الله قـــد ألقـــى عـــلى تكويـــنه ظلـــه
فيـــا وجـــدي إلى ثغـــر الـــ ـــحـــبيب كأنـــه فلـــه
ويـــا ظمـــئي إلى الصـــهبا ء تمســـح لاعجـــي كلـــه
فهيـــا يـــا شـــقيق الـــرو ح نحـــو الحـــان ندخـــلها

* * *

خـــلاف الأهـــل أضـــناني وإبـــليس هـــو الجـــاني
ومـــا شـــان بهـــاء العيـــ ـــش إلا الحاســـد الشـــاني
ومـــا أحـــلى تلاقـــي الأهـــ ـــل في حـــب وإحســـان
فيـــا للشـــمل ضُـــمُّوهُ لِيدفـــعَ كـــل عـــدوان
أليـــس المســـجد الأقصـــى أســـير قطيـــع ذؤبـــان
ألا إن ســـــــلام الأر ض نيروزي وبســـــتاني

فيـــا رحمـــان كـــن معـــنا وبـــارك صـــلح إخـــواني
ويـــا ربّـــاه رحمـــاك عقـــود الصـــلح أكمـــلها

* * *

أدر كأسًـــــا وناولهـــــا ألا يـــا أيّهـــا الســـاقي
حميّـــا الكـــأس والمحـــبو ب زادا نـــار أشـــواقي
رعـــاكِ الله ياشـــير ز أنـــتِ ضـــياء آمـــاقي
زكـــوتِ ربيـــعَ آفـــاق وفُـــزْتِ نعـــيم عشّـــاق
أنـــا المجـــنون يـــا ليـــلى أنـــا المســـقيّ والســـاقي
أنـــا كأســـي وصـــهبائي أنـــا سمّـــي وتـــرياقي
شـــرابي مـــا بـــه صـــحو جـــنوني مـــا له راقـــي
جـــذوري في الـــثرى تمضـــي وجذعـــي ســـامق راقـــي
وتـــلك الشـــمس ميقـــاتي وهـــذي الأرض أوراقـــي
وأكـــتب بالشـــعاع الحـــلـ ـــو ألحـــاني وأذواقـــي
إذا أفنتـــــني الأيـــــا م شـــعري خـــالد بـــاقي
تحيـــاتكَ يـــا «يـــافي» إلى شـــيراز أرســـلها
هـــنالك بيـــت أســـرا رك للعشـــاق فصّـــلها
مـــزاياك الـــتي في القـــلب ويحـــك لا تـــبدّلها
«مـــتى مـــا تـــلق مـــن تهـــوى دع الدنيـــا وأهمـــلها»

تجربة سورية الرائدة في تعريب العلوم في التعليم العالي

الدكتور عبد الله واثق شهيد

تطور التجربة السورية في تعريب التعليم العالي بعد الاستقلال[1]:

في ١٧ تشرين الثاني (نوفمبر) من عام ١٩٤٦ افتتحت الجامعة السورية في دمشق كليتي العلوم والآداب والمعهد العالي للمعلمين، وافتتحت في حلب كلية الهندسة المدنية التي اتخذت لها مقرًّا إحدى الثكنات التي كان يشغلها الجيش الفرنسي في المدينة، كما اتخذت من بعض مباني الثكنة الحميدية، إحدى ثكنات الجيش العثماني فالجيشِ الفرنسيٍّ في دمشق، مقرًّا لكليتي العلوم والآداب المحدثتين، ونقلت إليها معهد الحقوق العربي (كلية الحقوق)، وأحلت محله في بنائه الجميل على ضفاف بردى المعهد العالي للمعلمين[2].

وجهت الجمهورية العربية السورية منذ أيامها الأولى بعد الاستقلال جهودها إلى تزويد المدارس الثانوية (والإعدادية) بالمدرسين الأكفاء لسد حاجة تلك المدارس المتسارعة النمو، فأنشأت المعهد العالي للمعلمين، ونيط

---

(١) نشر الجزء الأول من هذا البحث في الصفحات ٤٦٧-٤٩٠ من المجلد ٧٩ من مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، وعرضت فيه التجربة السورية في تعريب التعليم العالي منذ بداياته الأولى حتى نهاية عهد الانتداب.

(٢) استمر إصلاح وترميم الثكنة الحميدية عدة سنوات ونقل إليها تدريجيًا كلية الطب، وكانت الصيدلة جزءًا منها، والمعهد العالي للمعلمين، فحلت وزارة التربية محله في مباني معهد الحقوق العربي، ثم آلت هذه المباني، في أيامنا هذه إلى وزارة السياحة فأصبحت مقرًا لها.

عليه توجيه كليتي العلوم والآداب لتحقيق هذا الهدف. فأوفد المعهد العالي إليهما طلابه واختص هو بتدريس أولئك الطلاب المواد المتفرعة من علم التربية وأصول التدريس. وهكذا استجد في التعليم العالي أغلب ما له علاقة بالعلوم الإنسانية ، في كلٍّ من كلية الآداب والمعهد العالي للمعلمين. واستجد فيه، في كلية العلوم، العلوم الأساسية كلّها: الرياضيات والفيزياء والكيمياء والنبات وعلم الحياة الحيوانية والجيولوجيا. كما استجد فيه من العلوم التطبيقية، في كلية الهندسة بحلب، كلٌّ ما يرتبط منها بالهندسة المدنية وهندسة العمارة التي كانت تتفرع منها.

جرى تعريب العلوم الإنسانية في التعليم، بيسر في سورية وفي كثير من الأقطار العربية، للأسباب التي أتينا على ذكرها من قبل[١]، كما عربت في غير التعليم في أغلب الأقطار العربية. لذلك قصرنا الدراسة على تعريب العلوم في التعليم العالي: العلوم الأساسية والعلوم التطبيقية، والتِّقانة (التكنولوجيا) ضمنًا.

لم يلاق تعريب العلوم في كليتي العلوم والهندسة صعوبات تذكر، فمبدأ التعريب راسخ في نفوس المثقفين، وهذه طفرة ثانية من الشعور الفيّاض بالعزة والكرامة والقدرة على العطاء واكبت إعلان الاستقلال. ونجاح تجربة تعريب العلوم في المعهد الطبي العربي ذللت الصعوبات، وهيأت لأعضاء هيئة التدريس في كلية العلوم بدايات مشجعة في مصطلحات الرياضيات والفيزياء والكيمياء والعلوم الحيوية.

كانت أهم مشكلات التعريب المطروحة في كلية العلوم هي مشكلات الرموز الرياضية والكيميائية، وكتابة المعادلات.وكان الدكتور صلاح الدين

(١) مجلة مجمع اللغة العربية، المجلد ٧٥، الصفحة ٤٧٦.

الكواكبي أستاذ الكيمياء في المعهد الطبي العربي قد قام بمحاولة (تعريب) كتابة المعادلات الكيميائية فكتب المعادلات من اليمين إلى اليسار برموز لاتينية للعناصر الكيميائية وعربية لغيرها، أما التفاعلات الكيميائية فأبقاها من اليسار إلى اليمين بحروف لاتينية[1]. وتبنى الأستاذ نادر النابلسي مؤسس قسم الرياضيات في كلية العلوم مبدأ استبدال رموز عربية بأغلب الرموز اللاتينية وكتابة المعادلات من اليمين إلى اليسار. ورأى، على سبيل المثال، أن الاحتفاظ بإشارة التكامل (أو رمزه): $\int$ بعد قلبها لتنسجم مع الكتابة من اليمين إلى اليسار: ∫ هو كقلب الغربيين إشارة الجذر العربية ‏ـ‏ لتنسجم مع الكتابة من اليسار إلى اليمين إذ تصبح: $\sqrt{\quad}$. وبمثل هذا التوجه، وعلى سبيل المثال أيضًا، استبدل إشارتي التفاضل والتفاضل الجزئي: ىھا (تقرأ تفا وتكتب دون تنقيط) و ىھ برمزيهما الغربيين d و ∂ وتبنّى أساتذة الفيزياء أسلوب الأستاذ النابلسي في الحالات البسيطة. إلا أن الرأي استقر فيما بعد على عدم استحداث رموز علمية جديدة، لأن الرموز المستعملة أصبحت عالمية، وتتطور في اتجاه التحرر من الارتباط باليونانية واللاتينية. وهكذا جرت العودة تدريجيًّا عما تبناه الأستاذ النابلسي، واقتضى ذلك أيضًا كتابة المعادلات من اليسار إلى اليمين، والتحق بهذا التوجه فيما بعد أساتذة قسم الرياضيات ببطء. واستعمل أساتذة الكيمياء الرموز الغربية وكتبوا معادلاتهم أيضًا من اليسار إلى اليمين. واتّبعت

---

(١) مجلة المعهد الطبي العربي – المجلد العاشر الصفحات ٣٦٢-٣٦٥و٦١٧-٦٢٤ ومن المجلد الحادي عشر، الصفحات ٥٧-٦٤و ١٢١-١٢٨، فالصفحات ٢٤٨-٢٥٥ منه.

كلية الهندسة في حلب ما آلت إليه جهود التعريب في دمشق في هذا المجال. وهذا كل ما جدّ في أسلوب تعريب العلوم في التعليم العالي.

توسع التعليم الجامعي وتعددت فروع العلوم التطبيقية فيه منذ مطلع الستينيات من القرن الماضي. وأحدثت كليات للهندسة الكهربائية والميكانيكية والزراعية والبترول والطب البيطري...وكان التعليم، منذ الشروع فيه، في كل كلية وفي كل معهد محدث جامعي أو متوسط، باللغة العربية وتابع بها وتطور، ولا نقول عرّب التعليم في كل منها، فلغة التعليم ترسخت، من قبل، عربية في كل اختصاص وعلى جميع المستويات، ولا يعاني هذا التعليم المشكلات في لغته.

ولقد كان توحيد المصطلحات منذ بداية تعريب التعليم العالي، كما ذكرنا[1] مطلبًا مهمًّا من مطالب أعضاء هيئات التدريس في كليات الطب ومعاهده والأطباء في المستشفيات والجمعيات الطبية العربية، في العراق وسورية ولبنان ومصر. كانوا جميعًا يدعون إلى بناء لغة طبية عربية واحدة «يربط الأطباء بها بلاد الناطقين بالضاد في المشرق والمغرب برباط وثيق آخر هو لغة طبية عربية واحدة» [2]. ودعا المعهد الطبي العربي إلى تأليف لجنة من أعضاء الهيئة التعليمية فيه للنظر في المصطلحات التي وضعوها وانتقاء الأصلح والتزامهم جميعًا به[3]. ولايزال هذا المطلب هدف جميع الهيئات العلمية في الوطن العربي. وهو في سورية من مهام مجلس التعليم العالي، الذي أنشأ لتحقيقه لجنة تنظر في مصطلحات الكتب الجامعية المُـعدَّة للنشر بقصد توحيدها وإقرار الجديد منها.

---

(١) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق – المجلد ٧٩ ، الصفحتان ٤٨٩و ٤٩٠.

(٢) مجلة المعهد الطبي العربي، المجلد العاشر، الصفحة ١٧٧.

(٣) مجلة المعهد الطبي العربي المجلد الثامن عشر ص ٤٨.

وأنشأت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم مركز تنسيق التعريب ليحقق هذا المطلب على مستوى الوطن العربي كله.

ولئن كانت مشكلة توحيد المصطلحات لا تزال قائمة فإنها لا تُعدُّ اليوم عائقًا. كانت بالأمس موضوعًا هامًّا للنقاش، إذ كانت المصطلحات في مرحلة الوضع، وكان على كل عضوٍ من أعضاء هيئة التدريس أن يبذل جهودًا مضنيةً لوضع مصطلحاته، وكان جلهم يمتلك رصيدًا طيبًا من المعرفة الرصينة باللغة العربية، أو ما يمكّنه على الأقل من تكوين ذلك الرصيد تدريجيًّا. ولذلك لم يكن يقبل المدرّس بسهولة مصطلحات اقترحها غيره. أما اليوم فقد أصبحت المعاجم الحديثة للمصطلحات متوافرة في الأسواق،فقد أصدرت منظمة الصحة العالمية لشرق المتوسط، بالتعاون مع اتحاد الأطباء العرب واتحاد منظمات أطباء الأسنان العرب، المعجم الطبي الموحد في عام ١٩٧٣ وهو لا يزال في تطور مستمر إلى يومنا هذا، كما أصدرت حديثًا معجم طب الأسنان الموحد. ونقل معجم مكروهيل إلى العربية ما بين عامي ١٩٧٨ و ١٩٨٨ باسم «معجم مصطلحات العلم والتكنولوجيا» ، أصدره معهد الإنماء العربي باللغتين العربية والإنكليزية ونشره في أربعة مجلدات تضم زهاء ٣٧٠٠ صفحة من القطع الكبير، واشتمل على نحو مئة ألف مصطلحٍ معرّف في أكثر من مئة تخصص. وأصدر اتحاد المهندسين العرب «المعجم الموحد الشامل للمصطلحات الفنية للهندسة والتكنولوجيا والعلوم»، فنشرته في عام ١٩٨٦ مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، ويربو عدد صفحاته على ٥٥٠٠ صفحة. وأصدر مكتب تنسيق التعريب أكثر من ثلاثين معجمًا موحدًا مختصًّا.وأصدرت هيئة الطاقة الذرية السورية «معجم المصطلحات العلمية والتقنية»، وتعمل على تطويره وتحديثه دوريًّا. ووضعت

لجنة من المجمعيِّين الجامعيِّين الدكتور عبد الرزاق قدورة والأستاذ سعيد الأفغاني، والأستاذ مأمون الكناني من قسم الفيزياء بجامعة دمشق، وثلاثة من مهندسي وزارة الدفاع، معجم الكهرباء والإلكترونيات وهو معجم عربي فرنسي إنكليزي روسي، أصدرته وزارة الدفاع في سورية في عام ١٩٧٥. ونشير أخيرًا إلى «معجم الرياضيات المعاصرة» الذي وضعه ثلاثة من أساتذة الرياضيات في جامعة دمشق هم الدكتور صلاح أحمد والدكتور موفق دعبول والدكتورة إلهام حمصي، ونشرته مؤسسة الرسالة في عام ١٩٨٣...

شارك في ترجمة هذه المعاجم وصنعها مجموعات من العلماء والفنيين العرب ومن أعضاء مجامع اللغة العربية، وكان نصيب الجامعيين السوريين فيها كبيرًا.ويزداد الإقبال بشدة، يومًا بعد يوم، على صنع المعجمات العلمية المختصة في فروع العلم المختلفة، أساسيةً وتطبيقيةً وتقانيةً وإنسانية، وتلاقي رواجًا كبيرًا في دور النشر وفي الأسواق.

هذه المعجمات وما تشتمل عليه من مصطلحات، ستثري ذخيرة المختص لما يصلح من المقابلات العربية لكل لفظ علمي أجنبي في فرعه العلمي، وسيساعده ذلك، بالتأمل والتدقيق والمناقشة، على تكوين رصيد طيب من مفردات المعاني والمصطلحات العربية، ويدفع مسيرة تعريب العلوم نحو الخيار الأمثل الموحد. ألم يتطور كثير من مصطلحات بناة النهضة العربية الإسلامية الأولى، كانتقالهم من أرثماطيقى إلى الحساب، ومن الجومطريا إلى الهندسة... وهل حال عدم توحيد المصطلحات دون تعريب التعليم العالي كله في الجامعات السورية؟ ألم تخرّج جامعاتنا عشرات الآلاف من المختصين، الذين تابع كثير منهم اكتساب المعرفة والخبرة في الوطن وفي الخارج؟ ألم يمنحهم تعدد المصطلحات فهمًا أدقَّ لما

يقرؤون وخبرةً في التمييز وقدرةً أفضل على التعبير؟ أليس في الإقبال بشدة على صنع المعجمات المختصة ونشرها ورواجها في الأسواق ما يدل على تضاؤل أهمية مشكلات توحيد المصطلحات العلمية في تعليم العلوم في التعليم العالي؟

ومع ذلك فإن وزارة التعليم العالي في سورية كلفت المجمع توحيد المصطلحات العلمية في جامعاتها ومعاهدها. وشرع المجمع في التنفيذ منذ عامين، وقرر، بالاتفاق مع الوزارة، أن يبدأ بتوحيد مصطلحات العلوم الأساسية لأسباب أشير إليها في التقرير العام الشامل حول أعمال المجمع السنوية[١]، وأحيل المشروع على اللجنتين المختصتين في المجمع. وقد أنجزت المرحلة الأولى من توحيد مصطلحات الفيزياء، وستناقش حصيلتها في المجمع بدمشق،مع ممثلي أقسام الفيزياء في الجامعات. إن تعدد المصطلحات العربية لمقابل أجنبي واحد أثرى نقاش أعضاء اللجنة المختصة في المجمع وخبرائها وحسّن نتائج عملهم. وإن دراسة تحليلية لنتائج المشروع، ولو في اختصاص واحد كالفيزياء، ستكون جدَّ مفيدة لدى تقرير مدى الحاجة إلى توحيد المصطلحات، وبخاصة بعد الإفادة من أساليب المصطلحية والتنميط.

وهكذا فقد أكدت الجامعات السورية في مسيرتها التعليمية ما هو متعارف عليه عالميًّا، وثابت علميًّا، أكدت أن التعليم باللغة الوطنية، بلغتنا العربية في الوطن العربي، أقدر على بناء أجيالنا علميًّا وثقافيًّا. ولقد كانت محاولات الانتقاص من قدرة اللغة العربية على الوفاء بحاجات تعليم العلوم كثيرةً، ولا تزال تتجدد بين حين وآخر، وتجد لها سندًا، في مواقف المتقاعسين عن

(١) الدكتور عبد الله واثق شهيد: تقرير عام شامل حول أعمال المجمع السنوية — مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد ٧٩ الصفحة ٦٥٩.

التعريب، كلما اشتدت مطالبة مجتمعاتهم به، أو كلما توجهنا إلى طلب العون من مؤسسات دولية، ولكنها ما تكاد تظهر وكأنها تحت في تكوين خرق حتى تنهار مخفقةً إخفاقًا مريعًا . وفي منتصف الستينيات من القرن الماضي، أوصى تقرير لجنة من الخبراء الأجانب، حول إنشاء كلية للطب في حلب، باتخاذ اللغة الإنكليزية لغةً للتعليم فيها . ولسوء طالع هؤلاء الخبراء، فإن تعليم الطب بخاصة، باللغة العربية طوال نصف قرن قد أثبت جدواه ورسخ في الأذهان واستقر في نفوس الأساتذة والطلاب، فأثار تقريرهم سخط جميع المثقفين. ونشرت مجلة المعرفة السورية في تلك الأيام سلسلة من المقالات بعنوان «لغة العلوم»[1] شارك في كتابتها عدد من أساتذة الجامعات السورية والمفكرين العرب، كان من بينهم الأساتذة بشير العظمة،وعبد الرزاق قدورة وعبد السلام العجيلي، ومحمد أديب السلاوي وعبد الله كنون وفؤاد الشايب.... والغريب في أمر ذلك التقرير، أن الدولة الفرنسية أقرّت في عهد الانتداب، بفضل التعليم باللغة الوطنية، بلغتنا العربية، وباركه باسمها مندوبها السيد بونور، في حفل افتتاح السنة الجامعية في عام ١٩٣١، إذ قال: [2]«...فإن من يزعمون أن اللغة العربية غير صالحة للتعبير عن مصطلحات العلم الحاضر هم على خطأ مبين، فالتاريخ يثبت أن لغة الضاد كسائر اللغات الأخرى غنيّة باشتقاقاتها وكافية بكثرة تراكيبها للتعبير عن الأفكار الجديدة...فظلوا أبدًا محافظين على هذه الأداة

(١) سلسلة مقالات نشرتها مجلة المعرفة بدءًا من عددها ذي الرقم ٤٧ مع بداية عام ١٩٦٦.

(٢) افتتاح الدروس ودار الكتب، خطاب مسيو بونور مدير المعارف العام في المفوضية العليا – مجلة المعهد العلمي العربي، المجلد الثامن (عام ١٩٣١)، الصفحات ٤٥-٥٠.

البديعة التي نحن مدينون لها بكثير من الأعمال الباهرة وبعدد من الأشكال الجميلة التي تجلى بها الفكر البشري....إنني أهنئ العرب وأتمنى ألاّ يضيّعوا هذا الاحترام المقدس للغتهم، لأن من يدافع عن لغته، يدافع عن أصله وعن حقه المقبل وعن كيانه وعن لحمه ودمه....)). ومهما تكن غاية الحكومة الفرنسية، في تلك الأيام، من تشجيع تعريب التعليم العالي والتي أشرنا إليها من قبل[1]، فإنها كلمة حق. وها هو أيضًا الأستاذ عبد الله كنون يحدثنا عن نتائج مشابهة في المغرب، فيقول ((... استقدمت الحكومة المغربية لجنة من خبراء البنك الدولي للإنشاء والتعمير بقصد الاستشارة، فكان رأيها أن ازدواجية لغة التعليم هي مما يستنـــزف مالية المغرب فضلاً عن كونها السبب في هبوط مستوى التعليم، وأوصت باعتماد لغة البلاد وجعلها اللغة الأساسية للتعليم))[2]. وكلمة الحق هنا أيضًا قد تكون قيلت لتساعد على طرد اللغة الفرنسية. أما لجنة خبراء كلية الطب في حلب، فقد ذهبت إلى غايتها الخبيثة مباشرة، فأوصت صراحةً بالتعليم باللغة الإنكليزية خلافًا للمنطق والنتائج العلمية. واللغة العربية بعد هذا كله، قد برهنت بما حققته، على كفاءتها لتعليم العلوم كلها وعلى جميع المستويات. لقد قارن الطبيب زهير أحمد السباعي، عضو مجلس الشورى في المملكة العربية السعودية في دراسةٍ له بعنوان: ((هل تدريس الطب بالعربية يخرّج لنا أطباء أضعف))[3]، نتائجَ الأطباء السوريين الذين تعلموا الطب بالعربية بنتائج

(١) الجزء الأول من البحث، الصفحة ٤٨٨ من المجلد ٧٩.

(٢) عبد الله كنون: لغة العلم — مجلة المعرفة (١٩٦٦)، الحلقة الرابعة، الصفحة ٩.

(٣) زهير أحمد السباعي: هل تدريس الطب بالعربية يخرج لنا أطباء أضعف ؟ ! — مجلة المعرفة (السعودية) العدد ٦٥ (شعبان ١٤٢١هـ) الصفحة ٣٠. وأنا مدين للأستاذ=

الآخرين، في اختبارات المجلس التعليمي للأطباء الأجانب، وهو اختبار تعقده الولايات المتحدة الأمريكية عدة مرات في كل عام، ويتقدم إليه في كل مرة نحو عشرة آلاف طبيب من مختلف أنحاء العالم.وذكر الدكتور السباعي أن من يجتاز الاختبار يحق له العمل أو الدراسة الطبية العليا في الولايات المتحدة الأمريكية. وتضمنت الدراسة جدولاً بمعدل علامات نتائج اختبار الطلاب الأطباء السوريين المتقدمين، ومعدل العلامات الإجمالي للمتقدمين؛ ويتضح من ذلك الجدول أن معدل علامات السوريين أعلى قليلاً من المعدل الإجمالي. وينبّه الدكتور السباعي في دراسته القارئ إلى «أن الاختبار يعقد باللغة الإنكليزية، أي أن تعلم الطب باللغة العربية لم يكن عائقًا أمام الأطباء السوريين يحول دون أدائهم للاختبار واجتيازهم له بنجاح». وفي ذلك برهان على نجاح تعليم العلوم باللغة العربية مستخلص من مقارنة نتائجه بنتائج الآخرين.

لقد أصبح التعليم باللغة العربية في جميع مراحله هدفًا ثابتًا لا محيد عنه، كما أخفقت جميع الأساليب لحرفنا عنه، حتى إنَّ تلك الأساليب المغرضة ساهمت، كرد فعلٍ إلى حدٍّ ما، في إهمال اللغات الأجنبية التي هي نوافذنا للتواصل مع التقدم العلمي العالمي.

وقد تكون معالجة مشكلات انخفاض مستوى معارف الطلاب بلغة أجنبية أكثر إلحاحًا في أيامنا هذه من النظر في توحيد المصطلحات. وهذه المشكلات ليست مطروحة في كليات الطب خاصة، ولا تكاد تكون مطروحة في كليات العلوم التطبيقية عامة. ذلك لأن هذه الكليات تعدّ طلابها لممارسة مهنهم الحرة،

=حسن الحموي باطلاعي على هذه الدراسة وعلى جزء من دراسة أخرى مفيدة في هذا المجال، فإليه أزجي الشكر.

ويعلم هؤلاء أن مدى ما يمكن أن يتحقق لهم في مهنهم من نجاح مرتبط بمدى اكتسابهم خبرات فيها، ومدى مقدرتهم على تطوير تلك الخبرات مع الزمن، وأن هذا لا يتحقق إلا ببلوغ مستوى مقبول من معرفة لغة أجنبية أو أكثر. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن طلاب هذه الكليات، هم وفق قواعد قبول الطلاب في التعليم العالي، الأوفر حظًّا وزادًا من التعليم الثانوي – ومن ضمنه اللغة الأجنبية – بين الذين أنهوه بنجاح وتوجهوا إلى التعليم العالي. أما كليات العلوم الأساسية وبعض كليات العلوم التطبيقية كالزراعة، فلابد للحفاظ على مستوى مقبول للتعليم فيها من معالجة مشكلات انخفاض مستوى معارف طلابها بلغة أجنبية.

لقد كان الطلاب يتلقون في كلية العلوم دراسة مادة واحدة فقط بلغة أجنبية في كل اختصاص وفي كل سنة من سنوات دراستهم الأربع، وكان على الطالب النجاح في امتحاناتها. كما كان على كل طالب في سنته الأخيرة اختيار موضوع – يوافق عليه أستاذ مشرف – يكتب فيه رسالة علمية، ولا يمنح الطالب إجازته من الكلية إلا بعد قبول الأستاذ المشرف عمل الطالب في رسالته العلمية. إن نجاح الطالب في سنوات الدراسة كلها في المواد التي درِّست بلغة أجنبية، وفي كتابة الرسالة العلمية التي يعود في كتابتها إلى مراجع أجنبية، ضمان لامتلاك الطالب رصيدًا في لغة أجنبية يمكنه من الاطلاع على التقدم العلمي في اختصاصه ومتابعة التعلم بعد تخرجه. وواقع الحال، أن عدد أعضاء هيئة التدريس في الكليات المحدثة (في عام ١٩٠٦)، كان في العقدين الأولين من عمرها قليلاً جدًّا وكانت أعباء كل منهم كبيرة، لذلك كان التعاون بين الطلاب وأساتذتهم كبيرًا. وكثيرًا

ما كان الطلاب يقومون بترجمة فصولٍ من كتب متعددة يوجههم إليها الأستاذ، ثم يقوم بتنقيح ما ترجموه في أملية يقدمها لهم. وقد أدّى هذا التعاون إلى تحسين معارف الطلاب في لغةٍ أجنبية وفي مسالك التعريب، وإلى بناء شخصياتهم العلمية وتعزيز ثقتهم بأنفسهم، وبذلك تابعت مسيرة تعريب تعليم العلوم في الجامعات تقدُّمها.

ولقد أدّى ازدياد أعداد الطلاب بشدة في كليات العلوم (وفي بعض كليات العلوم التطبيقية) إلى ازدياد ميل مستوى معارفهم في لغةٍ أجنبية إلى الانخفاض، فهم أقل حظًّا وزادًا من التعليم الثانوي من زملائهم طلاب الطب وبعض كليات العلوم التطبيقية. وأصبح تدريس مادةٍ بلغةٍ أجنبية في كل سنة من سنوات الدراسة، خاليًا من الفائدة التي كانت ترجّى، إذ تحوّل تدريس مادةٍ بلغةٍ أجنبيةٍ، إلى تدريس نصوصٍ مترجمة، واقتصر الطالب في كتابة رسالته على المراجع العربية لعجزه عن الاستعانة بالمراجع الأجنبية، وأدى هذا كله إلى انخفاضٍ سريع في عدد الخريجين القادرين على متابعة التعلم بعد التخرج. إن هذا التراجع في مردود التعليم العالي في هذه الكليات، لا علاقة له بلغة التعليم أي باللغة العربية، ولكنه نتيجة مُفْجعة لانهيار تعليم اللغات الأجنبية وغيرها في التعليم الثانوي، ولتردي مستويات تعليم اللغة العربية في جميع مراحل التعليم. وليس من أهداف هذه الدراسة، الانتقال إلى معالجة واقع تعليم اللغات الأجنبية في سورية وفي بعض البلدان العربية على الأقل، ولكن الإشارة إلى بعض ما سبّبه ضعفها، تبقى هامة وضرورية، وبها نكتفي.

هذا الواقع أدّى إلى توقف تطوّر تعريب التعليم العالي وتطويره. إن محور التطور والتطوير لن يكون توحيد المصطلحات، فتوحيدها آتٍ ولا يتوقف عليه التعريب كما ذكرنا. إن محور التطوير والتطور هو وضع المصطلح: منهجيته وأساليبه. ذلك لأن الجديد من ألفاظ الحضارة المعاصرة والمصطلحات العلمية هو في تزايد مستمر متسارع. والثورات العلمية التي تفجرت بالأمس في الاتصالات والمعلوماتية والإدارة والمواد الجديدة والبيولوجيا وفي كثير من العلوم الإنسانية، ولا ندري في أي اختصاص غدًا ستنفجر، تقذف يوميًا بكمٍّ كبيرٍ من المصطلحات العلمية بلغاتٍ أجنبية عديدة أهمها الإنكليزية في هذه الأيام، وتتراكم أكداسًا على طريق التعريب، لا نكاد نمس منها ما له علاقة بالتعليم. إن استكمال تعريب التعليم العالي والبحث العلمي يقتضي منا وضع المصطلحات العربية المقابلة لما يتراكم في تلك الأكداس من مصطلحات أجنبية، بوتيرةٍ من رتبة وتيرة ما ينهال علينا منها يوميًا. وليس بخافٍ علينا جميعًا أن هذا المطلب سيبقى بعيد المنال إذا لم نَبْنِ أو نكتشف المنهجية التيّ تصلح في هذه الحال لوضع المصطلح بيسر. وعلينا، إذا ما تم لنا ذلك، أن نبتكر الأساليب المناسبة لتطبيقها، وأن ننمي الوعي اللغوي في أوساط الطلاب والباحثين، أو لنقل في بيئة التعليم العالي والبحث العلمي على الأقل، إذ لن تتوفر الفائدة المرجوّة من المنهجية من دون تنميته في تلك البيئة.

إن تعريب التعليم، لم يعد مطلبًا قوميًا للحفاظ على الهوية، أو تربويًا للحصول على مردود تعليمي أفضل فقط، فقد برهنت بحوث التنمية ومنها التنمية البشرية، على أن للتعليم باللغة الوطنية عائدًا اقتصاديًا لا تقل جدواه عن عائد أي نشاط اقتصادي. ألم يشر إلى ذلك تقرير لجنة خبراء البنك

الدولي في المغرب منذ نصف قرن تقريبًا، كما حدَّثنا الأستاذ عبد الله كنون وذَكَّرْنا به قبل قليل ؟ !^(١) ألم تتركز دراسات الدكتور مراياتي، عن التنمية البشرية ولا تزال، على أهمية دور اللغة الأم في التعليم وعلى لفت الانتباه بإلحاحٍ إلى دورها المتنامي في التنمية الاقتصادية والاجتماعية^(٢)؟ لهذه الأسباب مجتمعةً ولغيرها، التي منها بخاصة الحاجة الملحة إلى أطر قادرة على ترسيخ قواعد البحث العلمي، أنشئ «المعهد العالي للعلوم التطبيقية والتكنولوجيا» في أواخر السبعينيات من القرن الماضي (صدر قانون إحداثه في عام ١٩٨٣) لإحداث طفرةٍ جديدةٍ في تعريب التعليم العالي، ولإعداد تلك الأطر القيادية في مجالات البحث العلمي. وكانت تنمية الوعي اللغوي في بيئة التعليم العالي والبحث العلمي، من بين الأسس التي استُهدفت في إنشائه، فنص نظامه على إحداث وحدةٍ لبحوث اللغة العربية، كما اشترط ضرورة انتقاء طلابه من أرفع الفئات مستوى من خريجي الفرع العلمي في التعليم الثانوي، وخصصت السنة الدراسية الأولى لرفع مستوى معارف الطلاب، في لغتين أجنبيتين هما الفرنسية والإنكليزية، وفي الرياضيات والفيزياء، لسدّ الثغرة التي أشرنا إليها في انخفاض مستوى معارف خريجي

---

(١) عبد الله كنون: لغة العلم – مجلة المعرفة (١٩٦٦)، الحلقة الرابعة، الصفحة ٩ و الصفحة ٨ من هذه الدراسة.

(٢) الدكتور محمد مراياتي: عزوف الدول العربية عن تعليم العلوم والتكنولوجيا باللغة العربية يؤثر في نموها الاقتصادي والاجتماعي – المؤتمر السنوي الرابع لمجمع اللغة العربية بدمشق: اللغة العربية والمجتمع، ١٤-١٦ تشرين الثاني (نوفمبر) من عام ٢٠٠٥.

التعليم الثانوي. ولخصت أهداف المعهد المعلنة، في إعداد الرواد من المهندسين في مجالات العلم والتِّقانة (التكنولوجيا). وقد حقق المعهد أهدافه بسرعة، وتفوق خريجوه في الوطن وفي البلدان الأجنبية، في جميع المجالات، التي منها بحوث اللغة العربية. لقد قام المعهد بدراسات لسانية هامة، في وحدة صغيرة لبحوث اللغة العربية، أشرف عليها الدكتور محمد مراياتي وكان أعضاؤها يحيى ميرعلم وحسان الطيان ومروان البواب. وقد حصل ميرعلم والطيان على الدكتوراه من جامعة دمشق في أثناء عملهما في هذه الوحدة. قامت الوحدة ببحوث في اللسانيات العربية والصوتيات، وأجرى الباحثون فيها دراسات إحصائية هامة على الحروف وتواترها وتنافرها، وطبقوا دراساتهم تلك على التعمية عند العرب، فنشرت في ثلاثة أجزاء بعنوان: علم التعمية واستخراج المعمّى عند العرب، نُشر الأولان منهما بالتعاون بين المعهد ومجمع اللغة العربية بدمشق، ونشرت لهم مكتبة لبنان، في عام ١٩٩٦، «إحصاء الأفعال العربية في المعجم الحاسوبي».

أما خريجو المعهد من المهندسين، فقد تابعوا بحوثهم في مجالات مختلفة من مجالات اللغة العربية وأتقنوا تطبيقات المعلوماتية في تلك المجالات، فشارك بعضهم في مؤتمرات المجمع وندواته كالدكتور عماد صابوني، وشارك آخرون في بحوث تيسير تعليم اللغة العربية كالدكتورة غيداء ربداوي... وتوجه بعض آخر إلى مشروع الذخيرة اللغوية كالأستاذ مروان البواب من وحدة بحوث اللغة العربية في المعهد والدكتورة غيداء ربداوي... ونهضوا جميعًا مع قلة من زملائهم الجامعيين بتعليم المعلوماتية في الجامعات السورية معربةً، وسيساهم هؤلاء في تطوير منهجية وضع المصطلح التي يعد المجمع

لتطويرها العدة، وسيكون لهم في المجمع من الأثر الطيب في دعمه وتطويره، ما كان لأعضاء هيئة التدريس في المعهد الطبي العربي في القرن الماضي، من طيب الأثر في تطوير العمل فيه.

إن المنهج المتوارث في وضع المصطلح هو من صنع عصر النهضة العربية الإسلامية واستُخلص من تراثها. لقد كان وافيًا بأغراض وضع المصطلح، في عصر كانت المصطلحات العلمية الأجنبية محدودة، وما إن نقلت إلى العربية حتى أصبح الإبداع والابتكار وازدهار الحضارة والتقدم حكرًا على اللغة العربية، بها ينشر ومنها ينقل إلى اللغات الأخرى. أما اليوم فقد تغير الحال بل انعكس. هذا المنهج، الذي لا يتقن استعماله إلا قلة من العلميين، ولا يدرك حدود تطبيقه في العلم غيرهم، هو اليوم بحاجةٍ قصوى إلى التطوير.

إن إثراء أساليب وضع المصطلح وبناء أنجع منهجية في حالنا هذه، يتطلب تكثيف بحوثنا في مجالات المصطلحية والمعجمية والتقييس، وفي تطبيقات المعلوماتية فيها. وسيكون على المجمع التخطيط لإعداد العاملين الشباب الجدد، للقيام بهذه المهمة. إنهم من خريجي الجامعات الذين حصلوا فيها بعد الإجازة على درجةٍ أعلى في علوم اللغة العربية أو في المعلوماتية، ومنهم تتألف الهيئة الفنية التي أحدثت في المجمع، على غرار نظيرتها في الجامعات، ومن المستحسن أن يجري إعدادهم بالتعاون مع الجامعات وأعضاء هيئات التدريس فيها. وسيكون في تطبيق بحوث المصطلحية على ما وضع السلف من المصطلحات، وبخاصة في عصر النهضة العربية الإسلامية، فائدة أكيدة. كما سيكون مثلها لإعادة النظر في تبويب معجمات المعاني تبويبًا يستوحى من أولَيات خدمة أغراض المجمع في وضع المصطلح، كتخصيص فصلٍ للحركة،

وثانٍ للأصوات ، وثالث للألوان ورابع للزمن... وستحقق المساهمة في تنفيذ مشروع الذخيرة اللغوية، والعمل على تطوير أساليب تنفيذه فوائد عديدة، منها تيسير وضع المعجم التاريخي، والتعجيل في توسيع ذخيرة المصطلحات العلمية وإثراء معجمات المعاني في تبويبها المقترح ...

لقد هُيئت للمجمع أهم الشروط التي تمكنه من قيادة تطوير تعريب التعليم العالي في الوطن، كما قادها إبّان إحداثه. إذ طورت بنيته بالقانون رقم ٣٨ لعام ٢٠٠١ على الوجه الذي اقترحه المجمع على الدولة، فزاد عدد أعضائه بالقدر الذي يمكّنه من تحسين تمثيل فروع العلم والتقانة في عضويته. وشرع المجمع في تنفيذ مشروع توحيد المصطلحات العلمية في الجامعات السورية، وهو من أهم المشروعات التي كان يطمح إلى تنفيذها. وبرزت في أثناء التنفيذ صعوبات كان لابد من تذليلها كتنظيم عمل الخبراء في اللجان، وضرورة رسم سياسة لخطط العمل العلمي السنوي والبعيد المدى حرصًا على الطاقات البشرية والمالية من الهدر والتشتت. وانتهى الأمر إلى وضع مشروع لتطوير أساليب العمل في المجمع، أقره مجلسه في خريف عام ٢٠٠٤ [١] وقد حدد المشروع محاور العمل فكان أهمها:

- توحيد المصطلحات العلمية بين الجامعات السورية.
- إثراء منهجيات وأساليب وضع المصطلح ببحوث في المصطلحية والمعجمية وما يرتبط بهما أو يتفرع منهما كمعجمات المعاني والذخيرة اللغوية.
- رصد ألفاظ الحياة العامة ووضع مصطلحاتها وإشاعتها.

---

(١) الدكتور عبد الله واثق شهيد: تقرير عام شامل حول أعمال المجمع السنوية، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد ٧٩، الصفحات ٦٤٧-٦٦٦.

- تيسير تعليم اللغة العربية وتعلمها.
- متابعة لغة الصحافة والإعلام وتقويم الأغلاط المتأصلة فيها.
- العناية بتحقيق التراث العلمي ضمن محور تحقيق التراث والإفادة منه في وضع منهجيات وضع المصطلح.
- الإفادة من تطبيقات المعلوماتية في جميع محاور العمل.

وكان المجمع قد شرع في تنفيذ برامج في المحاور الأول والثالث والخامس والسابع، كما شرع يعمل على وضع برامج لتنفيذ مشروعاتٍ في المحور الثاني، أهم محاور العمل في المجمع وأبعدها مدى وأشدها تأثيرًا في تطويره.

إن بيئة طفرةٍ جديدةٍ في تجربة سورية في تعريب التعليم العالي أخذت ترتسم في المجمع وفي التعليم العالي، ومنه بخاصة في المعهد العالي للعلوم التطبيقية والتكنولوجيا، وإني لآمل أن أكون قد وفقت في عرض خطوطها الكبرى في الصفحات الأخيرة من هذه الدراسة.

نور الدين محمود في شعر معاصريه

د. أحمد فوزي الهيب

مثلما ينبلج الفجر من كبد الظلماء، ليملأ الدنيا نورًا وضياء، انبلج نور الدين محمود، كما انبلج قبله أبوه عماد الدين زنكي، وبعده صلاح الدين الأيوبي، انبلجوا من ظلمة الهزيمة والقهر والذل والاحتلال الفرنجي الذي سمَّاه أصحابه (الصليبي)، انبلج ليهزم الفرنجة، ويكسر أسطورتهم، ويحرِّر البلاد، ويوحدها تمهيدًا لتحرير القدس والمسجد الأقصى.

لن أتحدث عن نور الدين محمود كما تحدَّث عنه المؤرخون، إلا بالقدر الذي يساعد في فهم الأشعار التي تحدثت عنه راجيًا أن تستطيع رسم صورته المشرقة، أو رسم بعضها، لتوفِّيَهُ بعض حقه على البلاد وأهلها وحضارتها وكرامتها وتحريرها.

هو الملك العادل نور الدين أبو القاسم محمود بن عماد الدين أتابك زنكي بن قسيم الدولة آقسنقر التركي، ولُقِّب (زنكي) أيضًا بلقب والده، كما قيل له (ابن القسيم)[1].

ولد سنة (٥١١هـ) ونشأ في كفالة والده صاحب حلب والموصل وغيرهما من البلدان، وتعلم القرآن والفروسية والرمي، وكان شهمًا شجاعًا ذا همة عالية وقصدٍ صالحٍ وحرمة وافرة وديانة بيِّنة[2]. لذلك قدَّمه أبوه على أبنائه

---

(١) الروضتين في أخبار الدولتين (١/٩).

(٢) البداية والنهاية (١٢/ ٢٩٧).

الآخرين لما رآى فيه من مخايل النجابة[١].

كان نور الدين معتدل القامة أسمر اللون واسع الجبهة حسن الصورة ذا لحية خفيفة[٢]، قويًا رياضيًّا رشيقًا سريع الحركة فارسًا شجاعًا.

تولى المُلْكَ بعد استشهاد أبيه أمام أسوار قلعة جعبر[٣]، عام (٥٤١هـ)، والذي سار ببلاد الشام والجزيرة مرحلة كبيرة في طريق التحرير والتكتل والتوحيد منذ أن تولى إمارة الموصل سنة (٥٢١هـ)[٤].

اتخذ نور الدين محمود حلب عاصمة له، فأصلح أحوالها وبنى فيها المدارس والرباطات، وجلب أهل العلم والفقهاء إليها[٥]، وأظهر العدل. وأبطل البدع، وحصّن الأسوار، وعُني بالزراعة والتجارة وطرقها، وأمر ببناء الأبراج والخانات[٦]، ورتب الخفراء في الأماكن المخوفة، وجعل فيها الحَمَام الهوادي، ليطلع على الأخبار بسرعة[٧]، وأقطع أمراء الأعراب إقطاعات تُغنيهم عن تهديد الطرق وسلب القوافل[٨].

---

(١) النجوم الزاهرة (٦/ ٧١).

(٢) النجوم الزاهرة (٦/ ٧١).

(٣) وفيات الأعيان (٢/ ٣٢٨). وقلعة جعبر تقع على الفرات قرب الرقة وصفين (معجم البلدان ١٤٢/٢)

(٤) وفيات الأعيان (٢/ ٣٢٨).

(٥) زبدة الحلب (٢/ ٤٧٥).

(٦) الروضتين (١/ ٢١).

(٧) البداية والنهاية (١٢/ ٣٠٠).

(٨) الروضتين (١/ ٢١).

وبعد ذلك اتخذ دمشق عاصمة ثانية له مع حلب، بعدما فتحها عام (٥٤٩هـ)، فأصلح أحوالها جميعها، كما فعل بحلب وجميع المدن التي فتحها، لم يمنعه من ذلك حروبه الضارية المستمرة مع الفرنجة[١]، ولا اتساع ملكه الذي امتد ليضم الشام ومصر والحجاز واليمن[٢]، ولقد ذكر ذلك الاتساع العماد الكاتب (٥١٩- ٥٩٧هـ/ ١١٢٥-١٢٠١م) بقوله[٣]:

دانَــتْ لــكَ الدُّنيا فقاصيها إذا ... حقَّقــتهُ لــنفَاذ أمْــرِكَ دانِ

فمــن العراق إلى الشآم إلى ذرى ... مصــرٍ إلى قــوص إلى أســوانِ

لم تنــهُ عـن بـاقي البلاد وإنما ... ألهــاك فــرض الغزو عن همذانِ

لم يكن نور الدين محمود رجلاً عسكريًّا فقط، وإنما كان فضلاً عن ذلك مثقفًا حسن الخط كثير المطالعة[٤]، فقيهًا متسامحًا غير متعصب، تعلّم الحديث النبوي الشريف، وعلّمه طلبًا للأجر، مقتديًا بالسنة النبوية[٥]، محافظًا على الصلوات في الجماعات، كثير التلاوة للقرآن الكريم، مُحبًّا لفعل الخيرات، عفيف البطن والفرج، مقتصدًا في الإنفاق على نفسه وعياله في المطعم والملبس، لم تُسمع منه كلمة فحش قط في غضب ولا رضا، صموتًا وقورًا، لم يكن بعد الخليفة عمر بن عبد العزيز مثله في العدل والإنصاف والزهد[٦]، وكان كثير القيام في الليل مصلّيًا مبتهلاً داعيًا

(١) أعلام النبلاء (٢/ ٦٢).

(٢) زبدة الحلب (٢/ ٥١٠).

(٣) خريدة القصر، بداية قسم شعراء الشام (٦١).

(٤) البداية والنهاية (١٢/ ٢٩٧).

(٥) الروضتين (١/ ١٠).

(٦) البداية والنهاية (١٢/ ٢٩٨).

متضرعًا في أموره كلها[١]. قال عنه الفرنج: إن له مع الله سرًّا، فإنه لم يظفر وينصر علينا بكثرة جنده وجيشه، وإنما يظفر علينا، وينصر بالدعاء وصلاة الليل، فإنه يصلي بالليل ويرفع يديه إلى الله ويدعوه، فيستجيب له، ويعطيه سؤله فيظفر علينا[٢]. لقد خصَّص أوقاته كلها لمصالح الناس ، وإظهار شعار الإسلام، والتمكين لقاعدة الدين، حتى إن بلاد الشام صارت في زمنه مقرًّا للعلماء والفقهاء والصوفية، إذ بنى لهم الكثير من المدارس والجوامع والربط والخانقاهات[٣]، وأنشأ أيضًا مدارس الأيتام والمشافي التي غدت مدارس للطب[٤]، كما كان نور الدين أول من بنى دارًا للحديث النبوي في تاريخ الإسلام[٥]. أما مجلسه فقد تميّز عن مجالس غيره من الملوك بأنه كان مجلسًا لا يُذكر فيه إلا العلم والدين وأحوال الصالحين والمشاورة في أمر الجهاد[٦].

كان نور الدين محمود ملكًا عادلاً زاهدًا عابدًا ورعًا، مستمسكًا بالشريعة، مائلاً إلى أهل الخير، مجاهدًا في سبيل الله كثير الصدقات[٧]. ومن مزاياه الكثيرة أنه أول من ابتنى دارًا للعدل، كان يجلس فيها مرات عدة كل أسبوع، ويحضر معه القاضي والفقهاء من سائر المذاهب، لا يحجبه فيها عن الناس جميعًا حاجب ولا غيره، بل يصل إليه القوي والضعيف، وكان يكلم الناس، ويستفهم منهم، ويخاطبهم بنفسه،

(١) المصدر السابق (١٢/ ٢٩٩).

(٢) الروضتين (١/ ٣٤).

(٣) أعلام النبلاء (٢/ ٦٢).

(٤) الروضتين (١/ ٢٠-٢١).

(٥) المصدر نفسه (١/ ٢٣).

(٦) المصدر نفسه (١/ ٣٤).

(٧) أعلام النبلاء (٢/ ٦٢).

فيكشف الظالم، وينصف المظلوم [١].

كما كان يحترم الفقهاء والمتصوفة، ويقوم لهم، ويمشي لهم خطوات، ويقعدهم معه على سجادته في وقار وسكون، ويكاتبهم بخط يده [٢]، في الوقت الذي كان لا يتجاسر فيه أحد من الأمراء أن يقعد بين يديه إلا بإذنه، لشدة هيبته [٣]، ووقاره وضبطه ناموس الملك مع أجناده وأصحابه إلى غاية لا مزيد عليها [٤]، مع أنه كان لا يُريق دمًا ولا يبالغ في عقوبة [٥].

وكان نور الدين شجاعًا حسن الرأي صابرًا في الحرب، أعرف الناسِ بأمور الأجناد وأحوالهم، لم ير الناس على ظهر الفرس أحسن منه، يباشر القتال بنفسه، ثابت القدم حسن الرمي صليب الرأي، يتقدم أصحابه، ويتعرض للشهادة سائلاً الله تعالى أن يحشره من بطون السباع وحواصل الطير [٦]، وكان كثيرًا ما يقول: قد تعرضت للشهادة غير مرة فلم أحظَ بها [٧]، قال له يومًا قطب الدين النيسابوري [٨]: بالله لا تخاطر بنفسك، فإنك لو قُتلت، قُتل جميع

(١) البداية والنهاية (١٢/ ٢٩٩- ٣٠٠).

(٢) أعلام النبلاء (٢/ ٦٢).

(٣) البداية والنهاية (١٢/ ٣٠١).

(٤) الروضتين (١/٢٣).

(٥) المصدر نفسه (١/ ١٨).

(٦) المصدر نفسه (١/ ١٠).

(٧) البداية والنهاية (١٢/ ٣٠٠).

(٨) مسعود بن محمد، فقيه شافعي، ولد في نيسابور عام ٥٠٥هـ، وتعلم فيها وفي مرو، ثم درس بالمدرسة النظامية في نيسابور، ووعظ وعلّم أيضًا في بغداد وحلب، ثم استقر في دمشق، وبها توفي عام ٥٧٨هـ. (وفيات الأعيان ٥/ ١٩٦).

من معك، وأُخذت البلاد، وفسد المسلمون. فأنكر نور الدين عليه ذلك قائلاً: يا قطب الدين، من كان يحفظ الدين والبلاد قبلي غير الله؟ ومن هو محمود؟ فبكى من كان حاضرًا [١].

وأما في أوقات السِّلم، وكانت قليلة قصيرة، فلم يكن يركن للكسل والراحة والدعة، وإنما كان يقضيه مع جيشه في رياضة عنيفة مفيدة نافعة للفرسان والخيل معًا لياقةً ونشاطًا وحيوية، وهي اللعب بالكرة على الجياد، وكان بارعًا فيها جدًّا كبراعته في ساح الجهاد، ولقد عاتبه عليها أحد الصالحين لأنه عدَّها لهوًا لسذاجته وبساطته، فأجابه نور الدين: إنما الأعمال بالنيات، وإنما أريد بها تمرين الخيل على الكرِّ والفرِّ وتعليمها ذلك. ونحن لا نترك الجهاد [٢].

هكذا كان نور الدين يقضي أوقاته في حربه وسلمه، إلى أن أسلم روحه إلى خالقها عام (٥٦٩هـ) في دمشق، بعد عمر امتدَّ ثمانية وخمسين عامًا، لم يُضِع منه في سلمه وحربه، وليله ونهاره، وحلِّه وترحاله، لحظة واحدة في غير مرضاة الله تعالى، وخاصة في مدة سلطنته التي دامت ثمانية وعشرين عامًا وستة أشهر [٣]. لقد كانت مدّة متميزة مباركة ساطعة في التاريخ العربي الإسلامي، استطاع فيها أن يوحِّد الشام ومصر واليمن والحجاز وأن يمهِّد الطريق أمام صلاح الدين الأيوبي، الذي سار على خطاه، لفتح القدس واسترجاعها وطرد الفرنجة منها إلى بلادهم التي أتوا منها.

---

(١) البداية والنهاية (١٢/ ٣٠٠).

(٢) المصدر نفسه (١٢/ ٢٩٨).

(٣) النجوم الزاهرة (٦/ ٧٢).

كان نور الدين محمود زاهدًا في كل شيء من دنياه، على الرغم من انتصاراته وفتوحاته وملكه الذي اتسع حتى امتد من العراق إلى برقة. وزهده هذا جعله زاهدًا أيضًا في الشعر والشعراء، مثل الخليفة الراشد الخامس عمر ابن عبد العزيز[١]، قليل الابتهاج بهما إلا بالحق[٢]، ولكن مع هذا فإن الشعر لم يزهد به، بل كان به حفيًا في حله وترحاله، وحربه وسلمه، وانتصاره وخسارته، وصحته وسقمه، وفرحه وترحه، وخلواته ومجالسه، وفي مراسلاته المختلفة. وكان نور الدين يعقد له المجالس، ويسمعه من الشعراء، ويستنشدهم. ويطلب منهم أن يصفوا وقائعه، وأن ينظموا على لسانه شعرًا في الجهاد. ولا غرو في ذلك، فالشعر آنذاك كان له دوره الهام الذي قام به خير قيام، كما كان له فرسانه الذين رافقوا فرسان السيف والسياسة في حركاتهم وسكناتهم، يؤدون دورهم استثارة للهمم وتحريضًا ومواساة وتشجيعًا. لذلك قيل في نور الدين - على زهده - شعر كثير، قاله أكبر شعراء عصره، حاولوا فيه أن يوفّوه حقه، ولكن أنّى لهم ذلك، فقد كانت أوصافه العظمى وأعماله الكبرى أكبر من أشعارهم وأعظم[٣].

كان الشعر مع نور الدين في حروبه جميعها يقوم بوظيفته خير أداء، وصفًا للمعارك وتأريخًا لها ورفعًا للروح المعنوية وتحريضًا للأبطال وإخافة للأعداء وإثارة للهمم وحشدًا للقوى وتهنئة ومدحًا، ومما قاله الشعر في معاركه قول ابن منير الطرابلسي (٤٧٣-٥٤٨هـ/١٠٨٠-١١٥٣م) في

(١) الروضتين (٢/ ٥٨٤).

(٢) المصدر نفسه (٢/ ٥٨٨).

(٣) المصدر نفسه (١/ ٤٤).

استعادته مدينة (الرها) من الفرنجة وملكهم جوسلين عام (٥٤١هـ)، تلك المدينة الهامة التي كان أبوه عماد الدين زنكي قد حررها منهم قبل عامين، وكانت أول إمارة صليبية حررها المسلمون في بلادنا[١]:

تــلك بكْــرُ الفتوحِ فالشامُ منها شــامُهُ والعــراقُ بَعــدُ عــراقُهْ

واستنجد به معين الدين أُنَر[٢] من دمشق، ليساعده في قمع تمرد قام به (التونتاش) غلام أمين الدولة كمشتكين الأتابكي[٣]، في صرخد[٤]، وبُصرى[٥]، مستعينًا بالفرنجة، فأنجده نور الدين محمود عام (٥٤٢هـ) بنفسه وجيشه الذي لم يُشاهد أحسن منه هيئة وعُدة، وكان نصرًا مؤزرًا، قال فيه ابن منير الطرابلسي قصيدة، منها[٦]:

سل بصيرًا كم أعتقت يوم بُصرى مِــنْ إِســار الموتِ الزؤام عتاقُه

ولعل من أهم انتصارات نور الدين التي تغنّى بها الشعراء معركة (إِنَّب)[٧]، عام ٥٤٤هـ، قال ابن الأثير[٨]: سار نور الدين إلى حصن

---

(١) المصدر نفسه (١/ ١٢٧).

(٢) كان أتابك مجير الدين أبق بدمشق زمن البوريين عام (٥٣٤هـ)، ثم ارتفع شأنه، واتفق مع نور الدين محمود، ثم توفي في دمشق عام (٥٤٤هـ).

(٣) حاكم صرخد وبصرى. (تاريخ دمشق لابن القلانسي ٣٩٨).

(٤) بلد من أعمال دمشق آنذاك. (معجم البلدان ٣/ ٤٠١).

(٥) مدينة معروفة بالشام من أعمال حوران. (معجم البلدان ١/٤٤١).

(٦) الروضتين (١/ ١٣١).

(٧)حصن من أعمال أعزاز شمال حلب. (معجم البلدان ١/٢٥٨).

(٨) عز الدين علي بن محمد (٥٥٥-٦٣٠هـ) المؤرخ في كتابه (تاريخ أتابكة الموصل، أو الباهر في تاريخ أتابكة الموصل ص (١٧٧-١٧٨). (نقلاً عن الروضتين ١/١٥٢).

حارم[١]، شمال حلب، وهو للفرنج، فحاصره، وخرَّب بعضه، ونهب سواده، ثم رحل عنه إلى حصن (إنّب) فحاصره، فاجتمعت الفرنج مع البرنس صاحب أنطاكية، وساروا إليه ليرحّلوه عن (إنّب)، فلم يرحل، بل لقيهم، وتصافّ الفريقان، واقتتلوا، وصبروا، وظهر من نور الدين، من الشجاعة والصبر في الحرب، ما تعجب منه الناس، وانجلت الحرب عن هزيمة الفرنج، وقَتل المسلمون منهم خلقًا كثيرًا، وفيمن قتلوه البرنس صاحب أنطاكية، وكان من عتاة الفرنج وذوي التقدم فيهم والمال. ومن هؤلاء الشعراء الذين أشادوا بهذا النصر القيسراني (٤٧٨-٥٤٨هـ/ ١٠٨٥-١١٥٣م) الذي قال قصيدة استلهمها من بائية أبي تمام الشهيرة أولها[٢]:

هذي العزائمُ لا ما تدّعي القُضُبُ[٣] وذي المكــارمُ لا ما قالت الكتبُ

وبعدما أشاد الشاعر بعزائم نور الدين ومكارمه وهممه وشجاعته وثبات قلبه، وصف هذه المعركة العظيمة بقوله[٤]:

ضربتَ كبشهم[٥] منها بقاصمة أودى بها الصُّلْب وانحطت لها الصُّلُبُ

حــتَى استطارَ شَرارَ الزند قادحُهُ فالحربُ تضَرم والآجالُ تحتطب

والخيــل من تحت قتلاها تقرّ لها قوائــمٌ خانَهنّ الركض والخبب

---

(١) كانت حصنًا منيعًا بين حلب وأنطاكية، فيها أشجار كثيرة ومياه. (معجم البلدان ١/ ٢٥٨).

(٢) زبدة الحلب (٢/ ٤٧٩).

(٣) القُضب: جمع قضيب، وهو: السيف القاطع.

(٤) الروضتين (١/ ١٥٣).

(٥) قائدهم.

والنقع[١] فوق صقال البِيض[٢] منعقدٌ كما استقل دخان تحته لهبُ

والسيف هامٌ على هامٍ[٣] بمعركة لا البَيض[٤] ذو ذمة فيها ولا اليَلَبُ[٥]

والنبل كالوبل[٦] هطّال وليس له سوى القسيِّ وأيدٍ فوقها سحبُ

وللظبا ظَفَرٌ حلوٌ مذاقتُهُ كأنما الضرْبُ فيما بينهم ضَرَبُ[٧]

أنباءُ ملحمةٍ لو أنها ذُكرتْ فيما مضى نَسيتْ أيامها العَرَبُ

وبعد هذا الوصف الدقيق الجميل لهذه الملحمة العظمى التي اشرأبَّ عنقها لتتساوى مع عمورية وغيرها من الانتصارات العربية الكبرى، وصف خيانة الفرنجة لعهودهم، والتي كانت وبالاً عليهم[٨].

خانوا فخانت رماحُ الطعن أيديَهم فاستسلموا وهْي لا نَبْعٌ ولا غَرَبُ[٩]

ثم انتقل القيسراني إلى مدح نور الدين وإخلاصه واحتسابه، وقارنه بغيره من ملوك المسلمين، ونوّه بكثرة انتصاراته وعظمتها، فقال:

---

(١) النقع: غبار الحرب.

(٢) البيض: جمع أبيض، وهو السيف.

(٣) الهام: الرؤوس.

(٤) البيض: جمعة بيضة وهي الخوذة.

(٥) اليلب: جلود يخرز بعضها إلى بعض، تلبس على الرؤوس وخاصة في الحرب.

(٦) الوبل: المطر الغزير.

(٧) الضرب: العسل.

(٨) وبال: شرّ.

(٩) النبع: شجر صلب ينبت في قمم الجبال تُتخذ منه القسي والسهام. والغَرَبُ: شجر لدنٌ ينبت حول الجداول، تُتخذ منه السهام.

من كان يغزو بلاد الشام مكتسبًا ... مـــن المـــلوك فنور الدين محتسبُ
ذو عِـــزَّةٍ مـــا سَمَتْ والليلُ معتكرٌ ... إلا تمزّقَ عن شمس الضحى الحجبُ

ثم وصف القيسراني نهاية المعركة وكثرة أسرى الفرنج على شجاعتهم قائلاً:

من باتت الأُسْدُ أسْرى في سلاسله ... هل يأسر الغُلْبَ[1] إلا من له الغَلَبُ

إنه إذ وصفهم بالأسد، فقد أنصفهم، وذكر شجاعتهم أولاً، وأعلى في الوقت نفسه من شجاعة نور الدين وقوته، وانتقل بعد ذلك القيسراني إلى تحريض نور الدين، وحثه على فتح القدس، وتطهير المسجد الأقصى، وهنا يتضح دور الشعر آنذاك في معارك التحرير، فالشاعر - بعامة - لم يعد طالب مالٍ ينافق ويتملق للحصول عليه، وإنما أصبح صاحب قضية، ينطق بالصدق، ويتوسل بالإخلاص، قال مخاطبًا نور الدين[2]:

غضبتَ للدين حتى لم يَفُتْكَ رضا ... وكان دينُ الهدى مرضاتُهُ الغضبُ
فانهض إلى المسجد الأقصى بذي لَجَبِ ... يوليك أقصى المنى، فالقدس مرتقبُ
وائـــذن لموجك في تطهير ساحله ... فإنمـــا أنـــت بحـــرٌ لُجُّـــهُ لَجِبُ

حاول القيسراني في ملحمته الطويلة الرائعة هذه أن يعطي نور الدين حقه إنصافًا وتعظيمًا، وكأني به كان يعتقد - وهو على حق - أن انتصار نور الدين هذا يعدل انتصار المعتصم في عمورية، ويتضح هذا إذا علمنا أن انتصار عمورية حدث والمسلمون في أوج قوتهم، على حين كان انتصار نور الدين، والمسلمون في ضعف، قد تجرأ عليهم الفرنج فغزوهم، واحتلُّوا كثيرًا

---

(١) الغلب: جمع أغلب، وهو الأسد.

(٢) الروضتين (١/ ١٥٤).

من بلادهم. لذلك نستطيع أن نتلمس روح أبي تمام في بائيته واضحة جلية في كثير من أبيات قصيدته ومعانيها وألفاظها وتراكيبها. وفضلاً عن هذه القصيدة هناك قصائد أخرى في هذه المعركة، وذلك لأهميتها وعظمتها.

وعلى الرغم من انتصارات نور الدين الكثيرة العظيمة التي ألحّ عليها الشعراء وصفًا ومدحًا وفرحًا، مثل فتح أفامية وسنجار ورحبة مالك والفرات وحمص وأعزاز وتل باشر ودلوك والجولان وطرطوس وغيرها[١]، مما ذكرته كتب التاريخ، مثل: الروضتين والبداية والنهاية وتاريخ دمشق وبغية الطلب وزبدة الحلب وأعلام النبلاء وتاريخ ابن عساكر وغيرها. أقول برغم ذلك فإني سأقف عند فتح دمشق وما سبقه، لما له من أهمية كبرى في معارك التحرير وطرد الفرنج من البلاد، أهمية جعلت نور الدين ينظر إليه نظرة خاصة، وجعلته يتزوج ابنة صاحب دمشق (معين الدين أنر)، ليكون له عونًا في الجهاد والتحرير، ولكنه يتوفى، ويأتي بعده (مجير الدين آبق)[٢]، فيغيّر الأمور، ويعاضد الفرنج، ويستنصر بهم، وهذا ما اضطر نور الدين إلى حصار دمشق (عام ٥٤٦هـ) حصارًا حازمًا، تُوّج بفتحها، فأكرم أهلها وأمّنهم، وأظهر فيهم العدل والإحسان، وأزال المكوس (الضرائب)، فأكثروا

(١) أفامية وسنجار ورحبة مالك: أماكن معروفة في بلاد الشام.

(٢) ملك دمشق، تذبذب بين الصلاح والسوء، وبين نور الدين محمود والفرنج، حاصره نور الدين في دمشق عام ٥٤٩هـ، وأخرجه منها إلى حمص ثم إلى بالس قرب الفرات. (تاريخ دمشق لابن القلانسي ٤٧٦، ٤٧٨، ٤٨٠، ٤٨٨، وفيات الأعيان ٢٩٧/١، ١٨٤/٥).

من الدعاء له وسُرّوا بذلك سرورًا عظيمًا[1]. ولقد ذكر الشعراء ذلك، منهم القيسراني الذي قال[2]:

لِيَهْــنِ دمشقًا أنّ كرسيّ مُلْكها ... حُــبي منك صدرًا ضاق عن همّه الصدرُ
وأنك، نور الدين، مذْ زرتَ أرضها ... سمتْ بك حتى انحط عن نسرها[3] النسر[4]

وبعد فتح دمشق حدثت معارك كثيرة بين نور الدين والفرنج، كان أهمها انتصاره عليهم في الملاحة قرب طبرية عام (٥٥٢هـ) انتصارًا عظيمًا بيّنًا، خلّف كثيرًا من الغنائم والأسرى والقتلى، امتلأت بهم طرقات دمشق في يوم مشهود، وقد وصف ذلك أحد الشعراء بقوله[5]:

مــا رأيــنا فــيما تقــدّم يومًا ... كــاملَ الحســن غايةً في البهاءِ
مثــلَ يوم الفــرنج حيــنَ علَتْهمْ ... ذلــةُ الأســرِ والــبلا والفــناءِ

وأما مصر فلقد كانت فتح فتوحات نور الدين، وتمّ له ذلك بعدما كثُرت فيها الاضطرابات، واستعان به كبار رجالاتها، مثل شاور بن مجير وزير العاضد لدين الله آخر حكامها الفاطميين الذي أتى دمشق مستنجدًا بنور الدين على ضرغام بن سوار بعدما سلبه وزارة مصر، فأنجده نور الدين

(١) البداية والنهاية (٢٤٩/١٢).

(٢) خريدة القصر، قسم شعراء الشام (١٥٧/١) وما بعدها.

(٣) نسر دمشق: اسم يطلقه أهلها على القبة الرصاصية العظمى للجامع الأموي وما حولها من قباب (دمشق في عصر المماليك، نقولا زيادة ٧٨).

(٤) النّسر: مجموعة من النجوم، أو الطائر المعروف.

(٥) تاريخ دمشق (٥٢٤).

بجيش كان قائده أسد الدين شيركوه[١]، عام (٥٥٨هـ)، استطاع أن يستعيد له الوزارة، ويرتب له أمور مصر وأحوالها[٢]. ولكن شاور غدر بنور الدين واستعان بالفرنج، فأرسل نور الدين شيركوه ثانية إلى مصر عام (٥٦٢هـ)[٣]، خوفًا من سقوطها بيد الفرنج الذين استعان بهم شاور، ولكن شيركوه عاد إلى الشام بعدما اتفق مع الفرنجة على أن يعودوا عنها أيضًا[٤]. وفي عام (٥٦٤هـ) استجاب نور الدين لاستنجاد العاضد الفاطمي[٥]، حاكم مصر بعدما أرسل إليه شعور نسائه مستغيثًا، فأغاثه بأن أرسل شيركوه ثالثة إلى مصر، فدخلها، وانتصر على الفرنج، وقتل شاور، وتولى الوزارة بدلاً منه، ولكنه ما لبث أن توفي بعد مدّةٍ قصيرة فتولاها بعده صلاح الدين[٦] ابن أخيه[٧]. ولقد هنأ الشعراء نور الدين على فتح مصر، منهم الحافظ ابن عساكر (٤٩٩-٥٧١هـ/ ١١٠٥-١١٧٦م)، الذي حرَّضه على فتح القدس ومتابعة الجهاد، قال[٨]:

---

(١) عمّ صلاح الدين الأيوبي، من أعظم قادة نور الدين محمود، تَسَلّم وزارة مصر شهرين تقريبًا، ثم توفي عام ٥٦٤هـ، فَتَسلّمها بعده صلاح الدين. (وفيات الأعيان ٢/ ٤٧٩).

(٢) النوادر السلطانية (٢٩).

(٣) النجوم الزاهرة (٥/ ٣٧٣).

(٤) النوادر السلطانيية (٣٠).

(٥) عبد الله بن يوسف، آخر الحكام الفاطميين في مصر، توفي عام ٥٦٧هـ (وفيات الأعيان ٣/ ١٠٩).

(٦) أي صلاح الدين الأيوبي (٥٣٢-٥٨٩هـ) محرر القدس وبطل الحروب الصليبية الأشهر (انظر كتاب النوادر السلطانية أو سيرة صلاح الدين لابن شداد).

(٧) المصدر نفسه (٣٢- ٣٣).

(٨) خريدة القصر، قسم شعراء الشام (١/ ٢٧٧).

وطهِّـــرِ المسجد الأقصى وحوزتَهُ		من النجاسات والإشراك والصلبِ

ومنهم العماد الكاتب، الذي مدحه بأنه مالك الأمم، وبشَّره بنصر الله، وأشاد بعدله الذي أسس عليه ملكه، وبفعله للخير وبعزمه ونجدته لمصر، وهيبته التي أخافت الأعداء، كما حرَّضه على متابعة الجهاد وتطهير القدس بعدما وحّد مصر والشام، قال [١]:

بمـــلك مصـــر أُهنِّي مالكَ الأممِ		فاســعدْ وأبشرْ بنصر الله عن أَمَمِ

أضـــحى بعدلِكَ شَمْلُ المُلْكِ ملتئمًا		وهـــل بعدلِـــكَ شيءٌ غيرُ ملتئم

اغْـــزُ الفـــرنج فهذا وقت غزوهم		واحْطِـــمْ جموعهمُ بالذابل الحَطِم

وطهّرِ القدس من رجس الصليب وثبْ		على البغاث وثُوبَ الأجدل القطم

فملك مصر وملك الشام قد نُظما		في عقـــد عـــزٍّ من الإسلام منتظم

ومثلما رأينا الشعر في انتصارات نور الدين كلها، نراه معه في خسارته مع أعدائه، وكانت نادرة جدًا، استطاع أن يحولها إلى انتصارات بفضل شجاعته وحكمته. ففي عام ٥٥٨هـ دخل نور الدين في الأراضي التي احتلها الفرنج لينازل طرابلس. فبينما هو وجنده في خيامهم وسط النهار قرب حمص، فاجأهم الفرنج على حين غرة، فانهزم جند نور الدين بعدما قُتل منهم من قُتل، وأُسر منهم من أُسر. وتراجع نور الدين إلى ظاهر حمص، فأحضر منها ما فيها من الخيام، ونصبها على بحيرة (قدس)[٢]، التي تبعد عن مكان الواقعة أربعة فراسخ فقط، وظن الناس أنه لن يقف دون حلب، ولكنه

---

(١) الروضتين (٢/ ٤٤٣-٤٤٥).

(٢) هي بحيرة قطينة الواقعة قرب حمص.

كان أشجع من ذلك وأقوى عزمًا، فقال: (والله لا أستظل بجدار حتى آخذ بثأر الإسلام وثأري)، وأرسل إلى حلب ودمشق، وأحضر الأموال والدواب والأسلحة والخيام، وغيرها. فلما رأى الفرنج منه ذلك طلبوا الهدنة، فلم يجبهم إلى ذلك. فقال ابن الدهان الموصلي (٥٢٢-٥٨١هـ/ ١١٢٨-١١٨٥م)، المهذَّب عبد الله بن أسعد نزيل حمص قصيدة، يصف ذلك ويمدحه، ويفنِّد انتصار الفرنج بالخداع والمفاجأة، ويقلل من شأنه وقيمته، ويقارنه بيوم حنين الذي بدأ خسارة وانتهى نصرًا للرسول، ولمن ثبت معه من المؤمنين. كل ذلك ليرفع الروح المعنوية لدى نور الدين وجيشه، ثم هدَّد الفرنج وتوعدهم بنور الدين الذي وقف متحديًا الفرنج بعد هزيمة جيشه قربهم، فكان وحده جيشًا عرمرمًا ثابتًا بطلاً تخرُّ له الليوث سجَّدًا، ثم ذكَّر جيش نور الدين بأن ثبات قائدهم هو الذي أنقذهم من القتل والأسر، وسأل الله له العون والنصر، فقال[١]:

ومـــا يعيبك ما نالوه مِنْ سلَبِ	بالخـــتل، قد تُؤسر الآسادُ بالحيلِ
هل آخذُ الخيل قد أردى فوارسها	مثالُ آخذِها في الشكلِ[٢] والطِّوَلِ[٣]
أم ســـالب الرمح مركوزًا، كسالبه	والحـــرب دائرة من كفِّ معتقِلِ
لهـــم بيـــوم حـــنين أسوةٌ وهمُ	خَيرُ الأنـــامِ وفيهم خاتمُ الرُّسلِ
كم قد تجلت بنور الدين من ظُلَمٍ	للظُّلمِ وانجابَ للإضلال من ظللِ

(١) خريدة القصر، قسم شعراء الشام (٢/ ٢٨٩) وما بعدها.

(٢) الشكل: قيد تشدُّ به قوائم الخيل.

(٣) الطِّول: حبل طويل تُربط به الخيل يمكِّنها من الرعي.

فقــام فــردًا وقد ولّت جحافله   فكان مِن نفسه في جحفل زجِلِ[١]

تذكّرنا قصيدة ابن الدهان هذه في اعتذاره عن نور الدين ومدحه بعينية المتنبي التي اعتذر بها عن سيف الدولة في الوقعة التي نُكب فيها المسلمون بالقرب من الحدث[٢]، ومطلعها[٣]:

غيري بأكــثر هذا الناس ينخدع   إن قاتلوا جبنوا أو حدثوا شجعوا

وكذلك تحدَّث الشعر أيضًا عن صلحه مع أعدائه، عندما كان يلجأ إليه لمصلحة المسلمين، مثلما فعل مع رجالات دمشق عام (٥٤٥هـ)، وصوَّر ذلك القيسراني خير تصوير، إذ شبهه بالسيف حدًا وصفحًا، وبأنه قد أسكر الرماح بدماء الأعداء كثيرًا، فحُقَّ لها أن تصحو منها قليلاً، قال[٤]:

لك الله، إن حاربت فالنصر والفتح   وإن شئت صلحًا عُدّ من حزمك الصلحُ

وذكر الشعر أيضًا لنور الدين جهادًا من نوع خاص، يعرفه التصوف الذي كان آنذاك منتشرًا بكثرة، وهو جهاد النفس الذي يُعد أصعب أنواع الجهاد، حتى وُصف بالجهاد الأكبر، وهو مقدمة لابد منها لجهاد العدو، وهو الجهاد الأصغر، ونجد ذلك في قول القيسراني الذي وصفه بأنه ذو الجهادين، ورسم له صورة الكمال الجامع للعدل وسلوك المحجة البيضاء وحسن السيرة والجود والصلاح والشجاعة والولاية والسمو والطهر وحسن الخلق، والرأفة مع الشهامة، والعفاف مع الاقتدار، والسطوة مع الحياء،

(١) له جلبة وضجيج لكثرة جنده.

(٢) قلعة حصينة على جبل الأحيدب بين ملطية وسُمَيساط. (معجم البلدان ٢/٢٢٧).

(٣) ديوان المتنبي (٢/٢٢١).

(٤) الروضتين (١/ ١٨٠).

والجمال مع الجلال، والكمال مع البهاء[١]:

ذو الجهادين من عدو ونفس فهو طول الحياة في هيجاءِ

أيها الملك الذي ألزم النا س سلوك المحجة البيضاءِ

كما وصف أيضًا ابن قسيم الحموي المسلم بن خضر (..-٥٤١هـ/... - ١١٤٦م) شجاعته ولينه، وسطوته وسكونه، وصفاء جهاده وسمو إيمانه، وملكه للناس ووفاءه، وشرفه وظفره وتأييد الله له، وإعزازه للدين وإهانته للشرك، فقال[٢]:

تبدو الشجاعةُ من طلاقة وجهه كالرمح دلَّ على القساوة لينُهُ

ووراء يقظته أناةُ مجرِّب لله سطوة بأسه وسكونه

هذا الذي في الله صَحَّ جهادُهُ هذا الذي بالله صح يقينه

وتحدَّث القيسراني عن زهده وعفته، فقال[٣]:

ثنى يده عن الدنيا عفافا ومال بها عن الأموال زهدُ

وحاول العماد الكاتب أن يحيط بشمائله وفضائله أيضًا، فرسم له صورة كاملة، بدأها بالدعاء له أن يدرك ما يشتهيه، وينال كل أمانيه سالمًا مكرّمًا، يطوف في فلك الهدى متفوقًا على العالمين، وتحدَّث عن عدله الذي جعل الأُسود ترعى مع المها، فلا تعتدي عليها، وعن أيامه الحميدة وملكه وكرمه وهداه وشجاعته وصواب آرائه وحصافته وحصانته وطهره وعبادته وتصوفه، وإخلاصه لله، كما فضَّله على جميع الملوك بجده وزهده وحبه

(١) الروضتين (١/٤٥ -٤٦).

(٢) خريدة القصر، قسم شعراء الشام (١/ ٤٧٤- ٤٧٥).

(٣) الروضتين (١/ ٨٤).

للخير وحسن سياسته للرعية والتزام أوامر الله ونواهيه فيهم، وبرحمة صغيرهم، والرأفة لكبيرهم، فلم ييئس منهم فيه أحد، ولم يحرم سائلاً منهم، فأتعب نفسه في الدنيا، حتى ينال راحة آخرته، وبذلك فاق الملوك سماحة وحماسة ونزاهة عن العيوب وحلمًا. إنها صورة شعرية مثالية، لولا أن المؤرخين صدقوها، لقلنا: إنها خيال شاعر، قال العماد[١]:

أدركتَ من أمر الزمان المُشتَهى ... وبلغت من نيل الأماني المنتهى

وبقيت في كنف السلامة آمنًا ... متكرّمًا بالطبع لا متكرّهًا

لازلت نور الدين في فلك الهدى ... ذا عزة للعاملين بها البها

وأما سيرة نور الدين، فهي سيرة عطرة، أحيت ذِكر العُمَرَيْنِ عدلاً وشهامة وإخلاصًا وجودًا وذكرًا، قال القيسراني[٢]:

يا سائلي عن نهج سيرته ... هل غير مفرق هامه الفجر

يا نورَ دينِ الله وابنَ عمادهِ ... والكوثَرَ ابنَ الكوثرِ ابنِ الكوثرِ

سار نور الدين حتى وصل إلى ما وصل إليه سموًا، وكمالاً على خُطا والده الذي استطاع أن يحقق أول نصر حقيقي على الفرنج، بعدما طردهم من الرها، وقضى على إمارتهم فيها. لذلك ذكره الشعراء كثيرًا في أثناء مدحهم لنور الدين وألحوا في ذلك، مثل ابن منير[٣] :

وهذه العظمة والانتصارات ذكّرت ابن منير بعظماء خلفاء المسلمين فقال[٤]:

---

(١) الروضتين (١/ ٣٨١- ٣٨٢)، وانظر خريدة القصر، قسم بداية شعراء الشام (٤٥).

(٢) الروضتين (١/٤٦).

(٣) الروضتين (١/١٩٦).

(٤) الروضتين (١/١٢٧).

وَعلى العواصمِ من دفاعك عاصم ينشي الرشيد وينشر المنصورا[١]

وجعلت القيسراني يتفاءل باسترجاع القدس، لأنه عدّها إرهاصات لذلك، قال[٢]:

فـإن يـكُ فـتحُ الـرُّها لجـة فسـاحلها القـدس والسـاحل

كما دعا له ابن منير بطول البقاء، حتى يتم استرجاع القدس قائلاً[٣]:

أبقـاك لـلدنيا ولـلدين معًـا خـلاّك في ليـلهما نيّرا

حـتى نـرى عيسى من القدس قد لجـا إلى سـيفك مستنصـرًا

وصوّر القيسراني محبة الناس الصادقة له، وكيف يفدونه بآبائهم وأمهاتهم في قوله[٤]:

ولعمـري لو استطاعَ فَداك الـ ـقـوم بالأمهـات والآبـاء

كل ذلك جعل نور الدين منبع وحي للشعراء تفيض منه معانيهم، وتتفاءل به أشعارهم، قال القيسراني[٥]:

هذا الذي وُلـدت لـه الأفكار وتمخضـت فـألاً بـه الأشعار

وجـرت له خيل النهى في حلبة وردت وصفو ضميرها المضمار

وأتـت بـه نـذر القوافي برهة إن القـوافي وحيهـا إنـذار

(١) هارون الرشيد وأبو جعفر المنصور من أشهر الخلفاء العباسيين وأعظمهم (فوات الوفيات ٤/ ٢٢٥، ٢/ ٢١٦).

(٢) الروضتين (١/ ١٢٧).

(٣) المصدر نفسه (١/ ١٤٨-١٤٩).

(٤) المصدر نفسه (١/٤٦).

(٥) المصدر نفسه (١/١٧٤).

وكان نور الدين بهذه الخلال الملائكية أسوة حسنة لجنده، تشبهوا به، كما قال القيسراني[١]:

ملك أشبه الملائك فضلاً   وشبيهٌ بمالك الأمرِ جُندُهْ

وقد عُني بهم عناية كبيرة، فبلغوا الغاية إيمانًا وكثرة وقوة وعدة، إذا ساروا ملأ الغبار السماء، فتختفي كواكبها، لتظهر كواكب أخرى من سيوف الجند وأسنة رماحه، قال القيسراني[٢]:

في عسكر يخفي كواكبَ ليله   نقعًا، فيطلعها القنا الخطارُ
جرار أذيال العجاج وراءه   وأمامه، بل جحفل جرارُ

أما الشعب فقد سرى زهد نور الدين إليه، فغدا زاهدًا، لا يفعل إلا الخير، قال أسامة بن منقذ[٣]:

سلطاننا زاهد والناس قد زهدوا   له فكلٌّ على الخيرات منكمشُ

كما رضي الناس عن عيشهم الحميد وحمدوه، قال القيسراني[٤]:

وكيف لا نثني على عيشنا الـ   محمود والسلطان محمودُ

كان لنور الدين ومناقبه الجليلة الكثيرة فضل كبير على جميع المدن والبلاد، ولكن فضلها على حلب عاصمته الأولى أعظم وأكبر، حتى غدت وكأنها البيت الحرام حرمة، قال ابن منير[٥]:

---

(١) الروضتين (١/٤٨).

(٢) المصدر نفسه (١/١٧٤- ١٧٥).

(٣) النجوم الزاهرة (٦/١٠٧)، وخريدة القصر، قسم شعراء الشام (١/ ٥١٦).

(٤) النجوم الزاهرة (٥/٢٨١).

(٥) الروضتين (١/ ١٤٨).

مــا حــلبُ البيضاءُ مذْ صُنْتَها إلا حــرامٌ مــثلُ أم القــرى

شــيَّدْتَ في معمــور أرجائهــا لكــل بــاغي عمــرةٍ مشــعرا

فأصــبح الشادي إذا ثوَّب الــ ـــداعــي له هــلل أو كــبَّرا

رصد الشعر أيضًا علاقات نور الدين مع الخلافة العباسية في بغداد التي كان يستظل بها، ويدافع عنها بإخلاص وشجاعة واستماتة، وهذا ما جعل الخليفة العباسي المستضيء بالله راضيًا عنه، يرسل إليه الهدايا والخُلَع شُكرًا لانتصاراته على الفرنجة وتوحيده للبلاد، وقد هنأه على واحدة من تلك الهدايا ابن منير بقصيدة طويلة، منها[1] :

وبرزتَ في لُبْس الخلافة كالهلا ل جلاه في حُلَلِ الدجى التهليلُ

كما طلب نور الدين من العماد أن ينظم قصيدة على لسانه، ليرسلها إلى الخليفة العباسي في بغداد عام ٥٦٩هـ، فضلاً عن رسائله النثرية المتكررة إليه، ليبشره فيها بما حققه من انتصارات للخلافة العباسية، ومن هذه القصيدة أبيات تؤكد ولاءه للخليفة وتبعيته له، وهي[2]:

قــد نال عبدك محمود بها ظفرًا مــازال يرقــبه من قبل مرتبصا

مــن خوف سطوته أن العدو إذا أمَّ الــثغور عــلى أعقابه نكصا

كما ذكر العماد أيضًا في قصيدة أخرى له مرسلة إلى بغداد عودة مصر إلى الخلافة العباسية، ووصف ذلك بأنه فتحٌ بكر مميز، خصَّ الله به نور الدين، ومدح الخليفة بأنه نائب الرسول وإمام العصر، لا ينازعه في ذلك

---

(١) الروضتين (١/ ٢١١– ٢١٢).

(٢) المصدر نفسه (٢/ ٥٥٦).

منازع، ومدح نور الدين الذي استنار الملك به[١]:

قد خطبنا للمستضيء بمصر نائب المصطفى إمام العصرِ

هو فتحٌ بِكرٌ ودون البرايا خصَّنا الله بافتراع البكر

واستنارت عزائم الملك العا دل نور الدين الهمام الأغر

ومن البديهي أيضًا أن يكون للشعر دوره أيضًا في علاقة نور الدين مع الفاطميين، فهذا الوزير الفاطمي طلائع بن رزّيك (٤٩٥-٥٥٦هـ/١١٠٢-١١٦١م)، يرسل مجموعة من القصائد بوساطة صديقه أسامة بن منقذ (٤٨٨-٥٨٤هـ/ ١٠٥٩-١١٨٨م)، إلى نور الدين، لييسر إيجاد نوع من التحالف بين مصر الفاطمية والشام العباسية على الفرنج. لذلك نستطيع أن نعدَّ هذه القصائد وأمثالها وثائق تاريخية إضافةً إلى قيمتها الأدبية، ومنها قصيدة ميمية[٢] طويلة، استحث فيها ابن رزيك نور الدين على متابعة جهاد الفرنجة، أولها[٣]:

ألا هكذا في الله تمضي العزائمُ وتُنضى لدى الحرب السيوف الصوارمُ

تجهز إلى أرض العدو ولا تهن وتظهر فتورًا إن مضت منك حازم

ومن رسائل ابن رزيك إلى أسامة بن منقذ هذه الأبيات التي تعدِّد بعض مناقب نور الدين[٤]:

---

(١) النجوم الزاهرة (٥/ ٣٥٦).

(٢) تذكرنا بميمية المتنبي، ومطلعها:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم

(٣) الروضتين (١/ ٢٨٩).

(٤) الروضتين (١/٢٩١).

والمسـم بـنور الديـن واعـ ـلمه بها تيـك القضـيهْ

فهـو الـذي مـازال تُخـ ـلَص منـه أفعـالٌ ونيّـه

ويـبيد جمـع الكفـر بـالـ ـبيض الـرقاق المشـرفيه

فعسـاه يـنهض نهضـة يفـني بها تـلك الـبقيه

وأجاب أسامة بن منقذ على رسائل ابن رزيك الشعرية بمثيلاتها، أشاد فيها بنور الدين وبسجاياه، ونصحه فيها بالتحالف معه لأنه حامي بلاد الشام من الفرنجة، قال[1]:

واشـدد يديـك بـود نـو ر الديـن والـق بـه الـرجالا

فهـو المحـامي عـن بـلا د الشـام جمعًـا أن تـذالا[2]

ومـبيد أمـلاك الفـرنـ ـج وجمعهـم حـالاً فحالا

مـلك يـتيه الدهـر والدنـ ـيـا بدولـته اخـتيالا

جمـع الخـلال الصـالحا ت فـلم يـدع مـنها خلالا

لم يترك الشعر نور الدين في حياته الخاصة، كما لازمه في حياته الرسمية العامة، فنجده يهنئه في كل المناسبات السعيدة، مثل شفائه من مرض ألمَّ به عام (٥٥٢هـ)[3]. وولادة ابن له[4]، وختانه في العيد[5]، وشهر رمضان[6].

(١) الروضتين (١/٢٩٤).

(٢) تُذال: تُهان.

(٣) تاريخ دمشق (٥٣٥).

(٤) الروضتين (١/٢٢١).

(٥) خريدة القصر، بداية قسم شعراء الشام (٦٥- ٦٦).

(٦) الروضتين (١/١٤٧-١٤٨).

ومن الطبيعي أيضًا أن يشارك الشعر في المناسبات الحزينة، فنجده يعزي نور الدين في وفاة أخيه الأكبر سيف الدين غازي صاحب الموصل عام (٥٤٤هـ)، ويعدد سجايا الفقيد، ويمدحه، ويفدّيه، ويدعو له بالبقاء، ويمدحه، ويمدح أسرته جميعها، قال ابن منير[1]:

بقيت معزىً من الهالكين ... تُوقّى الردى وتوفّى الأجورا
ولو أنصف الدهر موتاكم ... لخطّ لهم في السماء قبورا

وهكذا اغتنم الشعر جميع المناسبات السعيدة والحزينة، الرسمية والخاصة، ليعبر عن وجوده ودوره في الحياة آنذاك، وهو دور حيوي وضروري جدًا .

كان نور الدين محمود حاضرًا وبقوة ووضوح في الشعر الذي توجَّه إليه مباشرة، كما كان أيضًا حاضرًا وبوضوح في قصائد بعض الشعراء التي توجهوا بها إلى غيره، مثل القصائد المتبادلة بين ابن رزيك وأسامة بن منقذ، كما مرّ بنا من قبل. وكان نور الدين أيضًا يفيد من الشعر ومزاياه، فيطلب من بعض شعرائه أن ينظم له بعض رسائله شعرًا، مثل القصيدة التي نظمها العماد الكاتب على لسانه، وأرسلها إلى الخليفة العباسي، كما أشرنا إلى ذلك قبل قليل .

وكذلك كان نور الدين أيضًا يجلس للشعراء لينشدوه قصائدهم[2]، ويطلب منهم أحيانًا أن يصفوا بعض حروبه، مثل قوله للعماد الكاتب: كيف تصف ما جرى، أي بينه وبين الفرنج عام ٥٦٨هـ، وكان العماد معه

---

(١) الروضتين (١٦٩/١).

(٢) المصدر نفسه (١/ ١٥٢).

على الخيل، فقال العماد قصيدة طويلة، منها [١]:

عُقِدتْ بنصرك رايةُ الإيمان ... وبدتْ لعصرك آيةُ الإحسانِ

يا غالب الغلْب الملوك وصائد الـ ... ـصيد الليوث، وفارس الفرسان

كم وقعةٍ لك في الفرنج حديثُها ... قد سار في الآفاق والبلدان

وهزمتهم بالرأي قبل لقائهم ... والرأي قبل شجاعة الشجعان[٢]

وفضلاً عما تقدم استنشد نور الدين الشعراء أشعارهم أحيانًا في الحماسة وغيرها من موضوعات الشعر[٣]، وهذا على فهمه للشعر وتذوقه له واستحسانه لجميله وإدراكه لدوره في النفوس آنذاك .

ولم يقف الأمر بين نور الدين والشعر عند هذا الحد، وإنما تجاوزه عندما طلب من العماد الكاتب أن ينظم له وعلى لسانه أبياتًا في الجهاد ليتغنى ويتقوى بها، هو وجنده، ولتثير فيهم الحماسة والهمة. قال العماد: وسألني نور الدين أن أعمل (دوبيتيات) في معنى الجهاد على لسانه فقلت[٤]:

أقسمت سوى الجهاد مالي أرب ... والراحة في سواه عندي تعب

إلا بالجد لا ينال الطلب ... والعيش بلا جدٍّ جهادٍ لعب

وقلت أيضًا[٥] :

لا راحة في العيش سوى أن أغزو ... سيفي طربًا إلى الطلى[١] يهتزُّ

---

(١) خريدة القصر، بداية قسم شعراء الشام (٥٤) وما بعدها.

(٢) صدر بيت للمتنبي، عجزه: هو أول وهي المحل الثاني (ديوان المتنبي ٤/ ١٧٤).

(٣) الروضتين (٢/ ٥٤٣).

(٤) خريدة القصر، بداية قسم شعراء الشام (٤٢).

(٥) المصدر السابق (٤٢– ٤٣).

في ذُلِّ ذوي الكفر يكون العزُّ   والقدرة في غير جهاد عجزُ

وأخيرًا كان الشعر مع نور الدين في موته عام (٥٦٩هـ) بدمشق، كما كان معه في حيواته التي امتدت ثمانية وخمسين عامًا، قضاها في جهاد الفرنجة وتحرير البلاد من استعمارهم وتوحيدها، فبكاه الشعر بصدق، كما بكته قلوب الناس وعيونهم بصدق أيضًا، ومن الشعراء الذين رثوه العماد الكاتب. ومما قاله في ذلك[٢].

عجبت من الموت لما أتى   إلى ملك في سجايا مَلَكْ

وكيف ثوى الفلك المستديـ   ـر في الأرض والأرض وسْط الفلك

واللافت للنظر أن الشعر الذي قيل في رثائه لا يتناسب مع جلال الحدث، ولا يمكن أن يُقارن بالشعر الذي قيل في أثناء حياته مدحًا وتهنئة وحماسة وغير ذلك، من حيث الجودة والكثرة، والمضمون والشكل. ونستطيع أن نعلّل ضعفه وقلته إلى أمور عدة، لعل أهمها حالة البلبلة التي سببتها وفاته، وعدم وجود وريث قوي كبير، يَحِلُّ محله، ويملأ الفراغ الذي خلّفه رحيله إلى جوار ربه، ويَتَصَدَّر مجلس العزاء ليسمع المراثي، وذلك لأن الشاعر بحاجة ماسة إلى المستمع الجيد حتى يقول الشعر الجيد بعامة. ومع ذلك يبقى هذا تعليلاً لا تبريرًا.

إن ما تقدم من شعر في نور الدين محمود، يدل على حفاوة شديدة منه بالشعر، لإدراكه قيمة الشعر آنذاك ودوره الإعلامي الهام في الصديق قبل العدو ذلك العصر، وهذه الحفاوة جعلته حاضرًا فيه هذا الحضور المتميز على

(١) الطّلى: ج طلاة: العنق أو صفحته.

(٢) البداية والنهاية (١٢/ ٣٠٤).

الرغم مما وصف به من قلة ابتهاجه بالمدح، كما مرّ من قبل. ولقد قال هذا الشعر أكبر شعراء عصره .

واستطاع هؤلاء الشعراء أن يسايروا بأشعارهم أحداث العصر بدقة وأمانة على كثرها وتتابعها، وبذلك اتسمت إلى جانب قيمتها الأدبية بالواقعية، وصارت وثيقة تاريخية، زادت كتابات المؤرخين غنى وثراء، كما استطاعوا أن يقوموا بواجبهم خير قيام، لأنهم جعلوا شعرهم ملتزمًا قضايا الأمة المصيرية معبِّرًا عن آلامها وآمالها، يؤدي دوره الإعلامي في التحريض وإثارة الروح المعنوية والتذكير بأعلام التاريخ العربي العظام وربط الناس بهم، وفي الحث على الجهاد والسير الحثيث لتوحيد البلاد وحشد طاقاتها لطرد الفرنجة منها، ومن القدس والأقصى اللذين كانا دائمًا حاضرين في قلب نور الدين وجنده وشعبه، يذكرهم بها المنبر الذي أمر نور الدين أكبر النجارين في زمنه (الأختيريني) بصنعه، لينقله إلى المسجد الأقصى عند تحريره. وتميَّز الشعر أيضًا بالعاطفة الصادقة الوهاجة التي كان لها تأثيرها في ساح الجهاد، ونشير هنا إلى أناشيد الجهاد التي طلب نور الدين من العماد أن ينظمها على لسانه – كما مر من قبل – وكانت ظاهرة جديدة في الأدب العربي لها دلالاتها. لذلك كان أسلوب الشعر يميل حينًا إلى اللهجة الخطابية الجزلة، وحينًا إلى السهولة والبساطة، كما استحضر في كثير من الأحيان معاني كبار شعراء العربية مثل أبي تمام والمتنبي وصورَهم وتراكيبَهم.

استطاع هذا الشعر أن يرسم صورة واضحة مشرقة لنور الدين، لتكون مثالاً يحتذى لما ينبغي أن يكون عليه القائد والحاكم، ولاشك في أن صلاح

الدين الأيوبي نجح في الإفادة منه والوصول إليه، وأن يكمل البناء الذي بدأه سلفه نور الدين.

ومع ذلك كله هل استطاع هذا الشعر أن يؤدي حق نور الدين الكامل كما أدَّاه في سيف الدولة ؟ إنه لم يستطع، وأنّى له أن يسمو إلى القمة التي وصل إليها نور الدين. ويكفينا حتى ندرك سمو تلك القمة التي وصل إليها أن نذكر ما فعله قبيل انتصاره في معركة حارم، إنه ترجَّل من على حصانه، وسجد لله ومرَّغ وجهه بالتراب، وتضرع داعيًا: اللهم انصر دينك، ولا تنصر محمودًا، من هو الكلب محمود حتى تنصره[1] ، يقصد نفسه. إنه كان بحاجة إلى شاعر عملاق، مثل أبي تمام أو البحتري أو المتنبي ليوفّيه حقه. ولكن يكفي هذا الشعر الذي قيل فيه شرفًا وفخرًا أنه حاول ذلك، وبذل جهده كله، ونجح في كثير من الأحيان أن يقترب من قمة عصره الأدبية وقيمه الفنية كما نجح سلفه من الوصول إلى قمة عصره الفنية السامية، وإن كان ثَمَّةَ فرق بين القمتين.

---

(١) أعلام النبلاء (٢/ ٤٣).

المصادر والمراجع

١- أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، محمد راغب الطباخ، دار القلم العربي، حلب ١٩٨٨م.

٢- البداية والنهاية، الحافظ ابن كثير، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٥م.

٣- تاريخ دمشق، ابن القلانسي، أبو يعلى، ت. سهيل زكار، دار حسان، دمشق ١٩٨٣م.

٤- خريدة القصر وجريدة العصر، عماد الدين الأصفهاني الكاتب، قسم شعراء الشام، ت: شكري فيصل، مجمع اللغة العربية دمشق ١٩٥٥- ١٩٥٩- ١٩٦٨، قسم شعراء مصر، ت: أمين وضيف وعباس، لجنة التأليف والنشر القاهرة ١٩٥١م.

٥- ديوان المتنبي، شرح العكبري، دار المعرفة، بيروت، بلا تاريخ .

٦- الروضتين في أخبار الدولتين ، أبو شامة، ت: محمد حلمي محمد أحمد، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٦- ١٩٦٢م.

٧- زبدة الحلب من تاريخ حلب، ابن العديم، ت: سهيل زكار، دمشق، دار الكاتب العربي ١٩٩٧م.

٨- سيرة صلاح الدين، ابن شداد، القاهرة، شركة طبع الكتب العربية ١٣١٧هـ.

٩- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ابن تغري بردي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة ١٩٦٣م.

١٠- هداية الباري إلى ترتيب صحيح البخاري، السيد عبد الرحيم عنبر الطهطاوي، دار الرائد العربي، بيروت ١٩٧٠م.

١١- وفيات الأعيان، ابن خلكان، ت. إحسان عباس، بيروت، دار صادر ١٩٧٧م.

أبنية المصادر بين الوضع والاستعمال

أ. محمود الحسن

في هذا المقال سيظهر أن أبنية المصادر قد وُضعت في الأصل للدلالة على الحدث مجرَّدًا من الزمن. ولكنها قد تتجاوز دلالتها الوضعية المعروفة،عند استعمالها في التراكيب، إذ تُستعمل حينًا بمعنى المشتقات، وطورًا بمعنى أسماء الذوات، كما يمكن أن تتضمن معاني فرعية كالتأنيث والتثنية والجمع، مع أن حقّها أن تكون مفردة، دالّة على تَذكير جنس الحدث الذي تَتضَمّنه، أو مؤنثة تأنيثًا لفظيًّا غير حقيقي.

ولتوضيح جوانب هذه المسألة لا بدَّ من الحديث أولاً عن أنواع المصادر، ومعانيها الوضعية، دون الخوض في طرق صياغتها، لأنها مبسوطة في كتب الصرف، ثم الانتقال بعد ذلك إلى الحديث عن المعاني الصرفية، التي تدلُّ عليها المصادر، عندما تُستَعمَل في النصوص.

أبنية المصادر ومعانيها الوضعية:

المصدر: اسم موضوع في الأصل للدلالة على الحدث، من غير نظر إلى ما يحتاجه الحدث عادة من زمان ومكان، ومتعلقات أخــرى. فهو اسم يدل على ماهية الحدث ويُدرَك بالذهن[1]. نحو العَدل والإحسان والإيتاء والقُربى، في قوله تعالى: ﴿إنَّ اللّهَ يأمُرُ بالعَدلِ والإحسانِ وإيتاءِ ذي القُربَى﴾[2]، ونحو الشِّرك والسِّحر والقَتل والأكل والزَّحف والتَّولّي والقَذف في الحديث الشريف:

(١) كتاب الكافية في النحو لابن الحاجب (٢: ١٩٢- ١٩٤).

(٢) الآية ٩٠ من سورة النحل.

«اجتَنبُوا السَّبعَ المُوبِقات». قالُوا: يا رَسُولَ الله، ما هُنَّ؟ قالَ: «الشِّركُ باللهِ، والسِّحرُ، وقَتلُ النَّفسِ الَّتي حَرَّمَ اللهُ، إلا بالحَقِّ، وأكلُ الرِّبا، وأكلُ مالِ اليَتيمِ، والتَّولِّي يَومَ الزَّحفِ، وقَذفُ المُحصَناتِ المُؤمِناتِ الغافلاتِ»[١].

وللمصدر أنواع، هي المصدر الأصلي، ومصدر التَّوكيد، ومصدر المرَّة، ومصدر النَّوع، والمصدر الميمي، والمصدر الصِّناعي.

المصدر الأصلي:

هو اسم يدلُّ على الحدث، مجردًا من الزّمن والتّوكيد والعدد والنوع، وليس مبدوءًا بميم زائدة عدا المُفاعَلة، ولا مختومًا بياء مشدَّدة بعدها تاء زائدة[٢] نحو المُلك والتّأويل في قوله تعالى: ﴿رَبِّ قَد آتَيتَني مِنَ المُلكِ، وعَلَّمتَني مِن تأويلِ الأحاديثِ﴾[٣].

مصدر التَّوكيد والمَرّة والنَّوع:

من المصادر أيضًا مصدر التوكيد، وهو: مصدر يُذكَر لتوكيد فعله المَلفُوظ أو المُقدَّر[٤]. نحو: تَكليم في قوله تعالى: ﴿وكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكليمًا﴾[٥].

وأبنية هذا المصدر هي أبنية المصدر الأصلي نفسها. وإنما يأتي هذا في

---

(١) صحيح البخاري ص (١٠١٧) تحت الرقم ٢٦١٥، وفتح الباري (١٢: ٢٢٤).

(٢) تصريف الأسماء والأفعال للدكتور فخر الدين قباوة ص (١٣٢). والمصادر القديمة لم تُسَمِّه مصدرًا أصليًّا. وإنما اكتفى أصحابها بإطلاق كلمة «المصدر» دون تقييد للدلالة عليه. الكتاب لسيبويه (٤: ٥) وأدب الكاتب لابن قتيبة ص(٦٢٣) وشرح شافية ابن الحاجب للأستراباذي (١: ١٥١).

(٣) الآية ١٠١ من سورة يوسف.

(٤) شرح الكافية الشافية لابن مالك ص(٦٥٦) وتصريف الأسماء والأفعال ص (١٤٢).

(٥) الآية ١٦٤ من سورة النساء.

النصوص فَضلة، ويُفيد التّوكيد، و«لا يُقصَد به الجنس»[١].

ومصدر المرّة: اسم مصوغ من المصدر الأصلي، للدلالة على عدد حدوث الفعل[٢] نحو قوله تعالى: ﴿فاجلِدُوهُم ثَمانِينَ جَلدةً﴾[٣] ونحو نَظرة، في قول عنترة: [٤]

عَسَى نَظرةٌ، منكِ، تَحيا بِها حُشاشةُ مَيتِ الجَفا، والبِعادِ

ومصدر النّوع هو: اسم مصوغ من المصدر الأصلي للدلالة على صفة الحدث عند وقوعه[٥]. نحو: «سِيرة» في قوله تعالى: ﴿سَنُعيدُها سيرتَها الأُولَى﴾[٦]، ونحو: «مِيتة» في الحديث الشريف: «مَن خَرَجَ مِنَ الطّاعة، وفارَقَ الجَماعةَ فماتَ، ماتَ مِيتةً جاهلِيّةً»[٧]، ويتميز مصدر النوع، إضافةً إلى دلالته على التوكيد، بدلالته على هيئة الحدث. ولكن هذه الدلالة تبقى مبهمة غير معيَّنة ما لم يوصف هذا المصدر،كما سبق، أو يُضَفْ كما في قول عنترة[٨]:

---

(١) الكليات للكفوي ص (٨١٧).

(٢) الكتاب ٤: ٤٥.

(٣) الآية ٤ من سورة النور.

(٤) شرح ديوانه ص (٥٣). والحُشاشة: بقية الروح. والجَفا: القَطِيعة.

(٥) الكتاب ٤: ٤٤ ، وأوضح المسالك لابن هشام (٢: ٢٦٥).

(٦) الآية ٢١ من سورة طه.

(٧) صحيح مسلم ص (١٤٧٧) تحت الرقم ١٨٤٨ وصحيح مسلم بشرح النووي ص (١٩٤٨).

(٨) شرح ديوانه ص (٦٥).

فسَطا عَلَيَّ الدَّهرُ سطوةَ غادرٍ، والدَّهـرُ يَبخَلُ تارةً، ويجُـودُ

أو يُضَفْ إليه كقولنا: فُلانٌ حَسَنُ الصُّحبة، أو يُؤتَ بفعل يُفيد في تحديد الهيئة نحو قولنا: أحسنِ الجلسةَ عندَ العُلَماء.

ويُلاحَظ أنه يكثر استعمال المصدر الأصلي للثلاثي المجرد، مُضافًا أو مَوصُوفًا، للدلالة على النوع، كما في قوله تعالى: ﴿فأخَذْناهُم أخْذ عَزيز مُقتَدِر﴾[١]، وقوله عزَّ وجَلَّ: ﴿فأخَذْناهُ أخْذًا وَبيلاً﴾[٢] أي: شَديدًا.

المصدر الميمي والصِّناعي:

ومن المصادر **المصدر الميمي**، وهو: اسم يدل على الحدث، وأوله ميم زائدة، وليس من باب «المُفاعَلة»[٣]. نحو: مُدخَل ومُخرَج، في قوله عَزَّ وجَلَّ: ﴿وقلْ: رَبِّ أدخِلني مُدخَلَ صِدقٍ، وأخرِجني مُخرَجَ صِدقٍ﴾[٤]. وهو كالمصدر الأصلي في معناه واستعماله، غيـر أنه أقل استعمالاً منه في النصوص. وهو فيما فوق الثلاثي المجرد أقل منه في الثلاثي المجرد[٥]. نحو قول جرير[٦]:

أَلَـمْ تَعـلَمْ مُسَـرَّحِيَ القَوافي؟ فـلا عِيًّـا بِهِنَّ، ولا اجتلابا

أي: تَسريحي.

والمصدر الصناعي هو: اسم مصنوع من اسم آخر، بزيادة ياء مشدَّدة

---

(١) الآية ٤٢ من سورة القمر.

(٢) الآية ١٦ من سورة المزمل.

(٣) شرح شذور الذهب لابن هشام ص (٤١٠).

(٤) الآية ٨٠ من سورة الإسراء.

(٥) الخصائص لابن جني (١: ٣٦٦).

(٦) ديوان جرير صنعة ابن حبيب ص (٦٥١).

بعدها تاء في آخره، للدلالة على الحَدَث[1]. نحو: أُلوهيّة وفُرُوسيّة وعَبقَريّة وحُرِّيّة ومَسؤُوليّة وقَبْليّة وبَعْديّة.

تلك هي أبنية المصادر ومعانيها، بحسب مراد واضع اللغة. وأنتقل الآن إلى الحديث عن أبنية المصادر التي استُعملت في التراكيب دالّةً على غير معانيها الوضعية.

دلالة المصادر على غير معانيها الوضعية:

مر فيما سبق أن أبنية المصادر قد وضعت في الأصل، للدلالة على الحدث مجرَّدًا من الزمن. وسيظهر في هذه الصفحات أن أبنية المصادر قد استُعملت في التراكيب، للدلالة على معاني المشتقات، وأسماء الذوات، إضافةً إلى استعمالات أخرى.

استعمال المصادر بمعنى المشتقات:

يكثر في اللغة العربية مَجيء المصادر بمعنى المشتقات ، في أسلوب خاصّ يُسمِّيه النُّحاة: الوصف بالمصدر[2]، نحو قوله تعالى: ﴿فاضرِبْ لَهُم فِي

---

(١) شذا العَرف في فن الصرف للحملاوي ص (١٤٥). وهذا المصدر ورد قليلاً في كلام العرب نحو: جاهليّة و عُنجُهيّة ورَهبانيّة، وكثر في كلام العلماء بعد القرن الثاني الهجري، فقالوا: خَشَبيّة و ذَهَبيّة و قابليّة و كَيفيّة و ماهيّة. وهذه الصيغ لم تُعرف بالمصادر الصناعية إلا عند المتأخرين من العلماء، علمًا أن القدماء أدركوا معناها المصدري، وفسروها على أساسه. وقد رأى مجمع اللغة العربية بالقاهرة قياسيّة المصدر الصناعي. فقرر أنه: إذا أُريد صنع مصدر من كلمة يُزاد عليها ياء النسب والتاء. مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المجلد الأول ص(٣٥) لعام ١٩٣٤.

(٢) الكتاب (٢: ١٢٠ و ٣: ٢٣٧) والكامل للمبرد ص (١٥٦) والخصائص لابن جني (٣: ١٨٩ و ٢٥٩).

البَحرِ طَرِيقًا يَبَسًا﴾(١) أي: يابسًا. فاليَبَس: مصدر للفعل يَبِس يَيبَسُ، عُبِّرَ به عن اسم الفاعل. وقال النبي صلّى الله عليه وسلم: «مَن أحدَثَ في أمرِنا هذا ما لَيسَ فِيه فهُوَ رَدٌّ»(٢) أي: مَردُود. فرَدّ: مصدر استُعمل هنا بمعنى اسم المفعول، فعله رُدَّ يُرَدّ. وقال تعالى: ﴿تالله تَفتأُ تَذكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أو تَكُونَ مِنَ الهالكِينَ﴾(٣) أي: حَرِضًا. فالحَرَض: مصدر للفعل حَرِض يَحرَض، إذا هلَك، استُعمل هنا بمعنى الصفة المشبهة. والحالات السابقة يجمعها قول الكميت(٤):

نَعـاءِ جُذامًا، غَيرَ مَوتٍ، ولا قَتلٍ ولكِـنْ فِراقًا، لِلدَّعائمِ، والأَصلِ

أي: غَير مَيِّتِين ولا مَقتُولِين ولكن مُفارِقِين. فالمَوت: مصدر للفعل مات يمُوت، استُعمل هنا وصفًا بمعنى الصّفة المشبّهة. والقَتل: مصدر بمعنى اسم المفعول، فعله قُتِل يُقتَل. والفِراق: مصدر للفعل فارَق يُفارِقُ، عُبِّر به عن اسم الفاعل. وهذه المصادر المفردة دلت هنا على معاني المشتقات مقيَّدة بمعنى الجمع.

ولمجيء المصادر بمعنى المشتقات دلالة خاصـة تتلخص بإرادة المبالغة. فقولنا: «رَجُل عَدْل» يتضَمَّن من المبالغة ما لايتضَمَّنه قولنا: «رَجُل عادِل». وذلك لأننا في العبارة الأولى نَصفُه بجميع الجنس مبالغةً وتوكيدًا، فكأنه استولَى على جنس العَـدْل، ومَلَك ناصِيتَه، وحاز درجاته، وخُلِق منه،

---

(١) الآية ٧٧ من سورة طه والتبيان في إعراب القرآن للعكبري ص (٨٩٨).

(٢) صـحيح البخاري ص (٩٥٩) تحت الرقم ٢٥٥٠ وفتح الباري لابن حجر (٥: ٣٧٠ و ٣٧٢).

(٣) الآية ٨٥ من سورة يوسف والبحر المحيط في التفسير لأبي حيان (٦: ٣٠١).

(٤) الكتاب (١: ٢٧٦). والبيت غير موجود في الديوان.

وجُبل من طِينته، و لم يترك لأحد نصيبًا منه. أما في العبارة الثانية فالمعنى أنه رَجُل يَعدل، والعَدْل صِفة من صفاته. ولا يَخفَى ما بين المَعنَيين من قوة الوصف والمبالغة[1].

ومن أمثلة مجيء المصدر، للتعبير عن اسم الفاعل، قوله تعالى: ﴿ قُلْ: مَن كانَ عَدُوًّا لجبريلَ، فإنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلبكَ بإذن اللهِ، مُصَدِّقًا لما بَينَ يَدَيه، وهُدًى وبُشرَى للمُؤمنينَ ﴾[2] أي هاديًا ومُبَشِّرًا، وقوله: ﴿وما كانَ لمُؤمنٍ أنْ يَقتُلَ مُؤمنًا إلا خَطأً ﴾[3] أي مُخطئًا في قَتلِه مِن غَيرِ عَمْد. فالهُدَى: مصدر هدَى يَهدِي، عُبِّر به عن اسم الفاعل للمبالغة. والبُشرَى: مصدر للفعل بشر يَبشَر، استُعمل بمعنى اسم الفاعل: المُبَشِّر المشتق من مصدر بَشَّر يُبَشِّر، والخَطأ: مصدر خَطِيءَ يَخطأُ، عُبِّر به عن اسم الفاعل: المُخطِئ المشتق من مصدر أخطأ يُخطِئُ للمبالغة.

ومن مجيء المصدر بمعنى اسم الفاعل قوله ﷺ: «مَن صامَ رَمَضانَ، إيمانًا واحتسابًا، غُفِرَ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِن ذَنبِه»[4] أي مُؤمنًا مُحتَسبًا، وقوله: «لا تَكُونُوا عَونَ الشَّيطانِ عَلَى أخيكُم»[5] أي مُعِيني الشَّيطان. فالإيمان: مصدر آمَنَ يُؤمِنُ. والاحتِساب: مصدر احتَسَبَ يَحتَسِب. والعَون: اسم مصدر للفعل أعانَ يُعِينُ. وهذه المصادر عُبِّر بكلٍّ منها عن اسم الفاعل للمبالغة.

---

(١) الخصائص (٢: ٢٠٢- ٢٠٣) و (٣: ٢٥٩- ٢٦٠).

(٢) الآية ٩٧ من سورة البقرة والتبيان في إعراب القرآن ص (٩٧).

(٣) الآية ٩٢ من سورة النساء والتبيان في إعراب القرآن ص (٣٨٠).

(٤) صحيح البخاري ص (٢٢) تحت الرقم ٣٨ وفتح الباري لابن حجر (١: ١٢٥).

(٥) صحيح البخاري ص (٢٤٨٩) وفتح الباري لابن حجر (١٢: ٩٢).

ومن دلالة المصدر على اسم الفاعل قول الخنساء[١]:

تَرتَعُ ما رَتَعَت، حتَّى إذا ادَّكَرَت، فإنَّما هِيَ: إقبالٌ، وإدبار

أي مُقبلة ومُدبِرة، وقال الحارث بن حلِّزة[٢]:

فهَداهُم، بالأسوَدَين، وأمرُ اللهِ بَلغٌ، يَشقَى بِهِ الأشقياءُ

أي بالغ ما يُريد. فالإقبال والإدبار: مصدران للفعلين أقبَلَ يُقبِلُ وأدبَرَ يُدبِرُ. والبَلْغ: مصدر بَلَغَ يَبلُغُ. وقد عُبِّر بكلّ منهما عن اسم الفاعل للمبالغة.

ومن أمثلة مجيء المصدر بمعنى اسم المفعول قوله تعالى: ﴿ فلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾[٣] أي مَدكُوكًا، وقوله تعالى: ﴿قالُوا: أتَتَّخِذُنا هُزُوًا﴾ [٤] أي مَهزُوءًا بنا. فالدَّك: مصدر عُبِّر به عن اسم المفعول للمبالغة، فعله: دُكَّ يُدَكُّ. والهُزُؤ: مصدر عبِّر به عن اسم المفعول للمبالغة، فعله: هُزِئَ يُهزأُ.

ومن مجيء المصدر بمعنى اسم المفعول قوله ﷺ: «إنَّ الدِّينَ يُسرٌ»[٥] أي مُيَسَّر. ومنه حديث جابر: «نَهَى رَسُولُ اللهِ - ﷺ - أنْ يُقتَلَ شَيءٌ مِن الدَّوابِّ صَبرًا»[٦] أي مَصبُورًا: مَحبُوسًا مُوثَقًا حتَّى يَمُوتَ. فاليُسرُ: مصدر يَسُرَ يَيسُرُ، عُبِّر به عن اسم المفعول المشتق من مصدر يُسِّرَ يُيَسَّرُ. والصَّبر:

(١) ديوانها ص (٥٣) والخصائص (٢: ٢٠٣).

(٢) شرح المعلقات العشر ص (٣١٩). والأسوَدان: التمر والماء.

(٣) الآية ١٤٣من سورة الأعراف والتبيان في إعراب القرآن ص(٥٩٤) والبحر المحيط (٥: ١٦٧).

(٤) الآيــة ٦٧ من سورة البقرة والسبعة في القراءات لابن مجاهد ص (١٥٨) والبحر المحيط (١: ٤٠٤).

(٥) صحيح البخاري ص (٢٣) تحت الرقم ٣٩ وفتح الباري (١: ١٢٦).

(٦) صحيح مسلم ص (١٥٥٠) تحت الرقم ١٩٥٩.

مصدر بمعنى اسم المفعول، فعله صَبَرَ يُصبَرُ، إذا حُبِس. والغرض من هذا الاستعمال المبالغة.

ومن دلالة المصدر على اسم المفعول قول الأعشى[١]:

ومَــن لا تَضـيعُ لَـهُ ذِمّـةٌ فيَجعَـلَها، بَعـدَ عَـينٍ، ضِمارا

أي مُضمَرة، وقول جرير: [٢]

جـاءَ الخلافةَ، أو كانَت لَهُ قَدَرًا كَمـا أتَـى رَبَّهُ مُوسَى عَلَى قَدَرِ

أي مُقَدَّرة. فالضِّمار: اسم مصدر للفعل أُضمِرَ يُضمَرُ، عُبِّر به عن اسم المفعول للمبالغة. والقَدَر: مصدر قَدَرَ يَقدِرُ، بمعنى اسم المفعول المشتق من مصدر قُدِّرَ يُقَدَّرُ.

ومن أمثلة مجيء المصدر، للتعبير عن الصفة المُشَبَّهة، قوله تعالى:﴿ومَن أعرَضَ، عَن ذِكري، فإنَّ لَهُ مَعيشةً ضَنكًا﴾[٣]، أي ضَيِّقة، وقوله:﴿ولا تَمشِ في الأرضِ مَرَحًا﴾[٤] أي مَرِحًا، وقوله ﷺ: «مَثَلُ الجَليسِ الصَّالِحِ، والجَليسِ السَّوءِ، كَمَثَلِ صاحِبِ المِسكِ، وكِيرِ الحَدّادِ»[٥] أي الجَليس السَّيِّئ.

فالضَّنْك: مصدر ضَنُكَ يَضنُكُ. والمَرَح: مصدر مَرِحَ يَمرَحُ. والسَّوء: مصدر ساءَ يَسُوءُ. وقد عُبِّر بكلٍّ منها عن الصفة المشَبَّهة للمبالغة.

---

(١) ديوانه ص (١٧٩)، الكامل للمبرد ص (١٢٥١).

(٢) ديوانه ص (٤١٦).

(٣) الآيــة ١٢٤من سورة طه ومجاز القرآن لمعمر بن المثنى (٢: ٣٢) ولسان العرب لابن منظور (ضنك).

(٤) الآية ٣٧ من سورة الإسراء والتبيان في إعراب القرآن ص (٨٢٢).

(٥) صحيح البخاري ص (٧٤١) تحت الرقم ١٩٩٥.

مجيء المصادر بمعنى أسماء الذوات:

يُظهِر الاستقراء أن القليل من أسماء الذوات مُرتَجَل لم يُعثَر له على أصول نُقِل منها، مثل تِين ومِسك، وأن الأغلب من تلك الأسماء يعود إلى أصول مصدرية أو اشتقاقية. وهذه الأصول بعضها ما يزال مستعملاً بحسب معناه الوضعي، كالبَحر الذي يُطلَق على الماء المعروف، كما يستعمل مصدرًا للفعل بَحَرَ يَبحَرُ بمعنى شَقَّ، وبعضها لم يعد يُستعمَل بحسب معناه الوضعي، كالغَرِيزة والطَّبيعة، بمعنى الخُلُق المَغرُوز في قلب الإنسان، والخُلُق الذي طُبِع عليه الإنسان، ذلك أن أصلهما مشتق على صيغة فَعِيل بمعنى مَفعُول[1]، لكنه انتقل للدلالة على اسم الذات، ولم يعد يُستعمَل على بابه الوصفي.

ومن أسماء الذوات ما ظهر في صيغة تخالف صيغة أصله، كالتِّمثال الذي هو اسم ذات منقول من مشتق على صيغة اسم المفعول: المُمَثَّل[2] من مصدر مُثِّلَ يُمَثَّلُ. وهناك بعض أسماء الذوات التي ضاعت أصولها، وخَفِيَت علينا أسباب التَّسمية، لبُعدها في الزمان عنّا، كرفع عَقِيرَتَهُ: بمعنى صَوته، فلو حاولنا أن نجمع بين معنى الصَّوت والعَقِيرة لبَعُد، مع أن أصله أن رجلاً قُطِعَت إحدى رِجلَيه، فرفعها ووضعها على الأخرى، ثم صَرَخَ بأعلى صَوته، فقال الناس: رَفَعَ عَقِيرته[3]. ولا يبعُد أن يكون لامتداد الزَّمان، وخَفاء أسباب التَّسمية، دور كبير في الحكم على بعض أسماء الذوات بأنها مرتجلة.

وهذه الصفحات مخصصة لدراسة أسماء الذوات الدّالة على الجنس، والتي

---

(١) المقاييس في اللغة لابن فارس (طبع) و(غرز).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١١: ٢٠٤) والبحر المحيط (٧: ٤٤٠).

(٣) الخصائص (١: ٦٦).

نُقلت من أصول مصدرية ما تزال مستعمَلة على أبوابها. وشأن مثل هذه الأسماء أن بناء المصدر يُستعمَل بحسب معناه المصدري في سياق ما، ويُستعمل بمعنى اسم الذات في سياق آخر.

ومن أمثلة مجيء المصدر بمعنى اسم الذات قوله تعالى: ﴿أوكَصَيِّبٍ مِنَ السَّماءِ فيهِ ظُلُماتٌ ورَعدٌ وبَرقٌ﴾ [1] الرَّعد: الصَّوت المَسمُوع عند نُزُول المَطر، والبَرق: الضَّوء الذي يَلمَعُ في السَّحاب، وقوله تعالى: ﴿اليَومَ أكمَلتُ لَكُم دينَكُم﴾ [2] أي الفَرائض والأحكام، وقوله:﴿أفتأتُونَ السِّحرَ وأنتُم تُبصِرُونَ﴾، [3] المَقصُود به: ما ظَهَر على يدَي النَّبي – ﷺ – من المُعجزات التي أعظمها القرآن، وفي الحديث: «يُوشِكُ أنْ يَكُونَ خَيرَ مالِ المُسلِمِ غَنَمٌ، يَرعَى بِها شَعَفَ الجِبالِ، ومَواقِعَ القَطرِ، يَفِرُّ بدِينِه مِنَ الفِتَنِ» [4] أي مَواقع المَطر، وفي الحديث أيضًا:«عُرِضَت عَلَيَّ الجَنَّةُ والنّارُ، فلَم أرَ كالخَيرِ والشَّرِّ»، [5] أي: خَيرًا كالخَيرِ الذي رأيتُه، وشَرًّا كالشَّر الذي رأيتُه.

فالرَّعد والبَرق: مصدران للفعلين رَعَدَ يَرعُدُ و بَرَقَ يَبرُقُ، عُبِّر بكلّ منهما عن اسم الذات، لأنه دلّ على شيء يُدرَك بالحَواس. والدِّين: مصدر

---

(١) الآيـــة ١٩ من سورة البقرة والجامع لأحكام القرآن (١: ٢٠٩– ٢١٠) والبحر المحيط (١: ١٣٦– ١٣٧).

(٢) الآية ٣ من سورة المائدة، والكشاف للزمخشري (٢: ١٩٦).

(٣) الآية ٣ من سورة الأنبياء والبحر المحيط (٧: ٤٠٨).

(٤) صـــحيح البخاري ص(١٥) تحت الرقم ١٩ وفتح الباري (١: ٩٥). والشَّعَف: جمع شَعَفة. وهي من كل شيء أعلاه.

(٥) صحيح البخاري ص (٢٠٠) تحت الرقم ٥١٥ وفتح الباري (٢: ٢٩).

دان يَدينُ، عُبِّر به عن اسم الذات، لأنه دلّ على مجموعة التعاليم والشعائر الدينية. والسِّحر: مصدر سَحَرَ يَسحَرُ، عُبِّر به عن اسم الذات، لدلالته على المعجزات المحسوسة. والقَطر: مصدر قَطَرَ يَقطُرُ، عُبِّر به عن اسم الذات، لدلالته على المطر. والخَير والشَّر: مصدران للفعلين خارَ يَخيرُ وشَرَّ يَشُرُّ، عُبِّر بكل منهما عن اسم الذات، لدلالتهما على أشياء تُرى.والغاية من التعبير بالمصدر عن اسم الذات المبالغة.

ويغلب على المصادر، التي يُعبَّر بها عن أسماء الذوات، المرور بالمرحلة الوصفية، حيث يُوصف المصدر بمعنى أحد المشتقات الوصفية، ثم يطلق بعد ذلك على اسم الذات، كقوله تعالى: ﴿كُلَّما دَخَلَ عَلَيها زَكَرِيّا المِحرابَ وَجَدَ عِندَها رِزقًا﴾[١]. قال المفسرون: المقصُود بالرِّزق فاكهة الشِّتاء في الصَّيف، وفاكهة الصيف في الشتاء. والفاكهة اسم جنس يدلُّ على ذات تُدرَك بالحواس، أما الرِّزق فمصدر وهو اسم جنس معنوي. ولا يُمكن الجمع بين المعنوي والمحسوس، خصوصًا إذا كان بينهما بُعد في المادة اللغوية، إلا إذا حُمِل الرِّزق في هذا المثال على معنى اسم المفعول، فيقال: وجَد عندها شيئًا رُزِقت به. فهو إذًا مصدر بمعنى اسم المفعول للمبالغة، عُبِّر به عن اسم الذات لتوكيد المبالغة.

إن هذا التفسير لا ينطبق على الأمثلة التي أوردتُها قَبله. وذلك لأن الرَّعد والبَرق لو حملا على معنى اسم الفاعل: الرّاعِد والبارِق[٢] لأصبح المعنى:

---

(١) الآيـــة ٣٧ من سورة آل عمران والتبيان في إعراب القرآن ص (٨٠٢) والجامع لأحكام القرآن (٤: ٦٧).

(٢) أخذ العكبري بهذا التفسير. ينظر التبيان في إعراب القرآن ص (٣٦).

شَيء يَرعُد وشَيء يَبرُق. وهذا الشيء لا ينطبق على الصَّوت الهائل المَسمُوع، والضَّوء الشَّديد المَرئيّ، بل ينطبق على السَّحاب لأنه هو الذي يَرعُد ويَبرُق. وليس هو المقصود في الآية. ومثل ذلك يُقال في بقية الأمثلة.

ومن مجيء المصدر، بمعنى اسم الفاعل، للتعبير عن اسم الذات، قوله تعالى: ﴿ أو أجِدُ عَلَى النّارِ هُدًى ﴾[١] أي شَخصًا هاديًا، وقوله: ﴿سَمَّاعُونَ لِلكَذِبِ، أكَّالُونَ لِلسُّحتِ﴾[٢] أي: المال الحرام الذي يَسحَت البرَكة بمعنى يُهلِكُها، وقول النبي ﷺ:«مَن تَرَكَ دَينًا، أو ضَياعًا، فليأتِني»[٣] أي: يَتامَى ضائعين، وقول امرئ القيس: [٤]

وليلٍ،كَمَوجِ البَحرِ، أرخَى سُدُولَهُ عَـلَيَّ، بِـأنواعِ الهُمُومِ، لِيَبتَلِي

وقول طرفة[٥]:

نَدامـايَ بِيضٌ، كالنُّجُومِ، وقَينةٌ تَـرُوحُ عَلَينا بَينَ بُردٍ، ومَجسَدِ

فالهُدَى: مصدر هَدَى يَهدِي بمعنى اسم الفاعل: الهادِي، عُبِّر به عن اسم الذات، لأنه دلّ على شَخص يُدرَك بالحواس. والسُّحت: مصدر سَحَتَ يَسحَتُ بمعنى اسم الفاعل: السّاحِت، عُبِّر به عن اسم الذات، لدلالته على المال الحَرام. والضَّياع: مصدر ضاعَ يَضِيعُ بمعنى اسم الفاعل: الضّائِع، عُبِّر به عن اسم الذات. لأنه دلّ على اليَتامَى.

---

(١) الآية ١٠ من سورة طه والجامع لأحكام القرآن (١١: ٩٣).

(٢) الآية ٤٢ من سورة المائدة، و الكشاف (٢: ٢٣٥ و ٢٣٧) والبحر المحيط (٤: ٢٥).

(٣) البخاري ص(٨٤٥) تحت الرقم ٢٢٦٩ وفتح الباري (٥: ٧٧).

(٤) شرح المعلقات العشر ص (٦٠).

(٥) المصدر نفسه ص (١٠٦).

والمَوج: مصدر ماجَ يَمُوجُ بمعنى اسم الفاعل: المائج، لأنه ماء يَمُوجُ ويَضطَرِب، عُبِّر به عن اسم الذات. والبَحر: مصدر بَحَرَ يَبحَرُ، بمعنى اسم الفاعل: المُستَبحِر المشتق من مصدر استَبحَرَ يَستَبحِرُ، أي انبَسَطَ واتَّسَعَ، عُبِّر به عن اسم الذات. والنُّجُوم: جمع نَجْم. وهو مصدر نَجَمَ يَنجُمُ، إذا طَلَع، بمعنى اسم الفاعل: النّاجِم، عُبِّر به عن اسم الذات. والغرض من وصف المصدر باسم الفاعل المبالغة، والغرض من التعبير به عن اسم الذات: توكيد المبالغة.

ومن أمثلة مجيء المصدر، بمعنى اسم المفعول، للتعبير عن اسم الذات، قوله تعالى: ﴿وإذا تَوَلَّى سَعَى فِي الأرضِ لِيُفسِدَ فِيها، ويُهلِكَ الحَرثَ والنَّسلَ﴾[1] أي الزَّرع والذُّرِّيَّة، وقوله: ﴿فهَل نَجعَلُ لَكَ خَرجًا، عَلَى أن تَجعَلَ بَينَنا وبَينَهُم سَدًّا﴾[2] الخَرج: المال الذي يُخرَج، والسَّدّ: ما يُسَدُّ به، وقوله تعالى: ﴿عالِمِ الغَيبِ والشَّهادةِ﴾[3]، أي جَميع المَوجُودات المُغَيَّبة والمُشاهَدة، وقوله ﷺ: «لا حِمَى إلا لله ولِرَسُولِه»،[4] وقول عمرو بن كلثوم[5]:

فـآبُوا بالنِّهابِ، وبالسَّبايا ... وأُبـنا، بِالمُلُوكِ، مُصَفَّدِينا

النِّهاب: جمع نَهْب. وهو المال المَنهُوب.

---

(١) الآية ٢٠٥ من سورة البقرة والتبيان في إعراب القرآن ص(١٦٧) والبحر المحيط (٢: ٣١٦ و ٤٢٧).

(٢) الآية ٩٤ من سورة الكهف والتبيان في إعراب القرآن ص(٨٦٠) والجامع لأحكام القرآن (١٠: ٤٣٠) والبحر المحيط (٧: ٢٢٦).

(٣) الآية ٧٣ من سورة الأنعام والتبيان في إعراب القرآن ص(١٨) والبحر المحيط (٤: ٥٥٧)

(٤) صحيح البخاري ص (٨٣٥) تحت الرقم ٢٢٤١ وفتح الباري (٥: ٥٦.)

(٥) شرح المعلقات العشر ص (٢٧٩).

فالحَرث: مصدر حُرِثَ يُحرَثُ بمعنى اسم المفعول: المَحرُوث، عُبِّر به عن اسم الذات، لأنه دلّ على الزَّرع. والنَّسل: مصدر نُسِلَ يُنسَلُ بمعنى اسم المفعول: المَنسُول، لأن الذُّرِّيَّة تُنسَلُ من أصلاب الآباء، عُبِّر به عن اسم الذات. والخَرج: مصدر خَرَجَ يَخرُجُ، بمعنى اسم المفعول: المُخرَج المشتق من مصدر أُخرِجَ يُخرَجُ، لأنه مال يُخرَجُ، عُبِّر به عن اسم الذات. والسَّدّ: مصدر سُدَّ يُسَدُّ بمعنى اسم المفعول: المَسدُود به، عُبِّر به عن اسم الذات.

والغَيب: مصدر غابَ يَغيبُ، بمعنى اسم المفعول: المُغَيَّب المشتق من مصدر غُيِّبَ يُغَيَّبُ، عُبِّر به عن اسم الذات، لأنه دلّ على أشياء في حُكم المُدرَك بالحواس. والشَّهادة: مصدر للفعل شَهِدَ يَشهَدُ، بمعنى اسم المفعول: المُشاهَد المشتق من مصدر شُوهِدَ يُشاهَدُ، عُبِّر به عن اسم الذات. والحَمَى: مصدر حُمِيَ يُحمَى بمعنى اسم المفعول: المَحمِيّ، لأنه شيء يُحمَى، عُبِّر به عن اسم الذات. والنَّهب: مصدر نُهِبَ يُنهَبُ بمعنى اسم المفعول: المَنهُوب، عُبِّر به عن اسم الذات. والغرض من هذا الاستعمال هو المبالغة وتوكيدها.

ومن أمثلة مجيء المصدر، بمعنى الصفة المشبهة، للتعبير عن اسم الذات، قوله تعالى: ﴿إنَّما التَّوبةُ، عَلَى اللهِ، لِلَّذينَ يَعمَلُونَ السُّوءَ بِجَهالةٍ، ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾[1] أي العَمَلَ السَّيِّئ، وقوله ﷺ في حديث عَرض الأُمَم: «فرأيتُ سَوادًا كَثيرًا سَدَّ الأُفُقَ. فقِيلَ: هؤُلاءِ أُمَّتُكَ»[2] وقول عمرو بن كلثوم[3]:

بِــرأسٍ مِــن بَني جُشَمَ بنِ بَكرٍ، نَــدُقُّ بِهِ السُّهُولَةَ، والحُــزُونا

أي: كلّ لَيِّن وصَعب.

(١) الآية ١٧ من سورة النساء والجامع لأحكام القرآن (٥: ١٨).

(٢) صحيح البخاري ص (٢١٧٠) تحت الرقم ٥٤٢٠.

(٣) شرح المعلقات العشر ص (٢٧٢).

فالسُّوء: مصدر ساءَ يَسُوءُ بمعنى الصفة المشبهة: السَّيِّئ، عُبِّر به عن اسم الذات. والسَّواد: مصدر سَوِدَ يَسوَدُ بمعنى الصفة المشبهة: الأسوَد، عُبِّر به عن اسم الذات. والسُّهُولة والحُزُون: مصدران للفعلين سَهُلَ يَسهُلُ و حَزُنَ يَحزُنُ، بمعنى الصِّفتَين المشبَّهتَين: السَّهْل والحَزْن، عُبِّر بكل منهما عن اسم الذات. وهذه المصادر تَضَمَّنت معنى الصفة المشبهة للمبالغة، وعُبِّر بها عن أسماء الذوات لتوكيد المبالغة.

ويُشار إلى أن دخول معنى وظيفي على بناء المصدر، غير المعنى المصدري، يكون بقصد المبالغة، كما سبق. فإن دخل عليه معنيان معًا، كما هو الشأن عند مجيئه بمعنى المشتقات للتعبير عن أسماء الذوات، حُكِم بأن دخول المعنى الأول للمبالغة، ودخول المعنى الثاني لتوكيدها. وذلك لأن استعمال البناء لغير معناه الوضعي يكون للمبالغة وتوكيدها، كما مرَّ.

صُوَر أخرى لاستعمالات المصادر

إن المصادر المعروضة، في الشواهد السابقة، تتوزَّع بين المصادر الأصلية وأسماء المصادر. وقد قصدتُ ذلك لأن المصادر الأصلية أكثر استعمالاً، وأقرب إلى تفسير هذه الظاهرة وتوضيحها من المصادر الأخرى. ولكن ذلك لا يعني أن هذه المسألة تقتصر على المصادر الأصلية. وفيما يلي أمثلة توضح مجيء المصدر الميمي، ومصدر المرة، ومصدر النوع، على غير معناها المصدري.

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَعَدَكُمُ اللهُ مَغانِمَ كَثِيرةً تأخُذُونَها﴾[١] أي أشياء تَغنَمُونَها، وقوله: ﴿وجَعَلْنا لَكُم فِيها مَعايِشَ﴾[٢] أي ما يُعاش به من

(١) الآية ٢٠ من سورة الفتح والبحر المحيط (٤: ٣٠).

(٢) الآية ١٠ من سورة الأعراف والبحر المحيط (٥: ١٤)

المَطاعِم والمَشارِب، وما يُتَوَصَّلُ به إلى ذلك، وقوله: ﴿قَد جاءَتكُم مَوعِظَةٌ مِن رَبِّكُم﴾[١]، المَوعظة هنا: القُرآن الكَريم الذي يُوعَظ به، وقوله: ﴿واللهُ يَدعُو إلَى الجَنَّةِ والمَغفرةِ بإذنِهِ﴾[٢]، أي إلى ما يُوصِلُ إلى المَغفرة من الأعمال، وقوله: ﴿عُلِّمْنا مَنطِقَ الطَّيرِ﴾[٣] أي كَلامها الذي تنطق به. وفي الحديث الشريف: «الوَلَدُ ثَمرَةُ القَلب. وإنَّهُ مَجبَنَةٌ، مَبخَلَةٌ، مَحزَنَةٌ»[٤] أي: يَدعُو والدَه ويَحملُه على الجُبن والبُخل والحُزن.

فالمَغانِم: جمع مَغنَم. وهو مصدر ميمي للفعل غُنِمَ يُغنَمُ، بمعنى اسم المفعول: المَغنُوم للمبالغة، عُبِّر به عن اسم الذات لتوكيد المبالغة. والمَعايِش: جمع مَعيشة. وهي مصدر ميمي للفعل عِيشَ يُعاشُ، بمعنى اسم المفعـــول: المَعيش بها، عُبِّر به عن اسم الذات. والمَوعِظة: مصدر ميمي للفعل وُعِظَ يُوعَظُ، بمعنى اسم المفعول: المَوعُوظ بها، عُبِّر به عن اسم الذات.والمَغفرة: مصدر ميمي للفعل غُفِرَ يُغفَرُ، بمعنى اسم الفاعل: المُوصِل إلى المَغفِرة، عُبِّر به عن اسم الذات. والمَنطِق: مصدر ميمي للفعل نُطِقَ يُنطَقُ، بمعنى اسم المفعول: المَنطُوق المُتَكَلَّم به، عُبِّر به عن اسم الذات. والمَجبَنة: مصدر ميمي للفعل جَبُنَ يَجبُنُ، بمعنى اسم الفاعل: الدَّاعِي إلى الجُبن، عُبِّر به عن اسم الذات. وكذلك كلٌّ من مَبخَلة ومَحزَنة.

هذا ما يخصُّ المصدر الميمي، أما مصدر المرة فقد استُعمل دالاً على غير

---

(١) الآية ٥٧ من سورة يونس والتبيان في إعراب القرآن ص (٦٧٨) والبحر المحيط ٦: ٧٤.

(٢) الآية ٢٢١ من سورة البقرة؛ وأبو حيان: البحر المحيط (٢: ٤٢٠).

(٣) الآية ١٦ من سورة النمل والجامع لأحكام القرآن (١٣: ١٥٤) والبحر المحيط (٨: ٢١٧).

(٤) مسند أبي يعلى المَوصلي (٢: ٣٠٥) وتاج العروس للزَّبيدي (بخل).

معناه الوضعي، كما في قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ جَنَّة بِرَبوة﴾[١] الرَّبوة: ما ارتَفَع عن الأرض ورَبا على ما حوله، وقوله: ﴿فقَبَضتُ قَبضةً من أثرِ الرَّسُولِ﴾[٢] أي ملء الكفّ تُرابًا، وحديث محمود بن الرَّبيع: «عَقَلتُ مِنَ النَّبيِّ - ﷺ - مَجَّةً، مَجَّها في وَجهِي»[٣]. المَجَّة هنا: الماء المَمجُوج، أي المَرميّ من الفم.

فالرَّبوة: مصدر مرة للفعل رَبا يَربُو، بمعنى اسم الفاعل: الرّابية، عُبِّر به عن اسم الذات. والقَبضة: مصدر مرة للفعل قَبضَ يَقبَضُ، بمعنى اسم المفعول: المَقبُوضة أو المَقبُوض عليها، عُبِّر به عن اسم الذات. والمَجّة: مصدر مرة للفعل مُجَّ يُمَجُّ، بمعنى اسم المفعول: المَمجُوجة المَدفُوعة، عُبِّر به عن اسم الذات. والغرض من هذا الاستعمال المبالغة وتوكيدها.

ومن أمثلة مجيء مصدر النوع، على غير معناه المصدري، قوله تعالى: ﴿إنَّما نَحنُ فِتنةٌ﴾[٤]، الفتنة: ما يُفتَن به الإنسان. فالفتنة: مصدر نوع للفعل فُتِنَ يُفتَنُ، بمعنى اسم المفعول: المَفتُون بها، عُبِّر به عن اسم الذات. والغرض هو المبالغة وتوكيدها.

واسم المصدر، كما مر سابقًا، يجيء مرادًا به غير معناه المصدري، كقوله تعالى: ﴿خُذُوا زِينَتَكُم عِندَ كُلِّ مَسجِدٍ﴾[٥] أي لباسكم الذي تَتَزيَّنون به، وقوله: ﴿أنّي أخلُقُ لَكُم مِنَ الطِّينِ كَهَيئَةِ الطَّيرِ﴾[٦] الهَيئة: ما يُهَيّأُ على صورة

(١) الآية (٢٦٦) من سورة البقرة والبحر المحيط (٢: ٣٠٧).

(٢) الآية ٩٦ من سورة طه والتبيان في إعراب القرآن ص (٩٠٢).

(٣) صحيح البخاري ص (٤١) تحت الرقم ٧٧ وفتح الباري (١: ٢٦٦).

(٤) الآية ١٠٢ من سورة البقرة.

(٥) الآية ٣١ من سورة الأعراف والكشاف (٢: ٤٣٨)، والبحر المحيط (٥: ٤١ ١).

(٦) الآية ٤٩ من سورة آل عمران ومشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب القيرواني ص (١٤٠) والتبيان في إعراب القرآن ص (٢٦٣).

الطَّير. وفي حديث عائشة: «أنَّ النَّبيَّ – ﷺ – كانَ يَقبَلُ الهَديَّةَ، ويُثِيبُ عَلَيها»[١] الهَديّة: كلّ ما يُهدَى من أشياء. وقال عمرو بن كلثوم[٢]:

فأمَّـــا يَـــومَ خَشـــيتِنا عَلَيهِم فنُصـــبِحُ غـــارةً، مُتَلَبِّبِيـــنا

أي: مُغيرين مُتَلَبِّبين.

فالزِّينة: اسم مصدر للفعل تُزُيِّنَ يُتَزَيَّنُ، بمعنى اسم المفعول: المُتَزَيَّن بها، عُبِّر به عن اسم الذات. والهَيئة: اسم مصدر للفعل هُيِّئَ يُهَيَّأُ، بمعنى اسم المفعول: المُهَيّأ، عُبِّر به عن اسم الذات. والهَدِيّة: اسم مصدر للفعل أُهدِيَ يُهدَى، بمعنى اسم المفعول: المُهداة، عُبِّر به عن اسم الذات. والغارة: اسم مصدر للفعل أغارَ يُغيرُ، عُبِّر به عن اسم الفاعل: المُغيرين.

وجاءت بعض المصادر بمعنى ظروف الزمان والمكان.[٣] وظرف المكان اسم جنس جامد يدل على ذات. وظرف الزمان: اسم جنس معنوي جامد يطلق على جزء من الزمن، ويختلف عن المصدر في كونه لا يتضمن معنى الحدث، ولا يدل على غير الوقت، ولا يقوم بذاته في الكلام، بل يحتاج إلى تعليق بما فيه معنى الحدث، كي يكتسب حيزًا من المعنى العام الذي يقدمه النص.

ومن أمثلة مجيء المصدر، دالاً على معنى الظرف، قوله تعالى: ﴿وإذا صُرِفَت أبصارُهُم، تِلقاءَ أصحابِ النّارِ، قالُوا: رَبَّنا لا تَجعَلْنا مَعَ القَومِ الظّالمِينَ﴾،[٤] أي ناحية أهل النار، وقوله: ﴿وسَبِّحْ بِالعَشِيِّ والإبكارِ﴾[٥]

(١) صحيح البخاري ص (٩١٣) تحت الرقم ٢٤٤٥ وفتح الباري (٥: ٢٥٩).

(٢) شرح المعلقات العشر ص (٢٧٠). والمُتَلَبِّبون: المتحَزِّمون بالسلاح.

(٣) الكتاب (١: ٢٢٢).

(٤) الآية ٤٧ من سورة الأعراف والتبيان في إعراب القرآن ص (٥٧١– ٥٧٢).

(٥) الآية ٤١ من سورة آل عمران والجامع لأحكام القرآن (٤: ٧٧.)

الإبكار: من طُلُوع الشمس إلى وقت الضُّحى، وقول الحُطَيئة[١]:

نُبِّئتُ أنَّ الجُودَ مِنهُم خَليقةٌ يَجُودُونَ فِي يَبَسِ الزَّبِيبِ،وفِي القَطفِ

أي في وقت يَباسه ووقت قطافه، وقول الفرزدق:[٢]

فبِتُّ أُقَدُّ الزّادَ، بَيني وبَينَهُ عَلَى ضَوءِ نارٍ، مَرّةً، ودُخانِ

فالتِّلقاء: مصدر نادر للفعل لَقِيَ يَلقَى، عُبِّر به عن ظرف المكان. والإبكار: مصدر للفعل أبكَرَ يُبكِرُ، عُبِّر به عن ظرف الزمان. والقَطف: مصدر قَطَفَ يَقطِفُ عُبِّر به عن ظرف الزمان. والمَرّة:الحين،وهي في الأصل: مصدر مرة للفعل مَرَّ يَمُرُّ، استُعمل ظرفًا اتِّساعًا، «وهذا يدلُّ على قوّة شَبَه الزَّمان بالمَصدر»[٣]. والغرض من هذا الاستعمال هو المبالغة.

ومن الجدير بالذكر أنه يكثر وضع المصادر،بعضها في موضع بعض، كقوله تعالى: ﴿واللهُ أنبَتَكُم مِنَ الأرضِ نَباتًا﴾[٤]، أي إنباتًا، وقوله: ﴿فتَقبَّلَها ربُّها بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾[٥]، أي بِتَقَبُّل،وقوله:(ويُريدُ الشَّيطانُ أن يُضلَّهُم ضَلالاً بَعيدًا﴾[٦]، أي إضلالاً، وقوله: ﴿سُبحانَهُ وتَعالَى عَمّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾[٧]، أي تَعاليًا، وقول لبيد[٨]:

---

(١) ديوانه صنعة ابن السكيت ص (١٢١).

(٢) ديوانه (٢: ٣٢٩).

(٣) التبيان في إعراب القرآن ص (٥٢٢).

(٤) الآية ١٧ من سورة نوح والجامع لأحكام القرآن (٦: ٧٤).

(٥) الآية ٣٧ من سورة آل عمران والجامع لأحكام القرآن (٦: ٧٤).

(٦) الآية ٦٠ من سورة النساء والتبيان في إعراب القرآن ص (٣٦٨).

(٧) الآية ٤٣ من سورة الإسراء والتبيان في إعراب القرآن ص (٨٢٣).

(٨) شرح المعلقات العشر ص (١٧٩). وعَرَّدَت: تَرَكَت الطريق وعَدَلَت عنه.

فمَضَـى، وقَدَّمَها، وكانَت عادةً مِـنهُ، إذا هِـيَ عَرَّدَت، إقدامُها

أي تَقدمتُها، وقول عمرو بن كلثوم[١]:

بِفتيانٍ يَرَونَ القَتـلَ مَجـدًا وشِيبٍ، فِي الحُرُوبِ، مُجَرَّبِينا

أي يَرَون القتال مَجدًا.

دلالة المصادر على المعاني التي تكتسبها من السياق

يُظهِر الاستقراء أن مجيء المصادر، للتعبير عن معاني المشتقات، أقل من مجيئها للتعبير عن معاني أسماء الذوات. وعندما يُستعمَل المصـدر بمعنى المشتقات تكون دلالته على معنى المشتق قطعيّة، إذا استُعمل نعتًا في الكلام، كقولهم: هذا رَجُلٌ كَرَمٌ، أي كَرِيم، وهذا الدِّرهَمُ ضَربُ الأمِيرِ، أي مَضرُوب الأمير. وتكون دلالته على معنى المشتق قَطعيّة أيضًا إذا استُعمل خبرًا، في مثل قولنا: الماءُ صَفوٌ، أي صاف. أما إذا استُعمل خبرًا لأسماء الإشارة، أو الضمائر المنفصلة، أو أسماء الجنس التي تحتمل أكثر من دلالة، كالجَزاء في قوله تعالى: ﴿فجَزاؤُهُم جَهَنَّمُ﴾[٢]، فالأغلب في مثل هذه المواضع أن يكون المصدر مستعملاً على بابه، لأن مثل هذه الأسماء يكثر أن يجيء خبرها وخبر النواسخ التي تدخل عليها جامدًا.

وتكون دلالة المصدر على معنى المشتق احتمالية غالبًا، إذا استُعمل في موضع الحال، كقوله تعالى: ﴿ويَدعُونَنا رَغَبًا ورَهَبًا﴾[٣]، وقوله: ﴿تَدعُونَهُ

(١) شرح المعلقات السبع للزوزني ص (٢١٢). والشيب: جمع أشيب، وهو الرجل الكهل.

(٢) الآية ٩٣ من سورة النساء.

(٣) الآية ٩٠ من سورة الأنبياء والتبيان في إعراب القرآن ص (٩٢٥).

تَضَرُّعًا وخُفيةً﴾(١).

فرَغَب ورَهَب: يجوز إعرابهما حالاً ومعطوفًا عليها، على تأويل: راغبِين في ثوابنا و راهبِين عِقابَنا. فيكونان مصدرين للفعلين رَغِبَ يَرغَبُ و رَهِبَ يَرهَبُ، عُبِّر بكلٍّ منهما عن اسم الفاعل. ويجوز إعرابهما مفعولاً لأجله ومعطوفًا عليه، فيكونان مصدرين على بابهما. وكذلك تَضَرُّع وخُفية: يجوز إعرابهما حالاً ومعطوفًا عليها، على تأويل: مُتَضَرِّعين و مُخفين، فيكون الأول مصدرًا للفعل تَضَرَّعَ يَتَضَرَّعُ، عُبِّر به عن اسم الفاعل. ويكون الثاني مصدرًا للفعل خَفِيَ يَخفَى، عُبِّر به عن اسم الفاعل: المُخفين المشتق من مصدر أخفَى يُخفِي. ويجوز أن يُعرَبا مفعولاً مطلقًا ومعطوفًا عليه، فيكونان مصدرين على بابهما. ومثل ذلك كثير.

ويُظهِر الاستقراء أيضًا أن مجيء المصدر للتعبير عن اسم الذات، دون المرور بالمرحلة الوصفية، أقلّ من مجيئه للتعبير عن اسم الذات موصوفًا بمعنى أحد المشتقات. وذلك لاختلاف الطبيعة الحِسِّيَّة لاسم الذات، والطبيعة الذهنية للمصدر. والمشتقات الوصفية تدل على ذات موصوفة بحدث. وهذا يعني أن المشتق يقترب من اسم الذات بما يتضمَّنه من طبيعة حسية، كما يقترب من المصدر بما يتضمنه من حدث معنوي. والدليل على ذلك أن المشتق الوصفي يجوز وضعه موضع المصدر، كما يصح وضعه موضع اسم الذات. ولذلك يكون للمشتق دور في التوفيق والملاءمة بين المصدر واسم الذات، إذْ يرتبط كل منهما بالمشتق بواسطة الجزء الذي يماثل طبيعته. وهكذا تتحقق عملية الربط بين المصدر واسم الذات.

(١) الآية ٦٣ من سورة الأنعام والتبيان في إعراب القرآن ص (٥٠٤).

ففي قوله تعالى: ﴿يُخرِجُ الخَبءَ في السَّماواتِ والأرضِ﴾[١]

الخَبء في الأصل: مصدر معناه الإخفاء. ولكنه في الآية يدل على أشياء تُخرَج. ولا توجد علاقة بين الأشياء المحسوسة التي دَلَّ عليها سياق الآية. وبين الإخفاء الذي يدل عليه معنى المصـــدر، إلا إذا وُصِفت تلك الأشياء بأنها مَخبُوءة، أي مَخفيّة. ولذلك يُقال في التحليل الصرفي: الخَبء مصدر للفعل خُبِئَ يُخبأُ، بمعنى اسم المفعول: المَخبُوء للمبالغة، عُبِّر به عن اسم الذات لتوكيد المبالغة.

وتكون دلالة المصدر على اسم الذات،عندما يستعمل بمعناه،قطعية غالبًا، وتعرف من قرائن مُصاحبة،لا تسمح بحمل المصدر على بابه. ففي قوله تعالى: ﴿وما أصابَكُم يَومَ التَقَى الجَمعانِ فبِإذنِ اللهِ﴾[٢] الجمعان: مثنى جَمْع. والجَمْع في الأصل: مصدر جَمَعَ يَجمَعُ، لكنه دل هنا على جماعة المحاربين. والقرينة التي منعت حضور المعنى المصدري هي حصول الالتقاء بين الجمعَين.

وفي حديث عائشة: «فاقدُرُوا قَدرَ الجارِيَة، الحَديثة السِّنّ، تَسمَعُ اللَّهوَ»[٣]، اللَّهو في الأصل: مصدر لَها يَلهُو، لكنَّه دلّ هنا على الأشياء التي يُلهَى بها. فهو مصدر بمعنى اسم المفعول للمبالغة، عُبِّر به عن اسم الذات لتوكيد المبالغة. والقرينة التي منعت حضور المعنى المصدري هي دلالة السياق على أن اللَّهو شيء يُسمَع.

---

(١) الآية ٢٥ من سورة النمل والبحر المحيط (٨: ٢٠٦ و ٢٣١).

(٢) الآية ١٦٦ من سورة آل عمران.

(٣) صحيح البخاري ص (١٩٩١) تحت الرقم ٧٨٩٤.

وقال امرؤ القيس[(١)]:

* فهَل عِندَ رَسمٍ، دارِسٍ، مِن مُعَوَّلِ ؟ *

فالرَّسم في الأصل: مصدر رَسَمَ يَرسُمُ. ولكنه دلَّ هنا على الأثَر المَرسُوم الذي خَلَّفَته القبيلة ثم رحلَت. والقرائن التي منعت حضور المعنى المصدري هي إضافة ظرف المكان إليه على الحقيقة لا المجاز، ووصفه بكلمة «دارِس» التي لا تُوصَف بها المصادر، وارتباطه باسم المكان «مُعَوَّل» الذي يدل على أن هذا الرَّسم يُتَّخَذُ مكانًا للعَويل والبُكاء.

وقال تعالى: ﴿ولا يُؤخَذُ مِنها عَدلٌ﴾[(٢)]. فالعَدل في الأصل مصدر عَدَلَ يَعدِلُ، لكنّ معناه هنا: الشيء الذي يُؤخَذُ فديةً، والفِدية: شيء يُعادِل المَفدِيّ بها. فهو إذًا مصدر بمعنى اسم الفاعل: المُعادِل المُساوي المشتق من مصدر عادَلَ يُعادِلُ للمبالغة، عُبِّر به عن اسم الذات لتوكيد المبالغة. والقرينة التي منعت حضور المعنى المصدري هي دلالة السياق على أن العَدل شيء يُؤخَذُ أخذًا حِسِّيًا حقيقيًا، لا معنويًا مجازيًّا.

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ يُجزاهُ الجَزاءَ الأوفَى﴾[(٣)] الجَزاء في الأصل: مصدر جَزَى يَجزِي، لكنَّه دلّ هنا على الشيء المَجزِيّ به، لأنه وُصف بالأوفَى. وهي من صفات الأشياء وليست من صفات المصادر. فهو مصدر بمعنى اسم المفعول للمبالغة، عُبِّر به عن اسم الذات لتوكيد المبالغة.

ومن القرائن التي تمنع حضور المعنى المصدري عدم تعلق شبه الجملة ببناء

(١) شرح المعلقات العشر ص (٣٠).

(٢) الآية ٤٨ من سورة البقرة والبحر المحيط (١: ٣٠٩).

(٣) الآية ٤١ من سورة النجم والتبيان في إعراب القرآن ص(١١٩٠).

المصدر. وذلك يحصل عندما يُعبَّر به عن اسم الذات، لأنه يفقد دلالته على الحدث. ففي قوله تعالى: ﴿خُذُوا زِينَتَكُم عِندَ كُلِّ مَسجِدٍ﴾[١] لا يجوز تعليق الظرف «عِند» بزينة، لأنها تدل على اسم ذات كما سبق. ولذلك وجب تعليقه بالفعل «خُذُوا».

وتكون دلالة المصدر على اسم الذات احتمالية، حين تكون القرائن المرافقة ضعيفة. ففي قوله تعالى: ﴿ أَلَم يَعِدْكُم رَبُّكُم وَعدًا حَسَنًا﴾[٢] يجوز حمل «وَعد» على أنه مصدر وُعِدَ يُوعَدُ، بمعنى اسم المفعول: المَوعُود به للمبالغة، عُبِّر به عن اسم الذات لتوكيد المبالغة. وذلك على اعتبار أنه بمعنى الأشياء التي وُعِدتُم بها. ويُعرَب على هذا التأويل مفعولاً به ثانيًا للفعل « يَعِد». ويجوز حمله على بابه على أنه مصدر مؤكد لفعله الملفوظ. ويُعرَب على هذا التأويل مفعولاً مطلقًا. وفي هذه الحالة يُكتَفى بدلالة السياق على المفعول به المحذوف.

إن الحالة السابقة تُمثِّل نموذجًا عامًا للدلالة الاحتمالية للمصدر على اسم الذات، حيث يغلب أن يأتي فعل متعدٍ لم يستوفِ مفعوله الثاني، ثم يؤتى ببناء مصدره بعده، محتملاً أن يكون مفعولاً مطلقًا على أنه مصدر جارٍ على بابه، ومحتملاً أن يكون مفعولاً به ثانيًا على أنه اسم ذات. والتفسير الدقيق هو الحَكَم في مثل هذه الحالة.

إن وجود الدلالة الاحتمالية، غير القطعية، للمصادر على معاني المشتقات، وأسماء الذوات، لا تُؤثر في منهج التحليل الصَّرفي المتَّبع في هذا

(١) الآية ٣١ من سورة الأعراف والتبيان في إعراب القرآن ص (٥٦٤).

(٢) الآية ٨٦ من سورة طه والتبيان في إعراب القرآن ص(٩٠٠).

المقال، لأن التحليل الصرفي مبنيٌّ على التفسير اللغوي. فإذا احتمل بناء المصدر الدلالة على وظيفتَين صرفيتَين، لا يمكن الجمع بينهما في تحليل صرفي واحد، فهذا يعني وجود تفسيرين لُغَويَّين مَقبُولَين. وفي هذه الحالة يصح بناء التحليل الصرفي على أساس ما يُختار من التفسيرَين ويُرَجَّح. ومسألة تعدُّد التفاسير اللغوية مسألة معروفة في اللغة العربية، تعبِّر عن اتساعها وعمقها. ولهذه الظاهرة دور كبير في نشوء المدارس النحوية، والاتجاهات الكلامية، والفِرَق الفلسفية، والأودية الصوفية، والموارد المختلفة للمِلَل والنِّحَل. وأهم من ذلك أنها كوّنت ميدانًا خصبًا وفسيحًا لنشوء المذاهب الفقهية.

*****

كانت تلك أهم صور استعمال المصادر، في النصوص، دالة على غير معانيها الوضعية. وقد اعتمدتُ في التحليل والدراسة على ما نَصَّ عليه المفسِّرُون، وشُرّاح الدواوين، وأصحاب المعاجم، الذين أثبتُّ أسماء أغلب كتبهم في الحواشي، كما اعتمدتُ على ما استوحَيتُه من أقوالهم في كثير من الأحيان. وقد عرضتُ مصادر التحليل مقترنة بمصادر الشواهد حرصًا على اختصار الحواشي قدر الإمكان. ويدل تتبع نتاج العلماء على أن التحليل المتبع، في هذا المقال، كان قائمًا في أذهانهم بصورته الكاملة. ولكنه لم يَصِل إلى الكمال في كتاباتهم، لأنهم تناولوا المسألة من زاوية التفسير اللغوي، الذي يخدم المعنى والإعراب، ولم يتناولوها من زاوية التحليل الصرفي البحت.

المصادر والمراجع

أدب الكاتب لابن قتيبة. تحقيق: محمد الدالي، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٩.

[أوض]ح المسالك إلى ألفية ابن مالك : لابن هشام. تحقيق: محمد محيي الدين عبد [ال]حميد، ط٨، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٨٦.

البحر المحيط في التفسير: لأبي حيان الأندلسي. بعناية: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت ١٩٩٢.

تاج العروس في شرح شواهد القاموس: للمُرتضَى الزَّبيدي. ط١، المطبعة [ال]خيرية، القاهرة ١٣٠٦ هـ.

التبيان في إعراب القرآن: للعكبري. تحقيق: علي محمد البجاوي، ط٢، دار الجيل، بيروت ١٩٨٧.

تصريف الأسماء والأفعال: للدكتور فخر الدين قباوة. ط٣، مكتبة المعارف، بيروت ١٩٩٨.

الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي. راجعه: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت ١٩٩٥.

الخصائص: لابن جني. تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، دون تاريخ.

ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس. شرح وتقديم: الدكتور محمد أحمد قاسم، ط١، المكتب الإسلامي، بيروت ودمشق وعمان ١٩٩٤.

ديوان الحطيئة صنعة ابن السكِّيت. تحقيق: الدكتور نعمان محمد أمين طه، ط١،

مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٨٧.

ديوان الخنساء. شرح وتقديم: إسماعيل اليوسف، دار الكتاب العربي، دمشق، دون تاريخ.

ديوان جرير: صنعة ابن حبيب، تحقيق: الدكتور نعمان محمد أمين طـه، دار المعارف، القاهرة، دون تاريخ.

السبعة في القراءات: لابن مجاهد. تحقيق: الدكتور شوقي ضيف، ط٢، دار المعارف، القاهـرة، دون تاريخ.

شذا العَرف في فن الصرف: للحملاوي. المكتبة الثقافية، بيروت ١٩٨٥.

شرح الكافية الشافية: لابن مالك. تحقيق: الدكتور عبد المنعم أحمد هريدي، ط ١، جامعة أم القرى، مكة المكرمة ١٩٨٢.

شرح المعلقات السبع: للزوزني. قدم له: عمر أبو النصر، جامعة حلب، دون تاريخ.

شرح المعلقات العشر: للخطيب التبريزي. تحقيق: الدكتور فخر الدِّين قباوة، دار الفكر، دمشق١٩٩٧.

شرح ديوان عنترة . تحقيق: عبد المنعم عبد الرؤوف شلي، وتقديم: إبراهيم الأبياري، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٠.

شرح شافية ابن الحاجب: لرضي الدين الأستراباذي. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ورفاقه، دار الكتب العلمية، بيروت١٩٧٥.

شرح شذور الذهب: لابن هشام. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، لم تُذكر دار النشر وتاريخه.

صحيح البخاري: لمحمد بن إسماعيل البخاري. تحقيق: الدكتور مصطفى البغا،

مطبعة الهندي، دمشق ١٩٧٦.

صحيح مسلم: لمسلم بن الحجاج النيسابوري. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، دون تاريخ.

صحيح مسلم بشرح النووي: للنووي. تحقيق: الدكتور مصطفى البغا، ط١، دار العلوم الإنسانية، دمشق ١٩٩٧.

فتح الباري: لابن حجر العسقلاني. ط٣، دار الفيحاء، دمشق ٢٠٠٠.

الكامل في اللغة والأدب: للمبرد. تحقيق: الدكتور محمد أحمد الدالي، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيـــروت ١٩٩٧.

الكتاب: لسيبويه. تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٨٨.

كتاب الكافية في النحو: لابن الحاجب. شرحه: رضي الدين الأستراباذي، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٩.

الكشاف: للزمخشري. تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، ط١، مكتبة العبيكان، الرياض ١٩٩٨.

الكليات: للكفوي. تحقيق: الدكتور عدنان درويش ومحمد المصري، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٢.

لسان العرب: لابن منظور. ط١، دار صادر، بيروت ١٩٩٢.

مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة: المجلد الأول، لعام ١٩٣٤، والمجلد الثاني، لعام ١٩٣٥، والمجلد السادس، لعام ١٩٥٠.

مسند أبي يعلى المَوصِلي. تحقيق: حسين سليم أسد، ط١، دار المأمون، دمشق وبيروت ١٩٨٤.

مشكل إعراب القرآن: لمكي بن أبي طالب القيسي القيرواني. تحقيق: ياسين محمد السوّاس، ط٢، دار اليمامة، دمشق وبيروت ٢٠٠٠.

معجم ألفاظ القرآن الكريم:لمجمع اللغة العربية بالقاهرة. ط٢، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة ١٩٧٠.

المقاييـــس في اللغة: لابن فارس. تحقيق: شهاب الدين أبو عمرو، ط٢، دار الفكر، دمشق ١٩٩٨.

جماليات اللون في مخيّلة بشار بن برد الشعرية

د. عدنان محمود عبيدات

لفتت التشكيلات التصويرية أنظار الدارسين والنُّقاد في شعر بشار، وذلك أنه رسم موضوعه بطريقة تجاوز فيها حدود السمع إلى الإبصار، فجمع معجمه وركّبه وباح فيه بصورة جميلة واضحة أكثر إيحاء مما فعل المبصرون، فركّب الصورة كأنه يراها، وبثّ فيها جمالاً رائعًا، فيها الجدة والطرافة والوضوح، لها وقع وتأثير في النفس، تعلو وتتوهج، وتتركّز فيها كثير من التفاصيل،سواء في مدحه أو في وصف خلوات الحب أو في عذل العذال أو في حديثه عن الليل.

لقد كان بشار موفّقًا في نقل ما تجيش به نفسه من مشاعر وانفعالات، وكان واقعيًّا في طرحه لموضوعاته بكل ما فيها من تناقضات بلغة خدمت المعنى المراد، فأعلى من شأن الفن، وكان «**ثورة أدبية كبرى في شعرنا العربي... ثورة على اتجاه الصورة الشعرية التقليدية، فحاول قدر جهده أن يغيّر مجراها، وأن يوجّهها في مجرى جديد**»[1]. وقد شكّلت الأنماط التصويرية البصرية في شعر بشار الأعمى مساحات واسعة دالة على كثافة الألوان، فكانت الظاهرة التلوينية جزءًا هامًّا في تشكيل الصورة الشعرية بعناصرها الحسية المختلفة إلى جانب الحركة والضوء، علمًا أن الصورة اللونية قد تتشكّل من أكثر من قيمة لونية انسجامًا أو تضادًّا، «**فاللون لا يدخل في نسيج النص [illegible]، على مستوى**

---

(١) الصورة في شعر بشار بن برد، د. عبد الفتاح نافع ط١، دار [illegible]، عمان، الأردن، ١٩٨٣، ص (٣٥٥).

التركيب فقط، وإنما يتعدى ذلك إلى مستوى الدلالة أيضًا»[١].

إن الصورة الحسية هي المصدر الأساسيّ للصورة الشعرية، وتتجلى عبقرية النص في إعادة تشكيل الصورة المادية إلى صورة شعرية تُثير الدهشة، ولابد من التذكير أن كثيرًا من الألوان تحمل كثيرًا من الدلالات النفسية، «**وأنَّ استخدام الشعراء للألوان لم يقف عند حد تخطيط الصورة أو إبرازها بالشكل الذي يحقِّق لها اللون، وإنما كان الدافع لذلك... هو جعل هذه الصورة محفوظة بإطار من الأبعاد المتحركة بذاتها، تضفي عليها الألوان ميزة ربما كانت تفتقر إليها قبل الإضافة»**[٢].

لقد صاغ الشاعر صُوَرَه صياغة جمالية مركَّزة ومكثفة وواعية، فأبدع وأجاد، وعبَّر عما يجول في نفسه دون حرج أو خوف، فأطلقها على سجيتها، فأعجب أكثر دارسيه.

المرأة واللون:

تمثِّل المرأة عند بشار جزءًا أساسيًّا في الظاهرة الفنية، ومن يُنعم النظر في

---

(١) جماليـــات الـــلون في شعر زهير بن أبي سلمى، موسى ربابعة، بحث، في كتاب قطـــوف دانية، لمجموعة من المؤلفين، مهدى للدكتور ناصر الدين الأسد، المؤسسة العربية، ط٢، ١٩٩٧، ص (١٣٦٣)، وانظر: الصورة الشعرية واستيحاء الألوان، يوسف نوفل، دار الاتحاد العربي للطباعة، القاهرة، ١٩٨٥، ص (٤٠).

(٢) الألوان وإحساس الشاعر الجاهلي بها، نوري حمودي القيسي، بحث، مجلة الأقلام العـــراقية، السنة الخامسة، ج١١، ١٩٦٩، ص (٦٧). وانظر: التشكيل اللوني في الشعر العراقي الحديث، بحث، محمد صابر عبيد، مجلة الأقلام العراقية، بغداد، السنة ٢٤، العددان ١١، ١٢، ١٩٨٩، ص (١٦٩).

شعره يدرك أنه لم يكن أعمى، رأى بقلبه وسمعه ولم ير بعينه رؤية مادية، فكلما سمع صوتًا تسرَّب إلى أعماق قلبه، فأخرج أدبًا غنائيًا قويًا مؤثّرًا، فشكّل الصورة بكل أبعادها الدقيقة، بألوانها وظلالها وتفاصيلها.

إن حرمان بشار من حاسة البصر، دفعه إلى استخدام حواسه الأخرى لتنوب عما حُرِم منه، ومع ذلك فإن مَن يُنعم النظر في الصورة الشعرية عنده يؤكّد أنها كانت صورًا بصرية، **«والصور البصرية ليست معدومة وجدانيًا لدى المكفوف، وذلك بفضل الحياة الاجتماعية، فقد ينتقل جانبٌ من تأثيرها الوجداني بوساطة الألفاظ التي تعبِّر عنها إلى الشخص المكفوف»**[(١)]، فهو في وصفه للمرأة، يدقّق في كثير من التفاصيل؛ مركّزًا على الصفات المادية، ومستحضرًا طاقات اللون، ومن ثَم شكّل لنا لوحة جميلة لامرأة يريدها بشار، وأكثر الحديث عنها؛ فكانت صورتها الحسية ماثلة في شعره، تطفح منها رائحة الغريزة بأسلوب صريح، وأبدع في رسمها في ذهنه، مستعينًا ببصيرة نافذة، وموهبة فذّة، وثقافة عميقة، **«ومادامت الحواس والقلب ومدركاتها هي الرافد الأساسيّ للصورة الفنية، فإن علينا أن نتوقع حضور اللون في عملية الأداء الفني ليؤدي مهمة المفردة الحسية حيثما يكون لها مدلولها التأثيري»**[(٢)]، وكان كغيره يحب المرأة ذات اللون الأبيض حبًّا جسديًّا شهوانيًّا، ظهر ذلك في غير

---

(١) الصورة الفنية في شعر بشار: عبد الفتاح نافع ص (١٠٠).

(٢) الأداء باللون في شعر زهير بن أبي سلمى، محمود الجادر، بحث، مجلة كلية التربية، الجامعة المستنصرية، العدد٢، ١٩٩٠، ص (٨٧). وانظر: الأداء باللون في شعر سحيم، محمود الجادر، المورد العراقية، بغداد، م٢٧، العدد٤، ١٩٩٩، ص (٦٣).

بيت في شعره، فهي عنده: «**بيضاء صافية الأديم**»[١]، وهي «**بيضاء كالدّرة الزهراء غرّتها**»[٢]، «**ومن البيض معلاق القلوب**»[٣]، «**حسبتها فضةً بيضاء**»[٤]، و«**عُلّقتها بيضاء**»[٥]، «**وبيضاء من بيض**»[٦]، وهي على ذلك «**تَرعْرعَتْ في جلد لؤلؤة**»[٧] ، و«**خُلقت من جلد لؤلؤة**»[٨]، و«**خُلقت من قشْر لؤلؤة**»[٩]، وهذا الوصف الجميل يُشير إلى بياض ممزوج بالمرونة والنعومة والصفاء والعفّة والحياة الهانئة، وهي على هذا من الحرائر العفيفات. والمرأة الموصوفة – كما ذكرنا – عند بشار، تجبر من يراها أن يتعلق بها، فتصوّر، فهي: «**بيضاء كالمهاة**»[١٠]، وهذا تشبيه للمرأة في أجمل صورها، فالمرأة المثال عند أغلب المبدعين وغير المبدعين أنها غزال في مشيتها وشكلها، وهي «**بيضاء مكسال**»[١١]، «**ومكسال الضحى**»[١٢]، لأنها ذات دلال وأنوثة، والمرأة عنده:

---

(١) ديوان بشار بن برد، شرح حسين حموي، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٦، (١/١١٦).

(٢) المصدر نفسه (٢/٤٤).

(٣) المصدر نفسه(١/٦٨).

(٤) المصدر نفسه (٢/٢٥٥).

(٥) المصدر نفسه (٢/٨٨).

(٦) المصدر نفسه (٢/٦٨).

(٧) المصدر نفسه (١/١١٦).

(٨) المصدر نفسه (١/١٦١).

(٩) المصدر نفسه (٢/٤٣).

(١٠) المصدر نفسه (١/٥٣١).

(١١) المصدر نفسه (١/٥١٢).

(١٢) المصدر نفسه (٢/٣٢٢) .

مِنَ البيضِ لَمْ تَسْرَحْ عَلَى أهلِ غُنّةٍ وَقِيْـرًا ولَمْ تَرْفَعْ حِداجَ قعُودِ(١)

فهي من الحرائر، وليست من الإماء، إذ إن الرعي وترحيل الرواحل كان من شغل الإماء والعبيد، فالمرأة المفضَّلة عنده – إضافة إلى لونها – أنها وأهلها من عِلْيَةِ القوم.

وأسقط الشاعر في بعض أشعاره لون الآخر على لون المرأة المفضلة، فهي «ريم أغَن»، ترائبه شديدة البياض، يقول(٢) :

ريمٌ أغَـنُّ مطوَّقًـا ذهـبًا صِـفْرُ الحَشـا بيـضٌ ترائبُـهْ

وهي كالشمس إشراقًا وتجلّيًا، وكالبدر حسنًا إذا تقنّعت في سواد الليل، تسبي النفوس بنظراتها وهي منتقبة، وإذا نزعت النقاب تستثيرهم بحسنها المتلألئ، يقول(٣):

هـي كالشَّمس في الجَلاءِ وكالبد رِ، إذا قُـنِّعَتْ عـليها الرِّداءُ(*)

وهي(٤) :

(١) ديوان بشار (٥٠٩/١). الغُنَّة: الوادي الكثير الشجر. الوقير: الذي وضع عليه الحمل. الحداج: مركب النساء، مفردها: الحدج. القعود: الجمل الصغير.

(٢) المصدر نفسه (١٧٠/١). الصفر: الضعيف. الترائب: موضع القلادة من الصدر. الأغن: الذي يخرج صوته من خياشيمه.

(٣) المصدر نفسه (٥٧/١). شبَّهها بالشمس، وبالقمر حين تتلفع بالسواد ليدل على حسنها.

(*) «(عـليها الـرداءُ) جملة في محل نصب حال من ضمير نائب الفاعل لفعل (قُنِّعت). (الرداء) مبتدأ، و (عليها) جار ومجرور متعلقان بخبر محذوف». [المجلة].

(٤) المصدر نفسه (١٦٩/١). الخود: الفتاة الحسنة الخلق. الأغر الأبلج: صفتان للوجه عندما تنزع النقاب.

خَـوْدٌ إذا انْتَقَـبَتْ سَبَتْكَ بِنَظْرَةٍ وأغَـرَّ أبـلجَ غيرَ ذاتِ نقـابِ

وهي[1]:

صُورةُ الشَّمْسِ جَلَتْ عنْ وَجْهِها بَعْـدَ عَيْـنَيْ جـؤْذَرٍ في المُنْتَقَبْ

وهي[2]:

فقلتُ لنفسِي: الشمسُ جَلَّتْ لناظرٍ أم الـبَدْرُ يُجْـلَى في قِناعِ فتاةِ؟

وهي في مشيتها تتلوى كذكر الحية الأبيض، نحيلة الخصر، طويلة العنق، يقول[3]:

تَـرُوحُ بِمِـثْلِ الأيْمِ فوقَ نِطاقها ويـا لَـكَ منْ وَجْهٍ هُناكَ وجيدِ

ولم يكتف بشار بالوصف الشمولي للمرأة، بل دقّق في التفاصيل، فوصف جيدها، وأُعجب ببياضه، يقول[4]:

وجيـدٌ يُشْـبِهُ الـدُرَّ كَجيـدِ الـرِّيمِ سُـلْهُوبُ

ويقول[5]:

والـدُّرُّ واليَـاقوتُ يَحْسُـدْنَهَا مُـنَاطَةً في الأوْضَـحِ الأجْيَـدِ

وهي بيض الترائب، ويعني موضع القلادة من الصدر، يقول[6]:

---

(١) ديوان بشار (٣٠٨/١). الجؤذر: ولد البقرة الوحشية. وجهها مضيء كالشمس وعيناها كعيني البقرة.

(٢) المصدر نفسه (٤١٠/١). هل ما يراه هو الشمس أم البدر أم المحبوبة ؟

(٣) المصدر نفسه (٥٠٩/١).

(٤) المصدر نفسه (١٥٦/١). السلهوب: الطويل من الناس والخيل.

(٥) المصدر نفسه (٥٢١/١). الدر والياقوت: أحجار كريمة. مناطة: معلقة. الأجيد: العنق الذي طال وحسُن.

(٦) المصدر نفسه (١٧٠/١).

صِـفْرُ الحَشَـا بيـضٌ ترائـبُهْ ريمٌ أغَـنّ مُطَوَّقًـا ذهـبًا

وهي بيضاء واسعة الجبين، يقول[١]:

غَـرّاءُ ريّـا العظَـامِ آنسَـةٌ مَكْسـورَةُ العَيْـنِ زانَهـا دَعَجُ

وثغرها عنده كغرّ الأقاحِي، يقول[٢] :

وَلَهـا مَضـحكٌ كَغُـرٌ الأقاحِي وحديـثٌ كالوشيْ وَشْي البرودِ

وخدّ المرأة التي تعجبه ناعم مشرق أبيض، كشمس الضحى، يقول[٣]:

تُـريكَ أسـيلَ الخَدِّ أشْرَقَ لونُهُ كَشمْسِ الضُّحى وافتْ معَ الطَّلْقِ أسْعُدا

وتجاوز بشار في تصوره للمرأة الجميلة إلى دقائق لا يعرفها ولا يدقق فيها إلا إنسان تذوّق الجمال، وعرف بواطنه، فكانت المرأة التي خالط بياض لونها صفرة، ونشأت في الحضر من أجمل النساء عنده، يقول[٤]:

وصـفْراءُ مِـثْلُ الخَيْزُرَانَةِ لَمْ تَعِشْ بـبؤسٍ ولَمْ تـركَبْ مطيَّةَ راعِ

وهي[٥]:

---

(١) ديـوان بشار (٤٣٤/١). ريّا: طرية ناعمة. زانها: جمّلها. الدعج: سواد العيون واتساعها.

(٢) المصدر نفسه (٥/٢). المضحك: المبسم. الأقاحي: نبات جميل لونه أبيض .

(٣) المصدر نفسه (٩١/٢). الأسيل: الأملس الناعم. الطلق: الإشراق. الأسعد: نجوم المنازل.

(٤) ديوان بشار بن برد (٤٣٢/٢). الصفراء: التي خالط بياض لونها صفرة، لم تركب مطية راع: لم تكن من سكان البادية.

(٥) المصـدر نفسه (٤٢٨/١) . بيضاء صفراء: البياض المشوب بصفرة، وهو أحسن البياض عـند العرب. القضافية: نسبة إلى قضاف، وهي الجارية المشوقة القد، مأخوذة من القضف وهو النحافة.

بيضـــــاءُ صـــــفراءُ قُضَـــــافيّة   مـــا نالَهَـــا بـــرٌّ ولا حـــانثُ

ومزج الشاعر لون المرأة الأبيض الموشَّح بالصفرة بحركاتها الخيزرانية النحيلة الممشوقة القدّ بصفاتها العفيفة، فأبدع في تركيب الصورة، وأجاد في البوح بها، فكانت المرأة كاملة الأوصاف حُسنًا، ولونًا، وخُلُقًا، وعفّةً، ودلالاً، وكسلاً، وغزلانيّة. والمتتبع لشعر بشار يلحظ أنه لم يترك التفاصيل الأخرى التي تتمم اللوحة، لتكون المرأة التي يتصورها كاملة الأوصاف، فتمم جوانب الصورة، وأكمل أبعادها، وعرج إلى اللون الأسود، حيث كان هذا اللون تحسينًا وتجميلاً ومُحَبَّبًا في المرأة البيضاء التي أحبها، ونقله من دلالاته السلبية إلى دلالات إيجابية، فأعجبته العيون الدعج الشديدة السواد الواسعة، فهي «**بدا في عينه دعجُ**»[1]، وهي «**حور العيون**»[2]، وهي «**زجّاء برجاء**»[3]. وتجلى الجانب الإيجابي للون الأسود بلون شعر المرأة الجميل فشبّه شعرها بعناقيد الكروم الناضجة، يقول[4]:

ولهـــا واردُ الغَدائِـــرِ كالْكَـــرْ   مِ ســـوادًا قـــدْ حـــانَ منْه انتهاءُ

ويقول[5] :

---

(١) ديوان بشار بن برد (٤٤٠/١).

(٢) المصدر نفسه (٩٠/١).

(٣) المصـــدر نفسه (٤٦٧/١). زجّاء: رقة الحاجبين مع طولهما للمرأة. البرجاء: التي تتـــبرج. وتكـــون المرأة بهذه الصفة بياض عينيها محدقًا بالسواد كله، وبرج العين مناسب لزجج الحواجب.

(٤) المصدر نفسه (٥٨/١). الوارد من الشعر والشجر: الطويل المسترسل.

(٥) المصدر نفسه (١٥٦/١). الوَحْف: الشعر الكثيف الأسود. التقاصيب: الجدائل.

وَوَخْفٌ زَانَ مَتنيك وزانَتْهُ التَّقاصيبُ

وشبّه جدائل شعرها الأسود بالأفاعي السود، يقول[١]:

كأنّ القرونَ على متْنِها أساودُ شَتّ بها أبْطَحُ

وكانت الشامة السوداء على الخدّ الأبيض إضافة أخرى إلى اللوحة، فزاد الجمال جمالاً، يقول[٢]:

يكون الخالُ في خَدٍّ نقيٍّ فيُكْسِبُهُ الملاحَةَ والجَمالا

ويُعجب الشاعر الأكمه بلون المرأة الأسود في لحظة من لحظات الإبداع والإعجاب، ويبدو أن الإعجاب عارض، وكان بجارية سوداء استعطفها، فهي عنده سوداء برّاقة متلألئة، تشبه في طيبها ولينها الماء العذب، فهي كأنها مصنوعة من عجينة العنبر والمسك اللذين إذا مُزجا يصبح المزيج ضاربًا إلى السواد، وذا رائحة طيبة، يقول فيها[٣]:

وغادةٍ سوداءَ برّاقة كالماءِ في طيبٍ وفي لينِ

كأنّها صِيغَتْ لِمَنْ نالَها مِن عَنْبَرٍ بالمِسْكِ مَعْجُونِ

ويقول[٤]:

---

(١) ديوان بشار بن برد (١/٤٦٥). شتّ: تاه. الأبطح: الأرض المنخفضة، والجمع أباطح. الأساود جمع أسود وهو ذكر الحية.

(٢) المصدر نفسه (٢/٤٨٥).

(٣) المصدر نفسه (٢/٥٢٨). هذان البيتان في خطاب المرأة السوداء التي سارت في جنازته فيما بعد.

(٤) ديوان بشار بن برد (٢/٤٨٥). الخال: الشامة أو العلامة السوداء.

يكـــونُ الخـــالُ في خـــدٍّ نقـــيٍّ فَيُكْســـبُهُ المَلاحَـــةَ والجَمـــالا
ويُؤنقـــهُ لأعْيُـــنِ مُبْصِـــريهِ فكيـــف إذا رأيـــتَ اللونَ خالا

لقد ارتبط السواد بالظلمة وبأجواء الحزن والكآبة، إلا أن بشارًا نقل اللون من طبيعته السوداوية أحيانًا إلى سياقات أخرى، فيها معنى الحُسن والجمال.

ويستخدم الشاعر اللون الأحمر في صفة المرأة، من باب العبث باللون ودقة معرفته به وكأنه على دراية «**أن الضوء الأبيض يتكون من مجموعة من الأشعة الملونة، تتدرج من اللون الأحمر إلى اللون البنفسجي، ولقد دلت التجربة على أنه يمكن إحداث الإحساس بأي من هذه الألوان أو اللون الأبيض بخلط ثلاثة ألوان أساسية بنسب مختلفة، وهذه الألوان الأساسية أو المتتامة هي: الأحمر، والأزرق، والأخضر**»[1] (*)، والمرأة

---

(١) الضوء. أمينة عبد الرحيم، ط٣، دار الطباعة والنشر، مصر، ١٩٧٠، ص (١٥٢).

(*) يقول الكاتب: «وقد دلت التجربة على أنه يمكن إحداث الإحساس بأي من هذه الألـــوان أو الـــلون الأبيض بخلط ثلاثة ألوان أساسية بنسب مختلفة وهذه الألوان الأساسية أو المتتامة هي الأحمر والأزرق والأخضر».

هـــذه الإضـــافة خَطَل، وذلك أن الألوان نوعان: ألوان ضوئية إشعاعية وأصبغة مســـتعملة في الرســـم والصـــناعة. وإن مزْجَ الأصبغة السبعة المقابلة لألوان الطيف الشمســـي يـــؤدي إلى اللون الأسود على حين أن مَزْج الألوان الضوئية الإشعاعية السبعة يؤدي إلى اللون الأبيض. وفي عالم الأصبغة يعتمد الرسامون على ثلاثة ألوان يصِـــفُونها بالأساسية وهي الأحمر والأصفر والأزرق. وكان الرسام الإيطالي المشهور دافنشـــي قد اعتمد اللون الأخضر أيضًا لونًا أساسيًّا. ويُنشئ الرسَّامون بهذه الألوان الأساســـية ألوانًا مادّيّة لا حصر لها وذلك بنسب مختلفة. ومن المعلوم أنه لو مزجنا مـــثلاً الأصفر والأزرق لحصل اللون الأخضر. ثم إنه لو مُزجَت الأصبغة السبعة =

الحمراء هي شديدة البياض، تشبه حمرة كلواذ في بياضها وصفائها، وقد أثارته، وهيجت أحزانه، يقول(٢):

وَحَمْـــراءُ كَلْواذِ الكَئيبِ تطرَّبتْ فــؤادي وهـــاجتْ عَبْرَةً وتلدُّدا

ويكرر ذكر هذا اللون، معجبًا به وهو يركّب لونًا على لون، أو يمزج لونًا بلون، ليزيد في جمال الصورة، لتعجب الناظر وتسرّه بفتاة تزوجت قبل بلوغها، يقول(٣) :

هِجـــانٌ عـــليها حُمْرَةٌ في بياضِها تــروقُ بها العَيْنَيْنِ والحُسْنُ أحْمَرُ

ويخلط اللون الأحمر بالأخضر بالأصفر بالأبيض في وصف جمال المرأة

=المختـــلفة الألوان لحصل اللون الأسود كما ذكرنا آنفًا على حين يعطي مزج ألوان الطيف الشمسي السبعة اللون الأبيض . وهذا جعل الفيزيائيين يقولون: إن الأصبغة تـــتوارى في الأسود على حين تتوارى ألوان الطيف الشمسي في الأبيض. فالألوان الثلاثة (أو الأربعة) الأساسية التي ذكرها الباحث هي من الأصبغة لا من الأشعة. وللألـــوان وطبيعتها بحوث وافية في علمي الفيزياء والكيمياء تُرجِع إليها الباحث. ولكن لابد من أن نشير إلى أن الألوان المتتامّة غير الألوان الأساسية. نسمّي ألوان الطيـــف السبعة ألوانًا أوّلية. فإذا حذفنا منها لونًا ألّفتْ بقيةُ الألوان لونًا جديدًا، فهذا اللون الجديد واللون الإشعاعي المحذوف يُدْعَيَان لونين متتامين لأنهما إذا مُزِجَا كوّنا اللون الإشعاعي الأبيض إذ كلٌّ منهما متمِّمٌ للآخر في إحداث اللون الأبيض الإشعاعي. إن قوانين الألوان الإشعاعية تختلف عن قوانين الموادّ الملونة أو الأصبغة ولابدّ من الأناة والتدقيق عند كل بحث علمي. [المجلة].

(٢) ديوان بشار بن برد (٢/٩١). الحمراء: المرأة الشديدة البياض. كلواذ: اسم منطقة في سواد العراق.

(٣) المصدر نفسه (٢/٣٤٤). الهجان: النوق البيض.

وزينتها، ليشكِّل لوحة جميلة استثنائية، فالقلادة على صدرها مائدة من فضة أو رخام، ألوانها مختلفة، فكأنك ترى الضياء معلقًا فيها، يقول[1]:

كأنّ مَلْقى حَلْيِها فاثورُ   فيهِ ابيضاضٌ وبهِ تَحْميرُ
في خضرةٍ شبَّ لهُ التَّصْفيرُ   كأنَّما نِيطَ بهِا التنويرُ

إن التضاد اللوني الجميل في صورة المرأة؛ البياض المفضَّل بنصاعته، والسواد بأبعاده الجمالية، يُضاف إليه قليل من اللونين الأصفر والأخضر، يعطينا صورة متميزة، وجمالاً لافتًا للانتباه.

ولم ينس الشاعر خدّ المرأة الأبيض حيث أضاف إلى لونه حُمرة، محاولاً أن يصل بها إلى أعلى درجات الجمال «**وكانت فتنة بشار بالأحمر والأصفر في صوره النمطية هذه لا فتنة باللون لذاته، ولكن فتنة بإيحاء اللون ورمزه**»[2]، إنك لا تشعر وأنت تقرأ غزل بشار أنه بصير كفيف، فهو يقوم على البصر والرؤية، شاعر يعرف المرأة وصفاتها بأدق أعضائها، كالرسام الذي يدقِّق النظر، صوره بصرية دقيقة، «**وكأن أذنه المرهفة الحساسة اعتادت أن تلتقط أدق الأشياء فتميزها وتحللها وتستمع بها، وتنقلها في صورة أو في أخرى يستمتع بها الآخرون**»[3]، ولم ينس بشار أن يصف صوت المرأة فهو «**قِطَع الرِّياض**» و«**قِطَع الرّوض**»، يقول[4]:

---

(١) ديوان بشار بن برد (٢/٢٧٠). الفاثور: المائدة من رخام أو فضة، التنوير: الضياء.

(٢) الصورة البصرية في شعر العميان، عبد الله الفيفي، ط١، النادي الأدبي، الرياض، ١٩٩٦، ص (١٠٥).

(٣) الصورة الفنية في شعر بشار. ص (١٨٩).

(٤) ديوان بشار بن برد (١/٥٨).

وحديـــثٌ كأنَّـــهُ قِطَـــعُ الـــرَّو ضِ زهـــتْهُ الصّـــفْراءُ والحمْـــراءُ

ويقول(١):

وكـــأنَّ رَجْـــعَ حَديـــثِها قِطَـــعُ الـــرِّياضِ كُســـينَ زَهرْا

«فهو يصغي إليه – الحديث – أصواتًا مسموعة ثم يتصوره ألوانًا منظورة، فيها الصفراء والحمراء، وأصباغ المطارف والأزهار والثمار»(٢).

لقد كان استخدام بشار للألوان في تصوير المرأة متناسبًا ومتناغمًا ومتكاملاً، بياض ممزوج بصفرة وحمرة في نعومة البشرة وملاستها ونقائها، وسواد يضفي على اللوحة الجميلة جمالاً، مفصلاً في وصف الترائب والجيد والثغر والوجه والخد الناعم الأسيل، وسواد في لون العيون والشعر والجدائل والخال والحاجبين، **«فتكرار الشاعر لصفة «بيضاء» ليس تأكيدًا للون صاحبته فحسب، بل هو تأكيد لرغبة الشاعر العميقة التي تفضّل هذا اللون في المرأة التي يحب، إضافةً إلى أن الشاعر أعطى هذه الفتاة صفات أخرى تصوِّر مدى جمالها، فالبياض بحد ذاته لا يشكّل جمالاً إذا لم ترافقه أشياء أخرى»**(٣).

اللـــون والممدوح:

ركّز بشار في المدح على قيمتَي الشجاعة والكرم، وظهر اللون جليًا في تصويرهما، فممدوحه يسوق الموت الأسود لأعدائه، فالموت هو الموت، لكنه

---

(١) ديوان بشار بن برد (٣٩٤/٢). رجع الحديث: صداه.

(٢) مراجعات في الآداب والفنون، عباس العقاد، دار الكتاب العربي، بيروت، بلا، ص (١٢١).

(٣) صورة المرأة في الشعر الأموي، أمل نصير، ط١، المؤسسة العربية للنشر، بيروت، ٢٠٠٠، ص (٧٢).

تحدَّث عن حالة الموت مصبوغة باللون الأسود، ليدلِّل على شدة الموقف، يقول(١):

لــهُ صَــفَدٌ دانٍ وشَــعْبٌ مُؤخَّرٌ وإنْ سِيمَ خَسْفًا قدَّمَ الموتَ أسْودا

لقد كان ممدوح بشار شجاعًا فاتكًا استثنائيًّا؛ حتى ظهر من بين الظلمة الشديدة يدق أعناق الأعداء، يقول(٢):

تفرَّجَتْ ظُلَمُ الظَّلْماءِ عنْ مَلِكٍ منْ هاشِمٍ فَرِسٍ للنَّاكثِ العادِي

«**لقد رأى الشاعر في الأشخاص ذوي القدرة والقوة والنعمة ملجأ له وملاذًا، وتصورهم منقذين له من الزمن وبطشه**»(٣)، وهو عندما يصف جيش ممدوحه في المعركة يصوِّر ظلمة المكان التي تدل على قوة الممدوح، وقوة شكيمته، فهي قوة خارقة واعية، تهب الخير للناس، وتحمل الموت للأعداء، فالنقع (الغبار) فوق رؤوس الأعداء سقف أسود، وكواكبه السيوف البيض القاطعة، فالغبار أسود، والموقعة سوداء، وسوادها مؤلم على الأعداء، ومريح للممدوح، فالسواد والبياض في مثل هذه الصورة تشكيل لثنائية القوة والضعف الذي صنعه الممدوح، يقول(٤):

---

(١) ديــوان بشــار (٢/٩٧). الصفد: العطاء. الشّعب: الجمع. سيم: أصيب. قدّم: جرّع. الخسف: الذل.

(٢) المصــدر نفسه (٢/٣٧). تفرَّجت: انجلت. الفَرِس: من ألقاب الأسد. العادي: الناكث للعهد.

(٣) الــزمن في الشــعر الجاهــلي، عبد العزيز طشطوش، رسالة ماجستير مخطوطة، اليرموك، ١٩٨٦، ص (١٠٦).

(٤) ديــوان بشار (٢/٣٩٧). النقع: الغبار. السقف: يقصد السماء. البيض المباتير: السيوف القواطع.

كأنّما النَّقع يومًا فوقَ أرؤُسِهِمْ سقفٌ كواكبُه البيضُ المباتيرُ

ويطلب الشاعر من ممدوحه أن يتحصَّن بالله وبأسمائه خوفًا من الحاسدين؛ الذين شبههم بالعقارب السود التي لا تنام، ولا تظهر إلا في الخفاء وفي المناطق والأوقات المظلمة، وتلسع دون أن ترى، يقول(١):

أعِيذُكَ بالرَّحْمَنِ مِنْ دَحْسِ حَاسِدٍ ينامُ وما نامتْ بليْلٍ عَقارِبُهْ

وهو في وصفه لشجاعة ممدوحه، يركّز على فعل السيف، والسيف دائمًا من أسرة البطل الممدوح، وكان اللون الأبيض من الألوان التي كانت من المسميات الكثيرة التي استخدمها في مديحه، فالسيوف البيض ظمأى إلى دماء الأعداء، يقول(٢):

ركبْنا لَهُ جَهْرًا بِكُلِّ مُثقّفٍ وَأَبْيَضَ تَسْتَسْقي الدماءَ مَضارِبُهْ

وشبَّه السيوف البيض بإنسان يتعطش لدماء الأعداء، وسيوفه كواكب تلمع في نقع أسود، يقول(٣):

كأنَّ مُثارَ النَّقْعِ فوقَ رُؤُوسِهِمْ وأسْيافَنا ليْلٌ تَهاوَى كَواكِبُهْ

وشبَّه ممدوحيه «بالبيض الحداد» وبها كان حكمهم راسيًا، وأيامهم مكللة بالنصر على أعدائهم، يقول(٤)

كانوا - ولا دِينَ إلاّ السَّيْفُ - مُلْكُهُمُ راسٍ وأيَّامُهُمْ عاديَّةٌ غُلُبُ

---

(١) ديوان بشار (١/١٩٧). الدّحس: الإفساد.

(٢) المصدر نفسه (١/٢٧٣). المثقف: الرمح المقوم. الأبيض: السيف.

(٣) المصدر نفسه (١/٢٧٣).

(٤) المصدر نفسه (١/١٨٧). العاديّة: القوية. غُلُبُ: كثيرة الغلبة. ولا دين إلا السيف: جملة معترضة تمجيد للقوة.

ويقول[١]:

بيـــضٌ حِـــدادٌ وَأَشْـــرافٌ زَبانِيَةٌ يغدُو على مَنْ يُعَادِي الويلُ والحَرَبُ

وجعل الشاعر الممدوحَ يطعم أعداءه ضرب السيوف، «البيض المرهفة»، يقول[٢]:

ويـــا قِـــراهُ العـــدُوَّ مُـــرْهَفَةً بِيضًـــا ويـــا ليـــنَهُ إذا صَـــحِبا

وهو يشبِّه السيوف البيض بنجوم السماء موزَّعة على أفراد الجيش، يقول[٣] :

لُهَـــامٌ كَـــأَنَّ الـــبِيضَ فِي حَجَرَاتِهِ نُجُـــومُ سمـــاءٍ «نورُها» مُتَجَوِّبُ

وإذا صد الملوك الجبابرة عن ممدوحه كان عتابه لهم مرًا بالسيوف البيض، يتجاوز حدود المعقول إلى الحرب والقتل؛ حتى تعود الأمور إلى مجراها، يقول[٤]:

إذا المَـــلِكُ الجَـــبَّارُ صَـــعَّرَ خَـــدَّهُ مَشَـــيْنَا إلَيْـــهِ بالســـيُّوفِ نُعَاتِبُهْ

وسيف الممدوح صقر، وأعداؤه كالحبارى، لا يدفعون عن أنفسهم، ينصتون إذا ما وقعت عليهم سيوفه، يقول[٥]:

مُصيخينَ مِن وَقعِ السُّيُوفِ كأنَّهُمْ خِـــرَابٌ تَـــلوذُ مِنْ صُقور فَلاةِ

---

(١) ديـــوان بشار (١٨٨/١). زبانيَة: جمع زبنية، وهو القوي الشكيمة. الويل: تدل على المصاب الأليم.

(٢) المصدر نفسه (٢١١/١). القِرى: طعام الضيف.

(٣) المصدر نفسه (٢٦٠/١). اللهام: الجيش العظيم. البيض: السيوف. الحجرات: النواحي. متجوّب: موزع.

(٤) المصدر نفسه (٢٧٢/١). صعّر خدّه: مال به عنّا تهاونًا واستكبارًا.

(٥) المصدر نفسه (٤١٢/١). مصيخين: منصتين. الخراب: ذكر الحبارى (طائر).

وسيوفه البيض تلمع بالموت، ويقول[١]:

نَصَــبتْمْ لَهُ البيضَ اللَّوامعَ بالرَّدى وخطِّيَّــةً أخْمَــدْنَ ما كانَ أوْقَدَا

إن هناك علاقة وثيقة بين المحارب/ الممدوح وأداة الحرب/ السيف، فبالسيوف يفوز الممدوح، ويبدِّد الظلام ويقضي على أعدائه، وسيوف الهند التي يستخدمها مرهفة لامعة في ظلام الغبار الدامس. وعلاقة الممدوح بالسيف من صور الشهامة والرجولة والحياة.

ويشكِّل اللون الأبيض عند الشاعر قيمة أخرى هي قيمة الكرم، فالممدوح[٢]:

أغــرُّ أبــلجُ تكفيــنَا مشَــاهِدُهُ في القاعِدِينَ وفي الهَيْجَا إذا رَكِبُوا

وكفُّ الممدوح بيضاء كريمة لكثرة عطائه، يقول[٣]:

وَكَفَــانِي أمْــرًا أبرَّ عَلَى البُخْـــ ـــلِ بِكَــفٍّ محمــودةٍ بيضَاءِ

وأياديه بيضاء على الناس عامتهم وخاصتهم، يقول[٤]:

كَــمْ لَــهُ مِــنْ يَــدٍ عَلَينا وفينا وأيــادٍ بيــضٍ عــلى الأكْفَــاءِ

ويقول[٥]:

---

(١) ديوان بشار (١٠٣/٢). الخطِّيَّة: الرماح.

(٢) ديوان بشار بن برد (١٨٧/١). الأغر والأبلج صفتان لجمال الوجه وبشاشته، هو مضيء الوجه عند لقاء أصحابه، وقاتم على الأعداء في الهيجاء.

(٣) المصدر نفسه (٥٢/١). الكف البيضاء الكريمة كفتني ذل السؤال.

(٤) المصدر نفسه (٥٢/١).

(٥) ديوان بشار (٢٨٨/١). مستمطر اليدين: كريم جواد. العصب: مفردها العصبة، وهي الجماعة.

أغــرُّ مُسْــتَمْطَرُ اليَدَيْــنِ إذَا راحَ عــليْه زُوَّارُهُ عُصَــبَا

وهو بعد ذلك يسقط قيمة الكرم على الوجوه، فممدوحوه بيض الوجوه، كالسيوف الحادة الصقيلة، فبياض وجوههم دليل كرمهم، يقول[١]:

بيــضٌ مصــاليتٌ دونَ ضَــيْمِهِمُ وَغْــرٌ ومــا دونَ سَــيْبِهِمْ وَعِرُ

وهو عندما يشكّل من ثنائيتي الأسود والأبيض قيمتي الشجاعة والكرم، لا ينسى أن يُكمل الصورة بلون آخر جديد جميل يدل على خصب العيش ورغده، وهو اللون الأخضر، يقول[٢]:

نِعْــمَ دُعــاةُ الإمــامِ حِــلْمُهُمُ راسٍ ومَــرْعى جَــنَابِهِمْ خَضِرُ

واستخدم اللون الأسود في معرض الهجاء، مشهِّرًا بالممدوح مشوهًا صورته ولونه، متطاولاً عليه، يشكّل منه لوحة استثنائية مركبة بطريقة مشوّهة، ساخرًا مزدريًا، أظهر الشاعر فيها قدرة فائقة على تصوير بشاعة المهجو، حيث اختار العيون الزرق للوجه الأسود، والعادة أن تكون في الوجه الأبيض، يقول[٣]:

ولِلْــبَخِيلِ عــلى أموالِــهِ عِــلَلٌ زُرْقُ العُيــونِ عــليها أوجُهٌ سُودُ

وهو في جانب آخر يعيّره بلونه الأسود، الذي سبب البلاء للآخرين، يقول[٤]:

(١) ديوان بشار بن برد (٢/٢٨٩). الوغْر: الصعب: الوعِر: السهل.

(٢) المصدر نفسه (٢/١٨٩).

(٣) المصـــدر نفســـه (٢/١٩٢). العلل: مفردها العلة، وهي العذر الذي يتستر خلفه البخيل ليمنع عطاءه.

(٤) ديوان بشار (١/٦٠). فرخ الزنج: يقصد العبد الأسود أبا هشام الباهلي.

أَفَـــرْخَ الـــزِّنْجِ طَـــالَ بِكَ البَلاءُ   وســـاءَ بِـــكَ المُقَـــدَّمُ والـــوراءُ

ويقول[١]:

قُـــلْ لِفَرْخِ الزِّنْجِيِّ: لا تَشْكُ لَيْنًا   وَتَعَـــوَّذْ مِـــنْ شَـــرِّهِ ما استَطَعْتَا

ويستهجن الشاعر على مهجوِّه الأسود أن يغازل الحرائر الشريفات البيض من آل عامر، ويدعوه أن يكفَّ عن هذا الباطل، يقول[٢]:

أراكَ تُجَارِي الغُرّ منْ آلِ عامرٍ   وأنتَ بَهِيمُ اللونِ حَسْبُكَ مِنْ فَنَدْ

ويبدو أن «**طبيعته في الهجاء... كانت أقوى طبائعه**»[٣]، وهو عندما يهجو يكون غضبه كبيرًا، وقد وصف قصيدته بأنها تحرق كاللهب، فاستخدم اللون الأحمر ليتحدث عن حدتها وقوتها، يقول[٤]:

وَلقدْ هَمَمْتُ بِيَحْيَى ثُمَّ أدْرَكَنِي   حِلْمِي فأمْسَكْتُها مُحْمَرَّةً لَهَبَا

واستخدم اللون الأحمر في تشبيه قصيدته بالنار الملتهبة، يقول[٥]:

وَلقد أفأتُ عَلَى سُهَيْل مِثْلَهَا   حَمْراءَ ليسَ لحرِّها تقْتِيرُ

اللـــون والزمن:

شكا الشعراء الليل وطوله وعدم انجلائه، وكان سواد الليل مجالاً واسعًا لتشبيهاتهم، «**والشعراء من الليل أفزع، وإلى النهار أنزع، لأن الليل أجمع**

(١) ديوان بشار (٤١٢/١). احذر شرّي.

(٢) المصدر نفسه (١٧٥/٢). الغرّ: الذي لم تصلُب عوده التجارب. الفند: الكذب. تجاري: تماري.

(٣) بشار بن برد، إسماعيل يوسف، ط١، دار الكتاب العربي، دمشق، ١٩٨٨، ص(٢٢).

(٤) المصدر نفسه (٣١٥/١). يحيى: هو يحيى بن صالح بن علي.

(٥) المصدر نفسه (٣٧٨/٢). سهيل: هو ابن سالم مولى بني سعد. القتر: الغبار.

لأشتات الهموم والفكر، وأجلب لشوارد الأحزان، والذكر»[١]، وتحدَّثوا في الليل عن آلام الحب والبين والفراق، «**والملاحظ أن الشعراء – في هذه الفترة – عنوا بناحيتين مهمتين في تصويرهم الليل: التجسيم والتشخيص، والعناية باللون»**[٢]، والليل هو الزمن الحاضر في شعر بشار، وهو الطبيعة الصامتة، فالليل ثقيل طويل لا يتزحزح، فكأنه أصبح ليلين، يعكس نفسيته. لقد صاغ الشاعر صورته صياغة جمالية بوعي ساهمت في تركيز المعنى وتكثيفه عند المتلقي، وكرَّر معاناته في العجز أمام قوة أعلى منه تتمثَّل في الليل بقدرته غير المحدودة، والليل هو الزمن الذي حُرم الشاعر فيه النوم، تتجلى فيه لحظة الحزن التي لا تنتهي، وهذا الزمن/ الليل جزء من الدهر الذي يُصيب الإنسان في أغلى ما يملك، «**فكلما اشتد إحساس الإنسان بالزمن اشتد إحساسه بالموت، وتجربة الحب تجربة تعيش بلا شك في إطار زمني يشكِّل الزمان عنصرًا أساسيًّا فيها»**[٣]، فكان زمن الشاعر/ الليل الأسود حزنًا وقلقًا وهمًّا، يرقب زواله، فالليل عناء وجهد وتعب، والزمن/ الصبح – عنده – مسرّة وفرح، يقول[٤]:

---

(١) ديـــوان الصـــبابة، شهاب الدين أحمد بن حجلة المغربي، بلا طبعة، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٤، ص (١٠).

(٢) الطبيعة في شعر العصر العباسي الأول، أنور أبو سويلم، ط١، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ١٩٨٣، ص (٧٠).

(٣) الحب والموت في شعر الشعراء العذريين في العصر الأموي، إبراهيم سنجلاوي. ط. مكتبة عمّان، عَمَّان، ١٩٨٥، ص (١٢٦).

(٤) ديوان بشار بن برد (٣٠٦/١). الوصب: الوجع.

آبَ لَيْلي ليتَ ليلي لمْ يَؤُبْ   إنَّما الليْلُ عَناءٌ للوصِبْ

أرْقُبُ الليلَ كأنِّي واجِدٌ   راحَةً في الصُّبحِ منْ جُهْدِ التَّعَبْ

والشاعر العاجز الرافض هو البؤرة في الليل الطويل، تتجلى عنده كل صنوف العذاب، وهو يتذكر عناءه ومعاناته مع المحبوبة؛ التي يبدو أنها لم تكن على وصال معه، يقول[1]:

بهواها طالَ ليْلي   وبِها طالتْ شَكاتي

ويقول[2]:

أبيتُ الليلَ مَحْزونًا   وأغْدو هائمًا صَبًّا

وهو لهذا يخاف أن يأتي زمن الليل المقلق الطويل، ولا يشتهي أن يتكرر، فحركة الليل حركة سلبية سوداوية في نفس الشاعر، تتمدد دائمًا، ولقد «**كان التعبير باللون وسيلة... من الوسائل التي استخدمها الشعراء للإحساس بجمال الليل، أو وحشته أو ظلمته أو انكشافه**» [3]. وقد تكون الألفة بين الشاعر والليل مرتبطة باتصاله بمحبوبته أو عدم ذلك، فبالهجر تنقلب ألفة الليل وحشة، ويصبح ضجرًا وخوفًا ويأسًا، ويكون الزمن ثقيلاً، والشاعر بفعل الزمن/ الليل الأسود يُحرَم النوم، فكأنه ملدوغ، حاله الأ م والخوف والأرق والترقُّب والأنين والاستنجاد والاستعطاف والقلق، إنه مشهد مؤلم استثنائي، يقول[4]:

---

(١) ديوان بشار بن برد (٤١٦/١).

(٢) المصدر نفسه (١٥٢/١).

(٣) الضيعة في شعر العصر العباسي الأول، ص(٧١).

(٤) ديوان بشار بن برد (١٧٢/١). السليم: الملدوغ من حشرة سامة (أفعى أو عقرب).

فَكَـأنَّ لَيْـلَكَ مِـنْ تَذَكُّـرِها لَيْـلُ السَّـليمِ سَـرَتْ عَقارِبُهُ

ويحاول الشاعر أن يواجه الزمن المتمثّل في الليل، يدفعه حبّ فتاة لا يستطيع أن يراها، لإعراضها عنه، يقول[١]:

أساورُ الهَمّ تحتَ اللّيلِ مُجْتَنِحًا قدْ شفَّني قَمَرٌ في السِّتر مَحْجُوبُ

ويقول[٢]:

أساورُ الليل تحت الهمِّ مُجْتنحًا مِنْ طولِ صفْحك عنِّي في أعاجيبِ

وتتطور حال الشاعر/ بؤرة الحدث ليصوِّر قلبه أنه كجناح الطائر الذي يتأجج خفقانًا، فيطول الليل، بسبب ألم الشوق، ويُدْخِل عنصرًا جديدًا على هذا التشكيل الشعري، فلقد أشفق عليه البشر لشدة ما أصابه، فنصحوه ولاموه، لكنه لم يستمع إلى النصح ورفض اللوم، لأن همّه كبير لا يستطيع أن يواجهه أو يسيطر عليه. ويصل ذروة الثورة على هذا الزمن، فيعلو صياحه، فيستنكر طول الليل، الذي لا يتزحزح، وينظر إلى الزمن البعيد المأمول الزمن الأبيض، الصباح الذي يجلو همه، لكنه لا يأتي، فقد أصبح الليل دهرًا لا يفارقه، وليس يطيقه بما فيه، يقول[٣]:

خَليلَيّ ما بالُ الدُّجى لا تَزَحْزَحُ وما بالُ ضَوْءِ الصُّبحِ لا يَتَوَضَّحُ

أضَـلَّ الصَّـباحُ المُسْـتَنيرُ سَبيلَهُ أم الدَّهْـرُ لَيْـلٌ كُلُّهُ لَيْسَ يَبْرَحُ

وقد ظهر الشاعر – أحيانًا – معزّيًا نفسه بصبح قادم، يخفف عليه، ويخاطبها من خلال الآخر، ويطلب منها أن تتحمل، فوراء الليل صباح

(١) ديوان بشار بن برد (١/١٤٢). أساور: أعايش. مجتنحًا: ساهرًا جنح الليل.

(٢) المصدر نفسه (١/١٤٣). الصفح: الإعراض.

(٣) المصدر نفسه (١/٤٦٢).

مشرق، يقول[١]:

قــاسِ الهمــومَ تَــنَلْ بهــا نُجُحَا والـــليل إنَّ وراءَهُ صُـــبُحا

ويطلب من الآخرين أن يحادثوه بما يؤرقه، ويقض مضجعه طوال الليل، لأن هذا يخفف عنه أيضًا، يقول[٢]:

أبيـــتُ الـــلَّيْلَ مَحْـــزونًا وَأَغْـــدو هائِمًـــا صَـــبّا

فـــإنّي لَيْـــسَ لي قـــلبٌ وإنْ كُـــنْتَ تَـــرَى قلْـــبا

فَحَدِّثْـــني بمـــا أدعُـــو كَ طـــولَ الـــلَّيلِ مُنْكَـــبًّا

لقد كانت المرأة شغل الشاعر الشاغل، فهي لا تمنُّ عليه بالرضا، مزاجها متقلب تصله مرة وتقطعه مرات، يقول[٣]:

أمـــاتَ الشَّـــوقُ أَوْصـــالِي وبعـــضُ الشَّـــوقِ تَمْوِيـــتُ

أمَـــا حَسْـــبُكِ أنّـــي مـــنـــكِ طـــولَ الـــلَّيْلِ مَسْبوتُ

وقد يكون الليل عند بشار اقتناصًا للّذة بعيدًا عن أعين الرقباء، «**فالليل في التجربة الشعرية يتلون بانفعالات الشاعر ورؤيته، فيصبح في إطاره النفسي متعدد الألوان والسمات، وذا أوجه متغايرة ومتقلبة، ينسجم وتارات النفس**»[٤]، فهو عندما ينسى، تصفو ليلته ويغيب همه، فتصبح ليلته

(١) ديوان بشار بن برد (٤٥٦/١). النجح: النجاح.

(٢) المصدر نفسه (١٥٢/١).

(٣) المصدر نفسه (٣٥٨/١). الأوصال: المفاصل. المسبوت: الميت.

(٤) الـليل في الشـعر الجاهلي، نوال إبراهيم، رسالة ماجستير مخطوطة، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة اليرموك، إربد، الأردن ١٩٩٧، ص (٦٢).

خمرًا صفاء، يتلذذ فيها بشرب الخمرة، فينسى كل شيء، يقول[١]:

غابَ القذَى فَشَرِبْنا صَفْوَ لَيْلَتِنا   حِبِّيْنِ نَلْهُو ونَخْشَى الواحِدَ الصَّمَدَا

وهو عندما يتوحَّد مع الليل، تغيب المسافة بينهما، فيندغم مع الزمن ويصفو، فكأن ما وعد به نفسه من أن الليل سينجلي ويأتي الصبح قد تحقَّق ولو لليلة واحدة، فيكون الليل لقضاء الحاجة الجميلة، فيصبح كالملوك يعاقر الكأس فينتشي، ويشعر بلذة الحياة ونشوتها، يقول[٢]:

حتَّى إذا الدِّرْياقُ فِينا دَبَّا   وَجَنَّ لَيْلٌ وقضيْنا نَحْبَا

رُحْنا مَع اللَّيْلِ مُلُوكًا غُلْبَا   مِنْ ذا ومِن ذاكَ أصبْنا نَهْبَا

لقد كانت الطبيعة الملهم الأول للشعراء، يستوحون منها تجاربهم الشعرية، وكان الليل من أكثر مفردات الطبيعة التي شكا بشار فيها همه، ففيه يشعر بالغربة والقلق، وفيه تتجدَّد آلامه، فعلاقته بالآخر من خلال الليل تقوم على الخلل، ولهذا رفض الواقع، وظل مهمومًا في ليله الذي قلَّما يفارقه بكل إيقاعاته المتناثرة.

لقد كان ليل بشار سرمديًّا لا يتزحزح، ليلَ عاشق يموج بالهموم، ممزوجًا بالمعاناة، ولا يريد عودته، ولقد تفنَّن في وصف ليل العاشقين، وما يصيبهم من شقاء وقلق، يقول[٣]:

---

(١) ديوان بشار بن برد (٥٣٨/١). كانت ليلته صافية كالخمر.

(٢) المصـــدر نفسه (٨٥/١). الدِّرياق: من أسماء الخمرة. النحب: الحاجة. غُلْبا: أي غلاظ الرقاب منتفخو الأوداج، وقد ارتوينا من كل شيء.

(٣) ديـــوان بشار بن برد (١٩٨/٢). نبا: جفا. الظاعنون: الراحلون. النفاد: الانتهاء. الداجي: الشديد السواد.

نَـبَا بِـكَ خَلْفَ الظَّاعِنِينَ وِسادُ   وَمَـا لَـكَ إلاّ رَاحَـتَيْكَ عِمادُ

لِخَـدِّكَ مِـنْ كفَّيْكَ في كلِّ لَيْلَةٍ   إلى أن تَـرَى وَجْهَ الصَّباحِ وِسادُ

تَـبِيتُ تُـراعِي اللَّيلَ تَرْجُو نَفادَهُ   وليـسَ لِـلَيْلِ العاشِـقِينَ نَفادُ

تَقَـلَّبُ في داجٍ كَـأنَّ سَـوادَهُ   إذا انجـابَ موصـولٌ إليه سوادُ

وفي حديثه عن الزمن يصف الشاعر السَّنَة التي يشوبها قحط وجدب بأنها سنة حمراء، فكان اللون الأحمر راعبًا مخيفًا في نفس البشر، يقول[1]:

حَطُوطٌ إلى قَوْدِ الجِيادِ عَلَى الرَّحَا   وفي السَّنَةِ الحمْراءِ جَمُّ المَوارِدِ

ويتجلى الزمن في شعر بشار في **حديثه عن الشيب**، والشيب في العموم كفيل بتحويل الحياة إلى قطعة من العذاب النفسي والجسدي في آن معًا، لذلك تعلو دومًا نبرة اللهفة إلى الشباب الذي أدبر، والزمن الذي ولى، وقد أظهر – وهو يتحدث عن الشيب – تحسرًا على أيام الشباب، وهذا الإحساس هو الذي لوّن معجمه اللفظي بهذا اللون، وأمام دورة الزمن يكون اللون الأبيض انهزامًا نفسيًا، يعني الذبول والوهن والإحساس بالضعف، والتحسر والتأزم النفسي والإحساس باليأس.

«والزمان يستنزف قوى الإنسان، ويسير بخطاه إلى المستقبل المشوب بالضعف، وعدم القدرة على ممارسة نشاطاته في الحياة كما كان في الماضي، فيتأتى له شعور بأن الزمان يقوده إلى الفناء، وما الشيب إلا نذير ذلك»[2]،

(١) ديوان بشار بن برد (١٤١/٢). الرحى: الحرب. جمّ: كثير. السنة الحمراء: سنة القحط والجفاف. يقود الفرسان في المعركة، وفي سني الجدب كثير الرزق.

(٢) الحـب والموت في شعر بشار بن برد، إبراهيم ملحم، ط١، مكتبة الكتاني للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ١٩٩٨، ص (٦٧).

فالعلاقة بين الزمن والشيب علاقة طبيعية، فالدهر لا يبقى على حدثانه، والزمن لابد أن يؤثِّر في الكائن الحي، حتى يفنيه «**والشيب تحول زمني أكثر عمقًا وقسوة ونفيًا للإنسان**»[١]، فهو يُنذر بالموت، فقد كان الإنسان يعيش الخصب والإشراق والجمال، ونقاء الصورة، والحيوية، وقوة الذهن، وحضور البديهة، وصار مع الزمن يفقد كل شيء تدريجيًّا، حتى الشعر الأسود الجميل يتغير لونه إلى الأبيض، فالسواد هنا جمال وحياة، والبياض موت وفناء وخوف وقهر وضعف وسكينة واستسلام، ومع ذلك يحاول الإنسان أن يقاوم، فالإحساس بالشيب زمن حاضر، والشباب إحساس بالماضي، ولا يتحدث الشاعر عن الشيب إلا بعد أن يصبح هرمًا، يقول[٢]:

عَبْدُ مُنِّي وأنْعِمِي قد مَلَكْتُمْ قِيَادِيَهْ
شابَ رأسِي ولَمْ تَشِبْ وا بَلائِي لِدَاتِيَهْ

والبحث في الماضي هو بحث وراء الشباب بما فيه من حيوية وقوة، ولهذا فبشار يتحسَّر على تلك الأيام، يقول[٣]:

إذا حَسَرَ الشَّبابُ فَمُتْ جَميلاً فَما اللَّذّاتُ إلاّ في الشَّبابِ

ويقول[٤]:

لَمَعَتْ إلَيَّ تَسُومُني لَعِبَ الشَّبابِ وقَدْ طَوَيْتُهْ

---

(١) الزمن في الشعر الجاهلي، ص (٦٧).

(٢) ديوان بشار بن برد (٥٦٠/٢). لداتيه: أترابي.

(٣) المصدر نفسه (٣٥٩/١). حسر: زال وانتهى.

(٤) المصدر نفسه (٣٩١/١). لمعت: برقت وظهرت. تسومني: تعرض عليّ. لعب الشباب: اللهو والهزل. طويته: تركته، هجر لعب الشباب.

ويقول[١]:

فَبِيني كَما بانَ الشّبابُ الذي مضى   وكـــانتْ يـــدٌ مـــنهُ عَليّ فولّتِ

ويقول[٢]:

شـــابَ وقـــد كـــانَ في شَـــبيبتهِ   شَـــهْمًا يَـــبُولُ الرِّئبالُ منْ غَضَبِهْ

ويشكو الشاعر آلام الفراق في شبابه وفي شيخوخته، فهو متشائم حزين، قد غيّر الشيب حياته، وأثّر في نفسيته، فكأنه تاج قد لبسه، لا يستطيع منه خلاصًا، يقول[٣]:

فَيـــا حَـــزَنًا لا أنـــا غِـــرّ مُشَبَّبٌ   نَعِمْتُ ولا في الشَّوقِ إذْ أنا أشَيَبُ

ويقول[٤]:

فَـــغَيّرَ ذاكَ العَيْـــشَ تـــاجٌ لَبِسْتُهُ

وهو يائس بعد أن غزا الشيب رأسه، وأصبح عاجزًا لا ينفعه البكاء، ولا تنفعه الدموع، وهو لهذا يدعو نفسه أن يكفّ ويخلد للسكينة والاستقرار بعد أن كبر وشاب، لأن الزمن لا يعود إلى الوراء، يقول[٥]:

لا تجـــر شـــيبكَ للصِّـــبا فَرَسًـــا   واقعـــدْ فـــإنَّ لِدِيكَ[٦] قدْ قَعَدُوا

---

(١) ديوان بشار بن برد (١/٤٢٤).

(٢) المصدر نفسه (١/١٠٧). شاب: أصبح كهلاً. الشهم: عكس النذل. الرئبال: من أسماء الأسد.

(٣) المصدر نفسه (١/٢٩٩). الغرّ: الشاب. المشيب: الجميل الوجه. لم أنعم بالحب لا في شبابي ولا في مشيبي.

(٤) المصدر نفسه (١/٣٧٧). أراد بالتاج الشيب الذي يكلّل شعر الرأي كالتاج.

(٥) المصدر نفسه (١/٣٧٨).

(٦) جمـــع (لِدَة) لِدات و (لِدُوْن)، وهذه تصير في حالة النصب والإضافة إلى كاف الخطاب: لِدِيْك . [المجلة].

ويذكّر الشاعر المحبوبة التي نفرت منه أنّ كل شيء إلى انقطاع، بعد أن قال فيها «**قد شابَ رأسُكَ في تذكُّرها**»[1]،وبعد أن بكى الشيب «**قلتُ: عينٌ بكتْ من الشَّيب إذ حلّ**»[2]، وبعد أن قال: «**لا تُكْثرنَّ بشَيْبَتي عَجَبًا**» [3]، فإذا نفرت الحسان من الشيب، وودَّعن كل أشيب، فحسنهن لن يدوم، وأحداث الأيام ستُبلي شبابهن، يقول[4]:

فـــإذا هُـــنَّ قـــد نَفَرْنَ منَ الشَيْـــ ب وأوْقَـــدْنَ لـــلوداعِ وَقـــودا
كـــلُّ شـــيءٍ إلى انقِطـــاعٍ مَداهُ وصُـــروفُ الأَيَّـــامِ تُبْلي الجَديدَا

ومع أن اللون الأبيض عند الشاعر في هذا المقام شؤم وقلق وخوف، فقد كانت للشيب إيجابياته، فهو لا يخشى القتل بسبب الهوى لأنه أصبح هرمًا، ومثله لا يُقتَل، يقول[5]:

لا تَخْـــشَ قتْـــلي حينَ شـــبـــ ـــتُ وهـــلْ يخـــافُ الأشْيَبُ

والمتوَّج بالشيب، يقصده الناس لكرمه، ويصبح خبيرًا في الحياة، كريمًا ذا سؤدد شجاعًا مقتدرًا، يقول[6]:

وكـــلُّ مُـــتَوَّجٍ بالشَّـــيْبِ يَغْـــدو طويـــلَ الـــباعِ مُنْـــتَجَعَ الجِنَابِ

---

(١) ديوان بشار بن برد (٢/١٢٣).

(٢) المصدر نفسه (١/٥٢٨).

(٣) المصدر نفسه (١/١٦٧).

(٤) المصدر نفسه (١/٥٣١).

(٥) المصدر نفسه (١/٣١٦).

(٦) ديـــوان بشار بن برد (١/٢٠٦). منتجَعَ الجناب: تنتجعه الناس لكرمه. والجناب: الجهة. طويل الباع: كريم مقتدر.

والشاعر على كرهه للشيب، لا يحب أن يفارقه أحيانًا، فالشيب في بعض حالاته حياة، وفراقه على كرهه موت وفناء، يقول[1]:

الشَّيْبُ كُرْهٌ وَكُرْهٌ أَنْ يُفارِقَنِي   أَعْجِبْ بِشَيءٍ على البَغْضاءِ مَوْدودِ

ويصف الشيب بالغراب الأبيض، يقول[2]:

وصَحَوْتُ مِنْ سُكْرٍ وكنتُ مُوَكَّلاً   أَرْعَــى الحَمامَةَ والغُرابَ الأَبْيَضَا

فعبارة الغراب الأبيض، استعارة تنافرية، فالأصل في البياض أن يكون للجمال والسواد للموت والتشاؤم، لكن الصورة العامة هنا شؤم، الأبيض/ الشيب في الأصل شؤم، والغراب الأسود مثلها.

لقد كان الزمن سببًا في الشيب وهو نذير الموت، ولا يمكن للإنسان أن يعود إلى الوراء، فالبياض إيجابي في أصل دلالته، لكنه هنا نذير شؤم وصورة موت ونهاية.

إن استلاب الشباب أول درجات الموت، عندها يسترجع المرء أمجاد الماضي، وكل حركة في الزمن عند الكائن حركة نحو الموت، والشيب علامة ظاهرة لهذا التغير في حياة الإنسان، وهو محنة يمر بها الناس «**ولذلك نجد أن من وخط المشيب رأسه لا يفتأ يتحسر على الشباب، ويذكر أيامه، ويتمنى عودته... كما أنه يكره الشيب، فهو لا يفتأ يذكره بسوء**»[3].

---

(١) ديوان بشار بن برد (٢/٢٣٧). المودود: المحبوب.

(٢) المصدر نفسه (٢/٤٢٥).

(٣) الزمن في شعر البحتري، الشيب والشباب أنموذجًا، فاطمة محجوب، مكتبة الدراسات الأدبية (٨٠)، دار المعارف، مصر، ص (٨).

الخاتمـــة:

ظهر لي في نهاية البحث أن بشارًا كان مبدعًا في تشكيل الصور الحسية البصرية، واستطاع أن يصل إلى غرضه بقدرة كبيرة، بأداء جيد وبصيرة نافذة، وعاطفة صادقة، وقد استخدم الشاعر أغلب الألوان في شعره، لكنّه غلّب اللونين الأبيض والأسود، فكان البياض في لون المرأة من أكثر الألوان التي أثارت اهتمامه، وسواد الليل وما فيه من هموم كثيرة بسبب الحرمان والفراق والبين طغى على ذهنه أيضًا، فظهر واضحًا كثيفًا في شعره. ولم ينس الشاعر وهو يركّز على قيمتيّ الشجاعة والكرم أن يذكر بياض السيف، وبياض أيدي الممدوح، فالممدوح في الشعر العربي أبيض اللون بياضًا معنويًا. وشكّل هذا اللون عنده صورة نمطية للمرأة والممدوح والسلاح، مثلما كان الأخضر لرغد العيش. والشاعر في كثير من الأحيان يربط البياض بالخوف والحزن والموت، خاصة عندما يتحدث عن الشيب. ويربط السواد بصفات الجمال عند تصويره للمرأة، كوصفه للشعر الأسود والعيون السود والخال.

* * *

المصـــادر والمراجـــع

١- إبراهيم، نوال:

- الليل في الشعر الجاهلي، رسالة ماجستير مخطوطة، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، ١٩٩٧.

٢- بشار بن برد:

- ديوان بشار بن برد، شرح حسين حموي، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٦.

٣- البهبيتي، نجيب محمد:

- تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ودار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٧.

٤- الجادر، محمود عبد الله (الدكتور):

- الأداء باللون في شعر زهير بن أبي سلمى، بحث، مجلة كلية التربية، الجامعة المستنصرية، بغداد، العدد(٢)، ١٩٩٠، ص(٩٠).

- الأداء باللون في شعر سحيم عبد بني الحسحاس. بحث، المورد العراقية، بغداد، المجلد (٢٧)، العدد(٤)، ١٩٩٩، ص(٦٠).

٥- ابن حجلة المغربي، شهاب الدين أحمد:

- ديوان الصبابة. دار ومكتبة الهلال، بلا طبعة، بيروت، ١٩٨٤.

٦- ربابعة، موسى (الدكتور):

- جماليات اللون في شعر زهير بن أبي سلمى، بحث، في كتاب «قطوف دانية» مجموعة بحوث لمجموعة من المؤلفين مهداة إلى الدكتور ناصر الدين الأسد، تحرير عبد القادر الرباعي، المؤسسة العربية، ط٢، ١٩٩٧، ص(١٣٦٠).

٧- سنجلاوي، إبراهيم (الدكتور):

- الحب والموت في شعر الشعراء العذريين في العصر الأموي، ط١، مكتبة عمَّان، عمَّان، ١٩٨٥.

٨- أبو سويلم، أنور (الدكتور):

- الطبيعة في شعر العصر العباسي الأول، ط١، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ١٩٨٣.

٩- طشطوش، عبد العزيز (الدكتور):

- الزمن في الشعر الجاهلي، رسالة ماجستير مخطوطة، قسم اللغة العربية، كلية الآداب جامعة اليرموك، ١٩٨٦.

١٠- عبد الرحيم، أمينة (الدكتورة):

- الضوء، ط٣، دار الطباعة والنشر، مصر، ١٩٧٠.

١١- عبيد، محمد صابر (الدكتور):

- التشكيل اللوني في الشعر العراقي الحديث، بحث، مجلة الأقلام العراقية، بغداد،

السنة ٢٤، ع١١، ١٢، ١٩٨٩، ص (١٦٩).

١٢- العقاد، عباس محمود:

- مراجعات في الآداب والفنون، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٦.

١٣- الفيفي، عبد الله (الدكتور):

- الصورة البصرية في شعر العميان، ط١، النادي الأدبي – الرياض، ١٩٩٦.

١٤- القيسي، نوري حمودي (الدكتور):

- الألوان وإحساس الشاعر الجاهلي بها، بحث، مجلة الأقلام العراقية، بغداد، السنة الخامسة، ج١١، ١٩٦٩، ص (٧٥).

١٥- محجوب، فاطمة (الدكتورة):

- الزمن في شعر البحتري، الشيب والشباب أنموذجًا، مكتبة الدراسات الأدبية (٨٠)، دار المعارف، مصر.

١٦- ملحم، إبراهيم (الدكتور):

- الحب والموت في شعر بشار بن برد، ط١، مكتبة الكتاني للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ١٩٩٨.

١٧- نافع، عبد الفتاح (الدكتور):

- الصورة في شعر بشار بن برد، ط١، دار الفكر، عمان، الأردن، ١٩٨٣.

١٨- نصير، أمل (الدكتورة):

- صورة المرأة في الشعر الأموي، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٠.

١٩- نوفل، يوسف (الدكتور):

- الصورة الشعرية واستيحاء الألوان، دار الاتحاد العربي للطباعة، القاهرة، ١٩٨٥.

٢٠- يوسف، إسماعيل:

- بشار بن برد، أخباره ونماذج من شعره، ط١، دار الكتاب العربي، دمشق، ١٩٨٨.

فهرس أصحاب المقالات في مجلة اللسان العربي

(القسم السادس)[1]

إعداد: أ.عدنان عبد ربه

- أ -

---

(١) نشر القسم الأول في المجلد ٧٦ الجزء الرابع، ونشر القسم الثاني في المجلد ٧٧ الجزء الثاني، ونشر القسم الثالث في المجلد ٧٨ الجزء الثاني، ونشر القسم الرابع في المجلد ٧٩ الجزء الرابع. ونشر القسم الخامس في المجلد ٨٠ الجزء الأول.

- ث -

- ج -

- خ -

- د -

- ذ -

- ر -

- ز -

- س -

– غ –

– ف –

- ن -

- هـ -

- و -

- ي -

معجم مصطلحات الصيدلة والعقاقير

في كتاب القانون لابن سينا

(القسم الثاني والعشرون)(*)

د . وفاء تقي الدين

تُوبَال**

توبال، توبالات	١: ٣٠٧، ٤٤٩/ ٢: ١٩٥
توبال الحديد	١: ٤٤٩/ ٢: ٣٩٥، ٤٨٣/ ٣: ١٧٧
توبال السابورقان، توبال الشابرقان	١: ٣٢٣/ ٣: ١٧٤، ١٧٧
توبال النحاس	١: ٣٢٣/ ٢: ١٢٠، ١٢٦، ١٥٧، ١٧١، ٣٩٥، ٦٢٨/ ٣: ١٧٦، ١٧٧، ١٨١، ١٨٣، ١٨٥، ٢٨٨، ٣٠٦، ٣٠٧، ٤٢٥.

ذكر ابن سينا التوبال في الأدوية المفردة فقال: «توبال: الاختيار: أقواه

(*) نُشِرت الأقسام الواحد والعشرون السابقة في مجلة المجمع (مج٦٧: ص٧٤، ٤٢٨) و (مج ٦٩: ص ٣٤١، ٥٢٥) و (مج ٧٠: ص٧٥، ٣٠٣) و (مج ٧١: ص ٣٠٩، ٦٠٣) و (مج ٧٢: ص ١١٧، ٣٢٣، ٧٤٧) و (مج٧٣: ص ١١٧) و (مج ٧٥: ص ١٥٣) و (مج ٧٦: ص ١٣٥، ٦١١) و (مج ٧٧: ص٥٢٥) ومج (٧٩: ص٧١، ٣٣٣ ، ٦٢٥، ٨٣٧) ومج (٨٠: ص١٦١).

** كتاب ديسقوريدس ٤٠٥ (لابيس)، والملكي ٢: ١٣٣ (توبال النحاس)، ومنهاج البيان ٦٢ ب (توبال النحاس)، ١٣ (توبال الحديد)، والمختارات ٢: ١٨٩، ومفردات ابن البيطار ١: ١٤٥، والمعتمد ٥٥، والشامل ١٤٧، وما لايسع ١٣٢، وتذكرة داود ١: ٩٥، ومعجم الشهابي ٥٩٤، وتاج العروس (تبل)، والمعجم الوسيط ١: ٨٢، وبرهان قاطع ١: ٥٢٧.

توبال الحديد [ثم النحاس][١] وهو ما يتساقط من الطَّرْق عليها. وجميعها مجففةٌ وقد قيل أيضًا فيها ...»

يستنتج من المراجع الطبية واللغوية أن التوبال هو ما يتساقط من المعادن عند طرقها، سواء أثناء استخراجها من معادنها أو أثناء صناعتها، لكن ابن الكتبي خص هذا الاسم بما ينتج من المعادن عند تنقيتها إذ قال في ما لا يسع الطبيب جهله: «توبال: ... هو عبارة عن وسخ الأجسام المتطرقة التي تعلوها عند السبك. لكن قد خص به عند الإطلاق توبال النحاس..» وبالتوبال ترجم الأمير مصطفى الشهابي الاسم الفرنسي Scories de déphosphoration أو Posphate métallurgiques فقال: «هو خبث الحديد أو توبال الحديد أو فصفات الخبث، وهو سماد فصفوري يحصل في صناعة الفولاذ». أما القدماء فاستفادوا من التوبال طبيًا في معالجة القروح الظاهرة ومنعها من الانتشار.

ضبطت توبال في المعجمات بضم التاء، وهي لفظة معرّبة. قال ابن الكتبي وداود الأنطاكي «من الفارسية» وهو في تلك اللغة توبال بالباء العربية وبالباء الفارسية كما جاء في برهان قاطع.

تُوث*

توث	١: ١٦٧، ٤٤٨، ٤٤٩/ ٣: ٣٠٣

(١) ما بين معقوفين من المصورة.

* كتاب ديسقوريدس ١١٩ (موراا)، وكتاب النبات ٧١، والحاوي ٢٠: ١٩٠، والملكي ١: ١٨٨، ٢٠٨ (رب التوث)، ٢: ١٢٠، ٥٩٢ (رب التوث)، ومفاتيح العلوم ١٦٨، والصيدنة ١٢٢، ومنهاج البيان ٦٢ أ، ١٣١ ب (رب التوث) ٢٦٩ أ (ورق التوث)، ومختارات ابن هبل ٢: ١٩٠، ومفردات ابن البيطار: ١: ١٤٢، والمعتمد ٥٣، والشامل ١٣٨، وما لايسع ١٣٠. وتركيب ما لايسع ٥٠ أ (رب التوث)، وحديقة الأزهار ٢٩٧ (٣٢٣)، وتذكرة داود ١: ٩٤. ومعجم أحمد عيسى ١٢١ (١)، ومعجم الشهابي ٤٣٩، والمعجم الموحد ١٣٩، والقاموس واللسان والتاج (توث، توت)، والمعرّبات الرشيدية ١٢٦، ومعجم دوزي ١: ١٥٣، ومجلة المجمع العلمي ٢٣: ٣٣٨ (الألفاظ السريانية ...)، والمعجم الوسيط ١: ٩٠، وبرهان قاطع ١: ٥٢٧. وانظر (فرصاد).

(١) في المطبوع «أدمغة التوث» والصواب من المخطوطات.

جاء في كتاب الأدوية المفردة، في القانون: «توث. الماهية: التوث صنفان أحدهما هو الفرصاد الحلو، وهو يجري مجرى التين في الإنضاج إلا أنه أردأ غذاء وأقل ... وأما المز[1] الذي يعرف بالتوت الشامي فليكن الآن أكثر كلامنا فيه، والفج منه إذا جفِّف قام مقام السماق»

التوت مما ذكره أبو حنيفة في كتاب النبات وغيره في معجمات اللغة

(١) في القانون المطبوع (المر) بالراء تساوت فيه طبعتا رومة وبولاق، وتابعهما بعض المصنفين والصواب ما أثبته بالزاي، ومعناه ما خالط حلاوته حموضة، يريد التوث الشامي المشهور المعروف حتى اليوم، يصنع منه أهل الشام ربًّا، مازلوا يداوون قروح الفم وقلاع الصبيان به، ويتخذون منه شرابًا لذيذًا مرطبًا يشربونه في الصيف.

وكتب المفردات، وهو شجر معروف يسميه العرب الفرصاد. قال ابن الكتبي «إذا أطلق أريد به الثمرة» وله أنواع كثيرة أشهرها الحلو النبطي، والمز الشامي، وهو أكثر استخداماً في الطب وبخاصة ربه الذي ينفع لبثور الفم وأوجاع الحلق. الاسم العلمي لجنس شجر التوت هو Morus، والحلومنه Morus alba، والشامي MORUS MIGRA.

وردت لفظة توث بالتاء المثناة في آخرها، وبالثاء المثلثة، وهو الأكثر في قانون ابن سينا. وقد اختلف اللغويون والمصنفون في أمر الحرف الأخير؛ قال أبو حنيفة توث بالثاء، وقوم من النحويين يقولون توت بالتاء، ولم نسمع به في الشعر إلا بالثاء ، وذلك أيضًا قليل لأنه لا يأتي عن العرب إلا بذكر الفرصاد .. وقد روي عن الأصمعي أنه قال: التوث هو بالفارسية، وهو بالعربية التوت. وقال بعض الرواة: أهل البصرة يسمون شجرته الفرصاد ويسمون الحمل التوث» ونقل عن الجوهري أنه قال: «توت بالتاء ولا تقل التوث بالثاء ..» وفي تاج العروس (توث): «الفرصاد أنكره الحريري في درة الغواص وزعم أنه تصحيف، وقد قلده في هذا جماعة. والصحيح أنها لغة في المثناة حكاها الفارسي وأبو حنيفة .. أقول: لا داعي لكل هذا الجدل فكثيراً ما استبدل العرب التاء بالثاء، وكثيرًا ما اختلفوا في طرق التعريب. واللفظة ليست عربية، والغالب أنها انتقلت إلى العربية والفارسية من الآرامية والسريانية كما جاء في مجلة المجمع العلمي وفي حاشية برهان قاطع.

توثة

توثة ١: ٣٥٨

في كتاب الأدوية المفردة، وأثناء كلام ابن سينا على اللحم وأصنافه وأجود أنواعه

ذكر التوثة، ويريد بها اللحم الرخو من الحيوانات المأكولة، كالغدد مثلاً. وسيأتي تفصيلها إن شاء الله في معجم التشريح.

توتياء*

توتياء	١: ٢٣٧، ٢٤٥، ٣١٠، ٣٧٨، ٣٩٤، **٤٤٣**، ٤٦٩/ ٢: ١١١، ١١٢، ١٢٠، ١٢٩، ١٤٠، ١٤٤، ٣٣٣، ٤٤١، ٤٨٥، ٥٥٤، ٥٥٥/٣: ١٥٤، ١٨٢، ٢٨٨، ٢٩٣، ٢٩٧، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٤.
توتياء أبيض	١: ٤٤٣، ٤٤٤
توتياء أخضر، توتياء خضراء	١: ٤٤٣/ ٣: ١٦٣
توتياء أصفر	١: ٤٤٣، ٤٤٤
توتياء إلى الحمرة	١: ٤٤٣
توتياء رقيق	١: ٤٤٣
توتياء غليظ	١: ٤٤٣
توتياء فستقي كرماني	١: ٤٤٤
توتياء محرَق	١: ٤٣٢

* كتاب ديسقوريدس ٤٠١ (سفوديس)، والحاوي ٢٠: ١٩٤، والملكي ٢: ١٣١، والصيدنة ١٢٠، ومنهاج البيان ٦٢ب، والمختارات ٢: ١٩١، وأقرباذين القلانسي ٣١٦. ومفردات ابن البيطار ١: ١٤٣، ومفيد العلوم ٢٣، والمعتمد ٥٤٠، والشامل ١٤٦، وما لا يسع ١٣١، وتذكرة داود ١: ٩٥، والمعجم الموحد ٦: ١٢٧، ولسان العرب وتاج العروس (توت). ومعجم دوزي ١: ١٥٤ (حجر التوتيا)، والمعجم الوسيط ١: ٩٠، وصحاح المرعشلي ١١٤. وبرهان قاطع ١: ٥٢٩ ومعجم الحيوان ٩٤، ٢٢١.

التوتياء من الأدوية المفردة التي ذكرها ابن سينا في القانون حيث قال: «الماهية: أصل التوتيا دخان يرتفع حيث يخلّص الأسرب والنحاس من الحجارة التي تخالطها والآنك الذي يخالطه. وربما صعّد الإقليميا فكان مصعّده توتيا جيداً، ورسوبه قليميا .. والتوتيا منه أبيض، ومنه أصفر، ومنه أخضر، ،ومنه رقيق، ومنه غليظ، ومنه إلى الحمرة، وهذه كلها تعمل ببلاد كرمان. والهندي غسالة التوتيا يجتمع كالدرديّ تحت الماء الذي يغسله .. والفرق بينه وبين التوتيا، أن التوتيا يصعد، وذلك يبقى أسفل الأمانيق التي يسيل فيها النحاس .. وقيل إن في البحر حيواناً مدوراً صلب الخارج يموت في البحر والأمواج ترمي به إلى الساحل يجعل منه التوتيا، وهو لطيف جداً ..» ثم ذكر من فوائد التوتياء أنه مجفف للقروح، نافع من أوجاع العين ... وغير ذلك.

واضح من كلام ابن سينا السابق، ومما قاله ديسقوريدس ومن نقلوا

عنه أن التوتياء مادة مصنوعة تنتج عند تخليص المعادن وتجمع من الأتانين والأمانيق المستعملة في التخليص، وفي المراجع وصف لطرق الحصول عليها، والفروق بين أصنافها وما يمكن أن يستعاض به عنها من أدوية نباتية وحيوانية تجمع وتحرق. ووصف البيروني في الصيدنة أصنافًا طبيعية معدنية للتوتياء وأخرى صناعية. والظاهر أن المصنوعة لم تكن معروفة في المغرب فاكتفى ابن البيطار في كلامه عليها بنقل أقوال ديسقوريدس وجالينوس. وقال ابن الحشّاء: «توتيا: المعروف منه المعدني ويوجد بالأندلس. وأما الذي ذكره دياسقوريدس وهو المستخرج من تخليص النحاس فغير معروف». أما المراجع غير المغربية ففيها وصف للنوعين كليهما. فقد جاء في الشامل: «توتياء منه معدني، ومنه مصنوع. والمعدني يوجد بسواحل الهند ونحوها. وأما المصنوع فيتولد من دخان مسبك النحاس، وهو الذي يخلص فيه النحاس مما يخالطه من الحجارة والأتربة[1] ونحوها. والمعدنية أنواعها ثلاثة، وألطفها البيضاء، وهي التي يشاهد على ظاهرها كالملح، ثم الصفراء، وهي التي لونها بين الصفرة والحمرة. وأغلظها وأردؤها الخضراء ... وإذا صعّد الإقليميا كان مُصَعَّدُهُ توتياء جيدة ...».

إذا أردنا مقارنة هذه المواد التي وصفها القدماء بمعلوماتنا الكيماوية الحديثة فإننا نقول: التوتياء هي أكاسيد بعض المعادن. وقد جعل الدكتور زهير البابا التوتياء الكرماني مقابلاً لأكسيد الزنك، وذلك في المعجم الذي صنعه لأقرباذين القلانسي.

أما التوتياء الحيواني الذي ذكره ابن سينا فهو حيوان صدفي معروف هو القنفذ البحري ترجمه لوكلير بـ Oursim . وفي معجمات اللغة التوتياء

(١) غامضة في الأصل المخطوط تحتمل قراءة «الأسرب».

معروف وهو حجر يُكتحل به. وهو معرَّب صرح بذلك الجوهري وغيره. قال ابن الكتبي «فارسي معرب عن اسم الدخان»، وفي برهان قاطع[١]: توتيابضم أوله معرب. توتيا (تفس)، وبالفرنسية Tutie. اكسيد الزنك (عن دوزي).

تودري*

تودري	١: ٢٦٧، ٢٨٤، ٤٤٣/ ٣: ٣٥٩
تودران، بودريحان [تصحيف]	٢: ٢٧٩/ ٣: ٣٠٣
تودري أبيض	٣: ٣٢٣، ٣٣٠، ٣٣٩، ٣٥١، ٣٥٣، ٣٥٨
تودري أحمر	١: ٣٥١/ ٣: ٣٢٣، ٣٣٠، ٣٥١، ٣٥٣، ٣٥٨
تودرنج أبيض، تودرنج أحمر	٢: ٥٤٠
بودرنجين أبيض وأحمر	٣: ٣٤٠ [تصحيف. والصواب تودرنجين]
تودريحان	٢: ٥٤٠ [تصحيف. والصواب تودريجان]
تودري بري	١: ٤٤٣
بزر التودري	١: ٤٤٣
بزر التودري البري	١: ٤٤٣

(١) في التعليقات أسفل الصفحة ٥٢٩.

* كتاب ديسقوريدس ٢١٤(اوروسيمن)، ٢٩٦ (ارمينن)، الحاوي ٢٠: ١٨٩ (توذري). ١٩٠ (توذرنج)، والملكي ٢: ١١٠، والصيدنة ١٢١ (توذري)، ومنهاج البيان ٦٢ ب (توذري). والمختارات ٢: ١٨٨، ومفيد العلوم ٢٣، ومفردات ابن البيطار ١: ١٤٣، ومنهاج الدكان ١٨٢. والمعتمد ٥٤، والشامل ١٤٦، وما لايسع ١٣١، وتذكرة داود ١: ٩٤، ومعجم أحمد عيسى ١٧٠ (٦)، ومعجم دوزي ١: ١٥٤، ومحيط المحيط ٦٨ (تدر)، وبرهان قاطع ١: ٥٢٩ (تودرى).

جذر التودري	١: ٤٤٣
أقماع التودري	١: ٤٤٣
ماء التودري	٢: ١٣٥/ ٣: ٢٢٦، ٢٣٠، ٢٣١
ورق التودري	١: ٤٤٣

جاء في كتاب الأدوية المفردة في القانون قول ابن سينا: «تودري. الماهية: قال ديسقوريدس: عشبة شبيهة الورق بورق الفراسيون مربع الجذر وجذره قدر نصف ذراع له أقماع فيها بزر مستطيل أسود، وهذا هو المستعمل من التودري. وأما البري فبزره مدحرج ... ينفع من السرطانات التي ليست بمتقرحة .. ينفع من أورام أصول الأذن .. إذا اكتحل به مع العسل نفع من قروح العين .. يعين على نفث الأخلاط .. ينفع في الباه ..».

هذا الوصف جاء في كتاب ديسقوريدس في كلامه على (ارمينن) وهو نبات آخر غير التودري. أما التوذري، أو التوذرنج بالفارسية، فهو أروسيمن في كتاب ديسقوريدس. والمنافع التي ذكرها ابن سينا في كلامه على التودري هي مجمل ما ذكره ديسقوريدس للنباتين المختلفين اوروسيمن وارمنين. على حين وضح الرازي في الحاوي أن التوذري هو اوروسيمن وكذلك البيروني في الصيدنة[١].

تابع ابنَ سينا في غلطه كل من ابن جزلة الذي أورد في المنهاج ما يشبه كلام ابن سينا دون زيادة أو مناقشة. وابن هبل الذي أضاف قوله: «والذي نعرفه نحن فهو بزر إلى الحمرة صغار جداً مفرطح».

نبه ابن البيطار على الغلط الذي وقع فيه ابن سينا ومن تابعه فقال:

---

(١) هذا إذا نظرت إلى بداية كلامه الوارد في المطبوع. أما إذا قرأت ما جاء في آخر المادة بين معقوفتين، وهو مما تفردت به إحدى مخطوطات الصيدنة فتجد كلام ابن سينا نفسه. وقد نبهت مرات على أن تلك النسخة فيها زيادات منقولة من القانون هي إضافات مقحمة على الأصل. لا أشك في ذلك.

«تودري، ويقال تودرغ أيضًا، وهو البقل المعروف باللبسان.. قال أبو حنيفة امتجارة. قال: وسمعت أعرابيًا يقوِنُ الجارة ويسقط الميم، ولا أدري هل هو من الأول أم لا. ويقال امتجارة بكسر الميم وفتحها[١]. وقال حنين: هو الدواء المسمى باليونانية ارق سمن ونحن معتبون حنينًا في ذلك[٢]. وهذا النبت يعرف ببيت المقدس وما والاها بالامتجارة. وأما الشيخ الرئيس وصاحب المنهاج فغلطا فيه غلطًا فاحشًا وتَقَوَّلا في الماهية على ديسقوريدس مالم يقله. ثم إنهما نسبا إلى هذا الدواء منفعة دواء آخر وهو الذي ذكره ديسقوريدس في الثالثة وسماه باليونانية ارمينن[٣]، وقدذكرته في الألف ... ديسقوريدس في الثانية: اروسيمن[٤] يزرع في المدن، وينبت في البساتين والخرابات، وله ورق شبيه بورق الجرجيرالبري، وأغصان دقاق، وزهر أصفر، وعلى طرف الأغصان غلف شبيهة في شكلها بالقرون دقيقة[٥] مثل غلف الحلبة، فيها بزر صغار شبيهة ببزر الحرف يلذع اللسان ...» والظاهر أن الغلط كان يحيط بهذا الاسم من كل جانب فها هو ذا الكوهين العطار ينبه على خطأ آخر إذ يقول: «تودري أبيض وأحمر. ذكر بعض المفسرين أنه الخشخاش الأبيض والأسود، وليس بصحيح، بل الصحيح أنه من أنواع الرشاد، وأنا رأيته ونقلته عن والدي، وطعمه كطعم الرشاد. ومنه أصفر وأحمر، وقدر بزره قدر بزر الخشخاش مدور إلا أنه أصلب ..» وقد تنبه مؤلفو المفردات بعد تلك الحقبة إلى خطأ ابن سينا وغيره فوصفوا

---

(١) في ما لايسع (اسحاره)، وفي التذكرة (السماره)، وفي معجم أحمد عيسى (اشجارة)، ونص ابن البيطار يؤكد أن في الكلمة ميمًا لكنه لا يمنع أن يكون قد أصابها تصحيف آخر. ولم أجدها بهذا اللفظ في المراجع الأخرى.

(٢) أي في التصحيف البسيط الذي وقع فيه إذ قال ارق سمن بدلاً من أَروسِيمن.

(٣) في الأصل المطبوع ارقينن، وفي باب الألف ارمينس وكلاهما تصحيف.

(٤) في الأصل المطبوع أروسهن وهو تصحيف.

(٥) كذا في المطبوع والأشبه أن تكون «رقيقة».

التودري مثلما وصفه ابن البيطار، لا كما في القانون، لكنهم لم يذكروا خطأ ابن سينا ومن تابعه. وإذا أطلق التودري فإنما المراد به البذور بالذات. والاسم العلمي لنباته هو Sisymbrium officinale.

ورد هذا الاسم في القانون والمراجع الأخرى بلفظ تودري، وتوذري، وتودريج، وتوذريج وهو معرب من الفارسية. وقيل إن عربيته القَصِيصة كما جاء في برهان قاطع، ومعجم أسماء النبات، وزاد البستاني في محيط المحيط بزر الهوة.

تياست

تصحيف. انظر مادة (بناست) التي سبقت في باب الباء من هذا المعجم.

تيادريطوس°

تيادريطوس، بيادريطوس،	٢: ٣٦٦، ٤٦٩، ٥٦٥، ٥٦٦، ٦٠١/ ٣:
تياذريطوس، ياذريطوس	١٤١، ٢٨٤، ٣٤٥، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١١، ٤١٢
تيادريطوس الأكبر	٣: **٣٤٣**
تيادريطوس آخر	٣: **٣٤٤**
تيادريطوس آخر مسهل	٣: **٣٤٤**
تيادريطوس بجوزبوا	٣: **٣٤٤**

هو دواء مركب قديم مشهور. ذكره ابن سينا في أقرباذين القانون في المقالة

° الملكي ٢: ٥٤٧، ٥٤٨ (بيادريطوس)، ومنهاج البيان ٦٥ أ (ثياذريطوس)، وتركيب ما لايسع الطبيب جهله ٢٥ أ (ثياذريطوس)، وتذكرة داود الأنطاكي ١: ٩٨.

الخاصة بالايارجات وذكر فوائده ووضح بالتفصيل مكوناته على أربع نسخ مختلفة بزيادة بعض المفردات أو نقصها، لكنها لا تخرج عن القاعدة العامة في صنع الإيارجات، وهي أن تدق الأدوية المفردة وتسحق وتعجن بالعسل وحده أو بالعسل والماء[١]. وفي القراباذينات نسخ كثيرة لهذا الدواء بعضها مماثل لما عند ابن سينا.

ورد هذا الاسم في القانون بالتاء المعجمة باثنتين، وفي كثير من المراجع الأخرى بالمثلثة ، والذال تعجم وتهمل. قال ابن الكتبي: «ثياذريطوس، ورأيته بخط الأفاضل بالتاء. هذا معجون قديم عُمِل لثياذريطوس الملك اليوناني قبل زمن جالينوس، وهو من الأدوية العظيمة النفع الجليلة الخطر، نافع من برد المزاج وفساده وفساد الكبد والمعدة والطحال والكلى والأرحام والقولنج ويسهل في غير مشقّة ..» وفي تذكرة داود: «ثيادريطوس ملك من ملوك اليونان عمل له هذا المركب فسمي باسمه. قيل إن أول من عمله اندروماخس الثاني، وقيل أبقراط. وهو دواء جيد قديم».

تيس

انظر مادة (ماعز) في باب الميم من هذا المعجم.

تين*

تين. تينات ١: ١٦٣، ١٨٧، ١٨١، ١٨٥، ١٨٨،

---

(١) لمزيد من التفصيل انظر مادة (أيارج) التي سبقت في باب الهمزة من هذا المعجم مج ٧٢ / ص ٧٤٧ .

* كتاب ديسقوريدس ١٢١، وكتاب النبات ١: ٦٩، والحاوي ٢٠: ١٩٧، والملكي ١: ١٨٧، والصيدنة ١٢٣، ومنهاج البيان ٦٣ أ، ومختارات ابن هبل ١: ٢٦٠/ ٢: ١٨٩، ومفردات ابن البيطار ١: ١٤٦ والشامل ١٤٠، وما لايسع الطبيب جهله ١٣٣، وحديقة الأزهار ٢٩٦ (٣٢٢)، وتذكرة الأنطاكي ١: ٩٥، ومعجم الدكتور أحمد عيسى ٨٣ (٤)، ومعجم الشهابي ٢٧٧. والمخصص ١١: ١٣٧، والقاموس واللسان والتاج (بلس، تين)، ومعجم دوزي ١: ١٥٦، ومحيط المحيط وغيره (تين).

---

(١) انظر صنعته في كتاب ديسقوريدس ٣٨٩.

(٢) أي نال المادة البيضاء اللزجة التي تخرج من عنق الثمرة عند قطفها أو من الأغصان الطرية.

لحم التين	٢: ٣٩٧
ماء التين	١: ١٤٦، ١٤٧/ ٢: ٢٣٠، ٢٥٦/ ٣: ٦٩، ١٢٩
ماء رماد التين	١: ٤٣١/ ٣: ١٣٠
ماء رماد حطب التين	٢: ٥١٥
ماء رماد خشب التين المكرر	١: ٤٤٧، ٤٤٨/ ٣: ٢٣٤، ٢٣٥
ماء أغصان التين	١: ٤٤٦
ورق التين، أوراق التين:	١: ٢٨٢، ٤٤٧، ٤٥٠/ ٢: ١٣٥، ٤٣٩، ٤٦٢/ ٣: ١٥٤، ١٧٩، ٢٦٩، ٢٨٤، ٢٨٦
ورق التين الأسود	١: ٤٤٨
ورق التين الطري	١: ٤٤٨
ورق التين المسلوق	٣: ٢٦٦
ورق التين اليابس	٣: ٢٨٤
ورق شجر التين	٣: ١٦٢، ١٧٥

التين من مفردات القانون و لم يصفه ابن سينا لشهرته، بل ذكر خواصه وفوائده فقال: «التين في نفسه له طبع، ولأوراقه ولبنه قوة يتّوعيّة[1]، وإذا لم توجد أوراقه طبخ أغصان البري منه مكسورة مرضوضة، وأخذ ماؤها واتخذت منه عصارة كما تتخذ من سائر الحشيشات. وعقيد التين يشبه العسل في أفعاله. الاختيار: أجوده الأبيض ثم الأحمر ثم الأسود .. الرطب منه حار قليلاً ..» ثم أتم ذكر فوائده الكثيرة التي تستفاد من كل جزء من أجزائه فتفيد في كل أعضاء الجسم البشري.

(١) نسبة إلى اليتّوع. انظر مادة (يتوع) في هذا المعجم.

قال أبو حنيفة في كتاب النبات: «تين: الواحدة تينة، وأجناسه كثيرة برية، وريفية، وسهلية، وجبلية. وهو كثير بأرض العرب. أخبرني رجل من أعراب السراة - وهم أهل تين - قال: التين بالسراة كثير جداً مباح. قال: ونأكله رطبًا ونُزَبِّبه فندَّخره. قال: ومن أجناسه عندنا الجلداسي وهو أجوده، نغرسه غرسًا، وهو تين أسود ليس بالحالك ... وهو من أحلى تين الدنيا .. ومنه القلاري وهو تين أبيض متوسط .. ومنه الطُّبار، وهو أكبر تين رآه الناس أحمر كميت .. ومن أجناسه الفيلجاني .. وهو مدور أسود شديد السواد، جيد الزبيب - يعني بالزبيب يابسه - ومنه الصُّدَّى .. ومنه المُلاَّحيّ .. ومنه الوحشي، وهو ما تباعدت منابته فنبت في الجبال وشواحط الأودية، ويكون من كل لون أسود وأحمر وأبيض، وهو أصغر التين. وإذا أكل جنيًّا أحرق الفم، وهو صادق الحلاوة .. وقال غيره من الرواة: من أجناس التين تين الجُمَّيْز. وشجر التين الجبلي يقال له الحاط. وأخبرني بعض الأعراب أنه في مثل نبات التين غير أنه أصغر ورقًا، وله تين كثير صغار من كل لون .. وهو شديد الحلاوة، يحرق الفم إذا كان رطبًا ..». إذا أطلق اسم التين في كتب الطب فالمراد به الثمرة، كما جاء في ما لايسع الطبيب جهله. والاسم العلمي لهذا الجنس من الشجر هو **Ficus Caracia** من الفصيلة التوتية.

ذكر التين في القرآن الكريم(١)، وذكره ابن سيده في أجناس البَلَس حيث قال: «التين واحدته تينة وهو البلس. وقيل البلس الثمر، والشجر التين».

---

(١) سورة التين ٩٥ .

باب الثاء

ثافسيا*

ثافسيا	١: ٢٣٤، ٢٩٠، ٣٠٢، ٣٣٤، ٣٦٨، ٤٤٥، ٤٥١/ ٢: ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٤٣، ٤٤، ٨٤، ٨٦، ٩٠، ٩٤، ١٦٨، ٢٨٨، ٦٢٦/ ٣: ٢٢٥، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٦، ٢٨٠، ٢٨٢، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٩، ٣٠١، ٣٠٨، ٤٤٠
تافسيا(تصحيف)	٢: ٣٤١
فافسيا	١: ٣٥٨
يافسيا (تصحيف)	١: ٢٩٠
تفسيا	١: ٤٤٥
تفسيا طري	١: ٤٥١
ثافسيا حديث	٣: ٢٦٧
ثافسيا طري	١: ٤٥١
أصل التفسيا	١: ٤٤٥

* كتاب ديسقوريدس ٥٥٩ (ثابسيا)، والحاوي ٢٠: ٢٢٢ (ثفسيا) ٢٢: ٥٨، ٣٤٧ (تفسيا)، والملكي ٢: ١٠٦، ومفاتيح العلوم ١٧٢ (ثفسيا)، والصيدنة ١٠٩ (تافسيا)، ومنهاج البيان ٦٤ أ، والمختارات ٢: ١٩١ (تافسيا)، ومفردات ابن البيطار ١: ١٤٨، ومفيد العلوم ٢٧، ومنهاج الدكان ١٨٢، والمعتمد ٥٧، والشامل ١٤٧، وما لايسع الطبيب جهله ١٣٥، وحديقة الأزهار ٢٩٢ (٣١٨)، وقاموس الأطباء ١: ٢١١ (الثافيسيا)، ومعجم أسماء النبات ١٨٠ (٣). ومعجم دوزي ١: ١٥٦، ومحيط المحيط ٧١ (تفسيا).

أصل الثافسيا	١: ٤٥١
دمعة التفسيا	١: ٤٤٥
دمع الثافسيا	١: ٤٥١
دهن الثافسيا	٢: ٥١٦
دواء ثافسيا	٢: ٢٩٩
ضماد ثافسيا	٢: ٤١٦
طلاء ثافسيا	٢: ٨٦
عصارة تفسيا	١: ٤٤٥
عصارة ثافسيا	١: ٤٥١
قشر التفسيا، قشور التفسيا	١: ٤٤٥
قشر الثافسيا، قشور الثافسيا	١: ٤٥١
قيروطي الثافسيا، قيروطي من الثافسيا	٢: ٢٣٥، ٢٣٦

ذكر ابن سينا هذا العقار في أدويته المفردة مرتين اثنتين. الأولى في فصل التاء المثناة حيث قال: «تفسيا. الماهية: هو صمغ السذاب البري، وقد يقال بالثاء. لا ينتفع إلا بطريه حار جداً .. وإذا أتى عليه سنة ضعف .. منقٍ مسهل منضج .. ينفع من نفث القيح .. في أصله وقشوره ودمعه إسهال .. إذا أكثر منه ضر ..». والثانية في فصل الثاء المثلثة حيث قال: «ثافسيا. الماهية: هو صمغ السذاب البري .. لا ينتفع إلا بطريه .. حار جداً ... إلخ» وكرر فوائده التي شرحها في الموضع الأول. كما تكلم على هذا العقار أيضاً في معرض حديثه عن السموم فقال[1]: «فصل في الثافسيا. هذا هو صمغ السذاب الجبلي وقد يوجد طعمه كطعم

(١) القانون ٣: ٢٢٥.

الباذروج وهو حاد ويُعرِّض مَن شربه لاحتباس كل ما يسيل من السبيلين وبرم اللسان ...» ثم يبين طرق علاج من تضرر به.

أكثر ما قاله ابن سينا في منافع هذا العقار وأضراره مأخوذ عن ديسقوريدس الذي حلى نباته قائلاً: «ثابسيا: استخراج هذا الدواء من ثابسيس الجزيرة لأنه يُظن أن أول ما وجد بها. وهو نبات جملته تشبه النبات الذي يقال له نرثقس[1]، إلا أن ساقه أدق، وورقه شبيه بورق النبات الذي يقال له ماراثن[2]، وعلى أطرافه في كل شعبة أكِلَّه شبيهة بأكِلَّة الشبث، فيها زهر أصفر، وبزر إلى العرض[3] ماهو، شبيه ببزر النبات المسمى نرثقس غير أنه أصغر منه، وأصل أبيض كبير غليظ القشر حريف. وقد يستخرج منه دمعة بأن تحفر حوله حفرة وتشق وتشدخ، أو بأن يحفر حفرة مستديرة وتغطى الحفرة لتبقى الدمعة نقية، وفي اليوم الثاني يؤخذ ما اجتمع من الرطوبة. وقد تستخرج عصارة الأصل بأن يدق ويعصر .. ويجفف في الظل في إناء خزف ثخين .. ومن الناس من يعتصر الورق مع الأصل..» ثم ذكر من فوائد هذه العصارة وأضرارها ما تردد في كتب المفردات بعده. لم يقل ديسقوريدس إن ثافسيا هو صمغ السذاب البري أو الجبلي. ويتبين للباحث أن أحد القدماء أخطأ في ترجمة ثافسيا فتابعه كثيرون منهم ابن سينا. جاء في الحاوي قول مؤلفه الرازي[4]: «تفسيا: أصبت أنه صمغ السذاب البري» ولم يحدد مرجعه، وفي مفاتيح العلوم أيضًا «تفسيا هو صمغ السذاب» أما في الصيدنة المطبوع فلم يُحقق كلامُ البيروني تحقيقًا يعوَّل عليه،

---

(١) هو القنا كما في كتاب ديسقوريدس. قال ابن البيطار وهو الكلخ وهو عند عامة الأندلس القنا.

(٢) هو الرازيانج كما في كتاب ديسقوريدس وكتاب الصيدنة وغيرهما.

(٣) في الأصل الأرض، وما أثبته من مفردات ابن البيطار. وفي النص تصحيفات أخرى مشابهة لم أنبه عليها.

(٤) الحاوي ٢٢: ٥٨.

لكنني آنست من العبارة المضطربة والحواشي التي نقلت بعض ما جاء في النسخ المخطوطة، أنه أحس بالخطأ ونبه عليه.

بعد أن قال ابن سينا في القانون في ثلاثة مواضع إن الثافسيا هو صمغ السذاب، شاع هذا التفسير وتابعه فيه كثيرون من القدماء والمحدثين منهم ابن جزلة في المنهاج، وابن هبل في المختارات، وابن رسول في المعتمد، والبستاني في محيط المحيط. لكن ابن البيطار نبه في مفرداته على هذا الخطأ حيث قال: «تافسيا يسمى بالبربرية ادرياس[1]، وأخطأ من جعله صمغ السذاب ثم نقل أقوال ديسقوريدس فيه، ولم يذكر ابن سينا بخير أو شر، ولم ينقل من كلام المؤلفين بالعربية إلا بعض ما قاله الشريف في مدة بقاء قوة هذا الدواء ومنافعه .. وأيده في هذا أبو المنى العطار الذي قال في منهاج الدكان: «ثافسيا هو الدرياس. وقيل إنه صمغ السذاب البري .. وفحصت عنه فلم أجد للسذاب صمغًا. ويقال إن صمغ السذاب الغربيون، وفحصت عن الآخر، وسألت عنه عبد الله بن البيطار فذكر أن عندهم سذابًا في المغرب يطلع بريًا كبيرًا يرجع مثل الشجر، ولم يتحقق أنه يطرح صمغًا». وتابعهما ابن الكتبي الذي قال في ما لايسع الطبيب جهله: «ثافسيا اسم مشتق من اسم الجزيرة .. وغلط من جعله صمغ السذاب ..» على حين تحاشى كثير من المؤلفين بعد ابن البيطار ذكر صمغ السذاب عند الكلام على الثافسيا، منهم مؤلفو الشامل، وقاموس الأطباء، وتذكرة أولي الألباب .. وجمع ابن الغساني في حديقة الأزهار كل الاختلافات حول هذا الاسم وحققه بقوله: «ثافسيا. شرح الماهية: اختلف الأطباء فيها: قيل إنها عصارة، وقيل إنه صمغ السذاب البري، وقيل صمغ المثنان، وقيل صمغ نوع من الكلخ، وقيل صمغ الدرياس،

(١) وهذا ما أكده ابن الحشاء في مفيد العلوم حيث قال: «ثافسيا هو النبات المسمى بالبربرية الدرياس ...».

وقيل السذاب نفسه. والصحيح أنه نبات له ورق كورق الرازيانج، وساقه مجوفة في غلظ الإصبع الوسطى ملساء خضراء معقدة تعلو نحو الذراعين، في أعلاها إكليل كإكليل الشبث عليه زهر أصفر، وبزر في قدر الكرسنة الصغيرة، وأصل كالسلجمة الطويلة، وهو اللفت المحفور. إذا شدخ خرجت منه دمعة حارة محرقة. فتلك الدمعة هي الثافسيا. وذكر ابن عبدون أن هذا النبات كثير بنواحي فاس، وقد جلب منها إلى قرطبة ..»

الاسم العلمي لنبات الثافسيا هو كما في معجم أسماء النبات Thapsia garganica من الفصيلة الخيمية. ورد اسمه في المراجع بعدة ألفاظ متقاربة هي: ثافسيا، ثفسيا، تافسيا، تفسيا وكلها أشكال من التعريب للاسم اليوناني الذي أفادنا ديسقوريدس أنه مشتق من اسم جزيرة ثابسيس.

ثالافسيس*

ثالافسيس، ثالسفيس ٣: ٣١٢، ٣١٥

ذكر ابن سينا هذا العقار في كتاب الأدوية المركبة مرتين بلفظين مختلفين. الأولى في العقاقير الداخلة في تركيب الترياق الفاروق بلفظ ثالافسيس قال: «وهو الحرف الأبيض». والثانية في تركيب المثروذيطوس بلفظ ثالسفيس قال: «وهو الحرف البابلي». وهذان اللفظان تحريف للاسم اليوناني ثلاسفي Thlaspi وهو نبات طبي وصفه ديسقوريدس في كتابه فقال: «ثلاسفي هو نبات دقيق الورق، طول ورقه إصبع، منبسط على الأرض مشرف الأطراف وفيه شيء من

* كتاب ديسقوريدس ٢١٣ (ثلاسفي)، والحاوي ٢٠: ٢٢٥ (ثلاسفي)، ومفردات ابن البيطار ٢: ١٧ (حرف السطوح وباليونانية بلسفي)، ومنهاج الدكان (تالسفي وبلا شقين) كذا في المطبوع ولعل الثانية تصحيف ثلاسفيس، ومعجم أسماء النبات للدكتور أحمد عيسى ١٠٧ (٩) وانظر (حرف).

رطوبة لزجة، ولـه قلب في وسطه دقيق طوله شبران له شعب يسيرة، وعلى كل ثمر واسع الطرف فيه بزر شبيه بالحرف، شكله على شكل الفلكة كأنه شيء قد عصر من جانبين وله زهر لونه إلى البياض، وينبت في الطرق وعلى الحيطان والسياجات، وبزره حريف مسخن .. وقد يزعم فراطوس أنه يكون منه ضرب آخر يسميه بعض الناس خردلاً فارسياً ..». وما جاء في المراجع الأخرى عما جاء في كتاب ديسقوريدس. الاسم العلمي لهذا النبات هو Lepidium campestris

وردت اللفظة مصحفة بأشكال مختلفة كثيرة في المراجع منها: بلاسفى، تلاسفى، بلاشقين .. إلخ وأقربها إلى اللفظ اليوناني: ثلاسفي

ثالثة ثانية

كثيراً ما يتكرر في الكلام على الأدوية وقواها قول الأطباء ومنهم ابن سينا: يابس في الأولى، حار في الثالثة، رطب في الثانية .. إلخ فسرت هذه المصطلحات في مادة (أولى) التي سبقت في باب الهمزة من معجمنا هذا.

ثجير*

ثجير الافسنتين	انظر مادة افسنتين
ثجير حب البان	انظر مادة بان
ثجير الخل	انظر مادة خل
ثجير العنب	انظرمادة عنب

* كتاب الصيدنة للبيروني ١٢٤، ومفردات ابن البيطار: ١: ٩٦، ومفيد العلوم لابن الخشاء ٢٧، والمعتمد لابن رسول الغساني ٥٧، والشامل ١٥٦، وما لايسع الطبيب جهله ١٣٦، ومعجمات اللغة (ثجر) وشفاء الغليل ٩٠. وانظر مادة (ثفل) في هذا الباب أيضاً.

عرض ذكر الثجير في كلام ابن سينا على بعض العقاقير ولم يحدد المراد به طبياً.

في معجمات اللغة ذكر للثجير معنيان أحدهما خاص والآخر عام. جاء في اللسان: «الثجير ما عصر من العنب وجرت سلافته وبقيت عصارته فهو الثجير. ويقال: الثجير ثفل البسر يخلط بالتمر فينتبذ .. والثجير ثفل كل شيء يعصر والعامة تقوله بالتاء». أما في كتب المفردات فلم يرد إلا المعنى العام. قال ابن الحشاء في تفسير ألفاظ المنصوري: «ثجير كل شيء معتصر هو ثفله الذي يبقى منه بعد العصر». وقال ابن البيطار: «ثجير. اسم لما غلظ ورسب من المعتصرات» هذا هو اصطلاح الأطباء يوافقه ما في القانون.

ضبطت اللفظة بفتح الثاء وكسر الجيم. قيل في المصباح وشفاء الغليل وغيرهما إنه معرَّب ولم يذكر الأصل الذي عُرِّب عنه.

ثَرْب*

ثرب الغنم انظر مادة (ضأن)

تردد اسم الثرب مرات كثيرة في القانون وبخاصة في فصول التشريح. لكنه في هذا الموضع ورد ضمن أخلاط بخور يخرج العقارب فعددته لذلك في العقاقير.

عرف ابن الحشاء في مفيد العلوم الثرب بأنه «اسم عربي للغشاء الشحمي الذي يغطي الأحشاء، قال وتسميه العامة - أي عامة المغرب - الراداء والمنسج. فالأطباء إذًا لم يخرجوا في هذا الاصطلاح عن المعنى اللغوي. جاء في لسان العرب وتاج العروس: الثَرْب شحم رقيق يغطي الكرش والأمعاء وجمعه ثروب

* مفيد العلوم ٢٧، والقاموس المحيط ولسان العرب وتاج العروس ومحيط المحيط (ثرب)، ومعجم دوزي ١: ١٥٨.

في الكثرة وأثرب في القلة. والثرب الشحم المبسوط على الأمعاء والمصارين.

ثريد

ثريد	٢: ٣١٣، ٣٢٦ / ٣: ١٤٣
ثريدة، ثرائد	٢: ٢٩٦، ٤٣٣ / ٣: ٢٧٠، ٣٨٧
ثريدة دسمة	١: ١٧٠

من فنون صنع الطعام وتهيئته الثَرْد وهو أن يُفَتَّ الخبز ثم يبل بمرَق، ويشرف وسط القصعة. وهو عند ذاك ثريد وثريدة وثردة وثرودة.

ذكر ابن سينا الثرائد في أصناف الغذاء التي ينصح بتناولها المرضى والأصحاء مهيأة لكل منهم بما يناسب جسمه وسنه، فحدد أحيانًا صفة المرق الذي يثرد فيه الخبز، وأطلق ذكره أحيانًا أخرى. ولم يستخدم من أسمائه إلا الثريد والثريدة، وجمَعَهما على ثرائد.

ثعلب*

ثعلب	١: ١٠٤، ٤٥١ / ٢: ١٠٤
ثعلب حي أو مذبوح	٢: ٦٢١
جرو ثعلب	٢: ١٠٣
بعر ثعلب	٢: ٥٦٦
خرء الثعلب	٣: ٣١٩، ٣٢٠
رئة الثعلب	١: ٤٣٢، ٤٥١ / ٢: ٢٢١، ٢٢٢، ٢٥٨، ٤١٣

* كتاب الحيوان للجاحظ ٢: ١٨٢، ١٨٣ / ٣: ٣٠٥، ٤٠٦ / ٦: ٢٤، ٣٥٧ وغيرها، والحاوي ٢٠: ٢١٢، والملكي ٢: ١٣٦، ومنهاج البيان ٦٤ب، ١٦٣ب (شحم الثعلب)، ٢٤٨ ب (مرارة الثعلب)، ومختارات ابن هبل ٢: ١٩٣، ومفردات ابن البيطار ١: ١٥٠، والمعتمد ٥٨، والشامل ١٤٩، وما لايسع ١٣٦، وحياة الحيوان ١: ١٥٢، وتذكرة داود ١: ٩٦، ومعجم الحيوان ٢٥٨، ومعجم الشهابي ٥٥٧، ومعجمات اللغة (ثعلب).

(زيت الثعالب) زيت مطبوخ ٢: ٩٠، ٩٩
فيه الثعالب

الزيت الذي يطبخ فيه الثعلب حيًا ١: ٤٥١

شحم الثعلب، شحوم الثعالب ١: ٤٤٠، ٤٥١/ ٢: ١٥٤، ٢٢١، ٤٨٩/ ٣: ١٣٥

طبيخ الضبع والثعلب ٢: ٦٢١

فراء الثعلب ١: ٤٥١

كبده ٢: ٤١٣

مرارة الثعلب ٢: ١٤٠

مرقة الثعلب ١: ٣٥٩

ذكر ابن سينا الثعلب في أدويته المفردة لما فيه من خواص نافعة لبعض الأمراض وبخاصة شحمه. وكذلك ذكرته كثير من كتب المفردات قبل ابن سينا وبعده. وكان التداوي ببعض أجزاء الحيوان أليفًا ووحشيًا أمر شائع في الطب القديم.

الثعلب حيوان بري معروف، صنفه العرب قديمًا في السباع، وهو كما في معجم الحيوان: «من فصيلة الكلاب وعشيرة الثعالب، أصغر من ابن آوى، كث الذنب، والفرق بينه وبين ابن آوى في حدقته، فهي إهليليجية فيه، ومستديرة في ابن آوى..» له أنواع كثيرة واسمه العلمي Vulpes

جاء في اللسان: «الثعلب من السباع معروفة، وهي الأنثى، وقيل الأنثى ثعلبة والذكر ثعلب وثُعْلُبان .. الأزهري: الثعلب الذكر، والأنثى ثُعالة، والجمع ثعالب وثعالٍ ..» قلت: ولم يذكر ابن سينا في القانون إلا الثعلب بلا هاء، وهو

ه مختارات ابن هبل ١٩٤، والمعتمد ٥٨، وما لايسع ١٣٧، وتذكرة الأنطاكي ١: ٩٧، وكشاف اصطلاحات الفنون ١٠: ١٧٤، ومعجمات اللغة (ثعل)، ومعجم دوزي ١: ١٥٩.

عنده مذكر، فقد قال في أثناء كلامه عليه: شحمه .. رئته .. الخ».

ثُفْل*

ثفل	١: ٤٥٠/ ٢: ١٧٣
ثفل البول	انظر بول
ثفل البصل	انظر بصل
ثفل البورق	انظر بورق
ثفل الجلنار	انظر الجلنار
ثفل الخل	انظر الخل
ثفل دهن الزعفران	انظر زعفران
ثفل دهن السوسن	انظر سوسن
ثفل الرمان	انظر رمان
ثفل الزيت	انظر زيت
ثفل طحين السمسم	انظر سمسم
ثفل العدس	انظر عدس
ثفل عصر الزيت	انظر زيت
ثفل الفقاع	انظر فقاع
ثفل الفولاذ	انظرفولاذ
ثفل الناردين	انظر ناردين
ثفل النبيذ	انظر نبيذ

* مختارات ابن هبل ١٩٤، والمعتمد ٥٨، ومالايسع ١٣٧، وتذكرة الأنطاكي ١: ٩٧، وكشاف اصطلاحات الفنون ١: ١٧٤، ومعجمات اللغة (ثفل)، ومعجم دوزي ١: ١٥٩.

الثفل من مداخل الأدوية المفردة في القانون. قال فيه ابن سينا: «ثفل. الاختيار: أجوده ثفل دهن الزعفران الرزين. الطبع: ثفل عصير الزيت في الأول من الحرارة. . الخواص ....» ثفل كل شيء ـ كما جاء في معجمات اللغة ـ هو ما استقر تحته من كدره أو مارسب من خثارته. ويقال الثافل أيضاً، ولم يستخدمها ابن سينا.

بهذا المعنى اللغوي ذاته استخدم ابن سينا كلمة الثفل في كلامه على الأدوية وغيرها، وقد أحلت كلاً على موضعه المناسب من المعجم، كما استخدم مرادفات أخرى له كالثجير..قال الأنطاكي في تذكرته: «ثفل: هو الثجير بعينه إلا أنه أعم» قلت: والعامة تستعمل هذه الكلمة مضبوطة الحركات إلا أنها تبدل الثاء المثلثة تاء بنقطتين فعلَها في عامة الألفاظ التي تقع فيها الثاء كالثوم والأنثى والإرث وغيرها.

ثَلْج°

ثلج	١: ٩٢، ١٠٠، ١١٦، ١٢١، ١٩٨، ١٩٩، ٢٢٠، ٤٥٠/ ٢: ١٤٨، ٢٧٩، ٣١٠، ٣٤٠، ٣٤٤، ٤٤٥، ٤٣٨، ٦٠٣/ ٣: ١٤، ٣٠، ١٧٠، ٢٢٠، ٢٢٤
يُثَلَّجُ (الدواءُ)	١: ١١٩
ماء الثلج	١: ١٨٥، ٤٥٠/ ٢: ١٦٧، ١٨٣، ٢٠٧،

° الحاوي ٢٠: ٢٢٥، والملكي ١: ٢٠٢، والصيدنة ١٢٥، ومنهاج البيان ٦٤ب، والمختارات ٢: ١٩٣، ومفردات ابن البيطار ١: ١٥٠، والمعتمد ٥٩، والشامل ١٤٩، وما لايسع ١٣٧، وتذكرة الأنطاكي ١: ٩٧، وقاموس الأطباء ١: ٨٣ ،ومعجمات اللغة (ثلج). وانظر مادة (جمد).

٢٠٨، ٢٧٠، ٢٧٩، ٣٢٨، ٤٠٨/ ٣: ٢٢٠، ٢٢٣، ٢٢٤، ٣٧٢

جاء في أدوية القانون المفردة قول ابن سينا: «ثلج: الخواص: رديء للمشايخ. ماء الثلج يسكن وجع الأسنان .. الثلج ضار بالعصب .. ضار بالمعدة»

كذلك ذكرته سائر المراجع الطبية فتكلمت على فوائده ومحاذيره، وبعضهم تكلم عليه في أثناء الحديث عن الماء وأنواعه. عرفه البيروني بقوله: «هو ماجمد من ماء السحاب عند سقوطه على الأرض أو بعد سقوطه عليها» لكن من تلاه من الأطباء ميزوا بين أصنافه، كمؤلف الشامل الذي قال: «إن الثلج سحاب قد حدث له جمود قبل استحالة ما فيه من الأجزاء البخارية ماء ويخالف الجَمَد والبَرَد في أن كل واحد منهما فإن جموده قد عرض له بعد أن كان ماء فإن جرم الثلج متخلخل بخلاف الجمد والبرد، مع أن السبب المجمد للثلج أشد وأقوى كثيراً من السبب المجمد للبرد، ولذلك فإن البرد يحدث في الربيع والخريف وفي البلاد الحارة. والثلج ليس كذلك ..» وهكذا حرص المتأخرون على التمييز بين أصناف الثلج. وقد استفاد الأنطاكي من كلام الذين سبقوه فحاول تعريف الثلج تعريفًا علميًا حيث قال: «الثلج هو ما تصاعد من البحر إلى كرة الزمهرير ليكون مطراً فتتعاكس عليه الرياح الباردة فينعقد ويسقط في البلاد البعيدة عن الشمس إما مبندقًا ويعرف بالبرد اصطلاحًا، أو كالدقيق ويخص باسم الثلج، وأما الجليد فغيرهما ..».

لم تحفل معجمات اللغة بالتمييز بين هذه الأصناف، واكتفت بالقول: «الثلج الذي يسقط من السماء معروف» واصطلاح ابن سينا في القانون أقرب إلى الاصطلاح اللغوي العام.

عَلاَّمة الشام

الأُستاذ أحمد راتب النَّفَّاخ

(١٣٤٦/ ١٤١٢هـ- ١٩٢٧/ ١٩٩٢م)

د. حسين جمعة

١- رسم الفقيد:

فقدنا بموت المرحوم علاَّمة بلاد الشام الأستاذ الشيخ أبي عبد الله أحمد راتب النَّفَّاخ قلّ نظيره من أهل العربية وعلومها، والأدب وفنونه؛ والفكر وشذراته؛ والقرآن الكريم وقراءاته، والحديث الشريف وروايته، والثقافة وآفاقها...

فقد فاجأه الموت - على غير موعد - بعد مكابدة عظيمة مع الحياة التي أوقعته في أزمات صحيَّة، ورمته اجتماعيًا وثقافيًا بأقوام كانوا مدعاة لتوتر مستمر، بل سببًا للاضطراب النفسي الدائم... فغادرنا قبل الأوان في زمن ما نزال نحتاج فيه إليه وذلك صباح يوم الجمعة (١١/ ٨/ ١٤١٢هـ - ١٤/٢/١٩٩٢م) بعد أن أدَّى صلاة الصبح ثم بدأ التلاوة؛ فقرأ ما شاء الله له أن يقرأ من سورة البقرة. ولكن الصوت المرتل لم يلبث أن خفَت وسكت، وهُرع الأهل إلى الطبيب. وبذل الأطباء ما بذلوا فما نجحوا، وكان أمر الله قدرًا مقدورًا فأسلم الروح إلى بارئها راضيًا مرضيًّا. رحمه الله الرحمة الواسعة وأسكنه فسيح جناته»[1].

وشيَّعته أحداق العيون المغرورقة بالدمع؛ وودَّعه الأهل والخلان والأصحاب والأقرباء والجيران، وأهل الحي والطلبة الذين أحبوه، والجموع

الغفيرة من ذوي العلم وشُداته؛ ومن أهل النظر والفكر والأدب ورواته... شيَّعوه جميعهم إلى مقره الأخير في مجنَّة يحتضنها جبل قاسيون الأشم، في غُرة مدن الدنيا دمشق الفيحاء التي أحبها الشيخ وأحبته... وكان لسان حالهم يقول: رحل الشيخ الجليل صاحب القلب الطيب الصافي النقي الذي ما حمل غِلاً يومًا؛ رحل الأستاذ الفاضل الذي خصَّه القاصي والداني بالحفاوة والمهابة والتقدير؛ رحل علاّمة الشام الذي ملأ الدنيا بوجوده علمًا وشرفًا؛ لقد دعته الآخرة فلبّاها؛ وصدق فيه ما يصدق على جميع البشر، وما قاله كعب ابن زهير(٢):

كـــلُّ ابنِ أنثى وإنْ طالَتْ سلامتُهُ   يومًـــا عـــلى آلةٍ حَدْباءَ مَحْمولُ

وقَع القضاء – ولا مهرب لإنسان منه – وحثَت الأيدي التراب على جسد أبي عبد الله المكفَّن بالنبل والطهارة... وغاب الوجه الأبيض الذي زانه التقى والهدى؛ بعد أن كان يلقَاك بالمهابة والوقار، انطفأ نور عينيه الزرقاوين اللامعتين حدة وذكاءً ونشاطًا، والمُفعمتين بالرجولة والدفء، واللتين يعلوهما جبهة شامخة شموخ العربية وعلومها.

وإذا كانت شاهدة القبر التي انتصبت فوق ثراك الطاهر حاملة اسمك الميمون (أحمد) فما نسي طلبتك ومريدوك، وأصدقاؤك الأوفياء رسم قامتك المعتدلة التي انتصبت في جسم مال إلى النُحول في أخريات أيامك.

لقد تركوه وحيدًا مفردًا؛ وقد خلَّف فينا ولده الصغير عبد الله الذي يدرج في مرابع الطفولة وحيدًا، وكان قد حدب عليه عطفًا ورعاية حتى غدا رجلاً في إهاب البراءة، يقرأ من الأسفار ما يعجز الكبار عن مجاراته فيها ونرجو له الله أن يكون وريث عِلْم أبيه في قابل الأيام.

قد يكون التراب حال بيننا وبينك؛ إذ أسدل على جثمانك الطاهر

ستارة كثيفة؛ ولكنه لم يحل بيننا وبين طيفك الذي يشمخ حاضرًا في كل مجلس علم؛ فيحضر حضور الزمن الأبدي، ويتردد اسمك وعلمك في الأفواه وهي تفخر بك... فأنت ملء الأفواه والأسماع؛ إذ طالما فتحت لنا نوافذ الفكر، وتصيَّدت شذرات الأفهام التي لم يقدر عليها إلا أنت... كنت الملجأ والعاصم لنا من القلق والاضطراب والشك والخوف، والتردد والضحالة الثقافية، فإذا حزنًا عليك وبكينا دمًا حُقَّ ذلك فيك، فقد كان فَقْدك عظيمًا؛ كزلزال عنيف، فصدق فيك قول عبدة بن الطبيب في قيس بن عاصم(٣):

فلم يكُ قيس هلكُهُ هُلْكُ واحدٍ ولكنه بُنْيانُ قومٍ تَهدَّما

فالمصاب بك مصاب الأمة؛ ولكن عزاءها أنك خلَّفت فيها سيرة عطرة عظيمة، وتراثًا من الخُلُق والعلم لا تبلى جدته على مر الدهر.

وهنا يفرض عليَّ المقام أيُّها الشيخ الحاضر فينا أبدًا أن أعرض لبعض قبسات من إنسانيتك النبيلة، ثم أعرض لشيء من سيرتك العلمية ومكانتك الفكرية والأدبية... فأثرك باق لا يزول، ومنهجك سنن علمي وضَّاء ماض في الأجيال مُذ أن أصبحتَ مثالاً للعالم الزاهد العصامي المخلص. وكأن الله ما خلقك إلا لذلك مُذ أبصرْتَ النور بدمشق في (١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م) ونشأت في كنف أسرة كريمة تقية تعود بأصولها إلى إحدى أُسَر حوران، ولكنها انتقلت إلى بعلبك؛ ثم رجعت أدراجها فأقامت بدمشق قبل أكثر من مئتي عام ... منذ مطلع القرن التاسع عشر الميلادي على الأقل.

٢- قبس من إنسانيته:

إذا كان لي شرف الكتابة عن الفقيد الأستاذ الشيخ الجليل - رحمه الله وأسكنه فسيح جنانه - وإذا كانت الكتابة نقشًا في الخلود على جدار الزمن،

فما خلودها إلا بخلود ما تحلّى به من كريم الصفات، ودلائل الخيرات، وأريحية المروءة والعطاء، وثبات على المبدأ وإعزاز للقيم والمبادئ في وقت غدت فيه المكانة العلمية والاجتماعية والثقافية مهزوزة مأزومة... صارت العملة الرديئة تطرد العملة الجيدة، وطفقت التقلصات الفكرية عند دعاة العلم والثقافة تتقدم في الوسط المحيط على أنها لون من زناد فكر وقّاد وإبداع عقل صناع.

من أين أبدأ – يا سيدي – في سرد خصالك؛ فالقلم ينزف دمًا وحسرة على فراقك؛ فمداده دمع؛ وخطه على الورق أنين وآهات... إنه محزون كصاحبه؛ وكلاهما يعيش أزمة ثقافية ونفسية بعد رحيلك ؟!!

كنا – يا سيدي – إذا ادلهمَّ الخَطْب، وأطبقت الظلمة على النفوس تدنينا من نفسك حتى نستشعر الحياء من ذواتنا المتضخمة أمام عظمة تواضعك وسموّ روحك... فتهدِّئ روعنا بوجهك الذي يطفح بالطمأنينة، ويتهلّل بالمودة على ما توحي به قسماته الخارجية من شدة وحدَّة وقوة، لكنها ما تحمل إلا الحزم والإرادة، واللّين والرِّقة.

عرفناه بصفاته النبيلة التي ارتفعت على كل الصفات وقد نذر نفسه وروحه للعلم وطلبته؛ لم يبخل يومًا بالنصيحة أو الإرشاد، فكان «النموذج الإنساني الساطع الذي وفّق بين قوله وفعله وحقّق في نفسه مَثَله: أعرض عن مغريات الدنيا، وارتفع عنها. لم يخلبه المال، فعاش في بيت بسيط جدًا في حدود الكفاية التي تصون ماء الوجه. لم يخلّف لأهله إلا هذا البيت الذي كان أبوه خَلَّفه له ، وإلا الكتب التي صحبها، ونذر حياته لها. لم يسعَ إلى منصب، ولم تفتنه المظاهر؛ ولم يقف بباب أحد. وربما جاءه أصحاب الحاجات فقضاها لهم ونسي حاجة نفسه وأهله»(٤).

«كانت البطولة تستثيره؛ فإذا اغتيلت أو أُكرهت بدت له أشد استثارة. من هنا يبلغ عطفه على الفقراء والبائسين وأصحاب الحاجات حدًّا يغفل فيه -كما يفعل المثاليون؛ غالبًا - عن حقائق الواقع». يحكي الدكتور الأشتر قصةً وقعت لهما ذات يوم فيقول: «خرجت في صحبته يومًا من باب الجامعة الكبير في البرامكة، واجتزنا الشارع إلى الرصيف المقابل. فلم ألحظ صبيًّا مستلقيًا عليه يسأل الناس - وقد مدَّ رجلاً تكسوها بقع الدم - ولكن الأستاذ النفاخ لم يشغله عن الصبي شيء. رأيته يندفع إليه؛ وينحني ويسأله عن حاله؛ فشكا إليه الصبي بلهجة منكسرة، ذاب لها قلبه، الفقر والعجز عن دخول المشفى؛ فما أسرع ما ضَرب بيده إلى جيبه فأعطاه؛ ثم لم يكتف؛ فاستوقف سيَّارة أوصى سائقها بحمل الصبي إلى المشفى ودفع له أجره»[٥].

كان لا يبالي في سبيل حق العلم والوفاء للتراث وشرف العربية وأئمتها « أَكثُرَ محبّوه أم شانئوه. فلعلك ترى أستاذًا له قديرًا، أو صديقًا له أثيرًا، أو محبًّا مريدًا قد وَهَت العلائق بينهم وبينه. لم يتحملوا صدعه بالحق الذي يراه، ولم يكن عندهم من الحُجَّة ما يدفعون به قوله؛ فكانوا في مجالسهم يتحدثون عن شدته عليهم، وينسون شدته هو على نفسه. هذه الشدة التي كانت تحول بينه وبين أن يكتب إلا ما يراه صوابًا، بل مَحْض الصواب، ثم لا يبالي من بَعْدُ أَخسر صديقًا أم كسب عدوًّا... فلم يسعَ إلى لقب، ولا طمع في منصب، ولا استخفته شهرة، ولا طرِب لمديح، إنه زهد حتى في مظاهر الحياة؛ فاطَّرح التكلف جملة؛ واستراح من أعبائه. فكنت تراه يستقبل زائريه على أيِّ هيئة اتفقت له. حتى بيته بقي بعد زواجه المتأخر مثال بيت العالم الزاهد»[٦].

وكان – رحمه الله – أقرب إلى الحق من أي رجل آخر؛ فإذا رأى رأيًا وتبيّن له وجه الخطأ فيه رجع عنه معترفًا بذلك على الملأ. فقد حدثني أستاذي الدكتور إحسان النُّص مرة بعد مرة عن ذلك، وآخر حديث جرى بيننا كان يوم الثلاثاء (٤/ ٦/ ٢٠٠٢م) في مكتبه بمجمع اللغة العربية... وإذا كنت وبعض زملائي قد عاينًّا منه ذلك في مناسبات كثيرة – رحمه الله – فإنني أثبت ما أورده في تعليق له على تحقيق (رسالة الغفران) للدكتورة عائشة عبد الرحمن؛ ولاسيما تعليقه على ضبط لفظ (غبًّا) في بيت النابغة[٧]:

كما لقيَتْ ذاتُ الصَّفَا من خَليلها وكانَتْ تَدِيه المالَ غِبّــًا وظاهرَةْ

فقال: «وكانت المحققة ضَبطت (غبًّا) في الطبعة الأولى بكسر الغَين، وذهبتُ في مقالي – اعتمادًا على ما ورد في الديوان ص (٦٢) (طبعة بيروت) – إلى أنها بضمّ الغَيْن؛ ومعناها ما غمض من الأرض. وهذا وَهْم وقعتُ فيه؛ وتابعتني المحققة في طبعتها الجديدة، والصواب أنها بكسر الغين؛ والغِبُّ أن ترعى الإبل يومًا وتَرِد من الغد، والظاهرة أن ترد كل يوم نِصْف النَهار. وقد وردت الكلمتان في حكاية المعري نفسه للقصة ص (٣٥٦)، وشرحتهما المحققة ثمة شرحًا صحيحًا؛ إلا أنها في شرح بيت النابغة تابعتني في الوهم الذي انسقت إليه»[٨].

ومن ثم فالشيخ الجليل على عظمة معارفه لا يبخل بما يراه، ولا يزدهيه ذلك؛ فقد حقّق له علمه ومروءته الصدق مع الذات ومع الآخرين؛ لم يتطاول عليهم يومًا؛ وإذا أخطأ سارع إلى الاعتراف بما كان منه؛ وإذا فاته أمر نبَّه على غفلته كما قال: « فأحببت أن أعرض وجهة نظرْي فيما توقفت فيه على العاملين في هذا المضمار؛ ليدلي بوجهة نظره من عنَّ له رأي فيه... وأضفت إلى هذه النقاط نقاطًا لم أفطن لها فيما مضى»[٩].

وإذا أدام النظر في مسألة ما، و لم يهتد إلى رأي فاصل فيها أسرع إلى الإقرار بعجزه، ثم يعرض أمره على صفحات الورق لعل ذوي الرأي من الباحثين يهتدون إلى رأي فيها، فيقول: « وقد اضطرني إلى ذلك محاولة الكشف عن رجال من رجال الرواية؛ منهم من خفيت حاله، ومنهم من لم أُصب له ترجمة»[١٠].

«والأستاذ راتب إلى ذلك كله وفيٌّ لأساتذته، حفيٌّ بهم، ذاكر لفضلهم متأسٍّ بهم، وطالما سمعناه يثني على علاّمة العصر الأستاذ عبد العزيز الميمني الراجكوتي والأستاذ الشاعر محمد البزم، والعالم الناقد المعروف أمجد الطرابلسي؛ أعضاء مجمعنا؛ والعلاّمة الراوية محمود شاكر، والأديب الكبير شوقي ضيْف»[١١].

فهو شديد الاعتداد والثقة بزملاء له آثرهم وأثنى عليهم وعلى كل من وجد فيه العلم والحق مثل السيد أحمد صقر، وأحمد محمد شاكر؛ وعبد الرحمن الحاج صالح، ونجيب البهبيتي وصبحي الصالح ومحمود الغول وحاتم الضامن وحمد الجاسر وإحسان عباس وعبد الكريم زهور عدي وعبد الهادي هاشم وشاكر الفحام وعبد الكريم اليافي وإحسان النُّص وعبد الكريم الأشتر وغيرهم.

وكذا يذكره أصدقاؤه وأهل الحق بالفضل، وطالما سمعت منهم الثناء عليه؛ والقرين بالقرين مقتد، وها هو ذا الدكتور شاكر يقول: « عرفته في أواخر الخمسينيّات، وأنست بصحبته، وامتدت صداقتنا حتى قضى الله قضاءه، فعرفت فيه الصديق المخلص، الكريم الخلق، الطيب القلب، الصادق الود؛ يسارع في الخيرات، قد نصب نفسه لتلبية قاصديه، ومساعدة طلابه».

ويتابع الدكتور شاكر وصفه لأخلاق الأستاذ: «كان - رحمه الله - على خُلق كريم، وفيًّا لأصدقائه؛ محبًّا لإخوانه، وكان شديد التعلق بالمُثل العليا، والقيم الخلقية، قد أخذ نفسه بها أخذًا شديدًا. وكان صريحًا صُلبًا في

الحق، لم يعرف الهوادة، ولم يرض عن المصانَعَة... كان يحس أنه غريب في دنياه، فهو يحمل همومه، وتَبْهظه أحزانه، ولا يكاد يرى من يبوح له بها. لقد أفردته أخلاقه ومُثُله، وباعدت بينه وبين ما حوله. وكنت حين أراه، وأُحس بما يعتلج في نفسه أُردّد هامسًا قول رسول الله ﷺ: «طوبى للغرباء»[١٢].

ونكتفي بهذه الملامح من قبس إنسانيته الرفيعة، وخلقه النبوي؛ الذي أخذ به نفسه؛ وكأنه يتأسى بخلق رسول الله ﷺ في أهله وبيته، وفي أسرته. فقد استقام على الحق والعدل في كل أمر من أمور حياته؛ فإذا ذُكر الإنسان الحر النزيه الشريف التقي النقي كان صورته؛ وإذا ذُكرت العفة والطهارة كان صميمها؛ وإذا ذُكر الصدق والجد والتفاني في العمل كان عنوانه... جمع المروءة ووعاها.

فالصفحات القليلة السابقة أعجز من أن تحيط بالحديث عن مُثُله وقيمه، ولعل ما يأتي من البحث يبيِّن جملة من فضائله وشيمه الأخرى... علمًا بأن الحديث عن مثله وطباعه يحتاج إلى المزيد من الصفحات. فهو موضوع قائم بذاته.

٣- سيرته العلمية:

إن من حق العلم وتقدير أهله في كل زمان ومكان أن تعترف الأجيال بصنيع المبدعين وتفرُّدهم، فالأستاذ - رحمه الله - وُلد لأسرة من أهل الخير والصلاح؛ وفدت إلى دمشق الفيحاء من بعلبك مع مطلع القرن التاسع عشر، وكانت في الأصل تسكن حوران، وانتقلت لأمر ما إلى بعلبك.

وقد نشأ في كنفها ودرج في مرابع الطفولة، فإذا دخل في السن الرابعة وجّهه أبوه إلى (الكتَّاب) قُرْب مسجد الشيخ محيي الدين بن عربي؛

ثم التحق بمدرسة (الصالحية الابتدائية) في سن السادسة، وقد بدأت ملامح النجابة تظهر عليه في هذا المرحلة. ومن ثم غدا أحد طلاب ثانوية (التجهيز) واسمها اليوم (جودة الهاشمي)، وأصبح واحدًا من أمهر المواهب السنية؛ التي توسَّمها فيه أساتذته؛ ولاسيما أستاذه آنذاك الشاعر محمد البزم؛ إذ رأى فيه النبوغ والتميُّز، وفاخر به، فما خيَّب ظنّه؛ ثم شهد له الأساتذة جميعًا بالعبقرية، أينما حلَّ وذهب، وكذلك عرفه زملاؤه.

وتجلَّت شخصية التلميذ الفذّ في المعهد العالي للمعلمين. فتخرّج بعد أربع سنوات في قسم اللغة العربية لعام (١٣٧٠هـ/ ١٩٥٠م) بتفوق ملحوظ على أقرانه.

ويُعد الأستاذ الدكتور عادل العَوّا - رفيق صباه رحمه الله - من أحسن مَنْ عرفه في هذه المرحلة من الدراسة الجامعية فيصفه بقوله: «وقد بان ولعه؛ بل شغفه باللغة العربية أجلى بيان حين كاد يعزف عن النطق بلغة أجنبية، وكأن لغة الإنسان الحق هي اللغة القرآنية، لغة الصدق واللسان، فترسله سيلاً متدفقًا بصوتك الجَهْوري الذي زيّنه فَصاحةُ وبلاغة المبين»[١٣].

ثم التحق في العام الدراسي (١٩٥٠-١٩٥١م) بكلية التربية في جامعة دمشق (الجامعة السورية آنذاك) فحاز بجدارة شهادة أهلية التعليم الثانوي سنة (١٩٥١م) المعروفة الآن بـــ(دبلوم التأهيل التربوي).

وقد توجَّه في هذه السنة (١٣٧١هـ/١٩٥١م) ميمِّمًا وجهه إلى مواطن جذوره الأولى؛ إلى حوران ومدينتها (درعا) ليكون أحد مدرِّسي ثانوياتها مدة عامين. أعلن فيهما إخلاصه لأصوله، وظهرت فيه روح المربي الفاضل الغيور على الأجيال؛ فرسم لهم صورة مثلى للقدوة الحسنة؛ وللحارس الأمين على تراث الأمة، والمحافظ على لغته الشريفة؛ ولاسيما

حين تصدَّى لمناقشة أول طبعة لرسالة الغفران (١٩٥٠م) بتحقيق د. عائشة عبد الرحمن، فأرسل حين اطلع عليها مقالة يكشف فيها عن الأخطاء التي ندَّت من الباحثة بعد أن أثنى على جهدها، وتوَّجها بمقالة إلى مجلة (الكتاب) المصرية؛ التي نشرتها بدورها في (مج١٠- ج٦) من عام (١٩٥١م). وإذا كانت أُسْرة المجلة قد تصرَّفت في المقالة على نحو ما؛ فإن ما جاء فيها قد أفادت منه المحققة الباحثة في الطبعة الثانية.(١٤)

ومن ثم استقبله قسم اللغة العربية بجامعة دمشق معيدًا لديه (١٣٧٣/ ١٣٧٥هـ -١٩٥٣-١٩٥٥م) ثم أوفده إلى جامعة القاهرة للدراسات العليا، فاستحق فيها درجة الماجستير بمرتبة الشرف سنة (١٣٧٨هـ - ١٩٥٨م). بموضوع دراسة عن الشاعر ابن الدُّمَيْنة وتحقيق شعره. وقد نُشر تحقيق الديوان سنة (١٩٥٩م).

واستقرت به رحلة العلم في القاهرة على يد الأستاذ العلاّمة الدكتور شوقي ضيف – رحمه الله – الذي أشرف عليه مرة أخرى لنيل درجة الدكتوراه. ولمّا كانت همة الشيخ عظيمة وحبه للعربية أعظم؛ ورأى أن أفضل ما يُحقق له رغبته الدراسات القرآنية لأنها أُمُّ الدراسات في العربية اختار موضوعًا في القراءات القرآنية لنيل تلك الدرجة، وانغمس في إعدادها حتى نجز أكثرها، ولكنه بدا له ما بدا؛ فطوى ذلك في سره – إذ شاء الله له ألا يحوزها – فعزم جازمًا على العودة إلى دمشق. ثم حط به المقام فيها سنة (١٣٨١هـ/١٩٦٢م) وانضم إلى أسرة قسم اللغة العربية بجامعة دمشق ليقضي فيه سبعة عشر عامًا حتى سنة (١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م).

وقبل أن يجذبني الحديث عن هذه المرحلة وما بعدها فإن العقل

يستفزه السؤال المحيّر والملغز حول عزوفه عن اللقب العلمي، وإحجامه عنه بهذا الشكل، في حين طمح إليه - ومازال يطمح - كل من هو أدنى منه بكثير، وهو الذي نشر عددًا من البحوث العلمية العالية في تلك المرحلة؛ ومن أمثلتها (القصيدة الصورية) - وقد نُشرت في مجلة معهد المخطوطات العربية (مج٢- ج١- ١٩٥٦م)- وتعليقه المشهور الثاني على الطبعة الثانية لرسالة الغفران (١٩٥٧م) الذي نُشر فورًا في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (مج٣٢- ج٤- ١٩٥٧م) و(مج٣٣- ج١- ١٩٥٨م) في باب التعريف والنقد.

أما لقاؤه أهل العلم والمعرفة في القاهرة فقد كان سمته المفضل؛ إذ جمعته صداقة لا ينحَلّ عراها مع العلاّمة محمود محمد شاكر، وأحمد محمد شاكر، رحمهما الله وغيرهما فضلاً عن شيخه وشيخ العلماء الجهبذ النّحرير عبد العزيز الميمني الراجكوتي الذي أجازه مرتين في رواية الحديث الشريف من الكتب الستة، وموطأ الإمام مالك، وسنن الدارمي، وهي إجازة موصولة بسند متصل برجال الحديث الثقات حتى تنتهي إلى الإمام المحدّث أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، وهي آخر إجازة عن القدماء.

وعلاّمة العصر الميمني (١٣٠٦ - ١٣٩٨هـ/ ١٨٨٨- ١٩٧٨م) أجازه بالرواية عنه في القاهرة المحروسة (منتصف صفر: ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م)، وبخط يده، وكان الميمني قد زار دمشق الفيحاء وكتب له إجازة أخرى. وفي إحداهما يقول: «لقيت الطالب الراغب والشادي الأديب أحمد راتب النفاخ بالقاهرة المحروسة وبمدينة دمشق الفيحاء... إني أجزت له أن يروي عني الكتب الستة الأمهات، وموطأ مالك، وسنن الدارمي، وسنن الدارقطني، وبلوغ المرام، كما أجازني به شيخي ... حسين بن محسن بمدينة دهلي سنة ١٣٢٦هـ»[١٥].

وإذا كان الشيخ قد زهد في الألقاب، وعزف عنها لأنه أخذ نفسه بالإتقان، والكمال؛ فرأى أنه دون ذلك؛ كما يخبرنا عنه الأستاذ الفاضل الدكتور عادل العوا – رحمه الله – صديق عمره الذي يتابع تفسيره لهذه المسألة قائلاً فيه: «وكأنك امتثلت لحديث رسول الله ﷺ: (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه) وكأنك لم ترْض بمقولة الفلاسفة المعاصرين: إن الحياة مشروع وجود ناقص لا يتم إلا بالموت»[١٦].

وهذا أيضًا ما شهد به الأساتذة الأخيار ممن عرفوه، وآخرها شهادة أستاذنا الدكتور إحسان النّص – أطال الله عمره – في لقائي معه – وقد كان الشيخ مدار حديثنا – إذ قال: «لقد كان – رحمه الله – شديدًا على نفسه، أخذها بالكمال – والكمال لله وحده – فأحجم عن اللقب، وطالما حمَّلني الأستاذ الدكتور شوقي ضيف رسالة للأستاذ ودعاه غَير مرة لمناقشة ما لديه من رسالته في القراءات القرآنية، ولكنه لم يستجب. كان – رحمه الله – يشكر ثقة الدكتور شوقي به؛ ويثني على رغبة أصدقائه؛ ولكنه – كما يبدو – بعُدت به السنون عن نيل اللقب العلمي؛ ولم يكن هذا استصغارًا لشأن الدرجة أو أصحابها..»[١٧].

ولعلي أرى في صحبتي المتواضعة لشيخنا أنَّه أخذ نفسه بالكمال والمثال الأرحب للعلم، وحب الإتقان للشيء، وهذا لا مراء فيه، ولكنه في الوقت نفسه كان ذلك الرجل التقي النقي الزاهد الصالح الذي أدرك حقيقة ما كان الأصمعي قد سبقه إليه من قبل، فلما تجلّى عظمة ما يقوم عليه علم القراءات من مسائل وقضايا، وخشي أن يقع في حَرَج ما في وجه من وجوه القول نأى بجانبه عنه؛ تقىً وورعًا؛ كما فعل الأصمعي، واكتفى من العلوم بعلم العربية وآدابها، وكان عزاؤه عن اللقب العلمي ما انتهى إليه من الإجازة برواية كتب الحديث عن

شيخه علاّمة العصر، وما يجده في طلبته الذين منحهم اللقب نفسه على مدرَّج شفيق جبري من كلية الآداب بجامعة دمشق، وفي مريديه الذين يتحلّقون حوله.

وإذا كانت رحلته العلمية قد بدأت في مطلع الخمسينيّات بمدينة (درعا) جنوبيّ سورية فإنها استقرت إلى أمد محدود في جامعة دمشق بين عامي (١٩٦٢- ١٩٧٩م)- ثم انتهى به المقام إلى مجمع الخالدين (مجمع اللغة العربية بدمشق) عضوًا عاملاً بالمرسوم التشريعي للسيد رئيس الجمهورية ذي الرقم (٢٧٩٨) تاريخ (٣٠/ ١٢/ ١٩٧٦م) المتضمن قرار مجلس المجمع في جلسته الأولى بتاريخ (٢/ ٩/ ١٩٧٦م)(١٨).

ومن ثم أُقيم له حفل استقبال سنة (١٩٧٧م)؛ وفي عمله في المجمع كان أحد المبرِّزين علمًا وفكرًا ونظرًا ومنهجًا ودقة في الاجتهاد، وقد أخذته الغَيْرة عليه والعمل على تطويره، كما كان عهدنا به مع اللغة والتراث، فمنحه الجهد والوقت والصحة حتى سعد المجمع من بعد بتسميته رئيس المقررين فيه (١٩٧٩- ١٩٩٢م). وكان له القدح المعلّى في أعمال لجنة الأصول ولجنة المجلة والمطبوعات. وظل هذا دأبه وهو يناقش «بكل الجد والحيوية مشروع خطة جديدة ترسم وجوه نشاط المجمع في المستقبل. وقد شهد الجلسة الأخيرة له في يوم الأربعاء (١٢/ ٢/ ١٩٩٢م) ومن ثم تواعد مع صديق العمر أستاذنا العلاّمة الدكتور شاكر الفحّام - مدَّ الله في عمره وأسبغ عليه ثوب العافية - على اللقاء يوم الأحد للاجتماع في لجنة المجلة والمطبوعات، لكن القدر لم يمهله للوفاء باللقاء، فجاء الأجل المحتوم ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُم لاَ يَستَأخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَستَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف ٧/ ٣٤] وانتهت رحلة خمسة وستين عامًا كان فيها الشيخُ الفارسَ المجلي والعالم الفذ(١٩).

ولذلك كله يشهد الأستاذ العالم الدكتور شاكر الفحام بأن « من أبرز صفاته أنه كان معلمًا، بالمعنى الرفيع للكلمة. فُطر على القراءة والمطالعة، وأحب العربية وعلومها الحبَّ الجمَّ، إنها له لسان وهوية وحياة؛ وقد عبَّر عما يحسه من ذلك بقوله: «آليت على نفسي ألا أعيش إلا لها، ولكتابها العربي المبين»[٢٠].

ومن هنا كان يلتزم العربية المبينة في حديثه، ويبين عن علم واسع وثقافة متنوعة استوعبها ذهن وقَّاد وحافظة فولاذية، ولم نشعر أنا وغَير واحد من أصدقائي إلا أنه أحد أولئك الأئمة الكبار الأثبات، والعلماء الأخيار من القرن الثاني أوالثالث أو الرابع الهجريّ، إلا أن زمانه قد تأخر فَعاش بيننا. وكم كانت الأجيال من الطلبة والمريدين والأصدقاء وأهل العلم محظوظة به؛ بل الأمة كلها.

وفي ضوء ذلك كله أقول في نهاية هذه الفقرة ما قاله الصديق العزيز الدكتور محمد الدالي: «مازال الأستاذ يَنبوع عِلمٍ عِدٍّ، فمنه ما وعته صدور الخاصة من أصحابه وتلامذته، ومنه ما بثّه فيما نشره، وفيما لم ينشره من النصوص، وفيما كتبه من مقالات، ومنه ما قيّده على الكتب التي حوتها مكتبته؛ وذهب بموته علم كثير، فعمل الأستاذ باق إلى يوم القيامة، لا ينقطع حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين»[٢١].

وهذا كله ينقلنا إلى الحديث عن مكانته الفكرية والعلمية.

٤– مكانته الفكرية والعلمية :

لعل استشراف مكانة علاّمة بلاد الشام العلمية والأدبية واللغوية، بله الفكرية كلها يكاد يكون من المحال، فقد كان – ومايزال – نسيج وحده. فقد انغمس في خدمة العربية وعلومها، والأدب وأجناسه وفنونه، وكان من كبار علماء القراءات القرآنية. انغمس في ذلك كله انغماس الصوفي الزاهد في ملذات الحياة

ومتعها، لا نصيب له منها إلا خدمة التراث، وصحبة الكتاب، فيهما فنيت روحه؛ وبعشقهما تعلّق حتى الثمالة، فلم تأخذه ظاهرة المقاهي الثقافية، ولا عادات ريادة النوادي، و لم تستفزه شياطين الشهوة المادية والحسية من هذه الدنيا الفانية، فإذا ما بحثت عنه لن تجده إلا في أربعة أماكن: منزله وشداة العلم، وأصحاب الفكر يحيطون به، أو مكتبه في قسم اللغة العربية؛ أو مكتبه في مجمع اللغة العربية... وقد انكبَّ فيهما على كتاب يقرأ فيه، أو بحث يردد فيه النظر. أما المكان الأخير فهو البحث عن كل جديد في مكتبات دمشق؛ لأنه يرى أن الكتاب نافذته على الذات والمجتمع والتراث والثقافة والكون، وهذا ما يحكيه على مسامعنا الأستاذ إبراهيم الزيبق؛ فيقول: «ومرَّ شهران أو أكثر؛ وطال شوقي إلى الأستاذ ومجالسه، إلا أن الخوف كان يصدّني عن زيارته؛ حتى كان يوم رأيته فيه مصادفة في مكتبة. وما إن وقعت عيناه عليَّ حتى بادرني بالسلام؛ وقال لي متشوقًا: أين أنت ؟ لم أرك منذ زمن. كان في صوته ونظراته هذا الشوق الذي تحس حرارته في أعماق القلب، داريت خجلي؛ وقلت: سأزوركم الليلة؛ إن شاء الله»(٢٢).

أما الأستاذ المفكر عبد الهادي هاشم - رحمه الله - فيقول: «ما زرته في داره مرة إلا وجدت عنده زائرًا من كبار رجالات البحث والتحقيق المعروفين في الشرق والغرب؛ جاؤوا يستفتونه في قضية علمية؛ أو يطارحونه الحديث في مشكلة لغوية؛ يجدون عنده ما لا يجدون عند الكثيرين من المتخصصين المتمرسين»(٢٣).

ويقول الأستاذ الدكتور شاكر الفحام: «كان - رحمه الله - جبلاً راسخًا من جبال العلم؛ قد جعل الكتاب خدينه وأنيسه، فلا تراه إلا قارئًا أو مُقْرِئًا» ثم يستشهد بعبارة للشيخ المفكر المرحوم عبد الهادي هاشم قالها في الأستاذ النفاخ: وقد أتقن «كثيرًا من العلوم التي عرفها السلف، أو استحدثها الخلف؛ وبذَّ الأقران

في فنون منها، انتهت إليه الرياسة فيها في عصرنا هذا في بلدنا هذا: كالقراءات والنحو والبلاغة والعروض واللغة : فقهها وعلمها، وأصبح حجَّة فيها لا ينازعه منازع. هذا إلى أسلوب جزل متميِّز في الكتابة تفرَّد به واشتهر»[٢٤].

ويعترف له الأستاذ الأشتر فيقول: « لو جاز أن نمثِّل لبعض الناس بالكتاب لكان صديقي الأستاذ أحمد راتب النفاخ يكون واحدة من المخطوطات النادرة التي جار عليها الزمان فوقعت فيها خروم وانطمست كلمات، وانقصفت أوراق، ولكنها ظلت حيَّة تحتفظ بقيمتها وتنفرد بحقائقها، فما نجده فيها قد لا نجده في كتاب آخر»[٢٥]. أما أستاذنا الدكتور الفاضل وتاج العلم المبجَّل محمد إحسان النص فيثني على مكانته في البحث العلمي والفكر؛ فيقول: «كان قمة شامخة من قمم البحث العلمي، وكان بحرًا فياضًا في مجال الدراسات الإسلامية واللغوية والأدبية، وكل ما يتصل بالتراث العربي الإسلامي»[٢٦].

فالأستاذ النفاخ تربَّع على عرش العلم والبحث واللغة في زمانه، ولم يجرِ أَحد في حلبته؛ كان بمنزلة السابق، ولم يتراجع قط إلى مرتبة المصلّي أو المجلّي... إليه المورد وعنه المصدر، وهو وحده من يتصيد شوارد الأفكار. وكان له أصدقاء «من كبار العلماء والباحثين في شتى أقطار العروبة والإسلام، وكلهم عرفوا له مكانته العلمية ورسوخ قدمه في علوم العربية؛ والدراسات الإسلامية والقرآنية»[٢٧].

فكم من صديق، أو عدوّ عالمٍ أَقرَّ لك بالفضل والعلم؛ اعترف لك الجميع بقصب السبق؛ وعرفوا عن كثب قدرتك العظيمة على اكتناه الحقائق ومعرفة مفاصل الكلام وتمييز أساليب الناس. وكأنك ورثت هذا كله من علاّمة العصر الميمني؛ والعلاّمة الراوية محمود شاكر، ثم عمَّقته بحدة الذكاء وسرعة الخاطر، ودقة الفهم.

فإذا قرئ عليك كلام ما من دون نسبة عزوته إلى صاحبه، وما خاب حَدْسك في أسلوب ما؛ وأنت القائل: « رابني في هذه النسبة أني لم أحسَّ في الكتاب نَفَسَ ابن القيِّم الذي أعرفه فيما قرأتُ من كتبه، ولا طريقته. ثم رأيت الأستاذ خير الدين الزركلي - رحمه الله - قال في التعليق على ترجمة ابن القيِّم في (الأعلام ٦/ ٢٨١-) وفي (نموذج الشيخ منير ٧٨) نُسب إليه كتاب (أخبار النساء) وهو لابن الجوزي؛ والكتاب أشبه بكتب ابن الجوزي حقًا؛ إلا أن أمر تسميته يحتاج إلى مزيد من التحقيق»[٢٨]. وقلت في تعليقك على تحقيق الطبعة الثانية لرسالة الغفران (سنة ١٩٥٧م): « وما كنت قلته - سنة ١٩٥١ - اجتهادًا قد وجدته مؤخرًا منصوصًا عليه. فقد أورد ابن قتيبة الأبيات - مع خلاف في بعض اللفظ - في المعاني الكبير ص(٣٧٦)»[٢٩].

ويؤكد ذلك أستاذنا الدكتور الأشتر قائلاً : « كان من أقدر الناس على قوة التمثُّل؛ والوقوف على مفاصل الكلام، كما كان يسميها (يعني محاورها الفكرية) وكان يبلغ من العمق في تحليل الكتب أحيانًا ما يصلح لو كتب أن يكون درسًا يقرأ»[٣٠].

ويحدثنا الأستاذ الزيبق عن تجربة له مع الفقيد الراحل فيقول: « كنت آتيه - كعادتي - أصيل كل يوم، أقرع بابه على استحياء، فيستقبلني كعادته بوجه طلق؛ أدخل الغرفة الصغيرة التي باتت أحبَّ إليَّ من بيتي، وأجلس حيث اعتدت أن أجلس فيها، وأنشر أوراقي، وتبدأ جلسة لن أنساها طوال عمري؛ جلسة تعيش فيها لذة اكتشاف المعاني المخبوءة تحت أطلال التصحيف والتحريف وتشهد قراءة للنّص هي إبداع له من جديد. وأذكر مرة أني سهوت في أثناء نسخي لأحد أبيات ابن منير فقدَّمت كلمة على كلمة في البيت. و لم

يخلّ هذا التقديم بوزن البيت ولا بمعناه، ولكن الأستاذ حين تأمّله طويلاً؛ قال لي جازمًا: لو كان قائل هذا البيت شاعرًا حقًا لقدَّم هذه الكلمة على تلك. فوجئت حقًا؛ ولم أجد جوابًا. وحين عدت إلى البيت بحثت عنه في المخطوط فوجدته على الصورة التي اقترحها الأستاذ، وحين خبّرته خبر البيت في اليوم التالي ما زاد على التبسم»[٣١].

ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أسوق حكاية ما وقع لي معه، فقد كنت ذات يوم أراجع مسألة في كتاب (سمط اللآلي) لأبي عبيد البكري؛ فاعتاص علي أمرها وأشكل، واشتد بي الكَرْب لأن الساعة غير مؤاتية لكي أهاتفه، بيد أن جفائي الأعرابي كان أقوى من مدارج الكياسة والمدنيَّة، فإذا بيدي تقع على قرص الهاتف وتحرِّك أرقام هاتفه - على حين كان ألفُ سؤال وسؤال يتردَّد في ذهني من هذا التصرف - ولكنه - رحمه الله - ما إن سمع ندائي حتى تلقاني بقوله: أهلاً يا حسين، أين أنت يا أخانا؟. فإذا به يخفف عني ثقل جبل كان يعلو عاتقي، وزال الحرج، وشفي جرح كَرْبي بكلماته الودية، فكان أشبه بجرَّاح ماهر أبرأ نفسي من سقمها. ودلفت إلى منزله وقت الهاجرة من صيف دمشقي غير معتاد في شدة حرارته؛ وكنت أقطن على مسافة أميال معدودة من منزله في منطقة الجبة من الشيخ محيي الدين؛ على حين بيتي في سفح قاسيون من منطقة ركن الدين، وما إن فتح الباب حتى استقبلني بوجه يطفح بالمسرَّة والترحيب والبشر وكأنه يلقاني أول مرة بعد غيبة طويلة؛ وهو يقول رادًّا عليَّ السلام: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أهلاً يا أخانا؛ تفضَّل يا أخانا، أين أنت يا أخانا؛ لم نرك منذ أمد ؟ ويأخذني المجلس إلى إحدى الأرائك التراثية القليلة في الغرفة الصغيرة، لكنها كانت فسيحة الأرجاء في احتضان شداة العلم

ومحبيه، إنها غرفة أشبه بغرف الزُّهاد والناسكين، ثم أخذ الأستاذ مجلسه على أريكة تعوَّد أن يتخذها لنفسه؛ وهي دون بقية أخواتها؛ فسارعته بالسؤال، باسطًا له قول البكري، ظانًا الظن الحسن بزناد فكري، وبأنني ألفظ كلام البكري على منواله الحق، فإذا به يقاطعني قائلاً: ما هكذا يقول الرجل، وهذا كلام لم أعهده في أسلوبه، ثم ألقى إليَّ كلامًا يعتقد أنه الوجه الصحيح. ومن ثم نهض إلى غرفة مجاورة كانت مخصَّصة للكتب، فإذا بكتاب البكري يستقري كلام الأستاذ، لم يخرم منه حرف، فجاء كما ذهب إليه؛ ثم ذلَّل لي ما كان قد اعتاص عليَّ وشغلني، وبيَّن لي الوجه فيه؛ فغمرني علمًا ورحمة.

لقد سما بالعلم الشريف الأصيل حتى صار مصدره ونبعه، واستقام فيه على منهج الحق والصدق والدقة والشمول والاتساع فكان الكامل فيه؛ ولم تعد صفة (الكَمَلَة) حكرًا على بعض العرب من الجاهليين، كالربيع بن زياد العبسي[٣٢]؛ وكأنه ينطبق عليه قول محيي الدين بن عربي في نظرية الإنسان الكامل، فهو الكون الأصغر[٣٣]:

سـرُّ الوجـود الكبير هـذا الوجود الصغير

فالأستاذ النفاخ كان «واحدًا من علماء العربية الكبار، يكاد يكون لا مثيل له في أوطان العربية الممتدة إلى حيث يقرأ القرآن ويؤذَّن للصلاة» كما قال الدكتور الأشتر[٣٤] .فكم من أجيال متعاقبة تلقَّفت العلم على يديه، وكم من قوافل بعيدة استقرت مطاياها عند عتبات بيته، وصدرت عن منهل علمه نهلاً بعد علل.

لهذا كله فإن فقده لا يمثِّل فقدًا عظيمًا لذويه وأهله وخلاّنه وطلبته ومريديه وأهل العلم والعربية فحسب، بل هو خسارة كبرى أُصيب بها الوطن كله. وقد أحسَّ بهذه الفجيعة أستاذنا الدكتور النص فقال: «لقد فقد

مجمعنا بفقده ركنًا من أركانه الوطيدة، وفقدت الأمة العربية باحثًا محققًا قلَّ نظراؤه في أقطار الوطن العربي»[٣٥].

ولا يفوتني في هذا المقام عدم ذكر ذلك اللقاء الذي جمعني بالأستاذين الفاضلين الدكتور حاتم الضَّامن، والدكتور أحمد مطلوب... فقد التقيت بهما صيف عام (١٩٩٧م) في رحاب جامعة اليرموك؛ في أيام انعقاد مؤتمر النقد الأدبي السابع... وكان الأستاذ علاَّمة الشام مرتكز حديثنا أبدًا؛ كل منهما يقرظه على طريقته بما لا يمكن أن تتسع له الصفحات، سواءً كان ذلك في منهج التحقيق أم سعة العلم؛ وعمق المعرفة؛ أم القدرة على سبر أغوار النَّص التراثي وردّ الأشكال إلى أشكالها...

فكم شعرت بالفخر والاعتزاز؛ لأنك كنت الغائب الحاضر في ذلك المؤتمر مع العديد من الأصدقاء الذين يتسابقون إلى الثناء على قدرك وشخصك.

فإذا كان جسدك قد انقطع من الدنيا فإن ذكرك العطر باق ما بقي الوفاء والصفاء؛ وما بقي أهل العلم ومحبو العربية والتراث.

ولا شيء أدل على أقوالهم من آثارك السنية التي تركتها زادًا لهم ولنا؛ ومن منهجك في التحقيق والبحث العلمي، إنه مدرسة متميِّزة قلَّ أن نجد لها مثيلاً؛ لأنها ربطت بين أصالة التحقيق التراثي، ولم تنفصل عن المعاصرة بكل ملامحها الفكرية البناءة.

وهذا ما سنتحدث عنه فيما يأتي .

٥– آثاره:

ترك الأستاذ النفاخ لنا وللأجيال المقبلة آثارًا على قلتها تدل على إبداع فريد، وفهم رفيع؛ ونقدٍ فذٍّ وجريء... فقد بقي لنا منه «كتب

وفهارس ثمينة، ومقالات ومختارات، ونقول، ورسائل وشروح وتعليقات؛ فضلاً عن كثير مما لم يُطبع منها، وفيها أثره الكبير في القراءات. وهي في جملتها ثروة أدبية ولغوية تبلغ الغاية في الإتقان»[٣٦].

وسبق أن أشرنا إلى أنه – رحمه الله – أخذ نفسه بالكمال، وحبّ الإتقان، ولهذا قَلّ نتاجه من الكتب بين أيدي الناس، وصدق فيه قول العباس بن مرداس[٣٧]:

بُغاث الطير أكثرها فراخًا وأُمُّ الصَّقر مِقْلاتٌ نَزُورُ

وإذا كانت كتبه قليلة العدد، فأفكاره المبدعة لا يحصيها مُحْصٍ، ومريدوه من مشرق الوطن العربي إلى مغربه، وفي العالم كله، ولاسيما الإسلامي، أعظم من أن يعدّوا. ولذا قال الأستاذ النّص: « نهل من معينه الثر المئات من الباحثين، واغترف من مورده الآلاف من الطلاب من أبناء العروبة الذين قرؤوا عليه»[٣٨].

وقد عرف القاصي والداني – كما يقول الأستاذ الدكتور حسني سبح (رئيس مجمع اللغة العربية السابق) – « ما كان للأستاذ النفاخ من خبرة متميِّزة في تحقيق كتب التراث، ومن اطلاع واسع على اللغة... فالأستاذ سلفي المنبت عصري المنهج»[٣٩].

ولم يبخل على صديق، أو غيره بتصحيح ما كان يراه في عمله المحقّق؛ لأنه كان رجل علم وعدل. ولعل حق العلم ووفاءه للتراث وأئمته قد جرّا عليه نقمة عريضة ممن لم يَصْدَعوا للحق؛ على حين كان يرى في تصحيح أخطائهم – رحمه الله – مؤازرة لهم وللعلم ... فلم يكن نقده لأي باحث أو محقّق على وجه التجريح أو الطعن فيه؛ بل كان على وجه الخير في تصحيح كل ما يمكن أن يشوِّه من مصادر التراث، فشِدَّته بل حزمه في هذا المجال إنما

كان منه توجيهًا وتسديدًا لكل عمل؛ ولئلا يتجرأ أحد على إخراج كتاب تراثي قبل استكمال صورة تحقيقه على وجه دقيق وصحيح ...

ولعلي في هذا المقام أُبين ما كان من تعليقه على تحقيق (رسالة الغفران) للدكتورة بنت الشاطئ؛ وقد أذعنت للحق، وأخذت بكل ما عنَّ له من نظرات وآراء؛ لهذا أشاد – رحمه الله – بروح العلم والحق لديها قبل تعليقه وبعده؛ ومما قاله مقرِّظًا إياها: « وكانت المحققة ضَبطت – في الطبعة الأولى – كلمة (شُطَبا) بضم الشين وفتح الطاء؛ وشرحتها بأنها جمع شُطَبة؛ وهي السَّعْفة الخضراء. فصححتُ – في مقالي السابق – ضَبْط الكلمة، وذكرت أنها ينبغي أن تضبط (شُطِبَا) بفتح الشين وكسر الطاء؛ أو بالتحريك؛ بالاعتماد على القاموس المحيط واللآلي ومعجم البلدان؛ وهو اسم جبل. فأصلحت المحقِّقة – في الطبعة الجديدة – الشرح على ما جاء في مقالي؛ على حين أبقت الكلمة في متن الكتاب مضبوطة كالسابق (شُطَبا)»[٤٠]، وحتمًا قد وقع منها هذا سهوًا ...

هكذا تركت نباهته أثرها واضحًا منذ وقت مبكر، سنة (١٩٥٠م) ولم تزد سنه على ثلاثة وعشرين ربيعًا، وإثر تخرجه من الجامعة. ونستدل على هذا من آثاره الآتية ذاكرين الكتب ثم المقالات تبعًا لتاريخ نشرها[٤١]، ومنوِّهين بآثاره المخطوطة .

أولاً – الكتب المطبوعة :

١- النصوص الأدبية: (منهاج شهادة الثقافة العامة في كلية الآداب) بإشراف أحمد راتب النفاخ – مطبعة الجامعة السورية – ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م.

٢- ديوان ابن الدمينة: صنعة أبي العباس ثعلب، ومحمد بن حبيب –

تحقيق أحمد راتب النفاخ - مكتبة العروبة - القاهرة - ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٩م.

وهو جزء من رسالته لنيل درجة الماجستير، ولكنه دلَّ فيه على مقدرة عالية في التقصّي والتحقيق وسعة الاطلاع على مصادر التراث، والاهتداء إلى حل المشكلات العويصة، ومع ذلك فقد أكَّد تواضعه للعلم والعلماء، إذ قال فيه: « وبعد؛ فما أشكُّ أن بين عملي، وما أريده له بونًا بعيدًا؛ وإني لآمل أن أجد من آراء الزملاء الدارسين ممن ينظرون في هذا الديوان ما يعين على استكمال أسباب التحقيق؛ من تقويم عوج، أو تصحيح خطأ، أو تلافي نقص» .

وقد نظروا فيه - من دون شك - فما وجدوا فيه شيئًا يمكن أن يُضيفوه حتى الآن. ولعل اختياره لهذا الشاعر الغزلي ليس لإعجابه به فقط؛ وإنّما لحالة نفسية ذاتية كان يمرُّ بها آنذاك؛ فجعله نافذة له للتعبير عن مشاعره المرهفة دون أن يبوح بمكنون نفسه صراحة... وهذا ما يستشف من حديث خاص للأستاذ الأشتر معه؛ في منتصف ليل صيفي مقمر وهما يمشيان في أطراف دمشق قريبًا من كيوان. فلما كلاّ استراحا تحت شجرة صَفْصاف بجوار نهر يزيد، فجاشت نفسه بالبوح[٤٢].

٣- مختارات من الشعر الجاهلي: اختارها وعلّق عليها أحمد راتب النفاخ - مكتبة دار الفتح - دمشق - ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.

ويعدُّ هذا الكتاب مدرسة في الاختيار الدقيق منهجًا وتحقيقًا واستقصاءً وتعليقًا؛ وإثباتًا للحواشي الدقيقة ... وتدريبًا على نخل الروايات وتصحيحها وإثبات المطلوب منها . وقد أخذ بعض المعاصرين جزءًا ليس باليسير من الكتاب، ووضَعوه في كتبهم حتى نُسب إليهم[٤٣].

٤- فهرس شواهد سيبويه: صنعة أحمد راتب النفاخ – دار الإرشاد/ ودار الأمانة – بيروت – ١٣٨٩هـ/ ١٩٧٠م.

وهذا الكتاب فريد في بابه، فهو من أهم الكتب علمًا وتحقيقًا، وقد تفوَّق فيه على أمثاله من المحققين. إذ نسَّق الشواهد: القرآن فالحديث ثم الشعر، فقرَّب كتاب سيبويه إلى الناس، بصَّرهم بمسائله العويصة؛ وذلَّل لهم الطريق الوعرة، وشذَّب مسالكها(٤٤).

٥- كتاب القوافي: لأبي الحسن الأخفش – تحقيق أحمد راتب النفاخ – دار الأمانة – بيروت – ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

وكان قد هيَّأ هذا الكتاب للطبع على نسخة مخطوطة وحيدة يملكها وحده؛ ومن ثم عَلِمَ بِنِيَّة أحد الباحثين الأفاضل نَشْرَهُ؛ فتلبث وتريث، ثم ظهر كتاب (القوافي) مطبوعًا في وزارة الثقافة بدمشق عام (١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م) بتحقيق الدكتور عزة حسن، نشر نقدًا له في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق في المجلد السابع والأربعين(٤٥)، ثم عقد العزم على نشر الكتاب محقّقًا ومحررًا من كل عيب، فكان في طبعته السابقة .

ومن يرجع إلى طبعة وزارة الثقافة، وإلى طبعة الشيخ الجليل يدرك البون الشاسع بينهما، ففي عمل الشيخ جهد العالم المحقّق المتابع المناظر القابض على مصادر التراث ومعرفة دقائقه وأسراره .

٦- شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف: لأبي أحمد العسكري (الحسن بن عبد الله بن سعيد: ٢٩٣- ٣٨٢هـ) – تحقيق الدكتور السيّد محمد يوسف – مراجعة الأستاذ أحمد راتب النفاخ – مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق – ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

قدَّم الأستاذ رحمه الله لهذا الكتاب فَضائل لا تُحصى؛ شرحًا وتعليقًا وإضافات مما «دعا إلى جعله في قسمين: وقد صدر القسم الأول من الكتاب. مما يُؤسف له أن الأسباب لم تتهيأ لصدور القسم الثاني منه؛ ففاتنا بذلك علم غزير»(٤٦)، كما ذكر الأستاذ العلاَّمة الدكتور شاكر الفحام.

وأثبت الأستاذ للكتاب مقدمة جليلة نوّه فيها بفضل شيخه الميمني؛ وأشار إلى تتبعه لنُسخ الكتاب في القاهرة ودمشق، رأى تطابقًا بين أصول شيخه، وما وقف عليه المحقِّق الدكتور يوسف، ثم بيَّن جودة القسم الأول تحقيقًا وشرحًا، على حين لم يكن الثاني بمستوى سابقه؛ لأن المحقِّق عمل فيه وهو بعيد عن مكتبته، وشيخه الميمني، مما وجد فيه مجالاً كبيرًا للتعليق عليه(٤٧).

وقد ميَّز تعليقاته من تعليقات المحقِّق فقال: «وكنت إذا ما عنَّ لي ما أزيده على تعليقات الدكتور جعلته ما بين حاصرتين[ ]»(٤٨).

ثانيًا - المقالات المنشورة، وما ناظرها:

١- رسالة الغفران: (تعليق ونقد) - مجلة (الكتاب) المصرية - مج ١٠- ج٦- حزيران/ يونية - ١٩٥١م.

وقد أشرنا سابقًا إلى أن بحثه هذا أول مقالة له أرسل بها إلى المجلة فتصرَّفت فيها حتى أفسدتها.

٢- القصيدة الصورية - مجلة معهد المخطوطات العربية - مج٢ - ج١ - ١٩٥٦م.

٣- رسالة الغفران - باب التعريف والنقد - مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق - مج٣٢ - ج٣٢- ج٤- ص(٦٨٥)- لعام ١٩٥٧م/ ومج٣٣- ج١ - ص (١٤٦) وبعد - لعام ١٩٥٨م.

٤- المحتسب - باب التعريف والنقد – مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق- مج ٤٢ - ج٤- ص(٧٥٨) وبعد - ١٩٦٧م/ ومج٤٣- ج١- ص(٧٩) وبعد - وج٢- ص٣٦٩ وبعد - لعام ١٩٦٨م.

«وعرض جملة ما استدركه حتى ختام الكلام في سورة البقرة؛ ثم رغّب إلى القائمين بالكتاب أن يعيدوا معارضته بالأصل ثانية، وأن يستعينوا على استكمال تحقيقه بأصول أخرى»[٤٩].

٥- المعيار في أوزان الأشعار – مجلة معهد المخطوطات العربية – مج١٥- ج١- ٢- لعام ١٩٦٩م.

٦- نظرات في كتاب اللامات – مجلة العرب – السنة ٥ – ج١- ١٩٧٠م.

٧- كتاب القوافي لأبي الحسن الأخفش – مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق - مج٤٧- ج١ - ص (٩٢) وبعد - ١٩٧٢م.

٨- تعقيب على أرجوزة في العروض - مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق - ٤٧ - ج٤ - ص (٨٦٣) وبعد - لعام ١٩٧٢م.

٩- كتاب إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج: مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق - مج ٤٨- ج٤- ص (٨٤٠)- ١٩٧٣م/ ومج٤٩- ج١- ص (٩٣)- ١٩٧٤م.

١٠- كلمة في حفل استقباله، وقد تحدَّث فيها عن سَلَفه الشيخ محمد بهجة البيطار - مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق - مج ٥٣- ج١- ص (٢٢٠- ٢٤٥)- ١٩٧٨م.

وتعدُّ كلمة هامة في الكشف عن عوالم للشيخ بهجة لا توجد إلا فيها، فضلاً عن أمور كثيرة أخرى .

١١- حركة عين المضارع من (فَعَل) - مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق - مج٥٧- ج٣- ص(٤٧٢- ٤٨٥)- ١٩٨٢م. ويدل في هذا المقال على معرفة عجيبة بعلم لا يمكن أن ينضبط بشكل وطريقة. فهو يعلّق مثلاً على عين المضارع في (ضَرب) و(نَصر) فيقول: « وما سمع فيه الوجهان؛ فالأصل فيما كان من هذا القبيل أن يترك لكل امرئ أن ينطق به على الوجه الذي يجذبه إليه طبعه ويخف على لسانه ... ولكن إذا ما شاء امرؤ أن يختار لنفسه في ذلك مذهبًا يبنيه على أصل ما؛ من غيرما إنكار على من خالف اختيارُه اختيارَه فلا حَرَج عليه في ذلك[٥٠].

١٢- كتاب المحبَّة لله سبحانه: تحقيق الأستاذ عبد الكريم زهور عدي - مراجعة الأستاذ أحمد راتب النفاخ - مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق - مج٥٨- ج٤- ص (٦٥٧- ٧٢٩)- ١٩٨٣م/ ومج٥٩- ج٢- ص (٢٤٥- ٢٨٤) / وج٣- ص (٤٦٣- ٥٠٤)- ١٩٨٤م.

١٣- نظرات في نظرات - مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق - مج٥٩- ج٣- ص (٥٨٧- ٦١٨) (باب التعريف والنقد)- ١٩٨٤م/ ومج٦٠- ج٢- وج٣- ١٩٨٥م.

١٤- فقيد المجمع الأستاذ عبد الكريم زهور عدي: مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق - مج٦٠ - ج٣- ١٩٨٥م.

١٥- استفتاء وجوابه - مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق - مج٦٠- ج٤- ١٩٨٥م.

١٦- أشعار اللصوص وأخبارهم (باب التعليقات) للأستاذين أحمد راتب النفاخ والدكتور شاكر الفحّام - مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق - مج

٦٦- ج٤- ١٩٩١م.

والأشعار من صنعة الأستاذ عبد المعين الملوحي؛ ثم جمعها ثانية؛ وأصدرها في كتاب خاص .

ثالثًا– الآثار غير المنشورة :

لعله من نافلة القول أن نذكر مؤازرة الأستاذ النفاخ للمحققين وتصحيح ما كان يعنّ له، فضلاً عن الاستشارات الكثيرة من قبل مريديه وأصدقائه ... لاستطلاع رأيه والوقوف على الحق ... وكل منهم محضه الشكر في مقدمة كتابه، وأثنى على فضله وعلمه[٥١]، ولولا اعترافهم ما عرفنا ذلك.

أما آثاره التي لم تظهر إلى النور فأبرزها ما يتعلق بالقراءات القرآنية التي أملى شيئًا منها على طلبته في الدراسات العليا ... فضلاً عن علوم القرآن؛ مثل (معاني القرآن) للأخفش، و(معاني القراءات) للأزهري، وكتاب (طبقات القراء) للحافظ الذهبي؛ و(الشيرازيات) و(العسكريات) لأبي علي الفارسي، و(جمال القُرَّاء) للسخاوي. فهذه الآثار وغيرها مازالت مخطوطة؛ ومحبوسة في خزائن مكتبته.

لهذا يقول الأستاذ الدكتور شاكر الفحّام: «وحفلت كتبه بالتعليقات الثمينة القيِّمة؛ فقد كان – رحمه الله – إذا لاح له – وهو يقرأ كتابًا – موضع يحتاج إلى تعليق لإيضاح مبهم، أو إصلاح غلط؛ يسارع إلى إثباته في حاشية الكتاب. وكانت هذه الفوائد التي لا يقوى عليها إلا عالم ثَبت متمكّن كالأستاذ راتب، معروضة لكل وارد أحبَّ أن ينتفع بها»[٥٢].

وقد اطلعت – فيما اطلعت عليه – ما علّق به على كتاب (تأويل

مشكل المتنبي) - وأذكر أنه قال لي - رحمه الله -: إن ما حواه هذا الكتاب من تعليقات جعلته مصدرًا لي أرجع إليه في كل حين؛ ويكاد لا يفارقني .

وكم رجوته أنا وأصدقائي من مريديه ومحبيه وأصدقائه، أن يخرج تلك التعليقات ليفيد منها الناس، فلا يزيد على الصمت .

وهذا ما كان يقوم به أستاذنا الفحّام إذ يقول: «فإن أغلى ما في الكتب النوادر وأنفسه تلك التعليقات التي حفلت بها حواشي كتبه. وطالما رجوت الصديق الكريم أن ينشر تلك التعليقات ليفيد منها الباحثون وطلاب العلم»[٥٣]. وقد سمعت هذا الكلام من أستاذنا الفحام غير مرة في مكتبه بمجمع اللغة العربية.

أما أثره في القراءات القرآنية — وهو رسالته لنيل درجة الدكتوراه — فخبرُه عند أستاذنا الفحّام، فيقول: «ومازلت أذكر أن الدكتور شوقي ضيف، وكان المشرف على رسالتي أيضًا؛ حدثني عن رسالة الأستاذ راتب في القراءات حديث المعجَب؛ وذكر لي أن الجزء الذي قدَّمه كافٍ لنيل درجة الدكتوراه. وطلب إليَّ أن أبلغه ذلك، وأحثه على الحضور إلى القاهرة للمناقشة، وأبلغت الصديق الرسالة؛ فما زاد على أن تبسم»[٥٤].

وقد أكَّد لي ذلك غير مرة أستاذنا الدكتور الفحام[٥٥]، وغيره من الأساتذة الأفاضل، فضلاً عما أحسست به في مجالستي إياه، وكأنه رأى في صورة طلبته ومريديه ما يعوِّضه عن اللقب العلمي، وفيما قلناه عن إجازة علاَّمة العصر له برواية أمهات الكتب .

لهذا فإننا نتمنى على الله أن يمد يد المساعدة لولده (عبد الله) كي يُخرج للباحثين وللأمة هذه الكنوز؛ لأننا نؤمن بأنه ما من باحث منصف اطلَّع بعمق ودراية على آثار الأستاذ السنية إلا وجدها تنتظم في بنية فكرية

ومنهجية تحفيزية لاستلهام نسق الحق واتباع الدقة في المعالجة، والأمانة في الموروث الفكري. فهي تؤسس ذلك على منهج البناء الحقيقي لجدار الثقافة العربية والنهوض بإحياء تراثها العظيم، مما يجعل الحاجة إلى نشر مخطوطاته ضَرورة ملحة وأساسية للأجيال .

فأي أثر مما تقدَّم ذكره يُثير في الإنسان إحساسًا بالفكر والوجود؛ وإثبات الذات الحضارية، ومن ثم تصبح قراءة أي أثر آخر تجربة حيَّة منقذة من حداثة ثقافية مأزومة لا طعم لها ولا مذاق؛ في كثير من اتجاهاتها الفكرية والأدبية، والأدبية واللغوية والبلاغية .

وقبل أن نتناول منهجه في دراساته وتحقيقه؛ علينا أن نتساءل: إذا كانت عبقرية هذا الرجل قادرة على كشف أساليب الكلام ومفاصله وأسراره: ألم يقل الشعر؟ وأين هو ؟ بلى، لقد قال الشعر؛ وله فيه حكايات يرويها عنه أصدقاؤه، كما يتبين لنا فيما يلي.

رابعًا – الإنتاج الشعري :

لعل من باب الإدهاش ألا يكون (أبو عبد الله) شاعرًا، ولكننا نفتش عن شعره فلا نجد إلا أبياتًا تسللت من أصابع الزمن في لحظة بوح وجداني لصديق؛ أو في تجربة فريدة عاينها هذا الصديق أو ذاك، فشعره يصدق عليه ما يصدق على آثاره في القراءات، فإذا لم يبلغ حد الكمال فلا نصيب له من النور.

ويبدو أن موهبة الأستاذ الشعرية ظهرت منذ ريعان الشباب كبقية مواهبه الأخرى، ويحكي لنا الأستاذ عبد الهادي هاشم رحمه الله، بعض تجاربه مع (علاَّمة الشام) منذ المرحلة الثانوية في (جودة الهاشمي) وكان يُقال لها (التجهيز) فيقول: «ومن ذلك أنه كان يقرأ من المقرر في الصف التاسع أو العاشر قصيدة

مهيار الديلمي المشهورة التي يفخر فيها بآبائه من الفرس والتي مطلعها:

أعجـــبَتْ بي بين نادي قومها ذات حسن فغَدت تسأل بي

فحمي راتب لقومه ولغته وأخذ يردُّ على مهيار بأبيات على وزن قصيدته يخاطبه فيها ويقول :

لا تقل: لي في المعالي نسبُ ليـــس في المجد كآبائي أبُ

لغـــتي الضَّاد وقومي عرب عـــزَّت الضَّاد وعزَّ العربُ

وله قصائد كثيرة ينحو فيها نحو الصوفية، ويبدو فيها أثر ديوان إقبال (ضَرْب الكليم) ولكن راتبًا زاهد في شعره؛ فإذا نشر شيئًا منه رمز إلى قائله أو عزاه إلى غيره من الشعراء»[٥٦].

أخيرًا أقول: إن أي إنتاج للأستاذ النفاخ يعدُّ زهرة عطرة في بستان جميل؛ كيفما قلبتها انتشيت برائحة زكية، وكيفما سرت في رياضه ظهرت لك قامته الشامخة، وتسامقت أمام كل ما نعرفه ممن يعرضون كتبهم على أرصفة المدن، ويفرّخون بغاثهم الذي استنسر، ولكن هيهات هيهات ... فإن ذلك كله لا يغيّر من الحقيقة؛ أو الحق شيئًا، فالشمس لا تضيئها الكواكب؛ وسيبقى شمس العلم ونوره.

وهذا كله يدعونا إلى الوقوف عند منهجه في التحقيق والدراسة.

٦- منهج التحقيق لدى علاّمة الشام :

إن تجربة التحقيق عند علاّمة الشام؛ بل الكتابة كلها، انقلبت إلى فعل إبداعي خَلاّق؛ إذ أراد للنّص المحقّق أن يعود إلى نَصاعته وبهائه كما أراده له صاحبه. لهذا كان – رحمه الله – شديدًا على نفسه في هذا المجال، وأراد للآخرين أن يكونوا مثله؛ مستندًا إلى احترامه لذاته وتراث أمته، وللعلم

والأخلاق والحق.

فتجربة التحقيق لديه – بهذا المفهوم – موقف ذاتي وطني ثقافي إنساني من التراث والكون والمجتمع، لهذا تراه ينتفض غاضبًا من عبث العابثين، وتخليط المتسرعين في تحقيق التراث، لأنهم يسيئون إليه بتقديمهم نُصوصًا لا تعبّر عن الحقيقة، ولا عن زمانها وبيئتها، وصاحبها، وعدَّ ذلك من باب الخيانة للأمانة العلمية، فتراه ينقضُّ حانقًا على محقق ما؛ وربما رماه بُمُرّ الكلام؛ لأنه تجرأ على أمر ليس أهلاً له؛ فَشوّهَ مقدّسات الأمة؛ في وقت تحتاج فيه إلى من ينهض بها على وجهٍ صحيح .

أما من توسَّم فيه الخير والصلاح، والدقة في التحقيق، ولكنه وقع في هنات هنا أو هناك فإنه كان يُثني عليه أيما ثناء، ثم يقدّم له ما كتبه بكل تواضع وأدب ومحبة؛ لعله ينتفع به في الطبعة القادمة. وهذا ما وجدناه من موقفه – مثلاً – مع الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) حين طبعت رسالة الغفران فقال: «ظهرت الطبعة الأولى لهذا الأثر العلائي الهام بتحقيق الدكتورة بنت الشاطئ عام ١٩٥٠م، وكانت مثلاً طيبًا للمنهج العلمي في تحقيق النصوص ونشرها نشرًا علميًا محررًا، فتلقاها المشتغلون بالعربية وآدابها بما هي جديرة به من تقدير، ومنحها مجمع اللغة العربية بالقاهرة جائزته لتحقيق النصوص في ذلك العام. وكنت كتبت في تلك الأيام كلمة أشدت فيها بصنيع المحقّقة،[١] وبالجهد الذي تكبدته في ضبط النص وشرحه، وعرضت فيها لمواضع اتجه لي فيها رأي غير ما رأته الباحثة ... ولما ظهرت الطبعة الجديدة للغفران عمدت إلى قراءتها ومقارنتها بالطبعة الأولى؛ فإذا المحقّقة عند حُسن الظن بها، فقد خَطت، في سبيل استكمال تحقيق النص

وشرحه، خطوات فساحًا، غير ضَأنَّة عليه بما يتطلّبه المنهج العلمي الدقيق من جهد لا يقدِّره حق قدره إلا من مارس هذا العمل ووقف على صعابه. وقد كان موقف المحقّقة مما كنت أبديت من آراء – سواء ما نُشر منه في مجلة (الكتاب) وما لم ينشر – موقف المقدِّر، فأخذت بالكثير منها، وترددت في بعضها، وعزفت عن الأخذ ببعضه الآخر، فأحببت أن أعرض وجهة نظري فيما توقّفت فيه على العاملين في هذا المضمار ليدلي بوجهة نظره مَنْ عَنَّ له رأي فيه، عسى أن نصل إلى وجه الصواب في هذا كله. وأضفت إلى هذه النقاط نقاطًا لم أفطن لها فيما مضى»(٥٧).

ولعلنا نكتشف في هذا النَّص احترام العالم للآخر في الحق، وتواضعه لأهل العلم والثناء عليهم، وبسط القضية بين يدي أهلها؛ وهو ما عزَّ وجوده عند علماء هذه الأيام، وهو لا يكتفي بذلك بل يعلن تواضعه على الملأ، وإذا كان قد أخطأ في نظراته فليُرَدَّ إلى الصواب: « هذا ما عنَّ لي من خواطر حول الطبعة الجديدة من رسالة الغفران. وإني لأشكر مَنْ رأى فيما أبديت خطأً فردَّني إلى الصواب، كما أشكر للمحقّقة الأديبة جهدَها وخدمتها للأدب ولغة العرب»(٥٨).

فالمحقّق الواعي، والعالم الحق المحب لتراث أمته قادر على التمييز بين الوَهْم العلمي أو الخطأ العلمي وبين الجهل في تحقيق التراث، وهو يعطي كل ذي حق حقَّه، بكل عدل وإنصاف، ومما يُؤسف له أن الناس قد أشاعوا عنه حدَّته في النقد، ولم يستبينوا الحق في سبب نقمة الأستاذ، فهو أكثر الناس اعترافًا بالحق وانصياعًا له – على ما كان عليه من حدة في المزاج لرهافة حسه، وحساسيته الشديدة نحو كل من يتصدى للتراث بغير علم، ولابأس

أن نضيف له مأثرة أخرى من ثنائه على أحد المحقِّقين؛ لكي يتعزَّز لنا الأمر، فالشيخ علّق على عمل للأستاذ صبحي البصّام فقال: «للأستاذ صبحي البصّام فيما يحبّره من مقالات التفاتاتٌ طريفة، وتحقيقات بارعة لا يغض من قدرها أنه ربما ذهب في بعض الأمور مذهبًا يرى غيره خلافه ومن ذلك أشياء استوقفتني وأنا أنظر في مقالته، منها ما سها فيه الأستاذ في النقل عن بعض المصادر أو في تسميتها ...»[٥٩].

فكل من يقرأ أحد آثاره يتحقق رغبتَه في نشدان الحق والكمال والصدق، ويبين له مدى الزمن الطويل الذي مكث فيه حتى استجلى حقيقة الأمر، ولم يكن كغيره متسرعًا، لا مباليًا، كيف جاء الأثر المحقق، وقد ساعده على ذلك قدرة عجيبة على المتابعة والصبر والأناة مما يدل على حِلْم وذكاء ودراية لا نظير لها، فضلاً عن ثقافة موسوعية قديمة وحديثة فهو كما وصفه الدكتور حسني سبح « سلفي المنبت عصري المنهج»[٦٠].

وفي ضوء ذلك يمكن أن نتبيَّن ملامح منهجه كما يأتي :

١- الانغماس الصوفي في النص : لمَّا نشد الكمال في العمل، وحُبَّ الإتقان، لأنه أراد له أن يمثِّل قيمة بقاء لا قيمة فناء – كما قال الدكتور العوا –[٦١]، أنكر ذاته في سبيل تحقيق النَّص، وشُغف به وتابعه في كل صغيرة وكبيرة ... فانقطع إليه انقطاع العابد الزاهد، فهو يتفاعل مع النَّص تفاعلاً متبتلاً؛ فكم من فكرة كانت غلقة فحلاها وكشف أسرارها، فلم يهدأ له بال مادامت شاردة عنه، تعقَّبها ليل نهار، طلبها حثيثًا حتى انقادت له وانتهى فيها إلى رأي ما .

٢- الاستيفاء الكامل في التحقيق، رواية وشرحًا وتوضيحًا، وتحقيقًا

لأي فكرة أو خبر أو شاهد، أو بيت من الشعر أو قول من الأقوال، مع إسناده إلى مصدره. وهو القائل: «ومن ثم رأيت من حق العلم عليَّ، ومن الوفاء لهذا التراث وللأئمة الذين أورثونا إياه ألا أدع بيان ما وقفت عليه»[٦٢].

فهو يستقصي مادة كل ما يقع بين يديه، ويُثبت إحالاتها على مظانّها، ويُؤيد رأيه بالدليل «والدليل معيار. وهذا المعيار عنده هو تواتر الرواية عن إنسان عربي صريح من صميم العرب»[٦٣].

ولهذا قد تطول الإحالة أو التعليق لديه؛ فيعتذر عن هذا، فيقول: «وقد حملني على الإطالة في عدة مسائل أن كان لابد لاستيفاء الكلام في بعضها من دراسة طائفة من الأسانيد» . وهذا ما نجده في الحاشية(١١) من تعليقه الذي قدَّم له بهذا الكلام، حين قال: «علَّق محقِّقُ غريبِ الحديث د. عبد الله الجبوري على هذا التفسير قال: (لم أجده في كتاب الخيل) يعني كتاب أبي عبيدة المطبوع في حيدرآباد سنة ١٣٥٨هـ. وهو كما قال، مع أن الكتاب – كما جاء في فاتحته– من رواية أبي يوسف الأصبهاني، عن أبي حاتم عن أبي عبيدة. وقد صحَّ عندي أن ابن قتيبة ينقل عن كتاب آخر لأبي عبيدة في الخيل سماه ابن السيد في (الاقتضاب) كتاب (الديباجة)، وأما كتاب (الدِّيْباج) فالظاهر أنه هو الذي سماه ابن السيد كتاب (الديباجة)، يؤيِّد ذلك أنه جاء في التهذيب (٨/ ٢٣٢): (قال أبو عبيدة: من الأشقر سِلَّغْدٌ، وهو الذي خلصت شُقْرته؛ وأنشد: أشقر سِلَّغَدٌ وأحوى أَدْعج). وهذا التفسير نفسه نقله البكري في اللآلي (ص١٤٧) عن كتاب أبي عبيدة أيضًا، وسمَّاه كتاب الدِّيْباج»[٦٤].

فهل يوجد – بعدُ – أعلى من هذا الاستيفاء والدقة في متابعة القضية

التي تقف بين يديه؛ ومن ثم التثبت في رواياتها في مظانها الصحيحة ؟!!.

٣- المقابلة والموازنة بين الروايات، والآراء: لم يقدِّم الأستاذ رأيًا ما أو خبرًا، دون أن يُجري مقابلة وموازنة بينه وبين نظائره؛ وكذلك كان يقابل بين مصادر النّص أو الخبر ليتوصل إلى الأمر الصحيح، فهو حين يراجع أمرًا ما يلجأ فيه إلى الموازنة كما نجده في تقديمه لكتاب (شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف) إذ قال: «وعلى ما عُرف به الدكتور من الإتقان وتحرِّي الدقة في تحرير ما يحققه وضبطه، فقد أخذت أقابل عمله بهذه الأصول مبالغة في الاستيثاق، ثم لم أدع المقابلة بطبعة القاهرة التي قام عليها الأستاذ عبد العزيز أحمد»[٦٥]. وكنا قبل قليل أشرنا إلى مقابلته لتحقيق رسالة الغفران بمصادر التراث.

فحُبُّ الإتقان، ونشدان الكمال، وظهور النّص على حقيقته كان وراء منهجه الدقيق في تتبُّع مقابلة نصّ من النّصوص وموازنته بغيره، فضلاً عن الحياد والنزاهة والأمانة العلمية، والاتّصاف بالموضوعية. فلو أخذنا تحقيقه لديوان ابن الدمينة لرأينا أنه «ساق النصوص المتضاربة التي أشارت إلى موطن الشاعر، ووازن بينها وقارنها بنصوص أخرى، واستشهد بأبيات من شعر الشاعر حتى توصَّل إلى حقيقة لم يَجْلُها باحث قبله، فقال: والرأي الذي صح عندنا وتضافرت الأدلة والقرائن على نُصرته أن موطن ابن الدمينة إنما كان في الأصقاع الواقعة جنوبي الحجاز مما يلي اليمن»[٦٦]. فأي رواية مهما كان شأنها لابد أن تُعارَضَ بالروايات الأخرى، وبأقوال الأئمة كما سنراه بعد قليل.

٤- الدقة والأمانة العلمية: قبل أن يكون التحقيق منهجًا ثقافيًا

ونقديًّا ولغويًّا فهو منهج خلقي منضبط على أصول وقيم، ويعدُّ الأستاذ النفاخ أحد أعمدة الدقة والأمانة العلمية في منهجه؛ لا يتحرَّج من الاعتراف بخطئه إذا أخطأ؛ أو بعدم عثوره على بيت أو خبر بعد تعقبه لياليَ وأشهرًا، وهو القائل: « لم أعثر على البيت في مختلف المصادر الأدبية، على حين جاء البيت مع آخر قبله في كثير من كتب الأدب واللغة، وقد عدَّد الأستاذ منها طائفة حسنة»(٦٧).

وهو يردُّ كل رواية إلى موضعها، ويكتفي منها بالقدر الذي يَسُدُّ حاجته منها، دون أن يخلط بينها وبين غيرها، أو يشوِّه طبيعتها، أو يزيِّف في فحواها، فهو يُعيد كل رأي إلى صاحبه . ولا ضير علينا أن نثبت تعليقه على رواية بيت من الشعر، ومن ثم نسبته؛ إذ نسبه الأستاذ البصام إلى عِمرة بنت النعمان الأنصارية؛ وهو :

وهل هند إلا مُهْرةٌ عربيةٌ   سُـــلاَلةُ أَفْراسٍ تجلَّلها بَغْلُ

فبعد أن سرد اختلاف المصادر في نسبة الشعر لعمرة أو لهند أو لحميدة، قطع في نسبته إلى حُمَيدة بنت النُّعمان - على حين لم يقطع الأستاذ البصام في ذلك - ثم قال : « إذ الظاهر أن ما رأوه الصواب - أي (نَغْل) بالنون - لم ترد به رواية قط؛ وأن رواية (تجلَّلها بَغْل) هي المحفوظة، ولا رواية غيرها؛ رواه كذلك أبو عبيدة؛ والجاحظ، ثم سائر من أنشد هذا الشعر من أصحاب اللغة والأخباريين من أهل المشرق، على أنه يعتذر لصاحبة هذا الشعر بأنها لما جعلت المهرة العربية مثلاً لها في خلوص نسبها جعلت البغل مثلاً لرَوْح في اتشاب نسبه، ولم تُرد أنه مثله من كل وجه»(٦٨).

وكان رَوْح بن زِنْباع فيمن تزوَّج حميدة، وفيه قالت الشعر السابق(٦٩).

٥- الاعتداد بالأئمة الأثبات، والأصدقاء الثقات: كان – رحمه الله – شديد الاعتداد بالأئمة الأثبات القدامى الأقدم فالأقدم يُحيل على آرائهم وكتبهم؛ وإن كان لا يتوانى في أي قضية تعنُّ له أن يعرضها على بعض الأصدقاء الثقات ممن يرى فيهم النَّجابة والإفادة .

فأي رواية لأي نص لابد أن تعارض بأصح الروايات وأقدمها فيقول: « وكانت الخُطة التي اصطنعتها في هذا العمل أن أثبت كل قصيدة من أصح رواياتها مخرجًا؛ أو أتمها وأحسنها سياقة، ولم أدع أن أعارض الرواية التي أخذت بما تيسر لي الوقوف عليه من سائر الروايات، وإثبات اختلافها في الحواشي، ثم علَّقت على هذه القصائد شروحًا قد تطول وقد تقصر وفق ما تدعو إليه الحاجة. وجعلت معوَّلي في ذلك على أقاويل الأئمة الأَثبات من المتقدمين في شروحهم على دواوين الشعراء وكتب الاختيار، وما نقلته عنهم أمهات كتب الأدب واللغة، حتى إذا اختلفوا في شيء أشرت إلى اختلافهم وربما قدّمت قولاً على قول إذا بدا لي وجه للترجيح»(٧٠).

هكذا؛ اتصف – رحمه الله – بالثقافة الموسوعية؛ والوعي العالي؛ ورهافة الحساسية والفهم للتراث، وتتبُّع المصادر، والدقة والأمانة، والتمييز بين النص والخبر. وذلك كله أساس التحقيق، ولكل آلياته الخاصة. وكان يهتم بأصول البحث المنهجي؛ وطرائق استخدام المصادر والروايات، والصلات بين أنماط العلوم والفنون.

ولعل من أهم آليات المنهج السديد ألا يظن المرء بنفسه الظن الحسن؛ فالشك العلمي مَنْجاة من الزلل؛ وهذا ما كان يمارسه الأستاذ قولاً وفعلاً .

فما من رأي عنَّ له إلا عرض قضاياه الشائكة على أهل الرأي؛ والعلم

والاختصاص لم يتحرَّج في ذلك؛ كما تبيَّنا في غيرما موضع مما تقدَّم. ولم يدّعِ الكمال وإن أخذ نفسه به، بل إنه لم يتردد يومًا في أن يسأل كثيرًا من الأصدقاء الأثبات عن مسألة ما، ويتراجع عن رأيه إذا قدّم له الصديق المسؤول ما فيه الشفاء؛ وهذا ما حدثني به الأستاذ الفاضل الدكتور إحسان النّص.

ولعلي قد شاهدت في بيت الأستاذ - غير مرة - حوارًا بينه وبين الدكتور عدنان درويش؛ وكان الدكتور عدنان يحتدُّ في النقاش؛ على حين يظل الأستاذ هادئًا؛ وكأنه حقًّا طالب علم بين يدي معلم.

وفي ضوء ذلك كله قد ظهر لنا بكل جلاء عظمة أثره في الحياة الثقافية فكان تاج عصره ومفخرته لكل المنصفين من أهل العلم ...

ولكنْ يمكننا أن نتوقف عند إشارات سريعة موجزة لبيان أثره في الحياة الثقافية، وإن كان المجال لا يتسع له هنا .

٧- أثره في الحياة الثقافية :

تربَّع الأستاذ على عرش العلم والبحث العلمي في زمانه، ومازالت له هذه المكانة وذاك التأثير في النفوس؛ لأنه أخذ نفسه بمعاني الحياة السامية؛ ونشر العلم وفق منهج الأئمة الأثبات، فانتهت إليه جملة من العلوم لم ينازعه فيها منازع؛ وصارت كلمته لا تردّ في بابها.

وقد نازعته همته إلى أن يجدِّد منهج الأجداد في التلمذة، لكي تتعاقب الأجيال فيما بينها، ولئلا تنقطع جسور الثقافة، هذا المنهج الذي اعتمده رجالات العلم في الغرب، على حين عَزَف عنه جهابذة العلم لدينا ... !!

ولذلك كله فتح مكتبه، وبيته لشُداة العلم؛ بل فتح لهم قلبه فتربَّعوا فيه؛ وظن بهم الظن الحسن[٧١]. فكان العالم والطالب؛ والصديق والمُريد

يجتمعون معًا، وكل منهم يسعى لالتقاط الدرر الثمينة، وهو لا يضنّ بعلم ولا يبخل بنصيحة أو عون، ولذلك يقول فيه الأستاذ عبد الهادي هاشم: «وقد يلقى زائره عنده طائفة من طلابه لم يقنعوا بما قرؤوه له أو سمعوا منه في محاضراته»[٧٢]، يبث في نفوسهم محبة العربية، والتزام الفُصحى، فطُبعوا على غراره.

لقد ترك أثره في أصدقائه، وأهل العلم؛ قبل مريديه وطلابه، ونهلوا من معين علم غزير، وعبّوا ما وسعهم ذلك كما يقول الدكتور الفحام: «وكنت كثيرًا ما أستشيره وأسائله في قضايا لغوية ونحوية شَمَسَتْ واستعصَتْ، فيُلَيِّن أبيَّها؛ ويستدني قاصيها؛ فأحس أنه البحر علمًا ومعرفة». ثم يقول: «كان يستقبل طلابه وزائريه في منزله المعمور دائمًا، حيث كان يلتقي العالِم قد جاء يستفتي في مشكل صادفه. وكان يفد إلى مجلسه كبار العلماء الذين يزورون دمشق يأتونه قاصدين، حبًا للقائه، وتطلعًا إلى فوائده»[٧٣].

ولعل من أبرز آثاره في أهل العلم أيضًا أنه ما بخل بعلمه عليهم وكان يرسل إليهم بتعليقاته التي عنَّت له حين قرأ هذا الكتاب أو ذاك. «وما أكثر ما كتب وصحَّح للآخرين، يبذل ذلك دون منّ، ولولا أن أشار عدة مؤلِّفين في كتبهم إلى ما قدَّم لهم، وشكروا له جميل ما صنع من أجلهم، لما علمنا ذلك» ؛ كما هو عليه كتاب (ديوان الردة) – مثلاً[٧٤].

وإذا كنت قد أشرت إلى الكثير من مؤثراته سابقًا؛ فإنني أرى أن أعظم أثر تركه هو هذا المنهج في التحقيق؛ منهج العلاّمة محمود شاكر، والأئمة الأثبات.

ويظل أثر الأستاذ في طلبته ومريديه أعظم منه في غيرهم، وأكبر من

أن تحيط به أوراق، فكل يتحدث عنه بمقدار تأثره به، ومدى الإفادة التي اختزنها في ذاته، ونقلها بأمانة إلى آثاره.

فكم من أجيال متعاقبة امتدت قوافلها على مدار سنوات أربعين؛ وهي تتلقف اللغة والأدب؛ والفقه والعروض؛ ومصادر التراث وتحقيقه، وتقف على الدراسات الإسلامية فتأخذ بألبابها ما يقدّمه لها.ولّما أخلص لطلبته ومريديه وأصدقائه، وأهل العلم، تفانَوا في حبّه، وتلقّفوا منه كل كلمة بثقة واعتزاز لا يندُّ عنهم حرف مما يقول(٧٥).

فالأستاذ – رحمه الله – ترك أثره في كل من تعامل معهم، خلقًا وسلوكًا وعلمًا لم يتذمر يومًا، ولم يغلق بابه في وجه طالبي العلم، لهذا يقول أخوه نزار: «أما داره فكانت دار علم يؤمُّها العلماء وطالبو العلم من شتى أصقاع العالم، ومن كل حدب وصوب على اختلاف اختصاصاتهم. وهذا ما شاهدته على مدى ثلاثين عامًا؛ وكثيرًا ما كنت أنتظر عدة أيام لأظفر بفرصة أخلو بها إليه للتحدُّث في أمر من الأمور العائلية التي تخصُّه مباشرة .

وهذا لم يكن ليتيسر لي في حضور رواد علمه. ولا أذكر أنني استطعت حمله على إغلاق بابه يومًا واحدًا في أَمَرّ أيام مرضه وأقساها؛ وكنت ألحظ أنه كان يستعيد قوته ونشاطه عندما يقوم بشرح مسألة علمية لقاصديه؛ إذ يجدون عنده حلاً لكل معضلة، وشرحًا مفصلاً لكل مشكلة»(٧٦).

وقد كان طلبته في الجامعة يتزاحمون في محاضراته؛ فمن لم يجد مقعدًا افترش الأرض، وكل منهم يصغي إلى كل كلمة تنبس بها شفتاه، إذ كان آسرًا في طريقة حديثه عن هذه القضية أو تلك، أو عن هذا الشاعر أو ذاك، أو حين يتتبّع مصادر التراث ويقابل فيما بينها،ولا يمكنه أن يترك ذلك حتى

يستقصيه ولو انتهى الوقت المخصص للمحاضرة؛ علمًا أنه كان منضبطًا في بداية دخوله حتى تضبط الوقت على سَمْته .

وقد كان بعض طلبة الجامعة يتحلقون حوله بعد المحاضرة؛ ثم ترى عددًا منهم يتسابقون إلى مكتبه وقد حملوا الكثير من الأسئلة، ويتلقاهم بكل أريحية حتى يطمئن كل واحد منهم إلى ما قدم به إليه، وهناك فئة أخرى من الطلبة رأت أن ما يأخذونه من زاد علمي في الجامعة لا يكفيهم، على قيمته، فيطلبون المزيد، فيرون في بيت الأستاذ ملاذًا لهم، فإذا بهم يتوجهون إليه، ليجدوا فيه رجلاً دمثًا ليِّن العريكة يستقبلهم بكل محبة ومودة . وصار البيت يغَص بالزوار؛ فلا تستطيع الأرائك القليلة العدد، وكراسي الخيزران المحدودة أن تفي بالغرض، فكانوا يفترشون أرض الغرفة الصغيرة.

وهذا حاله أبدًا مع كل طلبة العلم، كانوا جميعًا يرون فيه العالم الزاهد، والباحث الصادق الأمين كما في قول أمين قاعة الباحثين في المكتبة الظاهرية الأستاذ إبراهيم الزيبق: «نازعتني نفسي إلى زيارته في بيته، وطلبت من صديقين كانا من طلابه في الجامعة أن يصطحباني إلى زيارته حين يزورانه.

قرعنا الباب بقلب خافق، هذه أول زيارة لي لعالم اسمه يملأ السمع؛ وتخيَّلت فيما تخيلت بيتًا واسعًا، وأثاثًا مترفًا، ومكتبة ضخمة؛ ووجهًا يطل علينا مترفّعًا متجهمًا. وإذا الباب يُفتح ويطل علينا الأستاذ بوجه طلق تزيده قوة النظرات جمالاً وهيبة. ودلفْنا عبر ممر ضيّق إلى غرفة هي إلى الصغر أقرب؛ قد صُفّت فيها أرائك قديمة، ما إن جلست على واحدة منها حتى انبعث منها أنين البلى، وأقبل علينا الأستاذ النفاخ بوجه يطفح بالبشر وشعرت أنه قريب مني حقًا...»[٧٧].

ثم يسرد قصة مجلس له مع صديقيه الطالبين السابقين (محمد نعيم العرقسوسي؛ وبسام الجابي)؛ إثر محنة ممضّة ألّمت بالأستاذ، فاعتزل في بيت حميه؛ وكان السيد محمد نعيم العِرْقسوسي قد حقّق كتابًا ونشره بعنوان (توضيح المشتبه). وقد وصل الكتاب إلى الأستاذ، فكان سلوته في محنته مع أنه كتاب يضْبط «أسماء رواة الحديث وأنسابهم وألقابهم وكناهم بالحركات والحروف؛ لا يقتنيه إلا مُحَدِّث أو مُحَقِّق، ولا يصبر القارئ له إلا على قراءة أسطر كيما يتهدَّى إلى ضَبْط اسم أو نسبة كتاب هو بالمعجم أشبه، تكون فيه سلوة !!.

وفي غمرة دهشتنا رأينا الأستاذ يستلُّ أوراقًا من بين صفحاته، فيها تصحيح ما بدا له من أخطائه، وراح يقدِّمها إلى أخينا نعيم قائلاً باعتذار: الكتاب بحاجة إلى قراءة ثانية متأنية، وهذه الملاحظات هي ما عنَّ لي في أثناء قراءته وأنا بعيد عن مكتبتي»[(٧٨)].

فالأستاذ - رحمه الله - ترك أثرًا عظيمًا لا يبلى في نفوس الناس، مريدين وغيرهم؛ وتجلّى علمه وفضله منهجًا وسلوكًا، ومعارف يقدِّمها لهم ولو تكلَّف الإنسان الحديث عن كل ما يعرفه عنه في هذا الجانب لضاق المجال به، وإن تنكَّر له العديد من الناس غير الأسوياء. فقد عرفت فيما عرفت أنه نُكب بأحدهم، أو عدد غير قليل منهم؛ لأنه أخذهم بظنة نفسه الكريمة فخيّبوا ظنه. وهذا ما أشار إليه غير واحد من أصدقائه وطلبته[(٧٩)].

أما أنا فأدين له بالفضل ما حييت؛ إذ أثره باق في نفسي وحياتي من قبل ومن بعدُ، وربما تتقاطع ملامح تجربتي معه بتجارب أخرى لأصدقاء لازموه في حياته أكثر مني؛ وكان أثره فيهم أعظم؛ بيد أنني سأقصُّ بسرعة

بعض ما وقع لي معه.

فقد عرفت الأستاذ في السنة الأولى من الجامعة، فتلقَّيت على يديه علم العروض والمكتبة والأدب القديم؛ ثم كانت السنة الثانية وحظيت بشرف الاطلاع منه على كتاب (الكامل) للمبرِّد. وقد جعله سبيلاً إلى آفاق معرفية ونقدية ولغوية كثيرة، مما كان له أعظم الأثر في نفسي. ولما درَّست في جامعة قطر مقرر (التراث الأدبي) كان منهج الأستاذ، ومعارفه ركيزة لي في ذلك، فالنّص لم يكن غايته؛ وإنّما هو وسيلة نظر إلى غيره من كتب المصادر التراثية واللغوية ...

ثم كان لي ولزملائي شرف اللقاء معه في السنة الثالثة في مادة علوم اللغة العربية، ولنتقابل هذه المرة مع كتاب (مغني اللبيب) لابن هشام الأنصاري، وهنا أدركنا مزية الأستاذ، فكان الفارس الذي لا يُشق له غبار، وتناول جملة من القضايا لا يقدر عليها إلا مثله، شرحًا وتفسيرًا، ومناظرة ومعارضة بين ما ورد في المغني وما جاء لدى المتقدمين.

وإذا كان اللقاء قد تقطَّع بيننا في أسابيع قليلة في دبلوم الدراسات العليا فإنَّه لم ينقطع يومًا في مكتبه أو بيته، وكنت دائمًا ألحف بالسؤال وكان دائمًا لا يبخل بالإجابة العلمية الدقيقة، ضمّني إلى نفسه ووسعني بفضله وعلمه.

ومهما أنس لا أنس تلك الأيام التي مرت بي عند تسجيل درجة الدكتوراه؛ فقد مضت الشهور في البحث عن موضوع ما؛ ثم استقر الأمر على اختيار (الحيوان في الشعر الجاهلي)، وتلبَّث الأستاذ عند العنوان، ورغب في تغييره، ليكون أكثر تشويقًا وترغيبًا وجاذبية، من دون أن يختزل أدنى شيء مما اتفق على مادته؛ كأن يتحول إلى (صورة الحيوان...) أو (مشهد

الحيوان...) ولما لم تستقم الحال؛ سحّل الموضوع بالعنوان الأسبق، ثم نما البحث بين يديه، حتى استوى على سوقه، ومن ثم طبع قسمان منه، وما يزال الثالث ينتظر، تبعًا لأبواب الرسالة دون أن يتغير منها شيء.

وأخيرًا أقول: إذا كان مريدو الأستاذ وطلبته قد توَّجوه بلقب (علاّمة الشام) فما خاب ظنُّهم فيه؛ ولا خدعتهم فطرهم، فقد فتح لهم بوابات المعرفة في محاضراته وفي مكتبه؛ ثم في بيته، يستقبلهم على كل هيئة وفي كل حين، ولو كان مريضًا، لم يعرف الكَلال والمَلال، فراحتُه في تنوير عقول الأجيال، وإزالة غبار السنين عنها؛ وإنارة عتمة الطريق لها في عصر يسود فيه التزوير الفكري والثقافي، والنفاق الاجتماعي، والرياء.

كان - رحمه الله - ملء العين، ودفء القلب، بل كان صفوة الأصفياء في الخُلق الكريم، والمُثل الرفيعة. نشد الكمال وأحبه؛ ومارس الوطنية والتفاني في سبيل الأمة عطاءً وبذلاً فكان المجلي والسابق.

فإذا كان الموت تحفة المقربين إلى الله من أهل الصلاح، فطب نفسًا يا أبا عبد الله؛ فرسمك الذي فارق الدنيا لم يزل باقيًا في قلوب طلبتك وأهل العلم وعقولهم؛ وسيظل علمك مهوى أفئدتهم ذكرى هدي ونور، ولن نفيَك حقك مادامت الحياة.

رحمك الله يا سيدي، وأسكنك فسيح جنانه مع من أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء ...

والحمد لله رب العالمين

الحواشي

(١) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق؛ من كلمة (للأستاذ العالم الفاضل الدكتور شاكر الفحام) مج ٦٧ – ج٣ – ص(٥٢٣– ٥٢٤).

(٢) شرح ديوان كعب بن زهير (١٩) .

(٣) الشعر والشعراء (٢/ ٧٢٨) والرثاء في الجاهلية والإسلام (١٧٩) .

(٣) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق؛ من كلمة (للأستاذ الفاضل الإنسان الدكتور عبد الكريم الأشتر) مج ٦٧– ج٣– ص(٥٤٤– ٥٤٥).

(٥) المرجع السابق ص(٥٤١– ٥٤٢).

(٦) مجلة الفيصل ص(١٠٦) العدد ٢٩٥؛ من مقال للأستاذ (إبراهيم عمر الزيبق) أمين قاعة الباحثين في المكتبة الظاهرية.

(٧) رسالة الغفران ٣٦٦؛ والبيت مؤلف من بيتين هما السابع والتاسع في ديوان النابغة ص(١٥٤ و١٥٥)، على اختلاف في رواية بعض الألفاظ، ويقول فيهما :

كما لقِيَتْ ذات الصَّفَا من حَليفها وما انفكّت الأمثال في الناس سائرَةْ

فواثقهـــا بــــالله حين تراضـــيا فكــانت تَديْه المال غِبّـاً وظاهِرَةْ

(٨) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق – (باب التعريف والنقد) مج٣٣– ج١– ص(١٥١).

(٩) المرجع السابق مج٣٢– ج٤– ص(٦٨٦).

(١٠) المرجع السابق – مقال (نظرات في نظرات) – مج٦٧– ج٣– ص٥٨٧.

(١١) المرجع السابق – من كلمة للأستاذ المفكر المرحوم (عبد الهادي هاشم) في حفل استقبال الأستاذ النفاخ – مج٥٣– ج١– ص(٢١٤).

(١٢) المرجع السابق – على ترتيب المقبوسات – مج٦٧– ج٣– ص(٥٢٦– ٥٢٧ و٥٢٨– ٥٢٩).

(١٣) المرجع السابق – مج ٦٧– ج٣– ص(٥٣٧).

(١٤) المرجع السابق – مج ٣٢– ج٤– ص(٦٨٥).

(١٥) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق — مج٥٤- ج١- ص(٢٤٠)؛ وقد أثبتُّ فحواها وجزءاً منها؛ وانظر شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف (ص٣).

(١٦) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق — مج٦٧- ج٣ ص(٥٣٨ و٥٤٠) (على ترتيب المقبوسين المذكورين)؛ والحديث في (الجامع الصغير ١/ ٢٥٠ برقم ١٨٦١).

(١٧) انظر المرجع السابق — مج٦٧- ج٣- ص(٥٢٤- ٥٢٥) فيما قاله الأستاذ الدكتور شاكر الفحام؛ وص(٥٤٥) فيما قاله الأستاذ الدكتور عبد الكريم الأشتر؛ وانظر ما يأتي (ص١٩) حاشية (٥٤)، أما كلمة الأستاذ الدكتور إحسان النّص فقد ألقاها إلي في جلسة بمكتبه في مجمع اللغة العربية يوم الثلاثاء ٤/ ٦/ ٢٠٠٢م.

(١٨) انظر الكلمات التي قيلت في حفل استقباله، (مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق- مج٥٣- ج٣- ص(٢٠٨ وبعد)، والكلمات التي قيلت في حفل تأبينه — (المرجع نفسه: مج ٦٧- ج٣- ص(٥٢٢ وبعد-) وانظر المرسوم التشريعي لتعيينه، في (المرجع نفسه): (مج٥٢-ج١- ص٢٤١)؛ وانظر فيه (مج٥٩- ج٢- ص٤٣٢- ٤٣٣ ومج٦٣- ج٣ ص٥٤٧- ومج٦٥- ج٣- ص٣٤٦) حول مهمات تكليفه باللجان.

(١٩ و٢٠) انظر مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق — مج٦٧- ج٣- ص(٥٢٣و ٥٢٥) ثم (٥٢٨) ومج ٥٣- ج١- ص(٢٢١).

(٢١) المرجع السابق — مج٦٧- ج٣- ص(٥٥٤).

(٢٢) مجلة الفيصل – ص(١٠٥) العدد ٢٩٥.

(٢٣) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق — مج٥٣ — ج١- ص(٢١٣).

(٢٤) المرجع السابق — مج٦٧- ج٣ ص(٥٢٥- ٥٢٦) ومج٥٣- ج١- ص(٢١٤).

(٢٥ و٢٦ و٢٧) المرجع السابق — (وعلى الترتيب) مج٦٧- ج٣ ص(٥٤١) — ومج ٦٧- ج٢- ص(٣٥١ و٣٥٣).

(٢٨ و٢٩ و٣٠) المرجع السابق — (وعلى الترتيب) — مج٥٩- ج٣ — ص(٦١٥)؛ ومج٣٣- ج١- ص(١٤٧)، ومج٦٧- ج٣- ص(٥٤٥).

(٣١) مجلة الفيصل — ص(١٠٦) العدد ٢٩٥.

(٣٢) الأغاني (١٧/ ١٧٩ و١٨٠ و١٨٣).

(٣٣) التصوف في الإسلام (٤٨) .

(٣٤ و٣٥ و٣٦) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق - (وعلى الترتيب) - مج٦٧- ج٣ - ص(٥٤٦)؛ ومج٦٧- ج٢ - ص(٣٥١)، ومج٦٧- ج٣- ص(٥٤٥).

(٣٧) ديوان العباس بن مرداس السلمي (١٧٣).

(٣٨ و٣٩ و٤٠) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق - (وعلى الترتيب) - مج٦٧ -ج٢ - ص(٣٥١)؛ ومج٥٣- ج١- ص(٢٠٩- ٢١٠)، (وانظر ما يأتي حاشية ٦٠)، ومج٣٣- ج١ - ص(١٤٨).

(٤١) اعتمدنا على ما أورده الأستاذ الدكتور شاكر الفحام ومن ثم زدنا فيه بعض الآراء؛ انظر المرجع السابق (مج٦٧- ج٣ - ص(٥٣٤ - ٥٣٦) .

(٤٢) انظر مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق - مج٦٧ - ج٣ - ص(٥٤٣) .

(٤٣) انظر مختارات من الأدب الجاهلي (١٧٢- ٢١٥) وقد صرَّح المؤلف بذلك .

(٤٤ و٤٥ ثم ٤٦) انظر مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (وعلى الترتيب) - مج٦٧ - ج٣ - ص(٥٣٢)؛ ومج٤٧ - ج١ ص(٩٢ - ١٣٠).

(٤٧ و٤٨) انظر مقدمة شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف - (وعلى الترتيب) ٣- ٨ و٦.

(٤٩ و٥٠) انظر مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (مقالات للأستاذ النفاخ) - مج٦٧ - ج٣ - ص٥٣١)؛ ومج٥٧ - ج٣ - ص(٤٨٤).

(٥١) انظر المرجع السابق - مج٥٣ - ج١ - ص(٢١٣- ٢١٤)، ومج٦٧ - ج٧ - ص(٥٢٨)؛ وديوان الردة ص(٥ - ٦)، إذ أهدى د. علي العتوم كتابه إلى الأستاذ، وقَرَّظه، وانظر حاشية (٤٣).

(٥٢ و٥٣ ثم ٥٤) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (وعلى الترتيب) - مج٦٧ - ج٣ - ص(٥٢٨)؛ وص(٥٢٥) وراجع حاشية (١٧).

(٥٥) هناك غير ما لقاء جرى مع الأستاذ في مكتبه بمجمع اللغة العربية وكان يؤكّد ذلك تباعًا.

(٥٦ و٥٧ و٥٨ و٥٩) انظر مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق - مج٥٣ -ج١ - ص(٢١٩)؛ ومج٣٢ - ج٤ - ص(٦٨٥- ٦٨٦)؛ ومج٣٣ - ج١ - ص(١٥٤)؛ ومج٥٩ - ج٣ ص(٥٨٧)؛ وانظر ما ورد في (مج٦٧ - ج٣ - ص(٥٣١) .

(٦٠) راجع حاشية (٣٩) مما تقدم .

(٦١) انظر مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق - مج٦٧ - ج٣ - ص(٥٤٠).

(٦٢) كتاب القوافي - للأخفش - ص(٦).

(٦٣ و٦٤) انظر المرجع الأسبق (وعلى الترتيب) مج٦٧ - ج٣ - ص(٥٣٨) ومج٥٩ - ج٣ - ص(٥٨٧ و٦١٦ - ٦١٧).

(٦٥) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف - ص(٦) .

(٦٦ و٦٧ و٦٨) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (وعلى الترتيب) - مج ٥٣ - ج١ - ص(٢١٦)؛ ومج٥٩ - ج٣ - ص(٥٨٨- ٥٨٩ و٦١٤ و٦١٥).

(٦٩) انظر خبر (حميدة بنت النعمان) مفصلاً في (الأغاني ٩/ ٢٢٧ وبعد) وروي فيه البيت:

وهــل أنــا إلا مُهْــرةٌ عربيَّة ... ســليلةُ أفــراسٍ تجلَّــلها بَغْلُ

(٧٠) مختارات من الشعر الجاهلي - ص(٥) .

(٧١ و٧٢ و٧٣ و٧٤) انظر مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (وعلى الترتيب) مج٥٣ - ج١ - ص(٢١٣) ومج٦٧ - ج٣ - ص٥٢٦ - ٥٢٧) و(٥٣٩ و٥٥٥ و٥٢٨)، وراجع حاشية (٧٩) مما يأتي، وانظر ديوان الردة - ص(٥ - ٦).

(٧٥) انظر مضمون الحاشية (٧٣ و٧٤) في موضعه؛ وديوان الردة - ص(٥ - ٦).

(٧٦) انظر مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق مج٦٧- ج٣- ص (٥٥٥- ٥٥٦)، وص (٥٥٣- ٥٥٤) .

(٧٧ و٧٨) انظر في ذلك كله مجلة الفيصل ص(١٠٣ - ١٠٤ ثم ١٠٥ - ١٠٦).

(٧٩) انظر المرجع الأسبق - (٥٤٣) إذ حدثنا الدكتور الأشتر عن الناسك المتبتل الذي تعرَّض لمحن قاسية باندحار المثل النبيلة والظن بالناس أنهم أهل للثقة كشخصه؛ «فهذا الذي كان يجعل منه هدفًا سهلاً للطامعين فيه. كانت أبواب بيته مفتوحة

لكل طارق؛ حتى ربما سلَّم لِبعضهم مفاتيحَها ليدخلوه إذا غاب عنه» . ثم يبيِّن الأخ الصديق الدكتور الدالي (ص٥٥٤) حقيقة بعض من وثق بهم ولكنه نُكب فيهم فقال: «وعرفت فيما عرفت أنه كان منكوبًا في غير قليل ممن أحسن إليهم، ما فعل لهم إلا الخير، وضنّوا بالوفاء، بل إن فيهم من أساء إليه، وتنكَّر له، ومنهم من أصاب به اليوم علاج ذات نفسه ... كان وفيًّا يُحسن الظن بالناس فيخلفه ظنه في كثير ... وأقامت طائفة على الوفاء له» .

المصادر والمراجع

١- الأغاني- لأبي الفرج الأصفهاني - دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - نسخة مصورة عن (طبعة دار الكتب: ١- ١٦) وعن (الهيئة المصرية العامة: ١٧ -٢٤).

٢- التصوف في الإسلام - موفق فوزي الجبر- دار معد ودار النمير - دمشق- ط١ - ٢٠٠٠م.

٣- الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - دار خدمات القرآن بالأزهر .

٤- ديوان ابن الدمينة - صنعة ثعلب وابن حبيب - تحقيق أحمد راتب النفاخ - دار العروبة - القاهرة - ١٩٥٩م.

٥- ديوان الردة - د. علي العتوم - مكتبة الرسالة الحديثة - عمان/ الأردن - ط١ - ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

٦- ديوان العباس بن مرداس السلمي - تحقيق د. يحيى الجبوري - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط١ - ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

٧- ديوان النابغة الذبياني - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار المعارف بمصر- ١٩٧٧م.

٨- الرثاء في الجاهلية والإسلام - د. حسين جمعة - دار معد - دمشق - ١٩٩١م.

٩- رسالة الغفران - للمعري - تحقيق د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) - دار المعارف بمصر - ط٨ - ١٩٩٠م.

١٠- شرح ديوان كعب بن زهير - صنعة االسكري - نشر دار القومية للطباعة - القاهرة - ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.

١١- شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف - لأبي أحمد العسكري - تحقيق د. السيد محمد يوسف - مراجعة الأستاذ أحمد راتب النفاخ - مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق - ط١ - ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

١٢- الشعر والشعراء - لابن قتيبة - تحقيق أحمد محمد شاكر - دار المعارف بمصر - ١٩٦٦م.

١٣- كتاب القوافي - لأبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش - تحقيق أحمد راتب النفاخ - دار الأمانة - بيروت - ط١ - ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م.

١٤- كتاب القوافي - لأبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش - عُني بتحقيقه د. عزة حسن - وزارة الثقافة - دمشق - ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

١٥- مجلة الفيصل - العدد (٢٩٥) - محرم ١٤٢٢هـ/ مارس/ إبريل ٢٠٠١م.

١٦- مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (المجلدات والأجزاء) كما هو مبيَّن فيما يأتي:

١- مج٣٢- ج٤- ص(٦٨٥) وبعد - لعام ١٩٥٧م (رسالة الغفران) .

٢- مج٣٣ - ج١- ص(١٤٦) وبعد - لعام ١٩٥٨م (رسالة الغفران) .

٣- مج٤٢ - ج٤ - ص(٧٥٨) وبعد - لعام ١٩٦٧م (المحتسب لابن جني).

٤- مج٤٣ (-ج١- ص(٧٩) وبعد/ وج٢- ص(٣٦٩) لعام ١٩٦٨م (المحتسب لابن جني).

٥- مج ٤٧- ج١- ص(٩٢) وبعد - لعام ١٩٧٢م (كتاب القوافي للأخفش).
وج٤ - ص(٨٦٣) وبعد - لعام ١٩٧٢م (تعقيب على أرجوزة في العروض).

٦- مج٤٨ - ج٤ - ص(٨٤٠) وبعد لعام ١٩٧٣م (كتاب إعراب القرآن للزجَّاج).

٧- مج٤٩ - ج١ - ص(٩٣) وبعد - لعام ١٩٧٤م (كتاب إعراب القرآن للزجَّاج).

٨- مج٥٢ - ج١- ص(٢٤١) لعام ١٩٧٧م (مرسوم تعيينه عضوًا بالمجمع).

٩- مج٥٣ - ج١ - ص(٢٠٨) وبعد لعام ١٩٧٨م (حفل استقباله)

١٠- مج٥٤ – ج١ – ص(٢٤٠) وبعد – لعام ١٩٧٩م (عبد العزيز الميمني الراجكوتي).

١١- مج٥٧ – ج٣ – ص(٤٧٢) – لعام ١٩٨٢م (حركة عين المضارع من فَعَل).

١٢- مج٥٨ – ج٤ – ص(٦٥٧) وبعد – ١٩٨٣م (كتاب المحبة لله سبحانه).

١٣- مج٥٩ – ج٢ – ص(٢٤٥) وج٣- ص(٤٦٣)- ١٩٨٤م (كتاب المحبة لله).

١٤- مج٥٩ – ج٣ – ص(٥٨٧) وبعد – ١٩٨٤م (نظرات في نظرات).

١٥- مج٦٠ – ج٢ – وج٣ – لعام ١٩٨٥م (نظرات في نظرات).

١٦- مج٦٠ – ج٣ – لعام ١٩٨٥ (فقيد المجمع الأستاذ عبد الكريم زهور عدي).

١٧- مج٦٠ – ج٤ – لعام ١٩٨٥ (استفتاء وجوابه).

١٨- مج٦٣- ج١- ص (٥٤٧) وج٣ – (٥٨٧)- ١٩٨٤م (قرارات للمجمع بشأن الأستاذ).

١٩- مج٦٥ – ج٣ – ص(٣٤٦) وبعد – ١٩٩٠م (قرارات للمجمع بشأن الأستاذ).

٢٠- مج٦٦ –ج٤- ١٩٩١م (تعليقات على أشعار اللصوص وأخبارهم).

٢١- مج٦٧- ج٢ – ص٣٤٩ – (انتخاب الأستاذ النفاخ في بعض اللجان) . وص (٣٥١) – (الأستاذ أحمد راتب النفاخ في ذمة الله). – وج٣ –(٥٢٢)- لعام ١٩٩٢م – (حفل تأبين فقيد المجمع الأستاذ أحمد راتب النفاخ) .

١٧- مختارات من الأدب الجاهلي – د. عبد الحفيظ السطلي – مطبوعات جامعة دمشق – دمشق – ط٥ – ١٩٩١ – ١٩٩٢م.

١٨- مختارات من الشعر الجاهلي – اختارها وعلّق عليها أحمد راتب النفاخ – مكتبة دار الفتح – دمشق- ط١ – ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

التقرير السنوي عن أعمال المجمع

في دورة عام ٢٠٠٤م

أعدّه بإشراف أمين المجمع

أ. عدنان عبد ربه

يعرض التقرير أهم ما قام به مجلس المجمع ومكتبه ولجانه ومديرياته من أعمال. ولما كان الكثير من قرارات اللجان، هو وفق الأنظمة اقتراحات، ولا يرقى إلى مستوى القرار إلا إذا عزّز بقرار من المجلس أو المكتب، فقد اقتصرنا على إيراد تلك الاقتراحات، بعد أن أضحت قرارات، في أعمالهما، واكتفينا غالبًا بالإشارة إلى ذلك في أعمال اللجنة المختصة، دفعًا للتكرار الممل.

أعمال مجلس المجمع وأهم قراراته:

١- إقرار «قضايا المصطلح العلمي» موضوعًا للمؤتمر الثالث للمجمع، بناءً على توصية المكتب واقتراح لجنة النشاط الثقافي.

٢- إقرار اقتراح المكتب اتخاذ الخامسة والخمسين حدًّا أعلى لِسِنِّ المرشح لعضوية المجمع.

٣- الترشيح لانتخاب عضوٍ واحد في كل من الاختصاصات الثلاثة الآتية: الهندسة الميكانيكية، العلوم الطبيعية، اللسانيات. وحدد نهاية عام ٢٠٠٤ موعدًا أخيرًا لقبول الترشيحات.

٤- إقرار التقرير الشامل المرافق للتقرير السنوي عن أعمال المجمع لعام ٢٠٠٣، والموافقة على آليات تنفيذ توصياته التي وضعها أمين المجمع بتكليف من المجلس.

٥- تأليف أربع لجان وقتية متفرعة عن لجنة العلوم الطبيعية والزراعية هي:

١- لجنة مصطلحات علوم الأحياء الحيوانية.

٢- لجنة مصطلحات علوم الأحياء النباتية.

٣- لجنة مصطلحات العلوم الجيولوجية.

٤- لجنة مصطلحات العلوم الزراعية.

مهمتها جمع مصطلحات هذه العلوم من الكتب الجامعية السورية، وتقديم اقتراح توحيدها إلى لجنة العلوم الطبيعية والزراعية.

١- تأليف لجنة وقتية لإعداد معجم ألفاظ الحضارة المعاصرة من السادة: الدكتور زهير البابا، والأستاذ جورج صدقني، والأستاذ شحادة الخوري، والدكتور موفق دعبول، والدكتور عزيز شكري.

٢- أ - مناقشة تقرير السيدين رئيس المجمع ونائبه عن أعمال اتحاد المجامع اللغوية العربية، والطلب إلى ممثلي المجمع في الاتحاد إظهار دور المجمع وعرض توصياته ومقترحاته في اجتماعات الاتحاد.

ب - مناقشة محضر لجنة المعجم التاريخي - التي ألفها اتحاد المجامع - في اجتماعها الثاني المنعقد في القاهرة في المدة من ٤-٦ أيلول/٢٠٠٤م، وإقرار عدم موافقة المجمع على إنشاء مؤسسة لهذا المعجم.

ج- انتخاب الدكتور محمد مروان محاسني ممثلاً للمجمع في اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية رديفًا للدكتور شاكر الفحام، رئيس المجمع.

٢- إقرار اشتراك المجمع في اتحاد الأكاديميات الدولي، وإيفاد الدكتور عبد الله واثق شهيد، أمين المجمع إلى برشلونه لحضور أعمال الجمعية العامة

للاتحاد في أواخر آيار ٢٠٠٤، وتأليف لجنة برئاسته لدراسة خطة عمل المجمع في الاتحاد الدولي للأكاديميات.

٣- إقرار قواعد الإملاء التي اقترحتها لجنة اللغة العربية وأصول النحو.

أعمال مكتب المجمع وأهم قراراته:

١- الاقتراح على المجلس أهم الأعمال التنظيمية لمؤتمر المجمع الثالث (ينظر قرار المجلس).

٢- الاقتراح على المجلس وضع حدٍّ أعلى لسن المرشح لعضوية المجمع وملء شواغر العضوية على مرحلتين (ينظر قرار المجلس).

٣- مناقشة نتائج مسابقة تعيين عاملين من الفئة الأولى وقائمين بالأعمال، ممن يحملون دبلوم الدراسات اللغوية أو دبلومًا في المعلوماتية. وإقرار نتائجها التي نجح بموجبها:

أ- عامل من حملة الدبلوم اللغوي في اللغة العربية، هو السيد حسين أسود.

ب- عضوان في الهيئة الفنية في اللغة العربية هما السيدان محمود الحسن وسعد الدين المصطفى.

ج- عضو في الهيئة الفنية في المعلوماتية هو السيد بسيم برهوم.

١- الموافقة على تكليف خبراء العمل في لجنة إعداد معجم ألفاظ الحضارة المعاصرة.

٢- التعاقد مع الأستاذة سكينة الشهابي على تحقيق المجلدين ٦٤ و ٦٥ من كتاب تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر.

٣- الاقتراح على المجلس، قيام المجمع بترجمة المعجم الطبي الذي نشرته الأكاديمية الفرنسية.

٤- إيفـاد الآنسـة هلا الضحاك للحصول على الماجستير من جامعة دمشق بإجازة دراسية مدة عام بكامل الأجر.

وإيفاد السيد خير الله الشريف، أمين مكتبة المجمع، بناء على اقتراح لجنة المكتبة، إلى القاهرة لتزويد المجمع بمطبوعات مجمع القاهرة ومعهد المخطوطات ودار الكتب القومية، والاطلاع على أنظمة اتحاد المجامع اللغوية العربية الإدارية والمالية.

٥- تحديـد يـوم الجمعة يوم عطلة أسبوعية لدار الكتب الظاهرية، وتحديد دوام العاملين فيها يوم السبت من التاسعة صباحًا حتى الواحدة ظهرًا.

٦- إقرار طباعة كتاب قواعد الإملاء.

٧- الاشتراك في المعرض الأول لإعادة إعمار مكتبات العراق الذي أقيم في عمـان، وإهـداء مكتـبات العراق العامة، ومكتبات الكليات الجامعية فيه الكتب المتوفرة لدى المجمع.

٨- إقرار مشروع الموازنتين الجارية والاستثمارية للمجمع لعام ٢٠٠٥م.

٩- الـتعاقد مع المهندس مصطفى حميد لإنشاء مرأب في المجمع بتكلفة قدرهـا خمس وتسعون وتسعمئة ألف وأربعة عشر مليـون ليرة سوريـة (١٤,٩٩٥,٠٠٠ل.س).

١٠- مـتابعة ترمـيم المدرسة العادلية، والموافقة على إقرار ملحق عقد ترميمها البالغ قيمته ٥,٣١١,٩٠٥ل.س خمس وتسعمئة وأحد عشر وثلاثمئة ألف وخمسة ملايين ليرة سورية.

١١- إقـرار شـراء سـيارتين سياحيتين إحداهما لنائب رئيس المجمع والأخـرى لأعضاء المجمع. وقد تم شراء سيارة واحدة لنائب الرئيس

من مصادرات الجمارك، التي حصر قرار رئاسة مجلس الوزراء الشراء منها، فصرف النظر عن شراء السيارة الثانية.

١٢- شراء قارئة جديدة لمكروفلمات المجمع، وأربعة حواسيب يخصص واحد منها لدار الكتب الظاهرية لخدمة القراء، وجهاز تلقيم ذاتي لآلة تصوير الوثائق.

٣- لجان المجمع

لجنة المجلة والمطبوعات

أخرجت اللجنة من المجلة المجلد الثامن والسبعين. أما الكتب التي أقرت نشرها فهي:

أ - تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: أنجز طبع المجلد (٦٢) ولا يزال المجلد (٦٣) في مطبعة دار البعث، وأما المجلدان (٦٤) و (٦٥) فهما في التنضيد.

ب-كتاب استدراك الغلط الواقع في كتاب العين للزبيدي (٣١٦-٣٧٩هـ) تحقيق الدكتور صلاح الفرطوسي، وقد أنجز طبعه. وكتاب قواعد الإملاء، في مطبعة البعث لمّا ينجز طبعه. وأما ديوان أبي النجم العجلي ١٢٥هـ /٦٤٢م صنعة محمد أديب جمران فلم ينجز بعد تنضيده.

هذا ومن أبرز القرارات التي اتخذتها اللجنة في هذا العام:

● طباعة البحوث المقدَّمة في كل مؤتمر في كتاب مستقل بدءًا من مؤتمر تيسير تعليم النحو.

● تحديد حدٍّ أعلى لعدد صفحات البحث الذي يُنشر في مجلة المجمع، مقداره ثلاثون صفحة، أو نشره في أجزاء إن كان عدد صفحاته كبيرًا، ويقبل التجزئة.

● تكليف الأستاذ عاصم بيطار مهمة التصحيح الأخير، لأعداد المجلة والكتاب الخاص بمؤتمر تيسير تعليم النحو، ومنحه لقاء ذلك تعويض المراجعة العلمية واللغوية المنصوص عليه في قرار رئيس مجلس الوزراء ذي الرقم ٥١٠١ لعام ٢٠٠٤.

● استعراض مقترحات الدكتور محمد مكي الحسني الجزائري المتعلقة:

أ- بمهام مقرر لجنة المجلة، ب - وبنظام العمل في اللجنة، ج- وببنية ما تنشره المجلة، فأقرت ما تم الاتفاق عليه منها، وسينشر في المجلة.

٢- لجنة المخطوطات وإحياء التراث:

١- وافقت اللجنة على طبع كتاب الأنواء، لأبي إسحاق الزجاج، تحقيق الدكتور عزة حسن.

٢- ودرست كتاب المنقذ من الهلكة في دفع مضار السموم المهلكة، تأليف ابن تغلب، ووافقت على تكليف الدكتور محمد زهير البابا تحقيقه.

٣- لجنة المعجمات اللغوية:

- تابعت اللجنة استكمال خطة العمل في الجزء الخاص بالملابس من مشروع معجم المعاني، واقترحت على المجلس تأليف لجنة من ثلاثة خبراء للعمل في هذا الجزء من المشروع.

٤-لجنة المكتبة :

- كان أهم ما قامت به: تحديد مدة إعارة الكتب (للأعضاء حصرًا) بثلاثة أشهر قابلة للتحديد.

- والعمل على استكمال تزويد المكتبة بمؤلفات وأعمال السادة أعضاء المجمع.

- ووضع مجموعة من المراجع الأساسية في مكاتب الأعضاء الراغبين في ذلك.

- ووضع مكتبتي المجمع والظاهرية المدخلتين في الحاسوب على حواسيب السادة الأعضاء.
- وعرض الدوريات والكتب الجديدة الواردة إلى المجمع في قاعة المجلس وتعيين مسؤولٍ عنها.
- ووضع جهاز حاسوب لخدمة القراء في دار الكتب الظاهرية.
- والموافقة على شراء زهاء ٦٠٠ كتاب للمجمع والظاهرية.

٥- لجنة مصطلحات العلوم الرياضية والمعلوماتية والفيزيائية والكيميائية:

أهم ما قامت به: إنهاء المرحلة الأولى من مشروع توحيد مصطلحات الفيزياء بين الجامعات السورية، وهي مرحلة النظر في المصطلحات التي استخدمتها الجامعات الأربع أو بعضها واختيار الأفضل منها، والإعداد لعرض المشروع على الجامعات لتضع ملاحظاتها عليه.

٦ – لجنة النشاط الثقافي:

- أقامت اللجنة موسمًا ثقافيًا ألقى فيه الدكتور عبد السلام العجيلي محاضرة بعنوان «صار جدًّا ما لهونا به»، والأستاذ الدكتور مروان المحاسني محاضرة بعنوان «الذاتية الثقافية»، والدكتور عبد الكريم اليافي محاضرة بعنوان «الاختصاص والموسوعية وعلوم اللغة العربية». واقترحت «قضايا المصطلح العلمي» موضوعًا للمؤتمر الثالث، وتولت متابعة إقامته وتقويم بحوثه. واقترحت اللجنة أيضًا «قضايا اللغة العربية والمجتمع» موضوعًا للمؤتمر الرابع، كما اقترحت موعد انعقاده في المدة من ١٤- حتى ١٧ تشرين الثاني ٢٠٠٥م.

٧ – لجنة اللغة العربية وأصول النحو:

كان أهم ما قامت به من أعمال: وضع قواعد الإملاء وإحالتها على

مجلس المجمع (الذي أقرها في جلسته العاشرة)، والاقتراح على المكتب طباعتها في كتيّب وتوزيعه.

٨- لجنة مصطلحات العلوم الطبيعية والزراعية:

درست اللجنة سير العمل في لجانها الفرعية الأربع، (ينظر في أعمال المجلس)، وأقرت أسلوب تجميع المصطلحات من الكتب الجامعية المعنية والعمل على توحيدها. كما شرعت تدخل محتويات هذه الكتب من المصطلحات إلى الحاسوب وهي خطوة أولى في الخطة.

٩- لجنة ألفاظ الحضارة وتنسيق المصطلحات وتوحيدها:

١- وجهت اللجنة باسم رئيس المجمع رسالة إلى مديرة وحدة الوثائق في هيئة الأمم المتحدة بفينا، عرّفت فيها بعمل المجمع في وضع المصطلحات وضمنتها تحري إمكان الاستفادة من خبرات الوحدة في تدريب بعض العاملين في المجمع.

٢- جرى الاتفاق على أن تتطرق لجان المصطلحات الدائمة والوقتية إلى دراسة السوابق واللواحق بحسب استعمالها في كل علمٍ من العلوم، ثم تقدِّم ما توصلت إليه تلك اللجان إلى لجنة تنسيق المصطلحات وتوحيدها.

٣- قررت اللجنة الاكتفاء بتكليف عاملين اثنين رصد الألفاظ الجديدة في الصحف الدمشقية اليومية الثلاث، وذلك في المرحلة الأولى من المشروع، وإحالتها على رئيس اللجنة لفرزها حسب الاختصاص بغية دراستها، تساعده على ذلك أمينة اللجنة. وقد أقرت اللجنة عددًا من المقابلات العربية لألفاظٍ أجنبية وردت في تلك الصحف.

٤- جرى تبادل الرأي بشأن مشروع الذخيرة اللغوية، الذي وافق اتحاد المجامع على القيام به وأوصت الجامعة العربية بدفع العمل فيه، ورئي أن تقترح اللجنة على مجلس المجمع المشاركة في هذا العمل في خطة المجمع القادمة.

٥- اطلعت اللجنة على المصطلحات الواردة في كتاب (في عصور حضارتنا وتوصيفها) لعماد يوسف قدسي، فأبدى أعضاؤها تقديرهم للجهد المبذول وبعض ملاحظاتهم عليه.

٦- تداول الأعضاء الرأي بشأن مشروع تعريب «معجم الأكاديمية الوطنية للطب بفرنسة» مضمونِ كتاب الأمين العام للأكاديمية، واستقر الرأي على اقتراح مواصلة العمل مع المجلس الدولي لحصول المجمع على الحق في ترجمته؛ والتشاور مع هيئات ذات علاقة بالموضوع للوصول إلى صيغة تعاون معها، يتولى فيها المجمع الإشراف على العمل. واقترحت اللجنة تكليف الأستاذ الدكتور مروان المحاسني متابعة المشروع في الأكاديمية والمجمع.

١٠- اللجان الوقتية المتفرعة عن اللجان الدائمة

ألف المجلس عددًا من اللجان الوقتية لإنجاز أعمال مختلفة أهمها:

أ- اللجنة الوقتية لإعداد معجم ألفاظ الحضارة

كان أهم ما قامت به، جمع المراجع التي يمكن الاستفادة منها في إعداد المعجم، وتحديد أسلوب العمل فيه. ثم وزعت الفصول الخاصة بالقسم الأول منه على أعضائها، واقترحت تكليف خبراء العمل في إعداده، كما اقترحت خطة العمل في عام ٢٠٠٥م.

ب- اللجان المتفرعة عن لجنة العلوم الطبيعية والزراعية (ينظر في قرارات المجلس).

قدم خبراء كل لجنة من اللجان الأربع مسارد مصطلحاتها، ويقوم العاملون في الدائرة الفنية في المجمع بإدخال المصطلحات في الحاسوب. ولم تستكمل بعد اللجنة الوقتية لمصطلحات العلوم الزراعية مسارد الكتب الجامعية في اختصاصها.

٤- دار الكتب الظاهرية

- دخل الدار في هذه الدورة /٢٧٥/ كتاب منها /١١٩/إهداء. وبذلك يصبح مجموع كتب الدار ٧٦٩٧١ (واحدًا وسبعين وتسعمئة وستة وسبعين ألف) كتاب.

أما المجلات، فقد دخل الدار في هذه الدورة /٢١٣/مجلة عربية ضمن /٢٧/عنوانًا، منها /١٣٩/مجلة أهديت إلى الدار من خارج القطر و/١٧٠/ دورية بلغة أجنبية، وبذلك يصبح عددها في الدار ٣٩٩٢٦ (ستًا وعشرين وتسعمئة وتسعة وثلاثين ألف) مجلة ودورية.

- جردت في هذا العام ممتلكات الدار من الكتب والمجلات للتحقّق من سلامتها من النقص، وجرى تجليد بعض الكتب وتجديد بضعة آلاف بطاقة فهرسة تالفة.

- بلغ عدد القراء الجدد المشتركين في الدار في هذه الدورة/٣٠٨/ مشترك، وبذلك يصبح مجموع المشتركين في الدار (٤٧٢٨) مشترك. ويبلغ عدد رواد المكتبة في اليوم الواحد ما بين عشرة رواد صيفًا ومئة رائد شتاءً. ويرتاد الدار عدد كبير من المواطنين والسائحين للاطلاع على معالمها التاريخية، وآثارها العمرانية.

- ما تزال أعمال الترميم جارية في المدرسة العادلية.

٥- مؤتمر المجمع:

برعاية كريمة من سيادة الرئيس بشار الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية، عقد المجمع مؤتمره الثالث بعنوان «قضايا المصطلح العلمي» وذلك في المدة من ١٠-١٢ تشرين الأول عامَ ٢٠٠٤ في قاعة محاضراته. وقد شارك في المؤتمر باحثون من مختلف الأقطار العربية.

أقيم حفل افتتاح المؤتمر في قاعة المحاضرات بمكتبة الأسد في الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الأحد ٢٠٠٤/١٠/١٠، وحضره عدد من السادة الوزراء والسفراء العرب ورئيس المجمع وأعضاؤه، وأعضاء المؤتمر وأساتذة الجامعات، وجمهور من المثقفين. وألقيت في الحفل كلمات الأستاذ الدكتور هاني مرتضى، وزير التعليم العالي، ممثل السيد رئيس الجمهورية راعي المؤتمر،والأستاذ الدكتور شاكر الفحام، رئيس المجمع، والأستاذ أحمد شفيق الخطيب، ممثل الباحثين المشاركين في المؤتمر. وستنشر قراراته وتوصياته مع بحوثه في كتاب مستقل.

٦- مكتبة المجمع:

جرى إغناء مكتبة المجمع هذا العام بـ/١١٨٤/ كتاب، منها /٥٨٩/ كتاب شراء و/٥٩٥/ إهداء. وبذا يصبح عدد الكتب العربية في المكتبة /٢٨١٥٦/ كتاب.

كما زودت المكتبة الأجنبية بـ /١٧٧/كتاب، ودخل قسم المجلات والدوريات العربية /١١٠/مجلة ودورية، ودخل قسم المجلات والدوريات الأجنبية /٤٠/ مجلة ودورية.

٧- حفلات الاستقبال:

أقام المجمع في الشهر الأول من هذا العام حفلي استقبال في قاعة المحاضرات في المجمع لعضويه الجديدين: الأستاذ عاصم البيطار والأستاذ الدكتور محمد عزيز شكري.

احتفل المجمع باستقبال الأستاذ عاصم البيطار خلفًا للأستاذ الدكتور عادل العوا في جلسة علنية عقدها مساء الاثنين ٢٠٠٤/١/١٢، قدمه فيها وتحدث عن سيرته العلمية الدكتور محمد مكي الحسني الجزائري.

كما احتفل المجمع باستقبال الأستاذ الدكتور محمد عزيز شكري في جلسة علنية عقدها مساء الأربعاء ٢٠٠٤/١/٢٨ ، خلفًا للأستاذ الدكتور محمد بديع الكسم، وقد قدمه فيها وتحدث عن سيرته العلمية الدكتور موفق دعبول.

٩- موازنة المجمع:

- بلغ مجموع الاعتمادات المخصصة (الجارية والاستثمارية) لعام ٢٠٠٤ /٣٧,٩١٥,٠٠٠/ خمسة عشر وتسعمئة ألف وسبعة وثلاثين مليون ليرة سورية.

- وبلغ مجموع ما أنفق من هذه الاعتمادات في عام ٢٠٠٤ /٣٤,٣١٩,٦٥٣/ ثلاثًا وخمسين وستمئة وتسعة عشر وثلاثمئة ألف وأربعة وثلاثين مليون ليرة سورية.

- وبلغ الاعتماد المتبقي من الموازنة /٣,٥٩٥,٣٤٧/سبعًا وأربعين وثلاثمئة وخمسة وتسعين ألفًا وخمسمئة ألف وثلاثة ملايين ليرة سورية. وحال دون إنفاقه صعاب طارئة كالتي حالت دون صرف مبلغ /٧٠٠٤٧٠/ليرة من مخصصات شراء وسائط النقل (ينظر أعمال وقرارات المكتب). وكانت النسبة المئوية للإنفاق ٩٠,٥٢ ٪.

الكتب والمجلات المهداة

إلى مكتبة مجمع اللغة العربية

في الربع الأول من عام ٢٠٠٥م

أ – الكتب العربية

أ. خير الله الشريف

- **أبحاث المؤتمر السنوي الثاني والعشرين لتاريخ العلوم عند العرب/** إعداد: د. مصطفى موالدي، إشراف: د. علاء الدين لولح – حلب: جامعة حلب، ٢٠٠١.
- **اتجاهات البحث اللساني/** ميلكا إفيتش، ترجمة: سعد عبد العزيز مصلوح، وفاء كامل فايد –ط٢– القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٠.
- **اتجاهات الشباب والمراهقين نحو العمل... /** د. كلثم علي غانم الغانم – الكويت: مجلس النشر العلمي، ٢٠٠٤ – (سلسلة حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ٢٤، الرسالة ٢١٤).
- **أثر وسائل التقنية في تطوير تعليم العربية /** د. رضوان الدبسي – أبوظبي: جمعية حماية اللغة العربية، ٢٠٠٢.
- **الاثنينية /** مجموعة من الأساتذة – جدة: عبد المقصود محمد سعيد خوجة، ٢٠٠٣ – ج(٢٠).
- **الإدارة العلمية للمكتبات ومراكز المعلومات/** د. هند بنت عبد الرحمن آل عروان – الرياض: مكتبة الملك فهد، ٢٠٠٣– (السلسلة الأولى ٣٧).
- **الأساليب التربوية المستمدة من دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب/** د. عبد الرحمن بن علي العريني – الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ٢٠٠٣.

- **استطلاع آراء المواطنين حول الإنفاق الخيري في دولة الكويت**/ الأمانة العامة للأوقاف – الكويت: الأمانة، ٢٠٠٣.
- **الاستيطان الصهيوني**/ د. طلال ناجي – بيروت: مؤسسة الرؤى للطباعة والنشر، ٢٠٠٢.
- **إطلالة على حياة عالم مصري في عامه التسعين: د. محمود حافظ**/ مجموعة من الأساتذة – القاهرة: مجمع اللغة العربية، ٢٠٠٤.
- **اقتصادنا**/ محمد باقر الصدر – طهران: مكتب الإعلام الإسلامي، ٢٠٠٤.
- **الإنتاج الفكري العربي في مجال المكتبات والمعلومات ١٩٩٧– ٢٠٠٠م**/ د. محمد فتحي عبد الهادي – الرياض: مكتبة الملك فهد، ٢٠٠٣ – (السلسلة الثالثة ٤١).
- **الأوائل**/ ابن أبي عاصم، قابله: محمد بن ناصر العجمي – بيروت: دار البشائر الإسلامية، ٢٠٠٤ – (سلسلة الكتب والأجزاء المقروءة في جوامع ودور الحديث بدمشق: دار الحديث النورية).
- **الباب الصرفي وصفات الأصوات...**/ د. وفاء كامل فايد – ط١ – القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠١.
- **البيليوغرافية الوطنية الأردنية**/ المكتبة الوطنية – عمان: المكتبة، ٢٠٠٣.
- **بحوث في المعجمية العربية: المعجم اللغوي**/ د. عبد الله الجبوري – بغداد: المجمع العلمي العراقي، ٢٠٠٤.
- **البراهين القاطعة في شرح تجريد العقائد الساطعة**/ شريعتمدار – قم: مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية، ٢٠٠٣ – ج٢.
- **بناء القصيدة في العصر المملوكي**/ د. يوسف أحمد إسماعيل – الكويت: مجلس النشر العلمي، ٢٠٠٤ – (سلسلة حوليات الآداب والعلوم

الاجتماعية ٢٤، الرسالة ٢٢٠).

- **التاريخ السياسي لإمارة بني مسافر...**/ د. سليمان عبد العبد الله الخرابشة — الكويت: مجلس النشر العلمي، ٢٠٠٤ — (سلسلة حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ٢٤، الرسالة ٢١٥).
- **التاريخ الشفهي: حديث عن الماضي**/ د. روبرت بيركس، ترجمة: عبد الله ابن إبراهيم العسكر — الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ٢٠٠٣.
- **تاريخ مدينة دمشق**/ ابن عساكر، تحقيق: سكينة الشهابي — دمشق: مجمع اللغة العربية، مج ٦٢.
- **التذكرة في أصل الوهابيين ودولتهم**/ جان ريمون، ترجمة: محمد خير البقاعي — الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ١٤٢٤هـ - (سلسلة كتاب الدارة ٥).
- **تراث العرب السياسي**/ تحرير: د. فيصل الحفيان — القاهرة: معهد المخطوطات العربية، ٢٠٠٣- (سلسلة ندوة قضايا المخطوطات ٥).
- **التراث العربي المخطوط في فلسطين**/ تحرير: د. فيصل الحفيان — القاهرة: معهد المخطوطات العربية، ٢٠٠١- (سلسلة ندوة قضايا المخطوطات ٤).
- **تراث العرب والمسلمين في العلاقات الخارجية**/ تحرير: د. فيصل الحفيان — القاهرة: معهد المخطوطات العربية، ٢٠٠٣- (سلسلة ندوة قضايا المخطوطات ٦).
- **تراكب الأصوات في الفعل الثلاثي الصحيح: دراسة استقصائية في القاموس المحيط**/ د. وفاء كامل فايد — القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩١.
- **تعريفات الراغب الأصفهاني**/ د. عمر عبد الرحمن الساريسي — عمان:

عالم الكتب الحديث، ٢٠٠٤.

- **توثيق الترجمة والتعريب**/ علي سليمان الصوينع – الرياض: مكتبة الملك فهد، ٢٠٠٣ – (السلسلة الثانية ٤٢).
- **ثبت الإمام السفاريني الحنبلي...**/ قابله: محمد بن ناصر العجمي – بيروت: دار البشائر الإسلامية، ٢٠٠٤ – (سلسلة الكتب والأجزاء المقروءة في جوامع ودور الحديث بدمشق، مدرسة محراب الحنابلة بالجامع الأموي).
- **جزء فيه سبعة مجالس من أمالي الإمام محمد بن عبد الرحمن المخلص**/ قابله: محمد بن ناصر العجمي – بيروت: دار البشائر الإسلامية، ٢٠٠٤– (سلسلة الكتب والأجزاء المقروءة في جوامع ودور الحديث بدمشق، الجامع الأموي).
- **جزء فيه ستة مجالس من أمالي شيخ الحنابلة القاضي أبي يعلى الفراء**/ قابله: محمد بن ناصر العجمي – بيروت: دار البشائر الإسلامية، ٢٠٠٤ (سلسلة الكتب والأجزاء المقروءة في جوامع ودور الحديث بدمشق، جامع الحنابلة).
- **الحكومة الإلكترونية بين التخطيط والتنفيذ**/ د. فهد بن ناصر بن دهام العبود – الرياض: مكتبة الملك فهد، ٢٠٠٣ – (السلسلة الثانية٤).
- **دراسات في علم المخطوطات والبحث البيليوغرافي**/ أحمد شوقي بنبين – ط٢ – مراكش: المطبعة والوراقة الوطنية، ٢٠٠٤.
- **دليل المجلات السعودية المحكمة**/ دارة الملك عبد العزيز – الرياض: الدارة، ١٤٢٥هـ - (١٥٩).
- **دور الوقف الإسلامي في تنمية القدرات التكنولوجية**/ عبد اللطيف محمد الصريخ – الكويت: الأمانة العامة للأوقاف، ٢٠٠٤.

- **ديوان محمد بن الطُّلْبه اليعقوبي الشنقيطي الموريتاني**/ شرح وتحقيق: محمد عبد الله بن الشبيه بن أبّوه – نواكشوط: أحمد سالك بن محمد الأمين بن أبّوه، ١٩٩٩.
- **رحلة الحاج من بلد الزبير بن العوام إلى البلد الحرام**/ سعد بن أحمد الربيعة – الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ٢٠٠٣ – (الكتاب الرابع، العدد ١٤٤).
- **الرسالة السمرقندية في الاستعارات**/ أبو القاسم السمرقندي، تحقيق: عدنان عمر الخطيب – دمشق: دار العصماء، ٢٠٠٥.
- **رسالة في آداب الاختلاط بالناس**/ الراغب الأصفهاني، تحقيق: د. عمر عبد الرحمن الساريسي – عمان: دار البشير، ١٩٩٨.
- **زكي المحاسني: المربي الأديب والشاعر الناقد**/ سماء زكي المحاسني – دمشق: دار القلم، ٢٠٠٤ – (سلسلة علماء ومفكرون معاصرون٢٣).
- **سلوك تدخين السجائر لدى طلبة الجامعة**/ د. بدر محمد الأنصاري – الكويت: مجلس النشر العلمي، ٢٠٠٤ – (سلسلة حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ٢٤، الرسالة ٢١٧).
- **السموأل وأخباره والشعر المنسوب إليه**/ مختار الغوث – ١٩٩٤.
- **شرح عيون الإعراب**/ الفزاري، تحقيق: د. وفاء كامل فايد – القاهرة: ١٩٨٦.
- **شعر عبد الله بن أيوب التيمي**/ تحقيق: د. حمد بن ناصر الدخيل – القاهرة: معهد المخطوطات العربية، ٢٠٠١.
- **طباعة الكتب ووقفها عند الملك عبد العزيز**/ عبد الرحمن بن عبد الله الشقير – الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ٢٠٠٣.

- **الطب النبوي**/ ابن السني، إشراف وتقديم: د. عبد الرحمن عبد الله العوضي، د. أحمد رجائي الجندي – الكويت: المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية، ٢٠٠٤ – (سلسلة المخطوطات الطبية ١).
- العربية والبحث اللغوي المعاصر/ **د. رشيد عبد الرحمن العبيدي – بغداد: المجمع العلمي العراقي، ٢٠٠٤.**
- **العلاقات الحضارية بين الجزيرة العربية ومصر في ضوء النقوش العربية القديمة**/ د. سعيد بن فايز إبراهيم السعيد – الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ٢٠٠٣.
- **علم التوثيق الشرعي**/ د. عبد الله بن محمد بن سعد الحجيلي – الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ٢٠٠٣ – (السلسلة الأولى ٣٦).
- **الفائزون بجائزة سلطان بن علي العويس الثقافية دورة ٢٠٠٢**/ عبد الإله عبد القادر – أبو ظبي: مؤسسة سلطان العويس، ٢٠٠٤.
- **الفهارس المفصلة لمجلة معهد المخطوطات العربية**/ صنعة: محمد فتحي عبد الهادي، د. فيصل الحفيان – القاهرة: معهد المخطوطات العربية، ٢٠٠١.
- **فهرس المخطوطات الأصلية**/ جامعة الكويت – الكويت: إدارة المكتبات في الجامعة، ٢٠٠٣ – ٣ج.
- **فهرس المخطوطات الطبية في المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية**/ د. عبد الرحمن عبد الله العوضي – الكويت: المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية، ٢٠٠٣.
- **في الخيمة الأخرى**/ د. طلال ناجي – بيروت: الأوائل، ٢٠٠١.
- **في عصور حضارتنا وتوصيفها: مصطلح مقترح**/ عماد يوسف قدسي – دمشق: دار طلاس، ٢٠٠٤.

- **قائمة المخطوطات الطبية المصورة لدى المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية/** المنظمة – الكويت: ٢٠٠٣.
- **قائمة المطبوعات لدى المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية/** المنظمة – الكويت: ٢٠٠٣.
- **القرآن الكريم/** ترجم معانيه إلى البوسنية: د. أسعد دراكوفيتش وآخرون – سراييفو: ٢٠٠٤.
- **قراءات نقدية في شعرية القصيدة العربية الحديثة في الكويت.../** د. محمود جابر عباس الجنابي – الكويت: مجلس النشر العلمي، ٢٠٠٤ – (سلسلة حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ٢٤، الرسالة ٢١٩).
- **قصيدة الرثاء.../** د. وفاء كامل فايد – القاهرة: جامعة القاهرة، ٢٠٠٠.
- **قضية التعريب في مصر/** د. محمود حافظ – القاهرة: مجمع اللغة العربية، ١٩٩٧.
- **قضية اللاجئين وحق العودة/** د. طلال ناجي – بيروت: مؤسسة الرؤى، ٢٠٠٢.
- **كتاب جمل الغرائب للنيسابوري وأهميته في علم غريب الحديث/** د. محمد أجمل أيوب الإصلاحي – الرياض: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، ٢٠٠٤.
- **كتاب في الجبر والمقابلة/** شجاع بن أسلم، تحقيق: د. سامي شلهوب – حلب: جامعة حلب، ٢٠٠٤.
- **كتب المسلسلات عند المحدثين/** د. عبد اللطيف بن محمد الجيلاني – الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ٢٠٠٣ – (السلسلة الثالثة ٥٢).
- **كشافات النصوص التقليدية والمحسبة.../** د. أماني زكريا الرمادي – الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ٢٠٠٣ – (السلسلة الثالثة ٥٤).
- **اللغة الأم/** جماعة من المؤلفين – تيزي وزو (الجزائر): دار هومة، ٢٠٠٤.

- **اللغة العربية في دولة الإمارات العربية المتحدة ومناهج تعليمها**/ د. رضوان الدبسي – ط١ – الشارقة: جمعية حماية اللغة العربية، ٢٠٠٣– ج١.
- **المباحث في علم الأصول**/ محمد حسن القديري – طهران: مركز الإعلام الإسلامي، ٢٠٠٤ – ج٢.
- **محاضرات في الصهيونية**/ د. طلال ناجي – بيروت: مؤسسة الرؤى، ٢٠٠٢.
- **محاضرات في القضية الفلسطينية**/ د. طلال ناجي – بيروت: مؤسسة الرؤى، ٢٠٠٢.
- **مختصر جامع العلوم والحكم**/ ابن رجب الحنبلي، صنفه: محمود الأرناؤوط –ط١– دمشق: دار الثقافة والتراث، دار المأمون للتراث، معهد الفتح الإسلامي، ٢٠٠٣.
- **مدخل إلى علم الاقتصاد**/ د. علاء شفيق الراوي – بغداد: المجمع العلمي العراقي، ٢٠٠٤ .
- **مدخل إلى علم النفس**/ د. طه النعمة، د. صباح العجيلي – بغداد: المجمع العلمي العراقي، ٢٠٠٤.
- **مرآة حياتي**/ العماد مصطفى طلاس – دمشق: دار طلاس، ٢٠٠٤ – العقد الرابع.
- **مستقبل اللغة العربية**/ د. عبد العزيز بن عثمان التويجري – سلا: إيسيسكو، ٢٠٠٤.
- **مشيخة المسند محمد بن إبراهيم البياني**/ تخريج: ابن رافع السلامي، قابله: محمد بن ناصر العجمي – بيروت: دار البشائر الإسلامية، ٢٠٠٤ – (سلسلة الكتب والأجزاء المقروءة في جوامع ودور الحديث بدمشق،

دار الحديث النورية).

- **مصادر المياه ودورها في التنمية الاقتصادية والاجتماعية في دولة الكويت/** د. عبيد سرور العتيبي – الكويت: مجلس النشر العلمي، ٢٠٠٤– (سلسلة حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ٢٤، الرسالة ٢١٨).
- **المعجم الكبير: المنهج والتطبيق/** مجمع اللغة العربية – القاهرة: المجمع، ١٩٨١.
- **معجم مصطلحات المخطوط العربي: قاموس كوديكولوجي/** أحمد شوقي بنبين، مصطفى طوبي – مراكش: المطبعة والوراقة الوطنية، ٢٠٠٣.
- **مقاربات منهاجية/** د. صالح بلعيد – الجزائر: دار هومة، ٢٠٠٤.
- **منهج وضع المصطلحات العلمية العربية المتخصصة /** مجمع اللغة العربية – القاهرة: المجمع، ١٩٩٥.
- **موت النص: جدلية التحقيق والتخييل.../** د. محمد أبو الفضل بدران – الكويت: مجلس النشر العلمي، ٢٠٠٤ – (سلسلة حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ٢٤، الرسالة ٢١٦).
- **نساء ورجال في الأدب والسياسة وإصلاح المجتمع/** د. ليلى الصباغ – ط١ – دمشق: إشبيلية للدراسات والنشر، ١٩٩٥.
- **النفوذ الصهيوني في العالم بين الحقيقة والوهم .../** د. طلال ناجي – بيروت: مركز دراسات الغد العربي، ٢٠٠٤.
- **نقوش ثمودية جديدة من الجوف، المملكة العربية السعودية/** سليمان بن عبد الرحمن الذييب – الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ٢٠٠٣.
- **الوسيط في تراجم أدباء شنقيط/** أحمد بن الأمين الشنقيطي – ط٤ – القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٨٩.

ب- المجلات العربية

أ.ماجد الفندي

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
١ – الأسبوع الأدبي	(٩٣٣ ، ٩٣٤، ٩٣٥،	٢٠٠٤م	سورية
٢ – الحياة التشكيلية	(٦٩)	٢٠٠٤م	سورية
٣- دراسات تاريخية	(٨٥، ٨٦)	٢٠٠٤م	سورية
٤- رسالة معهد التراث	(٧٦)	٢٠٠٤م	سورية
٥- صوت فلسطين	(٤٤٠، ٤٤٢ ،٤٤٣)	٢٠٠٤م	سورية
٦- الضاد	(٩، ١٠)	٢٠٠٤م	سورية
٧- عالم الذرة	(٩٤)	٢٠٠٤م	سورية
٨- الفكر السياسي	(٢٠)	٢٠٠٤م	سورية
٩- المجلة البطريركية	(٢٣٧، ٢٣٨)	٢٠٠٤م	سورية
١٠- مجلة جامعة تشرين	(١٢، ١٣) مج (٢٤)	٢٠٠٤م	سورية
١١- مجلة الشريعة	(٤٦٧، ٤٦٨)	٢٠٠٤م	الأردن
١٢- الأمن والحياة	(٢٦٨)	٢٠٠٤م	السعودية
١٣- عالم الكتب	(١+٢) مج (٢٦)	٢٠٠٤م	السعودية
١٤- المجلة العربية	(٣٣٣، ٣٣٤)	٢٠٠٥م	السعودية
١٥- البيان	(٤١٢، ٤١٣)	٢٠٠٤م	الكويت
١٦- مجلة العلوم	(٤، ٥، ٨، ٩) مج (٢٠)	٢٠٠٤م	الكويت
١٧- آفاق الهند	(٩، ١٠) مج (١٧)	٢٠٠٤م	الهند
١٨- الرابطة	(١-٢) مج (٢٩)	٢٠٠٤م	اليونسكو

ج- الكتب والمجلات الأجنبية

طهران صارم

1- Books:

- The Merchant of Venice/ by: Shakespear.
- King Henry IV/by: Shakespear.
- The Tempest/ by: Shakespear.
- King lear/ by: Shakespear.
- The Merry Wives of Windsor/ by: Shakespear.
- Timon of Athens/ by: Shakespear.
- Love's Labour's Lost/ by: Shakespear.
- The Poems/ Edited by: F.T. Prince.
- The Comedy of Errors/ by: R.A. Foakes.
- The Development of Shakespere's.
- Imagery/ by: Wolfgang H. Clemen.
- The True Voice of feeling/ by: Herbert Read.
- Poetry and Experience/ by: Madeish.
- All's Well That Ends Well/ by: G.K. Hunter.
- Julius Caesar/ by: T.S. Dorsch.
- Othello/ by: M.R. Ridly.
- Marxism and The Linguistic philosophy.
- Sonnets and Verse/ by: H. Belloc.
- James Joycés Ulysses/ by: Stuart Gilbert.
- The Two Gentlemen of Verona/ by: Shakespear.

2 – Periodicals:

- . معارف : (لغة فارسية) Vol. (175 – 176) No. 2- 3, 2005
- Resistance, No. (1-9) , 2005 .
- Self – Realization, Fall, 2005.
- S G I Quarterly, No. 42, 2005 .
- Korea and World Affairs, Vol. XXIX, No. 1.

فهرس الجزء الثاني

من المجلد الثمانين

(المقـــالات)

(التعريف والنقـــد)

(آراء وأنبـــاء)

مجلة

مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »



جمادى الأولى ١٤٢٦هـ

تمـوز ٢٠٠٥م



ص.ب ٣٢٧

البريد الإلكتروني: E-mail: mla@net.sy

أنشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١م

تصدر أربعة أجزاء في السنة

قيمة الاشتراك السنوي بدءاً من مطلع العام ١٩٩٦م:
- ١٦٠ ليرة سورية في الجمهورية العربية السورية
- ١٥ دولاراً أمريكياً في البلدان العربية
- ١٨ دولاراً أمريكياً في البلدان الأجنبية

ترسل المجلة إلى المشترك خارج القطر بالبريد الجوي المسجّل

(تدفع قيمة الاشتراك عند طلبه)

(خطة المجلة)

- إن خطة المجلة التي تلتزمها أن تنشر لكتّابها المقالات التي يخصّونها بها ويقصرونها عليها.
- المقالات المنشورة تعبر عن آراء أصحابها.
- ترتيب المقالات يخضع لاعتبارات فنية.
- ينبغي أن تكون المقالات المرسلة إلى المجلة مطبوعة على الآلة الراقنة، أو على الحاسوب، ويفضل في هذه الحالة أن تشفع المقالة بقرص مرن (ديسك فلوبي) مسجلة عليه، أو مرسلة بالبريد الإلكتروني.
- المقالات التي لا تنشر لا تردّ إلى أصحابها.
- يرسل الكاتب الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة، مع مقالته، موجزاً بسيرته العلمية وآثاره وعنوانه.

الجزء الثالث — المجلد الثمانون



« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »



جمادى الأولى ١٤٢٦هـ

تمـــوز ٢٠٠٥م

لجنة المجلة

أمين المجلة

نظرات لغويـــة

د. إحسان النص

ثمة ألفاظ لغوية شائعة على ألسنة المتحدِّثين وفي أقلام الكاتبين، وهي على ضربين: أحدهما مخالفة الدلالة الأصلية للكلمة، وثانيهما: أخطاء في ضبط الكلمة. وفيما يأتي أمثلة منها:

١- الحجـــاب

. شاع استعمال هذه الكلمة للدلالة على حجب المرأة وجهها وشعرها عن الناس، واشتق منها الفعل: تحجّبت المرأة أي وضعت الحجاب، وامرأة مُحجّبة. ولكن المعنى الأصلي للحجاب إنما هو حجب النساء عن البروز إلى الرجال والاختلاط بهم، وعدم التحدّث إليهن إلاّ من وراء ستر.

كانت نساء الرسول ﷺ يتعرّضن لدى مرورهنّ في الأسواق إلى مضايقات وتحرّشات، فأمرهنّ الله في كتابه العزيز بلزوم بيوتهنّ، وألاّ يخاطبهن الناس إلا من وراء حجاب، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب٥٣]، وقوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى﴾ [الأحزاب: ٣٣].كما أمرهنّ الله تعالى بارتداء الأثواب السابغة، وعمّم هذا الأمر على نساء المسلمين جميعًا في قوله:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلاَبِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

أما ماتضعه المرأة لستر وجهها فهو (البُرْقُع) و (النِقاب). ولتوضيح دلالات هذه الألفاظ نرجع إلى معجم (لسان العرب) فنجد:

الحجاب: السِتْر، وقد احتجب وتحجّب: إذا اكتنّ من وراء حجاب، وامرأة محجوبة: قد سُترت بسِتر. (ومن لفظ حجب اشتُق لفظ (الحاجب) لأنه يحجب الناس عن الدخول إلى الأمير أو السلطان).

البُرقع: للدوابّ ونساء الأعراب، وفيه خُرقان للعينين. قال توبة بن الحُميّر:

وكــنـت إذا ماجئت ليلى تبرقعت   فقــد رابني منها الغَداة سفورُها

والنّقاب: القناع على مارن الأنف، وهو البُرقع أيضًا، لا يبدو منه إلاّ العينان.

ونحوه: القِناع والمِقْنعَة: وهو ما تتقنّع به المرأة من ثوب تغطي به رأسها ومحاسنها، وقنّعت رأسها، وقَنّعتُها: ألبستها القناع فتقنّعت. قال عنترة:

إن تُغْــدِفي دوني القِـــناعَ فـــإنني   طَـــبٌّ بـــأخذ الفـــارس المُسْتَلئمِ

وكان نفر من الشُّبّان ذوي الحُسن والقَسامة يُقنِّعون وجوههم، لئلا ترى النساء حسنهم فيُفتنَّ بهم، ومنهم: المقنَّع الكندي الشاعر، واسمه محمد بن عُمير، جاء في ترجمته في كتاب (الشعر والشعراء): كان من أجمل الناس وأمدِّهم قامة، فكان إذا كشف عن وجهه لُقع، أي أُصيب بالعين، فكان يتقنّع دهرَه.

وثمة لفظ ثالث هو النِّقاب، وهو ما يخفي وجه المرأة دون عينيها. ومنه يقال: تنقّبت المرأة أي وضعت النقاب، وهي حسنة النِّقبة.

ومما تلبسه النساء: الخِمار، وهو ما تغطي به المرأة رأسها، وجمعه أخمرة وخُمُر، والخِمرة: خبرة المرأة في وضع الخمار وهيئة الاختمار، ومن أمثال العرب: إنّ العَوان لا تُعلَّم الخِمرة، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١] وجيب الثوب: طوقه.

على أن استعمال الحجاب بمعنى البرقع مقبول، من قبيل التوسّع في الدلالة، لأنه يحجب الوجه ويستره.

٢- القناعة والإقناع

في اللغة: قَنِع يقنَع قناعة، فهو قَنِع وقَنُوع وقانع: رَضي، والقانع: الراضي. وفي الحديث الشريف: القناعة كَنز لا ينفَد، أي، رضا المرء بما عنده. والقُنوع: الرضا باليسير من العطاء. وأقنعني فلان: أي أرضاني. والإقناع: رفع الرأس والنظر في ذلّ وخشوع. وللفظ الإقناع معان أخرى، وليس في اللغة: أقنع

الرجل برأيه، بمعنى جعله يرى رأيه صوابًا. ولكن من قبيل التوسع الدلالي لا مانع من استعمال أقنعه برأيه بمعنى أرضاه برأيه وجعله يقبله.

٣- القَبْـــو

يُستعمل لفظ (القبو) لدى الناس عامة بمعنى: البناء أو المنزل الذي يقع تحت الطبقة الأولى وتحت مستوى الأرض. ولكن معنى القبو في اللغة مختلف فهو البناء المعقود بعضه إلى بعض، وجمعه أقبية، وقَبوتُ البناء أي رفعته، فمعناه في اللغة يخالف معناه عند الناس.

أما ما يكون تحت الأرض فهو (السِّرداب)، و (السَّرَب) وهو البيت تحت الأرض. وإذا كان البناء تحت الأرض مفتوحًا يُمَرّ منه من مكان إلى مكان فهو (النَفَق).

٤- احتــــجَّ

يقولون مثلاً: احتجّ العُمّال على تخفيض أجورهم. واستعمال الفعل (احتج) في هذه الجملة وأمثالها بمعنى (اعترض) غير صحيح لغويًا. فمعنى الفعل أتى بالحُجّة والدليل. وكان الفقهاء يحتجّون بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تؤيِّد مذهبهم. وكان النّحاة القدامى يحتجون كذلك بالآيات القرآنية والأشعار على صحة أقوالهم، والاسم منه هو الاحتجاج.

وفي لسان العرب: حَجّه يَحُجّه حَجًّا: غلبه على حجته. والحُجّة: البرهان والدليل، واحتجّ بالشيء: اتخذه حجّة. وحاجّه مُحاجّةً وحِجاجًا: نازعه الحجّة. وقد ورد هذا الفعل في آيات قرآنية كثيرة، منها قوله تعالى:

﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّـــهِ﴾ [آل عمران: ٢٠].

أما احتجّ بمعنى اعترض فلا وجود لهذه الدلالة في اللغة، وإنما يُقال: اعترض العُمال على تخفيض أجورهم، والاسم: الاعتراض، ويستعمل بهذه الدلالة الأفعال: اعترض، ورفض، واستنكر، ونحوها.

٥- الرَّقَم والرَّقيم

استعمال لفظ الرقم (بفتح القاف وتسكينها)، وجمعه أرقام، بمعنى العدد، لا وجود له في اللغة، وفي لسان العرب: الرَّقْم والترقيم: تعجيم الكتاب – أي وضع النقاط على الحروف المعجمة –، وكتاب مرقوم: أي قد بُيّنت حروفه بعلامات التنقيط. وقوله تعالى: ﴿كِتَابٌ مَّرْقُومٌ﴾ [المطففين: ٩] أي كتاب مكتوب، ومنه المِرقَم وهو القلم، والرَّقْم: الكتابة والختم، ورقمت الثوب: كتبت ثمنــه عليه.

والصواب أن نستعمل لفظ (العدد) مكان (الرقم)، وهو ما يقابل لفظ Nombre بالفرنسية و Number بالإنكليزية.

أما لفظ (الرَّقيم) الذي ورد في القرآن في قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ [الكهف: ٩]، فقد اختلف المفسرون واللغويون في معناه، ومن المعاني التي ذكروها: الدَّواة، واللَّوح، والجبل الذي كان فيه الكهف، ولوح رصاص كُتبت فيه أسماؤهم وأنسابهم وقصصهم وممّ فرّوا، والقرية التي خرجوا منها، والكتاب، والوادي.

وهذا اللفظ قد يكون من الألفاظ المعرّبة الواردة في القرآن الكريم، وأكثر أهل اللغة على أن المقصود بالرقيم هو الكتاب، وهو فَعيل بمعنى مفعول، أي مكتوب. وفي الحديث الشريف: «كان يُسوّي بين الصفوف حتى يدعها مثل القِدْح أو الرَّقيم»، أي حتى لا يُرى فيها عوج كما يقوّم الكتاب.

٦- دان وأدان

يتردد في وسائل الإعلام لفظا (دان) و (أدان) بمعنى استنكر الأمر وأصدر حكمه عليه لكونه من الجرائم السياسية أو الإنسانية أو لمخالفته القوانين والأعراف المرعيّة، ونحو ذلك وليس في اللغة مايُجيز استعمال هذين الفعلين بهذه الدلالة، فنجد للفعل (دان) معاني مختلفة منها: دان بمعنى خضع يُقال: دان

الرجل لخصمه أي خضع له، ودانه: أذلّــه وقهره واستعبده. يُقال: دِنْتُهم فدانُوا، أي قهرتهم فخضعوا. قال الأعشى:

هــو دان الــرِّباب إذ كرهوا الدِّ - يْــن دِراكًــا بغــزوةٍ وصِــيالِ

ودانه: أعطاه دينَه. ودان فلانٌ يدين دَيْنًا: استقرض وصار عليه دين فهو مَدين. وهذا الفعل من الأضداد، ومنه قول الشاعر:

أَدِيــن ومــا دَيــني عليكم بمَغرم   ولكن على الشُّمِّ الجلاد القراوح

والدَين أيضًا: الجزاء والمكافأة. يُقال: دِنْتُه بفعله دَيْنًا، أي جزيته. وفي المثل: كما تَدين تُدان، أي كما تجازي الناس يجازونك. قال خويلد بن نوفل الكلابي:

يــا حــارِ أيقِن أنّ مُلكك زائل   واعــلم بــأنّ كمــا تَدين تُدانُ

فليس بين معاني الفعل (دان) مايدل على إنكار الأمر، والصواب أن يُقال: أنكر هذا الأمر واستنكره واعترض عليه ورفضه.

أما الفعل (أدان) فهو أيضًا لا يؤدّي معنى الرفض والإنكار، ومعنى أدان: أعطى دينًا إلى أجل. قال أبو ذؤيب الهُذلي:

أدان وأنــــبأه الأوّلـــــون   بــــأن المُــــدانَ مَــــلِيٌّ وفيّ

وأدنت الرجل: استقرضت منه دينًا. وأدان: باع إلى أجل، وأدان الرجلُ: أدّى ما عليه من دَين.

٧- الدَّبّــابة والسيّارة

يظنُّ بعضهم أن هاذين المصطلحين هما من المبتكرات المحدثة، فالدبابة هي السلاح الحربي المعروف، والسيارة هي أداة الانتقال المعروفة، ولكن هاتين الكلمتين عُرفتا منذ القديم، ولكن اختلفت دلالتهما القديمة عن دلالتهما المحدثة، فالدبّابة كانت تُطلق على أنواع الحيوان الضعيفة التي تدبّ في المشي ولا تُسرع، وفي الحديث الشريف: «وحملَها على حِمار من هذه الدبّابة». والدبّابة أيضًا آلة تُتخذ للحروب، يدخل فيها الرجال ثم تندفع لتنقب جدارًا أو حصنًا،

وهي تُتخذ من جلود وخشب. وفي حديث عمر، رضي الله عنه، قال: كيف تصنعون بالحصون؟ قالوا: نتخذ دبّابات يدخل فيها الرجال. وهذه الدلالة هي التي أوحت إلى المحدثين بإطلاق لفظ الدبّابة على الآلة الحربية المعروفة اليوم.

أما السيّارة فهي في اللغة: القافلة، والقوم يسيرون. وفي التنزيل العزيز: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لاَ تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾ [يوسف: ١٠] وقوله تعالى أيضًا: ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ﴾ [يوسف: ١٩]. وإطلاق لفظ (السيارة) على أداة الانتقال مقبول، فهي مشتقة من السير.

٨- الماكيّاج

يُطلق اليوم لفظ (الماكياج) بمعنى التزيين والتجميل للمرأة بأدوات الزينة المختلفة. وفي العربية أكثر من لفظ يعبِّر عن هذا المعنى. منها: (التزويق)، وهو مشتق من الزاووق، أي الزئبق، وكان القدامى يجعلون الزئبق مع الذهب في التصاوير والنقوش لتزيينها، ومن ثَم قيل لكل مُنقَّش: مُزوَّق، وأُطلق هذا اللفظ على كل شيء مزيَّن. ومن المجاز: زوّق الكلام: حسّنه. وقد ورد في بعض المعجمات: الزُّواق: زينة المرأة.

ومن الألفاظ التي تؤدّي هذا المعنى أيضًا: الزِّينة، تزيّنت المرأة وازدانت.

فإذا أظهرت المرأة زينتها ومحاسنها للرجال قيل: تبرَّجت. وفي التنزيل الحكيم قوله تعالى يخاطب نساء الرسول ﷺ: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وقد استعمل المتنبي لفظ (التطرية) بمعنى التزيين واستعمال أساليب التجميل في قولـــه:

مـــا أوجُهُ الحَضَر المستحسناتُ به كأَوجُـــه الـــبدويّات الرَّعابيبِ
حســـنُ الحضارة مجلوبٌ بتطريةٍ وفي الـــبداوة حســـنٌ غير مجلوب

الدلالة التاريخية للشعر

ظاهرتا الغزل والنقائض في القرن الأول الهجري نموذجـــًا

د. محمد العمري

حين يُنظرُ إلى الوظيفة الجوهرية للشعر، أي التخييل، وإلى الآليات الأساسية لتحقيقها (وهي حسب أقدم وأشهر النظريات الأدبية المحاكاة والانزياح)، يتأكد لمنظِّر الشعر أن المسافة بين الشعر والتاريخ بعيدة. أما حين يُنظر إلى آليات اشتغال المحاكاة والانزياح، في ضوء المنجز من الشعر، عبر التاريخ، فإن تلك المسافة تبدأ في التقلص حتى لتكاد تضمحل، فيحس مؤرِّخ الأدب المتمكن أن عمله أَدْخَلُ في التاريخ من عمل المؤرِّخ العام نفسه. هذا ما عبَّر عنه لانسون في مقدمة مقاله المشهور: منهج البحث في تاريخ الأدب[1]. ولذلك كثيرًا ما يظهر ما يُشبهُ التعارضَ بين زاويتي النظر. أما أقدم تفريق صريح بين الخطابين، الشعري (المحاكي) والتاريخي (الموثِّق)، فهو ما جاء في كتاب فن الشعر لأرسطو حيث قال مفرِّقًا بين عمل الشاعر وعمل المؤرِّخ:

«واضـــح كذلـــك، ممـــا قلناه، أن مهمة الشاعر الحقيقية ليست في رواية الأمـــور كمـــا وقعت فعلاً، بل رواية ما يمكن أن يقع. والأشياء ممكنة: إما بحســـب الاحتمال، أوبحسب الضرورة. ذلك أن المؤرِّخ والشاعر لا يختلفان بكون أحدهما يروي الأحداث شعرًا والآخر يرويها نثرًا (فقد كان من الممكن تـــأليف تـــاريخ هيرودوتس نظمًا، ولكنه كان سيظل، مع ذلك، تاريخًا سواء

---

(١) يقول: «يقولون إن الحس التاريخي هو حس الفروق، وعلى هذا النحو نكون نحن أمْعَنَ في التاريخ من المؤرِّخين، فالفروق التي يلتمسها المؤرِّخ بين الوقائع العامة نُمْعِن نحن فنلتمسها بين الأفراد». (منهج البحث في تاريخ الأدب. ضمن كتاب النقد المنهجي عند العرب. دار نهضة مصر. القاهرة. ١٩٦٩. ص ٤٠٨).

كُـــتب نثرًا أو نظمًا)، وإنما يتميزان من حيث كون أحدهما يروي الأحداث التي وقعت فعلاً، على حين يروي الآخر الأحداث التي يمكن أن تقع»[١].

ولا يقلّل من أهمية هذا التفريق كون كلام أرسطو مبنيًا على النظر إلى الشعر القصصي (الملحمة خاصة)، ذلك أن مبدأ «الاحتمال» مبدأ أساسي في كل شعر. سواء أوغل في الخيال أو قارب الواقع والتصق به. وهو مبدأ ما انفك يتأكد عبر التاريخ، فالخطاب التاريخي يسعى لإعادة بناء ما وقع من خلال أكثر الوثائق والاستنتاجات منطقية ورجحانًا، وُصولاً إلى إعطاء ذلك الحدث دلالة (أو دلالات)، مع قابلية المراجعة وإعادة النظر كلما جدَّ جديد في مجال التوثيق أو القراءة، في حين يهتم الخطاب الشعري بانسجام بنائه الداخلي، ومن ثم يصبح النص نهائيًّا بعد خروجه من يد الشاعر طامحًا إلى الخلود. وهذه الخصوصية مأخوذة بعين الاعتبار حتى من طرف مؤرِّخ الأدب، يقول لانسون نفسه: «موضوع التاريخ هو الماضي، ماض لم يبق منه إلا أمارات أو أنقاض بواسطتها يُعاد بعثه، وموضوعنا نحن (يقصد مؤرِّخي الأدب) أيضًا هو الماضي، ولكنه ماض باق، فالأدب من الماضي والحاضر معًا»[٢].

المؤرِّخ يقول: وقع الأمر على هذا الوجه ثم يبني استنتاجاته، في حين يقول الشاعر: يبدو كما لو وقع الأمر على هذا الوجه، أو يكاد الأمر يقع على هذا الوجه، حسب التوجه القصصي أو الغنائي الذاتي الذي يعتمده.

---

(١) أرســـطو. فـــن الشعر، ترجمة ع. بدوي، دار الثقافة، بيروت. ص (٢٦). و(قوله: «يروي الأحداث شعرًا»)، يجعل العبارة قلقة، والمقصود «نظمًا». ويُفهم سياق هذا الاستعمال بالرجوع إلى الفصل الأول من الكتاب ص (٥-٧) حيث ذكر استعمال الناس لفظ الشعر للدلالة على النظم تجوزًا.

(٢) منهج البحث في تاريخ الآداب. ترجمة محمد مندور. ضمن كتاب النقد المنهجي عند العرب، دار نهضة مصر، القاهرة.١٩٦٩. ص (٤٠٦).

هذا هو الأساس بالنظر إلى جوهر الشعر باعتباره تخييلاً، وهو المبدأ الذي ما انفك يتقوى عبر تاريخه، كما تقدَّم. وقد أدى هذا المسار إلى اعتقاد الطليعيين، من الشعراء خاصة، أن الشعر قد حقَّق هويته بانغلاقه على نفسه، غير أن هذا الانغلاق ما لبث أن شكَّل أزمة تجلَّت في قلة التواصل معه، فبدأت حينئذ عملية إعادة النظر في العلاقة بين الواقعي والمتخيل: فإذا كان التخييل مقياسًا للشعر فإن اشتغاله لا يتحقق إلا بمحاورة الواقع ومنازعته في إطار التفاعل بين العنصر المركزي الفاعل (البناء المتخيل) والعنصر المعارض له المساعد في إبرازه، وهو الواقع بشتى تجلياته. فالشعر ليس تعبيرًا عن الواقع كما هو، ولكنه ليس أيضًا نتاجًا في فراغ، إنه اختيار وبناء تتفاعل فيه الذات مع الواقع؛ تختار من عناصره وتغير العلاقات، وتشعب الدلالات.

ولذلك فإننا حين نرجع إلى المنجز – وهو الذي يهمنا – نجد أن الشعر قد ارتبط بالواقع وسجَّل الأحداث بأشكال عدة مُباشرة وغير مباشرة. وهذا حال الشعر القديم عامة، وضمنه الشعر العربي[1]، إذ نجد أن منه ما يشكِّل وثيقة تاريخية مباشرة، ومنه ما يشكِّل وثيقة غير مباشرة؛ تحتاج إلى قراءة وتأويل لاستنباط دلالتها التاريخية التي تضيف الكثير إلى الوثائق المباشرة. يكون الشعر وثيقة مباشرة حين يسجِّل وقائع وأحداثًا ومذاهب بأسمائها ورجالها، ويكون وثيقة غير مباشرة حين يصوِّر الرؤية والأحلام والآمال مرهصًا بالتغيرات المحتملة (كما هو حال شعر الغزل وشعر النقائض)، كما سيأتي.

وقد أثارت صفة التوثيق الخطابية انتباه القدماء فنعتوا بعض الشعر بالخطابية، مثل شعر الكميت بن زيد الأسدي شاعر الشيعة. كما أثارت

---

(١) من هنا الحديث عن انتقال وظيفة الشعر من التثقيف والمعرفة إلى الجمال والمتعة. (الغائية الذاتيـــة). انظر مقال تودوروف T.Todorov : "La notion de litterature" في كتابه: "les genres du discours " d. du seuil. Paris. 1978 , p: (13- 26).

جدلاً بين منظِّري الأدب في العصر الحديث، إذ كثيرًا ما نُعت الشعر الكلاسيكي كله بالخطابية، أي استعمال وقائع واقعة أو محتملة الوقوع للتدليل على قضية أو الدفع إلى فعل، ولذلك ذهب بعض منظِّري الأدب الغربي إلى أن الشعر إنما وعى نفسه مع الرومانسية؛ حين صار أكثرَ ذاتيةً وأبعدَ عن النَفَس الخطابي الواقعي. والواقع أن الخطيب يبدو قريبًا في منطقه من المؤرِّخ من حيث «يدعي» (فيما «يفترض» المؤرِّخ أو «يجزم») أن الأمر وقع على هذا الوجه، ويُجهد نفسه في تقديم الحجج على دعواه، غير أن حججه احتمالية تشوشها المؤثرات السيكولوجية (pathos) والأخلاقيــة (éthos) التي يحاول المؤرِّخ تحييدها متسلحًا بالوثائق والشواهد.

وقد أدَّت هذه الواقعية الخطابية في الشعر القديم إلى قيام نظرية للأدب تعتبر الشعر وثيقة، وتبحث فيه عن حقائق الأشياء، بوصفه تعبيرًا عنها، قبل أن يظهر ردُّ الفعل، مع الحركات الطليعية الجديدة وما رافقها من فلسفات جمالية مثالية، ليظهر الحديثُ عن الأدب على أنه تحفة فنية قيمتها في ذاتها (الغائية ذاتية)، ثم ساهمت الصياغات السميائية الحديثة مستفيدة من المباحث اللسانية وفلسفة التأويل في تحقيق قدر من التوازن بين المتخيل والواقع، فصار يُنظر إلى الأدب باعتباره علامةً (signe) تفاعلية تحاول الجمع بين الجانبين الواقعي التوثيقي والجمالي التُّحَفِي من خلال التفاعل بين النص والمتلقي[١].

وكان الفلاسفة والبلاغيون العرب قد انتبهوا قديمًا إلى الجانب الواقعي للشعر العربي القديم، وأن ما يصدق على النصوص المعتمدة عند أرسطو – وهي

---

(١) نُحيل هنا على بحث مركَّز عميق لـِ إبش وفوكيما، بعنوان : «نظرية الأدب في القرن العشرين». ترجمة محمد العمري. ضمن كتاب بنفس العنوان: نظرية الأدب في القرن العشرين. إفريقية الشرق، الدار البيضاء، ١٩٩٦. وستظهر طبعة ثانية منه قبل نهاية ٢٠٠٤.

عندهم عبارة عن «الخرافات» وما أشبه الخرافات، كما قال ابن سينا – قد لا يصدق على الشعر العربي إلا بتأويل وتحويل يوجه مفهوم المحاكاة من معنى «التمثيل» إلى معنى إحداث أثر في النفس، أي التخييل والتوهيم: تخييل أحوال؛ من فرح وحزن وغيرهما. ثم أكدوا شيئًا صار في مناط اهتمام نظرية الأدب اليوم، وهو أن التخييل قد يجري عن طريق المتخيل المختلق، مثل الحكاية الخرافية وما إليها، وقد يجري عن طريق الأفعال الصادقة الواقعة: فالمواد المخيلة قد تكون «صادقة» (واقعة)، وقد تكون «كاذبة» (خيالية)، وقد يكون بعضها صادقًا وبعضها كاذبًا[1]. والمهم أن تُحدث أثرًا في نفس المتلقي. فالمهم، مثلاً، من حديث الكميت عن مآسي الشيعة ليس كونها واقعة على الوجه الذي ذُكر، بل كونها مؤثّرة، والعنصر الشعري فيها هو الاختيار والتنظيم، وهو الجزء الذي يتدخل فيه خيال الشاعر وفكره.

والخلاصة أنه سواء اعتُبر الأثر الأدبي «وثيقة» أو«تحفة» أو «علامة» فإنه يقدِّم للمؤرِّخ، كما يقول دانييل مادلينا Danielle Madelénat، «رؤية خاصة

---

(١) يقول ابن سينا في كتابه المجموع أو الحكمة العروضية (دار الكتاب ١٩٦٩. ١٦) في طبيعة المادة الشعرية: «وهذه المقدمات ليس من شرطها أن تكون صادقة ولا كاذبة ولا ذائعة ولا شنعة، بل أن تكون مخيلة». وقد بسط حازم القول في هذا الموضوع بشكل يفيد المراجعات الحديثة المهتمة باسترجاع البعد الواقعي للشعر. «منهاج البلغاء. تحقيق محمد الحبيب بلخوجة. دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٦. ص (٧١ – ٨٦)». وفي البحث عن ماهية الأدب ناقش تيري إيجلتون القول بأن الأدب عمل متخيل أو خيالي، ثم قدم أمثلة من إنتاجات متنوعة اعتبرت أدبًا دون أن تكون لها صفة الخيالي أو المتخيل، وانتهى إلى القول: «يبدو أن التمييز بين الواقع (fact) والمتخيل (fiction) لن يذهب بنا بعيدًا». (مقدمة Terry Eagleton Literary theory. An introduction. Basil Blackwel. Oxford. 1988)

للعالم»، و«يكشف عما خفي من الأحداث والآمال المحبطة والاحتمالات المكبوتة، والنيّات المستشرفة، وبهذا فإن الأدب يقدّم للمؤرِّخ مادة أساسية»[١].

الأدب يكشف خيوط الامتداد والاستمرار بين اللحظات التاريخية التي تبدو منفصلة بعضها عن بعض نتيجة التغيرات الكبرى في المسار العام للتاريخ، وهي التغيرات التي تشغل عادة المؤرِّخ التقليدي. فالأحداث، كبيرة كانت أو صغيرة، لا تعدو أن تكون -كما عبَّرت عن ذلك الحركة التاريخية الجديدة – نقطًا متفرقة فوق خريطة، وهذا يتطلب مد الخطوط اعتمادًا على عناصر الثبات الكامنة تحت سطح الواقع المتحول[٢]، والأدب والفن مرجع أساسي في هذا المضمار.

ولعل من أحسن الأمثلة على ذلك استمرارُ القيم القبلية في الشعر بعد الدعوة الإسلامية، ليس لدى عموم الشعراء أو خصوم الدعوة منهم، بل أيضًا عند المقربين منها الذين انتدبوا للدفاع عنها مثل حسان بن ثابت شاعر الرسول ﷺ. بل، أكثر من ذلك، سنجد أن هذه القيم تزدهر لتصبح مناط المفاخرة والهجاء في شعر النقائض في العصر الأموي، قبل أن تجري عملية تحويلها نحو الهزل، والسخرية منها، كما سنلاحظ. ومن أقوى صور الإحباط التي صورها الشعر حال أهل الحجاز، كما ظهرت في شعر الغزل الأموي في

---

(١) Danielle Madelénat, in. Brunel, la critique littéraire ed. Puf. 1977. P.(27). نقــلاً عــن محمد الولي في مقال بعنوان: تاريخ الأدب يظهر ضمن ندوة تكريم العلاّمة الطرابلسي في كلية الآداب المحمدية.

(٢) انظر عرضًا مطولاً بقلم مصطفى العبادي لكتاب Theodore S Hamerow. Reflections on History and Historians. (The University of Wisconsin Press). 1987. تعرض فيه للتحولات الكبرى التي عرفها منهاج البحث في التاريخ. (مجلة عالم الفكر. يونيو ١٩٨٩. ص ٢٥٣-٢٧٤).

الحواضر والبوادي الحجازية.

وعمومًا فإن القرن الأول الهجري يبدو غريبًا من حيث إنتاجه الأدبي، فهو إن كان عصر «الفتنة الكبرى» السياسية والدينية فقد كان كذلك عصر فتنةٍ أدبية؛ عرف ظواهر جديدة نُسبت إليه، وحُصرت فيه، أو اعتُبِرَ على الأقل عصرَها الذهبي.

فالعصر الأموي هو العصر الوحيد الذي تحدَّث فيه مؤرِّخو الأدب عن الشعر السياسي منسوبًا إلى أحزاب، وهو عصر النقائض بين جرير والفرزدق والأخطل، وآخرين كثيرين، والنقائض مرتبطة أساسًا بالعصبية القبلية[١] ... إلخ، وهو عصر الغزل العذري والحضري وما رافقه من موسيقا وغناء، وهو العصر الذهبي للخطابة، وهو عصر انفجار الرَّجَزِ واقتحامه مجال القصيد، والرجز فن بدوي لغةً ومضامين. وهذه كلها ظواهر ليس لها فيما قبلها من الشعر العربي غير إرهاصات، وليس لها فيما بعدها غير امتداد ذابل، أو ليس لها امتداد على الإطلاق[٢]. لقد كان الأدب إذن شديد الارتباط بالعصر؛ عبَّر عنه في كل جوانبه، بشكل مباشر أحيانًا ورمزي أحيانًا أخرى. ولذلك

---

(١) تذكر كتب التاريخ عشرات من الشعراء الذين شاركوا في النقائض، كما تذكر أسبابًا متعددة لانطلاق المناقضة بينهم. (انظر الأغاني. ط دار الثقافة. ٨/١٤-٢٦).

(٢) من الكتب التي ألفت في هذه الظواهر الأدبية: الشعر السياسي لأحمد الشايب، وقد اقتفت طريقه كتب عديدة. ولأحمد الشايب، أيضًا، كتاب عن شعر النقائض. وألَّف إحسان النص كتابًا في علاقة الشعر، خاصة النقائض، بالعصبية القبلية، بعنوان: العصبية وأثرها في الشعر الأموي، وكتابًا آخر عن الخطابة الأموية بعنوان: الخطابة في عصرها الذهبي. أما ما أُلِّف في الغزل العذري، فكثير، لا حاجة للإطالة بذكره.

فهذه الظواهر المتفردة تُفسَّر من عصرها وتفسِّره، إن وجودها المتميِّز، في حدِّ ذاته ذو دلالة تاريخية متشعبة وعميقة. ومن شأن هذا التفاعل القوي بين الشعر واللحظة الزمنية أن يجعل مؤرِّخ الأدب يستفيد من التاريخ العام في جوانبه السياسية والاجتماعية والاقتصادية، كما يحتِّم على المؤرِّخ لهذه المجالات الاستفادة من الشعر وما يتصل به من أخبار، وأساطير أحيانًا[١].

تهميش الحجاز في شعر الغزل:

إن الشعر الغزلي الذي أنتجه شعراء مثل عمر بن أبي ربيعة[٢]، والأحوص والعرجي وغيرهم من شعراء الحجاز في مكة والمدينة يمثّل أكبر سند للأخبار المثيرة عن التحول المتسارع، بل المذهل، الذي عرفته هذه المنطقة عقودًا قليلة بعد موت الرسول ﷺ. وهي أخبار كان من السهل – دون دعم ذلك المتن الشعري القوي – أن تُعزى إلى الاختلاق والوضع من قبيل هذا «المغرض» أو

---

(١) من مظاهر الاهتمام المبكر بالدلالة السوسيولوجية للشعر الأموي بحث كابريلي فرانسيسكو Gabrieli Francesco: Tribu arabe et etat musulman; dans la poésie de l'époque omayade. Dans le colloque sur la sociologie musulmane. Actes:11-14 sept 1961, Bruxelles.
ومن العناية بالتاريخ السياسي والاجتماعي لبيان أثره في الشعر، كتاب سوسيولوجيا الغزل العربي. للطاهر لبيب (ترجمة مصطفى المسناوي. دار الطليعة. ١٩٨٧). وإذا ما قابلنا بين بحث كابيرلي فرانسيسكون والطاهر لبيب تبيَّن لنا كيف أن البحث عن سوسيولوجية الشعر من خلال العصر والبحث عن سوسيولوجيا العصر من خلال الشعر وجهان متكاملان لعملة واحدة.

(٢) يحتوي ديوان عمر بن أبي ربيعة على ٤٢١ قطعة شعرية، في غرض واحد هو الغزل. وبذلك شكّل ظاهرة متفردة في الشعر العربي. (ديوان عمر بن أبي ربيعة. دار بيروت ١٩٧٨).

ذاك. حيث تتواتر الأخبار عن نوادي الغناء واللهو تحت رعاية حُفَداء الصحابة مثل سكينة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب، وابن أبي عتيق حفيد أبي بكر ومن في طبقتهم، مثل عبد الله جعفر.

وقد عبَّر الناس، كالعادة، عن دهشتهم من تغير الأحوال بسرعة فجعلوا ولادةَ عمر بن أبي ربيعة في ليلة قتل عمر بن الخطاب[1]. وهذا خبر موضوع، لاشك، لتصوير عمق الانقلاب، ومدى المسافة بين العصرين اللذين جعل كل واحد من الرجلين رمزًا لأحدهما. ولذلك علّقوا على الخبر بقولهم: «فأي حق رُفع، وأي باطل وُضع!»، ويمكن أن يُقرأ هذا الخبر بصيغة أخرى: لو بقي عمر حيًّا ما وُجد مثلُ عمر بن أبي ربيعة، أو: الذي سمح بظهور عمر بن أبي ربيعة وأمثاله هو غياب عمر بن الخطاب وأمثاله. إن هذا الخبر المفعم بالروح الأسطورية لا يختلف كثيرًا في دلالته التاريخية الرمزية عن الشعر الغزلي في ذلك العصر.

ويبدو من الأخبار المتصلة بالشعراء والمغنين أن الحجاز صار محجًّا للترفيه والمتعة. يروي صاحب الأغاني أن عبد الله بن جعفر المذكور ورد على يزيد ابن معاوية بصحبة مولاه نافع فأعجبه غناء هذا الأخير، فقال لعبد الله: «إن يصلُح لنا هذا الأمر من قِبَلِ ابن الزبير فلعلنا نُحج فتلقانا بالمدينة، فإن هذا لا يصلح إلا هناك»[2]. وكان من عادة عبد الله أن يَفِد على الحكّام الأمويين وينصرفَ بالمال والهدايا.

بل الأكثر من ذلك أن الفضل في حفظ تلك الأخبار يعود إلى الشعر

---

(١) الأغاني. ثقافة. (٨٠/١). جاء فيه: «ولد عمر بن أبي ربيعة ليلةَ قُتل عمر بن الخطاب، رحمة الله عليه».

(٢) الأغاني (ثقافة) (١٤٤/٨).

نفسه باعتبارها شروحًا لإشاراته وتفصيلاً لما أجمل من حوادثه، هذا برغم ما خالط هذه الأخبار من أساطير دالة في إطارها. أما السؤال: كيف وقع ذلك، أو كيف أمكن أن يقع؟ فهو سؤال لاحق، ومهمته ليس إثبات الظاهرة، بل رفع الغرابة عنها، وجعلها طبيعية وممكنة.

ولعل أول تساؤل يَرِدُ في هذا المقام هو: ماذا كان موقف الفقهاء وعلماء الدين من صحابة وتابعين من هذه الحركة الشعرية الغنائية (؟) إن كل شيء في هذه الظاهرة يُشير إلى أن العصر الذي يُنفَى فيه الشاعر «لإيغاله» في وصف المرأة، ويُطالب فيه الشعراء بمراعاة الآداب مراعاة صارمة[1]، قد ولى. وهناك دلائل مادية وأخرى رمزية تشير إلى أن فقهاء الحجاز صاروا يعتبرون التسامح مع المتغزلين من مزايا مذهبهم الذي يميِّزهم عن جفاء طبع أهل الشام وتزمت أهل العراق.

من أمثلة هذه الوقائع التي تتراوح بين الواقع والرمز ما جاء في الأغاني من أن عبد الله بن عمر العمري سمع امرأة ترفث في كلامها، أثناء الحج، فعاب مسلكها، فأسفرت عن وجهها، وكانت حسناء، ثم أنشدته ما قاله العرجي متغزلاً بها:

أماطتْ كساءَ الخَزِّ عنْ حُرِّ وجْهها ‌ ‌ ‌ وأدْنتْ على الخديْنِ بُردًا مُهَلْهَلاَ

منَ اللاَّءِ لم يَحْجُجْنَ يَبْغِين حِسْبَةً ‌ ‌ ‌ ولكــنْ لِيَقتُلْن البَريءَ المُغَفَّلاَ

فما كان منه إلا أن قال لها: «فإني أسأل الله ألا يعذب هذا الوجه بالنار».

ثم إن هذا الخبر بلغ إلى سعيد بن المسيّب فقال: «أما والله لو كان من بعض

(١) انظر: الأغاني (٢/ ٣٣٠).

بغضاء العراق لقال لها: أُعْزُبي قبَّحك الله! ولكنه ظَرف عُباد أهل الحجاز»[1].

قال صاحب الأغاني، جادًّا مجتهدًا في إبعاد الطابع المجازي عن هذه الحكاية: «وقد رويت هذه الحكاية عن أبي حازم الأعرج، وعن سلمة بن دينار، وقد روى أبو حازم عن أبي هريرة وسهل بن سعد وغيرهما، وروى عنه مالك وابن أبي أيوب. والحكاية عنه في هذا أصح منها عن عبد الله العمري، حدثنا بهذا وكيع».

والواقع أن القيمة التوثيقية لهذه الحكاية لا تتأثر كثيرًا بكونها وقعت على هذا الوجه أو اُختُلِقَتْ في ذلك العصر لتفسِّر واقعًا قائمًا. إذ وجه الاختلاق فيها لا يعدو قول خبير بالأمر: لو أن واحدًا من فقهاء الحجاز وآخر من العراق وثالثًا من الشام سمعوا أبيات العرجي ورأوا وجهًا جميلاً لقال الحجازي كذا والعراقي والشامي كذا... إن الافتراض الثاني يحوِّل الحكاية من مستوى الوثيقة الواقعية المباشرة إلى مستوى الوثيقة الأدبية الرمزية. إنها بشكل ما أسطورة دالة، ولكنها أسطورة نص شعري يصرُّ على الانتماء الواقعي لعصره.

وما قلناه عن هذه الحكاية يمهِّد للحديث عن مستويات الواقعية والرمزية في ظاهرة الغزل العذري برمتها. فهنا يَتحدثُ مُورخو الأدب مثلاً عن البطولة

---

(١) الأغاني (ثقافة) (١/٢٧٩-٢٨٠). ومن الأخبار الدالة في هذا الصدد ما جاء في الأغاني (١/٨١-٨٢)، من أن ابن عباس كان جالسًا بالمسجد الحرام مع «نافع ابن الأزرق وناس من الخوارج يسألونه، إذ أقبل عمر بن أبي ربيعة في ثوبين مصبوغين موردين... فأقبل عليه ابن عباس فقال أنشدنا»، فأنشده مطولته المشهورة: أمن آل نعم. حتى أتى على آخرها. فعاتبه ابن الأزرق قائلا: «الله يا ابن عباس! إنا لنضرب إليك أكباد الإبل من أقاصي البلاد نسألك عن الحلال والحرام فتتثاقل عنا، ويأتيك غلام مترف في قريش فينشدك...» وهذا «الخبر» غني بالدلالات.

الوهمية الزائفة في شعر عمر بن أبي ربيعة[١]. وفي هذه «الوهمية» تكمن الدلالة التاريخية الإضافية لهذ الشعر، إذ تصبح تلك البطولة تعويضًا رمزيًا عن الدور الريادي الذي ضاع من الحجاز، بعد انتقال الحل والعقد في السياسة والمال إلى العراق والشام. وعمومًا فإن شعر الغزل الأموي يمثّل في نظر مؤرخي الأدب الفراغ والانكسار الناتجين عن الحصار مع البذخ في حواضر الحجاز، والحصار مع الفقر في البوادي المجاورة (وادي القرى موطن الشعر العذري على وجه التحديد)[٢].

واعتـــبارًا لمـــا تقدَّم يكون الشعر الغزلي مساعدًا في كتابة التاريخ العام وفهمه من ثلاث زوايا:

الـــزاوية الأولى؛ حدوثُـــهُ وتَقبُّـــلُه في حد ذاته، في تلك البيئة الدينية، أي باعتـــباره ظاهرة خارجة عن سياق المسار المتوقع للدعوة الإسلامية، كما تقدَّم.

(١) يتحدث عمر بن أبي ربيعة في أجزاء من قصائده عن الشوق والحرمان بنَفَسٍ يُقربه من العذريين، ثم ينزاح عنهم بالحديث عن المغامرات الليلية، وتهافت المحبات عليه وبحثهن عنه وخوفهن من صرمه. وقد تركَّز اهتمام الدارسين على هذا الجانب المفارق.

(٢) لابد من الإشارة إلى أن نسبة هذا الشعر إلى عذرة يرجع، في الأساس، إلى تغليب العنصر الدال على مجموع الظاهرة، وإلا فقد ساهم في هذا الشعر شعراء من مناطق وقبائل أخرى، في أطراف الحجاز ونجْد، كعشاق بني عامر (انظر أحمد الربيعي. كثيِّر عزة. دار المعارف. ص ٧٤- ٧٦). وقد أفاض الطاهر لبيب في كتابه: سوسيولوجيا الغزل العربي (الشعر العذري نموذجًا)، لكي يُبيِّن كيف أغدق بنو أمية العطايا والأموال على أهل الحاضرتين، مكة والمدينة، لشغلهم عن السياسة، وكيف انهار اقتصاد وادي القرى مع مجيء الإسلام نتيجة اختلال اجتماعي في تركيبة الوادي، والحصار المضروب من قبل بني أمية على هذه البوادي نتيجة الصراع مع الخوارج. وهو في ذلك إنما ينظم ويدلل المعطيات الكثيرة التي استعرضها طه حسين في: الفتنة الكبرى.

ولـــبيان ذلك يكفي إجراء مقارنة بين هذا التقبل وبين الزجر الذي تعرَّض لـــه شـــعراء الغـــزل (إقامة الحد على سحيم ونهايته المأساوية)، والخمر (سجن أبي محجن الثقافي)، والهجاء (سجن الحطيئة) في العقود الأولى للإسلام[١].

ويأتي ضمن هذه الدلالة وتتويجًا لها الدور التحريري الذي من المفترض أن يُؤدِّيَهُ أي فن حقيقي ناتج عن معاناة ومخاض عسير، وهو التليين والتلطيف بشكل غير مباشر، وفي هذا الإطار يرى مؤرِّخ الأدب أن الشعر الغزلي بقدر ما صوَّر أزمة اجتماعية سياسية، أدَّى دورًا تحريريًّا باعتباره أداة تواصلية تتصل بالشاعر وتنفصل عنه، وفي هذا المعنى يقول الطاهر لبيب: «ولا ريب أن تجنيس اللسان إنما يجري على مستوًى من الاتصال جنسي ولفظي بذات الوقت، كما أن تحرير المرأة الذي اتسع نسبيًّا لدى بعض الأوساط في العصر الأموي أغنى اللغة الجنسية، وبالمقابل فإن ذلك قد يسَّر الاتصال بين الرجال والنساء على الرغم من التعاليم الدينية، ومع ذلك فإن ما يثير الانتباه في هذا التقارب بين الجنسين هو إحلال الكلمة محل صاحبها، الشاعر على الخصوص. وكثيرة هي الحكايات التي تروي عن سيدات من عائلات رفيعة المقام سماحهنّ لأنفسهن بأن يفتتن جنسيًّا أو يكدن، لا بالشاعر بل بشعره، إن الكلمة هي وحدها القادرة على خلع حجاب أولئك النسوة»[٢]. ولاشك أن المؤلِّف يستحضر هنا شخصية سيدات مثل سكينة بنت الحسين التي تُروَى في تحررها أخبارٌ كثيرة؛ منها

---

(١) انظر «الإسلام والشعر» في: عبد القادر القط. في الشعر الإسلامي والأموي. دار النهضة العربية. بيروت. ١٩٧٩. ص (٩-٦٨).

(٢) سوسيولوجيا الغزل العربي (١٢).

إصرارها على أن تكون العصمة بيدها، وتعدُّدُ زواجها ومجالستها للشعراء والمغنِّين وأعيان القوم، مما هو معروف متداول في كتب الأدب والأخبار.

والزاوية الثانية، دلالته المضمونية، أي باعتماده أسلوب البطولة والمغامرة في موقع (الحواضر)، وأسلوب الهزيمة والانكسار في موقع آخر (البوادي). وفي هذا المستوى ستتبدى للدارس، بشكل عفوي، أواصر القرابة، في الرؤية والدلالة، بين الغزل الحضري وشعر الفخر الذي بلورته النقائض وكانت علامة عليه، من جهة، وبين شعر البوادي وشعر الشيعة المصوِّر لمأساتهم بعد توالي الهزائم وقتل الأئمة، من جهة ثانية.

فكل من شاعر الحاضرة الحجازية (عمر بن أبي ربيعة)، وشاعر العصبية القبلية (الفرزدق كما سيأتي) يقاوم باللغة والكلمة هزيمة على أرض الواقع ما فتئت تتأكد بعد نقل المركز إلى الشام واستقواء بني أمية بعصبيات أخرى مغلفة بالحق الإلهي.

والرؤية التي يعبِّر عنها الشعر العذري توازي الرؤية المأساوية للشعر الشيعي: فكل من الطرفين يتمسك بحق مسلوب بقوة المال والسيف. فالعذري يتشبث بمحبوبة تعود إليه عاطفيًّا وشرعيًّا وتُمنع عنه اجتماعيًّا، والشيعي يتعلق بحق يراه موروثًا أُخذ منه بالقوة، وكل منهما مرغم – أمام بطش الرقيب – على كتم مشاعره وركوب التقية.

والزاوية الثالثة، الدلالات الجزئية المتضمنة في النصوص المفصلة في الأخبار، أي ما اتصل بالتقاليد الاجتماعية في الزواج، والاتصال بين الرجل و المرأة في ذلك المجتمع، وتدخُّل السُّلَط في العلاقة بين العشاق. وهذه جزئيات كثيرة لا يتسع المقام للخوض فيها.

البداوة والحضارة في شعر الصراع:

إلى جانب الشعر السياسي الذي عبَّر عن وجهة نظر هذا الحزب أو ذاك(خاصة الشيعة والخوارج وبني أمية)، وسجل الأحداث وأسماء الأشخاص والأماكن أحيانًا، ظهر شعر سجالي يقوم على الفخر والهجاء، وتختلط فيه الاعتبارات والقيم الذاتية والقبلية، صِيْغ أكثره في شكل نقائض[1].

تبدو ظاهرة النقائض من حيث الشكل تعبيرًا وتمثيلاً رمزيًا للصراع الذي عرفه العصر في جميع المستويات السياسية والاجتماعية بخلفيات اقتصادية وشعارات دينية. ويمكن توسيع مفهومها ليشمل كل شعر الفخر والهجاء، والاحتجاج لوجهات نظر الأحزاب السياسية. إذ يلتقي هذا الشعر – مع اختلافاته الشكلية ومضامين خطابه – في طابعه الحجاجي: الدفاع عن قيم وطُرُوح، ودحض قيم وطُرُوح أخرى. ومع غلبة طابع المفاخرة والمنافرة على هذا الخطاب فإنه صوَّر صراعًا بين القيم البدوية القبلية القائمة على العصبية، والقيم الحضرية والمبادئ التوحيدية الجديدة.

---

(١) النقائض جمع نقيضة، وهي قصيدة مبنية في الغالب على وزن وقافية قصيدة سابقة مبادئة، أو منحزة، هي الأخرى، في إطار الرد على قصيدة سابقة عنها. والقصيدتان المتعارضتان بهذا الشكل نقيضتان. ومَصْدر الاسم سعيُ القصيدة اللاحقة إلى نقض معاني الأولى بمواجهتها بما يضاد معناها من معاني الفخر والهجاء، فإذا قال الفرزدق:

إن الــذي سَــمَكَ السماءَ بَنى لنا   بيــتاً دَعائمُــه أعــزُّ وأطــولُ

ردّ عليه جرير بقوله:

أخْزى الذي سَمَكَ السماءَ مُجاشعاً   وبــنى بــناءَك في الحَضيض الأسفلِ

كان الشعر شاهدًا على عودة البداوة والعصبية مؤجِّجًا لها، ثم صار – فيما يشبه سخرية القدر – عنصرًا من عناصر تمييعها والسخرية منها بإحلال القيمة الفنية محل القيمة الاجتماعية: أي شَغْلُ المُتلقي بالصورة الفنية عن المحتوى الاجتماعي للفخر والهجاء، كما سنوضِّح.

وسنقتصر في هذه المناسبة على نموذج لتصوير هذا الشعر للنكوص نحو القبلية والبداوة من خلال شعر الفرزدق خاصة، ثم نقدم نموذجًا للتحويل الفني للظاهرة.

استبدال الولاء بالكسب المادي:

من القضايا التي أثارها انتقال الشعراء إلى المراكز الحضرية الجديدة في العراق والشام (لما توفره من فرص عيش وجاه عند رجال الدولة الجديدة) قضية اضطراب الولاء بين القبيلة (والحزب أيضًا) وبين المصلحة الذاتية للشاعر. وقد سجَّل الشعراء هذا الاضطراب من خلال هجاء بعضهم بعضًا بالتخلي عن الولاء القبلي من أجل المال، بل حاول بعضهم تبرير مجيئه للحواضر بالدفاع عن شرف القبيلة. ومن أشهر المتمسكين بالولاء القبلي الفرزدق الذي قال في هجاء جرير[1]:

رأيْتُ جَريرًا لَمْ يضعْ عنْ حِمارِه، عليهِ من الثِّقلِ الذي هُوَ حامِلُهْ
أتى الشامَ يرجُو أن يبيعَ حِمارَهُ وفارسَهُ، إذْ لم يجِدْ من يُبادِلُهْ
أتشْتُمُ قومًا أنتَ، تزعُمُ، منهمُ على مَطْعَمٍ، مِن مَطعَمٍ أنتَ آكِلُهْ؟!

(١) ديوان الفرزدق. دار صادر. بيروت. ١٩٦٦. ص (١٠٨–١٠٩). وقد استحضر الحمار هنا كناية عن الفقر والدونية في مقابل الفرس الذي يمثِّل الفروسية والعزة والمكايلة: المقايضة، كناية عن احتقاره شعره الذي صار مجرد بضاعة تُباع، وكان أولى به أن يكون في خدمة القبيلة، كما هو الشأن في الجاهلية.

يَظَــلُّ بأسواقِ اليمامَةِ عاجزًا ، إذا قــالَ بيْــتًا بالطَّعامِ يُكايِلُهْ
أظــنَّ بِــنا ابــنُ المَــراغَة أنهُ مِــن الفقْــرِ لاقيه الهزالُ فقاتِلُهْ
وقــدْ كانَ في الدُّنيَا مَرادٌ لقَعْبِه وَفي هَجَــرٍ تَمْــرٌ ثِقالٌ جَلاتِلُهْ
وكــانتْ تَميمٌ مُطعميهِ ونابتٌ بِهِــمْ ريشُهُ حتَّى تُوَازَى نَواصِلُهْ

وقد يبدو غريبًا أن جريرًا كان يدَّعي بدوره أنه إنما جاء إلى السوق الحضرية للدفاع عن قبيلته. يُفهم ذلك من قوله للراعي النميري في مواجهة شعرية بينهما: «إن أهلك بعثوك مائرًا من هبود، وبئس المائرُ، وإنما بعثني أهلي لأجلس على قارعة هذا المربد، فلا يسبهم أحد إلا سببته». وقوله أيضًا لحظة الإنشاد: «أبعثك نسوتك تكسبهن المال بالعراق؟! أما والذي نفس جرير بيده لترجعن إليهن بمير يسوؤهن»[1].

والواقع هو أن هذا الاضطراب بين الممارسة والادعاء دليل على اضطراب حبل القيم في ذلك العصر؛ بين قيمة مازالت تسكن النفوس باعتبارها قيمة حجاجية، وهي الإخلاص للقبيلة، وقيمة جديدة عملية ذات حجية حية ملموسة، وهي الكسب المادي. فالعصر عصر تردد واضطراب بين قيم البداوة والقبيلة وقيم الحضارة والدولة المركزية. ولم يخرج عن هذه الثنائية غير شعراء الخوارج الذين وقف شاعرهم (عمران بن حطان) على الفرزدق وهو يمدح، فقال له[2]:

---

(١) الأغاني. دار الثقافة، بيروت. (٨/٢٠).

(٢) شعر الخوارج. جمع وتقديم إحسان عباس. دار الثقافــة. بيروت.١٩٧٤. ص (١٥٨).

أيهـا المـادحُ العـبادَ لِيُعطَـى إنَّ لله مـا بـأيْدي العِـبادِ
فَاسْـألِ اللهَ مـا طَلَبْتَ إليْهِمْ وارجُ فضـلَ المقسِّـم العـواد
لا تقـلْ في الجـوادِ ما ليسَ فيهِ وتُسـمِّي البخيلَ باسم الجَوادِ

غير أن الخيار الخارجي لم يستطع أن يبلور مسارًا شعريًّا قويًّا أو مذهبًا فكريًّا متميزًا، فكان مجرد ترجمة تَقَوِّيَّة(*) للبداوة نفسها (بداوة الدين). أما شعراء الشيعة فقد وجدوا في مبدأ التَّقِيَة وسيلةً للتلاؤم مع إكراهات الدولة الجديدة التي لا تقبل الحياد، فمدحوا رجال الدولة.

البداوة شرط العروبة!

من صور التطرف التي عبَّر عنها شعر الفرزدق ربط مفهوم العروبة بالممارسة الجاهلية التي حاربها الإسلام مثل عبادة الأوثان، أو التي تغيرت مع الحياة الجديدة مثل الشرب في الجلود، وختان البنات، وركوب الخيل (بدل ركوب السفن)..إلخ، كما جاء في أبياته التالية التي هجا فيها الأزد (قوم المهلب بن أبي صفرة القائد الأموي) فقد رأى في تحولهم من ملاّحين، يركبون السفن ويتقلدون الحبال الضخمة (القلوس) إلى فرسان يتقلّدون أعنّة الخيل ويتلثّمون كما يتلثّم العرب، منتهى العجب(١):

ولمّـا رأيـتُ الأزدَ تهفو لحاهُمُ حَوالَـيْ مَـزَونيٍّ لئيم المُركب
مُقَـلدةً بعـد القُـنوسِ أعنَّةً، عجبتُ، ومن يسمعْ بذلك يعجبِ
تغُـم أنوفًـا لم تكـن عَربيةً لِحَـى نـبطٍ أفواهُهَا لم تُعرّبِ
فكيـف و لم يأتوا بمكة مَنسكًا، و لم يعبدُوا الأوثانَ عندَ المُحصَّبِ

(*) نسبةً إلى (التَّقِيَّة) وهي إخفاء الحق ومصانعة الناس. تَحرُّزًا من التلف. وهي نسبة قياسية، مثل: خَلِيَّة، خَلَوِيّ (وخَلَوِيّة!)، ونَبِيّ، نَبَوِيّ (ونَبَوِيَّة)./ [المجلة].

(١) ديوان الفرزدق (٢/١٥-١٦). قالها في هجاء المهلّب، وهو من الأزد.

ولم يدعُ داعٍ: يا صباحًا، فيركبُوا إلى الرَّوعِ إلاَّ في السَّفين المُضبَّبِ

ومـــا وجعتْ أزْديةٌ من ختانةٍ، ولا شَربتْ في جلدِ حَوْبٍ مُعلّبِ

وفي هذا السياق النكوصي قارن الفرزدق ضمنيًا بين المرأة البدوية الأعرابية والمرأة الحضرية، فالأولى جميلة وطليقة كالغزال، مصونة كدُرَّة غواص، مشرقة مثل الشمس، تهبُّ عليها الريح من كل جانب، والثانية منقبضة كثيرة العَرَق، حسنة المظهر سيئة المخبر، كالبطيخة الفاسدة، التي تصدم عند فلقها[1]:

لَعَمْـــري لأعْـــرابيَّةٌ في مظـــلَّةٍ تظـــلُّ بـــرَوْقَيْ بيتها الريحُ تخفقُ

كـــأمِّ غـــزالٍ، أو كدُرةِ غائصٍ إذا ما بَدتْ مثلَ الغمامةِ تُشرقُ

أحـــبُّ إليـــنا من ضناكٍ ضِفَنَّةٍ إذا رُفعـــتْ عنها المراوحُ تعرقُ

كبطِّـــيخةِ الزَّرَّاعِ يُعجبُ لونُها صَحيحًا، ويبْدُو داؤُها حينَ تُفْلَقُ

ولاشك أن صورة المرأة هذه هي خلاصة وجدانه وتصوره للحضارة الجديدة، إنما صورة جاءت من أعماق لا شعوره: شُبِّهتِ الحضارةُ بالمرأة، ثم شُبهتِ المرأة بالبطيخة الفاسدة. وهذا الارتباط بين حال المرأة والحضارة ما انفك قائمًا في لا شعور الحركات النكوصية.

ويستغل الفرزدق خلافهُ مع معاوية حول «ميراث» أحد أقاربه ليُعبِّر عن حسرة عميقة على ذهاب «الجاهلية»[2]:

أبـــوكَ وعمي، يا مُعاويَ، أوْرثا تُـــراثًا فـــأوْلى بالـــتُّراثِ أقاربهْ

فمـــا بالُ ميراثِ الحُتاتِ أخذتَه، وميراثُ حربٍ جامدٌ لكَ ذائبُهْ

---

(١) ديوان الفرزدق (٢/٥٥).

(٢) ديوان الفرودق (١/٥٢-٣٥)، وانظر الخبر، مع بعض التغيير في الأبيات، في الطبري (٥/٢٤٣). (ط٤. دار المعارف١٩٧٩).

فـــلو كان هذا الحكمُ في جاهلية | عـــرفتَ من المولى القليلُ حلائبُهْ
ولو كان هذا الأمرُ في غير مُلككُم | لأدَّيْـــتَهُ، أو غـــصَّ بالماء شاربُهْ
ولـــو كان إذ كُنَّا وللكَفِّ بَسْطة | لَصمَّمَ عَضْبٌ فيكَ، ماضٍ مضاربُه

الأبيات تضع الإصبع على أحد أسباب النكوص، أعني بذلك شعور الكثيرين من أبناء القبائل (الكبيرة خاصة) بأن ما وقع في العصر الأموي لا يعدو استبدالَ عصـــبية بعصـــبية، وملكٍ بملك، وإذا كان الأمر كذلك فما المانع من السعي لاســـترجاع الســـيادة الضائعة ولو عن طريق القول والذكرى. لقد تقوَّى هذا الشعور في العصر الأموي ليصل إلى حد التطرف بتقليص مفهوم العروبة في نمط الحياة الوثنية في البيئة البدوية الجاهلية المتقشفة، أما جذوره فقد بدأت مع الدعوة الإسلامية وأفصحت عن نفسها بقوة في حركة الردة، بعد موت الرسول حيث نجد شاعرًا، مثل الحطيئة، رتَّب حياته على النمط القبلي الجاهلي يقول:

أطعْـــنا رسُولَ الله ما كانَ بيْننا | فيـــا لَعباد الله، ما بالُ أبي بَكْرِ!
أيورثُهـــا بكـــرًا إذا ماتَ بعدَهُ، | وتِـــلكَ، لَعمْرُ الله قاصِمةُ الظَّهْرِ

هذا، وقد أدَّى الرجوع إلى القيم العربية والتاريخ العربي باعتبارهما حجتين على السيادة والتقدم إلى استقصاء الشعراء لتاريخ القبائل مستعرضين حروبها؛ انتصاراتها وهزائمها، حسب الموقع الذي يتحدثون منه. فكان أن وجدنا أجزاء من قصائدهم عبارة عن إحصاءٍ للأيام والوقائع وأسماء الرجال ومآثرهم، ولذلك يَعُدُّ الدارسون شعرَ النقائضِ وشروحَه من أهم مصادر أيام العرب في الجاهلية، من نماذج ذلك قول الفرزدق[1]:

ويـــوم جعلـــنا الظلَّ فيه لعامرٍ | مُصـــمَّمةً تفْأى شؤونَ الجماجمِ
فمـــنهُنَّ يومٌ للبَريكَين، إذ ترى | بـــنُو عامـــرٍ أنْ غانمٌ كلُّ سالمِ
ومنهنَّ إذْ أرخى طُفيلُ بنُ مالك | على قُرْزُلٍ رِجْلَيْ رَكُوضِ الهزائمِ

(١) ديوان الفرزدق (٢/٣١٤).

ونحن ضربنا من شُتير بن خالد   على حيثُ تَستَسقيه أمُّ الجماجمِ
ويومَ ابن ذي سيدانَ إذْ فوَّزتْ به   إلى الموت أعْجازُ الرِّماحِ الغَواشمِ
ونحــنُ ضربنا هامة ابنِ خُويْلدٍ   يــزيدَ عــلى أمِّ الفِراخِ الجواثمِ

وهي قصيدة طويلة من ١٥٠ بيتًا، خصَّص القسم الأخير منها للوقائع والأيام في مسردٍ طويل.

ذبول القيم القبلية: سخرية الفن

قد يختلط الأمر، مرة أخرى، على قارئ شعر النقائض، وهو يلاحظ أن حياة البداوة التي جعلها الفرزدق مظهرًا للعروبة والسيادة ومجلبة للفخر، وهو يتهكَّم بالأزد، قد بدأت منذ هذه المرحلة تتعرض هي الأخرى للازدراء من طرف شعراء النقائض أنفسهم. كقول جرير للراعي النميري(١):

فيــا عجــبًا أتوعــدُني نمــيرٌ   بــراعي الإبــلِ يَحترشُ الضِّبابا
إذا نهــضَ الكــرامُ إلى المعالي   نهضْــتَ بعلــبة وأثــرْتَ نابَا

وقول الأخطل لجرير(٢):

وأبــوكَ ذُو مَحــنية وعــباءةٍ   قَمِــلٌ كأجــربَ مُنْتَشٍ مَوْرُودُ

والأمر قابل للفهم في إطار اضطراب القيم، وتردد النفوس بين نموذج مضى لم ينفصلوا عنه كل الانفصال، ونموذج جديد لم يندمجوا فيه كل الاندماج.

والمهم لنا هو أن تبادل هذه النعوت بين الإيجاب والسلب واستعمالها في كل اتجاه، حقيقة أو ادعاءً، ساهم في إماعتها وكسْر حدَّتها المرجعية، وتوجيه الاهتمام إلى الصورة التي أخرجت فيها، أي إلى المستوى البلاغي منها. وهذه إحدى الوظائف الخفية للفن: الترويض.

---

(١) ديوان جرير. دار الأندلس، بيروت، ص (٧٦).

(٢) ديوان الأخطل (٣٦٨). والمحنية: علبة من جلد الإبل. والمورود: المحموم.

لقد ساهم شعر الفخر والهجاء نفسه – بعد تهييج القيم القبلية البدوية – في ترويضها، وذلك بتحويلها إلى صور بلاغية تَشْغَلُ المستمعين عن مرجعيتها الجارحة. فمن يرجع إلى أخبار شعراء النقائض في كتب الأدب والتاريخ يُلاحظ كيف تحولت الأسواق، بل والمساجد والمقابر، تدريجيًّا، إلى مجالس لإنشاد الشعر شبيهة بالمسارح؛ يجتمع فيها الناس بمختلف انتماءاتهم القبلية للاستماع للشعراء، وهم يحوِّلون القيم القبلية وحياة البداوة إلى صور شعرية تُثير الإعجاب وتُحقق المتعة، حيث ترد الصور الساخرة المقذعة دون أن يؤدي ذلك إلى امتشاق سيف أو إرسال سهم أو رمح. بل قصارى الموتورين من أبناء القبائل أن يستنهضوا همم شعرائهم للرد بنفس السلاح، أي بالصورة الشعرية.

نكتفي هنا بإيراد نموذجٍ واحدٍ دال أُعطيتْ الغلبة فيه للصورة الشعرية والمشهد المسرحي الذي أُخرجت فيه. جاء في الأغاني:

«خرج العجاج مُتَحَفِّلاً عليه جبةُ خَزٍّ وعمامةُ خز على ناقة له قد أجاد رَحْلها حتى وقف بالمربد والناس مجتمعون، فأنشد قوله:

قد جَبر الدينَ الإلهُ فَجَبَرْ

فذكر فيه ربيعة وهجاهم. فجاء رجل من بكر بن وائل إلى أبي النجم وهو في بيته، فقال له: أنت جالس وهذا العجاج يهجونا بالمربد قد اجتمع عليه الناس! فقال: صف لي حاله وزيَّه الذي هو فيه، فوصف له. فقال: ابغني جملاً طحانًا قد أُكثِرَ عليه الهِناء(*). فجاء بالجمل إليه. فأخذ سراويل له، فجعل

(*) الهِناء: القَطِران / [المجلة].

إحدى رجليه فيها وأتْزر بالأخرى، وركب الجمل، ودفع بخطامه إلى من يقوده، فانطلق حتى المربد. فلما دنا من الحجاج قال: اخْلَعْ خطامَه، فخلعه وأنشد:

تَذَكَّرَ القلبُ وجَهلاً ما ذَكَرْ

فجعل الجمل يدنو من الناقة يشتمها ويتباعد عنه العجاج لئلاَّ يُفسد ثيابه ورَحْله بالقَطِران، حتى إذا بلغ إلى قوله: (شَيطانُه أنثى وشَيطاني ذَكَرْ) تعلّق الناس هذا البيت، وهرب العجاج عنه»[1].

ويهمنا كثيرًا استعمالُ أبي الفرج كلمة «تعلق» ، فهي تدل على أن البيت شغل الناس عن باقي المعاني، فهذا هو اللفظ الذي مازال الناس يستعملونه للتعبير عن نسيان مجمل الكلام: علق منه بذهني كذا.

هكذا عبَّرت النقائض عن تأجج العصبية القبلية في ظرف سياسي خاص ثم كانت من جملة عناصر ذبولها وتراجعها أمام منطق المدينة والدولة.

وعندما تغيرَّت المواقع مع ذهاب الهيمنة العربية على شؤون الدولة واحتلال أبناء الأمم الأخرى مواقع القرار (مع مجيء الدولة العباسية)، وجدنا شعراء من أصول غير عربية يستغلون مظاهر الحياة البدوية العربية في التقليل من غلواء العروبية، فيما عُرف بشعر الشعوبية، على نحو ما جاء في شعر بشار وأبي نواس. وبذلك تحوَّلت القيمة الحجية لتلك الحياة البدوية من لعبة فنية بين شعراء

(١) أبو الفرج الأصفهاني. الأغاني. طبعة دار الثقافة. بيروت. (١٠/١٦٠). وفي لسان العرب(طحن): «الطحانة والطحون: الإبل إذا كانت رفاقًا ومعها أهلها. .. أقصر القصار الطحنة» . وانظر خبرًا مشابهًا حول مهاجاة جرير للراعي في الأغاني (٨/٢٩)، ومما جاء فيه: «ثم أصبح (أي جرير) حتى عرف أن الناس قد جلسوا في مجالسهم بالمربد... فادهن وكف رأسه، وكان حسن الشعر، ثم قال: يا غلام ، أسرج لي...» وقد حُسمت المواجهة – كما هو مشهور – بين جرير والراعي ببيت جرير البسيط الساحر:

فَغُضَّ الطرفَ إنك من نمير ... فلا كعبًا بلغتَ ولا كِلابا

عرب فرَّقتهم القبلية في الظاهر، إلى حجة على العرب جميعًا، وتوسَّع مجال السخرية لينال كل التقاليد العربية. ولأن المرحلة كانت مرحلة فكر ومذهبية، فقد كان ردّ الفعل إزاء هذا المنحى كله ما عبَّر عنه الجاحظ في محاوراته (مثل المحاورة بين الكلب والديك التي سخر فيها من المفاخرات بين العرب والعجم)، وفي تحليلاته العلمية العميقة مثل وصفه حمل العرب للعصا عند الخطابة- وكان محل سخرية من الشعوبية – في إطار سميائي عام.

وعمومًا فإن الجاحظ استطاع أن يصادم الأفكار والآراء والقيم، ويعطي كلا منها حظًّا للدفاع بما يظهر نسبيتها، وهو في كل ذلك يُضمر سخرية رقيقة، تصل إلى حد الالتباس، من الصراع الزائف واليقين الأعمى. وقد أبرزنا هذا الجانب الحواري في سخريته في كتابنا: البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول[1].

وهذا مجال واسع لإغناء التاريخ الفكري للمراحل الأولى لتكوُّن الدولة العربية الإسلامية، حيث يمكن أن تُقدم هذه الوثائق الرمزية غير المباشرة إمكانًا لفهم الحركة العميقة للفكر والواقع.

---

(١) ينتظر صدوره عن إفريقية الشرق بالدار البيضاء قبل نهاية ٢٠٠٤. ومن الخلاصات التي انتهينا إليها هناك أن الجاحظ استطاع، في إطار عصر الكتابة، «تحويل قضايا الصراع الاجتماعي والفكري والسياسي في عصره إلى قضايا أدبية تُثير الخيال العام وتحقِّق المتعة الفنية بدل إثارة العواطف الفئوية وتأجيج الأحقاد... ومن هنا يصبح التفاخر والقدح (في مجال الأكل مثلاً) موضوعًا للنوادر والنكت، ويُذكر الصراع بين العرب والعجم بالمفاخرة بين الكلب والديك». (ص ١٣٤-١٣٥).

نبوغ الإيرانيين في الشعر العربي
خلال القرنين التاسع عشر والعشرين

د. عبد الرسول الغفاري

بسم الله الرحمن الرحيم

الأبعاد الثقافية لهذه الدراسة

لا يخفى على ذوي الاختصاص في مجالي التاريخ والأدب أن علاقة الفرس بالعرب تعود إلى أزمنة بعيدة، ربّما تصل إلى ما قبل الميلاد بعشرات السنين، ولّما منّ الله سبحانه على العرب أن بعث لهم - ومن بينهم - النبي محمدًا ﷺ ليبشّرهم بالدين الجديد والشريعة السمحة، وأن يعلّمهم الإسلام ويجمعهم على كلمة واحدة، وينتشلهم من الجهل والفرقة، أصبحوا ببركة الإسلام أمّة واعية تحمل عبء مسؤولية الجهاد والتبليغ من أجل خلاص الإنسان من الظلم والاضطهاد والضلال.

وقد منّ الله سبحانه على الفرس - أيضًا - أن دخلوا في الإسلام بعد واقعة نهاوند سنة (٢١هـ)، وقد حَسُن إسلامهم وأخلصوا لدينهم، وشاطروا العرب همومهم وآمالهم على حدّ سواء.

هذه المشاطرة استدعت الأمة الفارسية أن تدلي بدلوها في بناء صرح الحضارة الإسلامية، وتساهم مساهمة جادّة في الفنون والعلوم الإنسانية انطلاقًا من المسؤولية الدينية الملقاة على كافة المسلمين دون أيّ استثناء.

فكانت الرابطة الوثيقة التي تشدّ العرب والفرس معًا هي رابطة لغة القرآن، وقد أخلص الجميع لهذه الرابطة الحقّة.

فمن الجانب الفارسي نجد هناك مساهمات ميدانية عديدة قام بها الفرس لنشر الدين الجديد، وأخصّ بالذكر مساهمتهم في العلوم المرتبطة باللغة العربية وآدابها، فمنذ بداية القرن الثاني الهجري - وهي المرحلة التي بدأت فيها حركة التدوين تبرز بوضوح في أغلب المجالات الدينية والأدبية - ساهم الفرس بحق في تشييد العلوم الإنسانية بعدما نهلوا من اللغة العربية وآدابها، فألّفوا في النحو والصرف واللغة والبلاغة حتى برز من بينهم مؤلّفون وكتّاب وشعراء قد خلّدهم التاريخ.

ولا نبالغ إذا ما قلنا إن مدة القرنين الثالث والرابع الهجريين تُعد الحقبة الذهبية في مساهمة الفرس مع إخوانهم العرب في مجال البناء العلمي والحضاري للدولة الإسلامية.

وهكذا استمر ذاك النشاط طوال القرون الماضية ولكن من المؤسف أننا لم نجد من بين الدارسين العرب مَن تناول هذه الجوانب العلمية والأدبية بالتفصيل إلاّ النزر القليل منهم. في الوقت نفسه نجد أنظار الدارسين العرب تتجه نحو الحضارة الغربية لينبهروا بلغاتها وتراثها تاركين وراءهم تراثًا إسلاميًا زاهيًا - قد بناه إخوانهم الشرقيون - يضاهي تراث الغرب بكل فصوله وجوانبه.

فبقدر ما أَوْلى أولئك الدارسون من عناية بالتراث الغربي، كان يقابله الإهمال والتناسي لتراث جيرانهم الشرقيين وفي مقدمتهم بلاد الفرس والعجم.

وقد آليت على نفسي - انطلاقًا من العلاقة الوثقى بين الأمّتين العربية والفارسية - أن أسلّط الأضواء على جانب من تلك الجوانب المهمّة التي أغفلها الدارسون العرب، وهو **نبوغ الإيرانيين في الشعر العربي** متّخذًا من

شعراء القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين نموذجًا صادقًا لهذه الدراسة.

وحاولت جهد الإمكان أن أكشف النقاب عن نبوغ الإيرانيين في الشعر العربي في الحقبة المشار إليها، وإظهار أبرز السمات الشعرية عندهم والأغراض التي نظموا فيها، ودورهم الريادي في إسعاف اللغة العربية بما جادت به قرائحهم وأفكارهم، ومساهمتهم مع إخوانهم العرب في ازدهار اللغة العربية وآدابها في إيران الإسلام.

الشـــعراء المكـــثرون

١- الشيخ ميرزا أبو الفضل الطهراني:

ولد في (١٢٧٣هـ) وتُوفي سنة (١٣١٦هـ)، وهو من علماء القرن التاسع عشر الميلادي.

عالم وأديب وشاعر عرفته الأوساط العلمية في إيران والعراق.

درس اللغة العربية وآدابها في سن مبكّرة وأتقنها وهو في ريعان شبابه وقد صار في أوان بلوغه ممّن يشار إليهم بالبنان، إذ في هذه السن المبكّرة نظم أرجوزته المسمّاة بـــ(قلائد الدرر في نظم اللؤلؤ المنتثر) في علم التصريف وهي تضمّ ستة آلاف بيت في شرح الشافية لابن الحاجب.

ويصرح الشاعر في بعض ما كتبه عن ترجمة حياته فيقول: «فنظمت الشعر العربي - وأنا طفل وصبيّ، ولم أُذَرِّف بعد على أربعة عشر عامًا - شعرًا فاح نشر الفصاحة منه وانتشر...».

للشاعر عدة أراجيز في فنون العربية والمنطق والفقه ...وغيره. كذلك له ديوان عربي مطبوع في قم سنة (١٣٦٩هـ). تناول في شعره جميع الأغراض الشعرية كالحماسة والمدح والغزل والموشحات، وقد سلك مسلك مهيار

الديلمي؛ إذ صاغ المعاني الفارسية بحلية عربية فهو عقد منظوم في براعة صائغ يجيد عرض المعاني الفارسية في سلك عربي ناصع ومتين.

أما وصفه فهو في غاية الجودة، فكثيرًا ما وصف أماكن لم ترها عينه ومع ذلك تحسّ في وصفه الدقّة والإبداع، وهكذا فيما يخصّ الغزل والتشبيب. فكم له من قصيدة يستهلّها بمطلع رائع، حيث ترى الألفاظ والكلمات تنساب على لسانه دون أيّ تكلّف كما لو تغزّل شاعر عربي، وكم أظهر الحنين والاشتياق إلى أمكنة بلاد العرب وهو لم ينزلها و لم تطأها قدماه.

فالأغراض التي أجاد فيها نستطيع القول إنه - من دون استثناء - قد أجاد في الكل؛ في الرثاء، في المدح، في الغزل، في الوصف.. إلخ.

٢- ملا حبيب الله الشريف الكاشاني:

المتوفى في حدود (١٣٤٠هـ)، له مصنفات كثيرة جدًا باللغتين العربية والفارسية وهو عالم وأديب وشاعر. نظم عشرات الأراجيز في مواضيع شتّى.

له ديوان شعر مطبوع يضمّ قصائد فارسية وأخرى عربية يقع في ٥٨٠ صفحة. كما له قصائد عربية متناثرة غير مجموعة، والكثير منها لا يزال ينتظر النور. الصفة الغالبة على شعره الطابع التعليمي، ولَمَّا كان في عداد رجال الدين ومن العلماء المبرّزين في حينه، وجدنا اهتماماته الشعرية انصبّت على شرح المطالب الدينية والأدبية بلسان الشعر، فجاءت منظوماته وأراجيزه بيانًا وشرحًا لتلك الدروس العلمية.

٣- السيد محمد علوي البروجردي الكاشاني:

هو تلميذ الشيخ ملا حبيب الله الكاشاني، له ديوان أسماه (الأربعينية العاشورية)، أول قصيدة فيها نظمت سنة (١٣٣٤هـ) وآخر قصيدة له في

هذا الديوان نظمها سنة (١٣٥٢هـ) وهي مجموعة قصائد نظمت في رثاء الإمام السبط الشهيد خلال عشرين عامًا.

وله أرجوزة كبيرة أسماها: (الخريدة) في النحو،كما له ديوان شعر (مخطوط). وله مصنفات عديدة باللغتين العربية والفارسية. وأبرز الأغراض التي نظم فيها هو فن الرثاء.

و لم تكن القصيدة الواحدة من قصائده متحدة القافية.

وأغلب نتاجه الشعري يُعدّ من باب الوصف والتقرير بثوب - عرفته قريحته الشعرية - هو ثوب الرثاء، وعلى العموم الجانب الخيالي فيه دون شهرة أقرانه من الشعراء كالشيخ محمد رضا أبي المجد الأصفهاني.

٤- الشيخ محمد حسين الغروي الأصفهاني:(١٢٩٦- ١٣٦١هـ / ١٨٧٨-١٩٤٢م).

ولد في الكاظمية وأمضى شطرًا من حياته الأولى هناك، وتَلْمَذَ لأساتذة مهرة، ثم هاجر إلى إيران عائدًا إلى وطنه ليتصدى هناك للبحث والدرس والتعليم.

له مصنفات عديدة باللغتين العربية والفارسية، كما له أشعار كثيرة في عدة دواوين؛ أما ديوانه الفارسي فهو مطبوع في إيران وله ديوان عربي تحت عنوان (الأنوار القدسية) طبع عدّة مرات، منها طبعة الشيخ عبد الكريم التبريزي النجفي يقع في ٩٨ صفحة.

والطبعة الثانية، صدرت في النجف، إذ تصدّت المطبعة الحيدرية لنشره مع مقدمة للشيخ محمد علي الأردوبادي.

والطبعة الثالثة كانت في بيروت، إذ تصدّت مؤسسة الوفاء لنشره سنة

(١٩٨٢م) ويقع الديوان في (١٥٤) صفحة من القطع الوزيري، وتبدو هذه الطبعة هي نفس الطبعة السابقة - الثانية - حيث تصدّرت الطبعتين مقدمة للشيخ الأردوبادي.

يضمّ هذا الديوان (٢٤) قصيدة كلها في تاريخ حياة المعصومين الأربعة عشر، والجدير بالذكر أن للشيخ الأصفهاني مراثي عديدة لشهداء الطف وهو مخطوط في مكتبة ملك بطهران.

٥- الشيخ محمد رضا، أبو المجد الأصبهاني:

هو ابن الشيخ محمد حسين ابن الشيخ محمد باقر الرازي الأصبهاني المعروف بالمسجد شاهي ١٢٨٧- ١٣٦٢هـ.

أصله من عشيرة استاجلو وهو من عائلة عريقة كثيرة العلماء.

ولد بالنجف سنة (١٢٨٧هـ) إذ أرّخ الشاعر فيما بعد ولادته. فقال:

وإذا عـــددت سنّي ثم نقصتها   زمن الهموم فتلك ساعة مولدي

وفي التاسعة من عمره ذهب به أبوه إلى أصبهان فتعلّم المبادئ العربية وآدابها هناك، ثم عاد ثانية إلى النجف سنة ١٣٠٠هـ وتَلْمَذَ هناك لعلماء عصره حتى نبغ في مجال العلوم الدينية.

اتصل مع أدباء العراق وساجل كبار شعرائه، وكانت له علاقة متينة بالشاعر المفوّه السيد جعفر الحلّي، فصقلت مواهبه الشعرية على يديه وهو في النجف، كما للشاعر صلات وديّة ومراسلات مع كبار الأدباء في النجف؛ كالسيّد إبراهيم الطباطبائي، والعالم الأديب السيد محمد سعيد الحبّوبي، والشيخ عبد الحسين الجواهري، والشيخ هادي آل كاشف الغطاء، والشيخ جواد الشبيبي والشيخ محمد السماوي.

عاشر هؤلاء الشعراء والأدباء زمنًا طويلاً ونازلهم في سائر الأغراض واشترك معهم في أغلب الأندية والمحافل الأدبية التي كانت تُعقد في النجف الأشرف وغيرها من البيئات الأدبية.

تأثر أبو المجد بالشاعر المبرِّز صفيِّ الدين الحلي، إذ سلك نهج الحلي في عشقه لأنواع البديع، وهي صفة بارزة في نتاجه الشعري.

كما تبرز في شعره الطرائف الأدبية التي جاءت في قوالب شعرية رائعة.

له ديوان طُبع سنةَ (١٤٠٨هـ) في قم، مع مقدمة وجيزة للعلامة السيد أحمد الحسيني.

٦- الشيخ علي بن الشيخ أحمد الجواهري البروجردي: (١٣٢٨- ١٤١٥هـ)

ولد في النجف الأشرف، وهو سادس إخوة خمسة.

نشأ وترعرع في بيئة أدبية وهو في كنف والده، وبدأ في تحصيل المعارف الدينية والمبادئ العربية في النجف، على أيدي أساتذة مهرة كالسيِّد جعفر الكيشوان، والشيخ عبد المنعم العكام، والشيخ حميد السماوي.

ثم حضر بحث الفقه والأصول في مرحلة الدراسات العالية عند جهابذة العصر ونوابغ الدهر كالعلامة النائيني والسيد أبي الحسن الأصفهاني وآقا ضياء العراقي.

وفي سنة (١٣٥٣هـ) سافر الشاعر إلى إيران لينضم إلى بقية أسرة آل الجواهري الذين يقطنون في المدن الإيرانية. وفي هذه السنة زار كلاً من خراسان وطهران وقم والأهواز ومدنًا أخرى ثم وضع عصا السفر [illegible]ينة بروجرد.

ولّما لم يكن متزوّجًا، فقد سعى له بعض أصدقائه في بروجرد ليتزوّج منها وفعلاً وفّق في زواجه واستقرّ في هذه المدينة وأخذ يلقي البحوث

والمحاضرات وأقبل عليه الطلاب ينهلون من معينه ويُرْفدون من نواله.

للشاعر صلات طويلة عريضة بشخصيات أدبية وعلمية في مناطق خوزستان، حيث يشدّ الرحال إلى هذه المنطقة في كل عام وينزل ضيفًا عند شيوخها وكبار زعمائها، وامتدت علاقاته إلى مناطق الجنوب كالدورق وشادكَان وخرمشهر والأهواز و... وفي خلال هذه السفرات اتصل بالسيد عدنان زعيم الغريفيين في خرمشهر وهكذا اتصل بأولاده، أمثال السيد حسن والسيّد سعيد والسيّد عليّ والسيّد محمد عليّ وبخالهم السيّد غياث والسيّد شبر.

أمّا شاعريته، فقد كان مطبوعًا غير متكلّف، نظم في جميع الفنون والأغراض كالرثاء والحماسة والمدح والغزل والتهاني والفكاهة.

له عدة قصائد موشّحة، كما له قصائد مخمّسًا فيها قصائد السيد جعفر الحلي والسيّد حيدر الحلي والسيّد محمد حسين القزويني والشيخ صالح الكوّاز والشيخ الأزري والسيّد رضا الهندي والشيخ عبد الحسين العاملي وغيرهم، وقد جمع هذه التخميسات في دفتر خاص.

أما ديوان شعره: فلم يزل مخطوطًا توجد منه نسختان إحداهما بخط الشاعر والأخرى بخط الشيخ حسن الجواهري.

كما له أرجوزة في الفقه تقع في ستة أجزاء ومجموع صفحاتها (٣٣٠١) صفحة تحت عنوان (الفقه المنظوم من جواهر العلوم).

٧- السيّد محمد جمال الهاشمي الكَلبايكَاني:

ولد في النجف ومات فيها وأولاده جميعًا يعيشون في بلدهم الأصلي إيران إذ هم يقطنون في مدينة قم وبعض أولاده من رفقائنا ولهم وظائف رسمية في الدولة.

للهاشمي الكَلبايكَاني دواوين شعرية عديدة، ربما أكثر من عشرة دواوين كلها باللغة العربية.

نظم السيّد محمد وهو في أول شبابه وتطرّق لجميع الفنون وأجاد في الشعر السياسي وهكذا في الغزل والمديح والرثاء. ومن عيون قصائده الرثائية له قصيدة يرثي فيها الشاعرة الإيرانية بروين اعتصامي.

يكاد يكون الشاعر الكَلبايكَاني نادرة عصره وهو والجواهري يعدّان من حلبة واحدة. وقد لمست هذا النبوغ الشعري أيضًا في ولده العلامة السيّد هاشم فهو شاعر مجيد بل يُعدّ كأبيه من الفحول.

٨- الشيخ محمد الكرمي – الأهوازي الحويزي بن الشيخ محمد طـــه:

ولد في النجف (١٣٤٠هـ) (معاصر). تلقى دروسه الأوّلية في مسقط رأسه ثم انتقل إلى قم وحضر دروس الفقه والأصول في المرحلة العليا.

له مؤلفات عديدة في الفقه والتفسير والمنطق والأدب والعقائد والكلام والنحو وجلّها مطبوع وهو متمكن من اللغة العربية في جميع مؤلفاته.

وله ديوان شعر عربي مخطوط.كما له قصائد عربية عديدة متناثرة في كتبه المطبوعة، وهي لو جمعت وحدها لشكّلت ديوانًا مستقلاً.

أما الأغراض التي طرقها فهي متنوعة، منها: السياسة والمدح والرثاء والإخوانيات.. غير أن أسلوبه سهل ممتنع، بعيد عن زخرف اللفظ، يتجنب حوشي الكلام، والصورة الشعرية عنده تفتقر إلى الصور البيانية، والمعاني المجازية.

نتائج البحث:

– الأغراض الشعرية المطروقة عند الشعراء المارّ ذكرهم.

– الموضوعات التي تناولوها.

- بين التقليد والتجديد.
- دور الشعراء والأدباء العراقيين في الأدب الإيراني.
- أثر الحياة العلمية في النتاج الشعري.
- الشعر التعليمي والأراجيز.
- القيود الأخلاقية وأثرها في أسلوب الشاعر.
- الصدق والصراحة في التعبير.
- رواج فن الموشحات.
- رواج التخميس والتشطير عند المتأخرين.

خصصنا الفصل العاشر بنتائج البحث، إذ تناولنا فيه أبرز العناوين منها:

الأغراض الشعرية والموضوعات التي طرقها الشعراء الإيرانيّون في القرن التاسع عشر الميلادي والقرن العشرين: كانت في الأعم الأغلب كالتي عهدناها عند شعرائنا العرب، فقد نظموا في المدح والرثاء والغزل والنسيب والوصف والإخوانيات، وهم في هذه الأغراض مقلّدون في الشكل والمضمون والأوزان، وإن كان بعضهم ينظم من مفردات اللغة الحِلية المزدانة بفصوص من الياقوت والدرر، فيحكم صنعه ليقلّد بنتاجه ذاك صدر الزمان وهذا ما نلمسه في شعر العلامة الشيخ محمد رضا النجفي الأصبهاني، فمن مليح شعره قوله:

إن الـــذي بـــنى الملاح هويته وإن ابتـــليت بهجـــره وبصدّه

أضحى اسم والده أخص صفاته وبـــثغره أضحى مصدّق جده

وقوله:

وللســـبح كم جرّدتهُ من ثيابه كما جُرّد السيف الصقيل من الغمد

رقيقان قد ماجا غداقًا لناظري وجسمُ الذي أهوى أرقّهُما عندي

ومن الوقت نفسه نلاحظ أن أغلب الشعراء المار ذكرهم قد أكثروا من

مدح أهل البيت عليهم السلام؛ بالخصوص العلامة محمد حسين الأصبهاني والسيد محمد جمال الدين الهاشمي والسيد محمد العلوي الكاشاني.

بين التقليد والتجديد:

نستطيع أن نقول إن العلامة أبا الفضل الطهراني حاول بذكائه وحسّه المرهف أن يسمو على أقرانه من الشعراء والمعاصرين له، ففي ديوانه المطبوع نلمس التجديد في بعض معانيه، وعلى سبيل المثال انظر إلى قوله وهو يصف طفلاً أسود:

لاقيـــت في الحمّام طفلاً أسودًا ... يدعـــى ويذكر عندهم ببلال

فكأنّـــه أصـــداغ أحور أغيد ... بـــل في محيّا الدهر مثل الخال

مسك وهل للمسك فائح نشره؟ ... بـــل وهـــو أطيب ليلة لوصال

شغفت محاسنه فؤادي بالهوى ... من طيب أخلاق وحسن دلال

ملكت سويداءَ القلوب عيونُه ... وخدعـــنها وجُعِلْنَ في أغلال

أغلال أصداغ كسود عقارب ... نمّاشـــة دبّـــت بســـود ليال

ومن مليح قوله يصف فتاة غانية قد خلص إلى معنى جديد لم أر له مثيلاً حيث قال:

وغانية في حلية الحسن نُشِّئَتْ ... وقد أُرْضِعَتْ قِدْمًا بثدي دلال

أتتني خفوقَ النجم والرّيح تنبري ... بـــبرد لماهـــا ثمّ طيب خصال

فباتت إلى أن أصبح الفجر ضاحكًا ... وأســـفر وضّاحًا كوجه كمال

إنه أجاد في بيته الأول لما فيه من معنى ظريف في قالب جديد وهو قوله: (وقد أُرضِعت قِدمًا بثدي دلال)..

أما دور الشعراء والأدباء العراقيين في الأدب الإيراني فنلمسه بوضوح في ديوان العلامة الشيخ علي الجواهري البروجردي وهكذا في ديوان العلامة أبي

المجد الأصبهاني، إذ كانت لهما صلات عديدة بشعراء النجف وكربلاء وبغداد، حيث نشأ العالمان نشأة علمية وأدبية على أيدي علماء وأدباء النجف الأشرف، فكانت هناك مراسلات تجمعهم وحدة المشرب والمذاق والإحساس.

فمثلاً كانت مراسلات أدبية وشعرية بين أبي المجد الأصبهاني وبين الشاعر العلامة المبدع الشيخ هادي كاشف الغطاء، والسّيد علي العلامة الكاظمي، والسيد جعفر الحلي، والعلامة الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، والعلامة الشيخ جواد الشبيبي، وهؤلاء جميعًا من مشاهير أدباء النجف الأشرف، بل هم في طليعة الشعراء العراقيين آنذاك. وقد كان لهم الأثر الكبير في صقل مواهب الشاعرين الإيرانيين؛ أبي المجد الأصبهاني وميرزا أبي الفضل الطهراني.

أثر الحياة العلمية في النتاج الشعري:

يطالعنا في هذا الحقل الشاعر العلاّمة الشيخ علي الجواهري البروجردي وهكذا العلاّمة حبيب الله الشريف الكاشاني.. فهما من علماء الطائفة ومراجعها العلمية، إذ نهلا من ينابيع الفقه والأصول والمنطق والفلسفة وعلم الكلام، وغير ذلك من العلوم الدينية حتى صارا من كبار العلماء في زمانهم.

والمعروف عند الطائفة الإمامية أن من يتصدّى للحياة العلمية وإدارة شؤون الناس سوف ينشغل، بل ويوظّف كل طاقاته في خدمة الأمّة، لذا سوف تؤثّر هذه الأعمال والمهام في نتاج العالم إذا كان أديبًا.

ثم إن الأمّة لا يسعها الشاعر كما يسعها العالم المربّي الذي يرعى أهل العلم والطلاب والفقراء والمعوزين وأرباب الحوائج وما إلى ذلك، فالعالم بما لديه من مكانة علمية سوف ينشدّ إليه أبناء الطائفة آملين فيه رفع الحيف والفقر والعوز، أما الشاعر - لكونه صفر اليدين من تلك الامتيازات - فلن يحظى بتلك المنزلة التي يحظى بها العالم.

وعلى هذا فإن الحياة العلمية ومشاغلها لا تمهل العالم أن يرقى إلى مصاف كبار الشعراء إلاّ من ندر. ثم إن العرف السائد بين الناس هو العامل الآخر في تحديد شهرة الفرد وتصنيفه إلى إحدى الجهتين إمّا عالمًا وإمّا شاعرًا.

الشعر التعليمي والأراجيز:

أشرنا فيما سبق إلى اثر الحياة العلمية في النتاج الشعري، وذلك الأثر يتجسّد أكثر هنا، إذا ما عرفنا أن الدروس العلميّة في الأوساط الدينية تحتاج إلى شرح وتعليق وبيان أكثر ممّا يلجأ البعض إلى المنظومات؛ فينظم تلك الدروس - الفقهية والأصولية والعلوم العربية وما إلى ذلك من بحوث وموضوعات - بأسلوب شعري مبسّط. لذا كثُرت الأراجيز والشعر التعليمي في القرنين الأخيرين. ومن بين أولئك الشعراء نجد كلاً من العلاّمة الشيخ علي الجواهري البروجردي والشيخ حبيب الله الشريف الكاشاني والسيد محمد جمال الدين الهاشمي، من ذلك قول الكاشاني من منظومة لـه في فن البديع:

قـــال حبيب الله اَلْحَمْدُ على	نعمـــاءِ مَـــنْ بذاته قد اعتلى
سبحانه من صانع بديع	في صـــنعه مهـــيمن مـــنيع
ثمّ الصـــلاة أكمـــل الصـــلاة	عـــلى الرسول سيد السّادات
وآلِـــهِ الـــدّاعين بـــالحق إلى	محسّـــنات الخُلق في شأوِ العُلى
بَعْدُ فهذا النظم في البديع	سمّيـــته بزهـــرةِ الـــرّبيع
علم البديع بعضهم قد عيّنه	بالعـــلم بالمطـــالب المحسّـــنة
بطُـــرْفةٍ مـــن زيـــنة الكلام	مطابقًـــا لمقتضـــى المقـــام
وخاليًـــا عـــن موجب الخفاء	وإنّمـــا الزيـــنة للحســـناء
تزيينُ لفظٍ ليس بالجدير	كـــدُرّةٍ في عُـــنُقِ الخـــنزيـــر

القيود الأخلاقية وأثرها في أسلوب الشاعر، وما في ذلك من صدق وصراحة في التعبير:

مما تقدّم يتضح أن أغلب هؤلاء الشعراء قد عاشوا في بيئة علمية ودينية، بل كانوا في الوقت نفسه علماء تشخص إليهم الأبصار، لذا فإن القيود الدينية والأخلاقية تأبى عليهم أن يمارسوا الفاحش من القول في شعرهم، بل أكثر من هذا أن بعض الأغراض الشعرية تكاد تنعدم من دواوينهم، فشعر الهجاء والفخر لم نجد لهما أيّ سبيل، إلاّ ما ندر وربّما هي مقطوعات كعدد الأصابع ليس أكثر.

ولهذه القيود الأخلاقية اهتمّ البعض منهم - ولا سيما السيد محمد جمال الديـن الهـاشمي الكَلبايكَاني - في إصلاح أبناء المجتمع؛ فوظّف شعره وأدبه في خدمـة الأمّة، إذ تطرّق السيد الهاشمي في شعره إلى المساوئ الأخلاقية التي ينوء بها المسلمون كالغش والكذب والرياء والغرور والرشوة والتحايل ....

كما أنه يقف إلى صفّ الفقير والفلاح والأعمى والبائس والمرأة و... الذيـن يشكّلون الطبقة العامّة من كل مجتمع، من ذلك قوله يعاتب صديقًا لـه أشار عليه بالعزلة وترك المجتمع:

قـلت يا صاحبي العزيز تفكّر ... ثم قـل فالمقـال يطلب فكرا

أنـت تـبغي بأن أعيش بعيدًا ... عـن حياة تقتاد عمري قسرا

معمل الاجتماع يصهر من فيه ... وفيـه ذابـت حيـاتي صهرا

كيف أستطيع أن أُسرّ وجاري ... في شـقاء يقضي لياليه سهرا

ويقول في قصيدته (بين القصور) وهو ينتصر للفلاّح البائس:

ذي قصـور شُـيّدت أركانها ... مـن دمـاء البائس المستكن

وكراسِـيْ نُحِـتَتْ أضلاعها ... مـن صـفايا أضلع الممتحن

تعـب الفـلاح في أعمالـه وغـدا الربح لأرباب القصور

يذكّـرنا الهاشمي هنا بمواقف شاعر الإنسانية معروف الرصافي الذي وظّف شعره وأدبه في خدمة الشعب العراقي المحروم، وانتصر في شعره للفقير والمرأة البائسة والفلاح المُعدم .... فكلاهما يقفان في حلبة واحدة، وكلاهما صادقان في التعبير، صريحان في القول.

رواج فنّي الموشحات والتخميس:

فـن الموشحات ممّا جادت به قريحة الشعراء قديمًا في الأندلس وتبعهم الشـرقيون فيما بعد، إلاّ أنه لم يحظ بالقبول في الشرق كما عهدناه في البلد الذي برز فيه ونما، وربما كانت فصاحة البلدان الشرقية أحد العوامل المهمّة في عـدم انتشار هذا الفن في شرق العالم العربي والإسلامي، غير أننا نلمس من جديـد نمو هذا الفن على أيدي شعراء إيرانيين خلال القرنين الأخيرين ويمثل ذلك برز فن التخميس والتشطير في عالم الشعر بعدما كادت تنطفئ ذبالته.

وقد برع في الموشحات عدّة من الشعراء الإيرانيين نذكر على سبيل المثال موشّـحة العلاّمة ميرزا أبي الفضل الطهراني في مدح الإمام الحسن المجتبى عليه السلام وفيها يمدح السيد المجدّد الشيرازي أحد مراجع الأمّة وأعلامها الأفذاذ يقول:

زارني سـرًّا لـدى الغـلس

قمـر قـد أخجـل القمـرا

قمـر في بـرده صـنم صـنم في طـرفه سـقم

سـقم فيـه لـنا نقـم نقـم في طيّهـا نعـم

نعـم فيهـا لملـتمس

عـبر تسـتتبع العـبرا

أحـــور يشـــقى بعلّـــته كـــلّ عـــزّ رهـــن ذلّـــته

ربّ بـــــدر في أهلّـــــته هـــي نفســـي مـــن أدلّـــته

أصـــبحت في خلقها الشرس

مـــثلاً بالـــلّين مشـــتهرا

شـــيّبتني ســـورة الكـــلف وأتـــت بي مـــورد التـــلف

بقـــوام قـــام كـــالألف وبصـــدغ صـــار في لفـــف

وبمـــيم المبســـم الـــلعس

ذا (ألـــف لام ميم) دون مرا

حـــاجب في أنـــف ذي شمم فيـــه معـــنى (نـــون والقلم)

ناظـــر في وجـــه مبتســـم (ص والقـــرآن) فاغتـــنم

وهـــناك الخير فالـــتمس

فهـــو قـــرآن حـــوى سورا

المصـــادر والمراجـــع

أولاً المصادر الخطّية:

١- أرجوزة (وضعنا المجهول) - للسيد محمد جمال الدين الهاشمي، عند نجله السيد هاشم - قم.

٢- تحيات المعصومين - للشيخ محسن بن محمد رفيع الرشتي الأصفهاني (ق١٣هـ) مخطوط مكتبة المرعشي - قم.

٣- تخميسات - لعلي الجواهري البروجردي - مخطوط مكتبة إحياء التراث الإسلامي - قم.

٤- ترجمة المثنوي - للسيد محمد جمال الدين الهاشمي عند نجله الشاعر السيد هاشم - قم.

٥- جامع الفنون أرجوزة شعرية - للملا محمد جعفر شريعتمدار الأسترابادي (ت١٢٦٣هـ) مخطوط مكتبة المرعشي - قم.

٦- ديوان الأراجيز - للسيد محمد جمال الدين الهاشمي، عند نجله السيد هاشم - قم.

٧- ديوان الأوتار - للسيد محمد جمال الدين الهاشمي، عند نجله السيد هاشم - قم.

٨- ديوان الأنغام - للسيد محمد جمال الدين الهاشمي، عند نجله السيد هاشم - قم.

٩- ديوان حبيب الله الشريف الكاشاني.

١٠- ديوان الدمستاني الكبير - للشيخ حسن بن محمد الدمستاني (ق١٢هـ) مخطوط مكتبة المرعشي - قم.

١١- ديوان الرشتي - للشيخ محسن بن محمد رفيع الرشتي الأصفهاني (ق١٤هـ) مخطوط مكتبة المرعشي - قم.

١٢- ديوان فدائي كزازي - للشيخ محمد إسماعيل بن محمد هادي - مخطوط مكتبة المرعشي - قم.

١٣- ديوان الشعلة - للسيد محمد جمال الدين الهاشمي، عند نجله السيد هاشم - قم.

١٤- ديوان علوي كاشاني - للسيد محمد علوي الكاشاني في ثلاث مجلّدات، مكتبة كاشان، الحوزة العلمية.

١٥- ديوان علي الجواهري البروجردي - مخطوط مكتبة إحياء التُراث الإسلامي - قم.

١٦- ديوان لغة الشعور - للسيد محمد جمال الدين الهاشمي، عند نجله السيد هاشم - قم.

١٧- ديوان الهاشمي - خمسة أجزاء - للسيد محمد جمال الدين الهاشمي، عند نجله السيد هاشم - قم.

١٨- ديوان وحي الشعور - للسيد محمد جمال الدين الهاشمي، عند نجله السيد هاشم - قم.
١٩- الفقه المنظوم من جواهر العلوم لعلي الجواهري - مخطوط مكتبة إحياء التُراث الإسلامي - قم.
٢٠- محاسن الأدب - للشيخ عبد الرحيم بن محمد علي الشوشتري (ت١٣١٣هـ) - مخطوط مكتبة المرعشي - قم.
٢١- المختارات الشعرية خمسة أجزاء - للسيد محمد جمال الدين الهاشمي، عند نجله السيد هاشم - قم.
٢٢- المرأة والتشريع الإسلامي - للسيد محمد جمال الدين الهاشمي، عند نجله السيد هاشم - قم.

ثانيًا: المصادر والمراجع العربية المطبوعة

المصادر العربية:

٢٣- الأغاني - أبو الفرج الأصفهاني.
٢٤- إنباه الرواة - القفطي.
٢٥- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة - جلال الدين السيوطي.
٢٦- البلغة في تاريخ أئمة اللغة - الفيروزابادي.
٢٧- تاج العروس - مرتضى الزبيدي، ت ١٢٠٥هـ.
٢٨- تهذيب اللغة - الأزهري، ت ٣٧٠هـ.
٢٩- جواهر الألفاظ - قدامة بن جعفر، ت ٣٣٧هـ.
٣٠- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء - الحافظ أبو نعيم، ت ٤٣٠هـ.
٣١- خريدة القصر وجريدة العصر - عماد الدين الأصفهاني، ت ٥٩٧هـ.

العربية لغة العلم

د.محمد حسان الطيان[1]

يحلو لبعض المثقفين في عصر العولمة أن يجردوا العربية من أي فضيلة أو مكرمة، وأن يلصقوا بها كل نقيصة أو مذمة، غافلين أو متغافلين عما تتمتع به العربية من مزايا وخصائص، وناسين أو متناسين أنها كانت لغة العلم والحضارة، لا يكاد فن من فنونه يكتب إلا بها، ولا يتعلم إلا بواسطتها، ولا ينشر إلا تحت لوائها.

ويقيني أن أمثال هؤلاء إنما أُتوا إما من انبهار بما حققته الإنجليزية من تقدم وانتشار وقدرة على التعبير عن العلوم والفنون والشؤون الحضارية، وإما من إحباط بما تردَّتْ إليه العربية، بل أصحابها، من تأخر وانحسار وعجز عن التعبير عن متطلبات الحضارة الحديثة في العلم والفن وما إليهما.

وباديَ بَدْءٍ أقول لهؤلاء وأمثالهم:

فيا قائلاً هذا بدون تحقّقٍ ... كأنك لا تدري ولا أنت تعلمُ

فإن كنتَ لاتدري فتلك مصيبة ... وإن كنتَ تدري فالمصيبة أعظمُ

إي و ربي إنها لمصيبة حقًا ألا يعلم هؤلاء أن العربية من اللغات القلائل الثابتة الأصول المتينة البنيان الممتدة العمر، يفهم الآخِر فيها ما كتب الأول، وتمخر نصوصها عبر العصور والقرون، ويتواصل أبناؤها عبر الزمان والمكان، فما كتبه امرؤ القيس، والنابغة، وعنترة في أقدم عصورها، حاضر ماثل اليوم يتغنى به الشعراء والكتاب، بل يتعلمه التلاميذ والطلاب، ويسير في الناس مسير الأمثال.

---

(١) رئيس مقررات اللغة العربية في الجامعة العربية المفتوحة بالكويت، وعضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

على حين لا يفهم الإنجليزي اليوم ما كتبه شكسبير وأمثاله قبل بضع مئات من السنين! فأين من أين؟ بل أين من لا أين؟؟!.

وإنها لمصيبة حقًّا أن يتعامى هؤلاء عن أن هذه العربية حملت لواء العلم زهاء عشرة قرون بعد أن جبيت إليها ثمار العلوم والفنون من كل لغات الدنيا في حركة للترجمة والتعريب لم يعرف لها التاريخ مثيلاً ، حتى لقد بلغت مكافأة ترجمة الكتاب وزنه ذهبًا، ووزن الكتاب ما هو آنذاك! ثم ماذا؟! لقد وعت العربية تلك العلوم، وتمثلت تلك الفنون، وقدمت للبشرية جمعاء خير حضارة أخرجت للناس بلسان عربي مبين.

يقول د. حسين نصار: «إن أكبر تحدٍّ واجهته العربية كان عندما أخرجها الإسلام من جاهلية غنية كل الغنى في الإبداع الأدبي، فقيرة كل الفقر إلى حد الإملاق في الإنتاج العلمي، ثم ألقى بها في القرنين الثاني والثالث الهجريين في بحر زاخر من الحضارات والعلوم والفلسفات والفنون وكل صنوف المعرفة التي ابتكرتها الأمم المتاخمة للجزيرة العربية، كالفرس والروم والسريان والمصريين، والأمم البعيدة عنها كالهنود والصينيين والأتراك والبربر وشعوب أسبانية. ولكن العربية صمدت لهذا التحدي بفضل ما بثه الإسلام في العرب من رغبة في المعرفة، وسعي في طلبها، وطموح وعزم وتخطيط وتنفيذ وتعاون مع غير العرب، من أبناء الشعوب العارفة باللغات الأجنبية واللغة العربية، فلم يمض إلا وقت غير طويل حتى نقلت العربية كل ما وجدت عند هذه الأمم إليها، فاستطاع أبناؤها بعدُ أن يتمثلوها فهمًا، ولم يمض كبير وقت حتى شاركوا في الإنتاج والابتكار. فصار ما كتبه هؤلاء المفكرون والعلماء منذ القرن الثالث نبراسًا استضاءت به شعوب العالم القديم. لايستطيع أن ينكر ذلك إلا مُنكِر لعقله، منكر لشمس النهار الصحو، منكر لتـــاريخ الإنسان

وتطوره الحضاري»[(١)].

وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

وهكذا انعتقت العربية من إسارها، وانطلق المارد من القمقم، لتشهد هذه اللغة حركة من الترجمة ما شهدتها لغة، فقد انطلق أهلوها يجوبون البلاد، ويتخيرون منها ما ألّفه الأوائل في علومهم المختلفة بشتى لغات المعمورة، الفارسية والهندية واليونانية والرومانية والنبطية... وغيرها لتنقل إلى العربية، فإذا بالعربية تستوعب كل علوم الأوائل على اختلاف لغاتهم، حتى لقد وسم ذلك العصر بسمة هذه الحركة من الترجمة، فسُمي عصر الترجمة الذهبي، وأُقيمت للترجمة مؤسسات وبيوتات اشتُهر منها بيت الحكمة، وتجاوزت معرفتهم باللغات حدود اللغات السائدة إلى اللغات البائدة، التي لم يبق منها إلا حروفها، وباتت أبجديتها تستعمل في تعمية بعض العلوم المضنون بها على غير أهلها، ومن هنا أن نشأ علم التعمية واستخراج المعمى (الشفرة وكسر الشفرة) الذي أخرجنا فيه سفرين اثنين في هذا المجمع المبارك، ومن هنا أيضًا أن أُلّفت كتب مفردة كشفت اللثام عن أبجديات اللغات القديمة وأقلام الأقوام المندثرة، ككتاب شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام، لابن وحشية النبطي، الذي نعمل على إخراجه ليكون الجزء الثالث من موسوعة علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب. إن شاء المولى سبحانه.

وإن تعجب فعجب أن يزعم هؤلاء المبهورون أن حضارتنا العلمية إنما قامت على أكتاف غير العرب. وأن علماءنا المسلمين كانوا غالبًا من الفرس والروم والموالي الذين دخلوا في دين الله أفواجًا وهم ينتمون إلى أصول مختلفة وألسنة شتى! بل إن سيبويه شيخ النحو والنحاة كان فارسيًّا!.

---

(١) من كلمته التي ألقاها بمناسبة حصوله على جائزة الملك فيصل العالمية. مجلة تراثيات، العدد الخامس، ذو الحجة ١٤٢٥- يناير ٢٠٠٥.

وأقول: وما يَضيرهم ذلك؟ بل ما يَضيرنا أو يَضير العربية ؟ ألم يصنف هؤلاء جميعًا كتبهم بالعربية؟! أولم يفكروا بالعربية؟! أولم يشعروا ويتحسسوا بالعربية؟! أولم يبكوا ويضحكوا بالعربية؟! أولم تظلهم جميعًا راية العربية وهي لغة قرآنهم ومنبع إلهامهم ومصدر قوتهم؟! أخبرني بربك عن واحد من هؤلاء الأعلام بدءًا من سيبويه والبخاري ومرورًا بالبيروني والفارابي وانتهاء بالزمخشري والخفاجي ألف بغير العربية! أو أبدع بغير العربية ! أو قامت له قائمة بغير العربية! أو دان لغير العربية.

بل استمع معي إلى سيد من سادتهم وعلم من أعلامهم وهو الإمام الزمخشري يقول في مستهل كتابه المفصل: «أحمد الله على أن جعلني من علماء العربية «وجبلني على الغضب والعَصَبيّة للعرب» وأبى لي أن أنفرد عن صميم أنصارهم وأمتاز، وأنضوي إلى لفيف الشعوبية وأنحاز ... ولعل الذين يغضّون من العربية ويضعون من مقدارها ويريدون أن يخفضوا ما رفع الله من منارها «حيث لم يجعل خيرة رسله وخير كتبه في عجم خلقه، لكن في عربه، لا يبعدون عن الشعوبية منابذةً للحق الأبلج و زيغًا عن سواء المنهج» ثم يقول موضحًا أهمية العربية ودورها في كتابة كل العلوم: «والذي يُقضى منه العجب حال هؤلاء في قلة إنصافهم، وفرط جورهم واعتسافهم، وذلك أنهم لا يجدون علمًا من العلوم الإسلامية، فقْهِها وكلامها، وعلمَيْ تفسيرها وأخبارها إلا وافتقاره إلى العربية بيّن لا يدفع، ومكشوف لا يتقنع. ويرون الكلام في معظم أبواب أصول الفقه ومسائلها مبنيًا على علم الإعراب، والتفاسير مشحونة بالروايات عن سيبويه، والأخفش، والكسائي، والفراء، وغيرهم من النحويين، البصريين والكوفيين، والاستظهار في مآخذ النصوص بأقاويلهم، والتشبث بأهداب تفسيرهم وتأويلهم. وبهذا اللسان مناقلتهم في

العلم ومحاورتهم، وتدريسهم ومناظرتهم. وبه تقطُر في القراطيس أقلامُهم، وبه تسطُر الصكوكَ والسجلات حكامُهم».

ثم يفحم هؤلاء الكارهين للعربية المدعين أنهم يستطيعون الاستغناء عنها بقوله: «فهم ملتبسون بالعربية أيةً سلكوا، غير منفكين منها أينما وجهوا، كَلٌّ عليها حيثما سيَّروا، ثم إنهم في تضاعيف ذلك يجحدون فضلها ويدفعون خَصْلَها، ويذهبون عن توقيرها وتعظيمها، وينهون عن تعلّمها وتعليمها، ويمزقون أديمها، ويمضغون لحمها ، فهم في ذلك على المثل السائر:(الشعير يُؤدَمُ ويُذمٌّ)»[1]

والمصيبة التي هي أعظم، بل العظمى، أن يتعامى هؤلاء، وهم أبناء ديننا وجلدتنا، عن أن الله جلت حكمته شرَّف العربية بأن جعل كلامه المنزل على نبيه المرسل ﷺ بها فقال جلَّ شأنه: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء: ١٩٥] وقال عزَّ وعلا: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢].

ثم تحدى الخلائق من إنس ومن جن بأن يأتوا بمثل هذا القرآن فقال سبحانه : ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

فإذا كان الله سبحانه قد اصطفى هذه اللغة من بين سائر اللغات ، وتخيَّر هذا اللسان من بين سائر الألسنة ، فكيف غاب عن هؤلاء أن في هذا اللسان سرًا ؟ وأن في هذه اللغة مزيّة. وإن كان فهمهم قاصرًا عن إدراك ذلك السر وهذه المزيّة، أفلا يَكلُون ذلك إلى خالقهم الذي جعل اختلاف اللغات آية من آياته: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴾ [الروم: ٢٢]. وإذا كانوا

---

(١) المفصل في صنعة الإعراب للزمخشري ص (٣٠).

عاجزين عن استبانة أوجه الجمال في العربية، وأسرار البلاغة في هذا اللسان، ودلائل الإعجاز في هذا البيان! أفلا ردُّوا ذلك إلى العالمين به، المدركين لجوانبه، المبصرين ما يشتمل عليه من خصائص وما ينطوي عليه من مزايا؟!! ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣]

وإذا قعد بهم إدراكهم عن كل ذلك ،وارتد إليهم طرفهم مكابرة وعنادًا، فليس لي إلا أن أقول لهم: ﴿ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا؟﴾ [محمد: ٢٤].

وأنكى من ذلك كله أن يجرد هؤلاء المتعالمون العربَ من كل مكرمة، و أن ينظروا إلى ما صارت إليه الأمة من هوان وتشتت وتقهقر فيزعموا أن هذا شأنها أبدًا، وأنها لم تعرف العزَّ في يوم من الأيام ، وأنها لولا الإسلام لم تكن شيئًا مذكورًا، ناسين أو متناسين أن العرب هم ظئر الإسلام ولبّه، وأن الإسلام ما قرن بأمة من الأمم كاقترانه بأمة العرب، وغافلين أو متغافلين عن أن محبة العرب من محبة هذا الدين، والعناية بلغتهم من العناية بشعائر هذا الدين، ولله در الإمام الثعالبي النيسابوري حين قدم لكتابه الرائع فقه اللغة وسر العربية بقوله: «أما بعد حمد الله على آلائه، والصلاة والسلام على محمد وآله، فإن مَن أحبَّ الله أحب رسوله المصطفى ﷺ، ومَن أحبَّ النبي العربي أحب العرب، ومَن أحبَّ العرب أحب اللغة العربية التي نزل بها أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب ، ومن أحب العربية عُني بها وثابر عليها وصرف همته إليها. ومن هداه الله للإسلام وشرح صدره للإيمان وآتاه حسن سريرة فيه، اعتقد أن محمدًا خير الرسل، والإسلام خير الملل، والعرب خير الأمم، والعربية خير اللغات والألسنة»[1].

(١) فقه اللغة وسر العربية للثعالبي ص (٥).

وثمة حقيقة لغوية يؤيدها الواقع ويؤكدها التاريخ، وهي ارتباط اللغة – أي لغة – بحضارة أصحابها. فاللغة والحضارة يتناسبان طردًا. وهذا يعني أن اللغة ظاهرة اجتماعية تعيش مع الإنسان جنبًا إلى جنب تَضعُف بضعفه، وتنمو وتزدهر بنمُوِّه وازدهاره.

وبهذا المعنى جاء قولهم «لسانك أنت» وعبّر عن ذلك شاعرنا العربي القديم بقوله:

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

والمعنى العميق لهذا الكلام أن لسان الفتى هو كل الفتى، لأن اللسان لا ينزع من فراغ، وإنما يستمد مادته من العقل المعبر عنه في البيت بالفؤاد. فاللغة لا تعيش وحدها بحال، بل لا بد لها من مجتمع ، ولا حياة لمجتمع بدون لغة بينها وبين أصحابها رباط قوي دائم وتفاعل مستمر. وبقدر ما يكون هذا التفاعل كيفًا وكمًا وقوة وضعفًا يكون حال القبيلين معًا[1]

ومن تأمل في تاريخ العربية وقف على حقيقة ذلك، إذ لم تكن هذه اللغة في غابر أيامها تصلح إلا للشعر والأدب، وكانت مزويّة في بداوتها وجزيرتها فلما جاء الإسلام، وقامت حضارته، أصبحت العربية لغة العلم والمعرفة، وخرجت من حدودها الضيقة لتعمّ الدنيا بأسرها، وأصبح العلم لا ينال إلا بها، وغدت المعرفة لا تحصُل إلا بإتقانها، بل غدا تعلمها في نظر الشرع واجبًا من واجبات المسلم، لأن ما لا يقوم الواجب إلا به فهو واجب، وتعلُّم القرآن وحفظه وفهمه، وفهم كثير من أبواب هذا الدين مرهون بإتقان هذه اللغة، فلا مندوحة إذن عن إتقانها. و هذا عمر الفاروق ﵁ يكتب إلى أبي موسى الأشعري: «تعلموا العربية فإنها من دينكم.

---

(١) القول القوام فيما يثار حول اللغة العربية من كلام للدكتور كمال بشر.الأهرام ٢٠٠٥/١٢/٦.

وأعربوا القرآن فإنه عربي»[١].

وقد يقول قائل ما لنا وللتاريخ، دعونا من التغني بالماضي الغابر وتعالوا معنا إلى الواقع الحاضر، نحن في عصر التطور فأين العربية من التطور؟ ونحن في عصر الحاسوب فأين العربية من الحاسوب؟

والجواب عن هذا ذو شعبتين:

الأولى: تلك التجربة الناجحة التي خاضتها ومازال تخوضها الجامعات السورية بتعريب التعليم فيها على اختلاف الاختصاصات، إذ يعلَّم الطب والهندسة والفيزياء والكيمياء.. وغيرها من العلوم والفنون بالعربية، ويتلقى الطلبة علومهم بلغتهم الأم، فلا ينشغلون عن تحصيل العلم بفك رموز اللغة، ويدَّخرون مشقة فهم اللغة ليبذلوها في فهم المادة العلمية وإدراكها إدراكًا حقيقيًّا يؤهلهم للإبداع فيها، والتجديد والابتكار في حقولها المختلفة. وقد كُتب الكثير عن هذه التجربة العظيمة، وحفلت مجلة المجمع ببحوث قيِّمة تناولت بعضًا من جوانبها، أذكر منها مقالات الأستاذ الدكتور عبد الله واثق شهيد أمين مجمع اللغة العربية بدمشق، ومقالات الأستاذ الدكتور محمد هيثم الخياط عضو المجمع الذي جمعها في كتابه الماتع: «في سبيل العربية». وختمها بمقولة رائعة لأديب العربية الكبير الأستاذ أحمد حسن الزيات يقول فيها:

«هذا العلم الذي يسخِّر السماوات والأرض لهذا الإنسان الضعيف، ويذلِّل القطعان الملايين للراعي الفرد، سيبقى غريبًا عنا ما لم ننقله إلى مِلْكنا بالتعريب، ونعمِّمه في شعبنا بالنشر، ولا يمكن أن يصلنا به أو يدنينا منه كثرة المدارس ولا وفرة الطلاب، فإن من المحال أن ننقل الأمة كلها إلى العلم عن طريق المدرسة، ولكن من الممكن أن ننقل العلم كله إلى الأمة عن طريق الترجمة»[٢].

---

(١) إعراب القراءات لابن خالويه ١/ ٢٧.

(٢) في سبيل العربية، د. محمد هيثم الخياط ص (١٨٤).

والثانية: تجربة متواضعة ولكنها غنية ثرية، خضتها بنفسي على امتداد عشرين عامًا في مركز الدراسات والبحوث العلمية بدمشق، حيث سنَّى الله لي أن أنخرط في فريق عمل متكامل، ضم أناسًا من اختصاصات شتى في العربية والرياضيات والحاسوب والإلكترونيات. كان من أولى مهامه معالجة اللغة العربية بالحاسوب، وقد آتى العمل أُكله على خير وجه بحمد الله إذ أنجزنا عدة مشاريع علمية في هذا المجال، أهمها: النظام الصرفي العربي بالحاسوب، ونظام تحويل الكلام المكتوب إلى مقروء، وقواعد تعليم العربية بالحاسوب، وهي ترمي إلى أهداف عظيمة وغايات بعيدة، على رأسها الترجمة الآلية من العربية وإليها، واكتشاف الأخطاء اللغوية في النصوص وتصحيحها، وتَعَرُّفُ الكلام وتركيبه، والقراءة الآلية للنصوص المكتوبة، والكتابة الآلية للنصوص المنطوق بها، والتحاور مع الآلة باللغة الطبيعية، والفهرسة الآلية للنصوص، وضغط النصوص واسترجاعها، وشكل النصوص غير المشكولة أو المشكولة جزئيًّا... وغير ذلك[1].

ولابد لي هنا أن أشير إلى ظاهرتين في العربية تبدّتا لي واضحتين جليّتين من خلال عملي هذا، وأنا أزعم أنهما ميزتان للعربية لا تكادان توجدان في لغة من لغات العالم.

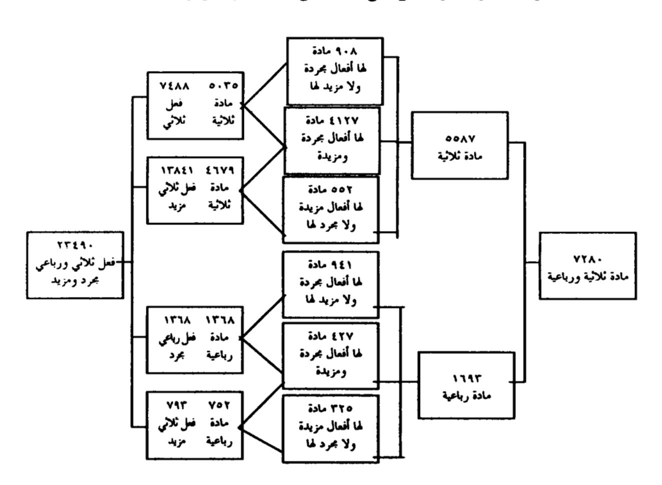
أما **الميزة الأولى** فهي الاشتقاق القياسي في العربية، وأعني بالاشتقاق القياسي قابلية العربية لتوليد عشرات الآلاف من المشتقات القياسية اعتمادًا على عدد محدود من الجذور، وقد بلوت ذلك بنفسي، إذ اعتمد النظام

---

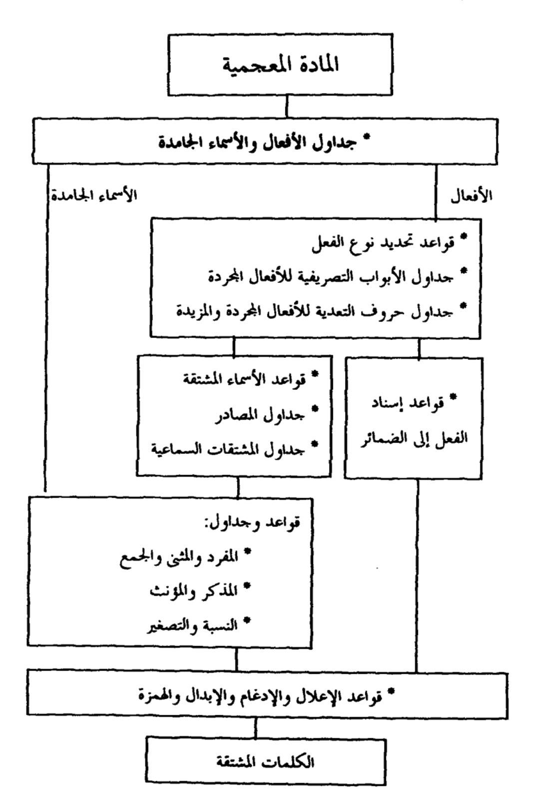
(١) بسطت الكلام على هذا في فصل كامل كتبته بمشاركة الأستاذ مروان البواب بعنوان ((أسلوب معالجة اللغة العربية في المعلوماتية [الكلمة – الجملة])) نشر في كتاب: ((استخدام اللغة العربية في المعلوماتية)) من منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بتونس ١٩٩٦م.

الصرفي الحاسوبي الذي شاركت فيه على نحو سبعة آلاف جذر عربي أدخلت إلى الحاسوب، ووَضع المبرمجون القواعد الثابتة التي تشتق بها المشتقات وتتصرف بها الأفعال وتتولد بها الكلمات، فإذا بالحاسوب يولد آلاف الكلمات بل مئات الآلاف اعتمادًا على هذا العدد المحدود من الجذور، ويجري التوليد آليًا، فما هو إلاّ أن يُدخل المستثمرُ الجذرَ الذي يريد توليده حتى يتولى الحاسوب أمر التوليد والاشتقاق والتصريف ويحصُل المرء على مبتغاه، فأيّ قياسية هذه وأي مزيّة؟!.

ولكي أوضح ذلك سأكتفي بعرض جدولين مقبوسين من بحثنا «أسلوب معالجة اللغة العربية في المعلوماتية (الكلمة - الجملة)» يمثّل الأول جذور المعجم الحاسوبي المعتمد في نظامنا الصرفي الاشتقاقي وما يتفرع عنها من مواد ثلاثية ورباعية وما يتولد عن كل منهما من أفعال مجردة ومزيدة:



ويمثّل الثاني مراحل اشتقاق الكلمة العربية انطلاقًا من مادتها المعجمية أو جذرها:



وأما **الميزة الأخرى فهي موافقة المنطوق به للمكتوب** [المشكول][١] في العربية، وبعبارة أخرى، فالعربية تُكتب كما تُلفظ، وتُلفظ كما تُكتب، وفق قواعد صوتية معروفة، لا يستثنى من ذلك سوى ألفاظ محدودة يخالف فيها اللفظ الكتابة مثل (لكن، وأولئك، وعمرو، وهذا....) ولذلك لم نحتج في نظام تحويل الكلام المكتوب إلى منطوق به، إلاّ إلى قائمة واحدة شذت فيها الألفاظ عن قواعد النطق العربية، وأما قوام النظام فكان تلك القواعد الصوتية للنُّطق بألفاظ العربية من مثل (اللام القمرية واللام الشمسية، والتفخيم، والألف الفارقة .... إلخ) على حين احتاج الأمر في نظام مماثل للغة الإنجليزية إلى مئات القوائم التي تخالف فيها الكتابة عن النطق، ويخالف فيها النطق عن الكتابة، وكأن الأصل في النطق الشذوذ. آية ذلك أنك تحتاج إلى معرفة تهجئة الكلمة في كثير من كلمات الإنجليزية، فإما أن تتلقاها من أستاذ خبير، وإما أن تعود إلى المعجم الذي يرسم لك رموز التهجئة قبل أن يشرع ببيان معنى الكلمة، على حين لا يحتاج الأمر في العربية إلا إلى كتابة الكلمة مضبوطة بالشكل.

ليست اللغة إذن قاصرة، ولكننا نحن المقصرون، وليست اللغة ضعيفة، ولكننا نحن الضعاف، وليست اللغة إذن ميتة، ولكننا نحن النيام، فمتى متى نستفيق ؟!.

رمـــوني بعقم في الشباب وليتني	عقمـــت فلم أجزع لقول عداتي
وســـعت كتاب الله لفظًا وغاية	ومـــا ضقت عن آي به وعظاتِ
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة	وتنســـيق أسمــــاء لمختــــرعاتِ
أنـــا البحر في أحشائه الدر كامن	فهـــل سألوا الغواص عن صدفاتي
فيـــا ويحكـــم أبلى وتبلى محاسني	ومـــنكم وإن عـــز الدواء أساتي
فـــلا تكـــلوني لـــلزمان فإنـــني	أخـــاف عـــليكم أن تحين وفاتي

(١) انظر تعقيب الأستاذ مروان البواب في الصفحة (٥٦٢).

المراجــع

- استخدام اللغة العربية في المعلوماتية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بتونس ١٩٩٦م.
- إعراب القراءات السبع وعللها، ابن خالويه (٣٧٠هـ)، تحقيق د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط١، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.
- ديوان حافظ إبراهيم.
- شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام لابن وحشية النبطي، مخطوط في قيد التحقيق.
- العربية والعلوم الحديثة، د. حسين نصار، مقال في مجلة تراثيات، العدد الخامس ذو الحجة ١٤٢٥هـ - يناير ٢٠٠٥م.
- علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب (الشفرة وكسر الشفرة)، د. محمد مراياتي، د. محمد حسان الطيان، د. يحيى ميرعلم، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، الجزء الأول ١٩٨٧- الجزء الثاني ١٩٩٧م.
- فقه اللغة وسر العربية، للثعالبي، تحقيق د. فائز محمد ود. إميل يعقوب، دار الكتاب العربي ط٢ ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.
- في سبيل العربية، د. محمد هيثم الخياط، دار الوفاء - المنصورة، مصر، ١٤١٨ هـ- ١٩٩٧م.
- القول القوام فيما يثار حول اللغة العربية من كلام، مقال للدكتور كمال بشر. الأهرام ٦/ ١٢/ ٢٠٠٥م.
- مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق.
- المفصل في صنعة الإعراب للزمخشري.

تعقيب

أ. مروان البواب

قــرأت مقــال الدكتور محمد حسان الطيان المعنون بــ (العربية لغة العــلم)، ودققّتُ النظر في الفقرة المتعلقة بميزة موافقة المنطوق للمكتوب في العــربية، فحضرتني قصة أبي الأسود الدُّؤلي التي رواها السيوطي في كتابه (الأخبار المروية في سبب وضع العربية)، فقال: «وقال ابن الأنباري: حدثني أبي حدثــني أبــو عكرمة قال: قال العتبي رحمه الله: كتب معاوية إلى زياد يطــلب عــبيد الله ابنه، فلما قدم عليه كلّمه فوجده يَلْحَن، فردَّه إلى زياد وكتب إليه كتابًا يلومه فيه ويقول: أمثل عبيد الله يضيع؟

فــبعث زياد إلى أبي الأسود فقال لــه: يا أبا الأسود إن هذه الحمراءَ [يعــني العجــم] قد كثرتْ وأفسدتْ من ألْسُن العرب، فلو وضعتَ شيئًا يُصلح به الناسُ كلامَهم ويُعربون به كتابَ الله، فأبى ذلك أبو الأسود.

فوجَّه زياد رجلاً وقال لــه: اقعدْ في طريق أبي الأسود، فإذا مرَّ بك فاقرأ شيئًا من القرآن وتعمَّدِ اللَّحْنَ فيه. ففعل ذلك. فلما مرَّ به أبو الأسود رفعَ الرجلُ صوتَه فقرأ: إن الله بريءٌ من المشركين ورسولِه - بالجرّ - فاستعظم ذلك أبو الأسود وقال: عزَّ وَجْهُ الله أن يَبْرَأَ من رسولِه، ثم رجع من فوره إلى زياد فقال: يا هذا قد أجبتُكَ إلى ما سألتَ، ورأيتُ أن أبدأ بإعراب القرآن، فابعثْ إليّ ثلاثين رجلاً، فأحْضَرهم زياد، فاختار منهم أبو الأسود عشرة، ثم لم يزلْ يختارهم حتى اختار منهم رجلاً من عبد القيس فقال: خذِ المُصحف وصِبْغًا يخالف لونَ المِداد، فإذا فتحتُ شفتي فانقطْ

واحدةً فوق الحرف، وإذا ضممتُها فاجعلِ النقطةَ إلى جانب الحرف، فإذا كسرتُها فاجعلِ النقطةَ من أسفل الحرف، فإن أتبعتُ شيئًا من هذه الحركات غنّةً فانقطْ نقطتين. فابتدأ بالمصحف حتى أتى على آخره».

نستدلُّ من هذه الرواية أن علامات الشَّكْل (الصوائت) إنما وُضعتْ لضبط النطق وضمان صِحّته. وبذلك فإن النصَّ العربيَّ إذا أُضيفتْ إليه علاماتُ الشَّكْل أصبح تعبيرًا حقيقيًّا عن منطوقه، وغدا صورةً مكتوبةً لهذا المنطوق به. فهذه العلامات إذن لازمةٌ وكافية (مع بعض القواعد الصوتية والاستثناءات القليلة) للنطق بالنص نطقًا سليمًا. ونستطيع القول: إن النصَّ العربيَّ المشكول يُكتَب كما ينطق به، وينطق به كما يكتب.

على أن اللغة العربية ليست اللغة الوحيدة التي تفرّدتْ بهذه الميزة؛ فالعبرية المشكولة - مثلاً - تُقرأ كما تُكتب، وتُكتب كما تُقرأ.

وبالمقابل هناك لغات لا تتمتع بهذه الميزة، كالإنكليزية مثلاً، فهي لا تُقرأ كما تُكتب، ولا تُكتب كما تُقرأ؛ إذ تتضمَّن هذه اللغة كلمات لها صوائت مختلفة، ومع ذلك فهي تنطَق بوجه واحد. مثال ذلك أزواج الكلمات الآتية:

bail	bale	hare	hair	sail	sale
bare	bear	hear	here	sea	see
bite	byte	I	eye	sear	seer
boy	buoy	Know	no	shear	sheer
dear	deer	Lyre	Lar	time	thyme
die	dye	maid	made	too	two
done	dun	none	nun	wail	whale
hail	hale	pier	peer	wait	weight

وبــالعكس، توجد في الإنكليزية كلماتٌ لها صوائت متماثلة، ومع ذلك فهي تُنطق بأوجه مختلفة [دون النظر إلى السواكن (الصوامت)]؛ مثل:

beard	heard	Door	Doom	Mind	Mint
book	moon	Foot	Food	Phone	Shone
bough	bought	Four	Tour	Put	Pub
bow	bow	Good	Mood	Read	Read
Code	Come	hall	ham	sheep	sheer
diet	mien	heap	head		

يُضاف إلى ذلك أن لبعض السواكن (الصوامت) رسمين مختلفين؛ نحو: (f, ph)، و: (k, c)، وأن لبعضها لفظين مختلفين نحو: (th)، و (s)، و (c).

كـــل ذلك يدل على أن النطق بالكلمات في اللغة الإنكليزية لا تنتظمه قوعـــد محددَّة، بل لابدّ -كما أشار الدكتور حسان – من العودة إلى المعجم الذي يرسم رموز النطق.

أما القواعد الصوتية العربية التي أشار إليها الدكتور حسان، فأهمها: اللام القمـــرية والشمسية، والتفخيم والترقيق، وهمزة الوصل والقطع، وحروف المدّ، وهاء التأنيث، والتقاء الساكنين، والوقف، وألف التفريق، والتنوين..

وأما القائمة التي شذّتْ ألفاظها عن هذه القواعد الصوتية، فمبثوثة في كـــتب الإمـــلاء العربي، وأهم هذه الألفاظ: (عمرو، أولئك، أولو، أولي، أولات، مـــئة، الله، اللهم، لكن، هذا، هذه، هذان، هؤلاء، ابن، ابنة، امرؤ، اسم، اثنان، اثنين، اثنتان، اثنتين، امرأة).

بناء على ماتقدَّم، أرى أن ماذكره الدكتور حسان عن مطابقة المنطوق بـــه للمكتوب في العربية صحيحٌ ولا غبار عليه. ويمكن – زيادة في الاحتراز والدقة – إضافة كلمة (المشكول) بعد كلمة (للمكتوب) في السطر الأول من الصفحة (٥٥٨).

ملامح الثقافة العربية الإسلامية
في كتاب كليلة ودمنـــة

د. أحمد محمد علي

أولاً: هدف البحث ومنهجه:

من بين الأهداف التي يسعى إليها هذا المبحث تحديد الملامح التي تركتها الثقافة العربية الإسلامية على كتاب كليلة ودمنة بوصفه من أقدم الآثار الأدبية النثرية المدوَّنة لدينا، مع أنه يرتد في أصوله إلى الثقافتين الفارسية والهندية، وأما المنهج المتَّبع في هذه الدراسة فيحسن توصيفه فيما يأتي:

- الإفادة من مباحث عِلم الصُّوَر القائمة أساسًا على المقارنة بين الصور التي انتهت إلينا من كتاب كليلة ودمنة وأصوله في الثقافتين الهندية والفارسية، وقد أمكن القيام بمثل هذه المقارنة بعد أن عثر هرتل على كتاب (بنج تنترا) ومعناه خمسة أبواب، وهو كتاب أصيل في تراث الهند، وكان فرانكلين أدجرتون قد نقله من اللغة السنسكريتية إلى الإنكليزية، ثم ترجمه عبد الحميد يونس من الإنكليزية إلى العربية. ثم وسَّعنا مجال المقارنة لتشمل النسخة الفارسية المنقولة عن النسخة العربية التي ترجمها ابن المقفع عن الفهلوية.
- تَتَبُّع مواضع التصرف في النسخة العربية للكتاب بطريق ابن المقفع، وذكر الأسباب التي دعت إلى جعل الكتاب جزءًا من التراث العربي.
- بيان أثر كتاب (كليلة ودمنة) في المؤلَّفات السردية العربية التي جاءت بعده.

ثانيًا: كتاب كليلة ودمنـــة:

يرجع أصلُ كتاب (كليلة ودمنة) إلى الثقافة الهندية، بوصف الهند مهدًا

للقصص الحِكَمية التي انتقلت إلى الثقافات العالمية ومنها الغربية، إذ لمح الباحثون تردد حكايتين من حكايات الهند في الآثار اليونانية واللاتينية الأولى: حكاية «حمار في جلد نمر» التي انتقلت إلى التراث اليوناني بعد أن شملَها بعضُ التعديل ليغدو اسمُها «حمار بجلد أسد». والحكاية الثانية هي «حمار بلا قلب وبلا أذنين»، التي ورت بصورة مختصرة عند «إيسوب» و«بابربوس»[(١)].

ومما يشير إلى الأصل الهندي لحكايات (كليلة ودمنة) ظهور كتابين هنديين: أحدهما عثر عليه (هِرتِل) وهو كتاب «بنج تنترا» ومعناه خمسة أبواب، وهذا الكتاب كما يزعم أَلّفه الحكيم الهندي «بَرَهَمْن وِشنو» نحو سنة ٣٠٠م، في حين لم يذكر د. عبد الحميد يونس في مقدمة ترجمته هذا الكتاب شيئًا عن مؤلّفه، وإنما ذكر أنّ كتاب (بنج تنترا) قد ظهر بعد كتاب «كوطيله أرثاشاستره» الذي أُلّف على وجه الترجيح بين عامي ١٠٠ ق.م و٥٠٠م وربما كان الراوية في (بنج تنترا) هو نفسه مؤلّف الحكايات أعني «فنصو شرمان». والكتاب الآخر «هِتوبادشا» ومعناه نصيحة الصديق ذكره د. عزام في مقدمة طبعته كتابَ (كليلة ودمنة)، دون أن يذكر اسم مؤلّفه أو موضوعاته.

ويشير د. عزام إلى أن الملحمة الهندية المسماة بـ«المهابهاراتا» قد انطوت على إشارات لثلاثة أبواب من أبواب (كليلة ودمنة) وهي: باب الجرذ والسنور وباب الملك والطائر وباب الأسد وابن آوى، كما أشار إلى مثل هذه الأبواب في كتاب آخر هندي اسمه «هِروَنجه»[(٢)].

وثمة إشارة عرضها البيروني في كتابه «تحقيق ما للهند من مقولة، مقبولة في

(١) بنج تنترا، ترجمة د. عبد الحميد يونس ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠م. (١٥).

(٢) عزام، عبد الوهاب (كليلة ودمنة لابن المقفع) مقدمته ص: (١٧).

العقل أو مرذولة» تدل على صلة كتاب (كليلة ودمنة) بالأصل الهندي (بنج تنترا) في قوله: «ولهم فنونٌ من العلم أُخرُ كثيرة وكتبٌ لا تكادُ تُحصى ولكني لم أُحَطْ بها علمًا، وبودي إن كنت أتمكن من ترجمة كتاب (بنج تنترا) وهو المعروف لدينا بكتاب (كليلة ودمنة)، فإنه تردد بين الفارسية والهندية والعربية على ألسنة قوم لا يُؤمن تغييرهم إياه كعبد الله بن المقفع في زيادته باب برزويه فيه قاصدًا تشكيك ضعيفي العقائد في الدّين، وكسرهم للدعوة إلى مذهب المنانية. وإذا كان متهمًا فيما زاد لم يخلُ عن مثله فيما نقل»[1].

وواضح أنّ قول البيروني يثير جملة من المشكلات، فهل حقًّا كتاب (كليلة ودمنة) هو نفسه كتاب (بنج تنترا)؟ وإذا كان البيروني لم يتمكن من ترجمة (بنج تنترا) لسبب نجهله فكيف قطع بأنّ كتاب (كليلة ودمنة) هو نفسه كتاب (بنج تنترا)؟ والأمرُ الآخر المثير في قولة البيروني تشكيكُهُ في ترجمة ابن المقفع فهل نقل ابن المقفع الكتاب نقلاً أمينًا؟ أم تصرَّف فيه؟

وجهةُ الشك في مقولة البيروني أن كتاب (بنج تنترا) الذي عثر عليه «هرتل» حديثًا، ثم نقله إلى الإنكليزية، «فرانكلين أدجرتون» أستاذ اللّغة السنسكريتية بجامعة (ييل) نقلاً حرفيًّا من النسخة الهندية الموثّقة كما يزعم، لم ينطوِ إلا على خمسة أبواب من (كليلة ودمنة) وهي: باب الأسد والثور، وباب الحمامة المطوَّقة، وباب البوم والغربان، وباب القرد والغيلم، وباب الناسك وابن عرس، وقد جاءت تسمية الأبواب في (بنج تنترا) مخالفة لأسماء الأبواب في (كليلة ودمنة) مثل أن يكون عنوان الباب الأول في (بنج تنترا) (التفريق بين صديقين)، وهو الذي يقابل في كليلة ودمنة باب (الأسد والثور)، والثاني

---

(١) البيروني، أبو الريحان (تحقيق ما للهند) ط ليدن ١٨٨٧م. ص: (٧٦).

بعنوان (كسب الأصدقاء) يقابل باب (الحمامة المطوَّقة)، والثالث (الحرب والسلام) يقابل باب (البوم والغربان) والرابع (الخسران) يقابل (القرد والغيلم)، والخامس (العمل الطائش) يقابل باب (الناسك وابن عرس). وذكر د. عزام أن كتاب (بنج تنترا) ضم باب السائح والصواغ إلى باب الأسد والثور، وهو الأمر الذي تخلو منه الترجمة العربية لكتاب (بنج تنترا)[(١)]. ومعلوم أن كتاب (كليلة ودمنة) في نُسَخه العربية المختلفة يفيض في عدد أبوابه عما جاء في كتاب (بنج تنترا)، إذ تضمَّن واحدًا وعشرين بابًا، وإذا وضعنا جانبًا المقدمات وتركنا الأبواب الأخيرة التي ألمح د. عزام أنها موضوعة بسبب خلوٍّ بعض النسخ منها، بقي أربعة عشر بابًا أصيلاً في الكتاب، منها ثمانيةُ أبواب معروفة في كتب الهند: خمسة في كتاب (بنج تنترا) وثلاثة في (المهابهاراتا). وأما الأبواب الباقية فليست معروفة في تراث الهند وهي باب الفحص عن أمر دمنة وباب إيلاد وإيراخت وشادرم ملك الهند وباب اللبؤة والأسوار وباب الناسك والضيف وباب ابن الملك وأصحابه. وهذا يُحيل على تساؤل مهم: هل زيدت هذه الأبواب على الأصل الهندي بطريق ابن المقفع أو غيره، أم أنّ أصول كتاب (كليلة ودمنة) الهندية قد ضاع قسم منها؟ وعلى كل حال ليس كتاب (بنج تنترا) هو نفسه كتاب (كليلة ودمنة)، وإنما قد يكون جزءًا منه، لأنّ مادة (كليلة ودمنة) توزَّعت بين أطواء أربعة كتب هندية: (بنج تنترا) و(المهابهاراتا) و(هتوبادشا) و(هرونجه)، وكان كلّ كتاب من هذه الكتب قد انفرد عن غيره فيما أخذه عن الكتاب الأصلي. وإضافة إلى ذلك فإن ما جاء في كتب الهند من مواد كتاب (كليلة ودمنة) لا يزيد عن ثمانية أبواب، والكتاب كما هو

---

(١) عزام، عبد الوهاب (كتاب كليلة ودمنة) المقدمة ص: (٢٦).

موجود في النسخ العربية بلغ واحدًا وعشرين بابًا.

لقد أقرّ الدارسون أن الكتاب قد زيد في أبوابه من قبل الفرس الذين نقلوه من الهندية، كالمقدمة التي وضعها برزويه الطبيب، كما زاد ابن المقفع بابًا سمّاه عرض الكتاب، إضافة إلى باب بعثة برزويه الذي وضعه بزرجمهر الحكيم الفارسي، والذي رأى فيه د. عزام أنه زيد في النسخ العربية فحسب، مما حمله على الظن بأن هذا الباب قد أُضيف إلى الكتاب بعد ابن المقفع[١].

وأما ما يتصل بترجمة ابن المقفع لأصول كتاب (كليلة ودمنة) فكانت ملاحظة البيروني موضع نظر عند كثير من الباحثين كأحمد أمين الذي استشف أن ابن المقفع لم يترجم الكتاب ترجمة حرفية، بل عدّل فيه ليتفق والذوق العربي الإسلامي، وذوق المتأدبين في عصره، كما أنّه أضاف بعض الأبواب كباب الفحص عن أمر دمنة الذي وجد فيه نفحة إسلامية ظاهرة، وهذه الملاحظة بالطبع تخالف ما أشار إليه البيروني في مقولته السابقة مثل أن يكون تصرّفه في الكتاب جاء في غير مصلحة العقيدة الإسلامية.

ويرى أحمد أمين أنّ هنالك أسبابًا دفعت ابن المقفع لترجمة كتاب (كليلة ودمنة) من الفهلوية إلى العربية يحددها في قوله: «فلعل ابن المقفع لم يستطع أن يواجه المنصور بأكثر مما واجهه به في رسالة الصحابة، وقد مزج نقده بكثير من المدح للخليفة والثناء عليه، ونسب أكثر الشدة التي يراها إلى غيره، ولكن هذا لم يشفِ غُلّتَهُ، فرأى أنّ أسلم طريقة أن يترجم (كليلة ودمنة) ويزيدَ فيه ليعملَ الكتابُ في الخلفاء والرّعية ما فعله في الهند

(١) المرجع السابق نفسه ص: (٣٨).

وفارس...»[١].

والواقع أنّ أحمد أمين قد أفاد في هذا الرأي من إشارة ابن خلكان إلى الآتي: هل كان ابن المقفع قد ترجم كتاب (كليلة ودمنة)، أو أنه كان من تأليفه[٢]. وصحيح أن أمين لم يرجّح وضع الكتاب من قبل ابن المقفع إلا أنّ إشارته إلى الزيادات فيه تشي بأن ابن المقفع قد أضفى على الكتاب روحًا عربية إسلامية، بمعنى أنه زاد فيه فلم يكن أمينًا في الترجمة وهي المسألة نفسها التي أثارها البيروني في قوله السابق.

إنّ القول بأنّ كتاب (كليلة ودمنة) من تأليف ابن المقفع لا يرقى إلى الصواب، لأنّ قسمًا كبيرًا منه ثابتٌ في أصول كتب الهند، وما من شك أن نسخه العربية قد زِيدَ فيها من قِبل ابن المقفع ومن قِبل غيره، فالكتاب ارتحل من ثقافة إلى ثقافة ومن تراث أمة إلى تراث أمة أخرى، وقد تركت عليه كلُّ أمة احتوته بصماتِها، مثل أن يضع الفرس بعضًا من المقدمات على الكتاب، حتى إذا ما انتهى الأمرُ إلى العرب وضعوا بين يديه بعض المقدمات أيضًا، وهذا الصنيع لم يكن بطريق ابن المقفع وحده على أية حال، بل كان من قبل عدد آخر من المترجمين، فالكتاب تُرجم إلى العربية أكثر من مرة كما يُشير حاجي خليفة في كتابه «كشف الظنون» في قوله: «ترجمه في الإسلام عبد الله بن المقفع كاتب أبي جعفر المنصور من اللّغة الفارسية إلى اللّغة العربية، ثم نقله من الفارسية إلى العربية عبد الله بن هلال الأهوازي ليحيى بن خالد البرمكي في خلافة المهدي وذلك في سنة خمس وستين

---

(١) أمين، أحمد (ضحى الإسلام) ط القاهرة ١٩٣٣م. ص: (١/١٢٣).

(٢) ابن خلكان (وفيات الأعيان) ص: (١٢٣/٣).

ومئة»[1]، وقد ترددت تلك الإشارة في بعض النسخ الفارسية كترجمة أبي المعالي نصر الله منشي الذي أشار في مقدمته إلى الترجمة السريانية المأخوذة من الفهلوية وترجمة ابن المقفع المنقولة عن الفهلوية أيضًا، وترجمة عبد الله بن هلال الأهوازي الذي يُرجِّح أنّه نقلها عن الفهلويه [2]، وترجمة أنوار سهيلي الكاشفي المنقولة عن النص العربي الذي أخذه نصر بن عبد الحميد من العربية إلى الفارسية في القرن السادس الهجري كما يذكر فلكنر في جدوله[3]. والزيادات التي لحقت بالكتاب واضحةٌ كالتي انطوت عليها المقدمات التي وُضعت بين يدي الكتاب وهي بالطبع ليست من أصله، وأمّا أغلب ألأبواب التي تضمنها فهي في الحقيقة هندية الأصل، فعدم وجودها كاملةً في التراث الهندي لا يعني أنّها ليست من ذلك التراث، ومن المهم أن

(١) حاجي خليفة (كشف الظنون) ص: (٣٢٤).

(٢) ورد في كتاب (كليلة ودمنة) ترجمة أبي المعالي نصر منشي تحقيق سيد علي رضوي بها بادي: «بس ار ابن المقفع جند نفر ديكر نيز به ترجمه كليله برداختند از آن جمله است عبد الله بن هلال الأهوازي كه اين ترجمه را به فرمان يحى برمكي به سال ١٦٥ هجري». ص: نه.

(٣) يذكر فلكنر أن كتاب (كليلة ودمنة) الهندي قد انتقل إلى اللغة التبتية والفهلوية (الفارسية القديمة) ثم نُقل من الفهلوية إلى السريانية والعربية، ثم انتقل من العربية إلى السريانية الحديثة في القرن ١١م، وإلى اليونانية في القرن ١١م، وإلى الفارسية بطريق نصر الله بن عبد الحميد في القرن الحادي عشر الميلادي، وإلى اللغة العبرية في القرن ١٣م وغيرها من اللغات، ثم جاء أنوار سهيلي الكاشفي لينقل الكتاب إلى الفارسية من خلال ترجمة سابقه نصر بن عبد الحميد «انظر الجدول الذي عرضه د. عبد الوهاب عزام في مقدمة طبعته لفلكنر ص: (٢٧).

نشير إلى أنّ عنوان الكتاب غير مذكور في كتب الهند، وإشارة البيروني تدل على ذلك، وأكبر الظن أن للكتاب اسمًا آخر في الأصل، أو أن أصله جملة من الحكايات وضعتها المخيلة الشعبية الهندية دون أن تقرنها باسم محدَّد، ذلك لأن أغلب من اهتم بهذا الضرب من الحكايات أدخلها في الموروث الشعبي الهندي أعني الفلكلور، وقد أيّدت أبحاث العالم الألماني «ثيودور بنفي» والفنلندي «أنتي أرني» في دراساتهم المقارنة الأصل الهندي لمجمل الحكايات الواردة في كتاب (كليلة ودمنة)[1]. أما الكتب التي نقلت عنه بعض الحكايات فمن الصعوبة القول بأنها جاءت بعده، إذ من الممكن أن تكون سابقة له. وأما مؤلِّف كتاب (كليلة ودمنة) بحسب إشارة علي بن الشاه الفارسي في مقدمته فهو بيدبا أحد الفلاسفة الهنود، وقد نسجه على ألسنة الحيوانات ليعظ به الملك دبشليم، ثم نقل الكتاب إلى الفهلويه ومنها إلى العربية بطريق ابن المقفع وغيره، ويرى الزيات أن الأصول الهندية والنسخة الفارسية المنقولة عنها قد فُقدت، وبقيت النسخ العربية من الترجمة ومنها انتقلت إلى لغات العالم في الزمن الحديث[2].

ثالثًا مقارنة بين الأبواب الواردة في كتاب (بنج تنترا) وما يقابلها في كتاب (كليلة ودمنة):

نريد أن نقف على بناء الحكاية في خمسة أبواب من كتاب (كليلة ودمنة)، وهي الأبواب نفسُها التي انطوى عليها الأصل الهندي المسمى (بنج

(١) يونس، عبد الحميد (بنج تنترا) المقدمة ص: (٢٣).

(٢) الزيات، أحمد حسن (تاريخ الأدب العربي) القاهرة ١٩٣٥ ص: (٢٣١).

تنترا)، لنبيِّن على وجه الدقة مقدار تصرف ابن المقفع في النّص الأصلي للكتاب، مشيرين كما أسلفنا آنفًا أن كتاب (كليلة ودمنة) يزيد في أبوابه عما جاء لا في كتاب (بنج تنترا) وحده، بل عما جاء في كتب الهند عامة التي انطوت على أصول الكتاب، وهنا أشير إلى أن الكتاب في نسخه العربية قد زِيد فيه لا بطريق العرب فحسب بل بطريق الفرس أيضًا حين نقلوه من السنسكريتية إلى لغتهم الفهلوية، وإن كنّا لا نستطيع أن نتبيّن مقدار ما أضافه الفرس إلى الكتاب سواء في عدد أبوابه أم في أفكاره، لأن النسخة الفهلوية لكتاب (كليلة ودمنة) كما يقول فلكنر والزيات مفقودة، وإن ما تعرفه الفارسية عن (كليلة ودمنة) اليوم منقول من العربية بطريق نصر الله بن عبد الحميد في القرن السادس الهجري[1].

أ — باب الأسد والثور:

إنّ المقارنة بين باب (الأسد والثور) في كتاب (كليلة ودمنة) وباب (التفريق بين صديقين) في كتاب (بنج تنترا)، تدل على شيء من الاختلاف بين البابين سواء في عدد الحكايات التي ينطوي عليها كل باب، أم في طريقة بناء الحكايات كما تبيِّن مقدار التصرف الذي قام به ابن المقفع في بعض الفِكَرِ التي انطوت عليها حكايات كتاب (كليلة ودمنة)، ففي باب الأسد والثور نقف على سبعة عشر مثلاً (حكاية) في حين انطوى ما يقابل هذا الباب في كتاب (بنج تنترا) على خمس عشرة حكاية كما يوضحه الجدول الآتي:

حكايات باب الأسد والثور في «كليلة ودمنة»	حكايات التفريق بين صديقين في «بنج تنترا»
١ – مثل التاجر وبنيه.	–

(١) عزام، عبد الوهاب (مقدمته) ص: (٣١).

٢- مثل الرجل الهارب من الموت	-
٣- مثل القرد والنجار	١- القرد والوتد
٤- مثل الثعلب والطبل	٢- وابن آوى والطبل
٥- مثل الناسك واللص والثعلب وامرأة الإسكاف	٣- الناسك والمحتال
٦- مثل الغراب والأسود والثعبان وابن آوى	٤- الغربان والحية
٧- مثل العلجوم والسرطان	٥- طائر البلشون والسرطان البحري
٨- مثل الأرنب والأسد	٦- الأسد والأرنب
٩- مثل السمكات الثلاث	٧- بصيرة وبديهة وتوكل
١٠- مثل القملة والبرغوث	٨- القملة والبرغوث
١١- مثل الذئب والغراب وابن آوى والجمل	٩- الأسد والجمل
١٢- مثل البطتين والسلحفاة	١٠- الأوزة والسلحفاة
١٣- مثل العنقاء بنت الريح	١١- طائر البحر والبحر
١٤- مثل القرد والطائر والرجل	١٢- القرد واليراعة والعصفور
١٥- مثل الخب والمغفل	١٣- الخب والمغفل
١٦- مثل العلجوم والحية	١٤- طائر البلشون والثعبان
١٧- مثل التاجر والأرض التي تأكل جرذانها الحديد.	١٥- النمس والجرذان آكلة الحديد.

قراءة الجدول:

١- من الملاحظ أن كتاب (كليلة ودمنة) يزيد في حكاياته عن كتاب (بنج تنترا) في حكايتين: حكاية «التاجر وبنيه» وحكاية «الرجل الهارب من الموت»، والواقع أن هذه الزيادة شكلية بمعنى أن الحكايتين مذكورتان في كتاب (بنج تنترا) على هيئة مقدمة تمهِّد لحكايات الباب الأول.

٢- الحكايات الواردة في الباب الأول من كتاب (كليلة ودمنة) متفقة من حيث الموضوع مع الحكايات الواردة فيما يقابلها من كتاب (بنج تنترا) مع اختلاف بسيط في التسميات، مثل أن يكون هنالك باب في (كليلة ودمنة) عنوانه «السمكات الثلاث»، هو نفسه في كتاب (بنج تنترا) ولكن باسم «بصيرة وبديهة وتوكل» وهكذا.

٣- هنالك خلاف في الأسماء الواردة في الحكايات ذات الموضوع الواحد، فابن المقفع مثلاً يسمِّي الثورين اللذين اتخذهما التاجر في هذا الباب «شنزبة» و«نندبة»، في حين أن اسميهما في كتاب (بنج تنترا) «نندكا» و«سمجيفكا»، ومن الواضح أن ابن المقفع لم يتصرف في ترجمة هذين الاسمين، فلو أراد التصرف فيهما لجاء بهما معرَّبين، فما معنى أن يستبدل اسمين أعجميين باسمين أعجميين، والأرجح أنّ النسخة التي وصلت إليه بطريق اللغة الفهلوية قد انطوت على الاسمين اللذين استعملهما في ترجمته، وقد يكون للاسمين معنى في الفهلويه، ولاسيما ان النسخة الفارسية الحديثة المنقولة عن العربية ذكرت الاسمين نفسهما (شنزبة ونندبة)[1]، ومعنى ذلك أن الذي نقل الحكايات من السنسكريتية إلى الفهلوية هو الذي تصرَّف في مثل هذه الحال.

---

(١) منشي أبو المعالي (كليلة ودمنة باللغة الفارسية) تحقيق: سيد رضوي ص: (٥٧).

٤- يظهر تصرف ابن المقفع بصورة واضحة في أفكار الكتاب إذ ورد في (بنج تنترا) أن الأسد واسمه بنحلكه حين سمع صوت الثور خاف وفزع «فلبث بجوار شجرة التين القائمة في الدوائر واتخذ وضع الدوائر الأربع بدون أن ينبس ببنت شفة، أما وضع الدوائر الأربع فهو كما يلي: الأسد، وحاشيته، والكاكرفات، والكمفرتات»[1]، وتعني الدوائر كما يُرجح مترجم الكتاب طوائف المجتمع الهندي[2]. في حين تجاوز ابن المقفع عن ذكر كل ذلك مكتفيًا بالإشارة إلى أنّ الثور شنزبة «لم يلبث أن عَكِدَ وشُحِمَ وترَّ وجعل يحك بقرنيه الأرض ويرفع صوته بالخوار، وكان بقربه أجمة فيها أسد يُقال له بنكلة، وكان ملك تلك الناحية ومعه سباع كثيرة من الذئاب وبنات آوى والثعالب وغير ذلك»[3].

٥- لقد حاول ابن المقفع التصرف في النّص الأصلي في أثناء ترجمته بما يُضفي عليه روحًا عربية إسلامية، ففي بداية الباب الأول في كتاب (بنج تنترا) يرد على لسان التاجر ما يأتي: «عليك أن تحصل على الثروة عندما تكون صفر اليدين، وأن تصونها عندما تحصل عليها، وأن تنمّي ما صنته، وأن تهب ما نمّيته لمن يستحق من النّاس. هذا ما قيل لنا أن نفعله، وهذا هو النهج الذي يجب أن يكون رائدنا في الحياة الدنيا»، ويذكر مترجم الكتاب أنّ هذا الكلام منقول من كتاب هندي اسمه «كوطيليه أرثاشاستره» ينسب إلى كانيكيه[4]. وقد عدَّل ابن المقفع هذه الكلمة لتغدو: «إن صاحب الدنيا

(١) بنج تنترا ص: (٣٣) الحاشية رقم (١).

(٢) المصدر السابق ص: (٣٩).

(٣) المصدر السابق ص: (٣٣).

(٤) المصدر السابق ص: (٣٠).

يتطلب ثلاثة أمور لا يدركها إلا بأربعة أشياء: أما الثلاثة التي يطلب فالسعة في المعيشة والمنزلة في الناس **والزاد في الآخرة**، وأما الأربعة التي يحتاج إليها في إدراكها، فاكتساب المال من معروف وجوهه، ثم حُسن القيام عليه، والتثمير له بعد اكتسابه، ثم إنفاقه فيما يصلح المعيشة ويُرضي الأهل والإخوان **ويعود إليه في الآخرة...**»[1].

وواضح أن ابن المقفع أراد تبيان الوجه المشروع لكسب المال، ومن ثم توجيه الكلام إلى ما يوافق التعاليم الإسلامية في هذا الباب، لأن اكتساب المال وتصريفه في وجه مشروع يدخل في العمل الصالح الذي يكون زادًا يتزوَّد به المؤمن لآخرته.

٦- ومن أمثلة تعديل ابن المقفع للأفكار الواردة في الأصل حديثه في حكاية العنقاء وبنت الريح الواردة في باب الأسد والثور حيث يورد: «فقالت له جماعة الطير إن العنقاء بنت الريح هي سيدتنا وملكتنا فاذهب بنا إليها حتى نصيح بها فتظهر لنا فنشكو إليها ما نالك من وكيل البحر» [2]. أما في الحكاية المماثلة المسماة «طائر البحر والبحر»، في كتاب (بنج تنترا) فيرد اسم «الجارضا»: «قال أحد الطيور: لا طاقة لنا بقتال البحر المحيط، والرأي عندي أن خير ما نفعله هو أن نشكوه كلنا إلى الجارضا، وبهذا نثيره ضده ولا شك أنه سوف يفرِّج كربنا»[3].

فابن المقفع وضع العنقاء بدلاً من الجارضا، والعنقاء عند العرب طائر

---

(١) بنج تنترا ص: (٣٠) الحاشية رقم (١).

(٢) المصدر السابق ص: (١٢٧).

(٣) المصدر السابق ص: (٩٨).

أسطوري كما ذكر ابن الكلبي، أعظم الطير جثة وأكبرها خلقة لها أربعة أجنحة من كل جانب ووجه كوجه الإنسان، تخطف الفيل كما تخطف الحدأةُ الفأر، وكانت في قديم الزمان تختطف من بيوت الناس، فتأذّوا منها إلى أن سلبت يومًا عروسًا مجلوّة بحليّها فدعا عليها حنظلة النبي، فذهب الله بها إلى بعض جزائر البحر حيث لا يراها الناس. أما الجارضا في التراث الهندي فطائر أسطوري يمتطيه الإله «فشنو» ويعد ملك الطيور، وهو في الأصل الشمسي في صورة طائر[1].

ومن الواضح أن ما دفع ابن المقفع إلى استبدال العنقاء بالجارضا، اتصال التسمية الهندية بتعدُّد الآلهة، وهذا ما ينافي العقيدة الإسلامية.

٧- في كليلة ودمنة ابنا آوى ذُكرا في باب الأسد والثور أول الأبواب الأساسية في الكتاب ولم يرد لهما ذكر في سائر الأبواب، والاسمان لهما معنى في العربية فكليلة مؤنثة (كليل) والكليلُ في اللغة التّعبُ ويُقال كلّت الريح أي ضعُفت وكلَّ السيف إذا لم يقطع، وكذا دمنة واحدة الدّمن بمعنى الآثار الدارسة أو الطلول.

أما في كتاب (بنج تنترا) فقد ورد الاسمان مختلفين فذكر اسم كرطاكة ومعناه ذو العواء المخيف بدلاً من كليلة، ودمنكة ومعناه المنتصر بدلاً من دمنة، غير أن التسمية التي وضعها ابن المقفع لهاتين الشخصيتين هي التي اشتُهرت بعد ذلك فكانت اسمًا للكتاب في سائر النسخ في لغات العالم اليوم.

وهاتان الشخصيتان موصوفتان في الحكاية، فكانتا من أهل الدهاء والأدب، وكان دمنة أشرهما نفسًا وأبعدهما همّة، وأقلّهما رضا بحاله[2]،

---

(١) المصدر السابق ص: (٩٨).

(٢) ابن المقفع (كليلة ودمنة) طبعة إلياس زخريا ط٤ دار الأندلس ١٩٨٣م ص: (١٢٧).

والحكاية تسوق الخطاب على أن كليلة ودمنة مذكّرين، مما يُشير إلى أن السياق الذي وُضعت الشخصيتان فيه لم يرجّح المعنى العربي للاسمين لأنهما بحسب اللغة مؤنثين، وهذا موضع تساؤل فهل كان ابن المقفع قد أجرى المؤنث مجرى المذكر كما نقول معاوية وحكمة ورأفة وهي ألفاظ مؤنثة تُطلق على الذكور؟

كليلة في الحكاية راوية يسوق الأمثال ويضرب المواعظ وينسج الأحداث ويعمد إلى إغفال الزمن مبتدئًا بالقول: «زعموا أن قردًا...» فقوله زعموا فيه إسقاط متعمَّد للزمن، فنحن عمليًا لا نعرف متى حدثت الحكاية التي يرويها، وهذا التجاوز مقصود لأن الحكاية تريد أن تنفلت من حيِّز الزمان، وتتحرر من هذا القيد لتستحيل موعظة تصلح لكل الأزمنة، وهذا التعبير ليس من اختراع ابن المقفع لأن له تعبيرًا مماثلاً في (بنج تنترا) وهو «يُحكى أن» الذي تردد في كل حكايات الكتاب.

٨- يبدأ باب الأسد والثور كما هو الشأن في سائر أبواب كتاب (كليلة ودمنة) بتسمية مثل، والمثل يعني الموضوع الذي تدور حوله الحكايات في كل باب، ودلالة المثل هنا تخالف ما يُعرف بالأمثال العربية التي تُصاغ على هيئة قول موجز قائم على اختيار الألفاظ المناسبة والمعاني الدقيقة والتشابه بين حالين، والصلة بين الأمثال الواردة في (كليلة ودمنة) والأمثال العربية تتمثّل بالمشابهة مثل أن يكون ضرب المثل العربي متصلاً بالحال التي تستدعيه أي يكون مشابهًا لها، وكذا الحكايات التي تعدُّ متنًا في أبواب (كليلة ودمنة) متصلة أو مؤيدة للمثل الذي يسميه الملك في كل باب.

يبدأ السرد بكلام الفيلسوف الراوية بيدبا مؤلّف الكتاب الذي يصوغ

قبل عرض حكاياته مقولة حكمية موجزة مؤيِّدة للمثل الذي ذكره الملك كما هو الشأن في الباب الأول حيث يقول بيدبا: «إذا ابتلي الرجلان المتحابان بأن يدخل بينهما الخؤون الكذوب تقاطعا وتدابرا وفسد ما بينهما من مودة» وبعد ذلك تبدأ الحكاية التي يرويها الفيلسوف حتى إذا ما انتهى منها أتبعها بمثل أو حكاية أخرى إلى أن ينتهي الباب. ويتكرر الصنيع نفسه في سائر أبواب الكتاب حتى نهايته.

في حين أن فعل السرد لا يخضع لهذا الترتيب الموضوعي في حكايات (بنج تنترا)، مع أن القارئ يستطيع أن يجد تشابهًا في سياق الحكايات بين الأبواب، مثل أن تكون هنالك شخصية للملك المروي له في كتاب (كليلة ودمنة) يقابلها أولاد الملك الثلاثة في (بنج تنترا). ثم إن صيغة (زعموا أن) في (كليلة ودمنة) تشبه (يُحكى أن) في (بنج تنترا)، مع وجود الفارق الجوهري من جهة بناء الحكاية في الكتابين بناء على هاتين الصيغتين مثل أن تكون عبارة (زعموا أن) فاتحة حقيقية للسرد، في حين تغدو عبارة (يُحكى أن) مجرد صيغة لتأسيس الحوار بين الراوي والمروي له، لأن فعل السرد ينفتح حقيقة في كتاب (بنج تنترا) من خلال ما يرويه المؤلِّف مثل أن ترد عبارة «فروى فصنو شرمان هذه الحكاية»، يقابلها في كتاب (كليلة ودمنة) «قال الفيلسوف» أي بيدبا، الذي يتقنَّع بشخصيات أخرى مثل كليلة الذي يقوم هو الآخر بسرد الأحداث.

٩- إن بناء الحكاية في كتاب (كليلة ودمنة) يخالف بناء حكايات (بنج تنترا)، إذ تبدأ كل حكاية في كتاب (كليلة ودمنة) بتسمية المثل الذي يحدِّده الملك دبشليم أو المروي له، ثم يقوم الفيلسوف بيدبا بتأكيد المثل بمقولة

حكمية، وبعد ذلك يروي الحكايات المختلفة المؤيدة للمثل المضروب في فاتحة كل حكاية، في حين تبدأ حكايات (بنج تنترا) بتسمية الباب بطريقة السرد كأن يرد: «يُحكى أن أسدًا في غابة نشأ بينه وبين ثور حب عظيم أخذ ينمو على الأيام، فقضى عليه ابن آوى حقود طماع، «فهذا الكلام لا يهدف إلا إلى الإبلاغ أو الإشارة إلى عنوان هذه الحكاية الذي يدور حول الأسد والثور، وبعد ذلك يأتي تساؤل المروي لهم: «فقال أبناء الملك: وكيف كان ذلك؟» حينئذ يبدأ المؤلّف برواية الحكاية حيث يعود السرد من أوله: «فروى فنصو شرمان هذه الحكاية...» إذن بداية الحكاية تتحدَّد بما رواه المؤلّف فنصو شرمان بقوله: «كانت هنالك مدينة تدعى مهيلاروبيا في الإقليم الجنوبي وكان يُقيم فيها تاجر يدعى فردمانكه...» والواقع أن العبارة الأولى التي تتصدر الباب الأول في (بنج تنترا) تقوم مقام العنوان في كتاب (كليلة ودمنة)، وترتيب الحكاية في الكتابين مختلف تمامًا إذ ينفتح السرد في حكايات (كليلة ودمنة) بفعل القول، ويُصاغ المثل على لسان المروي له الملك دبشليم الذي يحدِّد موضوع كل حكاية بما يسمِّيه مثلاً، مثل قوله في باب الأسد والثور: «اضرب لي مثل الرجلين المتحابين يقطع بينهما الكذوب الخؤون ويحملهما على العداوة والشنآن». ومعنى ذلك أن حكايات (كليلة ودمنة) تبدأ بعنوان ثم تحدِّد موضوع الحكاية أو ما يسمى بالمثل ثم الحكايات المؤيِّدة للمثل، في حين نجد في الباب الأول في (بنج تنترا) عنوانين: التفريق بين صديقين، والنص الموجز الذي يتصدَّر الباب ويصب في العنوان نفسه أي الأسد والثور، وهما كما تقول الحكاية صديقان فرَّق بينهما ابن آوى، وعليه نجد هنالك ازدواجية أو تكرارًا في صدر حكايات (بنج تنترا)، في

حين نجد في كتاب (كليلة ودمنة) تسلسُلاً منطقيًّا، وهذا بالطبع من صنيع ابن المقفع الذي بنى الحكايات بناء منطقيًّا قائمًا على التماسك والتسلسل والتتابع.

١٠- يدقّق كتاب (بنج تنترا) في المسميات الهندية الأصل مثل أن يذكر المدينة التي أقام فيها التاجر وهي مدينة مهيلا روبيا، كما يسمّي التاجر فرذمانكه، في حين يكتفي كتاب (كليلة ودمنة) بذكر أرض دستابند، ويُغفل اسم التاجر، وهذا تصرُّف قام به ابن المقفع لأن متلقّي كتابه لا يكترث بمثل هذه المسميات، فكان كل ما يعنيه الانصراف إلى جوهر الحكاية وموطن الموعظة، من أجل ذلك يمكن القول إن إغفال ابن المقفع بعض المسميات في عموم كتابه قد أسهم في إزالة كثير من الطوابع الهندية للكتاب، وبالمقابل قدَّمه على هيئة حكاية عربية لا تشوبها المسميات الغريبة التي يمكن أن تولّد جفوة بين الحكاية والمتلقي، أو أنه صرفه عن التفكير في أصل الحكايات، وبذلك حرَّضه على أن يدرك مغزاها ولا شيء دون ذلك.

١١- إن وجوه الاختلاف بين ترجمة ابن المقفع المسماة (كليلة ودمنة) والأصل الهندي (بنج تنترا) لا تعني أن كتاب (كليلة ودمنة) شيء وكتاب (بنج تنترا) شيء آخر، بل تعني أن أحد الكتابين كان أصلاً للآخر، فهما بالتأكيد ليسا كتابًا واحدًا، فقد يكون (كليلة ودمنة) أصلاً أُخذت منه خمسة أبواب ثم استقلت في كتاب سمي بـــ(بنج تنترا)، وقد يكون (بنج تنترا) أصلاً من أصول (كليلة ودمنة) انطوى على خمسة أبواب ثم جمع إليها الأبواب الباقية المعروفة في كتاب (كليلة ودمنة) اليوم، إذ نحن نجد بجانب الاختلافات بين (كليلة ودمنة) و(بنج تنترا) نقاط اتفاق يعسُر إحصاؤها من أبرزها أن

الموضوع واحد في الكتابين في هذا الباب وسائر الأبواب الأخرى، كما أن الترتيب واحد بين الحكايات. أما اختلاف عدد الحكايات ضمن الباب الواحد أو اختلاف بعض الصيغ اللغوية والتسميات فهذا بسبب الترجمة.

١٢- إن وجوه التصرُّف في النسخة العربية المترجمة من الفهلوية أمر طبيعي إذا ما قورنت بالزيادات التي وُجدت في النسخ الفارسية المطبوعة من كتاب (كليلة ودمنة) المنقول من العربية، إذ يجد القارئ أن الفرس قد أضافوا إلى النص الأصلي كثيرًا من الأشعار العربية والفارسية، كما أضافوا إلى متنه كثيرًا من الأمثال العربية والحكم الفارسية، في عموم أبواب الكتاب، ففي باب الأسد والثور على سبيل المثال الذي سمَّاه المترجم الفارسي (باب شير وكاو) نجد أكثر من خمسين شاهدًا شعريًا معظمها للمتنبي، ومن الطريف أن الشاهد الشعري العربي يجيء مع الشاهد الشعري الفارسي كما هو الشأن:

إذا ما كنت في أمرٍ مروم ... فلا تقْنَع بما دون النجوم

باهمّت باز باش وبا راي بلنك ... زيبا به كه شكار بيروز به جنك[1]

ب- باب الحمامة المطوقة:

يقابل هذا الباب في كتاب (بنج تنترا) سفر «كسب الأصدقاء» وينطوي على خمس حكايات، في حين يشتمل هذا الباب في كتاب (بنج تنترا) على أربع حكايات بحسب الجدول الآتي:

باب «الحمامة المطوقة» في كليلة ودمنة	باب «كسب الأصدقاء» في بنج تنترا
١- مثل الغراب والصياد والمطوقة	–

(١) منشي، أبو المعالي (كليلة ودمنة باللغة الفارسية) ص: (٦٠).

والجرذ والسلحفاة	
٢- مثل الجرذ والضيف والناسك	١- حكاية الفأر والناسكان
٣- مثل المرأة البائعة السمسم المقشور بغير المقشور	٢- حكاية سمسم مقشور بآخر غير مقشور
٤- مثل الذئب ووتر القوس	٣- حكاية ابن آوى الجشع
٥- مثل الظبي وحبائل القناص	٤- حكاية أسر الغزال لأول مرة

قراءة الجدول:

١- يحافظ باب الحمامة المطوقة على طريقة البناء ذاتها التي بُني على أساسها باب الأسد والثور، إذ هنالك عنوان للباب وهناك مثل يسميه الملك، وبعد ذلك يبدأ الفيلسوف برواية الحكاية الأولى في هذا الباب، أما في باب «كسب الأصدقاء» فهو يحافظ أيضًا على طريقة البناء في كتاب (بنج تنترا) عمومًا إذ يُحدد المؤلّف اسم الباب وموضوعه، ثم يأتي بعد ذلك تساؤل المروي لهم، ثم تُروى الحكاية دون أن يعطيها اسمًا، غير أن مضمونها هو مضمون المثل الأول في حكايات (كليلة ودمنة)، مع اختلاف في بعض الأسماء والأوصاف، ومعنى ذلك أن الزيادة التي أشرنا إليها في كتاب (كليلة ودمنة) آنفًا شكلية، فالحكايات في البابين متساوية، لأن المثل الأول في (كليلة ودمنة) يقابله في (بنج تنترا) حكاية غير مسماة وتجيء عادة على هيئة مقدمة.

٢- هنالك اختلاف كلي في تسمية بعض الحكايات، كما هو الشأن في حكاية الذئب ووتر القوس في (كليلة ودمنة) التي تقابل حكاية «ابن آوى الجشع» في (بنج تنترا)، دون اختلاف يُذكر في الموضوع.

٣- يسمّي كتاب (بنج تنترا) بداية كل حكاية ونهايتها، غير أن ثمة تداخلاً بين نهايات الحكايات فقد ترد نهاية الحكاية الأولى مثلاً في أثناء الحكاية

الثانية أو الثالثة، في حين يحافظ كتاب (كليلة ودمنة) على كيان كل حكاية على حدة.

ج- باب البوم والغربان:

ينطوي باب البوم والغربان على تسع حكايات، في حين يتضمن سفر الحرب والسلام عشر حكايات كما يوضّح الجدول الآتي:

باب البوم والغربان في كتاب: كليلة ودمنة	سفر الحرب والسلام في كتاب: بنج تنترا
–	١- حكاية حمار في جلد نمر
١- مثل العداوة بين الغربان والبوم	٢- حكاية الطيور تختار ملكًا
٢- مثل ملك الفيلة ورسول الأرانب	٣- حكاية الفيل والأرانب والقمر
٣- مثل الصفرد والأرنب والسنور والصوم	٤- حكاية القط وطائر الحجل والأرنب
٤- مثل الناسك والعريض واللصوص	٥- حكاية البرهمي والمحتالون
٥- مثل التاجر وامرأته واللص	٦- حكاية الرجل العجوز والزوجة الشابة واللص
٦- مثل الناسك واللص والشيطان	٧- حكاية البرهمي واللص والغول
٧- مثل النجار المخدوع وحميه	٨- حكاية القرد والقواد
٨- مثل الناسك والفأرة المحولة جارية	٩- حكاية الفارة العذراء
٩- مثل الأسود وملك الضفادع	١٠- حكاية الضفادع تركب الثعبان

قراءة الجدول:

١- نلحظ في هذا الباب زيادة في عدد حكايات سفر «الحرب والسلام»

في كتاب (بنج تنترا) عما ورد في باب البوم والغربان في كتاب (كليلة ودمنة)، تتمثّل تلك الزيادة بالحكاية الأولى التي حملت اسم «حمار في جلد نمر» في كتاب (بنج تنترا)، ولم نجد لها مثيلاً في باب البوم والغربان. والحق أن حكاية«حمار في جلد نمر» كانت من الحكايات التي تنازعتها الموروثات الشعبية الشرقية والغربية فذكر د. عبد الحميد يونس أن هذه الحكاية شاعت في الخرافات اليونانية واللاتينية باسم «حمار في جلد أسد» وهنالك ست حكايات في هذا الصدد منها ما رواه لوسيان في القرن الثاني الميلادي وما تردد في نسخة بابريوس في القرن الثالث الميلادي، وما جاء في خرافات أفيان اللاتيني، وفي خرافات إيسوب، ويرجّح الباحث أن اليونانيين قد استبدلوا جلد الأسد بجلد النمر لأنه أظهر[1].

٢- تصرّف ابن المقفع على نحو واضح في ترجمة بعض الأسماء كما هو الشأن في عنوان الحكاية الرابعة والسادسة فجعل كلمة (ناسك) بدلاً من (برهمي)، مما يدل على أنه قد تحرَّج من نقل كلمة (برهمي) إلى القارئ العربي لاتصالها بعقائد الهند، ذلك لأن البراهمة كما جاء في المقدمة التي وضعها الفرس طبقة من الزُّهاد الهنود[2]، ويرجّح د. عبد الوهاب عزام أن هذه المقدمة أُلحقت بالكتاب بعد ابن المقفع بقرنين من الزمان[3]، مما يُشير إلى أن ابن المقفع لم يذكر شيئًا عن عقيدة البراهمة، وقد كان منهم مؤلّف الكتاب، كما كان يجنح إلى تبديل هذه الكلمة حين ورودها في متن حكايات

(١) يونس، د. عبد الحميد (بنج تنترا) المقدمة ص: (١٥).

(٢) ابن المقفع (كليلة ودمنة) طبعة إلياس زخريا ص: (٦٠).

(٣) ابن المقفع (كليلة ودمنة) طبعة عبد الوهاب عزام: ص: (١٣٥).

الكتاب.

د. باب القرد والغيلم:

يتألف باب القرد والغيلم من حكايتين الحكاية الرئيسة حكاية القرد والغيلم، ومثل الأسد وابن آوى وأذني الحمار، هو يقابل سفر الخسران أو القرد والتمساح في (بنج تنترا)، الذي يشتمل على حكايتين أيضًا حكاية القرد والتمساح وحكاية حمار بلا قلب ولا أذنين.

وهنالك اختلاف واحد بين البابين يتمثّل باستبدال ابن المقفع تسمية الغيلم بالتمساح، وقد يكون الباعث على ذلك التصرُّف أن المترجم رأى أن التمساح غير معروف في البيئة العربية، فوجد أن الغيلم وهو ذكر السلحفاة أقرب إلى مخيلة المتَلقّي العربي.

هـ- باب الناسك وابن عرس:

ينطوي هذا الباب في كتاب (كليلة ودمنة) على حكايتين الأولى تندرج تحت عنوان الباب وهي حكاية الناسك، والثانية المثل الذي يعقب الحكاية الرئيسة وهو مثل الناسك وجرّة السَّمن. أما في كتاب (بنج تنترا) فسمي ما يقابل هذا الباب بالخسران وقد انطوى على حكايتين إضافة للحكاية التي تمثّل فاتحة هذا السفر وهما: حكاية البرهمي الذي بنى قصورًا في الهواء، والثانية الحلاّق الذي قتل النساك. فالحكاية الأولى تلتقي مع حكاية ابن المقفع المسماة بالناسك وجرة السمن، في حين ليس للحكاية الثانية المعروضة في (بنج تنترا) في هذا السفر ما يقابلها في باب الناسك وابن عرس في كتاب (كليلة ودمنة).

لقد تصرَّف ابن المقفع هنا كما هو الشأن في الباب السابق فاستبدل كلمة الناسك بكلمة البرهمي، كما استبدل تعبير (ابن عرس) بكلمة (النمس) الواردة

في كتاب (بنج تنترا) للغاية التي أشرنا إليها فيما سلف.

الخاتمة والنتائج:

إذا كان كتاب (بنج تنترا) كما يقول المؤرِّخون والباحثون في القديم والحديث أصلاً لكتاب (كليلة ودمنة)، أو هو أحد أصوله، فإن الحقيقة الشاخصة في هذه المسألة أن ابن المقفع لم يترجم الكتاب عن الفهلوية ترجمة حرفية، والاختلاف الذي أظهرته لنا المقارنة بين نصّ (كليلة ودمنة) ونص (بنج تنترا) تدل على أن ابن المقفع لم يكن وحده ممن أسهم في تعديل النص الأصلي لسببين: أحدهما أن ابن المقفع لم ينقل الكتاب من السنسكريتية الهندية إلى العربية مباشرة، وإنما نقله من الفهلوية الفارسية إلى العربية، ومن المحتمل أن المترجمين الفرس وعلى رأسهم برزويه الطبيب كما تسميه بعض النسخ المطبوعة من الكتاب قد أسهموا في تعديل جزء من النص الأصلي، غير أننا لا نستطيع القطع في هذه المسألة لأن الترجمة الفارسية المأخوذة من الهندية مفقودة كما قلنا.

والآخر أن كتاب (كليلة ودمنة) لم يُترجم إلى العربية بطريق ابن المقفع فحسب، ذلك لأن المؤرِّخين قد ذكروا رجلاً آخر ترجمه بعد ابن المقفع وهو عبد الله الأهوازي بحسب إشارة حاجي خليفة، ومن المحتمل أن هذه الترجمات المختلفة قد اختلطت بعضها ببعض ثم نُسبت لابن المقفع لأنه مشهور عند الناس. ومع ذلك فإننا نرى فيما نُسب لابن المقفع في أمر هذه الحكايات ما يأتي:

١- إن كتاب (كليلة ودمنة) المرتبط باسم ابن المقفع أول كتاب مدوَّن في النثر الفني عند العرب، ينطوي على موضوع لم يكن شائعًا في آداب اسعة

العربية قبله، وهو الحكاية الخرافية التي نُسجت على ألسنة البهائم والطير.

٢- لقد وضع ابن المقفع بطريق تصرُّفه في بناء الحكايات الأصلية وتحريف بعض مسمياتها أساسًا لفن الحكاية التي تناسب ذوق المتلقي العربي وتتفق مع عقيدته. فمن جهة البناء اختار لبعض حكاياته كما هو الشأن في حكاية القرد والغيلم بناء دائريًا، مثل أن تبدأ الحكاية بفكرة أو عبارة ثم تختتم بالفكرة أو العبارة ذاتها، مما يشي بالبناء الدائري للحكاية، وهذه الطريقة البنائية توافق إلى حد بعيد الذهنية العربية الإسلامية في تصورها الكون، وقد انعكست هذه الطريقة في البناء والعمارة كالقناطر والأقواس والقباب وفي شكل الحروف وهذا كله يتصل بالتصور الكوني المنطلق أساسًا من فكرة الدوران التي يمثّلها الطواف عند المسلمين. إضافة إلى ذلك فقد بدَّل ابن المقفع كل المسميات التي من شأنها المساس بالعقيدة، كالتي تتصل بتعدُّد الآلهة، إذ جعل العنقاء بدلاً من (الجارضا)، والناسك بدلاً من البرهمي، ثم حذف ما يتصل بالطبيعة الهندية كالكلام على الطوائف وطبقات المجتمع، وعدّل كثيرًا من الأسماء التي رأى أنها بعيدة عن مخيلة القارئ العربي كالنمس والتمساح وغير ذلك.

٣- لقد كان كتاب (كليلة ودمنة) آية من آيات البيان العربي كما يقول بطرس البستاني إذ: «لم تقم ميزة ابن المقفع إلا على كتابه الخالد (كليلة ودمنة)، ففي هذا الكتاب يتجلى أسلوبه البديع الذي رفع به مستوى النثر العربي إلى أعلى درجات الفن وأشرفها»[1].

٤- لقد مزج ابن المقفع في كتابه (كليلة ودمنة) السرد بالمنطق، وقد امتاز الكتاب بحلاوة اللفظ وطول النفس والبعد عن الغلوّ وحسن التساوق

---

(١) البستاني، بطرس (أدباء العرب في الأعصر العباسية) ص: (١٥٧).

واستيفاء القياس وقوة المنطق والغوص وراء المعنى الدقيق، والبعد عن الجفاف في الأسلوب وتجنب التعقيد[١].

٥- أسهم ابن المقفع في تطويع اللغة العربية لتستوعب الأفكار العميقة والمعاني الدقيقة، وخلّص لغة النثر الفني من السجع، وقد ظهر أسلوبه المرسل بوضوح في باب عرض الكتاب أو المقدمة التي وضعها بين يدي (كليلة ودمنة).

٦- لقد أغنى ابن المقفع بكتابه حركة التأليف في هذا الباب فوجد الأدباء في صنيعه منهلاً عذبًا، فاستحال الكتاب سياقًا لكثير من المنظومات الشعرية والحكايات التي نحت نحوه، فمن المنظومات التي حوَّلت كتاب (كليلة ودمنة) من المنثور إلى المنظوم لغرض حفظه وتداوله، ما نظمه أبان بن عبد الحميد، إذ روى ابن المعتز أن يحيى بن خالد البرمكي قد طلب من أبي نواس أن ينظم له كتاب (كليلة ودمنة) شعرًا، فلما سمع أبان بذلك صار إليه فقال له ناصحًا: «أنت رجل مغرم بهذا الشراب لا تصبر عنه وعن الاجتماع مع إخوانك عليه، وهو لذتك من الدنيا ومتعتك، وهذا الكتاب مشهور لم ينقل إلى هذا الوقت من المنثور إلى الشعر، وإذا فُعل ذلك تداوله الناس وطلبوه ونظروا فيه، فإن أنت توليته مع تشاغلك بلهوك لم يتوفر عليه فكرك وخاطرك، ولم يخرج بالغًا في الجودة والحسن... فظن أبو نواس أنه نصح له واستقال الأمر فاستعفى منه»[٢]، فتلقفه أبان ونظمه فلم يبرح داره حتى قلبه من المنثور إلى المنظوم، ثم قدَّمه ليحيى بن خالد فأعطاه عشرة آلاف دينار.

ثم نظمه ابن الهبارية في كتاب سماه «نتائج الفطنة في كليلة ودمنة»، ثم

---

(١) المرجع السابق نفسه.

(٢) ابن المعتز (طبقات الشعراء) ص: (٢١١).

عمل منظومة أخرى سماها «درر الحكم في أمثال الهنود والعجم» أكملها بعده عبد المؤمن بن الحسن الصاغاني وهو من رجال القرن السابع الهجري.

٧- لقد كان كتاب (كليلة ودمنة) ضربًا من المسامرات والحكايات المسلّية المنطوية على حكمة وموعظة يسهُل على المتلقي إدراك مغازيها وأهدافها، وهي من ثم جديرة بالاهتمام لأنها تريد تأسيس بنية سردية تنطلق من حدث واقعي فرد، وهو لقاء الفيلسوف موطن الحكمة، بالملك رأس السلطة، وما دون ذلك فأحداث الكتاب وهمية وحكاياته رمزية تُحاك على ألسنة البهائم والطير، والحكايات العربية أفادت من هذه الطريقة البنائية، وقد تمثّلت بصورة جلية في كتاب «النمر والثعلب» لسهل بن هارون (ت٢١٥هـ) الذي ألّفه على شاكلة (كليلة ودمنة) فقال فيه ابن شرف القيرواني: «... ما رأيت الأوائل قد وضعت مثل كتاب (كليلة ودمنة) فأضافوا حكمة إلى الطير الحوائم، ونطقوا به على ألسنة الوحش والبهائم لتتعلق به شهوات الأحداث وتستعذب بسمره ألفاظ الحدث، وقد نحا بذا النحو سهل بن هارون الكاتب في تأليفه كتاب النمر والثعلب وهو مشهور الحكايات بديع المراسلات مليح المكاتبات»[1].

ويختلف كتاب النمر والثعلب عن كتاب (كليلة ودمنة) باعتماده على حكاية واحدة أو موضوع واحد تعبّر عنه شخوص تقنّعت بالنمر والثعلب والذئب، وتقول الحكاية إن الثعلب قد انتهت به السبل إلى جزيرة من جزائر البحر وفيها نمر يحكم جماعة من الذئاب، وقد التقى الثعلب أحد الذئاب فدفعه ليطلب من النمر أن يجعل له ولاية يحكمها فجعله حاكمًا على الظباء

---

(١) كرد علي، محمد (رسائل البلغاء) ص: (٢٣١).

وقد جعل الذئبُ الثعلبَ وزيرًا له، غير أن الذئب تمرَّد على النمر وعصاه في أمره، وكان الثعلب نصح له بالطاعة، إلا أنّه أبى فدارت حرب بينهما تغلّب النمر فيها على الذئب، وكاد يبطش بالثعلب لولا أنه وجده حسن الكلام غزير العلم موفور الحكمة»[1].

٨- لقد ألّف ابن الهبارية كتابًا على منوال كتاب (كليلة ودمنة) سمَّاه (الصادح والباغم)، ولأبي عبد الله القرشي المعروف بابن ظفر المتوفى سنة ٥٩٨هـ كتاب على رسم (كليلة ودمنة) سمَّاه (سلوان المطاع في عدوان الطباع) كان قدَّمه لبعض القادة في جزيرة صقلية، وكذلك ألّف ابن عرب شاه كتابًا على نسق كتاب (كليلة ودمنة) عنوانه (فاكهة الخلفاء ومناظرة الظرفاء).

٩- اعتمد المعري في جملة من رسائله على الحكاية الخرافية التي عبَّر عنها كتاب (كليلة ودمنة)، كما هو الشأن في رسالته المعروفة برسالة الصاهل والشاحج وهي محاورة بناها على لسان حصان وبغل، وكان صنَّف هذا الكتاب للأمير عزيز الدولة أبي شجاع فاتك الرومي، وله أيضًا كتاب سجع الحمائم تكلَّم فيه على لسان أربع حمائم، وكان بعض الرؤساء في عصره قد سأله أن يصنع له كتابًا في الفطنة والحث على التزهُّد. وأما كتابه المعروف بالقائف فهو مبني على هيئة أمثال (كليلة ودمنة)، وقد صنعه للأمير عزيز الدولة أبي شجاع ألّف منه أربعة أجزاء ثم قطع تأليفه بسبب مقتل أبي شجاع بيد مملوك هندي سنة ٤١٣هـ.

ومن أمثلة ما جاء في كتاب (القائف) للمعري قوله على لسان الحيوان:

---

(١) الفلاح، قحطان (النثر السياسي في العصر العباسي الأول) رسالة دكتوراه في جامعة حلب/ مخطوطة/ ص: (٢٨٨).

«حضرتِ النّملةَ الوفاةُ فاجتمع حواليها النّمل، فقالت نادبتها يرحمك الله؛ أمن شعيرةٍ مجرورةٍ أو بُرّةٍ ممطورةٍ وآثارِ سفرةٍ منشورةٍ؟ قالت لهن: لا تجزعن فقد دخرتُ عند الله دخيرةً من دخر مثلها جدير بالرحمة، وذلك أني لم أسفك دمًا قطُّ»[1].

١٠- يرى جولدتسهير أن إخوان الصفا قد تأثّروا بحكايات (كليلة ودمنة)، إذ تسمية إخوان الصفا وردت في باب الحمامة المطوقة، ثم إن لهم رسالة في المناظرة بين الحيوان والإنسان رجَّح أحمد أمين أنها ضرب من التأثر بكتاب (كليلة ودمنة)[2].

١١- لاحظ الجاحظ أن الرسائل والحكايات المنسوبة للفرس مصنوعة أو مولّدة في قوله: «ونحن لا نستطيع أن نعلم أن الرسائل التي في أيدي الناس للفرس أنها صحيحة غير مصنوعة، وقديمة غير مولّدة، إذا كان مثل ابن المقفع وسهل بن هارون وأبي عبيد الله وعبد الحميد وغيلان وفلان وفلان لا يستطيعون أن يولّدوا مثل تلك الرسائل ويضعوا تلك السير»[3].

والواقع أن الجاحظ هنا يرمي إلى أن الأدباء الذين أشار إليهم آنفًا أرادوا أن يظهروا بثقافتهم الفارسية على العرب وثقافتهم، والجاحظ يشكّك فيما نسبوه إلى الفرس من رسائل وسير؛ لأن أمثال هؤلاء لا يعجزهم اختلاق مثل هذه الرسائل وتلك الحكايات والسير، بمعنى أنه يريد أن يبيِّن مقدار التوليد والوضع فيما هو منسوب إلى التراث الفارسي بيد نخبة من أعلام الثقافة والفكر

(١) السقا وآخرون (تعريف القدماء بأبي العلاء) ص: (١/ ٢٣١).

(٢) أمين، أحمد (ضحى الإسلام) ص: (١/ ١٤٥).

(٣) الجاحظ (البيان والتبيين) ص: (٣/ ١٦).

في ذلك العصر. الحق أن ملاحظة الجاحظ فيما يتصل بابن المقفع، أو مايتصل بكتاب (كليلة ودمنة) على وجه التحديد لم يلقَ مع التقادم كبير تأييد، لأن معظم حكايات الكتاب قد سلِمت في نسبتها إلى غير العرب كما أشرنا سابقًا، مع أن اللغة العربية بطريق ابن المقفع قد تركت بصماها على الكتاب فصار جزءًا من تراثها، وبعد ذلك حفظته فقدَّمته إلى سائر اللغات الحية، إلا أن أصول تلك الحكايات ترجع إلى الثقافة الهندية بلا شك.

١٢- لم يصل إلينا قبل كتاب (كليلة ودمنة) نص أدبي مدوَّن ومكتمل نطمئن إليه، وكل ما نعرفه إزاء صور النثر العربي القديم لا يعدو كونه شذرات مبثوثة بين تضاعيف الكتب، وكان أكثرها قد نُقل عن أصحابه بطريق الرواية ثم دوّن بعد ذلك، وهنا لا يتهيأ للباحث أكثر من وصف اللغة في تلك الآثار المنطوية على جانب من القص، وقد تحوَّلت بعد ذلك إلى مدونات على شكل مسامرات وأحاديث، وتبدو كلها للمتأمل من جهة لغتها أنها كانت تعبِّر عن ذاتها بلغة شعرية، لكثرة اعتمادها على الإشارة والإيحاء والزركشة وتغليب الوجدان، وركوب الأخيلة ورسم التصاوير، وليس ذلك فحسب بل نجد كثيرًا من الصور النثرية المتقدمة تعمد إلى الاستشهاد ببعض الشعر للعظة والاعتبار، أو حتى للدلالة على ما تقرره، ولما جاء ابن المقفع خلصت للنثر لغة صافية، ومختلفة عن لغة الشعر، إذ أقامها وطوَّعها لتحتمل التفصيل بعد أن كانت مجملة، ثم أرسلها من قيد السجع الذي كانت قد لبثت فيه منذ زمن الجاهلية، واتسعت لتستوعب المعاني الدقاق. إن ابن المقفع باختصار جعل لغة النثر العربي أداة للتعبير عن العقل، مثلما كان الشعر لغة الوجدان، ومن أجل ذلك سمت مكانته في تاريخ النثر العربي، وارتفعت قيمة كتابه (كليلة ودمنة)

لأنه بحق أقدم صور النثر المدوّن عند العرب.

١٣– لقد أثار أسلوب ابن المقفع الفني الجديد النُّقاد والدارسين المحدثين أمثال د. طه حسين الذي لم ير فيه أكثر من أسلوب مستشرق يُحسن الفارسية والعربية فيوفَّق أحيانًا ويُخطئ أحيانًا أخرى[1]، وكأنه هنا قد نظر إلى قولة الجاحظ: «إن اللغتين إذا التقتا في لسان واحد أدخلت كل واحدة الضيم على صاحبتها»[2]، بمعنى أن الاضطراب الأسلوبي الذي لاحظه د. طه حسين يرجع إلى جمعه العربية والفارسية في لسان واحد، حتى لكأن الفارسية بفكرها طغت على فصاحة العربية، فكانت تلك الانحرافات الأسلوبية التي أشار إليها هو وغيره. ومن الطريف أن يُرجع باحث مثل الدكتور شوقي ضيف أسباب الاضطراب في أسلوب ابن المقفع إلى توخّيه الدقة البالغة، وإخراجه الأفكار المفصَّلة مما أدى به إلى العنت الأسلوبي[3]. ولعله من الغريب أن كثيرًا من الملاحظات التي أشار إليها الباحثون، فيما يتصل بأسلوب ابن المقفع لا تطول كتاب (كليلة ودمنة)، وربما كان السبب في ذلك أن الكتاب قد هُذِّبت لغته بعد ابن المقفع، إذ كان الأصمعي يعيب على ابن المقفع اللحن في إضافة (ال التعريف) إلى (كل، بعض)[4]، ولكن هذه الهنات الأسلوبية لم تعد ظاهرة فيما طُبع من آثار ابن المقفع، ولاسيما الطبعات العلمية لكتاب (كليلة ودمنة)، ومع ما قيل عن أسلوبه إلا أن ذلك

---

(١) د. حسين، طه (من حديث الشعر والنثر) ط دار المعارف ص: (١٢٨).

(٢) الجاحظ (البيان والتبيين) تح: عبد السلام هارون ص: (٣/ ١٦).

(٣) د. ضيف، شوقي (الفن ومذاهبه في النثر العربي) ص: (١٤٤).

(٤) مقدمة كتاب «كليلة ودمنة» تح: د. عزام.

لم يمنع كثيرًا من الباحثين أن يعدَّه آية من آيات البيان العربي[١].

١٤- إن الطريقة الفنية التي اعتمد عليها كتاب (كليلة ودمنة) في بناء الحكاية سرعان ما ألقت بظلالها على المدوَّنات السردية العربية، أعني إجراء مقابلة بين مؤلِّف راوية ووزير أو حاكم يُروى له، والمروي له هو الذي يُحدد موضوع السرد أو موضوع المسامرة، وقد انضوت مؤلَّفات كثيرة تحت هذا الإطار أقدمها كتاب الإمتاع والمؤانسة للتوحيدي الذي يعدُّ مثالاً حيًّا دالاًّ على تأثر النثر العربي بطريقة ابن المقفع، وكان التوحيدي قد التقى بالوزير ابن العارض فسامره سبعًا وثلاثين ليلة، كان الوزير يطرح في كل ليلة على التوحيدي سؤالاً ثم يجيب التوحيدي عنه، ثم نقل ما دار بينه وبين الوزير في كتابه المذكور آنفاً بطلب من صديقه أبي الوفاء المهندس لينتفع به الناس[٢]، كما يندرج تحت إطار ذلك السرد ما كتبه سهل بن هارون والمعرّي، وما جاء في حكايات ألف ليلة وليلة الشعبية وغيرها كثير، وهي تؤدي إلى الغاية نفسها التي دُوِّنت من أجلها حكايات (كليلة ودمنة) بوصفها تنطوي على الموعظة والحكمة التي تنفع الناس.

---

(١) كرد علي، محمد (رسائل البلغاء) ص: (١٠٦).

(٢) التوحيدي (الإمتاع والمؤانسة) ص: (٣٢٥).

المصـــادر والمراجـــع

١- أمين، أحمد (ضحى الإسلام) طُبع في القاهرة ١٩٣٣م.

٢- البستاني، بطرس (أدباء العرب في الأعصر العباسية) طبع دار مارون عبود بيروت ١٩٧٩م.

٣- البيروني، أبو الريحان (تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة) طبعة ليدن ١٨٨٧م.

٤- التوحيدي، (الإمتاع والمؤانسة) تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين ط القاهرة ١٩٤٢م.

٥- الجاحظ، (البيان والتبيين) تحقيق عبد السلام هارون القاهرة ١٩٤٥م.

٦- جمعة، حسين (ابن المقفع بين حضارتين) منشورات المستشارية الإيرانية بدمشق ٢٠٠٣م.

٧- حاجي خليفة، (كشف الظنون) طبع وكالة المعارف بمصر ١٩٤١م.

٨- حسين، د. طه (من حديث الشعر والنثر) ط دار المعارف بمصر ١٩٦٩م.

٩- ابن خلكان، (وفيات الأعيان) تحقيق د. إحسان عباس ط دار صادر بيروت ١٩٩٤م.

١٠- السقا، وآخرون (تعريف القدماء بأبي العلاء) ط دار المعارف ١٩٥٤م.

١١- الزيات، أحمد حسن (تاريخ الأدب العربي) طبع القاهرة ١٩٣٥م.

١٢- ضيف، د. شوقي (الفن ومذاهبه في النثر العربي) ط٣ دار المعارف بمصر ١٩٧٤م.

١٣- عبد القادر، حامد (قصة الأدب الفارسي) طبع مكتبة نهضة مصر ١٩٥١م.

١٤- الفلاح، قحطان (النثر السياسي في العصر العباسي الأول) رسالة دكتوراه مخطوطة جامعة حلب.

١٥- كرد علي، محمد (رسائل البلغاء) طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٥٤م.

١٦- ابن المعتز، عبد الله (طبقات الشعراء) تحقيق عبد الستار أحمد فراج ط٢ دار المعارف بمصر.

١٧- ابن المقفع، (كليلة ودمنة):

- تحقيق د. عبد الوهاب عزام د. طه حسين ط١ طبع دار المعارف بمصر ١٩٤١م.

- تحقيق إلياس زخريا ط٤ دار الأندلس بيروت ١٩٨٣م.

١٨- الملاح، عبد الإله (مترجم كتاب المهابهاراتا – الملحمة الهندية) نُشر بدمشق ٢٠٠٢م.

١٩- منشي، (كليلة ودمنة بالفارسية) تحقيق سيد رضوي نشر بهاباد شيراز – إيران.

٢٠- يونس، عبد الحميد (مترجم كتاب بنج تنترا) ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠م.

نزار قباني والنثر
رثاء ولده توفيق نموذجًا

د. سهيل محمد خصاونه

بطاقات تعريف

نزار قباني:

تحت شجرة ياسمين، في حيّ مئذنة الشحم، وفي بيت دمشقي، وبحضور مجموعة من الحمائم والسنونو والقطط، وُلد نزار قباني في ٢١/ ٣/ ١٩٢٣، وجاءت عيونه بلون سماء دمشق في أيام الصيف.

بجانب المهنة، سجّل نزار عبارة عاشق، سجّلها أيضًا بجانب حالته الاجتماعية، وهو حاصل على ليسانس عشق.

في خانة العلامات الفارقة، دوَّن عبارة « ذبحة قلبية» بسبب الشعر. ونزار يُقيم في غمامة مسافرة بين الخليج والمحيط تخاف أن تقترب من الأرض؛ حتى لا يُلقى عليها القبض بتهمة الصدق.

يعمل نزار قباني - منذ الأربعينيّات - على إشعال اللغة من أول نقطة حبر، حتى آخر نقطة حبر، وأن يشعل الوطن الممتد من البحر إلى البحر، ومن القهر إلى القهر. ونزار دائم البحث عن الحرف التاسع والعشرين من الأبجدية العربية[1].

توفيق نزار قباني:

أمير دمشقي جميل، خطفه الموت مبكرًا في ١٠/ ٨/ ١٩٧٣، وله من العمر اثنتان وعشرون سنة، وهو ذو شعر أشقر كلَّون حقول القمح في تموز.

كان طويلاً كالزرافة، شفّافًا كالدمعة، عالي الرأس كصواري المراكب، مديدًا كرمح محارب روماني قديم، شامخ الرأس كغمامة، هادئًا كوجه حكيم إغريقي.

أقبَلَ توفيق على الموت لأنه أحب اللعب في حدائق الله، وأحب الألعاب السماوية، فتناول الموت كقطعة حلوى سعيدًا بها.

موت توفيق مثل موت النجوم، مثل موت البجع الأبيض، مثل موت الأسماك الملونة في أوانيها البلورية، موت مؤلم يخلع النفس، ويُطفئ قرص الشمس[٢].

مقدمة:

الموت والحياة أمران متلازمان، وإن كانا نقيضين، بهما تسير عجلة الوجود، وعليهما تقوم دنيا المخلوقات، ولولا الموت لما كان للحياة قيمة، فإذا صح أنَّ ما لا يحيا لا يموت، فإن من المؤكَّد أن ما لا يموت لا يحيا، وإذا كان من شأن الزهرة الصناعية ألا تذبل أبدًا، فما ذلك إلا لأن الحياة الأبدية التي تتمتع بها هي بمثابة موت أبدي[٣].

إذًا، فالموت عنصر مهم جدًّا من عناصر تكوين حياتنا، إذ يعطينا توترًا مستمرًا، بين ما هو كائن، وما ينبغي أن يكون، فهو ضروري لابد من وجوده، ولابد من فهمه واستيعابه؛ لنفهم الحياة ونستوعبها، ولذلك فالحياة نفسها عملية موت[٤].

إن صرخة الميلاد الأولى، هي الإعلان الأول للحياة، وبالوقت ذاته هي تأشيرة الشروع في طريق الموت والفناء، يقول «ريلكه» الشاعر: الإنسان كائن زمني ناضج للموت منذ ولادته، وهو معرَّض للسقوط دائمًا،

وفي كـــل لحظـــة، ويُضيف في مرثيته التاسعة قائلاً: نحن الأكثرون زوالاً، ويصف خروج الروح من البدن بقوله: كالندى من العشب الباكر.

يـــروح مـــا يخصـــنا مـــنا وكالحـــرارة من طعام ساخن(٥)

ومـــع أننا أعوان الحتوف على أنفسنا، وأنفسنا هي التي تسوقنا إلى المـــوت والفناء، كما يقول المبرِّد(٦)، فإنه لا رجاء لنا بالبقاء والدوام، ومع هـــذا يبقى الإنسان يواجه الموت مفجوعًا مرعوبًا، كأنه غير مصدِّق ذلك، لأن هذه الحقيقة مرفوضة عقلاً وعاطفة.

عـــندما مـــات توفيق قباني ابن الشاعر الكبير نزار قباني عام ١٩٧٣، واجـــه نـــزار الموت بالشعر، وهو سلاحه التقليدي المعتاد، لكنه انعطف نحو النـــثر، فالنـــثر كما يرى طه حسين هو أنسب وسيلة للاتصال مع الآخرين، وتنظيم الأفكار(٧). فكتب أربع مقالات من ذوب مهجته وألم روحه الملسوعة معـــنونة على التوالي: كان ولدي فصار ولدكم، وعن موت البجع والأطفال، وهل احترقَ بنار الشعر؟ وعيد ميلاد جرح.

وهـــذه المقالات هي التي أشعلت الرغبة في نفسي للشروع في كتابة هذا البحث، إذ كل ما يكتبه نزار قباني مثير، يدفع إلى الولوع به، بما يحويه من صدق وحيوية، تكاد تنفجر من ثنايا الحروف.

ونـــزار إذ يعمـــد للكتابة عن ابنه توفيق، فإنما يستعمل أفضل طريقة لاستحضاره، فهو لن يحرق البخور وخشب الصندل، ولن يستعمل فناجين القهوة، ولن يلجأ إلى وسطاء؛ لأنه لا يؤمن بالطرق البدائية القديمة، فمادام توفيـــق موجودًا في حروف الأبجدية، وما دام قادرًا على رؤيته وسماعه كلما فـــتح غطاء القلم، فسيواصل الكتابة، فهي الوسيلة الفضلى في استحضاره،

لأنـه كلما كتب سمع خُطا صوت توفيق على الورق، كما يركض أرنب بري بين سنابل القمح[٨].

يقول «غوته» : إن من يكتب النثر فإن لديه شيئًا يريد أن يقوله، ومن ليـس لديه شيء يقوله، فإنه لا يستطيع أن يكتب نثرًا، ويعلّق صلاح فضل على ذلك مؤيِّدًا قائلاً: إن النثر لا يهدف إلى شيء سوى التوصيل، ولذلك من الضروري أن يقول شيئًا، وذلك بعكس الشعر[٩]، فلماذا خرج نزار من ضيق الشعر إلى سعة النثر إن صحّ التعبير؟.

بين الشعر والنثر:

للشـعر بوجـه عام تأثير واضح في النفس أكبر من تأثير النثر، لكن يبقى في الشعر ظل النثر كما يقول أبو سليمان المنطقي، وفي النثر ظل الشعر ولولا ذلك لما حلا وطاب[١٠].

ويذهب أبو حيان التوحيدي إلى أن أحسن الكلام هو ما رقّ لفظه، ولطف معناه، وقامت صورته بين نظم كأنه نثر، ونثر كأنه نظم، دون قصر ذلك على شكل بعينه[١١].

إذًا فـليس للشعر فضيلة مطلقة على النثر لأنه شعر، بل إن كولردج يـرى أن القصيدة الشعرية تحتوي عناصر التأليف النثري، ولكن الاختلاف بيـنهما في ضم العناصر بعضها إلى بعض[١٢]، وليس الوزن في الشعر يصنع الشـعر كما قد يظن، فألفية ابن مالك في النحو، لا يمكن عدُّها شعرًا، وإن صامت وصلّت وزعمت أنها شعر!!

لقـد رفـض أرسطو من قبل تمييز الشعر عن النثر على أساس الوزن فقـط، فلئن صيغت أقوال المؤرّخ هيرودتس في أوزان فإنها تظل تاريخًا، أما

محاورات سقراط فهي شعر، أو هي أقرب للشعر، مع أنها نثر، ويعلّق الناقد «بوتشــر»، عـــلى رأي أرسطو بقوله: إن أرسطو كاد يُلغي دور الوزن في الشـــعر بتركيزه على الخصائص التخييلية؛ وذلك لأن للخصائص التخييلية دورًا مهمًّـــا في نقل التأثر، وسريان التأثير، حتى إن الأمر وصل بالمتكلمين الذيـــن همهـــم الإقناع والتأثير ، أن يقولوا عند سماعهم قصيدة جميلة، إنها تصـــلح أن تكون خطبة بليغة، ومن هنا، أباح حازم القرطاجني للشاعر أن يخطب في شعره، وللخطيب أن يشعر في خطبته(١٤).

فهل أخذ نزار قباني الشاعر بهذا المباح، فشعر في نثره ونثر في شعره؟ وكيف ينظر نزار إلى النثر؟

حقًّا، إنه ليخطر بالبال هذا السؤال، خصوصًا في حضرة شاعر بحجم نزار، ولكن نزارًا نفسه يبادرنا أولاً قائلاً: النثر امتحان للشاعر، بل فضيحته الكبرى، وقليل من الشعراء من كتبوا نثرًا جميلاً، ولكن ما يرضي غروري، هـــو حمـــاس الناس لنثري، حتى عدّه بعضهم أفضل من شعري(١٥) .وعن كتابته النثرية، ومقالاته الصحفية المبرمجة أسبوعيًّا، وهو أمر يُوحي بالتناقض بين انسياب الشعر، وافتعال الكتابة المبرمجة، أجاب:

من قال إنني أتخلى في نثري عن الشعر؟ إن مقالاتي الأسبوعية، تحمل كل زخم الشعر، وكل أسراره التكنيكية الصغيرة... إنني لا أكتب مقالات صحافية، وإنما أكتب قصائد صحافية(١٦).

ويُضيف نزار قباني في مناسبة أخرى قائلاً: عندما أكتب، تسقط الحدود بين الشـــعر وبين النثر، إنني في نثري السياسي لا أستطيع إلا أن أكون شاعرًا، ولقد خضتُ تجربة النثر على مخاطرها، لشعوري أن الشعر وحده غير قادر على

اللحاق بقطار التحولات السياسية الذي يشق الأرض العربية[١٧].

إن قطار التحولات العربية ليس مقصورًا على النواحي السياسية، فالتحولات في حياة الإنسان خاصها وعامها تحتاج في كثير من الأحيان إلى الترجل عن قطار الشعر، وامتطاء صهوة النثر لكن بشرط أن تكتب بانفعال، لأن الانفعال ألم مهمٌّ جدًّا في كل صور الكتابة وأشكالها، لكن ماهو أهمُّ من هذا المهم -كما يقول نزار - أن تقدِّم عرضًا مميِّزًا لانفعالك، وكل الذين لفتوا نظر الدنيا، هم من عرضوا عوالمهم الداخلية بطريقة متفردة استثنائية[١٨].

كل هذا لا يجري إلا عبر اللغة، فهي المسؤولة عن تحقيق هذا العرض المميِّز الاستثنائي، لأن خصوصية الكاتب تتجلى من خلالها، فهي مثل بصمة الأصابع، أو لون العينين، أو طول القامة. وعلى الكاتب لكي يحافظ على خصوصيته اللغوية، أن يكون دائم العناية بها، فهي مثل النبات، ومثل الإنسان، بحاجة دائمة إلى تهوية، وفتح أبواب، وهي بحاجة إلى أوكسجين يومي، وإلا اختنقت بثنائي أكسيد الكربون[١٩].

الكتابة عند نزار:

يقول رجاء عيد: الأداء اللغوي هو شطر الوجدان، ومجسِّد المشاعر[٢٠]، والفن في جوهره الصحيح تنفيس عن المشاعر، لكنه تنفيس منشِّط مثير، وما الفن من ثَمَّ إلا الوجدان متخذًا شكلاً جديدًا[٢١].

يقول نزار قباني الكتابة الحقيقية هي نقيض النسخ، ونقيض النقل، ونقيض المحاكاة الزنكوغرافية أو الطباعية[٢٢]. ولهذا، نبَّه نزار إلى أن ما كتبه كان اختصارًا لنبضه ونفسه وجهازه العصبي[٢٣].

وليست اللغة إشارة ثابتة للدلالة، فلو هي هكذا، لكانت خربة

متصـــدعة، ولكي نتجاوز هيمنة الدلالة وسيطرتها، فلابد من الإبداع كما يقول الغذامي[٢٤].

إنَّ الكـــتابة عـــند نزار هي الكتابة التي تبقى تُثير الدهشة، لَمّا كانت الدهشة تصبح عادة لا تُثير حماسة الناس وخيالهم، فإن على الكاتب أن يحافظ على تجدُّده بتحريك طفولة الناس وإلقائهم في بحر الانبهار والمفاجآت، حتى لا يـــبدأ الآخرون بالبحث عن كاتب آخر يحقِّق لهم كل ما يجعلهم يرتبطون به، ويلاحقونه باستمرار[٢٥].

وليس هذا الجديد كما يقول رولان بارت، «موضة»، بل هو قيمة، وكـــل لغة تصبح قديمة عندما تتكرر، ولابد من الهروب إلى الأمام للإفلات من التعبير المقولب[٢٦].

إنَّ نـــزارًا ليعـــي كل هذا، ويحس بما حوله، وهو يبدو خبيرًا بأدوات الكـــتابة طبيبًا، يقول مشخِّصًا طريقته في الكتابة: إننا لا نكتب كما يجب أن تكون الكتابة، بل نحن نمارس مجموعة من العادات الكتابية، كما أننا لا نقول الشعر وإنما نتذكر. ويواصل محلِّلاً سبب وجعنا الفكري، وإصابة بلاغتنا بفقر الـــدم، إلى أن ذاكرتـــنا ميكانيكية، وهي أشبه بعملية تعليب للأشياء، وكما تعلَّب اللحوم والأسماك بدرجات حرارة منخفضة[٢٧].

ولكي نستغني عن المعلَّبات أو المجمدات، يقترح نزار علينا أن نذهب دائمًـــا إلى الـــبحر، فهـــو مثلاً يجلس دائمًا على حافة الورقة ينتظر أسماكًا جديـــدة، فيصـــطاد أسماكًا مختلفة الألوان والأحجام، وهو لا يلتفت إلى ما يصـــطاده ويضعه في سلته، لأنه فقد عنصر الدهشة والإثارة[٢٨]، ولهذا فهو دائـــم البحث عن الجديد، متواصل التفتيش عن الإبداع، مولع بالبحث عن

ألوف الجمل الشعرية العذراء التي تنتظر من يكتبها[٢٩].

إنَّ الـــنص الأدبي الإبداعـــي، هو النص المتوثِّب المتحرك الذي يبدو بصـــورة مختلفة من أي زواياه نظرت إليه، إنه كما يقول رولان بارت قائمة مفتوحة من نيران اللغة فيه نار تتقد، وأضواء تتقاطع، وخطوط تسبح[٣٠].

ولهذا تهتم البلاغة الحديثة بجعل عالم الشعور والعواطف ميدانها، وإنَّ ما يجمع البلاغة والشعر هو الانحرافُ والابتعادُ عن المعيارية[٣١].

يقـــول صـــبحي البستاني: الكلام أو الكتابة ترتكز إما على صورة ويكـــون الشعر، أو الكتابة الفنية، وإما على التعبير المعياري فيكون النثر أو الكتابة العلمية، فهناك شعر وصورة، أو كتابة فنية وصورة، أو نثر، أو كتابة علمية. والكتابة الفنية هدفها الإيحاء، يقول عزرا باوند: من الأفضل أن تخلق صـــورة واحدة إيحائية في حياتك، على أن تكتب مؤلَّفات ضخمة[٣٢]، إن نزارًا ليؤمن أن الكلمة هي أول محاولة للرسم وهي أول تجربة صوتية عندما كـــان العالم مسكونًا بالصمت، وهي أول نجمة قبل اختراع الشمع، وهي أول وســـيلة اتصال قبل البريد والأقمار الصناعية، وإنَّ الكتاب المقدس قد جاء بشعار: في البدء كانت الكلمة[٣٣].

مقالات نزار قباني في رثاء ولده توفيق:

كمـــا ذكرتُ سابقًا، كتب نزار قباني أربع مقالات متتابعة، في رثاء ولده، وفَصَلَ أسبوعٌ واحد بين كل مقالة ومقالة من الثلاث الأُوَل وجاءت الـــرابعة بعـــد مرور سنة، وهي مقالات تُتيح رصد حالة الشاعر النفسية، وملاحظة درجة حرارته العاطفية، والتغيرات التي طرأت عليها[٣٤].

المقالـــة الأولى:

وهي بعنوان: (كان ولدي فصار ولدكم) ومذيَّلة بتاريخ ٣/ ٩/ ١٩٧٣ وفيهـــا يُعلن نزار موت ولده توفيق زمانًا ومكانًا بقوله: في العاشر من آب مات ابـــني توفيق في لندن، وبهذا يكون نزار قد ملك وعيه للكتابة بعد مرور حوالي أربعة وعشرين يومًا من موت ولده، وهي المسافة بين ١٠/ ٨- ٣/ ٩.

وفي هـــذه المقالة – والحدث مازال ساخنًا – يبدو نزار، على فجيعته المؤلمـــة، مستأنسًـــا بمـــا شاهده من مشاركة العرب عمومًا لـــه في أحزانه وآلامـــه، وهو أمر يرفع المعنويات مهما كانت الضربة موجعة، يقول: لقد انفـــتحت أبواب جميع البيوت في العالم العربي لتوفيق حال خروجه من بيت والده، وصار له آلاف الآباء والأمهات في هذا الوطن العظيم.

ففي دمشق أعطوه سريرًا، وفي لبنان، كتبوه على أكواز الصنوبر ودفاتر الثـــلج، وفي مصر، أهدوه أغلى ما في خان الخليلي من مصاحف، وفي بغداد أطعمـــوه المـــنَّ والســـلوى، وفي السعودية، لفوه بعباءة فيها شيء من أنفاس الرســـول ﷺ، وفي الســـودان قدَّمـــوا لـــه عروسًا بلون النحاس، وخشب الأبنوس، وفي الأردن، وضعوا حول عنقه طوقًا من ياسمين أريحا، وفي الكويت والبحرين أهداه صيادو اللؤلؤ أكبر لؤلؤة وجدوها في أعماق البحر.

إن هـــذا الـــذي رآه نزار وأحسّه، غيَّر فلسفته تجاه الموت فقد كان يتصور أن موت ابنه قضية خاصة بينه وبين ابنه –كما يقول –، لكن الذي حـــدث، كذَّبَ جميع تصوراته، لذلك صاح وهو في وسط اللهيب مُعجبًا بالموت قائلاً: ما أروع الموت بين العرب، ومع العرب، آه، ما أروع الانتماء إلى القبيـــلة، فلقد أعاده موت توفيق بدويًا مغرقًا، وردَّه إلى بني هاشم، وبني

تغلب، وبني مخزوم، وإلى كل أبناء العمومة والخؤولة الذين يقتسمون حياتك، ويقتسمون موتك، فهكذا يكون الموت، وليس كما هو في الغرب، إذ لا يعدو أن يكون إعلانًا مدفوع الأجر، والميت زجاجة حليب فارغة ملقاة في الشوارع الخلفية. نعم، لقد رأى نزار الموت شيئًا غير الذي كان يتصوره، فبدا له موت توفيق عرسًا أسطوريًّا شاركت فيه مآذن دمشق رافعة أعناقها لترى توفيق، وأسرعت حمائم الجامع الأموي بفرش أجنحتها تحت رأسه، وركضت أشجار الورد الجوري في غوطة دمشق حافية لتعانق هذا الميت.

إن نزارًا، على عمق الجرح، ليبدو مستريحًا لكل هذا الذي رآه؛ فمشاركة الناس للناس تخفّف من حدة المصاب وتحدُّ من هيجانه.

المقالة الثانية:

وهي بعنوان «عن موت البجع والأطفال» ، وتحمل تاريخ ١٠/ ٩/ ١٩٧٣، ويفصل بينها وبين المقالة الأولى أسبوع واحد، وهي المسافة بين ٣/ ٩ – ١٠/ ٩ ومازال نزار قباني – كما يبدو – يحتفظ بنَفَسٍ استطاع من خلاله أن يتحدث حديثًا متماسكًا عن الموت، وكان لديه القدرة على أن يواجه الموت الذي أخذ ابنه، ويدقّق في ملامحه وتقاطيعه، فهو موجود في قرية « لوتون» شماليّ بريطانيا – حيث مات توفيق –، وقد رآه نزار يلبس معطفًا داكنًا، ويتنقل بعربته في حقول الريف البريطاني، جامعًا الأزهار النادرة، مصطادًا الأسماك الفريدة، داعيًا الأطفال إلى نزهة صباحية في غابات المنطقة، وعلى ضفاف بحيراتها، لقد ركب توفيق معه، ولبى نداءه، واستجاب لإغراءاته.

إن نزارًا يُفلسِف موت الأطفال، ولديه قدرة على القصّ والتخيل، فلقد تذكّر بعضًا من ماضيه مع توفيق، لكنه ختم مقالته بما يُوحي بأن

أعصابه بدأت تفقد قدرتها على التحمل، حيث وصف الإيمان بالله بأنه حبة الفاليوم الوحيدة، التي نلجأ إليها لنقهر مواجعنا.

المقالـــة الثالثة:

وهـــي بعـــنوان: «هل احترق بنار الشعر؟»، مذيلةً بتاريخ ١٧/ ٩/ ١٩٧٣، ويفصـــل بينها وبين المقالة السابقة أسبوع واحد، وهي المسافة بين ١٠/ ٩ إلى ١٧/ ٩ وعـــنوان المقال كما هو واضح، سؤال حائر عن سبب موت ابنه، ويحمل في ثناياه ملامح تعب وإنهاك عصبي غير خفي، إذ ذهب لتعـــليل موت ابنه إلى سبب وراثي، وهو أنه احترق بنار الشعر مثل والده، لأن الشـــعر مهنة الاحتراق والأحزان، وبسبب من أن درجة حرارة نزار لم تنزل عن الأربعين منذ خمس وعشرين سنة، وأن قلبه يأخذ كل دقيقة شكلاً وهو ما أعطاه لابنه، فهو مسؤول عن موت ولده!! لقد وصل نزار في هذه الحالة - بعد نحو خمسين يومًا من موت ابنه - درجةً بالغةً من التأثر والمعاناة والاحـــتراق الداخـــلي، وعـــدم القدرة على التحمل، فبدأ مقالته معتذرًا لجمهوره عن تقديمه خبز الأحزان لهم للمرة الثالثة، لأنه لا يجد من يبيع خبز الأفراح، فكل مخابز بيروت لا تبيع إلا خبز الأحزان.

حقًا، لقد وصل نزار في هذه المقالة حالةً صعبة من المعاناة، حاول من خلالها إلغاء حواسّه الخمس بطريقة كيماوية مستعملاً حبّات الفاليوم، كما حاول أن يختم أبواب ذاكرته بالشمع الأحمر، ويوصدها أمام عصافير الماضي التي تَنْقُرُها بمناقيرها الشرسة.

في هـــذه المقالة، سقط نزار صريع الاكتئاب، أسير الذكرى، وظهر منهارًا، وأعلن عجزه عن نسيان توفيق قائلاً: لقد كان نخلة عمري، فكيف

يستطيع الفاليوم قطع شجر النخل؟!، وعندما استبدل الليبريوم بالفاليوم، نزولاً عند رغبة الأطباء؛ ليرشوا به ذاكرته لتنسى توفيقًا، كان توفيق يخرج مع كل حبة كما تخرج اللؤلؤة من محارتها!.

لقد اعترف نزار قباني في هذه المقالة بأن جهازه العصبي قد أصابه العطب، وأن الأطباء الذين يفحصونه يتجاهلون ذلك، فهم يتعاملون معه كشجرة، يفحصون جذعه، وأغصانه، دون أن يتذكروا جهازه العصبي، وغدد الدمع المخبوءة في عيون الشجر، معتقدين أن الأشجار لا تتوجع لفراق عصافيرها المهاجرة أول الخريف كما قال.

المقالة الرابعة:

وهي بعنوان: «عيد ميلاد جرح»، ويحمل تاريخ ١٢/ ٨/ ١٩٧٤ وهو – كما هو واضح – بمناسبة مرور عام على موت ولده توفيق، وهي المسافة بين ١٠/ ٨/ ١٩٧٣ و١٢/ ٨/ ١٩٧٤.

يطلُّ نزار قباني بعد عام من الحزن العارم منهوكًا معنًّى، قد شفّه الوجد وأضناه الحنين. وليس الحزن –كما يقول – إلا سنونو سوداء، تعشش على شواطئ العين، ومدخل القلب، ولها ذاكرتها القوية، على حينِ الفرحُ عصفورٌ من زجاج، لا يلبث إن ارتفع أن يخرّ متهشّمًا. ولأنّ ذاكرة الحزن قويةً، فإن كل شيء يذكّره بتوفيق، فهذا سريره يذكّر به، وهذه «دشداشته»، وهذه أقلامه، وهذه سيارته، وهذا توفيق يطلُّ يوميًا مع كل ورقة من أوراق «الرزنامة».

يطرح نزار قباني في هذا المقال تساؤلات جديدة حول موت توفيق، فبعد أن عيل صبره، وفقد اليقين، لجأ إلى الظنون والافتراضات، فهو يقدِّر

أنّ سمكــةً بحــريةً ابتــلعت توفيقًا، أو ربما نطحه وعْل بريّ فمات شهيدًا كــأدونيس، بل ربّما أخذته الغابة بعدما حسبته شجرة، أو أن توفيقًا سقط في بــئر عميقــة، وباعته إحدى القوافل لفرعون مصر، واختار الذهاب مع امــرأة العزيز، وفي النهاية يُعلن نزار ضياع توفيق، ويُعلن أوصافه، وبالوقت ذاته، يُعلن اعتذار المحقّقين من عدم العثور عليه.

أخيرًا يتــلقى نزار مكالمة من عصفور يخبره فيها أنه شاهد ثياب توفيق معلّقة على شجرة من أشجار القمر، فتوفيق في السماء، في ضيافة الله، يلعب في حدائقه، وينام في بساتينه وهكذا يخرج نزار من ضياعه، بالاستسلام لإرادة الله، وبهذا يُعلن راحته، وطمأنينته، وهذا هو المخرج الطبيعي، فلو وكّل الناس بالجزع للجؤوا إلى الصبر، ومن أحبَّ البقاء فليوطّن نفسه على المصائب(٣٥).

الصورة ومجالاتها في مقالات نزار:

الصــورة كما يراها جابر عصفور، مظهر من مظاهر الفاعلية الخلاّقة بين اللغة والفكر(٣٦)، وقديمًا قال سقراط: تكلّم يا ولدي حتى أراك(٣٧).

فالــلغة صورة مبدعة، ومن خلالها تتحقق الخصوصية لصاحبها، كما أنها لغة الحواس والشعور المثقلة بالحالات النفسية والشعورية عند المرء(٣٨).

ويُجمــع النُّقاد على أنّ الصورة هي أرقى أدوات التعبير، وليس هذا أمرًا محصورًا بالشعر والشاعر، بل إنّ الفن عمومًا تفكير بالصور كما يقول بليسكي الروسي(٣٩).

وتعدُّ الصورة الفنية الجميلة بابًا واسعًا للإيحاء والإلهام، والعمل الفني الناجح هو الذي يضم مجموعة من الصور، بحيث تكون نواة مئة قصيدة كما يقول عزرا باوند(٤٠).

ولعــل هذا يعبّر تعبيرًا مباشرًا عن اتساع معنى الصورة، وانفساح عالم المعــنى فيها، بحيث تصبح حلاً لمشكلة ضيق الثروة اللغوية، وتفوّقًا على اللغة، وتــأكيدًا لفكــرة أنّ مــا تدركه الروح يعجز عنه العقل(٤١)، ومن هنا جاء تعريف روبير روفيردي لها بأنها إبداع خالص للروح(٤٢).

إنّ من غير المعتاد أن تكون الصورة في النثر موضوعًا عاديًا في الأبحاث والدراســات، فالصــورة وأبحاثها مرتبطة بالشعر لأنها أقرب إليه، وألصق به. ولقد احتار النقد التقليدي في الكلام غير الموزون المشتمل على عناصر الشعر فسماه أسماء عديدة منها: النثر الشعري، والنثر الفني، والفني الجميل، والعطاء الجميــل(٤٣). وبســبب من أنّ لغة الفن عمومًا لغة انفعالية، وأن الانفعال لا يتوســل بالكــلمة بل بالصورة؛ فإن لكل الصور أن تلتقي في إطار الصورة الشعرية(٤٤)، ضمن شرطين هما: العاطفة، والتعبير عن انفعال(٤٥).

ويشهد نزار لنفسه بأن كل ما يكتبه إنما يجري بانفعال كامل، وأنه لم ينشر أي عمل أدبي يخبئ تحت ملابسه الداخلية نصف الحقيقة(٤٦).

ثم إن الكــتابة عــند نزار مادة حسَّاسة جدًا، مثل أفلام التصوير، نطبع عــليها تفاصــيل حياتــنا العائــلية والعاطفية والقومية، لذلك علينا أن نراعي «الإضــاءة» ، «ومــدى الرؤية». وإذا تحدَّثنا عن الكتابة عنده، فإننا نعني الشعر والنــثر عــنده، فهو دائمًا يحمل حقيبة الشعر ومَزَادَة الخيال، وصندوق الألوان حيثما ذهب وأينما حل، لأنّ الشعر جزء حقيقي منه، وليس رداءً قابلاً للخلع.

يقول شاكر النابلسي: إن إنتاج نزار قباني الشعري والنثري، يقف في هــذا الــزمان – وربّما وحده – منافسًا قويًا للإنتاج السينمائي والتلفزيّ، وهــذه ظاهرة جديرة بالتأمل، وهي دلالة علىأنّ الكلمة المكتوبة في مواقع

معيــنة، وظــروف معينة، قادرة على الوقوف بقوة وعناد في وجه الكلمة المبثوثة والمصورة، وإنّ دواوين نزار برغم الفيديو والتلفزة، تُوزَّع على نطاق واسع، وتُتبادل كهدايا(٤٨).

مجالات الصورة:

الموت مؤثِّر نفسي يدخل في تشكيل الصورة، ويتفق كثيرون على أنّ الموت واحد من أهم المواضيع التي تدفع لابتداع الصورة المؤثرة التي تجري في عــروقها دماء العاطفة وتسري في شرايينها جذوة الانفعال، فكيف إذا كان الميت ابنًا لشاعر، وكان الشاعر نزارًا ! فلقد أدار نزار في هذه المقالة عدسة تصويره على أربعة جوانب هي:

- صورة الموت - صورة توفيق - صورة المكان وعناصره - صور متفرقة

- صورة الموت:

واضــح أنّ مـــا رآه نزار من تفاعل الناس معه في مصيبته، قد دفعه إلى تشــبيه مـــوت توفيـــق بعرس حافل شهدته دمشق، فقد كان يظن الموت عند العـــرب كالموت عند الإنكليز، إذ لا يعدو الموت عند الإنكليز أن يكون إعلانًا مدفـــوع الأجر، والميت زجاجة حليب فارغة ملقاة في الشوارع الخلفية، وهم يتفرجون على دموعنا كما يتفرجون على نوافير الماء في البكاديلي سيركس.

لقـــد بدا نزار في هذه المقالة منضبط الانفعال، قادرًا على تأويل موت ابنه بهدوء، فالموت امرأة خطفت توفيقًا، وأدخلته إلى غرفة نومها التي ستائرها من غمام، وشراشفها غمام، ومخداتها من غمام، وتستحم معه في مياه سحب بنفسجية.

لجأ نزار إلى توضيح صورة الموت عبر أسلوب القصة، فالموت حوذي يلبس معطفًا داكنًا، وهو يتنقل في حقول الريف البريطاني بعربته التي يجرها

حصان طويل العنق، ذهبي الحوافر، يجمع الأزهار النادرة، ويصطاد الأسماك الغريبة، ويدعو الأطفال إلى نزهة صباحية.

وهو إنما يلجأ إلى هذا الأسلوب، ليوضّح أنّ الموت مخادع يُغري الأطفال بالأشياء الجميلة الغريبة التي يجمعها، فيتعلّقون به، فيأخذهم بعيدًا ليودي بهم.

وفي لقطة أخرى، أظهر نزار الموت نهرًا جارفًا، لا يعطينا فرصة الرفض والاحتجاج.

تطغى على صورة موت الأطفال مسحة من الرفق والإشفاق، تستمد روحها من عاطفة أبوة رقيقة رفيقة مشفقة، فموت الأطفال مثل موت السجع الأبيض، ومثل موت النجوم، ومثل موت الأسماك الملونة في أوانيها البلورية، علمًا أنّ موت الأسماك مأساة لا يحتملها البحر، كما أنّ موت الأطفال يخلع النفس، ويُطفئ قرص الشمس.

– صور توفيق قبل موته:

وفي هذه الصور «زهو» والد مجروح، يتذكر الماضي بكبرياء وشموخ، فتوفيق كان أميرًا دمشقيًا جميلاً يوسفي الهيئة، وكان طويلاً كالزرافة، وعالي الرأس كصواري المراكب، وكان إذا مشى تتبعه أزهار اللوتس، وشقائق النعمان، وغزالات الصحراء، وكان توفيق في حياته كرمح محارب روماني قديم، وكان شامخ الرأس كغمامة، وهادئًا كوجه حكيم إغريقي.

وإن الدمعة لتتراءى رقراقة من عيني نزار حين وصفه بأنه كان شفافًا كالدمعة، كما تطل اللهفة والحسرة على توفيق حين وصف توقُّف قلبه عن العمل كما يتوقف طائر النورس عن الضرب، وهو على بُعدِ خطوتين من

الشـــمس، إنّـــه حزن والد كان يحلم بمستقبل باهر لولده الذي يقف على مشارف التخرج في تخصص الطب.

– صورة توفيق غائبًا عن مكان إقامته في بيت والده:

لم يحسب نزار غياب توفيق عن البيت بالسنوات، بل بالأيام، فقال: بعـــد ثلاثمئة وخمس وستين ليلة من خروج توفيق من أوراق الرزنامة، يحتفل الجرح بعيد ميلاده، تشاركه الدمعة على الخدّ، والخنجر مغروزًا في الخاصرة.

– صور المكان وعناصره وموجوداته:

يقـــول جابر عصفور: إنّ أهمية الصورة تأتي من طريقتها الخاصة في تقـــديم المعـــنى، وتأثيرها في المتَلَقّي، ذلك التأثير الذي يتجاوز المتعة الذهنية الخالصة ليثير انفعالات المتلقي بطريقة خاصة(٤٩).

فلقد أعطى نزار قباني الواقع هنا وجهًا جديدًا، بحيث فك عنه الجمود وحرّكه وأدار فيه الدماء الحارة والمشاعر اللاهبة وأسقط عليه وجدانه، وما يـــدور في ذاته من عواطف، فأثار فينا كوامن الدهشة والإحساس بالجمال؛ فها هي مآذن المساجد الدمشقية السامقة ترفع أعناقها لترى ابنه توفيقًا وهو صاعد إلى السماء، إنها صورة دينية رائعة، تعلوها مسحة من الرحمة والبركة والعطف والحنان الإلهي، ورثتها من رمزية المسجد.

لقد أبدع نزار أيضًا حين صوَّر حمائم المسجد الأموي تفرش أجنحتها البيضـــاء تحت رأس ابنه الميت بكل رقة وهدوء ولطف وصفاء، إنها صورة مـــترعة بالحـــنو والطهـــر، والوداعة، والأصالة المستمدة من رمزية الجامع الأموي، وحمائمه.

وتبلغ عاطفة نزار أوجها، بما يكشف عن مدى الذهول الذي ينتابه،

حين عمد إلى تصوير أشجار الورد البلدي في غوطة الشام تُهرع حافية الأقدام، (مبديةً بُراها كما العُقْلَة العذراء)، تاركة بساتينها، تسعى وراء توفيق لتعانقه، وتروّي غليلها المعتق، والصورة كما يقول نعيم اليافي تتضمن اهتمامات الشخص، ووجهة نظره، ورغباته، ومشاعره(٥٠).

لقد شاء نزار أن يُشيِّعَ العصافير ابنه بكل ما في الصورة من براءة؛ فقد رافقت كل العصافير من أجياله، الطائرةَ التي تحمل جثمانه، وهي تنزل... تنزل... تنزل، كالدمعة على خدّ دمشق.

وأخيرًا، تجمَّعت كل الأشياء المتعلقة بتوفيق، تسأل عن غيابه وغربته، فها هي نظارته تسأل عنه، وسيارته، والمصحف المعلّق فيها يسألان عنه، بل إنّ سيارته، لشدة شوقها إليه، تموء عند منتصف الليل، كما تموء قطة مفطومة عن الحليب، ولا عجب في ذلك، فالحديد يبكي، وهياكل السيارات تعاني العشق كما يرى نزار.

يقول عبد الغفار مكاوي: « إنّ قوة الصورة الناتجة عن بعض التشبيهات الجريئة، تشبه التأثير الناتج عن الظلال والألوان، والأضواء على لوحة الرسام»(٥١).

صور متفرقة:

– تناثرت صور شتى في مقالات نزار لا يمكن تجاوزها بسهولة فهي تفسِّر أشياء كثيرة ضمن موضوع المقالات العام منها:

– صورة الحزن: الحزن سنونو سوداء، لها أولاد، وتعشش على شواطئ العين، ومداخل القلب رافضة الرحيل، يا لذاكرة الحزن كم هي قوية!

– صورة الفرح: الفرح عصفور زجاجي، يرتفع عن الأرض عشرة أمتار، ثم يقع ساقطًا متهشّمًا على الأرض.

لقد تهشّم قلب نزار كما العصفور الزجاجي الذي رسمه، فلم يلبث أن سقط مُفتّت الأجزاء متناثرًا هنا وهناك، لكن نزارًا انتهى في هذه المقالة مؤمنًا، قد أسلم أمره إلى الله الذي هو أعلى سلطة قضائية تُرفع لها الشكاوي، فتوفيق يُقـيم في السـماء، يلعب في حدائق الله، وينام في بساتينه، إنه في ضيافة الله، يقـول شوبنهور[٥٢]: «الفن يُحرِّرنا من قيود الزمان والمكان، إنّه خلاص، وبه استطاع نزار أن يصل إلى منطقة مريحة إلى حدٍ ما. وبعد هذا، هل يحق لنا أن نسأل أنفسنا أنتعامل مع نثر أم شعر؟ وهل الصورة الفنية محصورة على الشعر وفي الشعر؟

يقـول صـبحي البستاني: «إنّ الصورة الشعرية هي التي تظهر في الكتابة الفنية، بقطع النظر عن التقسيم التقليدي للنثر والشعر»[٥٣].

وحتى تكون الصورة ناجحة تمامًا، لابد أن تكون مشحونةً بالإحساس والعاطفـة، وما لم تضع قلبك في الصورة، فإنها تأتي رديئة شوهاء، كما يقول سيسـل دي لويـس[٥٤]، فكيف بها إذا كانت نابعة من قلبٍ فقد قَلبَه وكان الفاقد نزارًا وكان المفقود ابنه توفيقًا!!.

- صورة قلب نزار:

أوَّل نزار موت توفيق تأويلاً متعلقًا بقوانين الوراثة الشعرية، وتأثير الشعر في الـتركيب العضوي لأولاد الشاعر، فالشعر مهنة الاحتراق والأحزان، ونزار يكـتب الشـعر منذ خمسة وعشرين عامًا مبتلعًا الأسياخ المشتعلة على طريقة الهـندوس، ثم إن حـرارة عواطفه لم تنزل عن الأربعين، أما قلبه فإنّه يأخذ كل دقيقة شكلاً؛ فهو مرة بحجم البرتقالة، وأخرى مثل كوز الصنوبر، وثالثة بحجم فلسـطين، وهذه «الغمزة السياسية»، تعطي الصورة جوًّا خاصًا يركّز على الهم

العـــربي العـــام الـــذي يأكل قلوب الجميع، فهل هو مسؤول عن هذا القلب المعطوب الذي أورثه لابنه، وهل هو مشترك في قتل ولده؟

– صور ذكريات نزار والمحاولات المُخفقة في صدِّها:

يعيـــش نـــزار الذكـــرى وسواسًا مؤرِّقًا، تسيطر عليه، وتمتلك لبه وإحساســـه، وتطبق على أعصابه عصافير شرسة المناقير كما يقول، ويحاول النسيان فيُخفِق، ويستخدم نزار الشمع الأحمر لقفل أبواب ذاكرته فيُخفِق، حيـــث يخرج ولدُه توفيق مع كل حبة ليبريوم، يطلّ متحديًّا بعد أن أخفق الفاليوم، وأنواع المهدّئات الأخرى.

– صورة مقالات نزار التي كتبها بهذه المناسبة المؤلمة:

يعتذر نزار من تقديمه للناس خبز الأحزان، وهو الذي اعتاد أن يقدِّم لهم فطائر محشوة بالفرح، ولكن مخابز بيروت لا تبيع إلا خبز الأحزان.

وهكـــذا يُطبق الاكتئاب على نزار ويتمكن منه الحزن، فلم يعد يرى إلا الألوان القاتمة السوداء.

– صورة الحياة والناس:

وهي صورة تقليدية عادية، ليس فيها ما يُثير، فالحياة كما يراها نزار مسرح، والناس دمىً في مسرح العرائس، تحرّكها يد المخرج كيف تشاء، ومتى تشاء.

الخاتمـــة:

رثاء الأبناء موضوع مؤجِّج حارق، يذيب الفوارق، ويتجاوز حدود الأشـــياء، وتشـــتد هذه الصفات تجليًا عندما يكون الراثي شاعرًا مثل نزار، والمرثي فلذة كبده.

لقد مرَّ على هذه المقالات أكثر من ثلاثين عامًا، وهي لم تزل مؤتلقة

تـــتوهج حزنًا «فوسفوريًّا»، نزاريًّا، ولا عجب في ذلك؛ فنزار قباني شاعر قادر على شحن الكلمة، وتعبئتها بطاقةٍ خاصة، وهو شاعر مُبهر في شعره، وناثـــر مبهر في نثره، نثره شعر، وشعره نثر، ولا إفلات من سطوة الجمال الذي يصوغه نزار، نزار الذي ملأ الدنيا، وشغل الناس.

المراجـــع

١- ما هو الشعر، نزار قباني، منشورات نزار قباني، ط١، ١٩٨١: ص (٥٤- ٥٩) ولمزيد عن حياة نزار انظر كتاب قراءة في أدب نزار، يحيى محمد لحلح منشورات علاء الدين ط١، ٢٠٠١، وكتاب نزار قباني شاعر المرأة والسياسة، نبيل أبو علي مكتبة مدبولي، القاهرة.

٢- الكتابة عمل انقلابي، نزار قباني، منشورات نزار قباني، ط١، ١٩٧٨: ص: (٥٢ - ٦٨).

٣- مشكلة الحياة، زكريا إبرهيم، دار مصر للطباعة، بدون طبعة، أو تاريخ، ص: (٢١٥).

٤- للمرجع السابق: ص (٢٧).

٥- مجلة الباحث، عدد ٧، تموز، ١٩٧٩، ص (١٠٨ ، ١٠٩).

٦- التعازي والمراثي، المبرد، تحقيق الديباجي، مطبعة زيد ثابت، دمشق، ص: (٤٥).

٧- من حديث الشعر والنثر، طه حسين، دار المعارف، مصر، ط١٠، ١٩٦٩، ص: (٢٢- ٢٣).

٨- الكتابة عمل انقلابي، نزار قباني، ص: (٦٣).

٩- نظرية البنائية في النقد الأدبي، صلاح فضل، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٢، ص: (٥٣ - ٥٦).

١٠- المقابسات، أبو حيان التوحيدي، تحقيق حسن السندوبي، دار سعاد الصباح، ط٢، ١٩٩٢، ص:(٢٤٥ – ٢٤٦).

١١- الإمتاع والمؤانسة، أبو حيان التوحيدي، تحقيق أحمد أمين وزميله، دار مكتبة الحياة، بيروت، ج٢، ص:(١٤٥).

١٢- الصورة والبناء الشعري، محمد حسن عبد الله، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١، ص: (٦٣- ٦٤).

١٣- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، جابر عصفور، مركز الثقافة العربي، بدون تاريخ، ص: (٨٤، ١٤٠).

١٤- المرجع السابق، ص: (١٠٢).

١٥- ما هو الشعر، نزار قباني، ص: (٢٠١).

١٦- المرجع السابق، ص: (١٥٩).

١٧- المرجع السابق، ص: (١٩٩- ٢٠٠).

١٨- المرجع السابق، ص: (١٢٣).

١٩- المرجع السابق، ص: (٩٤، ٩٥، ١٨٦).

٢٠- مداخل لتحليل النص الأدبي، إشراف عز الدين إسماعيل، مطابع المنار العربي، الجيزة، ط١، ١٩٩٩، ص: (٥، ٨).

٢١- معنى الفن، هربرت ريد، ترجمة سامي خشبة، دار الكتاب العربي، القاهرة، ص: (٥٥).

٢٢- الكتابة عمل انقلابي، نزار قباني، ص: (٨).

٢٣- ما هو الشعر، نزار قباني، ص: (٢٥).

٢٤- مداخل لتحليل النص الأدبي، إشراف عز الدين إسماعيل، ص: (٨).

٢٥- الكتابة عمل انقلابي، نزار قباني، ص:(٨).

٢٦- لذة النص، رولان بارت، ترجمة فؤاد صفا، دار توبقال البيضاء، ط١، ١٩٨٨، ص: (٤٤).

٢٧- الكتابة عمل انقلابي، نزار قباني، ص: (١٠- ١١).

٢٨- ما هو الشعر، نزار قباني، ص: (٣٠-٣١).

٢٩- المرجع السابق، ص:(١٢٢).

٣٠- لذة النص، رولان بارت، ص: (٢٥).

٣١- الصورة الشعرية في الكتابة الفنية، صبحي البستاني، دار الفكر اللبناني، ط١، ١٩٨٦، ص: (١٨).

٣٢- المرجع السابق، ص: (٣٢).

٣٣- الأعمال النثرية الكاملة، نزار قباني، منشورات نزار قباني، ط٢، ١٩٩٩، ج ٢، ص: (٣٥٥- ٣٥٦- ٢٩٤).

٣٤- الكتابة عمل انقلابي، نزار قباني، ص: (٥٤ — ٧٠).

٣٥- التعازي والمراثي، المبرد، ص:(٩).

٣٦- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، جابر عصفور، ص: (٣٢٩).

٣٧- الضوء واللعبة، شاكر النابلسي، المؤسسة العربية للدراسات، ط١، ١٩٨٦، ص: (٥٢١).

٣٨- الصورة الشعرية في الكتابة الفنية، صبحي البستاني، ص:(١٠).

٣٩- الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي، الولي محمد، المركز الثقافي العربي — بيروت، ط١ ص: (٨).

٤٠- قصيدة وصورة، عبد الغفار مكاوي، عالم المعرفة، عدد ١١٩، الكويت، ١٩٨٧، ص: (٧).

٤١- الصورة الشعرية واستيحاء الألوان، يوسف نوفل، دار الاتحاد العربي، ط١، ١٩٨٥، ص: (٢٢- ٢٣).

٤٢- الصورة الأدبية، فرانسو مورو، ترجمة علي نجيب إبراهيم، دار الينابيع، دمشق، ١٩٩٥، ص: (٨٥- ٨٦).

٤٣- الحداثة في النقد الأدبي المعاصر، عبد المجيد زراقط، دار الحرف اللبناني، ط١، ١٩٩١، ص: (١٢٣١).

٤٤- الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي، الولي محمد، ص: (١٠).

٤٥- الصورة والبناء الشعري، محمد حسن عبد الله، ص: (٢٩).

٤٦- الكتابة عمل انقلابي، نزار قباني، ص: (٧٥).

٤٧- ما هو الشعر، نزار قباني، ص: (١٦- ١٧).

٤٨- الضوء واللعبة، شاكر النابلسي، ص: (١٤- ١٥).

٤٩- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، جابر عصفور، ص: (١٣٢٨).

٥٠- تطور الصورة الفنية في الشعر الحديث، نعيم اليافي، منشورات اتحاد الكتاب العربي، بدون تاريخ، ص: (٤٥).

٥١- قصيدة وصورة، عبد الغفار مكاوي، ص: (١٨).

٥٢- القيم الأخلاقية، سامية عبد الرحمن، النهضة المصرية، ط١، ١٩٩٢، ص: (١٠٢- ١٠٣).

٥٣- الصورة الشعرية في الكتابة الفنية، صبحي البستاني، ص: (٣٢).

٥٤- الصورة الشعرية، سيسيل دي لويس، ترجمة أحمد الجنابي، وزارة الثقافة العراقية، ١٩٨٢، ص: (٢٣، ٥٠).

معجم مصطلحات الصيدلة والعقاقير

في كتاب القانون لابن سينا

(القسم الثالث والعشرون)(*)

د . وفاء تقي الدين

ثَمَرٌ•

ثمر، ثمرة، ثمار، ثمرات	١: ٩٧، ٢٣٨، ٢٦٧، ٢٨٨، ٣٠٢ ٣٠٨، ٣١٢، ٣١٤، ٣٢٧، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٤٣، ٣٦٩، ٣٧٧، ٣٩٩، ٤٠٥/ ٢: ٢٣٤، ٢٥٦/ ٣: ١٠٨، ١٥٣
ثمرة الإذخر	انظر اذخر، وانظر كل الثمار التالية في اسم أصلها:

(*) نُشرت الأقسام الاثنان و العشرون السابقة في مجلة المجمع (مج٦٧: ص٧٤، ٤٢٨) و (مج ٦٩: ص ٣٤١، ٥٢٥) و (مج ٧٠: ص٧٥، ٣٠٢) و (مج ٧١: ص ٣٠٩، ٦٠٣) و (مج ٧٢: ص ١١٧، ٣٢٣، ٧٤٧) و (مج٧٣: ص ١١٧) و (مج ٧٥: ص ١٥٣) و (مج ٧٦: ص ١٣٥، ٦١١) و (مج ٧٧: ص٥٢٥) ومج (٧٩: ص٧١، ٣٣٣ ، ٦٢٥، ٨٣٧) ،و مج (٨٠: ١٦١، ٣٩١).

• ما لايسع الطبيب جهله ١٣٧، وحديقة الأزهار ٣٠٤ (٣٣٣)، والكليات ٢: ١٢٢، ١٣١، ومعجم الألفاظ الزراعية ٢٨٩، ومعجمات اللغة (ثمر).

ثمرة أربعى، ثمرة أردقياني، ثمرة أريوعيون، ثمرة الأزاذ درخت، ثمرة الآس، ثمرة أفيوس، ثمرة أقاقيا، ثمرة البان، ثمرة البطم، ثمرة البلوط، ثمرة البنج، ثمرة بنجنكشت، ثمرة التنوب، ثمرة التوت، ثمرة الثيل، ثمرة الجاوشير، ثمرة الجميز، ثمرة جنطيانا، ثمرة حب السمنة (انظر حب السمنة)، ثمرة الحسك، ثمرة الحور، ثمرة الحضحض، ثمرة الخربق، ثمرة الخشخاش، ثمرة الخرنوب، ثمرة الخروع، ثمرة الخلاف، ثمرة الخنثى، ثمرة الدفلى، ثمرة الدلب، ثمرة الدوسر، ثمرة الرمان، ثمرة الزيتون، ثمرة السرو، ثمرة السريش، ثمرة سيساليوس، ثمرة شجرة الدوم، ثمر شجرة الزعرور، ثمرة شجرة الشربين، ثمرة الشلجم، ثمرة الشهدانج، ثمر الشوكة المصرية، ثمرة طراغيون، ثمرة الطرفاء، ثمرة العرعر، ثمرة العسف، ثمرة العليق، ثمرة عالوسيس، ثمرة عنب الثعلب، ثمرة العوسج، ثمرة الغار، ثمرة الغرب، ثمرة الفاشرا، ثمرة الفلفل، ثمرة الفنجنكشت (انظر بنجنكشت)، ثمرة فورباساس، ثمرة فوة الصباغين، ثمرة فيلزهرج، ثمرة قارالتول، ثمرة قثاء الحمار، ثمرة القراسيا، ثمرة القرطم، ثمرة القرظ، ثمرة قنطوريون، ثمرة الكبر، ثمرة الكرفس، ثمرة الكرم، ثمرة الكندر، ثمرة اللبخ، ثمرة لسان الحمل، ثمرة اللوف، ثمرة ليموسون، ثمرة الماهودانة، ثمرة مايح، ثمرة مران، ثمرة النيل، ثمرة هزارجشان، ثمرة هيوفاريقون، ثمرة اليتوع، ثمرة الينبوت.

ذكرت كل ثمرة مع نباتها كما فعل ابن سينا الذي لم يُفرد الثمر بالتعريف، على حين فعل هذا بعض مصنفي كتب الطب مثل ابن الكتبي الذي قال: «الثمر حمل كل نبتة سواء أكلت أم لم تؤكل غذاء أو دواء .. وقد يختص بها حمل الأشجار ..» وممن أيدوا هذا التخصيص، الغساني الوزير الذي قال في

حديقة الأزهار: «ثمر: يقع على ثمر كل شجرة تثمر. ولا يُقال للبزر ثمر، وإنما يُقال بزر لكل ما يبزر كالبقل. فالشجر يثمر. والبقل يبزر». وفي معجمات اللغة تخصيص آخر؛ جاء في تاج العروس: «الثمر محركة حمل الشجر وأنواع المال .. ويقع الثمر على كل الثمار، ويغلب على ثمر النخل ..» قلت: والذي لاحظته من دراستي للقانون أن ابن سينا يستعمل الثمر بالمفهوم الواسع.

والتعريف العلمي الحديث للثمر هو كما جاء في معجم الشهابي «مايحصل من تحول المدقة أو المبيض بعد الإلقاح».

والثمر اسم للجنس، والواحدة ثَمَرة وثَمُرة حكاها سيبويه. والجمع ثمار وثمرات وجمع الجمع ثُمُر وأثمار، لم يرد أي منهما في القانون.

ثُومٌ•

ثوم، ثومة   ١: ٨٠، ٩٧، ١٦٣، ١٦٨، ١٧٥، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٥، ١٨٦، ٢٢٤، ٣٠٣، ٣٦٣، ٣٧٩، ٤٣٣، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥٥
٢: ٢١، ٢٤، ٢٧، ٣٣، ٨٢، ١١٢،

• كتاب ديسقُوريدس ٢١٠ (صقردن)، ٢١١ (سقردفرانسن)، والحاوي ٢٠: ٢١٤/ ٢٢: ١٤٢ (ثوم الحية، ثوم بري)، والملكي ١: ١٨٦/ ٢: ١٢٨، والصيدنة ١٢٥، ١٢٦ (ثوم الحية، ثوم بري)، ومنهاج البيان ٦٥ أ، والمختارات ٢: ١٩٢، ومفردات: ابن البيطار ١: ١٥١، ومفيد العلوم ٢٧ (ثوم بري)، و الشامل ١٥٢، ١٥٦ (ثوم بري)، وتركيب ما لايسع ٨١ أ (لعوق الثوم)، وحديقة الأزهار ٣٠١ (٣٢٨): ٣٠٢ (٣٢٩) ثوم بري، وتذكرة الأنطاكي ١: ٩٧، ٢٩٦ (معجون الثوم)، وقاموس الأطباء ٢: ٦٠، ومعجم الدكتور أحمد عيسى ٩ (١٥) (٥)، ١٧٩ (١٣) توم بري، ومعجم الأمير الشهابي ٢٧، والمعجم الموحد ٨٩، ومعجمات اللغة (ثوم)، ومعجم دوزي ١٦٧.

ذكر ابن سينا الثوم في أدوية القانون المفردة فقال: «الماهية: الثوم، منه البستاني المعروف، ومنه الثوم الكراثي، والثوم البري، وفي البرّيّ مرارة وقبض

(١) دواء مركب انظر بيان تركيبه في القانون في الصفحة ذات الرقم المميز، وفي مالايسع ٨١أ.

(٢) دواء مركب انظر بيان تركيبه في القانون في الصفحة ذات الرقم المميز وفي تذكرة الأنطاكي ١: ٩٦.

وهو المسمى ثوم الحية. والكراثي مركب القوة من الثوم والكراث ..» ثم ذكر فوائده واستعمالاته الطبية، وهي كثيرة، منها أنه ينفع من عرق النسا ويصفي الحلق وينفع من لسع الهوام.

يلاحظ أن ابن سينا وغيره ممن صنف في الأدوية المفردة والنباتات قد ذكر تحت عنوان الثوم عدة أنواع من النبات، بعضها من جنس الثوم، وهو من فصيلة الزنبقيّات التي تشتمل على الثوم المعروف والبصل والكراث وغيرها ... والثوم البستاني هو الثوم الزراعي المعروف، ذكر ديسقوريدس نوعًا منه يعيش في مصر ليس له أسنان، والآخر ذو الأسنان اسمه العلمي Alliumsatisrim:

والثوم الكراثي هو ما جاء في كتاب ديسقوريدس باسم سقردوفراسن «نباته نبات الكراث الشامي، وفي طعمه شبه من الكراث وشبه من الثوم، ولذلك قوته مركبة ..» وذكره ابن البيطار في آخر كلامه على الكراث[1]، نقلاً عن كتاب الفلاحة، وصفته فيه كما يلي: «نبات له ورق، فيه مشابهة من ورق الكراث، ومشابهة من ورق الثوم، وله أصل قريب من أصل الكراث الشامي بثلاثة أقسام أو أربعة كانفصال الثوم، إلا أنه ليس له قشور كالقشور التي بين أسنان الثوم، بل تراه كله شيئًا واحدًا، وفي طعمه شبه من الكراث، وشبه من الثوم ..» وقد يسمى أيضًا كراث الثوم، أو الكراث النبطي، واسمه العلمي Allium ampeloprassum

أما الثوم البري فهو جنس آخر كان من الأفضل أن يذكره مؤلفو المفردات وحده لكنهم تابعوا في تصنيفهم ديسقوريدس. قال ابن الحشاء في مفيد العلوم «ثوم بريّ: المخصوص بهذا الاسم عند دياسقوريدس وجالينوس هو الحشيشة الثومية، وليست من جنس الثوم، ولفظها عندهما سقرديون، فقال جالينوس

(١) مفردات ابن البيطار ٤: ٦٣.

أحسبه سمي بذلك لأجل رائحته وقوته. وهذه الحشيشة هي المذكورة بهذا الاسم في الترياق، ومن جعل فيه ثوم الحية الذي هو قسيم الثوم البستاني فقد أخطأ». وقال ابن البيطار: «ثوم بري: يقال على ثوم الحية .. وفي مفردات جالينوس على الدواء الآخر الذي ذكره ديسقوريدس .. وسماه اسقردين، وهي الحشيشة الثومية عند شجاري الأندلس، ويسمونه أيضاً المطرقال، وحافظ الأجساد، وحافظ الموتى .. ولقد غلط كثير من المصنفين في هذا الدواء لما تكلموا في الثوم، فإنهم يتوهمون أن هذا الدواء هو ثوم الحية فيأخذون منافعه وقواه ويضيفونها إلى القول في الثوم على أنه ثوم الحية، وهو غلط منهم». الاسم العلمي لهذا النبات هو Teucrium scordium من الفصيلة الشفوية.

نقلت معجمات اللغة عن أبي حنيفة قوله: «الثُّوم، هذه البقلة المعروفة، وهي كثيرة ببلاد العرب، منها بري، ومنها ريفي. واحدته ثومة ...».

ثومالا*

حب ثومالا ٣: ٤٠٦

ورد اسم هذا العقار في أقرباذين القانون حيث جاء في المقالة الخاصة بالضمادات: «ضماد عجيب ينسب إلى أندروماخس. .. ينفع من عرق النسا. أخلاطه: نأخذ من الحب الذي يؤخذ من النبات الذي يقال له يومالا ...».

كذا وردت اللفظة بالياء المعجمة باثنتين من تحتها في القانون المطبوع برومة وببولاق وهي على الصواب بالثاء المعجمة بثلاثة في المصوَّرة كما في سائر

* كتاب ديسقوريدس ٥٦٥ (ثومالا)، والصيدنة ١٢٦ (ثومالايا)، وجامع مفردات الأغذية والأدوية ٤: ١٤٠ (مثنان)، ومعجم أسماء النبات ٦٨ (٥). وانظر مادة (كرمدانة).

المراجع. وثومالا هو الاسم اليوناني لنبات يسمى بالعربية المثنان، وصفه ديسقوريدس بقوله: «وقد يسمى خامالا.. والدواء المعروف باقينديوس قدمنم[1]، هو ثمر هذا النبات.. ومن الناس من يسميه لينس، ومعنى لينس الكتّاني، وإنما سموها هكذا لأن نباتها يشبه نبات الكتان، وهذا النبات يخرج قضبانًا كثيرة خشانًا[2]، طولها نحو من ذراعين وورق شبيه بورق النبات الذي يسمى خامالا غير أنه أدق منه، وعليه رطوبة تدبق باليد، وهو لزج يدبق في المضغ، وله زهر أبيض، وفيما بين الزهر ثمار صغار شبيه بحب الآس مائل إلى الاستدارة، وهو في ابتداء كونه أخضر، ثم من بعد يصير أحمر، وقشره صلب أسود، وداخله أبيض. يسهل البطن ...» نقل وصفه هذا كل من البيروني في الصيدنة وابن البيطار في الجامع عند كلامه على المثنان. والاسم العلمي لهذا النبات هو: Daphne gnidium كما جاء في معجم أسماء النبات، وذكر من أسماء حبه: الكرمدانة وحبة المثنان، وحب قنيدية وغيرها.

ثومون*

ثومون	١: ٤٥٠
بزر تومون	١: ٤٥٠
بزر ثومون	١: ٤٥٠

ورد هذا الاسم مدخلاً من مداخل الأدوية المفردة في كتاب القانون،

---

(١) انظر حب فنقدس في باب الحاء من معجمنا هذا.

(٢) في مفردات ابن البيطار «حسانًا» بإهمال السين.

* كتاب ديسقوريدس ٢٥٦ (تومس)، والحاوي ٢٢: ٣٤٨ (ثومون)، والصيدنة ١٢٧ (ثومس)، ومختارات ابن هبل ٢: ١٩٤، والجامع لمفردات الأدوية ١: ١٥٣ (ثومس)، والمعتمد ١٦١ (ثومش)، ومالا يسع الطبيب جهله ١٣٠ (ثومس)، وتذكرة أولي الألباب ١: ٩٧، ومعجم أسماء النبات ١٨١ (٦) ثومس، ومعجم دوزي ١٥٥ (ثومون).

وكل ما جاء فيه هو: «ثومون. الطبع: بزره قوي الحرارة. أعضاء النفض: يدر ويخرج الجنين الميت، ويسهل دمًا وأخلاطًا مرارية، والشربة نصف درهم، ويخرج الديدان». ولم يتكرر ذكره ثانية في سائر كتب القانون.

قد تكون هذه اللفظة تصحيفًا لكلمة ثومس اليونانية. جاء في كتاب ديسقوريدس: «ثومس وهو الحاشا، نبات يعرفه جميع الناس وهو ثمنش[1]، صغير .. له ورق صغار دقاق كثيرة على طرفها رؤوس صغار من الزهر فرفيرية، وأكثر ما ينبت في المواضع الصخرية .. إذا شرب نفع من عسر النفس ومن الربو وأخرج الدود الطوال وأدر الطمث وأخرج المشيمة والأجنة وهو يدر البول..» وفي كل المراجع الأخرى ذكر ثومس على أنه الحاشا، ومنه الاسم العلمي Thymus angustifolius. ومع ذلك يظل الشك محيطًا بمراد ابن سينا من هذا الاسم لأنه ذكر الحاشا في فصل الحاء ونقل فيه كلام ديسقوريدس السابق، ولم يقل إنه هو نفسه ثومس أو ثومون.

وردت اللفظة في القانون طبعة بولاق وفي المصورة أيضًا ثومون، وكذلك في مختارات ابن هبل. وهي في طبعة رومة ثومرن، وفي سائر المراجع ثومس أو تومس أو ثومش.

ثِيل*

ثيل ١: ٢٤٨، ٢٨٧، ٤٥٠

---

(١) أي شجيرة أو جنبة.

(*) كتاب ديسقوريدس ٣٢٠ (اغرسطس)، والحاوي ٢٠: ٢٢٠، والصيدنة ١٢٧، ومنهاج البيان ٦٦أ، ومختارات ابن هبل ٢: ١٩٣، ومفيد العلوم ٢٧، ومفردات ابن البيطار ١: ١٥٣، ومنهاج الدكان ١٨٣، والمعتمد ٦١، والشامل ١٥٥، ومالايسع الطبيب جهله ١٣٩، وحديقة الأزهار ٣٠٣ (٣٣١)، وتذكرة داود الأنطاكي ١: ٩٧، ومعجم النبات للدكتور أحمد عيسى ٧(١٤)، ٦٥ (٤)، ومعجم الشهابي ٢١، والقاموس المحيط ولسان العرب وتاج العروس (ثيل، نجم)، ومحيط المحيط ٨٨، والمعجم الوسيط ١: ١٠٣.

أصل الثيل	٢: ٥٠٣، ٥٠٦، ٥١٠
أصل الثيل الطري	١: ٤٥٠
بزر الثيل	١: ٤٥٠
بزر الثيل الأملس	٢: ٤٣١
ثمر الثيل	١: ٤٥٠
زهر الثيل	١: ٤٥٠
طبيخ أصول الثيل	١: ٤٥٠
طبيخ بزر الثيل	١: ٤٥٠
عروق الثيل	١: ٤٥٠
عصارة الثيل	١: ٤٥٠
أغصان الثيل	١: ٤٥٠
لب الثيل	٢: ٤٣١
ورق الثيل	١: ٤٥٠

ذكر ابن سينا الثيل في أدويته المفردة فقال: «الماهية: قيل إنه يندكنا، وأهل طبرستان يسمونه بندواش. وهو نبات معروف، وله أغصان ذات عقد، يسعى على وجه الأرض، ويضرب من أغصانه عروق في الأرض طعمها حلو، ولها ورق عراض حادة الأطراف صلبة مثل ورق القصب الصغير، يعتلفه البقر وسائر الدواب. وقال ديسقوريدس: قد رأينا من الثيل نوعاً آخر، وهو صنفان أحدهما ورقه وأغصانه وعروقه أكثر من الذي قدمنا ذكره وهو نافع في صناعة الطب، وإذا أكله المواشي قتلها، وخاصة النابت ببلاد بابل على الطرق. والصنف الثاني ينبت ببلاد أورسوس، ورقه كورق اللبلاب، وهو أكثر أغصاناً من غيره، وزهره أبيض طيب الرائحة، وله ثمر صغار ينتفع به، وعروقه خمسة أو ستة في غلظ إصبع، بيض لينة حلوة منتنة، وإذا أخرجت عصارتها وطبخت بالشراب أو

عسل.. كان دواء نافعًا .. وبزر هذا النبات يدخل في الأدوية. ومنه صنف ثالث ينبت بقاليقلا.. إذا أكلته البقر تورمت إن كثر ذلك» وذكر من فوائده أنه ينفع الجراحات الرديئة ويمنع النوازل وعصارته مطبوخة في الشراب دواء جيد للعين.. وبزره مفتت للحصاة، وطبيخه صالح للمغص وعسر البول وقروح المثانة...

نجد معظم هذه المعلومات المنقولة عن ديسقوريديس في كتب المفردات العربية، التي ذكرت من أسمائه أيضًا النجم والبجيل والنجير وغيرها مما حوته معجمات اللغة.

لا يختلف الأطباء في فوائد الثيل، لكن يصعب من خلال وصفهم للنبات تحديد الأصناف التي يمكن أن يُطلق عليها اسم الثيل. قال الأمير مصطفى الشهابي في معجمه: «أطلق ابن البيطار وابن ميمون وغيرهما ألفاظ الثيل والنجم والنجيل .. على ما سماه ديسقوريدس Agirostis وظن بعض العلماء أن أغرسطس هذه تدل على النبات المسمى Agrostis repens، وذكر بوست أن الألفاظ العربية المذكورة تُطلق في الشام على Aeluropus littoralis وعلىAeluropus repens والذي أعلمه أن النجيل وعرق النجيل تدلان اليوم في مصر والشام على نبات Cynodon dactylon. فهذه خمس كلمات عربيات وخمسة أنواع نباتية من فصيلة واحدة. فمن هو الذي يحق له أن يخص كل نوع منها بإحدى هذه الكلمات دفعًا للالتباس؟ !».

ضبطت كلمة الثيل بالكسر وسكون الياء، وكذلك بفتح الثاء وكسر الياء المضعفة. جاء في تاج العروس: «الثيل بالكسر، وكَيِّس نبات يعرش على شطوط الأنهار يذهب ذهابًا بعيدًا في الأرض.. ويُقال له النجم أيضًا..».

باب الجيم

جاذب*

جاذب، جاذبة، جاذبات، جواذب، جذاب، جذابة، أجذب ١: ١٩٦، **٢٣٢**، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٩، ٢٤٦، ٢٥٦، ٣١١، ٣١٧، ٣٣٩، ٣٥٠، ٤٣٣، ٢/٤٦٦: ٥٤، ١٣٦، ١٦٩، ٢٠٣، ٢٤٠، ٢٧٧، ٣/٤٥٩: ١١٦، ١٣٤، ١٥٧، ١٦٠، **١٦٢**، ١٧٩، ١٨٣، ٢١٩، ٢٣٦، ٢٣٨، ٢٤٤، ٢٤٨، ٢٥١، ٢٩٨، ٣٠٥، ٣٠٩.

قدم ابن سينا لكتاب الأدوية المفردة بفصول تكلّم فيها على القوانين العامة في الأدوية. منها فصل في تعرف أفعال قوى الأدوية حيث وصف الدواء الجاذب بقوله: «هو الدواء الذي من شأنه أن يحرك الرطوبات إلى الموضع الذي يلاقيه، وذلك للطافته مثل الجند بيدستر. والدواء الشديد الجذب هو الذي يجذب من العمق،، نافع جداً لعرق النسا وأوجاع المفاصل الغائرة ضماداً بعد التنقية، وبها ينزع الشوك والسُّلاَّء من محابسها».

حرص كثير ممن صنف في الأدوية المفردة، قبل ابن سينا وبعده، أن يقدم لأدويته بمثل الذي فعله ابن سينا، كالمجوسي الذي قال: «الأدوية الجاذبة هي التي تجذب من عمق البدن، ومزاجها حار، وجوهرها لطيف، وذلك لأن الدواء الحار يجذب من عمق البدن ..» وابن هبل الذي قال في المختارات: «الجاذب هو الدواء الذي يجذب الخلط إلى نفسه حيث هو حتى من العمق، يجذب السلى

---

* الملكي أو كامل الصناعة الطبية ٢: ٩٧ (الأدوية الجاذبة والدافعة)، والمختارات ٢: ٩، وما لا يسع الطبيب جهله ١٠، وكشاف اصطلاحات الفنون ١: ١٩٨، والقاموس واللسان وتاج العروس (جذب)، ومحيط المحيط (جذب).

والسهام»، وقريب من كلامه قول ابن الكتبي في ما لا يسع الطبيب جهله «هوالذي يحرك الفضلات عن أماكنها ويمدها إلى جهة نفسه كالثافسيا». وفي وقت متأخر استخلص التهانوي في كشافه حدًا للجاذب حاول أن يجعله موجزاً دالاً، فقال: «الجاذب عند الأطباء دواء يحرك الخلط نحو السطح الذي يماسه إما بخاصية أو بتسخين، ونقل هذا الحد البستاني في محيطه. ويظل تعريف ابن سينا هو الأدق والأشمل.

استخدم هذا المصطلح في القانون فعلاً وصِفةً ومصدرًا في الكلام على القوى الداخلة للجسم والأمراض والأخلاط وغير ذلك ممايليق فهرسته وجمعه وتحديد معانيه بمعجم المصطلحات الطبية وليس الصيدلانية.

في معجمات اللغة: «الجذب مدُّك الشيءَ، والجبذ لغة تميم. المحكم: الجذب المد» والمعنى الاصطلاحي الذي ذكرناه آنفًا فيه زيادة تحديد للجهة التي يَحدُث نحوها الجذب.

جار النهر*

جار النهر	١: ٢٨٦
زهره	١: ٢٨٦

هو من أدوية القانون المفردة. قال فيه ابن سينا: «الماهية: نبات زهره يشبه بالنيلوفر يكون غائصاً في الماء، يظهر منه يسيرًا، وهو قريب القوة من البطباط، بارد قابض فيما يقال .. صالح للقروح الخبيثة والحكة ..».

ورد مثل كلام ابن سينا هذا عند كل من الخوارزمي وابن جزلة وابن هبل

---

* كتاب ديسقوريدس ٣٤٧ (بوطاموغطن)، والصيدنة ١٢٩، ومفاتيح العلوم للخوارزمي ١٧٣ ومنهاج البيان ٦٦ب، ومختارات ابن هبل ٢: ٥٣، ومفردات ابن البيطار ١: ١٥٦، والمعتمد ٦٢ (جاد النهر) ، وتذكرة داود الأنطاكي ١: ٩٨، ومعجم أسماء النبات ١٤٧ (١٥)، ومعجم الألفاظ الزراعية ٥٣١، والمعجم الموحد ١٦١، ٢٠٧، ومحيط المحيط ١٣٥ (جور)، وبرهان قاطع ٢: ٥٥٣.

والبستاني، على حين آثر الآخرون عبارة ديسقوريدس في كتابه وهي: «بوطا موغطن. وإنما سمي بهذا الاسم لأنه يكون في المواضع التي تكون فيها المياه والآجام. وهو ورق شبيه بورق السلق ظاهر على الماء ظهوراً يسيراً، وعليه زغب، وهو يبرد ويقبض، ويوافق الحكة والقروح الخبيثة..» وحاول ابن الكتبي الجمع بين العبارتين فقال: «سمي بذلك لأنه لا يفارق الشطوط والأنهار والآجام، وهو كنبات النيلوفر، يظهر ورقه على وجه الماء يشبه السلق في هيئته، وعليه زغب وهو بارد قابض كعصا الراعي .. ينفع جميع الأورام الحارة والحكة والقروح الخبيثة.. إلخ». أما داود الأنطاكي فنفى أن يكون لهذا النبات زهر حيث قال: «جار النهر. سمي بذلك لأنه.. وهو كالسلق إلا أنه مزغب خشن الأصل، سبط الأوراق، في طعمه مرارة يسيرة، ولا زهر له، ولا ثمر. والنابت في الماء منه يفرش على الماء كاللينوفر، وهو بارد يابس، يلحم القروح .. ويضر بالعصب..» فإما أن يكون ابن سينا أراد أن يشبه نباته على سطح الماء بالنيلوفر فأخطأ وقال: زهره كالنيلوفر، وإما أن يكون هذا الاسم شاملاً لعدة أنواع من النبات النهري بعضها له زهر. وجاء في برهان قاطع أن اسم هذا النبات بالعربية سلق الماء، وفي تاج العروس: سلق الماء، وسلق البر، نبتتان.

الاسم العلمي لجار النهر هو Potamogetom natans. والاسم العربي ترجمة لمعنى الكلمة اليونانية التي أخذ منها الاسم العلمي وهي (بوطامو غيطن) التي وردت في الصيدنة بالفاء في أولها، وهذا مألوف في التعريب.

جاسوس*

جاسوس	١: ٢٨٨

* منهاج البيان ٦٦ب، ومنتخب ابن العبري ٩٨، والمختارات ٢: ٥٥، ومفردات ابن البيطار ١: ١٥٦/ ٢: ٦١ (خشخاش زبدي)، والمعتمد ٦٢، ومعجم أحمد عيسى ١٣٤(٨) حماسوس. الخشخاش الزبدي، وبرهان قاطع ٢: ٥٥٣.

ذكره ابن سينا في فصل الجيم من أدوية القانون المفردة، وكل ما جاء فيه هو: «جاسوس. الخواص: هو قريب القوة والطبع من جبلاهنك، والشربة منه نصف درهم» ولم يعد إلى ذكره ثانية في كل كتاب القانون.

نقل كلامَ ابن سينا السابق ابن جزلة في المنهاج، قريبًا منه ابن هبل في المختارات. وفي المنتخب من مفردات الغافقي قرن ابن العبري بين الجاسوس والخشخاش الزبدي فقال: «جاسوس: منهم من يسميه جبلهنك لقربه منه قوة وطبعًا (ذد)[١]، فيقون أمزوذيس ومعناه الخشخاش الزبدي لأنه أبيض كالزبد، وقد يسمى إيرقليا. طول ساقه نحو من شبر وورقه صغير» وبعده قال ابن البيطار: «جاسوس: هو الخشخاش الزبدي» وحين تكلم على الخشخاش الزبدي نقل أقوال ابن سينا في الجاسوس. أما في المعجمات الحديثة فلم أجد هذا الاسم لكن الدكتور أحمد عيسى أورد في معجمه اسم حماسوسن مرادفًا للخشخاش الزبدي وجعلهما كليهما ترجمة للاسم العلمي Papaser sommiferuns فلعله تصحيف لاسم الجاسوس الذي في المراجع العربية القديمة وفي برهان قاطع أيضًا.

جالاوس

جالاوس مدقوق ٣: ٤٣٦

وقع هذا الاسم في أخلاط أحد الأودية المركبة لعلاج السحج والقروح في الأمعاء حيث قال ابن سينا: «يؤخذ أقاقيا خمسة وعشرون مثقالاً، قشور الرمان خمسة وسبعون مثقالاً، عفص خمسة وعشرون مثقالاً، أفيون مثله، بزر البنج

(١) يريد بهذا الرمز أن الكلام التالي منقول عن ديسقوريدس.

ستة وخمسون مثقالاً، جالاوس مدقوق مئة وستون مثقالاً، سماق شامي... يسحق ويجمع ويخلط بشراب أسود. الشربة التامة منه مثقال».

كذا وردت اللفظة «جالاوس» في كل من طبعتي رومة وبولاق وفي المصورة أيضاً وإحدى المخطوطات. وغالب ظني أنها تصحيف وقع في إحدى النسخ الأم القديمة، وأن الصواب فيها جاورس الحب المعروف الذي سيلي تفصيل الكلام عليه في هذا الباب، ومن خواصه أنه قابض مجفف بلالذع.

جالب النوم

جالب النوم ٣: ٤١٥

في أدوية العين المركبة وصف ابن سينا تركيب أحد الشيافات فقال: «شياف يسمى جالب النوم ينفع من الوجع ومن ... ونسخته: يؤخذ ماميثا أربعة وعشرون مثقالاً، أنزروت ثمانية مثاقيل، زعفران ومرّ و أفيون وزاج محرق من كل واحد ثمانية مثاقيل، صمغ اثنا عشر مثقالاً يعجن بماء المطر ويستعمل ببياض البيض».

لم أجد اسم «جالب النوم» في مراجع الأدوية المركبة ولا كتب الطب العامة، لكنني وجدت فيها شيافات كثيرة مشابهة في تركيبها لما ذكره ابن سينا، سماها أكثرهم باسم الشياف الأبيض من ذلك الشيافات المذكورة في الحاوي (٢: ١٩٠) وفي فصل علاج العين في الملكي، وفي أقرباذين القلانسي (٢٣٩)، وفي مختارات ابن هبل (٣: ١٠٢)، وفي منهاج البيان (٢٧ أ)، وفي تركيب ما لايسع الطبيب جهله (١١أ) وغيرها.

لا شك أن ابن سينا سمى هذا الدواء باسم جالب النوم لما فيه من تسكين بسبب الأفيون الداخل في تركيبه.

الجالي (جال)*

* منهاج البيان ١٢ب، ومختارات ابن هبل ٢: ٩، وكشاف اصطلاحات الفنون ١: ٢٦٩، ومعجمات اللغة (جلا، جلو).

جلي، يجلو، يجلو باعتدال، يجلو كثيراً، ويُجَلّي ... ١: ٢٠٣، ٢٤٥، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٦، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٣، ٣٩٣، ٣٠١، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٣٩، ٣٤١، ٣٤٨، ٣٥٢، ٣٦٤، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٤٠٢، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٩، ٤١٢، ٤١٨، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٥٩/ ٢: ١١٧، ١٤٠، ١٤٣، ١٨١، ١٨٥، ١٩١، ٢٢٣، ٣٢٨، ٣٦٥، ٣٧٥، ٤٧٨، ٤٩٩، ٥١٥، ٥٣١/ ٣: ٢٧، ٣٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٥، ١٧٩، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٣٧٧، ٤٠٢، ٤١٧.

يجلو بلا لذع ١: ٣٠١/ ٢: ٣٧٣

يجلو بغير لذع ١: ٣٣٠

في الكلام على أفعال قوى الأدوية، حدَّ ابنُ سينا الدواء الجالي بقوله: «الجالي هو الدواء الذي من شأنه أن يحرك الرطوبات اللزجة والجامدة من فوهات المسام في سطح العضو حتى يبعدها عنه مثل ماء العسل. وكل دواء جال فإنه بجلائه يلين الطبيعة وإن لم يكن فيه قوة إسهالية. وكل مرٍّ جال».

ماجاء في كتب الأدوية كله شبيه بما قاله ابن سينا ولعل أكثره مقتبس منه، كالذي جاء في منهاج البيان ومختارات ابن هبل ... واستخلص التهانوي في كشاف اصطلاحات الفنون مصطلح الأطباء هذا من موجز القانون فقال: «الجالي هو عند الأطباء دواء يجرد الرطوبة اللزجة عن مسام العضو كالعسل. كذا في الموجز». وفي محيط المحيط «الجالي عند الأطباء دواء ينفض المادة اللزجة

اللاحجة بالعضو كالعسل والبورق، ويقال له الجلاّء أيضًا»

هذا المصطلح منقول من المعنى اللغوي. جلا القوم عن الموضع ومنه يجلون جلوًا وجلاء تفرقوا .. وجلا السيف والمرآة جلوًا صقلهما. والجالي اسم فاعل، والجلاّء مبالغته.

جامد*

جامد	١: ١١٦، ٢٣٢ وغيرهما.
جمود	١: ٢٢٦، ٢٣٧ وغيرهما.
تجميد	٢: ١٦٤
إجماد	١: ١٩، ٨٣، ١١٦، ٢٣١، ٢٣٤، ٢٣٦، ٢٧٣/ ٢: ٢٣، ٧٨/ ٣: ٢٣٦

في الكلام على صفات الأدوية وقواها حدّ ابن سينا الدواء الجامد بقوله: «الجامد هو الدواء الذي من شأنه أن يصير بحيث تتحرك أجزاؤه إلى الانبساط عن أي وضع فرض إلا أنه بالفعل ثابت على شكله ووضعه بسبب بارد جدًا مثل الشمع. وبالجملة هو الذي من شأنه أن يسيل إلا أنه غير سائل بالفعل.»

تعريف ابن هبل في مختاراته مقتبس من كلام ابن سينا لكنه أكثر إيجازًا، يقول: «الجامد هو الدواء الجامد بالفعل، ومن شأنه أن يبسط إلى أي شكل حرك إليه مثل الشمع»، وفي تذكرة الأنطاكي حد أكثر إغراقًا في مصطلحات الطب القديم وهو «الجامد ماكثرت مائيته، وقلت أرضيته، وأوصله البرد في العقد والتجميد حدًا لا تعجز الغريزية حله كالشمع والميعة»[1].

---

* مختارات ابن هبل ٢: ٨، ومالايسع الطبيب جهله ٩، وتذكرة داود الأنطاكي ١: ٢٥، ومعجمات اللغة (جمد)، ومحيط المحيط ١٢٠.

(١) جاء في محيط المحيط: «والجامد عند الأطباء الذي ليس من شأنه أن يسيل عند فعل الحرارة الغريزية فيه، وهو مجتمع في الحال». والصواب حذف «ليس» من العبارة.

والإجماد فعل من أفعال الأدوية يجعل الأخلاط أو المواد السائلة جامدة، وكذلك التجميد. وقد تكون عملاً من أعمال الصيدلة يؤدي إلى جمود دواء من الأدوية.

كل المصطلحات السابقة مستمدة من المعنى اللغوي العام، وهو كما جاء في لسان العرب: «جمد الماء وكل سائل كنصر وكرم يجمد جموداً وجمداً أي قام، ضد ذاب، وكذلك غيره إذا يبس، فهو جامد وجمد ...»

جامُوس*

لحم الجاموس ٢: ٣٢٢

لم يرد ذكر هذا الحيوان في كتاب القانون إلا مرة واحدة في أثناء كلام ابن سينا على فساد الهضم، حيث بيّن أن من أسبابه كون المأكول بطيء القبول للصلاح كالكمأة ولحم الجاموس ..

ذكر بعض مؤلفي كتب المفردات الجاموس في أدويتهم فتكلموا على لحمه ولبنه و .. منهم ابن البيطار الذي قال: «جاموس. التميمي: لحمه أغلظ اللحوم وأردؤها كيموساً»[1] ووصف بعضهم الحيوان نفسه كداود الأنطاكي الذي قال: «جاموس: ضرب من البقر، لكنه أخشن عظماً وأغزر شعراً، والأغلب

* كتاب الحيوان ١: ١٥٢/ ٢: ١٨٢/ ٣: ١٤٥، ١٦٣/ ٥: ٤٥٩ وغيرها، ومفردات ابن البيطار ١: ١٥٦، والمعتمد ٦٣، ومالايسع ١٤١، وحياة الحيوان ١: ١٥٩، وتذكرة الأنطاكي ١: ٩٩، ومعجم الحيوان ٤١، ومعجم الشهابي ١٠٧، ومعجمات اللغة (جمس)، والمعربات الرشيدية ١٦٦، ومحيط المحيط ١٢٢، والمعجم الوسيط ١: ١٤٣، وبرهان قاطع ٣: ١٧٦٥ (گاميش)، ١٧٧٠ (گاوميش).

(١) الكيموس ماينتج من الأغذية المهضومة فيتحول من بعد إلى بعض أخلاط الجسم كالدم والبلغم وغيرهما.

فيه لـون السواد ..». هذا الحيوان من نـوع البقر، منه أهلـي ووحشي، وأصل الأهلي مـن الهند. وهـو موجـود بكثـرة في العـراق ومصـر، يربى للـحرث، ويستفاد من لحمه ولبنه. اسمه العلمي Buffalo .

اسم الجاموس معـرّب من الفارسية گاوميش أو گامـيش. وگاو بالكاف الفارسية في أولها معناها البقر، وميش معناها النعجة[1]. تجمع كلمة جاموس على جواميس.

جاوَرْس*

جاورس ١: ١٥٤، ٢٢١، ٢٨٨، ٣٣٢/ ٢: ٣٣، ١١٩، ١٥٤، ١٦٨، ١٨٨، ٢٥٤، ٣٠٨، ٣١٤، ٣٣٥، ٣٦٧، ٣٩٧، ٣٩٩، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٨، ٤٥٤، ٤٦٠، ٤٦٦، ٥٣٨/ ٣: ٦٣، ٢٥٥، ٢٩٦.

جاورش [في المخطوطات بالمهملة] ٢: ١٥٤، ١٨٨

جاورسات ١: ٣٦٦

---

(١) قال البستاني في محيط المحيط «جاموس نوع من كبار البقر يحب الماء والتمرغ في الأوحال. معرب كاوميش بالفارسية ومعناه بقر الماء». وليس في المعجمات الفارسية ما يؤيد قوله.

* كتاب ديسقوريدس ١٧٩ (كنخرس)، وكتاب النبات ١: ١٧٨ (دخن)، والحاوي ٢٠: ٢٤٨ والملكي ١: ١٨٢، ٢: ١١٢، والصيدنة ١٣٠، ومنهاج البيان ٦٦أ، ومختارات ابن هبل: ١: ٢٢٩، وشرح أسماء العقار ١١، ومفيد العلوم ٢٩، والمنتخب ٢: ٩٢، ومفردات ابن البيطار ١: ١٥٦، والمعتمد ٦٣، والشامل ١٥٨، وما لايسع ١٤١، وحديقة الأزهار ٧٣ (٧٣)، وتذكرة الأنطاكي ١: ٩٨،و معجم أحمد عيسى ١٣٣ (١٧)، ومعجم الشهابي ٤٢٨، وتاج العروس (دخن)، والمعربات الرشيدية ١٦٥، وبرهان قاطع ٣: ١٧٦٨ (ح: كاورس). وتنظر مادة (دخن).

جاورس شديد الطبخ	٢: ٣٥٩
جاورس مسخن	١: ٢٠٤/ ٢: ٤٤٨
جاورس مقلو	٣: ٦٣
جاورسية	٢: ٢٦٠
أحساء جاورسية	١: ٣٦٦/ ٢: ٤٣٣
خبز الجاورس	١: ٢٨٨
دقيق الجاورس	٣: ٧١

الجاورس من مفردات القانون. قال ابن سينا في ماهيته، «هو ثلاثة أجناس، ويشبه الأرز في قوته، لكن الأرز أغذى. والجاورس خير في جميع أحواله من الدخن إلا أنه أقوى قبضاً... هو بطيء في المعدة .. يكمد به المغص، وهو مدرّ»

الجاورس من الحبوب التي يصنع منها الخبز. قال ديسقوريدس، وتابعه كثيرون، إنه أقل غذاء من الحبوب الأخرى. واختلفت المراجع العربية فيه؛ هل هو الدخن نفسه، أم صنف من أصنافه؟ فكلام ابن سينا يفيد أنه يعتبره شيئاً آخر غير الدخن إذ يفاضل بينهما، وتابعه ابن جزلة فنقل أقواله بحذافيرها في منهاج البيان، وابن هبل الذي قال في مختاراته: «الجاورس ثلاثة أصناف، وأجودها الأصفر الرزين. والجاورس خير من الدخن، وهما نوع واحد من الحبوب، وطبع الجميع بارد ..»، والذي في الصيدنة قريب مما سبق؛ يقول البيروني: «جاورس: لفظ فارسي لنوع من الدخن هو في هذه اللغة گاورس، وعندهم نوع آخر دقيق اسمه أرزن، وهو بالهندية بآجرا .. واليونانيون يسمونه كنخرس ..» وقال أبو عمران القرطبي في شرح أسماء العقار: «جاورس هو نوع من الدخن. والجاورس الهندي هو الذرة». على حين لم يخض أبو حنيفة في أمر هذه الأصناف، وقال مختصراً: «الدخن الجاورس بالفارسية». ونبه ابن الكتبي في مالايسع على الاختلاف بين مصطلح الأطباء ومصطلح اللغويين في هذا الاسم فقال: «جاورس فارسي معرب اسم للدخن. وعند الأطباء أنه صنف من الدخن أغبر اللون شديد

القبض ..» كما أشار مؤلف الشامل إلى الخلاف، ولم يحصره فيما بين الأطباء واللغويين فقال: «قد يقال الجاورس على الدخن نفسه، وقد يقال على صنف منه، وهو ما كان أصغر حبًا وإلى غبرة. وليس في هذا الخلاف كثير نفع فإن أفعال الدخن متشابهة في أصنافه ..» ونجد مراجع أخرى فسرت الجاورس بالذرة. منها مفيد العلوم وحديقة الأزهار وتذكرة الأنطاكي. والراجح أنها أتت بهذا التفسير من قول أبي حنيفة في كتاب النبات: «الذرة الحبة التي تسمى الجاورس الهندي، ومنها أبيض ومنها أسود ..».

في معجمات النبات الحديثة لا يفرق بين الدخن والجاورس، واسمها العلمي Panicum milliaceum.

والجاورسية التي وردت في القانون يراد بها ما صنع من الجاورس خبزاً أو عجينًا أو حساءً..

اسم جاورس معرب من الفارسية (گاورس) كما ورد في جميع المراجع. وهو بالعربية مفتوح الواو كما في الفارسية. وقد يرد بالشين المعجمة أحيانًا.

جَاوَشِير*

جاوشير ١: ٢٨١، ٢٨٨، ٣٠٧، ٣٤٢/ ٢: ٨٨، ٩٣، ١٠٠، ١٠٣، ١٦٣، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٣١، ٣٢٧، ٣٣٠، ٣٥٩، ٣٨٩، ٤١٨،

* كتاب ديسقوريدس ٢٦١ (فاناقس إيرقليون)، والحاوي ٢٠: ٢٣٨/ ٢٢: ١٨، والملكي ٢: ١٠٢، والصيدنة ١٣٠، ومنهاج البيان ٦٦ أ، ومنتخب ابن العبري ٢: ٩٥، ومختارات ابن هبل ٢: ٥٣، ومفيد العلوم ٣٠، ومفردات ابن البيطار ١: ١٥٤، والمعتمد ٦٢، والشامل ١٥٦، ومالايسع ١٤٠، وحديقة الأزهار ٨٠ (٨٢)، وتذكرة الأنطاكي ١: ٩٨ ومعجم أحمد عيسى ١٢٩ (١)، ومعجم الألفاظ الزراعية ٤٦٧، والمعجم الموحد ١٤٨، والمصطلح الأعجمي ٢: ٢٩٨، والمعربات الرشيدية ١٥٤، والألفاظ الفارسية المعربة ٤٨ (الجواشير)، وبرهان قاطع ٣: ١٧٧٠ (گاوشير).

---

(١) هو حب مركب نقل ابن سينا في الصفحة المميزة نسخة له صنعها سلمويه.

(٢) ذكر ابن سينا طريقة صنعه وهي تشبه ما في كتاب ديسقوريدس صفحة ٣٩٦.

صمغ جاوشير	١: ٢٨٢
عروق الجاوشير	١: ٢٨٢
عصير الجاوشير	١: ٢٨٢
قشور أصل الجاوشير	٣: ٢٠٨
لحاء أصل الجاوشير	٣: ١٥٤
لحاء نبات الجاوشير	٣: ١٨٤
نورة[١] [أرجِّح أنها تصحيف]	١: ٢٨٢
ورق الجاوشير	١: ٢٨٢

ذكر ابن سينا هذا العقار في مفردات القانون فقال[٢] «الماهية: ورق شجره لا يبعد عن الأرض، ويشبه ورق التين، شديد الخضرة، مخمس تقطيع الأجزاء مستديره، وساقه كالقناة الطويلة، عليها زغب شبيه بالغبار وورق صغار جداً. على طرفه إكليل شبيه بإكليل الشبث، وفي رائحته ثقل. ويستخرج صمغه بتشقيق أصله في أول ظهور الساق، ولون الصمغة أبيض، وإذا جفت كان ظاهرها على لون الزعفران ...»وذكر أنواعًا أخرى من الجاوشير، وردت في كتاب ديسقوريدس هي فاناقس اسقيليبيون، وفاناقس حرونيون .. ثم ذكر فوائد الجاوشير واستعمالاته الطبية منها أنه ملين للصلابات والبثور، نافع لأكال الأسنان، يحد البصر ...إلخ.

ماجاء في قانون ابن سينا منقول عن ديسقوريدس، وكل المراجع الأخرى نقلت كلامه أيضاً ولحقت أقوالَه تصحيفات كثيرة اختلفت من مرجع لآخر، وما يجب التنبيه عليه هو أن المراد باسم الجاوشير في كتب الطب إذا أطلق هو الصمغ

(١) أصلحت كثيرًا من التصحيفات وأخطاء الطباعة اعتماداً على المراجع دون أن أشير إليها.

(٢) في القانون المطبوع والمصورة «نوره» والصواب «بزره» كما في كتاب ديسقوريدس والمنتخب والمفردات ومالايسع.

المأخوذ منه، وقد يسميه بعضهم دمعة أو عصارة، فإذا أرادوا جزءاً آخر من النبات قيدوا فقالوا مثلاً حشيشة الجاوشير أو أصله .. الخ.

جاء في مفيد العلوم «جاوشير: هي صمغة مجلوية»، وفي الشامل: «جاوشير اسم لنبات ،المستعمل منه في زماننا هو صمغه فقط. وهذا النبات ساقه طويل يشبه القنا ..» وبعد أن وصف مؤلف حديقة الأزهار نبات الجاوشير وساقه وصمغه قال: «وقيل الجواشير هو الصمغ لا النبات والعروق». الاسم العلمي لنبات الجاوشير هو: Opopanax Chironium وهو من الفصيلة الخيمية.

اتُّفق عى أن كلمة جاوشير معربة من الفارسية گاوشير. ومعنى گاو البقر، وشير: اللبن فيكون معنى الكلمة لبن البقر. قيل إنه سمي كذلك بسبب لون صمغه حين يستخرج. أما إذا جف فيتحول ظاهره إلى لون أصفر زعفراني. وفي برهان قاطع نقلاً عن مخزن الأدوية أنه يقال بالفارسية أيضًا جواشير وگوشير. ضبطت اللفظة في المعجمات الفارسية بسكون الواو وكسر الشين، واللغة العربية تحتمل التقاء الساكنين في مثل هذا الموضع. لكن بعضهم آثر فتحها تخفيفًا، وليس في المراجع العربية إلا ضبط قلم يختلف من مرجع لآخر.

جُبْسين، جِصّ *

جبسين ١: ٢٣٢، ٢٨٥، ٢٨٦، ٤٣١/ ٢: ٥٨٨/

---

* كتاب ديسقوريدس ٤٢٨ (جوبسس)، والحاوي ٢٠: ٢٣٢، والملكي ٢٠: ١٣٠، ومنهاج البيان ٢٤ب (اسفيداج الجصاصين)، ٦٧أ، وشرح أسماء العقار ١١، ومختارات ابن هبل ٢: ٥٤، ومنتخب ابن العبري ١٠١، ومفيد العلوم ٣٠، ومفردات ابن البيطار ١: ١٥٩، ١٦٣ (جص)، والشامل ١٦١، والمعتمد ٦٤، ومالايسع ١٤٢، وتذكرة داود الأنطاكي ١: ٩٩، ١٠١ (جص)، وقاموس الأطباء ٢١١، ٢٣١، ومعجم الألفاظ الزراعية ٣٢٣، والمعجم الموحد ٦: ٥٤، ومعجمات العربية (جبس، جصص)، ومحيط المحيط ٩١ (الجبسين)، ١١٠ (الجص)، والمعجم الوسيط ١: ١٠٥ (جبس)، ١٢٤ (جص)، وشفاء الغليل ٩٠، والمعرّبات الرشيدية ١٦٩، والألفاظ الفارسية المعرّبة ٣٨، وبرهان قاطع ٢: ٥٦٣ (جَبْسين).

	٣: ١٦٧، ٢١٩، ٢٢٢، ٣٧٥
جص	١: ٢٨٦، ٣٩٨/ ٢: ١٦٤، ١٦٥، ٣٦٤
جبسين مغسول	٣: ١٦٧
جص محرق	٢: ١٩١
جص مقتول	٣: ١٥٨
جص ميت	٢: ١٦٥
حجر الجص	١: ٢٨٥
الشراب الذي يقع فيه الجبسين	٣: ٣٧٥

هو في المفردات المعدنية التي ذكرها ابن سينا في كتاب الأدوية المفردة من موسوعته القانون فقال: «جبسين. الماهية: هو حجر الجص صفائحي أبيض مشف وإذا أحرق ازداد لطافة .. الطبع: بارد يابس. الأفعال والخواص: مغرّ يوضع على نواحي النزوف فيقبض ..» وبعد صفحة، جاء في القانون، طبعة بولاق فقط «جص: كالجبين».

ذكرته المراجع كلها بالاسمين، ولم تختلف في أنه ذلك الحجر الذي يستعمل في البناء، وقد يسمى أيضًا اسفيداج الجصاصين ـ قاله ابن جزلة ـ ووصف بعض أصنافه بأنه أبيض براق صفائحي[1]، وبعضها بأنه حجر رخو أبيض أو أحمر أوممتزج. وقال أبو عمران القرطبي: «جبسين هو حجر الجبس قبل تحريقه، وهو جبس الغرّانين، وهو حجر أبيض براق، ويقال له أيضًا الجص، ويقال له أيضًا اسفيداج الجص». وهو بلغة العلم الحديث معدن مكون من كبريتات الكالسيوم المائي. واسمه العلمي Gypse.

الجبسين والجص معرّبان كلاهما، قيل من الفارسية. والصواب أن أولهما

(١) أي متبلور حسب اصطلاحنا المعاصر.

يوناني الأصل انتقل إلى السريانية، ومنها إلى العربية والفارسية. والثاني معرب من الاسم الفارسي گچ. لم تذكر المعجمات العربية الجبسين بل الجبس والجص. جاء في تاج العروس: «الجص بالفتح، ويكسر، وهو الأفصح، وهو معرب لأن الجيم والصاد لا يجتمعان في كلمة عربية ..» أما جبسين الفارسية فقد ضبطت في برهان قاطع على وزن قزوين. وقال القوصوني في قاموس الأطباء «الجبسين بالكسر وفتح المهملة»! وقال في الجص «هو الجبسين في كتب الأطباء، والجبس في كلام العامة» قلت: وعامة أهل الشام تسميه الجبصين.

جُبْلاهَنَك*

جبلاهنك، جبلهنك	١: ٢٨٣/ ٣: ٢٢٥
جيلاهنك [تصحيف]	١: ٢٨٨
جبلاهنك هندي	١: ٢٨٤
قشور أصل جبلاهنك	١: ٢٨٤

من الأدوية المفردة في القانون جبلاهنك، قال فيه ابن سينا: «الماهية: يقرب فعله من فعل الخربق. قال قوم: هو بزر التربد الأسود، وقشور أصله هو التربد الأصفر، وينبت بالصغد لكن الجيد منه هو الهندي، وهو يشبه التودري ..» وذكر من فوائده أنه ينفع للفالج، لكن الزيادة فيه على درهم قد تقتل بالقيء»

معظم ما جاء في سائر المراجع منقول من كتاب ديسقوريدس الذي قال:

---

* كتاب ديسقوريدس ٣٥٥ (سميا موايداس الكبير)، والحاوي ٢٢: ١٧ (جبلهنك)، والصيدنة ١٣٧، ومنهاج البيان ٦٧أ (جبلهنج)، ومختارات ابن هبل ٢: ٥٢، والمنتخب ٩٧ (جبلهنك)، ومفيد العلوم ٣٠ (جلبهنك)، ومفردات ابن البيطار ١: ٦٥ (جلبهنك)، ومالايسع ١٤٨ (جلبهنك)، وتذكرة الأنطاكي ١: ١٠٠ (جيلهنج)، ومعجم أحمد عيسى ١٥٤ (١٥)، والمصطلح الأعجمي ٢: ٣٠٠، والقاموس المحيط وتاج العروس (سمسم: السمسم البري)، وبرهان قاطع ٢: ٥٨١ (جلبهنگك).

«سيساموايداس الكبير، وهو الذي يسميه أهل بانطيقن خربق لأنه يخلط للإسهال بالخربق الأبيض. هذا النبات هو من النبات المستأنف كونه، ويشبه النبات الذي يسمى اريفان أو السذاب، وله ورق طويل وزهر أبيض وأصل دقيق لا ينتفع منه في الطب، وبزر شبيه بالسمسم مر الطعم ..» وذكر من فوائده أنه يقيء البلغم والمرة. أما ماجاء في القانون فقد نقله كل من ابن جزلة في المنهاج وابن هبل في المختارات وجاء في المنتخب من مفردات الغافقي منسوباً إلى مجهول، ونصه: «مجهول: وقد يكون نبات آخر يسمى الجبلهنك في الآجام ويشبه البردي[1]، وقشره هو التربد الأسود، وينبت بالهند والصعيد[2] لكن الهندي أجود، وفي شرب درهم منه خطر. يقيِّئ ويسهل، وبعضهم كان يبرئ، به المفلوج» وجاء في مفردات ابن البيطار منسوباً إلى ابن سينا «هو صنفان أحمر وأصفر، يقرب فعله من فعل الخربق، ولكن الجيد منه هو الهندي ..». الاسم العلمي لنبات جبلهنك، كما في معجم أسماء النبات للدكتور أحمد عيسى، هو Reseda alla.

ورد هذا الاسم في القانون بشكلين هما: جبلاهنك، وجبلهنك، وفي المراجع فضلاً عليهما جبلهنج وجلبهنك وغيرهما، وكلها ألفاظ معرّبة من الفارسية (جلبهنگك) نبه البيروني على أن الباء تلي اللام. وضبطها ابن البيطار بقوله: «جلبهنك أوله جيم مفتوحة بعدها لام ساكنة ثم باء بواحدة مفتوحة وهاء ساكنة بعدها نون مفتوحة ثم كاف».

---

(١) كذا وفي القانون النودري كما سبق.

(٢) كذا، والصواب بالصغد كما جاء في القانون وفي حاشية التحقيق.

(التعريف والنقد)

العلاّمــة الكبير

الدكتور محمد السويسي(*)

أ. شحادة الخوري

بين سواحل سورية الطبيعية، أرض كنعان، التي دعاها الإغريق فينيقية، وشواطئ تونس الإفريقية، جسر ممتد فوق البحر الأبيض المتوسط صنعه الإنسان منذ زمن بعيد، جسر مازال قائمًا حتى اليوم ولم تزده الأيام إلا قوة وصلابة، جسر يربط المشرق العربي بالمغرب العربي برباط القربى والأخوة والمحبة.

دخلت «عليسة» أميرة صور أرض تونس الخضراء، وبعدها دخلها عقبة ابن نافع، ثم جموع بني هلال الكثيفة وحلُّوا في ربوعها وأَنِسوا بالطبيعة الرائعة وأنس قدماء سكانها بهم، فكان التمازج الذي رسم صورة تونس العربية، وزرع في أرضها الوئام والخير والسلام.

أقول هذا لأُفصح عن محبتي لتونس التي سعدت بالعيش فيها سنوات تسعًا، أحسست فيها بأنني في شام ثانية تاريخًا وقيمًا وجمالاً، ووجدت اللغة العربية لغة ابن خلدون والشابي اللغة التي تعشقها الأُذن ويصدح بها اللسان.

وجدت في تونس إخوة وأخوات، أصدقاء وزملاء، في رحاب المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وفي خارجها، مازال شوقي إليهم، بعد مفارقة بلغت خمسة عشر عامًا يتجدد ويقوى، شوقًا يسكن الفؤاد ويملأ القلب.

(*) أُلقيت هذه الكلمة بتاريخ ٩/ ١١/ ٢٠٠٥ في الحفل التكريمي الذي أقامه المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون «بيت الحكمة» في مقره بتونس للمربي الفاضل والعالم الكبير الأستاذ الدكتور محمد السويسي العضو المراسل في مجمع اللغة العربية بدمشق.

الأحبَّة كثيرون، ولكنّ للدكتور محمد السويسي مكانًا أثيرًا خاصًّا، وربما كان ذلك لتقارب الفكر والمنهج، وتماثل الهدف والأمل، فامتدت صداقتنا ربع قرن حتى الآن فما أوهَنَها بُعْدٌ ولا أضعفها فراق.

عرفته الأديب الأريب، في حديثه عذوبة وحلاوة، وفي تآليفه صدق وبراعة. هو الإنسان الذي بلغ من العلم أكمله فآخى بين الإيمان والعقل، ثم علّم فأفاد وكتب فجلّى وألّف فأبدع، وأذاع المعرفة العلمية، ونشر جواهر التراث العربي الإسلامي، وعرَّف بأعلامه في الرياضيات وسائر العلوم، مُظهِرًا مواطن الإبداع لديهم.

إنه إنسانُ خُلقٍ سامٍ وقيمٍ رفيعة، لا يعرف الحقد والغضب، ولا التعصب الذميم. وفي الأسرة هو الرجل الوقور والزوج العطوف والوالد المحب والجد الودود.

أجل أحببت محمدًا وأجْلَلْتُهُ وأحْلَلْتُهُ في نفسي أخًا وصديقًا، بل اتخذته لي القدوة والمثال علّني أستطيع أن أقبس بعضًا من فضائله.

لقد قرأت أكثر ما كتب، وإنه ليدهشك بفكره اللماح وشعوره الفياض وتحليله الدقيق وعبارته البليغة واعتماده، في مناقشته الأمور، على التجربة والبرهان وقوة الحجة وبلاغة البيان.

ولست أدري بماذا أستطيع أن أتحدث اليوم عنه وأنا أقلّب مؤلفاته وتحقيقاته، كتبه وبحوثه ومقالاته. هي ثلاثة وعشرون كتابًا أولها «لغة الرياضيات بالعربية» إضافةً إلى كتبه التدريسية الأربعة، ودراساته المنشورة في دائرة المعارف الإسلامية، ومجلة المباحث ومجلة الفكر بتونس، وحوليات الجامعة التونسية، ومجلتَي مجمَعي اللغة العربية في دمشق وعمان، ودراسات

ومقالات أخرى. وأنا أتذكر مشاركاته النشيطة والفاعلة في المؤتمرات والملتقيات العلمية والثقافية في النطاق التونسي والعربي والدولي، وهي تُنيِّف على الخمسين، التقينا معًا في ثلاثة منها.

ولست أدري بماذا أستطيع أن أتحدث، بين علماء أجلّة وأدباء كرام ومثقفين أفاضل... بعضهم زامله في التدريس وبعضهم تَلْمَذ له، وبعضهم قرأ له، وبعضهم كتب عن دوره الرائد في نشر العلم والمعرفة... إن الحديث عنه لعسير، لأنه أوسع من صفحات معدودة ودقائق محدودة، وهل يجمع البحرَ إناء، أو يُختصر العمر في هنيهات، فحسبي أن أشير بإيجاز إلى بعض الإضاءات في فكر الدكتور محمد السويسي.

أول هذه الإضاءات موقفه من الاستشراق في دراسته المتميزة حول «آراء بعض المستشرقين حول التراث العلمي العربي والرد عليها» هذه الدراسة التي نُشرت في كتاب «مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية»، الكتاب الذي أصدرته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومكتب التربية العربية لدول الخليج. إنه يلخّص أهم عناصر الحملة التي شنَّها عدد من المستشرقين الأوربيين على العلم العربي والفكر العربي عامة، بقصد الحطّ من العرب وإنكار قدراتهم على التحليل والإبداع ووسم تراثهم العلمي بأنه منقول عن الآخرين، وذلك تسويغًا لاستعمار البلدان العربية وسلب حريتها وخيراتها، فادَّعَوا أن بين عقلية العرب الساميين عامة وعقلية الآريين الأوربيين تباينًا كبيرًا، فالعرب نَقَلَة وليس ثمة عِلم عربي، وليس بين العلماء إلا قلة من أصل عربي، وزعموا أن العرب بطبعهم يتأثرون بالأوهام ويميلون إلى الاشتغال بالتنجيم والسيمياء.

وقد أورد الباحث أمثلة من أقوال بعض المستشرقين منهم أميل قوتيي

المولود في كليرمون فران بفرنسا (١٨٨٤- ١٩٤٠): «إن العرب ورثوا عن الكلدان انشغالهم بالتنجيم واستطلاع الغيب، وهذا الانشغال مشرقي أساسًا، كما أن من سمات الفكر المشرقي غلبةَ الروح التجارية الانتفاعية وحدَّة الأنانية وحبَّ الذات».

وقال أرنست رينان (١٨٢٣- ١٨٩٢): «منذ القدم كان الفكر السامي بطبيعته، مضادًا للفلسفة رافضًا للعلم» وقال أندره سرفيي: (إن ما يدعى بالحضارة العربية لا وجود له البتة... فهذه الحضارة إنما أنشأها شعوب أخرى...).

وينبري الدكتور محمد السويسي متسلِّحًا بفكره الوقَّاد ومعارفه الغزيرة للرد على هذه الأكاذيب والمزاعم فيعرِّي العنصرية البغيضة عند هؤلاء، إذ لا وجود لعرق متفوق وعرق وضيع ولا لدم نقي ودم فاسد، ولا فضل لعربي على أعجمي إلا بالسعي والعمل الصالح. إن الابتكار والإبداع ليس وقفًا على شعب أو جنس أو موطن، بل هو متاح لكل إنسان وكل جماعة إذا ما ساعدت الظروف والأحوال، ولا يولد مولود إلا في موعد محدَّد وفي حال معيَّنة، وإن العلم العربي حقيقة تاريخية.

وعلى أية حال، فإننا إذا قلنا «العلم العربي» لا نقصد أن أربابه عرب أصلاء من الجنس العربي بل نقصد أنه دوِّن باللغة العربية ونهل أصحابه من الثقافة العربية وعاشوا في كنف الدولة العربية وعلى الأرض العربية، وإن كانوا من أصل غير عربي أو لا يدينون بالإسلام. فالعلم العربي هو نتاج مجتمع ظهر للعيان بعد الفتوح الإسلامية فكانت الدولة العربية موطنه والعربية لغته والثقافة العربية ثقافته وقد تمثَّلت ثقافاتِ الأقوام الأخرى.

وقد دعم الدكتور محمد السويسي ردّه بأمرين مهمين:

- **أحدهما**: أورد الإضافات التي أضافها العرب لكل علم من العلوم التي نقلوها عن غيرهم ليثبت أنهم كانوا روّاد العلم قرونًا عدة و لم يكونوا نَقَلَة.
- **ثانيًا**: استنبط قواعد المنهج الذي اتَّبعه العلماء العرب، و لم يُعرف عمَّن سبقهم.

ومن هذه القواعد:

لا يكون الحق إلا ما أملت التجربة أنه حق، قال ابن البيطار: «فما صح عندي بالمشاهدة والنظر وثبت لدي بالخبرة لا الخبر، ادخرته كنزًا سريًا، وما كان مخالفًا في القوى والكيفية والمشاهدة الحسية، في المنفعة والماهية، للصواب والتحقيق، نبذته ظهريًّا وهجرته مليًّا وقلت لناقله أو قائله لقد جئت شيئًا فريًّا».

الحكمة ضالة المؤمن أنّى وجدها أخذها: فقد أقبل العرب على نقل كتب الأولين مهما كانت أرومتهم ومهما كانت نحلتهم الدينية، وجروا على ما جاء في الحديث الشريف: «اطلبوا العلم ولو بالصين».

لا علم بلا عمل، والعلم جد ومثابرة، فقد قال قائلهم: «وإنما مثل العلم بلا عمل كمثل الشجرة بلا ثمر وكمثل الرعد والبرق بلا مطر أو القوس بلا وتر».

وقال جابر بن حيان: «كن صبورًا ومثابرًا وصامتًا ومتحفظًا».

الغرض من العلم فهم الواقع وإدراك دقائقه: لقد مالوا إلى السعي لمعرفة الحقيقة وإدراك الواقع وتحرروا من الاعتبارات الماورائية، وجعلوا العقل إمامهم. وعلى الباحث كما قال أبو الوليد ابن رشد: «ألاَّ يُنْزِلَ الباحثُ العقلَ عن منزلته ولا يجعله – وهو الحاكم – محكومًا عليه ولا – وهو المتبوع – تابعًا، بل يرجع في الأمور إليه...».

لا علم إلا بالعدد: كانت المعرفة في نظرهم مقترنة بالتقدير والقياس. وكان للعدد دور أساسي في العلم العربي عامةً، والمغربي والأندلسي خاصة. ومن ذلك أن علماء الفلك قاموا بتقدير حركات الكواكب وتدقيق آلات رصدهم وتحرير أزياجهم المَجَرِّية.

العلم مشاع بين البشر ولكل امرئ الحق في تحصيله: إن على العالِم ألا يبخل بعلمه على أحد. أَلَمْ يتقاطر الطلاب من أنحاء الغرب على جامعات الأندلس لتحصيل العلم؟

ويؤكّد الدكتور محمد السويسي بعد عرضه الرائع لهذه القواعد: «أن المعرفة والعلم مشروع بشري هام، وباب مفتوح في وجه كل الشعوب... وأن لكل زمن جولة ولكل أمة دولة». فأين قوله هذا مما قاله العشرات من المستشرقين المغرضين الذين جانبوا الحقيقة والحق، ووضعوا أنفسهم مهادًا للمستعمرين الذين سطوا على البلدان العربية، قطرًا بعد آخر، منذ حملة نابليون حتى اليوم من إنكليز وفرنسيين وأمريكيين، امتدادًا لحملات حروب الفرنجة في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، وفتوح الإسكندر المقدوني والرومان في العصور السالفة من قبل.

ومن الحق أن يقال إن الدكتور محمد السويسي قد فنَّد أقوال المستشرقين الذين زاغ نظرهم عن رؤية الحقيقة فجحدوا فضل العرب بدافع أفكار ومشاعر قَبْلِيَّة. ولكنه لم يشمل جميع المستشرقين، فَعَنْوَنَ دراسته بكلمة «بعض المستشرقين»، بل هو يعترف لعدد كبير منهم بما أسدَوْه من جليل الأعمال قصدَ التعريف بالحضارة الإسلامية وبالعلوم العربية بوجه خاص... ذلك أن بعضهم حرّكوا عجلة البحث في الغرب والشرق وحقّقوا الكثير من

المخطوطات العلمية، بل يذكر بعضًا منهم بالحمد والإطراء مثل لوسيان لوكلير، ورينو وبراون ومايرهوف وموللي وسيديو...

ومن الجدير بالتسجيل أن الحديث عن الاستشراق هو حديث عن العلاقة بين الغرب والعرب، العلاقة الفكرية والسياسية والعقيدية والاقتصادية خلال الزمن، منذ أكثر من ألفي عام. ولعل أقدر من تصدى لشرح هذه العلاقة وسبر أغوارها، بعد أن كان للدكتور محمد السويسي اجتهاده ولمساته وكشوفه، هو المفكّر والناقد والمنظّر الفلسطيني إدوار سعيد في كتابه المشهور (الاستشراق) (الصادر عام ١٩٧٨) الذي حلّل فيه العلاقة بين القوة والمعرفة، وأداء الخطاب الاستشراقي العام لوظيفة تعبوية وسياسية وتخييلية خدمت السياسات الاستعمارية وشكّلت جزءًا لا يتجزأ من مناخات صعود الإمبريالية.

لعمري ألم يَحِنِ الوقت لإحلال علاقة طبيعية بين الغرب والشرق تقوم على الاحترام المتبادل والتعايش المشترك، علاقة تعتمد الإنصاف لا الإجحاف وترتكز على الاعتراف بالآخر وحق كل إنسان وكل جماعة بالحرية والكرامة، والحق في التعلم والتعليم والكشف والإبداع؟ أم ضاقت بأهل الغرب أرضهم المتسعة، فخرجوا إلى أرض العرب، تحرّكهم أطماع لا تشبع وجشع لا يرتوي، ونزوع إلى السيطرة والاستئثار لا حدود له؟!

والإضاءة الثانية هي (وحدة الفكر) وإيضاح أن الخلق والإبداع هما نتاج الفكر البشري، ويكونان في العلوم بقدر ما يكونان في الشعر والأدب.

ويرى الدكتور محمد السويسي أن العلم والأدب ليسا ميدانين متنافرين أو مجموعتين مغلقتين منفصلتين الواحدة عن الأخرى، ويُورد تأييدًا لرأيه براهين عدة:

- إذا كان الأدباء عامة والشعراء خاصة يرون أن من مزية الأدب أن

يخلُوَ الأديب إلى ذاته وينعزلَ عن الجماعة لينصتَ إلى خلجات شعوره ورفّات خياله فيصوغَها بألفاظ وعبارات جميلة، فإن قلب العالم مشغول كذلك بما يصبو إليه، ويكون في غفلة تامة عمَّا حوله عند انكبابه على البحث.

- إن العلم كالأدب متعة للروح وغذاء للقلب والعقل، وفيهما كليهما جمال قد يَحُلّ في اللفظ والعبارة والصورة، أو في المعنى والأسلوب والنظم.
- إن الجمال في الأدب هو الجمال في العلم، وروعة الجديد تتجلّى في معادلة مبتكرة كما تتجلّى في قصيدة شعرية أو قصة ممتعة.
- إن الخلق والإبداع، في مجال العلم كما في مجال الأدب، حُمَّى تنتاب الجسم وتقطِّع في النفس، حتى يلوح نور من العقل والإدراك، ويكون الإشراق الذي ندعوه الإنتاج الفكري أو المخاض العقلي وولادة الجديد.

ثم يمضي إلى القول: إنه ليس ثمة تنافر بين العمل العلمي وبين ما اتصفت به روائع الأدب والفن من صفات الشمول والعموم والخلود، وإن اكتشاف مَجَرَّة كانت في عالم المجهول يضارع نظم قصيدة من عيون الأدب.

إن في موقف الدكتور محمد السويسي الكثير من الصدق، ولكن مسألة تماثل العلم والأدب ستظل مسألة تتباين فيها الآراء وتختلف فيها الأقوال.

والإضاءة الثالثة والأخيرة هي موقفه من اللغة العربية والتعريب. إن اللغة العربية هي كما يراها الدكتور محمد السويسي، عماد هويتنا ووعاء تراثنا العلمي والأدبي، إنها اللغة التي تنزَّل بها القرآن الكريم واتسعت للعلوم النقلية والعقلية، لغة المعرفة في العالم قرونًا عدة وإحدى اللغات الكبرى في عالم اليوم.

وفي رأيه أن العربية مثلما كانت في الماضي لغة العلم، في مقدورها اليوم أن تكون لغة العلم كذلك.

يقول في دراسة نشرها في مجلة الفكر التونسية عام ١٩٧١ موضوعها:

«نظرات في التعريب»:

«نبدأ القول مؤكّدين أن تونس لغتها عربية، بذلك نؤمن وعليه نعتمد وفي سبيله عَملْنا ومازلنا نعمل، وفي الإيمان بالعربية اعتزاز بشخصيتنا واعتراف بقوميتنا وبشعار من أشد شعاراتها أصالة لائط بأعماق نفوسنا مقوِّمٍ لكياننا».

ويجيب في الدراسة ذاتها عن سؤال يتردد على ألسنة بعض المشكِّكين بصلوح العربية لغة علم فيقول: «إن اللغة اليابانية أصبحت لغة علم و لم تكن كذلك من قبل واللغة الغاليكية، لغة إيرلندا، أصبحت بعد انفصال هذا البلد عن إنكلترا لغة علمية و لم تكن من قبل إلا لهجةً قبلية جهوية تابعة للمجموعة الإنكليزية.

وأخيرًا فإن اللغة العبرية أصبحت علمية بعدما كانت في ماضٍ غير بعيد في عداد اللغات الميتة التي لم يكن ليفقهها سوى بعض الرّبِّيين في الطقوس اللاهوتية».

وواقع الحال، أنه ليس من لغة قابلة لاستيعاب العلم وأخرى غير قابلة، بل كل لغة قابلة للاتساع والارتقاء والوفاء بحاجات أهلها، إذا هم بذلوا الجهود اللازمة لخدمتها؛ فكيف لا تكون العربية لغة صالحة للعلم وهي اللغة ذات الخصائص الباهرة في مبانيها ومعانيها وقدرتها على التوليد والنماء.

لقد توجَّهت تونس عند بداية استقلالها توجُّهًا عربيًّا، فأول بند من دستورها: «تونس جمهورية، الإسلام دينها، والعربية لغتها»، وأتت التصريحات المسؤولة والخطب الرسمية بعد ذلك مؤكِّدة لهذا الركن من هويتها.

ويقول الدكتور محمد السويسي:

● عند التطبيق توالت فترات المد والجزر وصار المشرفون على التنفيذ يقدِّمون رجلاً ويؤخرون أخرى، وقد نُفذ تعريب التعليم الابتدائي وتوسعت رقعته في الثانوي، وهذا يقتضي تعريب التعليم العالي، ولكن هذا الأخير بقي عشوائيًا

يستند إلى بعض مبادرات ومجهودات فردية.

- ويقول: إنه ينبغي ألا نغفل عن هذا العمل ولا نتغافل عنه، وألا نترك الرياح تجري بما لا تشتهي السفن.

إنه يحث على التعريب، وهو يعلم أن هذا الأمر يحتاج إلى إرادة واعية وخطط مدروسة تتضمن توفير ما يتطلب من مستلزمات لضمان نجاحه، ونجاحه هو نصر للأمة وتعزيز للتقدم وإرساء للنهضة.

أيها السيدات والسادة:

الحديث عن الأخ الدكتور محمد السويسي حديث عن آمال أمتنا العربية وتطلعاتها، ولا يفيه حقه حديث وإن طال، فحري بمن يملك القدرة أن يتصدى، دون إبطاء، إلى وضع كتاب مفصَّل عن الرجل الكبير وآرائه ومنجزاته ليكون في أيدي الأجيال مشعلاً هاديًا. لقد كرَّمَته هيئات ومؤسسات عديدة بمنحه عضويتها، ويعتز مجمع اللغة العربية بدمشق بعضويته فيه منذ عام ١٩٨٦، ومنحته الدولة التونسية جائزة الإبداع الثقافي في السابع من نوفمبر ١٩٩٧. وإني لأتمنى على المسؤولين في الدولة وفي مقدمتهم **السيد رئيس الجمهورية زين العابدين بن علي** أن يطلقوا اسم العلاّمة الدكتور محمد السويسي على معهد أو مدرسة ثانوية بتونس، وعلى شارع من شوارعها وأن يُقام مركز ثقافي باسمه في مسقط رأسه دار شعبان بولاية نابل.

إن في ذلك تكريمًا لرجل أعطى أوفر العطاء، وتزكية لأفكاره ومبادئه وتوجهاته، وتخليدًا لرائد كبير يرمز إلى ثوابت هذا البلد هوية ولغة وتاريخًا، وتطلُّعًا إلى نهضة حقيقية ومستقبل وضَّاء.

قراءة في كتاب
(من اسْمُه عمرو من الشعراء)
لأبي عبد الله محمد بن داود بن الجراح
بتحقيق الدكتور عبد العزيز بن ناصر المانع

د. عِزّة حسن

تصحيح ورفد

رأيت مخطوطة هذا الكتاب الفريدة قبل خمسين سنة خلت. واقتنيت صورة منها فيما اقتنيت من صور المخطوطات العربية النادرة المحفوظة في خزائن مدينة إستانبول، جنة التراث العربي الإسلامي، وفي غيرها من خزائن مدن الأناضول. وذلك حين إقامتي في تركية أستاذًا للغة العربية وآدابها في كلية الإلهيات بجامعة أنقرة. وحملتُ هذه الصور معي حين عودتي إلى دمشق بدعوة من وزارة التربية فيها، على أمل وعزم أن أشتغل بها وأن أُعْنَى بتحقيقها ونشرها على مدى الأيام.

وفي رحلتي إلى القاهرة صيف سنة ١٩٦٠ سُعدت بلقاء المرحوم العلاّمة محمود محمد شاكر في داره برفقة المرحوم فؤاد سيد. ودار الحديث بيننا في شؤون الكتب، وتشعّب إلى الكلام في مخطوطات تراثنا القديم ولا سيما النسخ النادرة منها المحفوظة في خزائن مدينة إستانبول. وفي شجون الحديث أخبرت الشيخ العلاّمة، فيما أخبرته، باجتلابي صورة من مخطوطة كتاب (مَن اسْمُه عمرو من الشعراء) الفريدة المحفوظة في خزانة جامع السلطان محمد الفاتح. فأبدى رغبته في الحصول على نسخة منها. فوعدته خيرًا. وحقًا أعددت له صورة على الورق من الكتاب حين عودتي إلى دمشق. حملها إليه صديقنا الأستاذ إبراهيم شبّوح، العالم التونسي الذي كان مقيمًا عندنا بدمشق في تلك الأيام. وقد حَدَسْت أن الشيخ العلاّمة سوف يشتغل بهذا الكتاب ويُعْنَى

بتحقيقه. والحق أنني سُررت كل السرور لهذا الحَدْس حينذاك، وتخليت عن نيتي في الاشتغال به، وصرفت عزمي وجهدي إلى العمل في كتب أخرى كنت رسمت لنفسي العمل فيها على مرّ الزمن.

ودارت الأيام والسنون بعد ذلك، و لم أسمع عن الكتاب شيئًا، بل أنسيت ذكره. ثم علمت أن صديقنا المرحوم العلاّمة الشيخ حمدًا الجاسر بدأ بتحقيقه في مجلته الغرّاء (العرب). ولكنه توقف عن الطبع و لم يتمّه، بعدما سار فيه أشواطًا. و لم أعرف السبب، ولقد أحزنني ذلك.

ثم كانت المفاجأة السارّة حين رأيت الكتاب مطبوعًا في حلة فاخرة، كأنّه عروس مجلوّة في ثياب قشيبة جميلة. إنه كتابي المخطوط الذي عرفته قديمًا، وأنسيته طويلاً، قد عاد إليّ مطبوعًا. عمّ السرور نفسي، وشعرت بنبضات الفرح تغمر فؤادي.

قرأت الكتاب سعيدًا مسرورًا، وكأنني أراه وأقرؤه أول مرة. ولقد جوّد الأستاذ الدكتور عبد العزيز المانع تحقيقه، وبذل فيه جهدًا كبيرًا، أعطى ثمرة طيبة. ويتجلّى تجويده في تنقيح متن الكتاب وتقويمه اعتمادًا على نسخة مخطوطة وحيدة، وذلك أمر عسير، كما نعلم، في ميدان تحقيق كتب التراث القديم. ويتجلّى كذلك في الحواشي الكثيرة الغنية بالفوائد التي أغنى بها الكتاب. ويشهد كل ذلك بفضله الجمّ وعلمه الواسع. وينبئ حقًا بأن عالمًا آخر كفئًا قد برز إلى ميدان الاهتمام بآثار تراثنا القديم والعمل في جدّ وصدق على إحيائها في تحقيق علمي قويم، ليفيد منها العلماء الباحثون في تاريخ الأدب العربي وفي سائر فنون الثقافة العربية كافة.

وفي أثناء قراءتي الكتاب وقفت على بعض الخلل في تحقيق مواضع منه، ووجدت شيئًا من الغلط قد شاب أشياء فيه، ولاسيما نصوص الأشعار. وأنا آمل أن يكون بعض هذا الخلل وهذا الغلط ناتجًا من سوء الطباعة وغلطها، وأن

يكون بعضه حصيلة التسرُّع في النظر والعمل أثناء تحقيق النصوص.

وقد رأيت من الخير أن أشير في الصفحات الآتية إلى جملة من هذه الأمور، وأذكر الصواب فيها جهد الطاقة. وقصدي من وراء ذلك الإسهام بقسط ما في زيادة تحسين الكتاب وتقويمه. والله من وراء القصد. وبه نستعين.

ص.٥ س.٢:

«ثم حدثتُ بالحديث أبا العباس أحمدَ بنَ يحيى ثعلب، رحمه الله».

الصواب: ثعلبًا، بالنّصب لأنّه بدل من قوله: أبا العبّاس.

ص.١٢ س.١١:

وقد نهلَتْ منها الرياحُ وعَلّتِ

الصواب: الرِّماح. وهو كذلك في المؤتلف والمختلف للآمدي ص. ٢٣٢. ويؤيد ذلك أن مدار الكلام على الغارة والقتال في الأبيات، ونرى أن هذا الغلط ناتج عن سوء الطباعة. ويدعونا ذلك إلى مطالبة العلماء بصنع جدول لتصحيح الغلط دائمًا في ختام كتبهم ومنشوراتهم.

ص.١٤ س.٢:

[أ] يا راكبًا بَلّغْ حبيبَ بنَ خالد

وقال في الحاشية (٢): أضفت الهمزة الواقعة بين معقوفين أول البيت ظنًّا أن الوزن لا يستقيم بدونها.

وهذا القول خطأ في الظن. والصّواب: يا راكبًا، كما جاء في الأصل. وذلك لأن البيت من الطويل، وقد لحق أولَ أجزائه، وهو (فعولن)، الخَرْمُ فصار إلى (عُولن). والخرم هو حذف أول متحرك من الوتد المجموع في أول البيت. وهو يكثر في مطالع الأشعار وأوائل الكلام، ولاسيما المطالع التي تبدأ بالنّداء كما في هذا البيت. ومنه شواهد كثيرة في أشعار العرب. ويكون في خمسة أوزان من العروض: الطويل والوافر والهزج والمضارع والمتقارب

(القوافي للتنوخي ٦٩- ٧٠).

وقد وقع مثل هذه الإضافة خطأً في مواضع أخرى من الكتاب. نذكر منها الصفحات الآتية:

٢١: ١٤، ٢٣: ٧، ٢٦: ٢، ١٠٠: ٣، ١٠١: ١، ١٦١: ٦، ١٦٤: ٥.

ص. ٣٥ س.٩:

قول المرقش الأكبر:

هــل بالديــار أن تجيــبَ صَمَمْ لــو كــان حــيّ بهــا لتكــلَّمْ

عجز البيت فيه خطأ أخلّ بالوزن وأفسد المعنى والصورة الشعرية. والبيت من السريع.

ورواية المفضَّليات ٢٣٧:

لو كان رسمٌ ناطقًا كَلَّمْ

هي الصحيحة. فيُؤخذ بها، ويصحَّح ما جاء في الأصل. فيستقيم الوزن، ويصح المعنى، وتسلم الصورة الشعرية. فالمقصود في المعنى والصورة هنا هو كلام الديار أو كلام رسمها، وليس كلام الحي الذي بها. ونعني صمم الديار عن الكلام. وهذا هو الوجه الذي جرى فيه شعراء العرب في مثل هذه الصورة الشعرية. قال زهير بن أبي سلمى في مطلع معلقته:

أَمِــنْ أمّ أَوْفَــى دِمْــنَةٌ لم تَكَلَّمِ بحَوْمانــة الــدَّرَّاج فالمُتَثَــلَّمِ

ص.٥ س.٢:

ولــو شَهِدَتْني يومَ خِضْرِمَ سَرَّها وُقــوفي على صَدْرِ المُقَامُ ومَقْدِمي

الصواب: المَقام ومُقْدَمي، أو مَقْدَمي.

المُقْدَم مصدر ميمي من فعل (أَقْدَمَ) في القتال، أي تقدّم. والمصدر الميمي يُصاغ من الفعل المزيد مثل (أقدم) على صيغة اسم المفعول منه سواء، أي مُقْدَم. وفي اللسان (قدم): «يُقال: هو جريء المُقْدَم، بضم الميم وفتح الدال، أي

جريء عند الإقدام. والقُدْم: المُضِيّ وهو الإقدام. يُقال: أقدم فلان على قِرْنه إقدامًا وقُدْمًا ومَقْدَمًا، إذا تقدَّم عليه بجراءة صدره».

فالصواب على هذا النحو هو: مُقْدَمي، أو مَقْدَمي، كما قلنا. أما مَقْدِمي، بكسر الدال، فخطأ لا يجوز.

ص.٤٤ س.٥:

عمــرَو بــنَ هــندٍ إنَّ مَهْــلَكَةً قــولُ السَّــفاهِ وشِــدَّةُ الغَشَمِ

الصواب فيه: الغَشْمِ، بسكون الشين. والبيت من الكامل، عروضه حذّاء (فَعِلُنْ) منقول عن (مُتَفا)، وضربه أحَذّ مضمر (فعْلُنْ) منقول عن (مُتْفا).

والغَشْم: هو الظلم والغصب (اللسان: غشم)

والبيت أول ستة أبيات للشاعر في معجم الشعراء ٢٥.

ص. ٤٧ س. ٣،٥:

عمرو بن خالد... الضَّبّعي:

الصواب: الضُّبَعي، نسبة إلى ضُبَيْعة، وليس إلى الضَّبُع. وليس في العرب قبيلة باسم الضبع.

وقوله:

إن الفــوارسَ يــومَ ناعجةَ النَّقا نِعْــمَ الفــوارسُ مــن بني سيّارِ

الصواب فيه: ناعجةِ، بالكسر، لأنه مضاف إليه. وقد ضُبط بالكسر في معجم الشعراء ٣٩.

ص.٥٧ س.١،٤:

عمرو بن عصم الضُّبَيْعي.

الصواب: الضُّبَعي. وهو نسبة إلى ضُبَيْعة، بحذف الياء، مثل مُزَني نسبة إلى مُزَيْنة، ومثل جُهَني نسبة إلى جُهَيْنة، ومثل أُمَوي نسبة إلى أُمَيَّة. ولم تقل العرب الضبيعي.

وهذا الشاعر من ضُبَيْعةَ بنِ نزار (كتاب أسماء خيل العرب لابن الأعرابي ٨١).

وقد جاءت النسبة صحيحة: (الضُّبَعي) في معجم الشعراء ٤٠.

وقوله في نعت ركابه وهي الإبل:

عوامــلَ فيهــا يكــرم المرءُ نفسَه رجــاءَ ثــواب، لستُ فيها بمجرمِ

الرواية الأخرى (عواملَ فيما...) التي جاءت في معجم الشعراء ٤١، أرجح وأصحّ في المعنى.

ص.٥٩ س.٤:

ســائلْ قَميّــةَ هل أعْشَيْتُه فرسي أم هــل كــررتُ عليه ثم ثَنَّيْتُ

الصواب: أغشيتُه، بالغين المعجمة. يريد: أغشيته فرسي في القتال. والمعنى أنه غَشيه بفرسه. وفي عجز البيت تعزيز لذلك في قوله: كررتُ عليه. و(أعشيته) لا معنى لها في هذا الوجه. وفي اللسان (غشا): «وغَشيَه الأمرُ وتغشّاه، وأغشيتُه إيّاه وغشّيْتُه. وفي التنزيل العزيز: ﴿يُغْشِي اللَّيلَ النَّهَارَ﴾. [سورة الأعراف: ٥٤].

ص. ٦٩ س.١٠:

ومعــي عُــدَّتِي مُعــابلُ كالجمْــ ــــرِ وأغــدَدْتُ صارمًا مَشْرَفِيَّا

الصواب: مَعابِل، بفتح الميم، جمع مِعْبَلة، وهي نَصْل طويل عريض من نصال السهام. والشاعر يريد السهام بعينها هنا.

ص.٧٦ س.٥:

أمَــا تَرَيْــنا وقــد خَفَّتْ مجالسُنا والمــوتُ أمرٌ لهذا الناس مكتوبُ

(أَما) بفتح الهمزة كلمة معناها الاستفتاح، بمنزلة (ألا)، ومعناها: حقًا (اللسان: أما). وهي لا تصح هنا بهذا المعنى، لأن المقام مقام شرط. والصواب: إمَّا تَرَيْنا... فهذا هو الشرط، وجوابه في البيت الثاني من الشعر، قوله:

فقــد غَنِيــنا وفيــنا سامرٌ عَثِجٌ وســاكنٌ كــأَتِيِّ الليل مرهوبُ

وقد جاء صحيحًا في معجم الشعراء ٥٦: إمّا ترينا...

ص. ٨٠ س. ٧:

لمـــا رأيـــتهُمُ كـــأنّ نـــبالَهمْ بـــالجَذْع من نَقَرى نِجاءُ خريفِ

الصواب: بالجِزْع... نَجَاءُ.

والجِزع هو جِزع الوادي أي منحاه أو جانبه. ولا معنى للجذع هنا. والنجاء بفتح النون: السرعة هنا. ويريد الشاعر في الصورة الشعرية أن نِبال العدو كانت كمطر الخريف في السرعة والكثرة.

وجاء الشعر صحيحًا: بالجِزْع، في معجم الشعراء ٥٧، وفي معجم البلدان (نقرى).

ص. ٨٢ س. ٧:

إذا الـــليلُ أدْجى واسْتقلّتْ نجومُه وصـــاحَ من الإفراط هامٌ جواثمُ

الصواب: من الأفراط، بفتح الهمزة، وهي الآكام أي الجبال الصغار، واحدها فُرُط (الأمالي لأبي علي القالي ٢/ ١٢٠) وفَرْط (اللسان: فرط).

ص. ٥٤ س. ٣:

إنـــك قـــد يكفيـــكَ دَرْءُ الفتى وبَغْيُـــه أنْ تـــركُضَ الغاليَـــهْ

الصواب: درءَ الفتى... وبَغْيَه، بالنصب فيهما. والعاليَهْ، بالعين غير المعجمة.

والمعنى:يكفيك أن يقيك درءَ الفتى، أي اعوجاجَه عليك، وظلمَه لك أن تركض نحوه العالية، وهي عالية الرمح، أو اسم فرس (النوادر لأبي زيد الأنصاري ٦٢-٦٣، وخزانة الأدب للبغدادي ٩/٢١-٢٢). وقال في الخزانة: «قوله: أن تركُضَ العالية، في تأويل مصدر مرفوع فاعل يكفيك، أي يقيك. وبغيَ الفتى مفعوله الثاني، ودرءه معطوف على بغي... والعالية بالعين المهملة: اسم فرس الشاعر». ورواية البيت في الخزانة:

إنـــكَ قـــد يكفيـــكَ بَغيَ الفتى ودَرْءَه أن تَـــركُضَ العاليَـــهْ

ص.٨٤ س.٧:

كـأنْ لم يكنْ بين الحُجُونِ إلى الصَّفا أنيـسٌ، ولم يَسْـمُرْ بمكة سامرُ

الصواب: الحَجُون، وهو جبل بأعلى مكة. (معجم البلدان ومعجم ما استعجم: الحَجون، والسيرة النبوية لابن هشام ١١٥/١).

ص.٨٥ س.٥:

أبـلغ بـني ثُعْـلٍ بـأنَّ ديارَكمْ قَفْـرٌ إلى الكَـرْمينِ فالصَّـيَّاحِ

الصواب: ثَعَلٍ، بفتح الثاء، وهم بنو ثَعل بن عمرو بن الغَوْث بن طَيّئ (جمهرة أنساب العرب ٤٠٠-٤٠١).

ص.٨٨ س.٧:

إن المـلوكَ مـتى تنزلْ بساحتهمْ تَطِـرْ بـكَ مـن نيرانهم شَرَرَهْ

سقطت كلمة (يومًا) من أول عجز هذا البيت، فاختل وزنه. صوابه في معجم الشعراء ٥٩:

يومًـا تطرْ بكَ من نيرانهم شَرَرَهْ.

وروايته في الوحشيات ١٤٦:

تطـرْ بـنارِكَ مـن نيرانهم شرره

ص.٨٧ س. ٤-٥:

بـنو غُطَيْـفٍ أُسْرتي في الوغى هـم خيرُ مَنْ يعلو متون الرِّحالِ

سـائلْ بـنا حِمْيَـرَ يومَ الوغى إذا اسْـتحقّوا هَدَجًـا كالرِّئالِ

الصواب: متون الرحالْ، وكالرئالْ، بسكون اللام فيهما. وذلك لأن البيتين من السريع، العروض فيهما (فاعلنْ) والضرب (فاعلانْ). وإذا كُسِرت اللام صار الضرب فيهما (فاعلاتُنْ). وهذا لا يكون في السريع البتة.

وقوله في البيت الثاني: استحقوا بالقاف، تصحيف صوابه: استخفوا، بالفاء،

ومعناه: أسرعوا. وقد جاء بالفاء صحيحًا في معجم الشعراء ٥٩: إذا استخفوا...

ص. ١٠٠ س.٢:

[و] إنْ يَـكُ صادقًا بالتّيْم ظنّي   يَشُـبُ الحـربَ ألويـةٌ كـرامُ

الصواب: إن يك، من غير إضافة الواو، لأن البيت مخروم. وقد شرحنا أمر الخَرْم في الشعر آنفًا في كلام سابق غير بعيد.

والصواب في عجز البيت: يَشُبَّ، بفتح الباء فيه، لأنه مجزوم في الأصل لوقوعه جوابًا للشرط في قوله: إن يكُ. ويُحَرَّك بالفتح لالتقاء الساكنين.

ص. ١١٢ س.٦-٩:

إيهَـنْ بـني عـبدِ مَـناةَ الرُّزّامِ

أنـتمْ حُمـاةٌ وأبوكـمْ حـامي

لا تَعـدوني نصـرَكمْ بعدَ العامِ

لا تُسْـلموني، لا يَحِـلُّ إسلامي

الصواب في هذا الرجز سكون الرويّ فيه: الرزّامْ، حامْ، العامْ، إسلامْ. وبتحريكه بالكسر تكون التفعيلة الأخيرة في الشطرين الأول والثالث (مَفْعولاتُنْ)، وفي الشطر الأخير (مفاعيلنْ). وكلاهما خطأ لا يجوز في الرجز.

وقد جاء هذا الرجز صحيحًا بسكون الروي في السيرة النبوية لابن هشام ٦١/٢. وقوله في الشطر الأخير: لا يحلّ إسلامْ، أصله: إسلامي. فحُذفت ياء الإضافة وسُكّنت الميم لوزن الشعر.

ص. ١٢١ س.٨:

بـلّغوا قومَـنا الصَّـواهلَ أنّـا   قـد نَـبَذْنا بحُـلْيَةَ الأوزارا

الصواب في هذا البيت: بحَلْيَةَ، بفتح الحاء. (معجم ما استعجم ومعجم البلدان: حَلْية).

وقد جاء البيت صحيحًا: بحَلْية، بالفتح في شرح أشعار الهذليين ٨٠٠.

ص.١١٤ س.١:

ولكــنْ مــتى يُجْمَــا عندَ واحدٍ فحُقَّ له من طاعةٍ بنصيبِ

الصواب: متى ما يجمعا. وبه يستقيم وزن الشعر، والبيت من الطويل.

ص.١١٨ س.٤:

جــاءتْ بكــمْ فُقْــرَةٌ من أهلها حِيرِيَّةٌ ليــس كمــا تــزعمونْ

الصواب: فقرةُ، بضمة واحدة من غير تنوين، ليستقيم وزن البيت وهو من السريع. وفقرة اسم علم لامرأة، ممنوع من الصرف لذلك.

ص.١٢٠ س.٥

ثمَّ ابــنِ صُــوحانَ على دينِ عَلِيٍّ

الصواب: دينِ عَلِي، بسكون الياء، من غير تشديد ليستقيم وزن الرجز. وقد جاء صحيحًا في اللسان (جمل) وفي تاريخ الطبري ٥١٧/٤.

ص.١٢٩ س.١٠:

فإمّــا تُــرِدْنا لِهَــنْئِ الجمــالِ ومــدِّ الــدِّلاء وجــرِّ الفــرسْ

الصواب: لَهنْءِ، تُكتب الهمزة مفردة على السطر بعد النون لأنها جاءت متطرفة في آخر الكلمة، مثل: شيء وجزء وعبْء وأمثالها.

ص.١٥٧ س.٧:

ظلِــلْتُ بــرَوْحاءِ الطريق كأنني أخــو حيَّــةٍ أوصــالُه تــتقطَّعُ

الصواب: أخو جنَّةٍ. وقد جاءت الرواية الصحيحة في ديوان المجنون كما ذكر الدكتور عبد العزيز في الحاشية (٤). وكان الواجب عليه أن يصحِّح هذا التصحيف الظاهر. فلا معنى لقوله: أخو حيّة، وسياق الشعر يدل على أن الكلام جارٍ فيه على جنون الحب لا ريب.

ص. ١٦٠ س.٨، ١٣:

لَيْتَ شِعْرِي وأينَ منيَ ليتٌ أعَلَى العهدِ يَلْبُنٌ وبَرامُ

الصواب: يَلْبَن، بفتح الباء. (معجم ما استعجم ومعجم البلدان: يَلبَن).وقوله:

ولَحَيٌّ بين العُرَيْضِ وسَلْعٍ حيث أرْسَى أوتادَه الإسلامُ

صِلَته بعده في معجم البلدان (عُرَيْض). وفيها تمام معناه:

كانَ أشهى إليّ قُرْبَ جَوَارٍ مِنْ نصارى في دُورها الأصنامُ

مَنْزِلٌ كنتُ أشتهي أن أراهُ ما إليه لِمَنْ بحِمْصَ مَرَامُ

وهذان البيتان في الأغاني ١/٢٨-٢٩، وفي معجم البلدان (برام). وهما زائدان على ما جاء من أبيات القصيدة.

ص. ١٦٨ س.٤-٧:

يا ليتني كنتُ وَهْبًا كي تُطاوِعني فيما هَوِيتُ من الأشياء عَمَّتيا

إذًا لَكنتُ قريبًا من مودّتها وأُنجِحَتْ عندها، يا زيدُ، حاجَتيا

يريد وهبٌ أمورًا كنتُ آمنُها يردُّنا عن هوى ربّي ويلفتُنا

قَسٌّ وَضِيٌّ لطيف الخصر مُخْتَلَقٌ هانتْ على عَمَّتي في القَسّ سَخْطَتيا

الصواب: أن يكون الروي في الأبيات الأربعة جميعًا نونًا: (عَمَّتَنا) و(حاجَتَنا) و(يَلْفِتُنا) و(سَخْطَتَنا). ونرى أن الياء فيها من أثر التصحيف في الأصل المخطوط. يؤيد ذلك ورود الروي في بيت منها صحيحًا بالنون (يلفتنا). ورأى الدكتور عبد العزيز في تعليقه أن ورود النون في (يلفتنا) من الإكفاء، وهو الاختلاف بين حروف الروي في الشعر. وهذا من غفلاته في التحقيق. ويؤيد رأينا أيضًا ورود حرف الروي في بيتين من هذا الشعر بالنون: (حاجتُنا) و(سخطتُنا) في معجم الشعراء ٥٢.

ص.١٧٢ س.١٢:

وأفلَتَنا الحجاجُ رَكضًا، ولَوْ به لَحِقْنَا لغاوَرَنا الجُديُّ مُعَفَّرا

الصواب: لَغادَرْنا الجُدَيَّ. وبذلك يستقيم وزن البيت ويصح معناه، لأنه يريد أنهم لو لحقوا به لقتلوه ولغادروه معفَّرًا بالتراب.

ص.١٧٧ س.٩:

قوله: «وهذا يدلّ على أنّ اسْمَه عمرًا».

الصواب فيه: عمروٌ، لأنه خبر أنّ.

ص. ١٨٠ س.٤:

فأوَّلُ الليل فَقَرْمٌ ماجدٌ وآخرُ الليلِ فضِبْعانٌ عَثورْ

الصواب: فأوَّلَ الليل... وآخرَ الليلِ، بالنصب لأنهما ظرفا زمان في محل نصب.

يقول الشاعر: إنه قَرْم ماجد أولَ الليل، لكنه يكون سكرانَ من الشراب آخرَ الليلِ، يعثر في مشيته من السكر كالضبع العثور. والضباع كلها تعثر في مشيتها وتعرج لأن قوائمها غير مستوية.

ص.١٩٢ س.٩-١٠:

قوله: ليس بكُفُؤٍ لها... إنه لَكُفُؤٌ لها.

الصواب: بكُفْءٍ... لكُفْءٌ. تُكتب الهمزة فيهما مفردة على السطر لأنها همزة متطرفة في آخر الكلمة بعد ساكن، مثل شيء وبُطْء ورِدْء وجزء وأمثالها.

ولو قرأنا كلمة (كفء) بضم الفاء، وهي قراءة صحيحة في اللغة، لصحَّت كتابة الهمزة على الواو فيها: بكُفُؤٍ لها... لَكُفُؤٌ لها.

ص. ٢١٠ س.١٠:

لا يسْتجيبونَ إنْ دَعَوتَهُمْ إنْ لم تقلْ في الدعاء: يا سفَلُ

الصواب: دعوتَهُمُ، بضم الميم. وبه يستقيم وزن البيت، وهو من المنسرح.

ص.٢١١ س.١:

يزيد بن حاتم بن قُبَيْصَة.

الصواب: قَبِيصَة، على (فَعِيلَة)، وليس على لفظ التصغير. ومعنى قبيصة: النشيط أو الوثيق الخَلْق. والهاء فيه للمبالغة.

ص.٢١٢ س.٥:

يـزيدُ بـني شَـيْبانَ أكرَمُ منها وإنْ غضـبتْ قيس عَيْلانَ والأَزْدُ

الصواب: قيسُ بنُ عَيْلانَ، بزيادة كلمة (بن) التي سقطت من المتن لا ريب. وبها يستقيم وزن البيت وهو من الطويل.

ص.٢١٣ س.١٠:

ألا قلْ لأبي الحارثِ بُدِّلْتَ بسَحْماءِ

الصواب في كتابة هذا البيت:

ألا قـلْ لأَبي الحـارِ ثِ: بدّلـتَ بسـحماءِ!

وهو من الهَزَج.

ص. ٢٢٦ س.١٢:

هـلمَّ اسْقِنيها، لا عَدِمْتُكَ صاحبًا ودُونَكَ صَفْوُ الراح إن كنتَ شاربا

الصواب: صَفْوَ الراحِ، بالنصب، لأنه مفعول به لاسم فعل الأمر (دونك)، وهو معدول عن الظرف ومعناه: خُذْ.

ص.٢٣٣ س.٩:

ألا طالمـا أوْضَعْتُ في طلب الصِّبا وذُقْتُ الغواني باسْوِدادِ الذوائبِ

فعل (ذُقْتُ) لا معنى له هنا. ونراه تصحيفًا لفعل (رُعْتُ)، من الرَّوْع والرُّوَاع، وهو ما يروعك في الشيء من جمال أو قوة أو كثرة. تقول: راعني فهو رائع. وقوله: رعت الغواني، أي رعتهن بجمالي وسواد ذوائب شعري. يريد عهدَ الشباب.

وبقيت عندي كلمة أقولها للأستاذ الدكتور عبد العزيز المانع في الأغلاط والتصحيفات الكثيرة التي وقعت في الطبعة الأولى للكتاب، بتحقيق المستشرق براو. أيها الأخ الكريم، جزاك الله خيرًا على ما عملت، وسدّد خطاك فيما سوف تعمل، لماذا أجهدت نفسك كل هذا الجهد، وضيّعت الوقت الثمين في إحصاء هذه الأغلاط والتصحيفات، وإيرادها بالكمال والتفصيل في كل صفحة من صفحات الكتاب. وكان الأولى أن تُثبت بضعة أمثلة منها في آخر المقدمة التي كتبتها في التعريف بعملك، وتكتفي بذلك عن هذا التفصيل الذي شغل حيّزًا كبيرًا من حواشي الكتاب، واستنفد قدرًا من جهدك ووقتك، دون جدوى تُذكر. وكان الأجدى أن توفرهما لشرح بعض المعاني والصور الشعرية في نصوص الأشعار الواردة في الكتاب، وهي كثيرة. وهناك قسط وافر منها يحتاج حقًا إلى شرح وإيضاح، كما كان العلماء الأقدمون يفعلون في صنعتهم، أي تحقيقهم، كتب الأدب والشعر ودواوين الشعراء. وأنت أهل لأن تصنع صنيعهم. أقول: كان هذا أولى وأقوم، لو فعلته، فيما نرى.

ونختم أخيرًا بما جاء في التنزيل العزيز:

﴿وَقُلْ: رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾. [طه: ١١٤].

المصــــادر

١- الأغاني: لأبي الفرج الأصفهاني، دار إحياء التراث العربي ببيروت (مصورة عن طبعة المؤسسة المصرية العامة ١٩٦٢).

٢- الأمالي: لأبي علي القالي، ١-٢، مطبعة السعادة بمصر ١٣٧٣-١٩٥٣ (الطبعة الثالثة).

٣- تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ١-١٠، دار المعارف بمصر ١٩٦٠-١٩٦٩.

٤- جمهرة أنساب العرب: لابن حزم الأندلسي، بتحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف ١٩٧٧ (الطبعة الرابعة).

٥- خزانة الأدب: لعبد القادر البغدادي، بتحقيق عبد السلام محمد هارون، ١ -١٣، مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٩٧٩ (الطبعة الثانية).

٦- ديوان مجنون ليلى: جمع وتحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار مصر للطباعة ١٩٧٩.

٧- السيرة النبوية: لابن هشام، بتحقيق مصطفى السقا وزميليه، ١-٢، دار الكنوز الأدبية.

٨- شرح أشعار الهذليين: لأبي سعيد السكري، بتحقيق عبد الستار أحمد فراج، ١-٣، مكتبة دار العروبة بالقاهرة ١٩٦٥.

٩- كتاب أسماء خيل العرب وفرسانها: لابن الأعرابي، بتحقيق المستشرق جرجس لوي دلاويدا، ليون ١٩٢٨، (معه كتاب نسب الخيل في الجاهلية والإسلام وأخبارها، لابن الكلبي).

١٠- كتاب القوافي: للقاضي التنوخي، بتحقيق عمر الأسعد ومحيي الدين رمضان، دار الإرشاد ببيروت، ١٣٨٩-١٩٧٠.

١١- اللسان: لسان العرب، لابن منظور، ١-١٥، دار صادر بيروت.

١٢- معجم البلدان: لياقوت الحموي، ١-٥، دار صادر ببيروت، ١٣٩٧-١٩٧٧.

١٣- معجم الشعراء: للمرزباني، بتحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار إحياء الكتب العربية ١٣٧٩-١٩٦٠.

١٤- معجم ما استعجم: لأبي عبيد البكري، بتحقيق مصطفى السقا، عالم الكتب ببيروت ١٤٠٣-١٩٨٢ (الطبعة الثالثة).

١٥- المفضليات: للمفضل الضبي، بتحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف بمصر (الطبعة الرابعة).

١٦- المؤتلف والمختلف: للآمدي، بتحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٣٨١-١٩٦١.

١٧- النوادر: كتاب النوادر، لأبي زيد الأنصاري، بتحقيق سعيد الخوري الشرتوني، طبعة مصورة سنة ١٣٨٧-١٩٦٧ عن الطبعة القديمة الأولى.

١٨- الوحشيات: كتاب الوحشيات، لأبي تمام الطائي، بتحقيق عبد العزيز الميمني، دار المعارف ١٩٦٣.

مصطلحات من ألفاظ الحضارة

الدكتور عبد الكريم اليافي

تـروج في السـلغات ألفاظ فيها بعض الغموض يحتاج نقلها في اللغة العـربية إلى مصطلحات مقابلة وإلى شرح كاف لبيان جملة ما تعنيه، وأكثر هـذه الألفـاظ يدخل في ميدان ألفاظ الحضارة. ونحن في مجلة المجمع نفتح المجـال لأمثال هذه الألفاظ الاصطلاحية ولشروحها بما أمكن من الوضوح والإيجاز.

الأسبستوس

asbestus (إنكليزي)

asbeste (فرنسي)

مـادة حجـرية معدنية قوامها ليفي و تركيبها سيليكات المغتريوم المائية الطـبيعية، تُغـزل أليافها نسيجًا غير قابل للاحتراق ولا يوصل الحرارة. لذلك تصنع منه ملابس الإطفائيين وستائر المسارح وتبطّن به المراجل والأفران وتغلّف بـه أنابيب البخار. وقد يتخذ منه نوع من الأسمنت يدخل في البناء. روسية الاتحادية وكندا أكبر منتج له. وقد قامت في كندا بليدة تدعى أسبستوس، أي باسـم تلك المادة لكثرتها فيها، وباشتغال طائفة من سكانها الذين يبلغ عددهم زهاء عشرة آلاف باستخراج الأسبستوس وتهيئة هذه المادة للتجارة. وتقع بلدة أسبستوس في مقاطعة كيبك في شرق مدينة مُنتريال.

سمّـى بعـض المحدثـين هذه المادة بالحرير الصخري وسماها آخرون بالصخر الحريري، ونحن نؤثر التعبير العربي التراثي حجر الفتيلة. وهذا بيان

أصل التسمية التراثية: جاء في كتاب «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم» للمقدسي المعروف بالبشاري المتوفى (نحو ٣٨٠هـ/٩٩٠م) مادة «بَذَخْشان»، وهي بلدة في أعلى طخارستان متاخمة لبلاد الترك، ما يلي: «بها معدن اللازورد والبلّور وحجر الباذزهر وحجر الفتيلة وهو شيء يشبه البردي لا تحرقه النار يوضع في الدهن فيَقِدُ كما تَقِدُ الفتيلة ولا ينقص، ويُخْرج ويُطرح في النار المتأجّجة ساعة فيعود إلى ما كان عليه. وينسج منه الخوان. فإذا اتسخت وأرادوا غسلها طرحوها في التنور فتعود نظيفة».

ونقل ياقوت كلام البشاري فيقول: «وفيها أيضًا حجر الفتيلة وهو شيء يشبه البردي والعامة تظنّه ريش طائر يقال له الطلق لا تحرقه النار ..».

ومن كلام ياقوت نستدل على أن العرب كانت تطلق لفظ الطلق على حجر الفتيلة وعندنا أن لفظ الطلق أعم دلالة من حجر الفتيلة وقد دخل اللغات الأجنبية.

وجاء في كتاب «الجُماهِر في معرفة الجواهر» لأبي الريحان البيروني المتوفى عام ٤٤٣ هـ فصل «في ذكر الباذزهر». «ومنه (أي من الباذزهر) أجوف يتضمن شيئًا يسمى مخاط الشيطان وغزل السعالي أيضًا لا يحترق بالنار. ثم قال أبو الريحان أيضًا في فصل آخر ذِكْرٌ فيه أخبار الباذزهر»: الأجوف المشتمل على مخاط الشيطان يؤخذ من جوفه ما فيه ويعمل من غزله شستكات (أي مناديل) وهي التي كانت الأكاسرة تسميها آذرشست (أي مغسولة بالنار) وبقي اسم شست على المعمول من غيره فإن النار تحرقه.

ويرى الأب أنستاس ماري الكرملي في تعليقاته على كتاب «نخب الذخائر في أحوال الجواهر» لمحمد بن إبراهيم السنجاري المعروف بابن

الأكفــاني المتوفى سنة ٧٤٩هـ الموافقة لسنة ١٣٤٨م نسبته إلى سنجار أحد أقضــية ولاية الموصل، أن الطلق هو حجر الفتيلة وأن مخاط الشيطان وغزل السـعالي هو حجر الأميانت. ويعلل تسمية الخيوط المعدنية بغزل السعالي بــأن السلف من العوام ينسبون إلى تلك الخيوط صفة الخوارق. والخوارق تأتيها الجن، والسعالي إناثها أو أخبث الجن، فنسبوا الغزل إليهن ولم ينسبوه إلى الذكــور من الجن، لأن الغزل والاشتغال به يعد من خصائص النساء. والسعالي جمع سعلاة وهي أنثى الجن.

ولمــا كان بين الأميانت والاسبستوس تشابه في عدم الاحتراق بالنار وفي كونهما من الأحجار المعدنية اختلط اللفظان أحدهما بالآخر ولاسيما أن مدلولاتهمــا تدخل اليوم في الصنائع والآلات التي تتعرض للنار أو لما يخاف عــليه مــن الــنار. وهذا الاختلاط نجده في كتب الغربيين وعند علمائهم وانتقل إلى علمائنا وأطبائنا، ولاسيما في الآفات الصحية التي يسببها كلّ من حجر الفتيلة وحجر الأميانت من أورام في الرئة عند استنشاق الناس أليافهما إذ تسببان ما يسمى بالأسبستية asbestose، asbestosis أي ورم الأسبستوز الــذي قــد يؤدي إلى السرطان. ويسمون هذا الورم أيضًا بمرض الأميانت amiantose، amiantosis في عــدّ الأميانت وحجر الفتيلة مدلولاً واحدًا لأن كــليهما حجر من الحجارة الملتبسة التي تدعى أمفيبول amphiboles قوامها الســيلكات، وهي صخور وحجارة اندفاعية ومتطورة توصف لإبهامها في علم طبقات الأرض بهذه الصفة (الالتباس).

إن تــركيب الأميانت الكيميائي هو سيليكات الكلسيوم والمغنزيوم المائية الطبيعية، وتركيب حجر الفتيلة هو سيلكات المغنزيوم المائية الطبيعية،

فهما نوعان تحت جنس واحد هو السيليكات الكيميائي وكلاهما لا يحترق بالنار. ثم إن لفظ الأسبستوس من أصل يوناني معناه لا يحترق. وكذلك لفظ الأميـــانت من أصل يوناني معناه لا يفسد أو غير قابل للفساد. ونلاحظ أن الـــلفظين يبدأان بالهمزة، والهمزة حرف بمعنى لا أو غير في اللغات الأجنبية المنحدرة من اليونانية. وعندنا الهمزة لها في العربية عدة معان أحدها السلب أو الإزالة. (شكاه فأشكاه أي شكاه فأزال شكايته).

هـــذا وقـــد تمّ تعـــرّف ســـتة ضُرُوب متميزة من الأسبستوس هي الأكـــتيفوليت والأموزيـــت والانتوفيـــلّيت والكروسيدوليت والتريموليت والكريـــزوتيل وكلها تحمل في صيغها البِنَوية سلاسل طويلة من السيلكون والأكســـجين، وتـــتفاوت بالخصائص الفيزيائية والكيميائية تبعًا للمكوّنات الأخـــرى التي تدخل في تركيبها كالمغنزيوم والحديد والكلسيوم والصوديوم وغيرها. واللاحقة (ليت) في أسمائها آتية من اليونانية معناها الحجر.

وتُعَـــدّ ألياف الأسبستوس المقاومة للاحتراق أقوى من الفولاذ، وهي مرنة إلى حدّ بعيد. مرونتها وقوتها جعلتا هذا الحجر يستجيب لِطَيْفٍ واسع من التطبيقات الصناعية، وجعلتاه في الوقت نفسه خطرًا على الصحة العامة لأن أليافـــه تســـتطيع اختراق نُسُج الجسم الحي ولاسيما الرئتان متسببة في الأورام وفي السرطان.

أشرنا آنفًا إلى رواج الأسبستوس في مجالات مختلفة من الصنائع، وقد ازدادت التطبيقات التجارية لهذه المادة وبلغ رواجها الذروة في الستينيّات من القـــرن التاسع عشر، حين استخدمت في إعداد دهان مقاوم للحريق. كما قـــامت صناعة كبيرة لمواد البناء وتسقيف البيوت وجلفطة السفن وتقييرها

كان عمادها الأسبستوس. ولكن تغير هذا الاتجاه ومال إلى التناقص بسبب الاهتمام المتنامي بحماية البيئة وبصحة السكان العامة، إذ بدأت المشكلات الناشئة عن استنشاق ألياف المادة بالظهور في مصانع إنتاجها، وصدرت تقارير بإصابات التلّيف الرئوي في معامل النسيج، وكشفت التحريات الطبية عن وجود صلة مقلقة بين الأسبستوس وسرطان الرئة وخاصة لدى المدخنين، وغدا النظر إلى الأسبستوس على أنها مادة ملوثة خطرة.

وتشير التقديرات إلى أن نحوًا من عشرين في المئة من المباني في الولايات المتحدة الأمريكية لا يزال يدخل في تركيبها منتجات مصنوعة من الأسبستوس الكريزوتيلي مثل ألواح الكساء والأنابيب الأسمنتية ومواد العزل علمًا بأن الأسبستوس المحفوظ حفظًا جيدًا في المباني لا تنطلق أليافه تلقائيًا في الهواء إلا عند الهدم والتجديد والصيانة والانحلال التي قد تجري عليها .

ومع كل آفات الأسبستوس ومحاولة تجنب هذه المادة ما أمكن لا يزال لها أهمية في بعض الصناعات، ولاسيما في البرنامج الوطني لإطلاق المكوك الفضائي إذ تستخدم بطانة مصنوعة من الأسبستوس والمطاط لحماية الغلاف الخارجي الفولاذي لخزانات وقود الدفع من حرارة الإطلاق.

والخلاصة أن العجب كل العجب في هذا الكون البديع الذي نعيش فيه من اقتران الخارق والطبيعي والنافع والضار والخير والشر. وهنا تمثل المسؤولية مسؤولية الإنسان في ضرورة التمييز الدائم والدائب في هذا الاقتران. ولكن الإنسانية تبدو مع ذلك في غيبوبة تامة حين تطلق جماح الحروب والفتن والقلاقل، واعتماد موازين مزدوجة والاغتماض عن اجتياح الأوطان وتخريب تراث الأقوام الثقافي وتقتيل ملايين السكان.

البَرَغماتية(١) المقابل العربي: الذرائعية

في الفرنسية Pragmatisme

في الإنكليزية pragmatism

لفظ مشتقّ من أصل يوناني pragma معناه العمل: وهي فلسفة تتجه نحو الحياة والعمل والنجاح. سادت الحياة الفكرية في الولايات المتحدة الأمريكية مدّة طويلة. واللفظ قديم استعمل بمعان مختلفة. ولكن المعروف الآن هو دلالته على هذه الفلسفة. أبرز أعلامها ثلاثةُ مفكرين أمريكيون:

١- وليم جِمْس William James (١٨٤٢ – ١٩٤٠).

٢- تشارلس سندرز بيرس Charles Sanders Peirce (١٨٣٩ – ١٩١٤).

٣- جون ديوي John Dewy (١٨٥٩ – ١٩٥٢).

تطلق هذه الفلسفة بوجه عام على المذهب القائل: إن الحقيقة هي في صميم التجربة الإنسانية، وإن المعرفة وظيفة في خدمة مطالب الحياة ، وإن صدق قضيةٍ ما هو في كونها مفيدة. فمعيار الحقيقة هو القيمة العملية الناجحة. الحقّ عندها هو كل ما ينجع وينجح ويفيد. وليس ثمة حقيقة مطلقة كما يرى جِمْس.

وقد جاء الفيلسوف المنطقي بيرس فنشر مقالاً بعنوان «كيف نوضح أفكارنا» (١٨٧٨) حيث يذكر القاعدة الآتية في تحقيق دلالات المعاني التي تداولها: «إنّ تصورنا لموضوعٍ ما هو تصورنا لما قد ينتج عن هذا الموضوع

(١) اللفظ الأجنبي يبدأ بحرف الباء المشددة الساكن. ولما كان علماء العربية لا يجيزون البدء بالحرف الساكن حركنا الباء بالفتحة إتباعًا لحركة الراء.

من آثار عمليّة لا أكثر» وهذا يعني أن علامة الحقيقة أو معيارها العمل المنتج لا الحكم العقلي.

وقد استعمل هذا الفيلسوف مصطلح Pragmaticism عام ١٩٠٠ ليميّز فلسفته عن الفلسفة العملية النفعية لوليم جمس.

ويرى ديوي أن المعرفة مستمدة كلها من التجربة. ولا يكاد التفكير يختلف عن الإدراك الحسّي. والأفكار هي ما تدركها الحواس وكما ندركها في التجربة.

لقد بدأ الإنسان يفكر ابتغاء أن يعيش ويبقى في قيد الحياة ويُحَسّن أحوال معيشته. إن التفكير يتبع الكفاح، وإن الفعل يتبع التفكير. يفكّر الإنسان إذا كانت لديه مشكلة يريد حلّها والتغلّب عليها. فالوظيفة الأولى للتفكير هي حلّ المشكلة التي يواجهها. ولذلك كانت الأفكار أدوات Instruments تنجز بها نتائجُ مرغوبًا فيها. إنها تساعدنا على أن نعمل شيئًا أو نفعله على وجهٍ أفضل أو أكثر ذكاءً أو أقرب إلى النجاح خيرًا مما لو كنّا نعتمد على الغريزة أو مجرّد الاندفاع. فالأفكار لا تكون أفكارًا إلا إذا كانت أدوات نستعملها في حلّ المشكلات. ويترتّب على هذا أن الأفكار تدور وتتطور وتتغير مع المشكلات والمواقف والأحوال الاجتماعية. نعم! لقد تغيرت الأفكار وتطورت، وسلطانها الدائم هو في قابليّتها وقدرتها على أن تكون أدوات تساعد في حل المشكلات الطارئة في العصر الذي تشيع وتروج فيه.

ليست مهمة الأفكار في محاولة التعميمات، بل الاستجابة للمواقف الناشئة عن المشكلات. وكلما ظَهر أنها فعالة وأدوات ناجحة وناجعة في علاج هذه المشكلات كانت أقرب إلى الصحّة وأوفر حظًا من الحقيقة.

وما يساعدنا على التفكير ليس التوقف والهدوء والسكون. بل هو التحرك نحو هدف.

هذا وإن تركيز العقل على أمر من الأمور يشبه التحكم في سير السفينة كي تتخذ طريقًا معيّنة. وهذا يقتضي تغييرًا متواصلاً للوضع مع وحدة التوجيه. وقد دعيت فلسفة ديوي البرغماتية بمذهب الأداة أو الأدواتية Instrumentalism. وأقترح تسميتها في العربية بالذرائعية نسبة إلى الذريعة. وقد تطلق الذرائعية على مختلف المذاهب البرغماتية.

الذريعة في اللغة العربية الوسيلة والسبب إلى الشيء وكل ما يدني منه.

اللابرغماتية (apragmatism, apragmatisme)

ظهر هذا اللفظ في علم النفس المرضي. وهو يفيد العجز عن تفهم جملة الأعمال الجزئية التي تتعاون على تحقيق السلوك النافع المفيد لدى المرء.

ويصحّ في رأينا أن نطلق اللفظ أيضًا على حال مؤسسةٍ ما، لا يتعاون أعضاؤها ولجانها الفرعية على تقدمها ونجاحها وازدهارها.

(آراء وأنباء)

حفل تأبين فقيد المجمع

الأستاذ عاصم البيطار رحمه الله

(١٩٢٧ - ٢٠٠٥)

أقام مجمع اللغة العربية وأصدقاء الفقيد وأسرته حفل تأبين لفقيد مجمع اللغة العربية **الأستاذ عاصم البيطار** مساء يوم الأربعاء ١٨ شعبان ١٤٢٦هـ/ ٢١ أيلول ٢٠٠٥م في قاعة المحاضرات في مجمع اللغة العربية بدمشق، وشارك في تأبين الفقيد الراحل:

- الأستاذ الدكتور شاكر الفحام رئيس مجمع اللغة العربية
- الأستاذ الدكتور علي أبو زيد، وكيل جامعة دمشق للشؤون الإدارية
- الأستاذ الدكتور عبد الكريم الأشتر، عن أصدقاء الفقيد
- الأستاذ الدكتور أيمن الشوّا، عن طلاب الفقيد
- الأستاذة المهندسة ندى عاصم البيطار نجلة الفقيد

وننشر فيما يلي كلمات الحفل:

كلمة الأستاذ الدكتور شاكر الفحام

رئيس مجمع اللغة العربية

في حفل تأبين الأستاذ عاصم بهجة البيطار

السادة المجمعيون الأعزة – السادة العلماء الأفاضل – السادة الحضور الكرام

أطيب التحية وأوفى الشكر لتفضُّلكم بتلبية الدعوة لحفل تأبين الأستاذ الفقيد عاصم البيطار، عليه رضوان الله ورحمته، يُقيمه مجمع اللغة العربية عرفانًا بفضله، ووفاءً بما قام به وقدّمه في حياته.

نشأ الأستاذ عاصم في بيئة علمية توارثت العلم، فقد أشار، رحمه الله، في مطلع سيرته الذاتية إلى أسرته فقال: «ولدتُ في دمشق عام ١٩٢٧م، وكنتُ أستمع من والدي [الشيخ محمد بهجة البيطار] رواية عن جده لأمه الشيخ عبد الرزاق البيطار، وجده لأبيه الشيخ عبد الغني البيطار أن أسرتنا من أصول جزائرية، وكانت تقيم في مدينة «بليدة» التي تبعد عن مدينة الجزائر العاصمة أقل من خمسين كيلاً، وأن أحد أفرادها كان يعمل في التجارة، وكان نشاطه التجاري يمتد إلى البلاد العربية في الشرق والغرب، وفي إحدى زياراته إلى دمشق طاب له المقام فيها، وكان ذلك منذ أكثرَ من ثلاثة قرون، واختار حيَّ الميدان، جنوبيَّ مدينة دمشق مكانًا لسكناه، وتزوج وأنجب، ولم يَعْرف من أتى بعده وطنًا إلا دمشق».

ثم يتابع متحدِّثًا عن أجداده فيقول: «وليس في المراجع ما يُشير إلى ترجمة واضحة للأجداد الذين سبقوا الشيخ حسن بن إبراهيم بن حسن

البيطار (١٢٠٦- ١٢٧٢هـ)[١]، وقد رزقه الله من الأولاد الذكور علماء أعلامًا، سار ذكرهم في البلاد، وهم الشيخُ محمد بن حسن أمين الفتوى في بلاد الشام، والشيخُ عبد الرزاق بن حسن العالمُ والمؤرِّخ الشهير وصاحبُ كتاب «حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر»[٢]، والشيخُ عبد الغني بن حسن الملقَّب بالشافعي الصغير، والشيخ سليم بن حسن الذي كان يلقب بالفرضي لبراعته في علم الفرائض، وقد خلّف هؤلاء الأعلام كثيرًا من الأولاد والأحفاد اشتهر منهم علماءُ وأدباء ورجال سياسة ومعلمون تجار».

ثم انتقل إلى الحديث عن نشأته فقال: «كانت مدرستي الأولى في التربية والتعليم هي البيت الذي كان والدي يحرِصُ على أن ينشئنا على هَدْيٍ من تعاليم الإسلام ولغة القرآن، فقد كان يحدِّثنا منذ نعومة الأظفار بالفصحى، وأكاد أقول: كان لا يُحسن الحديث بالعامية».

فالأستاذ عاصم نشأ في كنف أبيه الشيخ الجليل الأستاذ محمد بهجة البيطار (١٨٩٤- ١٩٧٦م) ابن الشيخ محمد بهاء الدين بن عبد الغني بن حسن. لقد كان الأستاذ محمد بهجة البيطار من العلماء الأعلام الذين بلغوا في العلم منزلة رفيعة، وكانت حياته حافلة بالوظائف والمناصب التي تولاها في دمشق وفي السعودية، وترك آثارًا طيبة في كل ما أُسند إليه من أعمال،

---

(١) له ترجمة في كتاب الأعلام للزركلي (٢/ ١٧٨)، وقد جعل وفاته سنة ١٢٧٣هـ.

(٢) طبع كتاب «حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر» في مجمع اللغة العربية بدمشق (١٩٦١- ١٩٦٣م) في ثلاثة أجزاء، بتحقيق الأستاذ الجليل محمد بهجة البيطار سبط المؤلف، مجلة المجمع، مج ٥١ (ج٤/ ص٨٠٣)، وللشيخ عبد الرزاق البيطار عدة تراجم سردها الأستاذ الزركلي في كتاب الأعلام (٣/ ٣٥١).

إلى جانب ما أغنى به المكتبة العربية من مؤلَّفات وتحقيقات ومقالات[١].

ويكفي أن أشير إلى أن الشيخ بهجة انتُخب عضوًا عاملاً في المجمع العلمي العربي (مجمع اللغة العربية بدمشق) في سنة ١٩٢٣م، وأمضى في عضويته ثلاثًا وخمسين سنة (١٩٢٣- ١٩٧٦م)، وكان كما قال الأستاذ عدنان الخطيب «من أكثر أعضاء مجمع دمشق حيوية ونشاطًا، شارك زملاءه في إلقاء المحاضرات العامة، والأبحاث المتعمقة، وفي تحرير مجلة المجمع، والتعريف على صفحاتها بالكتب والمطبوعات التي تدخل موضوعاتُها في اهتماماته الشخصية، وشغل في مجمع دمشق منذ سنة ١٩٥٣م عضوية لجنة المطبوعات، واستمر على القيام بمهامها في الإشراف على مجلة المجمع ومطبوعاته حتى أقعده المرض قبل انتقاله إلى دار الخلود بأسابيع معدودات» [٢].

وقد أفاد الأستاذ عاصم من هذا الجو الذي كان يحفّه بالحنان، ويمدّه بالمعرفة في دراساته الابتدائية والثانوية، وحصل على الشهادة الثانوية (القسم الثاني/ فرع الفلسفة) عام ١٩٤٧، بعد غياب سنتين كان فيهما مرافقًا لوالده في المملكة العربية السعودية.

ثم نال الإجازة في الآداب (قسم اللغة العربية) والإجازة في التربية والتعليم من دار المعلمين العليا عام ١٩٥٢، وعُين مدرسًا للعربية في ثانويات دمشق.

لقد أحب الأستاذ عاصم العربية الحبّ الجمّ، وأكبّ على علومها، وكدّ في دراستها والاطلاع على كتبها.

---

(١) مجلة المجمع مج ٥١ (ج٤/ ص٨٠١- ٨٢٦).

(٢) مجلة المجمع، مج٥١ (ج٤ /ص٧٥١)، وانظر جملة من المصادر التي ترجمت للأستاذ محمد بهجة البيطار في كتاب إتمام الأعلام (ط٢) للدكتور نزار أباظة، ومحمد رياض المالح:(٣٤٣- ٣٤٤).

وكان لمجالس أبيه التي كانت تُعقد في كل جمعة في داره، وتمتدُّ من بعد صلاة الجمعة إلى وقت العصر، ويغشاها كبار العلماء، وخيرة الأدباء أثرها الكبير في تفتُّح مواهبه، وصقل معارفه، وكانت رافدًا كبيرًا لما جناه من علوم ومعارف في دراساته ومطالعاته[1].

كما نَعِمَ الأستاذ عاصم برعاية والده وعنايته، فقد زوّده بأغلى النصائح، وجنَّبه المزالق، وأرشده إلى الجادّة. ومما يذكره الأستاذ عاصم أنه حين أخبر والده أنه مُقدم على التدريس، سأله الوالد رحمه الله: هل أعددت للأمر عدته؟ وأفاض الأستاذ عاصم في استعراض جهوده ودراساته، وما نهض به لتثقيف نفسه استعدادًا للنهوض بهذه المهمة على خير الوجوه وأرضاها، فحمد له الوالد الكريم ما قام به وأعدّه، ليؤدي رسالته في التعليم الأداء الحسن، ولكنه أضاف: «لابد من أمر مهم يجب أن تُعنى به وتلتزمه، وهو أن تحرص على كسب حب طلابك، وتحسنَ التأتي لهم، فتقدم لهم المادة العلمية سهلة ميسَّرة، وتعاملهم معاملة الأب ترفق بهم، وتتبين مطالبهم، فتحملهم بذلك على التعلق بك واحترامك، فإذا أحبوك أحبوا مادتك، وأقبلوا عليها»[2].

وعمل الأستاذ عاصم بنصيحة والده، وأقبل على التعليم إقبال وامق، ووقف عليه كل همه، وجاهد وجهد لتكون دروسه محببة إلى طلابه، سهلة العبارة، بعيدة عن التعقيد. وقد وفِّق في عمله كل التوفيق. يطالعك ذلك في

---

(١) مجلة التراث العربي – العدد (٩٢) كانون الأول ٢٠٠٣، ص(٣٨).

(٢) الأستاذ عاصم البيطار... الدكتور حسان الطيان، الرأي العام، الخميس ٧/٧/ ٢٠٠٥، في رحيل أستاذنا الكبير عاصم... لأيمن بن أحمد ذو الغنى ص (٣)، كلمة الأستاذ عاصم في حفل استقباله، مجلة المجمع، مج٧٩ (ج٢ /ص٤٤٧).

حرص الطلاب على حضور دروسه أشد الحرص، يتلقونها بشغف وتفهُّم، ويجدون في أستاذهم المعين المسعف لتذليل ما يتراءى لهم من صعوبة، وقد أحبه طلابه وتعلّقوا به، وظلوا يرون فيه الأستاذ المفضّل الذي علّمهم فأحسن تعليمهم، وبذل جهده ليقدّم لهم المادة العلمية في أجمل صورها، قريبة المتناول، يتفهمونها ويفيدون منها. وقد عبَّروا غير ما مرة عن رضاهم وفرحتهم بأستاذهم، ثم تراءت في جملة من الكلمات التي كتبها بعضهم في رثاء أستاذهم عبارات تحمل ما يكنُّون لأستاذهم من المحبة والتقدير[1].

* * *

درّس الأستاذ عاصم في ثانويات دمشق ما بين سنتي (١٩٥٢- ١٩٦٣م)، ما عدا سنة واحدة (١٩٥٩- ١٩٦٠م) قضاها في قطر مفتشًا للغة العربية.

ثم أُعير إلى المملكة العربية السعودية ما بين عامي (١٩٦٣- ١٩٦٨م) مدرِّسًا للنحو والصرف في كلية اللغة العربية (الكليات والمعاهد).

وعاد إلى دمشق فكان أستاذًا في معهد إعداد المدرِّسين للحلقة المتوسطة مدة عامين، ثم انتُدب من وزارة التربية إلى جامعة دمشق للتدريس في قسم اللغة العربية - كلية الآداب، فدرّس مادة النحو والصرف سبعة عشر عامًا (١٩٧٠- ١٩٨٧م) وكان يحاضر على طلبة السنة الأولى، فأحبه الطلاب، وتعلّقوا به. وقد أُتيح له آنذاك أن يؤلّف كتابًا في العربية لايزال مقرّرًا. ثم

---

(١) عاصم البيطار... البسمة التي انطفأت لشوقي المعري، صحيفة البعث، الاثنين ٢٧/ ٦/ ٢٠٠٥، رحيل عاصم البيطار لخليل محمود الصمادي، مجلة الفيصل، عدد آب ٢٠٠٥، الأستاذ عاصم... د. حسان الطيان... الرأي العام، الخميس ٧/ ٧/ ٢٠٠٥.

أُحيل الأستاذ عاصم على التقاعد لبلوغه سنَّ الستين.

وبعد التقاعد عمل في «معجم العماد الموسوعي» مشرفًا على الجانب اللغوي منه، كما عمل في الوقت نفسه في معهد إعداد المدرِّسين.

وسافر من بعد إلى الرياض للمرة الثالثة ليدرِّس النحو والصرف في جامعة الملك سعود خمس سنوات (١٩٨٩- ١٩٩٤م)، وكان يعمل في الوقت نفسه في تقويم كثير من المقالات والبحوث التي تقدم إلى مجلة (الفيصل)، ثم انصرف إلى العمل في المجلة فحسْب ثماني سنوات (١٩٩٤- ٢٠٠٢م)، ليعود بعدها إلى دمشق في عام ٢٠٠٢م.

وكان في نيته أن يُصدر كتابًا يروي سيرة والده الشيخ بهجة البيطار. فهو يقول في ختام سيرته الذاتية: «اجتمع لديَّ كثير من الوثائق والرسائل والأحاديث الإذاعية والمقالات لسيدي الوالد، وأسأل الله تعالى أن يُنعم عليَّ بالوقت الكافي لأُصدر عنه كتابًا يروي سيرته في تعلّمه وتعليمه، وفي حياته العامة في أسرته ومجتمعه، فسيرته، رحمه الله، جديرة أن تكون قدوة لمن أراد الطمأنينة والسلام في الدنيا، والسعادة في الآخرة».

ويُؤسفنا أنه لم يستطع تحقيق رغبته، رحمه الله.

- وقد انتخب مجلس مجمع اللغة العربية بدمشق الأستاذ عاصم البيطار عضوًا في المجمع في ٢٥/ ٦/ ٢٠٠٣م، وصدر المرسوم الجمهوري رقم (٢٨٥) في ١٢/ ٨/ ٢٠٠٣ بتعيينه.

واحتفل المجمع باستقباله في جلسة علنية عقدها في ١٢/ ١/ ٢٠٠٤م في قاعة المحاضرات في المجمع حضرها نخبة طيبة من رجال العلم والأدب وأصدقاء المحتفى به[1].

(١) مجلة مجمع اللغة العربية، مج ٧٩ (ج٢ نيسان ٢٠٠٤م/ ص٤٣٣- ٤٥٢).

وبدأ نشاطه، كالعهد به دائمًا، فَعُني بمجلة المجمع وتدقيقها وإخراجها، وشارك في لجان المجمع، وواصل العمل، لا يعرف الملل ولا الكلال، حتى أتاه اليقين فلبّى نداء ربه صباح يوم الجمعة في ٢٤ حزيران ٢٠٠٥م. رحمه الله الرحمة الواسعة وجعله مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسُن أولئك رفيقًا.

لقد كان رحمه الله معلمًا فذًّا فريدًا، اكتملت له المعرفة النحوية، والخبرة التربوية، والإخلاص في العمل، فكان التعليم وإتقانه همه ودأبه، وأولى طلابه الرعاية والعناية فأحبوه وأحبوا العربية التي قدَّمها لهم بعبارات سلسة لا تعقيد فيها، فجزاه الله الجزاء الأوفى.

كلمة الدكتور علي أبو زيـــد
وكيل جامعة دمشق للشؤون الإدارية
في حفل تأبين الأستاذ عاصم بهجة البيطار

الأستاذ الدكتور محمود السيد وزير الثقافة

الأستاذ الدكتور شاكر الفحام رئيس مجمع اللغة العربية

أساتذتي الأفاضل

أيها الحفلُ الكريم:

إن سنةَ الحياةِ تقتضي أن لا بقاء لأحدٍ من البشر، فهيَ دارُ عبورٍ وعمل، وهي أعمار مقضية إلى أجلٍ مسمى، ينتهي بانتهائها وجود الإنسان، وتفنى بعدها الأجساد، ولا يبقى إلا ما يخلّفه الإنسان من آثارٍ في هذه الدنيا، فيمتدُّ ذكر المرء ويعيش مع الأجيال، بقدر ما يقدّمه للآخرين من علمٍ وعمل.

ومما لا شك فيه أنّ أثرَ أهلِ العلمِ لا ينتهي بانتهاءِ أعمارهم، بل يبقى خالدًا مستمرًا مع الأجيال، مؤثّرًا في المجتمعات وحضارة الأمم، من خلال ما يتركونه من علمٍ بين طلابهم، ومن أبحاثٍ تنير الطريق وتبعث على النهوض والتطوّر، وأعمال خدمت الإنسان والمجتمع. هذه هي سنة الحياة القويمة، رايات تُرفع بأيد مخلصة أمينة، ثم تتعاقب الأجيال على حملها، لتستمر المسيرة، ويبقى التواصل بين أبناء الأمة.

وإنّ تاريخ أيِّ أمةٍ هو تاريخ رجالها وعلمائها، الذين صنعوا حضارتها ورسّخوا مبادئها وقيَمها، وبعثوا في أبنائها روح الفخر والانتماء، وحب العلم والعمل، والتطلّع إلى حياة كريمة عزيزة، وعلى الأجيال أن تظل وفية

لهؤلاء العظماء والعلماء، ممن قامت على جهودهم نهضة الأمة، وعملوا على خدمة المجتمع وازدهاره، ولاسيما أن سُنّة الحياة تُحتّم الموت على الجميع.

واليومَ نلتقي لتأبين واحدٍ من علماء العربية، وأحد أبرز أساتذة جامعة دمشق، الذين أفنوا عمرهم أوفياء لمجتمعهم ووطنهم، مخلصين للعلم ولما نَدبوا أنفسهم من أجله، الأستاذ عاصم البيطار، رحمه الله وأسكنه فسيح جنانه.

أيها السادة الأفاضل:

لقد كان الأستاذ عاصم أحد أعلام جامعة دمشق، وواحدًا من مفاخر كلياتها، ومن الأوائل الذين أسهموا في تقريب النحو من شُدّاته، وفي تدريس علوم العربية في غير ما كلية، يشهدُ بذلك تاريخه الحافل بالعطاء، في كليات الآداب والشريعة والطب والتربية، ويدينُ له طلابه بالفضل، ويُكنّون له التقدير والاحترام، كما تعترف الجامعة بجهوده المتميِّزة فيها، على أنه من كوكبة أساتيذها وعلمائها الذين تفخر بهم وتُفاخر، ويقرُّ الناسُ بما قدّمه من خدماتٍ جليلة مُدة حياته الحافلة بالعطاء والإخلاص، وكان في ارتحاله إلى الجامعاتِ العربية خير سفير لجامعته ووطنه، ولذلك لم يكن عبور هذا العالم سريعًا، لأن ذكراه وآثاره باقية فينا بعده، فقد كان نبراس هداية لطلابه، ودليلاً صادقًا ووفيًا لأهل العلم، وقدوة صالحة في البذل والعطاء، ومثالاً للأخلاق الحميدة والسيرة الحسنة.

عرفته منذ أزيد من ثلاثة عقود، أستاذًا جليلاً، فيه سمتُ العلماء وتواضع أهل العلم، تحلى بالدماثة فزيَّنها، وتجسدت فيه القيم النبيلة والأخلاق الحميدة والمبادئ السامية؛ فحببها إلينا وقرَّبنا منها، أنسنا إليه معلمًا وأبًا وصديقًا؛ فوجدناه فوق ما قدرناه فيه، ولم تحل هيبته دون اقترابه منا؛ فبَهرنا

تهذيبه وطيب معشره.

أيها السادة:

إذا تساوى الناس في الموت، فإنهم لا يتساوون بعده، بما يتركونه من علمٍ وآثارٍ تخلّدهم بعد موتهم، والمرحوم عاصم البيطار من هؤلاء الذين تحتفظ بهم ذاكرة التاريخ، وإذا كان الموت قد غيّب عنّا جسد فقيدنا، وخلّفَ فينا الحزن والأسى، بقدر ما ترك من الأثر الطيّب والذكر الحسن، فإنه باقٍ في ضمائرنا وضمير الوطن، حيٌّ في ذاكرة طلابه وزملائه، بما تركه فينا في علمٍ نافع، وعمل صالح وآثار علمية لا تُغيّبها الأيام، لقد

مضى طاهر الأثواب لم تبق روضة غـــداة ثوى إلا اشتهت أنها قبر

تغمَّد الله فقيدنا، فقيد جامعة دمشق ومجمع اللغة العربية والوطن بالرحمة والمغفرة، وأسكنه فسيح جنانه، بما قدَّم من خيرٍ وعلمٍ وعمل، وألهمَنا وأهله الصبر والسلوان، وعوّض أهلَه وجامعته وطلابه والعربية خيرًا، لاحتسابهم وصبرهم على ما أصابهم.

والسلام عليكم

كلمة الدكتور عبد الكريم الأشتر
في حفل تأبين الأستاذ عاصم بهجة البيطار

-١-

بعض الموت، تضيق به الكلمات، كأنّ معانيه في النفس، تطوي حدود اللغة المرسومة، إلى حيث تعجز كلماتها عن خطابه، مهما اتسعت. إن طريق الحياة ليس أوسع من طريق الموت. إذ هما معًا طريق المحجة الواحدة إلى ملكوت الله القائم إلى غير نهاية. ثم هل تصل اللغة إلى أبعد مما تصل إليه الحواس أو يهجس به الضمير؟

لم يكن عاصم، بالنسبة إليّ، مجرد صديق، إنه رفيق الدرب الطويل الذي قطعناه معًا. تخلّفتُ عنه، في أول العمر، مرحلة أو مرحلتين، وأحسبه يسبقني اليوم، إلى نهايته، مرحلة أو مرحلتين مقدّرتين في غيب الله. واجهنا عثرات العمر معًا، وتخطيناها معًا، وبلونا حقائقها معًا، فتسابقنا إلى الفوز بها معًا، وإلى الخيبة فيها معًا. ولكنه كان، كما قلت، يتقدمني مرحلة أو مرحلتين، فكان له بهما عليّ حق التوجيه والنصيحة، حتى إني قلت مرة أخاطبه وهي، بحمد الله، المرة الوحيدة التي واتاني فيها نظم ساذَج انتزعتُ بعض مفرداته من كتاب (الكامل)، وكنّا أخذنا ندرس بعض فصوله ذلك العام (وكان عاصم ما يفتأ يردِّدها عليّ وهو يضحك، في مناسبات كثيرة):

يا عاصمي! يا أخا نفسي! ويا ثقتي! يا دمعتي في سواد الليل يعتكر!
شربت ودّك لا رنْقًا ولا كدِرًا حاشا لودّك أن ينتابه الكدر
كم قُدتَ خطوي إلى سَلْمٍ ومغفرةٍ علّمتني الصبر في أعقابه الظفر

كنتُ آنذاك في حوالي التاسعة عشرة. وكنّا ننام معًا، أيام الفحوص، في

بيته بيتِ والده عالِم الشام الشيخ محمد بهجة البيطار، في الميدان، في فراشين متجاورين، نصحو فيهما، عند الفجر، على أذان لطيف تحمله إلينا مئذنة الجامع الصغير المجاور لباب البيت. وكان الشيخ إذا ذكر بيته عدّ جوار هذا الجامع أكبر مزاياه!

في هذا البيت الذي امتلأت خِزانات واحدة من غرفه بالكتب، وتوسطتْ أرضَ الدار فيه، بركةٌ صغيرة، كنت حين أنام في الغرفة القريبة منها، أغفو على خرير مائها الرتيب، فيخيّل إليّ - أنا القادم من أرض الشمال العطشى، والغفوة توشك أن تستولي عليّ - أن همسًا غريبًا يصل إليّ من عالم غامض يقع وراء الحس. ثم نصحو بعده، في الصباح، على صوت الشيخ يدعونا إلى طعام الإفطار.

كانت طلعة الشيخ بهيّةً تفيض بالنور، سمْحًا هادئًا جميل السَمْت، قرّب سَمته يومًا للدكتور جميل صليبا، سَمْتَ السيد المسيح، على نحو ما قرّبه سمت الحسن البصري، للراهبَين اللذين دخلا البصرة، كما يقول المبرّد[1]، من ناحية الشام. وكان عاصم، في مرحه المعهود، يهوى أن يداعب الشيخ في غير خشْية من غضبه، إذ كان لا يغضب لأمثالها، فكان يقول في غاية الجدّ، لمن يسمعه يمتدح أباه الشيخ: «طالع لابنه»! ويسمعها الشيخ فيضحك لها، ويُغْرِبُ في الضحك!

ولكن عاصمًا كان لا يجامل في الحق أبدًا، وما أكثر ما كان يخالف من يكون معهم فيما يذهبون إليه، إن كان له فيه رأي آخر. على أنه لم يكن يصل، في خلافه، إلى حدّ الإثارة. ثم إنه كان يبلغ فيه من وضوح القصد، أن يجعل مخالفه على حافة الإدراك لمرامي الخلاف، فيجعله ذلك أقربَ إلى الرضا

(١) الكامل (١/ ٨٨).

بما ينتهيان إليه، أو إلى السكوت عنه. وكان من دأبه أن ينسى حق نفسه أمام حق الآخر، وأن يترك سبيل العودة إلى استئناف الودّ بينهما مفتوحة دائمًا.

-٢-

كان معلّمًا بحكم التكوين، فكان بحكمها وحكم النشأة، يتخذ إذا تحدث، هيئة المعلم، ويميل في أسلوبه إليه. وقد خلّف، في كل مكان حلّ فيه، طلابًا كثيرين يدينون له بفضل تعليمهم، وإعانتهم على تكوين فكرهم اللغوي، كما كان يقول. وقد ظلّ كتابه الكبير في النحو والصرف، عمدة دراسة هذين العلمين في الجامعة، سنين طويلة، وما يزال إلى اليوم يُعاد طبعه فيها، ونشْره في الطلبة. ثم إنه جرّد من حواشيه وتعليقاته كتابه المفيد الآخر (من شواهد النحو والصرف). وكان لا يتوانى عن الاشتراك في تأليف الكتاب المدرسي، في مراحل التعليم المختلفة، إدراكًا منه لمكانه من تكوين الأجيال. وقد شرِكْته في تأليف كتابين مدرسيين سمعته، من بعد، يعتزُّ بهما، لما لمس من أثرهما في طلابه. ورأيته في الأيام، الأخيرة، يُعيد النظر في إخراج بعض الكتب التي كان جدّه الشيخ عبد الرزاق البيطار صَنَعها، أو بعض ما كان أستاذنا والده الشيخ تولّى تحقيقه من قبل، فيزيد عاصم في التحقيق والشرح والتفسير، وتصدر باسميهما معًا، مثل كتاب (أسرار العربية) لابن الأنباري (ت٥٧٧هـ).

وكنت أراه يدخل عليّ أحيانًا، مكتبي في الجامعة، ساهمًا، على عادته حين يشكو مما يقع من حوله، أو يعجب له ، أو يحار في فهمه. كان - يكاد لا يصدق ما انتهت إليه حال لغتنا في الجامعة. وقد وقعتُ، وأنا في إدارة القسم، على تقرير كان رفعه إلى عمادة كلية الآداب، عن وضع اللغة في السنة الجامعية الأولى، قال فيه: «إن الذين يستأهلون النجاح في مقرّره لا يزيد عددهم على عشرين طالبًا، من أصل ستمئة وواحد وثلاثين

طالبًا! ولو زيدت درجات عدد من الراسبين، ممن تتراوح درجتهم بين خمس وأربعين وسبع وأربعين، لما زاد عدد الناجحين منهم على ثلاثة وأربعين طالبًا، ولبلغت نسبة النجاح حينذاك ست درجات وثمانيةَ أعشار الدرجة، في المئة! ولو اجتمعت أسباب المساعدات كلها، وأُضيفت إليها درجات حلقات البحوث خلال العام، لما زادت نسبة النجاح، بعد هذا كله، على أربع عشرة في المئة! ثم إن الأوراق التي نالت درجة الصِفر وما فوقها قليلاً تزيد على مئتين وثماني عشرة ورقة، أي ما يزيد على ثلث مجموع الأوراق»!

وفي آخر التقرير يدعو بحرقة إلى الاهتمام برفع مستوى الطلبة في تعلُّم لغتهم التي يختصون بدرسها ودرس أدبها، بدل الاهتمام برفع نسبة النجاح، والإلحاح فيه. ويختِم تقريره بهذا الرثاء الحزين: «لو كان لهذه اللغة المهيضة النجاح أن تفعل شيئًا لبكت نفسها وبكتنا معها»!

-٣-

أيها الصديق العزيز!

رحلتَ ،كما عهدتك دائمًا، خفيفًا لطيفًا سريع الخطو، كأنك تعجّلت الرحيل بعد أن ودّعت أخويك، وأديت رسالتك، وأصبحت جدًّا لقافلة من الأحفاد، وغدوت عضوًا في مجمع اللغة التي أحببتَها حتى وهبتَها حياتك.

بارك الله لك فيما صحبت معك من صالح القول والعمل، وقد عرفتك في الدنيا كريمًا بفعله ضنينًا بخيره عن كل أحد. وبارك لك فيما أبقيت من صالح القول والعمل.

هل تذكرني في مُقامك اليومَ أيها الصديق؟ وهل تسمعني؟ هذا مقام الشهادة، وأشهد أنك كنت في سمائنا كالنجم الطالع، تنشر ضياء المحبة فينا

كبارًا وصغارًا. وأشهد أنك كنت جميل القول، جميل العمل، لا تتأخر عن واجب تُدعى إليه، وأنت أحوج ما تكون إلى الراحة من تعب عمرك الحافل بالعمل، في كل مكان حللت فيه. رحمك الله حيًّا، ورحمك ميْتًا. ما كان أكرمك! وما كان أعذبك! وما كان أطيبك! وما كان أعمق حزنك وأصدق أساك وأنت تشهد من حال أمتك مثل ما فارقتَها عليه!

فلو كان لك أن تخاطب ربك، وأنت اليوم أقرب منّا إليه، فاشكُ إليه، وأنت بعيد عنّا، ما كنتُ أسمعك تشكو إليه، وأنت بيننا. قل له:

«يا رب! أمتك التي قلت يومًا في كتابك العظيم: إنها ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[آل عمران الآية ١١٠]، تلقى اليوم – بمئات ملايينها، وثرواتها التي لا تحصى، وتراثها الثقافي العظيم – من الهوان، ما أنت به أعلم: تُجلى عن أرضها، وتُستباح مقدساتها، وتُنتهك حرماتها، وتُنتهب خيراتها، ويقتّل أهلها.

ولغتك التي أنزلت بها كتابك العظيم وتعهّدت بحفظه فيهم، تتلجلج بنطقها ألسنتهم، وتعوجّ وتتعثر، حتى لَيُفتى بنفيها، أو «يُبشَّر» بانقراضها. تغزوها لغات الثقافات الأخرى، وتتجاوزها، ويُعجز أهلَها أن يجاروها أو يلحقوا بها.

وهم اليوم، كما تراهم! لا يدرون ما يصنعون، غرباء عن أنفسهم، غرباء عن معارف عصرهم، يحارون: كيف يخرجون من زيف أنفسهم، ويتمسكون بحقائقها. كيف يستقوون على مواطن ضعفها ويقفون على مكامن قوتها، ويخرجون، في النهاية، من النفق المظلم الذي وجدوا أنفسهم فيه»!

وسلام عليك يا عاصم! أنت الذي عَمَرْت العمر بمحبتك فمنحته معناه، وغمرتَه بأمنك وأمانك. وسلام على من خلّفت من أهلك وولدك. أحسن الله جزاءك في كل ما قلت وما فعلت وما نويت، وأحسن تعزيتهم وتعزيتنا فيك. والحمد لله في كل حال.

كلمة الدكتور أيمن الشوّا

في حفل تأبين الأستاذ عاصم بهجة البيطار

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾

[سورة فصلت الآية ٣٠-٣١]. صدق الله العظيم

الحمدُ لله الذي هيّأ للغة العربية عبادًا عاملين، رزقهم الإخلاصَ، فقاموا عليها رُعاةً وحَفَظةً، يُفنون لها الأعمار، ويملؤون بها الأسفار، والصلاة والسلام الأتمّان الأكملان على خير مبعوث بالهدى والبيان، سيدنا محمد ﷺ سيد ولد عدنان.

وبعدُ: **أستاذَنا الحبيب وفقيدَنا الغالي:**

لقد - والله - أحزننا موتُك، وشقّ علينا فراقُك، ولا شكَّ أن فقدَ الأحباب فاجعةٌ أليمة، وكونُ الفقيد من العلماء أشد ألمًا وأبلغ أثرًا، إن فقد العلماء كارثة مريرة، وكونُ الفقيد من المرّبين أصحابِ رسالة سامية أشدُّ مرارةً وأفدح خسارةً، وفَقْدُ العلماء ثُلمةٌ لا تعوَّض، ولَفَقْدُ قبيلةٍ أهون على الله من فَقْدِ عالم.

أيها السادة:

لا يخفى أثر المعلمين في حياة الأمة، فهم خلفاء الرُّسل عليهم الصلاة والسلام في تعليمهم وأخلاقهم: كاد المعلم أن يكون رسولاَ

إذ هم القدوة الصالحة التي يَنشُدُها الطلاب في مدارسهم وجامعاتهم.

والمُثُل العليا تُستملى من صفاتهم وأعمالهم، لا من الكتب التي يُدَرِّسونها

فحسب، إذ بهم يُقتدى، وبهديهم يُهتدى.

أيها السادة:

ماذا نفعل إذ نتحدث عن أساتذتنا وأحبابنا وأصحاب الفضل علينا، ونحن في هذا الموقف؟ لابد أن نتحدث عن سجاياهم وسيرهم التعليمية وأثرهم في بناء جيل لا يقدِّم لوطنه إلا الخير والنفع، ولا ينشأ إلا على الغيرة على حب العربية وبذل أقصى الجهود لتوصيلها بمحبةٍ وإتقانٍ إلى العالَمين.

أما سجاياه النفسية العالية التي توّجت حياته وكانت تسير به صُعُدًا نحو معارج الكمال يومًا بعد يوم فما أظنُّ إلا أنها معروفة للجميع، ولكنْ إذا نسي الناس شيئًا فلا ينسون في الأستاذ عاصم – يرحمه الله – أنه سمحُ النفس، نقيُّ القلب، يألَفُ ويُؤلفُ. لطيف المعشر حاضر الطرفة والبديهة، مهيبُ الطلعة، مُحبَّبٌ إلى النفس محكم الإجابة والتعليق، ومجاذبة أطراف الحديث، يُقبِلُ على جلسائه ويؤنسهم جميعًا على اختلاف درجاتهم وثقافاتهم:

بيـــانك في قـــلوبهمُ وفـــاء وحـــبُّك لا يزول ولا يحول

الأستاذ عاصم كان من المخلصين الذين يعملون في صمت ويدأبون في إيمان ويتابعون جهودهم بعيدًا عن مواقع الشهرة والضجيج، ما تسلَّم رئاسة قسم، ولا عمادة كلية، ولا سعى إليها.

وأما عن مسيرته التعليمية فقد أعطى لطلابه المثَل الأعلى، لقد ارتبط بحب اللغة العربية ارتباطًا ملك عليه شغاف قلبه، فانعكس ذلك في تدريسه المتميِّز وإخلاصه وجهوده في خدمة اللغة والدأب المتواصل في الدفاع عنها.

بعد مسيرةٍ تعليميةٍ طويلة في ثانويات دمشق وبعض المعاهد العلمية في المملكة العربية السعودية كُلِّف بتدريس اللغة العربية (النحو والصرف) في جامعة دمشق قسم اللغة العربية، فأعدّ لهذا الأمر عُدّته، فالتعليم الجامعي يحتاج إلى مزيد

من الخبرة والتحضير من شتى المصادر والمراجع وقد حشد أمامه كتب النحو المتنوعة: شرح الكافية، شروح الألفية وغيرها، وقد أطلع والده العلاّمة بهجت البيطار عليها وهو يحضّر لدروسه، فقال الأب ناصحًا، موجّهًا:

يا بُني، هذه المصادر والمراجع لا تفعل فعلها في نفوس الطلاب ما لم تُهيئ لهم ما يفوق ذلك !.

– وما هو؟

– عليك أن تجعل بينك وبين الطلاب جميعًا جسرًا من الألفة والمحبة، إنْ أحبَّ الطالبُ معلّمَه أقبل على درسه بحرصٍ وشغفٍ واهتمامٍ، وزاد نفعُه واستكمل علْمَه.

فكم جسرٍ من المحبة بنيت بينك وبين الناس جميعًا بلْهَ طلابك وأصدقاءك!!

رأى أن تدريس العربية ليس صنعة تُدرّ المال كغيرها من الصناعات، إنما هو واجب مقدّس، وأمانة لهذا الدين ورسالة من هدي القرآن.

تمثّل هذا الواجب بأمورٍ عديدة، منها المواظبة على التعليم بهمة عالية لا تعرف الملل أو الفتور، لقد عهدناه ضابطًا لوقته، ما تَغيَّب عن محاضرة، ولا تأخر عن درس.

كان مهيبًا يحفُّ به الكثير من الجلال والوقار ويفرض على طلابه جميعًا الاحترام والتقدير.

ومع هذا الاحترام فقد استوعب الطلاب جميعًا، المتفوّق منهم والمتوسط والضعيف، بل كان يأخذ بيد الضعيف ويحمّسه لبذل الهمة العالية في سبيل محبة النحو والصرف ويذلّل له طرق تعلمها وإتقانها، ويزيل عنه وعن أفكار الطلبة جميعًا فكرة أنَّ النحو صعْبٌ. وأن قواعده وعرة معقدة.

الآراء التي كانت تنادي بتيسير النحو والتي كانت سائدة في عدد من الأقطار العربية ما وجدنا لها أثرًا في جامعة دمشق، في حياة الأستاذ عاصم ولا

في منهاج من قبله كالأستاذ الأفغاني والأستاذ أحمد راتب النفاخ – رحمهما الله تعالى – لأنه عرف حق اليقين أن تيسير النحو العربي لا يكون بتغيير قواعده إنما يتم من خلال طرائق العرض الميسَّرة ومنهجية تقديمها على الشكل الأمثل، يعطي ما هو ضروري من النحو، وينأى عن كل ما فيه تعقيد أو شذوذٌ وكان يبتعد عن كل ما يُمتّ إلى الألغاز بصلة.

لذلك ما وجدنا في مسيرة النحو العربي التي عاشها فقيدنا ولا وجد المدرِّسون المختصون في النحو العربي أي شكوى من صعوبة تدريس النحو، ويكفي دليلاً على ذلك أن الكتاب الجامعي الذي ألّفه – رحمه الله – قبل ثلاثين سنة، مايزال يُدرَّس في ربوع جامعة دمشق – قسم اللغة العربية، وقد اقترحتُه ليدرَّس في كلية الشريعة أيضًا.

ما وُجد لهذا الكتاب منافس، ولم يجرؤ مدرّس على تأليف كتاب بديلٍ عنه، ولسان حال المدرِّسين عندنا يقول: من أراد أن يؤلّف كتابًا في النحو بعد كتاب الأستاذ عاصم فليستحي...؟!

وهذا الأمر إن دلَّ على شيءٍ فإنما يدل على تملّك الأستاذ عاصم لناحية التأليف النحوي بعد رسوخه في هذا العلم ويدلّ على وفاء المدرِّسين، وهم طلابه فيما بعد، لمدرِّسهم وصاحب الفضل عليهم.

بادر إلى التدريس بكلية الطبّ في جامعة دمشق، ولا شأن للفصحى فيها إلا قليلاً، وغالبية الطلاب لا تقيم للعربية وزنًا ولا تكتب جملةً مسبوكةً ولا تكاد تلفظ كلمةً صحيحةً، فعكف على توجيه الطلاب نحو أهمية العربية وقواعدها، وجهد في صقل الطلاب صقلاً متقنًا، قراءةً وكتابةً حتى غدا أكثرهم مدركين لأهمية النحو ومتقنين لهذا العلم ومتمثّلينه خير تمثيل.

لقد نمت ملكة اللغة العربية في طلابه – رحمه الله – من اللغة المشرقة التي كان

يتفوّه بها، تعليمها وبيانها والحديث عن خصائصها وأسرارها، ووجد الطلاب في تلك المحاضرات طِلْبَتهم وغايتهم المنشودة المتمثّلة في أمرين بارزين:

أولهما: النطق السليم المتقن.

الثاني: الكتابة الصحيحة المعبِّرة.

فالنحو وسيلةُ عِصْمَةِ ألسنتنا وأقلامنا من مجانبة انتحاء سمت كلام العرب، فنفهَمُ ونُفهِمُ الآخرين.

تطوَّع الأستاذ عاصم خيرًا فخصَّص للطلاب محاضرةً مسائية للتطبيق الإعرابي الشامل والمتنوّع، أطلق عليها اسم «ما يطلبه المستمعون» أو «أنت تسأل ونحن نجيب» فيسجل الطلاب أسئلتهم المتنوعة في اللغة والنحو والصرف والبلاغة والأدب، على ورقة فيجمعها المدرِّس ويقوم بالإجابة عنها بتفصيلٍ ودقة بيان ناصع؛ ولعلّ كلّ سؤالٍ منها إنما هو بحث مستقلّ فيه فوائد لا تُعدُّ ولا تُحصى.

الأستاذ عاصم فِكْرٌ حرٌّ متميّز، ليس فيه تعقيد أو تقليد، وإن شئت أن تدري قوة المنطق وحرية الفكر الذي يتميّز به فشواهد ذلك كبيرة بارزة، سأله أحد الطلاب عن قصة المازني حول بيت العرجي:

أظلومُ إنّ مصابكم رجلاً ... أهدى السلام تحية ظلمُ

وأن بعض أهل الذمة بذل له مئة دينار على أن يُقرئه كتاب سيبويه، فامتنع من ذلك مع ما كان به من شدة احتياج، فلامه تلميذه المبرِّد فأجابه بأن الكتاب مشتمل على ثلاثمئة وكذا وكذا آية من كتاب الله تعالى، فلا ينبغي تمكين ذمّي من قراءتها... فلم تَرُقْ للأستاذ عاصم هذه الحكاية ولا استحسن تصرف المازني في ذلك، وقال أهكذا كانت دعوة النبي ﷺ حين وجهّه القرآن الكريم بقوله: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ﴾ [سورة

التوبة الآية ٦]. وبقوله: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [سورة الحجر الآية ٩٤].

وهل رسول الله ﷺ إلا قدوة حسنة لنا ؟!

أيها الإخوة الكرام:

لا شك أن في هذا المجلس العامر من هو أكرم مني، وأفصح بيانًا، وأقدر بلاغًا وأقرب معرفة ولصوقًا بحياة الأستاذ عاصم – رحمه الله – وسيرته العطرة، وما تقدَّمتُ في كلمتي هذه إلا امتثالاً لأمر رئيس مجمع اللغة العربية وأعضائه المخلصين.

يا فقيدنا الغالي:

لك على الأمة حقٌّ كبير، فهل تفي ببعضه ذكرى ساعةٍ في رثائك؟

مجمعُ اللغة العربية وجامعةُ دمشق واتحاد كتّاب العربِ فيهم الوفاء للعاملين المخلصين، وقد يخلّدون اسم الأستاذ عاصم البيطار بأن يطلقوه على بعض قاعات الدرس، أو مدرَّجات الجامعة، على نحو ما عوّدنا فضلهم وكرمهم.

أما الذي يحفظ لفقيدنا الخلود العميق فذلك ما قدّم من جُهدٍ وعمل، وإنَّ نصيب أستاذنا من ذلك لكثير:

هـذه آثارنـا تـدل علينـا فانظـروا بعدنـا إلى الآثار

رحمك الله تعالى وألهمنا نحن طلابَه وأصدقاءه وإخوانَه وأهلَه الصبر والسُّلوان وعوَّض العربية والوطن خيرًا.

كـلٌّ يجـود بما لديه فما الندى وقفًا على من يُجزلون عطاءَ
لا تـنهض الأوطان من كبواتها إلا عـلى أيدٍ تفيضُ سخَاءَ

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كلمة أسرة الفقيد

في حفل تأبين الأستاذ عاصم بهجة البيطار

ألقتها السيدة ندى البيطار

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

لله ما أعطى وله ما أخذ، والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله

أيها السادة الكرام:

رحل والدي عاصم البيطار ابنُ علاّمة الشام الشيخ محمد بهجة البيطار رحمهما الله، بعد حياة ازدحم فيها البذل والعطاء. رحل بالنسبة للعالَم ... عالِمٌ.. أديبٌ.. أستاذٌ ومربٍّ ... أما بالنسبة لنا فقد رحل الأب.. رحل المثال.. الصديق الأخ.. الأنيسُ المواسي.. القدوةُ الحسنة.. كلٌّ ذلك وأكثر منه بكثير...

ظُهرَ يومِ جمعةٍ أُسلمت روحه لبارئها في هدوء وسكينة وحتى آخر لحظة كانت نظرته الواهنة تفيض حبًا وحنانًا.. وتوصينا بعضنا ببعضٍ خيرًا...

لن أتكلم عن حياة والدي العامة ومآثره فأنتم تعرفونها حقَّ المعرفة، وجزى الله خيرًا كلَّ من تكلّم وأثنى... ولكني سأدخل معكم قليلاً إلى بيتنا الذي شاطرنا في سُكناه حب.. ومودة وتفاهم واحترام زرعها والدي رحمه الله، ووالدتي أطال الله في عمرها، وتعهدها دومًا بالرعاية والحنان...

كانت رائحة القهوة في الصباح الباكر تنبِّهنا أن نهار علمٍ وعملٍ قد بدأ..

فيذهب كلٌّ منا لوجهته، ثم نعود لنتحلّق حول مائدة الغداء.. وتطول جلستنا ونحن نتناقش في أمورنا كلها دون حرج وبكل صراحة ووضوح.. وكان يبيِّن الخطأ من الصواب ويدعم ذلك بالطُرف والأقاصيص والأشعار التي يتحفنا بها بأسلوبه البديع الجذاب.. فتصبح الجلسة أدبية ممتعة إضافة لكونها اجتماعًا أُسريًا...

أخذ والدي بأيدينا منذ خطواتنا الأولى.. وبقي مرافقًا مشجِّعًا في كل مراحل حياتنا تاركًا لنا حرية الاختيار وداعمًا في القرار...

علّمنا حمل المسؤولية منذ الصغر فاستطعنا اجتياز الكثير من مصاعب الحياة بثبات.

مراقبًا من بعيد... ومؤنسًا من قريب سلّم كلاً منّا الطريق الذي ارتضاه لنفسه على دروب العلم والمعرفة، فلقد خلّف طبيبًا وخمس بناتٍ كلهنّ من حملة الشهادات الجامعية... كان اسمه واسم جدي رحمهما الله يمهِّدان لنا الطريق إلى قلوب الكثيرين بما زرعاه من علم نافع وسمعة حسنة... الجِدُّ واحترام الوقت والالتزام بالموعد، وحبُّ الناس... والنكتة الحلوة والعطاء من أبرز صفاته...

نعرف أن الموت حق ولابدَّ من فراق، ومع ذلك أصابتني الدهشة عندما سألتني ابنتي عن قائل بعض أبيات الشعر فأجبتها: لا أدري سأسأل جدَّك... كنت أشعر دومًا أن أي سؤال سيعرض لي سأجدُ إجابته عنده... كان يقرأ مشاكلنا في عيوننا فيمسك بأيدينا ويضمنا إلى صدره الحاني ويقول: بسيطة لا يوجد شيء بلا حل، بالصبر والعمل والأمل ستنحل العقد.. فأين هو الآن ليصبِّرنا على ما نحن فيه من حزن ووحشة..؟

أراه في كل ركن من البيت فهو لم يكن لينزوي وراء مكتبه منكبًّا على كتبه، بل كان معظمُ عمله في غرفة الطعام التي تتوسط منزلنا حتى يكون مع الجميع في كل وقت... الدين المعاملة.. هذا دستوره في حياته كلها.. الإسلام عنده ليس صلاةً وصيامًا وفرائض وحسب، بل كان خُلُقَه الذي يعامل الناس به.. فهو طيب السريرة.. حلو المعشر.. صادق الحديث.. وفيٌّ إذا وعد.. مجيبٌ إذا سُئل.. لا يعرف الحقد.. بارٌّ بوالديه كلَّ البر.. واصلٌ لرحمه.. معتدلٌ في أموره كلها...

ألفناه قويًّا... متماسكًا ذا همة لا تعرف الكلل وعزيمة لا يشوبها تراخٍ أو يأس.. ينسى الوقت بين كتبه الكثيرة، وتنتقل يده بين الصفحات بهدوء الواثق العالم بمبتغاه...

وفجأة ابتدأت رحلته مع المرض.. الذي سرى في جسمه متسارعًا... لكنه لم يتمكن من قوة إرادته وعلمه وسرعة بديهته ودقة ملاحظته وطُرفه التي تُضفي الحبور والسلام على كلِّ من حوله...

ازداد مرضه لكنه ظلَّ صابرًا حامدًا محتسبًا... يعتذر إلينا دومًا عن تركنا بيوتنا لعيادته... ويلهج لسانه وقلبه بالدعاء لنا ولأزواجنا وأولادنا بكل خير الدنيا والآخرة... أحمدُ الله وأشكر فضله، أن منَّ علينا بأبوين فاضلين أسبغا علينا من الحب والحنان وبذلا لتربيتنا تربية صالحة ما نحن قاصرون عن ردِّ جزءٍ يسير منه!

أيها السادة الأفاضل: رئيس وأعضاء مجمع اللغة العربية، أساتذة جامعة دمشق، أصدقاء الفقيد:

نتقدَّم بصادق شكرنا وعظيم امتناننا لمشاركتكم إيانا المصاب..

وأود أن أذكر بعضًا من أبيات قصيدة طويلة رثى فيها علاّمةُ العراق الكبير محمد بهجة الأثري جدّي - رحمه الله - لأنني أحسست أنها لسان حالنا مع والدي:

في كـلِّ صـالحةٍ.. لـه خبرُ ولكـلِّ محمـدةٍ لَهُ صورُ
صـافٍ كمـاء المزن، ظاهره كضـميره، وكسِرّه الجهرُ
يا حزنَ نفسي! سوف يصحبني حـتى يواري جسمي القبرُ
لهفًـا إلى وجـهٍ.. تهـللَّ في أسـرارهِ الإخلاصُ والخيرُ
نظـراته لطـفٌ، وبسـمتهُ رُحمـى وعذبٌ حديثه نثرُ

حفظم الله وأبقاكم ذخرًا لأمتنا

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الكتب والمجلات المهداة

إلى مكتبة مجمع اللغة العربية

في الربع الثاني من عام ٢٠٠٥م

أ – الكتب العربية

أ. خير الله الشريف

- **أبحاث عربية في الكتاب التكريمي للمستشرق الألماني فولفديتريش فيشر/** حسام الخطيب وآخرون – ط١– طرابلس: جروس برس، ١٩٩٤.
- **إبداع ونقد/** د. حسين جمعة – دمشق: دار النمير، ٢٠٠٣.
- **إبراهيم طوقان: الأعمال الشعرية الكاملة/** إعداد وترتيب: ماجد الحكواتي – الكويت: مؤسسة جائزة البابطين، ٢٠٠٢.
- **إبراهيم طوقان حياته ودراسة فنية في شعره/** د. محمد حسن عبد الله – الكويت: مؤسسة جائزة البابطين، ٢٠٠٢.
- **إبلا: تاريخ وحضارة أقدم مملكة في سورية/** د. عيد مرعي – ط١ – دمشق: الأبجدية للنشر، ١٩٩٦.
- **ابن لعبون حياته وشعره/** أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري – الكويت: مؤسسة جائزة البابطين، ١٩٩٧.
- **أبو فراس الحمداني، بحوثٌ لِندوةٍ ووقائعها/** جماعة من الباحثين – الكويت: مؤسسة جائزة البابطين، ٢٠٠٣.
- **أبو فراس الحمداني وشعره/** د. عبد الله بنصر العلوي ورفاقه – الكويت: مؤسسة جائزة البابطين، ٢٠٠٠.
- **الإتحاف من شعر الأسلاف/ جمع وترتيب:** مبارك عمرو العماري –

الكويت: مؤسسة جائزة البابطين، ١٩٩٧.

– **الأخطل الصغير في عيون معاصريه ومصادر دراسته/** د. سهام أبو جودة – الكويت: مؤسسة جائزة البابطين، ١٩٩٨ – ٥ج.

– **الأخطل الصغير: ندوة أبحاث/** مجموعة من الباحثين – الكويت: مؤسسة جائزة البابطين، ٢٠٠٠.

– **الأدب العربي في جزر البليار/** د. عبد الرزاق حسين – الكويت: مؤسسة جائزة البابطين٢٠٠٤.

– **إرشاد الطلاب إلى وسيلة الحساب/** سبط المارديني، تحقيق: د. مصطفى موالدي – حلب: معهد التراث العلمي العربي، ٢٠٠٤ – (سلسلة مصادر ودراسات في تاريخ الرياضيات العربية ٨).

– **إسهام السريان في الحضارة العربية/** محمد عبد الحميد الحمد، تقديم: جوزيف شابو – حلب: دار ماردين، ٢٠٠٢ – (التراث السرياني٢٢).

– **الأسماء الاستنادية للمؤلفين السعوديين/** إدارة الفهرسة والتصنيف – الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ٢٠٠٤ – (السلسلة الأولى ٣٧).

– **إصدارات مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري/** مؤسسة البابطين – الكويت: المؤسسة، ٢٠٠٢.

– **أطوار المعجم العربي/** د. حازم الحلي – ط١– بيروت: ٢٠٠٥.

– **أغاني الحياة../** الشابي، تحقيق: د. نور الدين صمود وآخرين – الكويت: مؤسسة جائزة البابطين، ١٩٩٤ – ٦ج.

– **الأكدية العربية: معجم مقارن ومقدمة/** علي فهمي خشيم – ط١ – القاهرة: مركز الحضارة العربية، ٢٠٠٥.

– **أمير شعراء النبط محمد بن لعبون: سيرته ودراسة في شعره/** د. عبد العزيز

ابن عبد الله بن لعبون - الكويت: مؤسسة جائزة البابطين، ١٩٩٧.

- **أناشيد زورق/** جميل حسين الساعدي - القاهرة: دار غريب، ٢٠٠٥.
- **الأندلس في الشعر العربي المعاصر: دراسة/** د. عبد الرزاق حسين - الكويت: مؤسسة جائزة البابطين، ٢٠٠٤
- **الأندلس في القصيدة العربية المعاصرة: مختارات/** د. عبد الرزاق حسين - الكويت: مؤسسة جائزة البابطين، ٢٠٠٤.
- **أوراق يمانية/** المركز العربي للدراسات الاستراتيجية - دمشق: ١٩٩٧.
- **أيامي: سيرة ذاتية/** نقولا زيادة - بيروت: هزار غرافكس، ١٩٩٢ - ٢ج.
- **البارودي: حياته وشعره/** د. نفوسة زكريا سعيد - الكويت: مؤسسة جائزة البابطين، ١٩٩٢.
- **الببليوغرافية الوطنية الأردنية/** دائرة المكتبة العربية - عمان: المكتبة الوطنية، ٢٠٠٤.
- **البرق يلمع/** سليم الرافعي - بيروت: مطبعة مآب.
- **بوح البوادي: ديوان شعر/** عبد العزيز سعود البابطين - الكويت: مؤسسة جائزة البابطين، ٢٠٠٤.
- **تاريخ الإمارة العيونية في شرق الجزيرة العربية/** عبد الرحمن بن عثمان آل مطر - الكويت: مؤسسة جائزة البابطين، ٢٠٠٢.
- **تاريخ مدينة دمشق/** ابن عساكر، تحقيق: سكينة الشهابي - دمشق: مجمع اللغة العربية، ٢٠٠٤- مج٦٣.
- **تجارة السلاح في الخليج العربي/** فاطمة بنت محمد بن سليمان الفريحي - الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ٢٠٠٤.
- **تركة لاعب الكريات الزجاجية/** جميل حسين الساعدي - القاهرة: دار

غريب، ٢٠٠٥.

- **تقنيات المعلومات بين التبني والابتكار/** د. راشد بن سعيد الزهراني – الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ٢٠٠٤– (السلسلة الأولى ٣٧).
- **تكشيف الدوريات العربية: دراسة تحليلية مقارنة.../** د. صالح بن ناصر الخريجي – الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ٢٠٠٤ – (السلسلة الأولى ٣٩).
- **جولة مع مخطوطات سريانية مبعثرة/** يوسف القس عبد الأحد النجراني – حلب: دار ماردين للنشر، ١٩٩٤.
- **دبلوماسية الصداقة: إيطالية والمملكة العربية السعودية/** ماتيو بيتسفالو، ترجمة: محمد عشماوي عثمان – الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ٢٠٠٤ – (١٦٨).
- **دور السريان في العلوم العربية/** محمد عبد الحميد الحمد، تقديم: غريغوريوس يوحنا – حلب: دار ماردين للنشر، ٢٠٠٢ – (التراث السرياني ٢٣).
- **دور بني العباس في إدارة البلدان وإمارة الحج../** د. فيصل عبد الله بني حمد – الكويت مجلس النشر العلمي، ٢٠٠٥ – (الحولية ٢٥، الرسالة ٢٢٣).
- **دورة ابن زيدون، قرطبة/** إشراف: عبد العزيز محمد جمعة – الكويت: مؤسسة جائزة البابطين، ٢٠٠٤.
- **دورة أبو القاسم الشابي: أبحاث الندوة ووقائعها/** مجموعة من الباحثين – الكويت: مؤسسة جائزة البابطين، ١٩٩٦.
- **دورة البارودي: أبحاث الندوة ووقائعها/** مجموعة من المتخصصين – الكويت: مؤسسة جائزة البابطين، ١٩٩٤.
- **دورة العدواني: أبحاث الندوة ووقائعها/** مجموعة من الكتاب – الكويت: مؤسسة جائزة البابطين، ١٩٩٨.
- **دورة علي بن المقرب العيوني: أبحاث الندوة ووقائعها/** د. أحمد محمد

قدور ورفاقه - الكويت: مؤسسة جائزة البابطين، ٢٠٠٤.

- **ديانة شهداء نجران: قراءة جديدة للمصادر الأولية/** د. عائشة سعيد أبو الجدايل - الكويت: مجلس النشر العلمي، ٢٠٠٥، (الحولية ٢٥، الرسالة ٢٢٢).
- **الديباج الخسرواني في أخبار أعيان المخلاف السليماني/** الحسن بن أحمد عاكش الضمدي، حققه: د. إسماعيل البشري - الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ٢٠٠٣.
- **ديوان ابن دراج القسطلي/** تحقيق: د. محمد علي مكي - الكويت: مؤسسة جائزة البابطين، ٢٠٠٤.
- **ديوان ابن زيدون ورسائله/** شرح وتحقيق: علي عبد العظيم - الكويت: مؤسسة جائزة البابطين، ٢٠٠٤.
- **ديوان ابن المقرب العيوني وشرحه/** تحقيق: أحمد موسى الخطيب - الكويت: مؤسسة جائزة البابطين، ٢٠٠٢ -٢ج.
- **ديوان أبي البحر الشيخ جعفر الخطي/** دراسة وتحقيق: د. أنيسة أحمد خليل المنصور - الكويت: مؤسسة جائزة البابطين، ٢٠٠٢.
- **ديوان أبي فراس الحمداني حسب الرواية المغربية /** د. محمد بن شريفة - الكويت: مؤسسة جائزة البابطين، ٢٠٠٠.
- **ديوان أمير شعراء النبط محمد بن لعبون/** د. عبد العزيز بن عبد الله بن لعبون - الكويت: مؤسسة جائزة البابطين، ١٩٩٧.
- **ديوان أمين نخلة: المجموعة الكاملة/** إيهاب النجدي - الكويت: مؤسسة جائزة البابطين، ٢٠٠١.
- **ديوان الشاعر الأمير عبد القادر الجزائري/** جمع وتحقيق: د. العربي دحو -

الكويت: مؤسسة جائزة البابطين، ٢٠٠٠.

– **ديوان الشهيد محمد أحمد الدرة/** إعداد: عدنان بلبل، ماجد الحكواتي – الكويت: مؤسسة جائزة البابطين، ٢٠٠١ – ٣ج.

– **ديوان عبد الله الفرج/** جمع وإعداد: خالد محمد الفرج – الكويت: مؤسسة جائزة البابطين، ٢٠٠١.

– **ديوان الوفاء/** أعده: عبد العزيز جمعة – الكويت: مؤسسة جائزة البابطين، ٢٠٠٢.

– **الراغب الأصفهاني وجهوده في اللغة والأدب/** د. عبد الرحمن الساريسي – عمان: مكتبة الأقصى، ١٩٨٧.

– **رحلات الإمام محمد رشيد رضا/** جمع وتحقيق: د. يوسف إيبش – بيروت: بدر للنشر والتوزيع، ٢٠٠٠.

– **الساعات المائية العربية /** أ. دونالد ر. هيل – حلب: معهد التراث العلمي العربي، ٢٠٠٤.

– **سنوات من العطاء الثقافي/** مؤسسة البابطين – الكويت: المؤسسة، ٢٠٠٤.

– **سيرتي/** محمود الأرناؤوط – دمشق: دار المأمون للتراث، ٢٠٠٤.

– **الشابي: شعراء المغرب من خلال وثيقة نادرة بخطه/ أبو القاسم كرو** – الكويت: مؤسسة جائزة البابطين، ١٩٩٤.

– **شرح ديوان أبي فراس الحمداني/** ابن خالويه، تحقيق: د. محمد بن شريفة – الكويت: مؤسسة جائزة البابطين، ٢٠٠٠.

– **الشعر والشاعر/** عبد العزيز السريع – الكويت: مؤسسة جائزة البابطين، ٢٠٠١.

– **شعراء عبد القيس في العصر الجاهلي/** د. عبد الحميد المعيني – الكويت:

مؤسسة جائزة البابطين، ٢٠٠٢.

- **شعراء عبد القيس وشعرهم في العصرين الإسلامي والأموي**/ د. عبد الحميد المعيني - الكويت: مؤسسة جائزة البابطين، ٢٠٠٢.
- **الشفاه همجية**/ سليم الرافعي - بيروت: مطبعة مآب.
- **عاشق اللغة العربية العالم الجليل أحمد مختار عمر**/ عبد العزيز السريع، ماجد الحكواتي - الكويت: مؤسسة جائزة البابطين، ٢٠٠٤.
- **عبد العزيز السريع تكريم وتحية**/ عبد العزيز محمد جمعة - الكويت: مؤسسة جائزة البابطين ، ٢٠٠٣.
- **العدنانيات: الأعمال الشعرية الكاملة**/ محمد العدناني، إشراف: د. عمر الأسعد - عمان: دار عمار، ٢٠٠٥ - ٣ج.
- **العدواني: الأعمال الشعرية الكاملة**/ العدواني - الكويت: مؤسسة جائزة البابطين، ١٩٩٦.
- **العدواني: كاتباً ورائداً**/ صدقي خطاب، د. نسيمة الغيث - الكويت: مؤسسة جائزة البابطين، ١٩٩٦.
- **عصر ابن زيدون**/ د. جمعة شيخة - الكويت: مؤسسة جائزة البابطين، ٢٠٠٤.
- **عصر أبي فراس الحمداني**/ د. يوسف بكار - الكويت: مؤسسة جائزة البابطين، ٢٠٠٠.
- **عصر الأمير عبد القادر الجزائري**/ د. ناصر الدين سعيدوني - الكويت: مؤسسة جائزة البابطين، ٢٠٠٠.
- **العلاقة بين دول الخليج العربية ودول المغرب العربي: الواقع والمستقبل**/ دارة الملك عبد العزيز - الرياض: الدارة، ٢٠٠٤ - (١٦٨).

- **علي بن المقرب العيوني حياته وشعره/** د. صلاح كزارة – الكويت: مؤسسة جائزة البابطين، ٢٠٠٢.
- **عُمان ٢٠٠٤– ٢٠٠٥/** وزارة الإعلام – مسقط: الوزارة ، ٢٠٠٤.
- **عناصر الإبداع الفني في شعر ابن زيدون/** د. فوزي خضر – الكويت: مؤسسة جائزة البابطين، ٢٠٠٤.
- **الغزالي والسنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث/** د. منذر أبو شعر – ط١ – دمشق: دار البشائر، ٢٠٠٣.
- **الفائزون في دورة ابن زيدون/** مؤسسة جائزة البابطين – قرطبة: المؤسسة، ٢٠٠٤.
- **فكاهات الأسمار ومذهبات الأخبار والأشعار/** ابن هذيل الفزاري – الكويت: مؤسسة جائزة البابطين، ٢٠٠٤.
- **في صحبة الأميرين أبي فراس الحمداني وعبد القادر الجزائري/** د. أحمد درويش – الكويت: مؤسسة جائزة البابطين، ٢٠٠٠.
- **قاموس العلامات المسمارية/** رينيه لابات، ترجمة: ألبيرو ابونا – بغداد: المجمع العلمي، ٢٠٠٤.
- **القدس وحق العودة/** علي عقلة عرسان – دمشق: ٢٠٠٤.
- **قصائد مختارة للشاعر إبراهيم العريض/** اختيار منصور محمد سرحان – الكويت: مؤسسة جائزة البابطين، ٢٠٠٢.
- **القصيدة والحجاب/** سليم الرافعي – طرابلس: ٢٠٠٤.
- **القواعد الأصولية والفقهية على مذهب الإمامية/** إعداد الحوزة الدينية – طهران: المجمع العلمي للتقريب بين المذاهب الفقهية، ٢٠٠٤ – ٣ج.
- **القيم والخصال في شجرة الاستشراق الإسباني الوارفة الظلال/** د. جمعة

شيخة - الكويت: مؤسسة جائزة البابطين، ٢٠٠٤.

- **كشف الغمة في مدح سيد الأمة** / محمود سامي البارودي - الكويت: مؤسسة جائزة البابطين، ١٩٩٢.
- **مجمع البلاغة** / الراغب الأصفهاني، تحقيق: د. عمر عبد الرحمن الساريسي عمان: مكتبة الأقصى، ١٩٨٦ - ٢ج.
- **مختارات من شعر سعدي الشيرازي**/ تعليق: د. عارف الزغول - طهران: ٢٠٠٠.
- **مختارات من الشعر الفارسي منقولة إلى العربية**/ نقلها: د. عارف الزغول طهران: ٢٠٠٠.
- **مختارات من الشعر العربي الحديث في الخليج والجزيرة العربية**/ نخبة من المختصين - الكويت: مؤسسة جائزة البابطين، ١٩٩٦.
- **مختارات من الشعر العربي في القرن العشرين**/ الأمانة العامة لمؤسسة جائزة البابطين - الكويت: المؤسسة، ٢٠٠١ - ٥ج.
- **مختار الغزل: دراسة**.../ حسن محمود موسى النميري - الباحة: المكتب العربي، ١٩٩٥.
- **مختار الوصف: دراسة لنصوص من شعر الوصف** .../ حسن محمود موسى النميري - دمشق: مطبعة دار السلام، ٢٠٠٥.
- **المرجع الدوائي السوري**/ وزارة الصحة - دمشق: المجلس العلمي للصناعات الدوائية.
- **المراكز الثقافية السريانية**/ مارغريغوريوس يوحنا إبراهيم - حلب: دار ماردين، ١٩٩٧ - (دراسات سريانية٣).
- **مراكز حفظ الوثائق في الرياض**.../ د. خولة بنت محمد بن سعد الشويعر -

الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ٢٠٠٤.

– **مسافر في القفار: ديوان شعر/** عبد العزيز سعود البابطين – الكويت: مؤسسة جائزة البابطين، ٢٠٠٤.

– **المشكلة اللغوية العربية/**سمر روحي الفيصل– طرابلس: جروس برس، ١٩٩٢.

– **مصادر دراسة ابن زيدون/** د. عدنان محمد غزال – الكويت: مؤسسة جائزة البابطين، ٢٠٠٤.

– **مصادر دراسة محمود سامي البارودي/** إشراف: د. محمد مصطفى هدارة – الكويت: مؤسسة جائزة البابطين، ١٩٩٢.

– **معارضات قصائد ابن زيدون/** د. عدنان محمد غزال – الكويت: مؤسسة جائزة البابطين، ٢٠٠٤.

– **معالم الأدب الإسلامي/** د. عمر عبد الرحمن الساريسي – عمان: مكتبة الفلاح، ٢٠٠٣.

– **معجم الأوهام والأخطاء في صيغ الأسماء/** د. نعمة رحيم العزاوي – بغداد: المجمع العلمي، ٢٠٠٤ – ج١.

– **معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين** / هيئة المعجم – الكويت: مؤسسة جائزة البابطين، ٢٠٠٢ – ٧ج.

– **معجم المؤلفين المعاصرين/** محمد خير رمضان يوسف – الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ٢٠٠٤ – ٢ج – (السلسلة الأولى ٥٥).

– **معجم محمود شاكر/** د. منذر أبو شعر– ط١ – دمشق: دار البشائر، ٢٠٠٣.

– **مفهوم العدل في الإسلام/** د. مجيد خدوري، ترجمة: أديب يوسف شيش – ط١ – دمشق: دار الحصاد، ١٩٩٨.

– **مقالات في الثقافة/** د. محمود السيد– دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٤ – ٢ج.

– **الملك فهد قائد حركة الإسلام .../** أحمد بن عبد الغفور عطار – الرياض:

دارة الملك عبد العزيز، ٢٠٠٤ - (١٦٢).

- **من أوراق الشاعر إبراهيم طوقان** / المتوكل طه - الكويت: مؤسسة جائزة البابطين، ٢٠٠٢.
- **الموجز التعليمي العالمي ٢٠٠٤**/ اليونسكو - مونتريال: معهد اليونسكو للإحصاء، ٢٠٠٤.
- **الموسم الثقافي الثاني والعشرون**/ مجمع اللغة العربية الأردني - عمان: المجمع، ٢٠٠٤.
- **موسوعة أعلام الموصل**/ وزارة التعليم العالي - بغداد: كلية الحدبا، ٢٠٠٤ - ٢ج.
- **موقف ابن الشجري من شعر المتنبي**/ د. ليلى خلف السبعان - الكويت: مجلس النشر العلمي، ٢٠٠٥ - (الحولية ٢٥، الرسالة ٢٢١).
- **نحو سياسات متكاملة للتنمية الاجتماعية..**/ اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا - نيويورك: الأمم المتحدة - (سلسلة دراسات السياسات الاجتماعية ٨).
- **نجد وأصداء مفاتنه في الشعر**/ خالد بن محمد بن عبد الله الخنين - بيروت: دار ابن حزم، ٢٠٠٥ - ٣ج.
- **نصوص مختارة من شعر الرثاء**/ حسن محمود موسى النميري - ط١ - مكتبة الرشيد، ١٩٩٤.
- **نظام الإيداع في المملكة العربية السعودية...**/ د. عجلان بن محمد العجلان - الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ٢٠٠٤ - (السلسلة الأولى ٤٠).
- **الهندسة والتقانة وآفاق المستقبل** / د. داخل حسن جريو - بغداد: المجمع العلمي، ٢٠٠٤.
- **الوثائق العربية**/ دارة الملك عبد العزيز - الرياض: الدارة، ٢٠٠١ - (١٦٣).

ب- المجلات العربية

أ.ماجد الفندي

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
١ – الأسبوع الأدبي	(٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠)	٢٠٠٥م	سورية
٢ – بناة الأجيال	السنة(١٣) العدد (٥٣)	٢٠٠٤م	سورية
٣- صوت فلسطين	(٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦)	٢٠٠٥م	سورية
٤- الضاد	السنة (٧٤) العدد (١٢،١١)	٢٠٠٤م	سورية
	السنة (٧٥) العدد (١، ٢)	٢٠٠٥م	سورية
٥- عالم الذرة	العدد (٩٥، ٩٦)	٢٠٠٥م	سورية
٦- المجلة البطريركية	(٢٣٩، ٢٤٠) السنة(٤٢)	٢٠٠٤م	سورية
٧- مجلة جامعة تشرين	مج(٢٥) العدد (١٥) علوم أساسية العدد (١٣) علوم هندسية العدد (١٨) علوم إنسانية العدد (٥) علوم اقتصادية العدد (٦) علوم اقتصادية العدد (٢٤) علوم طبية	٢٠٠٣م	سورية
٨- حوليات الآثار العامة	(٤٧)	٢٠٠٣م	الأردن
٩- مجلة الشريعة	(٤٦٩)	٢٠٠٥م	الأردن

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
١٠- أخبار المكتبة	(٣٢)	٢٠٠٥م	السعودية
١١- الأمن والحياة	السنة (٢٤) العدد (٢٦٩)	٢٠٠٤م	السعودية
١٢- الفيصل	(٣٤٣)	٢٠٠٥م	السعودية
١٣- المجلة العربية	(٣٣٥)	٢٠٠٥م	السعودية
١٤- مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية	مج(١٠) العدد (٢)	٢٠٠٥م	السعودية
١٥- نشرة المستخلصات	(٣٣، ٣٤)	٢٠٠٣م	السعودية
١٦- البيان	(٤١٤، ٤١٥، ٤١٦)	٢٠٠٥م	الكويت
١٧- البيبلوغرافية الوطنية المغربية	(١، ٢، ٣، ٤)	٢٠٠٣م	المغرب
١٨- آفاق الهند	السنة (١٧، العدد (١١)	٢٠٠٤م	الهند
١٩- صوت الأمة	مج (٣٧) (١، ٢، ٣)	٢٠٠٥م	الهند

ج- الكتب والمجلات الأجنبية

طهران صارم

1- Books:

- King Henry IV, by/ Shakespear
- Literary Criticism in the Renaissance, by/ Joel E, Spingarn.
- Beyond Culture, by/ Lionel Trilling.
- The Fiction of Henry James, by/ S. Gorley.
- Nostromo. By/ Joseph Conrad.
- Studies and further Studies in a dying Culture, by/ Christopher Caudwell.
- In General and particular, by/ C.M. Bowra.
- Tales From the Calendar, by: Bertolt Brecht.
- New Present Day English, by/ E. Frank Candlin.
- The open Philosophy and the open Society, by/ Maurice Cornforth.
- Discrimination, by/ René Wellek.
- The Poetry of W.H. Auden, by/ Monroe K. Spears.
- New Bearings in English Poetry. By/ F.R. Leavis.
- The Poetry of Shakespear's Plays, by/ F.E. Hailliday.
- Some versions of pastoral, by/ william Empson.

2 – Periodicals:

- Memorille SecŢillor ŞtiinŢiifice,Române, (1997- 2002- 2003).
- Self Realization, Winter, 2005.
- East Asian Review, Korea.
- Resistance, No. 7- 8- 9, 2005.

تصحيـــح

● في الجزء الأول من المجلد الثمانين سقطت بسبب خَلَل في برنامج الحاسوب: الكلمتان الأخيرتان من صدر بيت الشِّعر الخامس وعجزه، والكلمة الأخيرة من عجز بيت الشعر السادس في الصفحة (٨٢)

والصواب:

٥- أصبحْت شـــيخًا أرى الشخصين أربعة

والشـــخص شخصين لَمّا مسَّني الكبرُ

٦- وكنـــت أمشـــي على الساقين معتدلاً

فصـــرت أمشي على ما تنبت الشَّجَـــرُ

● في فهرس الجزء الأول وقع خطأ في عنوان قائمة أسماء أعضاء المجمع، والصواب: أسماء أعضاء المجمع في مطلع عام **٢٠٠٥** (بدلاً من ٢٠٠٤)

فهرس الجزء الثالث

من المجلد الثمانين

(المقالات)

(التعريف والنقد)

(آراء وأنباء)

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٧

- المحب والمحبوب للسري الرفاء مج ١-٤ تحقيق غلاونجي والذهبي
- شعر خداش بن زهير العامري صنعة د. يحيى الجبوري
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، مج ٣٨، ٤٠ تحقيق سكينة الشهابي
- إعراب الحديث النبوي للعكبري (ط٢) تحقيق عبد الإله نبهان
- فهرس مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ج٦ وضع غزوة بدير
- الفهرس العام لمخطوطات دار الكتب الظاهرية وضع الخيمي والحافظ
- الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي، ج٤ تحقيق أحمد مختار الشريف
- علم التعمية واستخراج المعمّى عند العرب دراسة وتحقيق د. مراياتي وطيان وميرعلم
- فهرس مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ج٥ وضع محمد خير محمد

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٨

- تاريخ حكماء الإسلام لظهير الدين البيهقي، تحقيق الأستاذ محمد كرد علي (ط ثالثة)
- رسالة ابن فضلان، تحقيق الدكتور سامي الدهان (ط ثانية)
- المصطلحات العلمية في اللغة العربية للأمير مصطفى الشهابي (ط ثانية)
- البيزرة لبازيار العزيز بالله الفاطمي، تحقيق الأستاذ محمد كرد علي (ط ثانية)
- الإتباع لأبي الطيب اللغوي، تحقيق الأستاذ عز الدين التنوخي (ط ثانية مع استدراك للأستاذ أحمد راتب النفاخ)
- عمر فروخ، كفاح خمسة وستين عاماً دفاعاً عن العروبة والإسلام، للدكتور عدنان الخطيب
- الدكتور أحمد عبد الستار الجواري، حياته وآثاره (فصلة) للدكتور عدنان الخطيب
- الدكتور صبحي المحمصاني، حياته وآثاره (فصلة) للدكتور عدنان الخطيب
- الأستاذ عبد الهادي هاشم فقيد المجمع (فصلة)، للدكتور شاكر الفحام

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٩

- ديوان أبي الفتح البُسْتي، تحقيق درية الخطيب، لطفي الصقال
- الرسالة الباهرة في الرد على أهل الأقوال الفاسدة لأبي محمد بن حزم الأندلسي، تحقيق محمد صغير حسن المعصومي

- فصـــول التماثيل في تباشير السرور لأبي العباس عبد الله بن المعتز، تحقيق وتقديم الدكتور جورج قنازع، الدكتور فهد أبو خضرة

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٠

- قصـــيدة في مشكل اللغة وشرحها لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري (فصلة)، تحقيق عز الدين البدوي النجار
- فهارس شرح المفصل لابن يعيش، صنعة عاصم بهجة البيطار

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩١

- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، مج ٤١ تحقيق سكينة الشهابي
- تـــاريخ مديـــنة دمشق لابن عساكر، السيرة النبوية (القسم الثاني) تحقيق نشاط غزاوي
- عـــبد الله كـــنون: سبعون عاماً من الجهاد المتواصل في خدمة الإسلام والعروبة للدكتور عدنان الخطيب (فصلة)
- كتاب التنوير في الاصطلاحات الطبية، لأبي منصور الحسن بن نوح القمري تحقيق وفاء تقي الدين

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٢

- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر مج ٤٢، تحقيق سكينة الشهابي
- ألوان من التصحيف والتحريف في كتب التراث، تأليف الدكتور صالح الأشتر
- بقية الخاطريات لابن جني (وهي مالم ينشر في المطبوعة) تحقيق الدكتور محمد أحمد الدالي
- حفل تأبين فقيد المجمع الأستاذ أحمد راتب النفاخ ١٩٢٧ - ١٩٩٢م

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٣

- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر مج ٤٣، تحقيق سكينة الشهابي
- حفل تأبين الأستاذ المهندس وجيه السمان ١٩١٣ - ١٩٩٢م

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٤

- محاضرات المجمع في الدورة المجمعية (١٩٩٢ - ١٩٩٣)

الجزء الرابع المجلد الثمانون





شعبان ١٤٢٦هـ

تشرين أول (أكتوبر) ٢٠٠٥م



ص.ب ٣٢٧

البريد الإلكتروني: E-mail: mla@net.sy

أنشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١م

تصدر أربعة أجزاء في السنة

قيمة الاشتراك السنوي بدءاً من مطلع العام ١٩٩٦م	١٦٠ ليرة سورية في الجمهورية العربية السورية
	١٥ دولاراً أمريكياً في البلدان العربية
	١٨ دولاراً أمريكياً في البلدان الأجنبية

ترسل المجلة إلى المشترك خارج القطر بالبريد الجوي المسجّل

(تدفع قيمة الاشتراك عند طلبه)

(خطة المجلة)

- إن خطة المجلة التي تلتزمها أن تنشر لكتّابها المقالات التي يخصّونها بها ويقصرونها عليها.
- المقالات المنشورة تعبر عن آراء أصحابها.
- ترتيب المقالات يخضع لاعتبارات فنية.
- ينبغي أن تكون المقالات المرسلة إلى المجلة مطبوعة على الآلة الراقنة، أو على الحاسوب، ويفضل في هذه الحالة أن تشفع المقالة بقرص مرن (ديسك فلوبي) مسجلة عليه، أو مرسلة بالبريد الإلكتروني.
- المقالات التي لا تنشر لا تردّ إلى أصحابها.
- يرسل الكاتب الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة، مع مقالته، موجزاً بسيرته العلمية وآثاره وعنوانه.

الجزء الرابع المجلد الثمانون





شعبان ١٤٢٦هـ

تشرين أول (أكتوبر) ٢٠٠٥م

رأي في تيسير
مبحث الممنوع من الصرف

د. إحسان النص

بحث الممنوع من الصرف من المباحث النحوية التي يجد المتكلمون والكاتبون عسرًا شديدًا في استيعابها والوقوف على قواعدها ومعرفة عللها. فالتساؤل يُطرح أولاً عن العلّة في مخالفة هذه الأسماء في إعرابها سائر أسماء اللغة العربية التي تنصب بالفتحة في مواضع، وبالألف في مواضع أخرى. وترفع بالضمّة أو الواو، وتجرّ بالكسرة أو الياء، تبعًا لاختلاف المواضع.

فما العلّة في مخالفة هذه الأسماء قواعد الإعراب التي تنتظم الأسماء عامة؟ لم يهتد الباحثون إلى معرفة علة هذه المخالفة على وجه اليقين، وللنحاة أقوال كثيرة في علل منع هذه الأسماء من الصرف (أو التنوين) وليس بينها ما يقنع.

والصعوبة الثانية هي في تفطّن المتكلّمين إلى جرّ الممنوع من الصرف بالفتحة نيابة عن الكسرة، فالخطأ كثير في هذا الباب، وقد لا يفطنون إلى صرفه إذا اتصل بأل أو أضيف، فقد سمعنا بعضًا من المتحدثين يقولون: حضرت في المجالسَ.

ونحن ندرج أحوال الممنوع من الصرف ضمن الأحوال الشاذّة في النحو العربي، وليس هذا الشذوذ بدعًا في اللغة العربية وحدها بل نحن واجدوه في أكثر اللغات، ففي الفرنسية مثلاً ثمة أفعال تجري في تصريفها على قواعد مطّردة تنتظم أكثر الأفعال وإلى جانبها أفعال شاذّة تخالف القواعد

العامة في تصريف الأفعال.

والتساؤل الثاني يدور حول العِلل التي يسوقها النحاة في بيان صيغ الأسماء الممنوعة من الصرف، ففي منع صيغة (عُمَر) مثلاً والأسماء التي على شاكلتها يقولون إنها مُنعت من الصرف لعلة العَدْل، فاسم (عُمر) معدول عن (عامر)، وهذا التعليل فيه تكلّف ظاهر.

والصعوبة في تعليم الممنوع من الصرف ناجمة عن عدم قدرة الطُلاّب والمتعلمين على التفريق بين أحوال الأسماء الممنوعة من الصرف وغير الممنوعة منه، كالتفريق بين أنواع ألف الاسم الممدود، فهي تكون أصلية وتكون للتأنيث وتكون للإلحاق وتكون منقلبة عن أصل. فنسمع كثيرًا من المتكلمين والمذيعين يمنعون مثلاً ألفاظًا مثل (أجزاء) و (أنباء) و (أكفاء) و (أخطاء) و (أرزاء) من الصرف فيجرّونها بالفتحة بدلاً من الكسرة، مع أن همزتها أصلية وهي غير ممنوعة من الصرف، ويمنعون من الصرف ألفاظًا مثل أحياء وأجواء وأهواء وأسماء (جمع اسم) وهمزتها منقلبة عن أصل، وهي مصروفة قال تعالى: ﴿ولا تحسبنّ الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتًا بل أحياءٌ عند ربّهم يُرزَقون﴾ [آل عمران ١٦٩] وقال تعالى: ﴿إن هي إلاّ أسماءٌ سمَّيتُموها﴾ [النجم ٢٣].

ما السبيل إذًا إلى تيسير تعليم الممنوع من الصرف والحؤول دون التخبّط في تمييز الأسماء الممنوعة من الصرف من سائر الأسماء؟

جعل النحاة الأسماء الممنوعة من الصرف ضربين: أولهما: ما يمنع من الصرف لعلة واحدة، وثانيهما: ما يمنع من الصرف لاجتماع علّتين. ثم فرّقوا في الضرب الثاني بين ما هو علم وما هو صفة.

والممنوع من الصرف لعلة واحدة نوعان: الأول ما لحقت بآخره

ألف التأنيث، مقصورة كانت أو ممدودة، والنوع الثاني ما كان على صيغة منتهى الجموع.

وليس في الممدود الذي تقع في آخره ألف التأنيث المقصورة صعوبة، اسمًا كان كليلى أو صفة كحبلى، إنما الصعوبة في النوع الأول هي في التمييز بين ما زيد في آخره ألف التأنيث الممدودة وبين ما زيدت في آخره ألف ممدودة لغير التأنيث، كأن تكون أصلية مثل ألف أنباء أو منقلبة عن أصل نحو: أجواء جمع جو فهي منقلبة عن الواو أو مثل أحياء فهي منقلبة عن ياء أو تكون للإلحاق مثل علباء، (ولا يمنع من الصرف من الممدود ما كان على ثلاثة أحرف نحو: ماء، وما كان على أربعة أحرف نحو: سماء). وألف التأنيث الممدودة هي أشيع الألفَات، فهي تأتي في صيغ كثيرة منها: أفعلاء كأنبياء، وفُعَلاء مثل أُمَراء، وفَعْلاء مثل صحراء وحسناء، وفِعْلياء نحو كبرياء وفُعْلَلاء كخُنْفَساء وفُعَيلاء كرُتَيْلاء وغيرها من الصيغ؛ وهي تقع في الأسماء المفردة وفي الجموع. وقد أحصى السيوطي في المزهر طائفة كبيرة منها. وللتسهيل على المتكلمين والطُلاّب نأتي بقاعدة بسيطة وهي أن ما كان من الممدود على وزن (أفعال) من الجموع ليس ممنوعًا من الصرف نحو: أنباء وأبناء وأسماء (جمع اسم)، وأجواء، وأحياء، ولا يستثنى من هذه القاعدة إلاّ لفظ (أشياء) فهو ممنوع من الصرف، وقد ورد في الآية الكريمة: ﴿لاَ تَسْأَلُواْ عَنْ أَشْيَاء إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُم﴾[المائدة ١٠١]، وقد أوردنا نماذج من ورود هذه الصيغة في القرآن الكريم ومن أمثلة ما زيد في آخره ألف التأنيث من الممدود قوله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاء﴾ [المائدة ٢٠] وقوله تعالى: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة ١٤٣]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا

بَقَرَةٌ صَفْرَاء﴾ [البقرة ٦٩].

وطبيعي أن تخضع الأسماء الممدودة للقاعدة العامة في صرف الاسم الممنوع من الصرف إذا اتصلت به (أل) أو أضيفت، ومن أمثلة صرف الممدود في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿إنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِم﴾ [الأنعام ١٢١].

أمّا المقصور فلا صعوبة في تَعَرُّف الممنوع من الصرف فيه، فكل مقصور منته بألف التأنيث فهو ممنوع من الصرف، اسمًا كان نحو: ليلى وسلمى أو صفة نحو: حُبلى وغضبى، ومفردًا كان كالأمثلة السابقة أو جمعًا نحو: صَرعى وقَتلى وسُكارى وأُسارى، ومن أمثلته في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى﴾ [الحج ٢].

فإذا كان الاسم المقصور على ثلاثة أحرف لم يمنع من الصرف نحو: فتىً، وعِدًى (جمع عَدُوّ).

والعلّة الثانية المفردة التي تمنع من الصرف هي صيغة منتهى الجموع، وقد لا يدرك المتعلم المراد من عبارة منتهى الجموع، وهو كل جمع تكسير وقع بعد ألف تكسيره حرفان أو ثلاثة أحرف أوسطها ساكن، وللتيسير على المتعلم نقول إن كل جمع تكسير على مثال مَفاعل أو مفاعيل فهو ممنوع من الصرف، مهما يكن وزنه الصرفي، فقد يكون على مفاعل مثل: مساجد ومنابر، أو أفاعل مثل أماجد وأماكن أو فواعل مثل شواعر ولوازم، أو فعالل مثل موادّ ومهامّ (أصلها موادد مهامم) أو على مفاعيل نحو: مصابيح ومفاتيح أو أفاعيل نحو أقاويل أو غيرها من الصيغ. ومن أمثلة هذا النوع في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَلَوْلاَ دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ

وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ﴾ [الحج ٤٠] وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ [الملك ٥].

ويحسن أن نلفت النظر هنا إلى أن مثال مفاعل المنقوص يعرب إعراب الاسم المنقوص، فتحذف ياؤه في الجر والرفع وينون ماقبلها، وينصب بالفتحة ولا ينوّن، فنقول: هذه أغانٍ وطربت لسماع أغانٍ، وسمعت أغانيَ.

أمّا ما يحتاج إلى علّتين لمنعه من الصرف فهو على ضربين: أولهما ما كان علَمًا، وثانيهما ما كان صفة.

فالعلَم يمتنع من الصرف إذا اجتمعت معه علة أخرى، والعِلل ستّ أولاها: اجتماع العلمية والعُجمة، والعلم الممنوع من الصرف في هذه الحال نوعان: أحدهما ما زادت أحرفه على ثلاثة نحو: إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب، ولا صعوبة في معرفة هذا النوع إذا تحقّق المتكلم من عجمة العلَم، وتقع في هذا النوع الأسماء الغربية كلها نحو: جورج ولويس وبرنار، وثمة وجهة نظر تذهب إلى أن من الأسهل نطق هذه الأعلام بصورتها الأجنبية وعدم تحريك أواخرها، وهذا الرأي فيه نظر ويفتقر إلى اتفاق الآراء حوله.

ومن أمثلة هذا النوع في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [البقرة ١٣٦].

والنوع الثاني من أمثلة اجتماع العلَم مع العجمة ما كان على ثلاثة أحرف وهو غير ممنوع من الصرف سواء أكان الاسم ساكن الوسط مثل: نوح ولُوط وهود وسام وكوش أو محرّك الوسط نحـــو: لَمَك (ابن متوشلخ بن نوح) ومن ورود هذه الأعلام في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَلُوطاً آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً.. وَنُوحاً إِذْ نَادَى﴾ [الأنبياء ٧٤و٧٦].

وهنا أيضًا تعترضنا مشكلة الأسماء الغربية الثلاثية مثل: جاك، وجون وبول ونحوها، فهل ننطقها بإسكان أواخرها على الوقف أم نعاملها كالأسماء الأعجمية القديمة فنصرفها ونقول مثلاً: رأيت جاكًا وجاء جُونٌ، أرى أن في هذا النطق شيئًا من الغرابة والعُسر ولعلَ الأمثل إسكان أواخرها على الوقف.

والعلة الثانية: ماكان على وزنٍ مختص بالفعل أو غالبٍ فيه. نحو: يزيد وأحمد وأيمن ويَغُوث ويَعُوق. ومثاله من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿مُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف ٦] وقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَذَرُنَّ وَدًّا وَلاَ سُوَاعًا وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح ٢٣].

وفي هذا الضرب يقع الخطأ أحيانًا في منع صرف أسماءٍ مثل: حَمَد وكَرَم، فهما على زنة الفعل الماضي فَعَل.

ويتساءل بعضهم لماذا لم يُمنع من الصرف ماكان على وزن فاعل ومفعول وفعيل ونحوها من المشتقات؟ والجواب عن ذلك أننا وجدنا في كلام العرب أسماءً ممنوعة من الصرف فجرينا على سننهم والتمسنا لمنعها من الصرف عللاً، فوجدنا أن العلة في منع صرف نحو يزيد وأحمد هي مشاكلة الفعل في وزنها، لأن الفعل لا يُنوّن وليس لنا أن ندخل في عداد الممنوع من الصرف غير ماذكره أسلافنا وما وجدناه في القرآن الكريم، وهو مرجعنا الأول في استخلاص قواعد النحو، وما وجدناه في كلام العرب وأشعارهم.

والعلة الثالثة التي تجتمع مع العلمية هي العَدل، أي ما عُدل عن صيغة أخرى، نحو: عُمَر وزُفَر وثُعَل، فهذه الأعلام معدولة في قول النحاة عن: عامر وزافر، وقد أدخل بعض النحاة لفظ ثُعَل في عداد المعدول ولكنه ليس

بمعدول، وقد ذكر ذلك في لسان العرب، فهو مصروف وهو أبو حيٍّ من أحياء قبيلة طيِّئ. وهذه العلة لا يُدركها المبتدئون من المتكلمين، فالنحاة لم يجدوا ما يعلّلون به منع صرف الأسماء التي على وزن (فُعَل) غير علّة العدل، وهي علّة ضعيفة غير مقنعة، والأمثل أن نكتفي بالقول إن الأسماء التي هي على وزن (فُعَل) ممنوعة من الصرف في كلام العرب ونحن نجري على سننهم، ولا ضرورة لالتماس علّة لهذا النوع من الممنوع من الصرف.

والعلة الرابعة هي زيادة الألف والنون في آخر العلم نحو: عدنان، وعثمان، وقحطان، وغَطفان، وحيّان، ولا صعوبة في معرفة هذا النوع ولا إشكال فيه، فإذا لم تكن الألف والنون زائدتين لم يمنع العلم من الصرف نحو: حسّان إذا كان أصل هذا الاسم مأخوذًا من حَسُن، وهو الراجح، أما إذا عُدّ أصله حَسَّ فهو ممنوع من الصرف. وقد تجتمع علّتان في بعض الأعلام مثل: عِمران، فقد اجتمع فيه مع العلمية العُجمة وزيادة الألف والنون، ومثاله قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران٣٣].

والعلة الخامسة مع العلمية هي الاسم المركب تركيبًا مزجيًّا نحو: بعلبكَّ ومعديكربَ وحَضْرموتَ ولا صعوبة في معرفته فلا نقف عنده.

والعلة السادسة مع الاسم العلم هي التأنيث، فما جاءت في آخره هاء التأنيث مُنع من الصرف سواء أكان علمًا لمؤنث نحو: فاطمة وعمرة وغزّة (اسم مدينة) وجُدّة (اسم مدينة) أو كان علمًا لمذكّر نحو: طلحة وحمزة.

ويمنع من الصرف أيضًا كل علم مؤنث ولو لم تلحقه تاء التأنيث كزينب وسُعاد،وينطبق هذا على كثير من الأسماء المحدثة المنقولة عن مصادر

أو عن غيرها نحو: دَلال وسِهام وسَحاب. ويشترط النحاة أن يكون زائدًا على ثلاثة أحرف فإن كان على ثلاثة أحرف محرّك الوسط مُنع من الصرف نحو: سَقَر (اسم لجهنم)، و رَفَح (اسم لمدينة) وسَحَر (اسم امرأة)، وإن كان ساكن الوسط أعجميًّا مُنع من الصرف نحو: جُور وصُور (مدينتان) وإن كان عربيًّا جاز فيه الوجهان نحو: هِنْد ودَعْد والمنع أولى. ويحسن تجنبًا لتعقيد القاعدة أن نجعل كل علم مؤنث سواء لحقته التاء أو لم تلحقه ومهما يكن عدد حروفه ممنوعًا من الصرف.

أما أسماء القبائل نحو: تميم وقريش وهُذَيل فلنا أن نمنعها من الصرف إذا لوحظ فيها التأنيث، أو نصرفها إذا لوحظ فيها اسم الرجل الذي تنتمي إليه.

ويلاحظ أن الأعلام المؤنثة المؤلفة من ثلاثة أحرف كثرت في أيامنا كثرة تلفت النظر طلبًا لخفة النطق، والناس لا يراعون أن يكون العلم مشهورًا أو مأخوذًا عن القدماء، بل يختارون ما يعجبهم لفظه، وربما تعمّدوا مغايرة المألوف الشائع، فيطلقون على بناتهم أسماء منقولة عن أسماء النبات أو مظاهر الطبيعة أو الحيوان أو المصادر أو غير ذلك، وربما لم يعرفوا دلالة هذه الأسماء فيسمّون بناتهم مثلاً بمها ورنا وأمل وقمر وسُها وشذا ومُنى ولمى وسحر وريم ودلع وغيرها كثير، والوجه أن تكون كلها ممنوعة من الصرف.

وما كان على وزن (فَعال) كحذام ورقاش نختار مذهب أهل الحجاز فيه فنجعله مبنيًّا على الكسر ولا نمنعه من الصرف، ومثاله قول الشاعر:

إذا قالت حذامِ فصدّقوها   فإن القول ما قالت حذامِ

وللنُّحاة تفصيلات كثيرة في هذه العلة لا طائل وراءها، وبعضها يقوم

على افتراضات لا تتحقق في الواقع فيحسن الاستغناء عنها، وكذلك يستغنى عن علة العلمية وألف الإلحاق المقصورة نحو: عَلَقى وأَرَطى، على افتراض التسمية بها، والأمثل وضعها مع ما يمنع من الصرف من المقصور.

والضرب الثاني مما يمنع من الصرف لاجتماع علّتين هو **الوصف** مع علة أخرى وأنواعه ثلاثة: أولها الوصف وزيادة ألف ونون نحو: سكران وعطشان وغضبان. ومن أمثلته في القرآن قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾ [الأعراف ١٥٠]. ويشترط النحاة هنا ألا يكون مؤنثه مختومًا بالهاء (التاء المربوطة)، وهذا القيد لا أراه ضروريًّا لقلّة أمثلته، فيُكتفى بالقاعدة العامة.

والنوع الثاني: الصفة المعدولة ومثالها لفظ (أُخَر)، فهو معدول عن آخر في قول النحاة، وهنا أيضًا يُفضّل أن يقال: ما كان صفة على وزن (فُعَل) فهو ممنوع من الصرف، ولا حاجة إلى القول بعلّة العدل.

ويدخل في المعدول من الصفات أيضًا أسماء العدد على وزن (فُعال) و (مَفْعَل) نحو: ثُلاث ومَثنى ورُباع، ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿منه آياتٌ مُحكَمات هُنّ أمُّ الكتاب وأُخَرُ مُتشابهات﴾ [آل عمران ٧] وقوله تعالى: ﴿فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ﴾ [النساء ٣].

والنوع الثالث: الصفة على وزن أفعل نحو: أسود وأحمر، ويشترط النحاة أن تكون الصفة أصلية غير عارضة مثل أسماء العدد إذا استعملت صفات، ويشترطون أيضًا ألا يكون مؤنثها منتهيًا بالهاء نحو: أرمل، فهو غير ممنوع من الصرف لأنه يقال لمؤنثه: أرملة.

ويدخل في هذا النوع أسماء التفضيل على صيغة (أفعَل) نحو: هذا الكتاب أفضلُ من غيره. ومثال هذا النوع قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الأنعام ١٥٢]. وقوله: ﴿وَإِذَا حُيِّيْتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا﴾ [النساء ٨٦].

من مواضع تيسير تعليم النحو
وحلول مقترحة

د. محمود أحمد السيد

نحاول في هذا البحث الموجز أن نتعرف جوانب من تيسير تعليم النحو وأن نقدِّم عددًا من المقترحات حول هذا الموضوع بعد عرض تلك الجوانب.

أولاً: من مواضع تيسير تعليم النحو:

اتجهت أنظار بعض الباحثين في موضوع تيسير تعليم النحو إلى المادة النحوية نفسها، واتجهت أنظار بعضهم الآخر إلى طريقة التدريس، ورأى آخرون أن التيسير في تعليم النحو إنما يرجع إلى بناء المناهج التعليمية. وفيما يأتي وقفة على هذه الاتجاهات:

١- المادة النحوية:

لم يكن الإحساس بثقل المادة النحوية على المتعلمين وليد العصر الحاضر، إذ إن هذا الإحساس تزامن مع كثرة الافتراضات والمماحكات والتأويلات والخلافات بين المدارس النحوية، وهذا ما دعا بعضهم إلى الشكوى والتذمر من الشذوذ والاستثناء والتأويل فها هو ذا «**دماذ**» صاحب أبي عبيدة يشكو إلى أبي عثمان بكر المازني شيخ نحاة البصرة في عصره ما لقيه من عنت في موضوع واو المعية وفاء السببية من أن ما بعدهما ينصب بأن مضمرة وجوبًا[1]، وها هو ذا الجاحظ يدعو في إحدى رسائله إلى الاقتصار في تعليم النحو للصبي على

الموضوعات الأساسية التي تؤدي إلى السلامة من فاحش اللحن، ومن مقدار جهل العوام في كتاب إن كتبه، وشعر إن أنشده وشيء إن وصفه، وعويص النحو لا يجدي في المعاملات ولا يضطر إليه في شيء على حد تعبير الجاحظ.

وثار ابن مضاء القرطبي على النحاة بعد أن هالته كثرة افتراضاتهم وتأويلاتهم، ورأى أن يحذف من النحو كل ما يستغني الإنسان عنه في معرفة نطق العرب بلغتهم، «**فأحوال أواخر الكلام كأحوال أوائله لغوية بسيطة لا تحتاج معرفتها إلى عسر في الفهم ولا إلى بُعد في التأويل**»[٢].

ومن المحاولات العملية في العصور السابقة محاولة خلف بن حيان الأحمر البصري في رسالته «**مقدمة في النحو**»[٣]، ومحاولة أبي جعفر النحاس النحوي في كتيبه «**التفاحة في النحو**»[٤]، وتشتمل الرسالة كما يشتمل الكتيب على الموضوعات النحوية الأساسية التي يحتاج إليها المتعلم في إصلاح لسانه في كتاب إن كتبه، أو شعر إن أنشده، أو خطبة إن ألقاها، أو رسالة إن ألّفها، على وفق تعبير خلف نفسه.

وأول محاولة ظهرت في العصر الحديث هي محاولة **الأستاذ إبراهيم مصطفى** في «**إحياء النحو**» عام ١٩٣٧م، إذ إنه كان ثائرًا على النحويين الذين قصروا مباحث النحو على الإعراب والبناء دون أن يبحثوا خصائص الكلام من حيث التقديم والتأخير والنفي والإثبات والتأكيد[٥]. ودعت لجنة تيسير قواعد اللغة العربية عام ١٩٣٨م إلى إلغاء الإعراب التقديري والمحلي لعدم فائدته في ضبط لفظ أو تقويم لسان، وأن نجعل المبتدأ والفاعل ونائب الفاعل في باب واحد أسمته باب «**المسند إليه**»، وأوصت أن يُلغى الضمير المستتر جوازًا ووجوبًا[٦].

ومن محاولات التيسير في القرن العشرين محاولة مؤتمر مفتشي اللغة العربية عام ١٩٥٧م في القاهرة، الذي رأى أن الكلام العربي كله مكوَّن من جمل ومكملات وأساليب، وأن لكل جملة ركنين أساسيين هما المسند والمسند إليه، وأما التكملة فهي كل لفظ يضيف إلى معنى الجملة الأساسية معنى يُكمله، وأما الأساليب فهي تعبيرات خاصة نطق بها العرب على الصورة التي وصلت إلينا، نحفظها ونقيس عليها(٧)؛ وشقت هذه الدعوة طريقها إلى المناهج التربوية إبان الوحدة بين سورية ومصر، وكانت ثمة عودة عنها بعد الانفصال، فعادت المناهج التربوية في سورية إلى اعتماد مصطلحات الفاعل والمبتدأ ونائب الفاعل والخبر على النحو الذي كان سائدًا قبل الوحدة.

ورَمَتْ محاولة تيسير تعليم اللغة العربية التي ظهرت في الجزائر عام ١٩٧٦م بإشراف اتحاد المجامع اللغوية العربية إلى الاقتصار من المادة النحوية ما أمكن على ما يستعمله الطلاب في حياتهم، والإبقاء على الإعراب التقديري والمحلي دون تعليل، ودراسة بعض التراكيب النحوية دون تعرض لإعرابها التفصيلي كصيغ القسم والتعجب والتحذير والإغراء... وترك دراسة القواعد التي تُستعمل نادرًا كالتنازع والاشتغال، والإبقاء على تسمية المبتدأ بعد إن وأخواتها فيُقال مبتدأ إن منصوب(٨).

وفي الثمانينيات ظهرت محاولة الأستاذ الدكتور شوقي ضيف في كتابه «**تجديد النحو**» وقد اعتمد ستة أسس للتجديد منها إعادة تنسيق أبواب النحو وحذف ثمانية عشر بابًا من أبوابه، والأبواب المحذوفة هي (باب كان وأخواتها)، (باب ما ولا ولات العاملات عمل ليس)، (باب كاد وأخواتها)، (باب ظن وأخواتها)، (باب أعلم وأخواتها)، (باب التنازع، باب الاشتغال)، (باب الصفة المشبهة، باب اسم التفضيل، باب التعجب، باب أفعال المدح والذم، كنايات

العدد، الاختصاص، التحذير، الإغراء، الاستغاثة، الندبة).

ومن الأسس المعتمدة إلغاء الإعرابين التقديري والمحلي والإعراب لصحة النطق، فليس ثمة داعٍ لمبحث لاسيما، مادام ما بعدها يكون مرفوعًا أو منصوبًا أو مجرورًا، ولا لإعراب كم الاستفهامية وكم الخبرية.

ومن الأسس التي اعتمدها **الدكتور شوقي ضيف** في تجديد النحو حذف زوائد كثيرة من مثل حذف اسم التفضيل وشروط فعل التعجب وقواعد اسم الآلة وشروط صيغ التصغير وحذف قواعد النسب، وحذف شروط الحال وأحكامها وحذف عمل المصدر...إلخ.

أما الأبواب التي أضافها فهي باب التقديم والتأخير، وأضاف مبحثًا في حروف الزيادة وتوسَّع في بيان عمل المصدر والمشتقات عمل الفعل(٩).

ذلك هو جانب من محاولات تيسير تعليم النحو في عصرنا الحديث، والسؤال الذي يمثل: هل شقت هذه المحاولات طريقها إلى المناهج التربوية؟

وللإجابة عن هذا السؤال نقول: إن المحاولة التي شقت طريقها إلى المناهج التربوية هي محاولة مؤتمر مفتشي اللغة العربية، إذ إن المناهج في عصر الوحدة بين سورية ومصر طبَّقت ما جاء في هذه المحاولة من اعتماد المسند والمسند إليه والتكملة والأساليب. أما بقية المحاولات فقد بقيت توصياتها دون تنفيذ، كمحاولة تيسير تعليم اللغة العربية في الجزائر في السبعينيات ومحاولة **الدكتور شوقي ضيف** في الثمانينيات.

ويرجع السبب إلى أن الإنسان يألف ما ينشأ عليه، وثمة صعوبة في تقبُّل التغيير فضلاً عن الحرص على إبقاء الصرح الذي خلَّفه لنا الآباء والأجداد على النحو الذي ورد عليه دون مساس به.

وعلى الرغم من الجهود التي بذلها أصحاب هذه المحاولات بقي

التذمّر من صعوبة القواعد النحوية قائمًا، وبقي ضعف الطلبة في اكتساب المهارات مستمرًا.

وتساءل المربّون: لم لا يُطبِّق طلبتنا القواعد النحوية تطبيقًا سليمًا في الوقت الذي يطبقون فيه القوانين الفيزيائية والرياضيات بكل سهولة ودون مشقة؟

أليست الصعوبات التي نشكو منها قديمة؟ وكان من أشد الأصوات ارتفاعًا صوت المرحوم **الأستاذ الدكتور محمد كامل حسين** عضو مجمع اللغة العربية في القاهرة ورئيس جامعة عين شمس سابقًا إذ يقول:

«وكنت أحسب أن ذلك الضعف مرجعه إلى ما في قواعد اللغة من تعقيد وبُعد عن أسلوب التفكير الحديث، وكثرة ما فيها من تأويل وحذف وتقدير وتعليل لما لا يحتاج إلى تعليل... على أن ما نشهده اليوم من ضعف بالغ في العلم باللغة العربية لا يمكن أن نُرجعه إلى هذه الصعوبات، فهي قديمة أما الجهل باللغة إلى الحد الذي نشكو منه اليوم فهو ظاهرة حديثة وسببها من غير شك الطرائق الجديدة في تعليم قواعد اللغة العربية»[١٠]، إذ إنه يرى أنّ الطريقة الفضلى في تعليم قواعد اللغة العربية إنما هي الطريقة القديمة التي كانت سائدة في مطلع القرن العشرين وهي الطريقة القياسية. فما الطرائق الجديدة في تعليم قواعد اللغة العربية؟

٢- طرائق تدريس القواعد:

ثمة ثلاث طرائق لتدريس القواعد النحوية، الطريقة الأولى هي الطريقة القياسية، وكانت سائدة في مطلع القرن الماضي، والأساس الذي تقوم عليه ذكر القاعدة أولاً أو المبدأ العام ثم تُوضَّح القاعدة بالأمثلة ليجيء التطبيق على القاعدة أخيرًا، وأُلِّفت الكتب النحوية التعليمية وفق هذه الطريقة ككتاب

«**قواعد اللغة العربية لتلاميذ المدارس الثانوية**» لحفني ناصف وآخرين وكتاب «**النحو الوافي**» لعباس حسن[١١].

ويرى أنصار هذه الطريقة أنها سهلة، وسريعة في الأداء، وتؤدي إلى استقامة لسان المتعلم. أما معارضوها فيرون أن مفاجأة المتعلم بالقاعدة قد تكون سببًا في الصعوبة ومن ثَمَّ الصعوبة في التطبيق، وأنها لا تراعي المبدأ التربوي في الانتقال من السهل إلى الصعب، وأنها تُضعف في المتعلم القدرة على الاستنتاج والابتكار، لاعتمادها على التلقين في حفظ القواعد واستظهارها.

وبسبب هذه السلبيات عدل عن هذه الطريقة إلى الطريقة الاستقرائية التي وضع أسسها المربي الألماني يوحنا فردريك هربارت، والتي تعتمد على عدة خطوات هي: المقدمة والعرض والربط والقاعدة والتطبيق، كما تعتمد على أن يكتشف المتعلمون القاعدة بأنفسهم من خلال الأمثلة التي يضعها المُدرِّس أمامهم، وبطريق الاستقراء يتوصلون إلى القاعدة ليجيء التطبيق عليها، ولقد أُلِّف كتاب «**النحو الواضح**» لعلي الجارم ومصطفى أمين على هذا الأساس[١٢].

ورأى أنصار هذه الطريقة أن طريقتهم هي خير معين لتحقيق أهداف القواعد النحوية، إذ إنها تُوصل إلى الحكم والقاعدة بالتدريج بطريق الاستقراء؛ وهذا ما يجعل القاعدة راسخة في الذهن، وغير مُعرَّضة للنسيان بسبب الجهد المبذول في الوصول إليها، وهذه الطريقة تحرك الدوافع وتستثيرها لدى المتعلمين، إلا أن خصومها يرون أنها تعمل على تشتيت ذهن المتعلم، لأن الأمثلة مستمدة من وديان متعددة ولا يربط بينها أي رابط، ثم إنها بطيئة وتستغرق وقتًا طويلاً حتى يصل المتعلم إلى القاعدة، والقواعد لا تُكتسب إلا بالتطبيق، إلا أن حصة التطبيق قليلة.

واتجهت الأنظار إلى الطريقة المتكاملة التي يُمهد لدرس القواعد فيها من خلال نص متكامل شعري أو نثري يدور حول فكرة واحدة، ومن خلال الأساليب المتصلة لا الأساليب الملتقطة، ويُراد بالأساليب المتصلة قطعة من القراءة في موضوع واحد أو نص من النصوص يقرؤه المتعلمون ويفهمون معناه، ثم يُشار إلى الجمل وما فيها من خصائص ويعقُب ذلك استنباط القاعدة منها، ثم يجيء التطبيق على القاعدة.

ويرى أنصار هذه الطريقة أنها هي الفضلى في تحقيق الأهداف لأنها تعتمد أول ما تعتمد على المران المستمد من الاستعمال الصحيح للغة في مجالاتها الحيوية كافة، وفي مواقفها الطبيعية. أما خصومها فيرون أن النصوص التي يُقدَّم بها للقاعدة في الكتب المدرسية إنما تدور حول المسائل القومية والوطنية وذكر الفضائل، وتاريخ عظماء العرب، وهذا يصرف ذهن المتعلم عن القاعدة إلى تفهم المعنى، ثم إن الوقوف على معاني النص والانتقال بعد ذلك إلى الأمثلة ومن ثم إلى القاعدة يستغرق وقتًا طويلاً ويجعل نصيب التطبيق على القاعدة قليلاً فلا تتكون المهارات لدى المتعلم[١٣].

وعلى الرغم من التعديلات التي طرأت على طرائق تدريس القواعد لا تزال المشكلة قائمة، ولا يزال المتعلمون يرتكبون الخطأ في تعبيراتهم الكتابية والشفاهية وفي قراءاتهم، وهذا ما وجَّه الأنظار مجددًا إلى أن السبب يرجع إلى بناء المناهج النحوية وتأليف كتبها.

٣- بناء المناهج النحوية:

رأى المربّون أن بناء المناهج لا يكون بالاعتماد على مصدر واحد، إذ إن الاعتماد على المادة النحوية نفسها دون أن نأخذ المتعلم من حيث حاجاته وميوله وقدراته، ودون أن نأخذ المجتمع الذي يتفاعل معه المتعلم بالحسبان،

يعد عملاً مبتورًا، ومن هنا كان بناء المناهج الحديثة يجري بتحديد أساسيات المادة النحوية تحديدًا علميًا، ثم يُختار من هذه الأساسيات أكثرها فائدة للمتعلم من حيث مساعدته على الإسهام في سدّ حاجاته الشخصية والمجتمعية، ومواجهة مشكلات حياته الخاصة وإشباع حاجاته وتنمية ميوله، ثم تُهيأ الظروف والإمكانات المدرسية المناسبة لتحقيق الأهداف التي وُضعت هذه المناهج من أجلها.

ولقد جرى تحديد أساسيات المادة النحوية من وجهة نظر الخبراء والمتخصصين، وتم تحليل القوالب اللغوية للمتعلمين في تعبيراتهم الشفاهية والكتابية بغية الوقوف على الموضوعات النحوية التي يستخدمها المتعلمون، كما تم تحليل القوالب اللغوية في جميع ميادين المعرفة بغية الوقوف على الموضوعات النحوية الوظيفية التي يستخدمها الكتّاب في المجلات والصحف والكتب في مختلف المجالات، وتم أيضًا تعرُّف الأخطاء التي يرتكبها المتعلمون في تعبيراتهم وتعرُّف الصعوبات اللغوية التي يواجهها العاملون في قطاعات المجتمع.

وهذه النظرة الشاملة لا تجد في تعدّد المصادر التي ينبغي أخذها بالحسبان جملة عند وضع المنهج بعثرةً للجهود، وإنما تجد فيه نسقًا متصلاً يُكمل بعضه بعضه الآخر، وبنيانًا متراصًّا يساند بعضه بعضه الآخر.

وهذه الأسس في بناء المناهج النحوية يتمّم كل منها الآخر، والاعتماد على واحد منها دون الأخذ في الحسبان الأساسين الآخرين عمل غير مكتمل، فالاعتماد على الأساسيات وحدها دون النظر إلى متطلبات الحياة ومطالب المتعلم يعني أن ثمة عودة إلى المناهج التقليدية التي تقتصر فيها العناية على المادة على أنها وسيلة وغاية، وقد يكون بعض هذه الأساسيات غير لازم للمتعلم،

ولا يحتاج إليه في حياته ويصبح بذلك مفروضًا عليه تعلمه، كما أن الاعتماد على المطالب اللغوية للمتعلم دون النظر إلى أساسيات المادة أو مطالب المجتمع يُعد عملاً مبتورًا، إذ قد تكون هناك ثغرات وقد تكون محدودة وضيقة، ولا تكفي وحدها في تزويد المتعلم بما يساعده في الحياة الاجتماعية.

كما أن الاعتماد على متطلبات المجتمع دون الأخذ بالحسبان مستوى المتعلم وأساسيات المادة يُعد عملاً تعسفيًّا، لأنه لا يقوم على واقع المتعلمين أنفسهم وقد يفرض عليهم موضوعات ربما لا يؤهلهم مستوى نضجهم لتقبُّلها، وهذا يؤدي إلى بعثرة الجهود.

ومن هنا اتجهت التربية الحديثة إلى الأخذ بالنظرة الشمولية المتكاملة لهذه الأسس في وحدة عضوية متسقة[١٤].

إلا أن مشكلة ضعف المتعلمين في اكتساب المهارات النحوية لا تزال قائمة على الرغم من الجهود التي بُذلت في تيسير المادة النحوية وفي تيسير طرائق تدريسها، وفي تيسير بناء مناهجها، ويبقى السؤال قائمًا: ما السبل التي ينبغي لنا أن نسلكها أو يجدر بنا أن نسلكها تحقيقًا للأهداف المرسومة لتعليم القواعد النحوية في عصمة اللسان والقلم من الغلط؟

هذا ما سنحاول تعرفه في القسم الثاني من هذا البحث.

ثانيًا – حلول مقترحة:

من الحلول المقترحة للارتقاء بواقع تعليم النحو ومساعدة المتعلمين على اكتساب مهاراته:

١- الإبقاء على المصطلحات النحوية التي خلّفها لنا أجدادنا القدامى، وما من لغة في العالم إلا لها قواعدها ومصطلحاتها، وإن كل تيسير لتعليم

النحو لابد أن يأخذ بالحسبان الإبقاء على استخدام المصطلحات مادامت موحدة وموحدة في مناهجنا التربوية على نطاق الساحة العربية في منأى عن الاجتهادات التي تؤدي إلى البلبلة وعدم الاتفاق حولها.

٢– التدرج في عملية اكتساب المهارات النحوية، وأقترح أن يُركَّز في الحلقة الأولى من مرحلة التعليم الأساسي، وفي مرحلة الرياض قبلها على استخدام القوالب اللغوية من غير الدخول في المصطلحات النحوية كالتدريب على التطابق في استعمال كل من اسم الإشارة والاسم الموصول والضمير وحالات الإفراد والتثنية والجمع وفي التذكير والتأنيث، والتدريب على إسناد الفعل إلى الضمائر، والتدريب على مواقف الاستفهام...إلخ، ومع النمو الفكري للناشئة في الحلقة الثانية من مرحلة التعليم الأساسي تُقدم المصطلحات النحوية والتطبيق عليها؛ وفي المرحلة الثانوية يكون ثمة تعزيز للمهارات المكتسبة في الحلقة الثانية من مرحلة التعليم الأساسي.

٣– الإكثار من حفظ النصوص في المراحل الأولى شعرية كانت أو نثرية، حتى تكون هذه النصوص رصيدًا لغويًا للمتعلمين في المرحلة التالية، وعلى قدر حفظ النصوص يستقيم اللسان ويؤثّر في صحة القلم بعد ذلك في التعبيرات الكتابية وفي ممارسة المناشط اللغوية، على أن تضبط الكتب كافة في المراحل الأولى بالشكل، وضبط ما يخشى منه اللبس في المراحل التالية.

٤– الابتعاد عن مواضع الشذوذ والاستثناء، والتركيز على الموضوعات النحوية الوظيفية التي تخدم المتعلم في حياته وتسدُّ حاجاته، وتسهّل له عملية التفاعل الاجتماعي بحيث يقرأ قراءةً سليمة، ويكتب بأسلوب سليم، ويستمع فيفهم ويتحدث على وجهٍ صحيح، فينقل رسالته بوضوح إلى الآخرين.

ومن الموضوعات النحوية الوظيفية التي تُستعمل في الحياة وتواترها عالية في الاستخدام: الإفراد والتثنية والجمع، الاسم الموصول، أسماء الإشارة، الضمائر، الفعل والفاعل، نائب الفاعل، المبتدأ والخبر، اسم إن وخبرها، اسم كان وخبرها، اتصال إن وأخواتها بـ«ما»، كسر همزة إن وفتحها، المفعول به، المفعول المطلق، المفعول لأجله، المفعول فيه، الحال، التمييز، العدد، المضاف إليه، المجرور بالحرف، حذف نون المثنى وجمع المذكر السالم عند الإضافة، حذف ياء المنقوص، أدوات الاستفهام، أدوات الشرط الجازمة، أدوات الشرط غير الجازمة، أسلوب النفي، أسلوب الاختصاص، أسلوب النداء، أسلوب التعجب، المجرد والمزيد، المصدر المؤول، الأسماء الخمسة، التوابع، الممنوع من الصرف. والاقتصار في الموضوعات النحوية الفرعية على ما يُستخدم في الحياة واستبعاد ما لا يُستعمل، على أن يُترك للمتخصصين فيما بعد، فنقتصر على البدل المطابق ومن حروف الجزم على «**لم، لام الأمر، لا الناهية**»، وذكر «**لا**» النافية للجنس بين أخوات إن و«أما» بين أدوات الشرط غير الجازمة، وتوكيد الضمير بين فروع التوكيد لاستعمالها في الحياة...إلخ.

٥- التركيز في التدريبات العلاجية وفي التمرينات التي تشتمل عليها الكتب على مكامن الخطأ في أساليب المتعلمين، وخاصة تلك التي تتسرب إلى أساليبهم الفصيحة من العامية مثل إسناد الفعل المعتل إلى الضمائر، الأمر المعتل الوسط، إفراد الفعل أمام الفاعل المثنى والجمع، تأنيث الفعل وتذكيره، الأفعال الخمسة في الرفع والنصب والجزم، إسناد الفعل إلى نون النسوة والتركيز على الاسم الصريح إفرادًا وتثنية وجمعًا وفي حالات الرفع والنصب والجر وذلك في المباحث التي تشتمل على الاسم الصريح مثل الفاعل، نائب الفاعل، المبتدأ

والخبر، اسم إن وخبرها، اسم كان وخبرها، المجرور بالحرف، المضاف إليه، المفعول به، الحال، النعت، البدل، التوكيد، المعطوف، الأسماء الخمسة...إلخ[١٥].

ومن الواضح أن الاسم الصريح يكون مفردًا أو مثنى أو جمع مذكر سالمًا، أو جمع مؤنث سالمًا أو جمع تكسير أو اسمًا موصولاً أو اسم إشارة أو اسمًا من الأسماء الخمسة[١٥].

والمتعلمون تكثُر الأخطاء لديهم في الاسم الصريح كما في المفعول به والنعت وخبر المبتدأ أو خبر كان وخبر إن والحال والفاعل وذلك في حالة الإفراد وجمع التكسير بتأثير العامية في الفصيحة، فالعامية تميل إلى التسكين في الكلمات وعدم تنوينها، وقد انتقل ذلك إلى الفصيحة في استخدامات المتعلمين، وهذا التفسير ينطبق على التمييز والمفعول لأجله والمفعول المطلق أيضًا.

والخطأ في بحث الضمير يقع في التطابق مع المثنى أو جمع الإناث أو جمع الذكور ونسبة الخطأ في حال التثنية وجمع الإناث مرتفعة، ويُفسَّر السبب في ارتفاع نسبة التواتر في هاتين الحالتين بتسرب أحكام العامية إلى الفصيحة، ففي العامية انتفت حالة التثنية وجمع الإناث وحلّت محلها حالة جمع الذكور، وفي بحث الأسماء الخمسة تفوق نسبة الخطأ في حال النصب غيرها من الحالات، ويُفسر السبب بتأثير العامية أيضًا، فالمتعلمون عندما يستخدمون الأسماء الخمسة فإنهم يستخدمونها في حالة الرفع في الأعم الأغلب على غرار ما هو متَّبع في العامية.

والخطأ في الفعل المضارع في الحالة التي يكون فيها مرفوعًا بثبوت النون يكون مرتفعًا، وفي الحالة التي يكون فيها مبنيًا لاتصاله بنون النسوة، ومردُّ ذلك إلى تأثير العامية في الفصيحة، ففي حال إسناد الفعل المضارع إلى واو الجماعة أو

ألف الاثنين أو ياء المؤنثة المخاطبة لا يضع المتعلمون النون بعد الواو أو الألف أو الياء حسبما هو مستخدم في العامية، وفي حال إسناد الفعل المضارع إلى نون النسوة يضعون مكانها واو الجماعة دون النون على غرار ما هو مستخدم في العامية، وكذلك الأمر في حالة الفعل الماضي لدى إسناده إلى نون النسوة.

أما في الحالة التي يكون فيها الماضي معتل الآخر ويُسند إلى الضمير فنادرًا ما تُرد الألف إلى أصلها، وإنما يُوضع الفعل على حاله المستخدمة في العامية أيضًا، فالفعل دعا لدى إسناده إلى ضمير المتكلم يقول دعيت بدلاً من دعوت.

والخطأ في فعل الأمر في الحالات التي يكون فيها معتل الآخر أو مبنيًا على حذف النون أو معتل الوسط، وتبرز في اعتلال الوسط أساليب العامية أيضًا، ففي العامية نقول قوم وقول بدلاً من قم وقل.

ومن تأثيرات العامية أيضًا استخدام الفعل في حالة الإفراد أمام الفاعل المثنى أو الجمع، إذ إن المتعلمين يستخدمون الفعل في حالة الجمع مع الفاعل الجمع أو المثنى ولا يستخدمون الفعل في حالة الإفراد أمام الفاعل المثنى أو الجمع، فيقولون قاموا الولدين وقاموا البنات وراحوا الأولاد.

٦- التركيز على اكتساب المهارات النحوية، والمهارات لا تكتسب إلا بالممارسة والتكرار وبصورة طبيعية، في مواقف حياتية متنوعة وذلك بدلاً من التكرار الآلي الببغائي، إذ لا يكفي أن يحفظ المتعلم القاعدة النحوية وأن يُعيدها تكرارًا آليًا، بل لابد أن يمارسها في مواقف الحياة بصورة طبيعية، وكان «ابن خلدون» في تراثنا العربي قد أشار إلى أهمية التكرار في تكوين الملكات وفق تعبيره، إذ يرى «أن اللغات كلها ملكات شبيهة بالصفات، إذ هي ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني، وجودتها وقصورها بحسب إتمام الملكة أو نقصانها،

وليس ذلك بالنظر إلى المفردات وإنما هو بالنظر إلى التراكيب، فإذا حصلت الملكة الخاصة في تركيب الألفاظ المفردة للتعبير بها عن المعاني المقصودة ومراعاة التآليف التي يطبق الكلام على مقتضى الحال بلغ المتكلم حينئذٍ الغاية من إفادة مقصوده للسامع، وهذا هو معنى البلاغة، والملكات لا تحصل إلا بتكرار الأفعال لأن الفعل يقع أولاً وتعود منه للذات صفة، ثم تتكرر فتكون حالاً، ومعنى الحال أنها صفة غير راسخة، ثم يزيد التكرار فتكون ملكة أي صفةً راسخة»[١٦].

وهذا المنحى الذي يُشير إليه ابن خلدون في اكتساب المهارة النحوية كان قد طبقه عمليًا «بليايف» في جامعة موسكو إذ إنه فرّق بين المعرفة والمهارة والعادة، ورأى أن الوصول إلى العادة يستلزم تكوين المهارة التي تُمارس باستمرار فتتحول إلى عادة وهذا هو منهج ابن خلدون في تكوين الملكة اللغوية.

بيد أن اكتساب المهارة يستلزم إضافة إلى التكرار المستمر، توافر القدوة الحسنة من المعلمين والتعزيز والتوجيه لأداء المتعلمين في الوقت نفسه، وتوافر البيئة اللغوية النقية والسليمة.

٧- استخدام التقنيات التربوية في توضيح المفاهيم وفي التدريبات من البطاقات المكبَّرة والملصقات الشجرية للاستعمال الصفي، والبطاقات المصغرة للتعلم الفردي، واستخدام المختبرات اللغوية والحواسيب لإجراء التدريبات العلاجية والتمرينات البنيوية.

٨- ضرورة استخدام جميع معلمي المواد اللغةَ العربيةَ الميسّرة في عمليات التواصل اللغوي، واستبعاد العامية من المناشط اللغوية كافة، وحث المتعلمين على ضرورة استخدام العربية الفصيحة في مناشطهم أسئلةً وإجاباتٍ وتعقيباتٍ ومساءلتهم عن عدم الاستخدام.

٩- الحُؤول دون استخدام العامية في جميع البرامج الإذاعية والتلفزية الموجَّهة للأطفال وفي غيرها من البرامج أيضًا، تعزيزًا للمهارات المكتسبة في المدرسة، وتنقية البيئة اللغوية المحيطة بالمتعلمين من لافتات وإعلانات في الباحات والشوارع وعلى واجهات المحال التجارية من التلوث اللغوي، ذلك لأن الحرص على الصحة اللغوية والسلامة فيها يساعد على اكتساب المهارات اللغوية السليمة.

١٠- إخضاع المتسابقين في مسابقات انتقاء المدرِّسين والمرَّشحين للترقية من المعلِّمين القائمين على رأس عملهم، والمتقدمين إلى الوظائف بوجه عام، والإعلام بوجه خاص، والطلاب الملتحقين بالجامعات لاختبارات لغوية تقيس مدى تمكّنهم من أساسيات لغتهم، وهذا الإجراء يدفع إلى الاهتمام باللغة وامتلاك أساسياتها في عملية التواصل اللغوي، إذ لا يكفي فقط الإلمام باللغة الأجنبية والمعلوماتية، وإنما يجيء في رأس الأولويات امتلاك أساسيات اللغة القومية.

مراجع البحث

١- ابن مضاء القرطبي - الرد على النحاة - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٤٧م.

٢- المرجع السابق.

٣- خلف بن حيان الأحمر البصري - مقدمة في النحو - طبعة إحياء التراث القديم - وزارة الثقافة السورية - دمشق ١٩٦١م ص ٣٣.

٤- أبو جعفر النحاس النحوي - التفاحة في النحو - تحقيق كوركيس عواد - المجمع العلمي العراقي - بغداد ١٩٦٦م.

٥- إبراهيم مصطفى – إحياء النحو – لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة ١٩٥١م.
٦- وزارة المعارف المصرية – تقرير لجنة تيسير قواعد اللغة العربية – ١٩٣٨م مكتبة وزارة التربية والتعليم، علوم عربية – نحو (٢١٦).
٧- الاتجاهات الحديثة في النحو العربي، مجموعة المحاضرات التي أُلقيت في مؤتمر مفتشي اللغة العربية بالمرحلة الإعدادية ١٩٥٧م – مطبعة دار المعارف – مصر – القاهرة – ١٩٥٨م.
٨- اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية – سجل ندوة الجزائر ١٩٧٦م – تيسير تعليم اللغة العربية القاهرة ١٩٧٧م.
٩- الدكتور شوقي ضيف – تجديد النحو – دار المعارف – القاهرة ١٩٨٢م.
١٠- الدكتور محمد كامل حسين – المذكرة عن الطريقة الحديثة في تعليم النحو – وزارة التربية والتعليم بالقاهرة ١٩٦٦م.
١١- حفني ناصيف وآخرون – قواعد اللغة العربية لتلاميذ المدارس الثانوية – المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٩٢٥م.
١٢- علي الجارم ومصطفى أمين – النحو الواضح – دار المعارف في مصر – عدة طبعات.
١٣- الدكتور محمود أحمد السيد – في طرائق تدريس اللغة العربية – جامعة دمشق ١٩٩٤م – نقلاً عن «دراسة مقارنة بين طرائق تدريس قواعد اللغة العربية» رسالة ماجستير للمؤلف نفسه جامعة عين شمس ١٩٦٩م.
١٤- الدكتور محمود أحمد السيد – أسس اختيار موضوعات القواعد النحوية في منهج تعليم اللغة العربية بالمرحلة الإعدادية – رسالة دكتوراه جامعة عين شمس – القاهرة ١٩٧٢م.
١٥- الدكتور محمود أحمد السيد – تطوير مناهج تعليم القواعد النحوية وأساليب التعبير في مراحل التعليم العام في الوطن العربي – المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم – تونس ١٩٨٧م.
١٦- ابن خلدون – مقدمة ابن خلدون – دار إحياء التراث العربي – بيروت لبنان – الطبعة الرابعة.

دراسة وتحقيق حول فاء السببيّة
ووجوه استعمالها

د. سيّد علي فلاورجاني

- ١ -

مقدمـــة:

إنّ للأدوات سواء العاملة منها وغير العاملة، دورًا بارزًا في تبيين المعنى وفي إعراب الجمل، وربط كلٍّ بالأخرى لانعقاد كلام كامل مفيد لمعنى يصحّ السكوت عليه؛ فالحروف وإن حدّدت بأنّها تدلّ على معنى في غيرها (الرضي، شرح الكافية، ج١ ص٢٨) ويجب أن ينضّم إلى أحد قَسِيْمَيها أو كليهما فهي لا تقلّ أهمّيّة منهما؛ فإنّ الجمل في إفادتها المعانيَ المختلفة وفي ربط بعضها ببعض بحاجة ماسّة إلى الحروف، ولولاها لاختلّ معناها؛ لذلك يجب التدقيق في معانيها ومواضع استعمالها، وفيما تزيد إلى الكلام من معنى وتكسوه من أسلوب. ومن أهمّ حروف المعاني حروف العطف، التي بها يستغني الكاتب أو المتكلّم عن تكرار العامل، إذا كان العطف من نوع عطف المفرد على المفرد، وبها ترتبط الجمل إذا كان العطف من نوع عطف الجملة على الجملة. ومن أهمّ حروف العطف تداولاً في الكتابة والخطابة هي الواو والفاء وثمّ وحتّى التي تشرّك بين التابع والمتبوع لفظًا ومعنى (الأشموني، ج٢، ص٤١٥).

ولّما كانت الفاء من بينها تستخدم في الكلام لأغراض هامّة تحتاج إلى إمعان النظر فيها وكشف النقاب عنها، اعتزمتُ على عرض هذا البحث

عسى أن ينجلي به بعض الجوانب الغامضة من هذه الكلمة الأحاديّة(*) التي تعطي الكلام وجوهًا من المعنى؛ فنبدأ بالكلام على أقسام الفاء، ثمّ نتفحّص عن «فاء السببيّة» بين هذه الأقسام، والدور الذي توفيه في إفادة بعض الأساليب النحْويّة كما يلي:

وجــوه الفــاء:

ذكر النحويّون للفاء ثلاثة وجوه (الإربلّي، ص٦٥):

الأوّل: أن تكون عاطفة؛ وهي على قسمين: أ. العاطفة مفردًا على مفرد؛ وتفيد:

١- اشتراك المعطوف عليه والمعطوف في الإعراب والحكم؛ نحو: جاء زيد فعمرو؛ فإنّ الفاء تدلّ على أنّ «زيد» و«عمرو» مشتركان في حكم المجيء وفي إعراب الرفع على الفاعليّة.

٢- الترتيب؛ أي وقوع الحكم المنسوب إلى المعطوف بعد الحكم المنسوب إلى المعطوف عليه؛ وهو على قسمين:

أ. إذا دخلت الفاء على الأسماء الجامدة فالترتيب في ملابسة المعطوف لمدلول عامل المعطوف عليه ففي المثال المذكور آنفًا تدلّ الفاء على أنّ مجيء عمرو، وهو الحكم المشترك بين المتعاطفين، وقع بعد مجيء زيد.

ب. إذا دخلت على الصفات المتتالية والموصوف واحد فالترتيب في تحقّق مصادر تلك الصفات؛ نحو: جاء زيد الآكل فالنائم. فالفاء تدلّ على أنّ النوم تحقّق لزيد بعد الأكل. وإذا دخلت على الصفات المتتالية والموصوف

(*) [الفاء – ومثلها بقية حروف المعجم – تؤنّث على نية (كلمة)، وتذكّر على نية (حرف). ومعنى كلمة أحادية: أي مكوّنة من حرف واحد؛ لأن الكلمة: اسم وفعل وحرف/ المجلة].

مختلف فالترتيب في تعلّق مدلول العامل لموصوفاتها كما في الجوامد (رضي الدين شرح الكافية، ج٤ ص٢٠٧)؛ وفيها إمّا بيان لما بين الصفات من التفاوت؛ نحو: «خذ الأكمل فالأفضل» وإمّا بيان لما بين الموصوفات من التفاوت؛ نحو: «رحم الله المحلّقين فالمقصّرين [ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب الباب ١، حرف الفاء ص ٢١٦]».

٣- التعقيب، وهو في كلّ شيء بحسبه؛ فتارة يعني ذلك ملابسة المعطوف لحكم المعطوف عليه بدون مهلة وتراخ؛ نحو المثال المتقدّم (جاء زيد فعمرو) إذا وقع مجيء عمرو بعد مجيء زيد بلا تراخ ومهلة. وتارة يعني ملابسته بدون تراخ عمّا يتطلّبه وقوع حكم المعطوف عليه من المهلة؛ نحو: «دخلت البصرة فبغداد» إذا لم تُقِم في البصرة ولا بين البلدين (ابن هشام، المرجع نفسه، ص ٢١٦).

ب. العاطفة جملة على جملة وتفيد:

١- التشريك بين الجملة المعطوف عليها والجملة المعطوفة في الموقع الإعرابي دون الحكم والإسناد؛ لأنّ الجملة لا تقع محكومًا عليها ولا مسندًا إليها في رأي أكثر النحويّين (ابن هشام الأنصاري، المرجع نفسه، الباب الثاني، ص٥٥٩).

٢- الترتيب، وهو إمّا ترتيب معنوي كما في عطف المفرد على المفرد؛ نحو: «توضّأت فصلّيت»، وإمّا ترتيب ذكري؛ وهذا في عطف مفصّل على مجمل؛ نحو: قوله تعالى: ﴿فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَى أَكْبَرَ مِن ذَلِكَ فَقَالُواْ أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء؛ ٤، ١٥٣].

٣- التعقيب؛ وهو في كلّ شيء بحسبه؛ فتارة يعني ذلك وقوع مضمون

الجملة المعطوفة بعد مضمون الجملة المعطوف عليها بدون مهلة وتراخ كما في عطف المفرد على المفرد؛ نحو قوله تعالى: ﴿فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاء بِعِجْلٍ سَمِينٍ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ...﴾ [الذاريات؛ ٥١، ٢٦- ٢٧]. فإنّ الفاء في قرّبه تفيد وقوع مضمون جملة «قرّبه» عقب وقوع مضمون جملة «جاء بعجل». وتارة يعني وقوع مضمون جملة المعطوف بدون تراخ عمّا يتطلّبه وقوع مضمون الجملة المعطوفة من المهلة؛ نحو: «تزوّج فلان فوُلد له» إذا لم يكن بينهما إلاّ مدّة الحمل. (ابن هشام الأنصاري، المرجع نفسه، الباب الأوّل، ص ٢١٤).

الثاني: (من أوجه الفاء) أن تكون رابطة للجواب؛ وهي التي تدخل على جواب يمتنع جعله شرطًا، وهو الجملة الاسمية والفعليّة التي فعلها جامد أو إنشاء أو ماض لفظًا ومعنى، أو ماض مقرون بقد، أو مضارع مقرون بحرف استقبال أو بحرف له الصدر (الأزهري، خالد، ج٢ ص٢٤٩)؛ نحو قوله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدُيرٌ﴾ [الأنعام؛ ٦: ١٧]. وتدخل أيضًا على خبر المبتدأ الذي يكون موصولاً وخبره مسبّب عمّا في صلته من السبب، وعلى خبر ما يشابه الموصول بصوره المذكورة في المراجع النحويّة (الصبّان، ج٢، ص ٣٤٨) و(ابن مالك، شرح التسهيل، ج١ ص٣١٢)؛ نحو قوله تعالى: ﴿وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا...﴾ [النساء؛ ٤: ١٦].

الثالث: (من أوجه الفاء) أن تكون زائدة؛ وهو مختلف فيه، فسيبويه لا يثبته، والأخفش يجيزه مطلقًا، وقيّد الفرّاء الجواز بكون الخبر أمرًا أو نهيًا؛ نحو: ﴿هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ [ص؛ ٥٧:٣٨]؛ فعلى رأيه يكون «فليذوقوه» خبر، والفاء زائدة على الخبر. والمانعون يعتبرون «حميم» خبرًا وجملة «فليذوقوه» معترضة بينهما (ابن هشام الأنصاري المرجع نفسه، ص٢٢٠).

وبعد هذا الموجز حول وجوه الفاء مستخرجة من طيّات كتب النحو حان الوقت لأن نبحث عن فاء السببيّة بين هذه الوجوه وننظر، أهي وجه غير تلك الوجوه أم داخلة في أحدها؛ وإليك الآن تفصيل البحث:

لفاء السببيّة وجهان من الاستعمال: وجه عامّ ووجه خاصّ؛ ففي وجهها العامّ هي التي يستدلّ على أنّ ما بعدها مسبّب عمّا قبلها؛ وبهذا المعنى تشمل العاطفة جملة على جملة تكون الجملة المعطوفة مسبّبة عن الجملة المعطوف عليها، وتشمل أيضًا فاء الرابطة، وبوجه عامّ كلّ فاء ضمّنت معنى السببيّة. وفي وجهها الخاصّ هي التي تدخل على الفعل المضارع الواقع في جواب نفي أو طلب من الأمر والنهي والتمنّي والعرض والتحضيض (الأشموني، ج٢، ص٥٤٦)، و(الفاكهي، ج١ ص١٦٢- ١٦٧). فنبدأ أوّلاً بالبحث حول فاء السببيّة في استعمالها العامّ، ثمّ يأتي البحث عنها في استعمالها الخاصّ إن شاء الله تعالى:

أ. حكم فاء السببيّة في استعمالها العامّ: أشرنا آنفًا أنّ معنى السببيّة يوجد ضمن استعمالها في العطف وفي جواب الشرط؛ أمّا دلالتها على السببيّة في جواب الشرط فقد استقصى النحاة البحث عنه، وشرحوه وبيّنوه (السيوطي، البهجة المرضيّة، ص١٩٢) و(الأشموني، ج٣ ص٥٨٧)، و(ابن مالك، شرح التسهيل، ج١، ص٣١٢). وأمّا دلالتها على السببيّة ضمن استعمالها في العطف فهي أمر يبدو أنّه بحاجة إلى البحث والتفصيل.

والكاتب يحاول بعون الله تعالى أن يكشف النقاب عن بعض أساليب نحويّة تفيدها فاء السببيّة العاطفة جملة على جملة؛ وأمّا الفاء العاطفة مفردًا على مفرد فهي تفيد الترتيب والتعقيب، ولم يذكر النحاة أنّها تفيد السببيّة؛ بل على العكس قيّدوا العاطفة المفيدة للسببيّة بعطف الجملة على الجملة ممّا يدلّ على

أنّها لا تفيد السببيّة إلاّ إذا عطفت جملة على جملة (ابن مالك، شرح التسهيل، ج٣، ص٢١٠) و(الرضي، شرح الكافية، ج٤، ص٦٧). وهو كذلك؛ وممّا يقرّب قولهم إلى الصحّة أنّ العامل في المعطوف عليه هو العامل في المعطوف، وقد أغنى حرف العطف عن تكراره، ولا يجوز أن يكون العامل الواحد تارة سببًا؛ وهذا عند دخوله على المعطوف عليه، وتارة مسبّبًا، وذلك عند دخوله على المعطوف؛ ولذلك لا يفهم السامع في عُرف التخاطب من قولك «جاء زيد فعمرو» إلاّ مجيء الثاني بعد الأوّل بلا تراخ وتأخير، ولا يُفهم منه سببيّة مجيء زيد لعمرو؛ أما إذا كرّر المتكلّم العامل وساق الكلام مساق عطف الجملة على الجملة، وقال: «جاء زيد فجاء عمرو» فإنّ السامع يفهم منه سببيّة مجيء الأوّل للثاني؛ وكذلك تحتمل الفاء معنى السببيّة إذا عطفت وصفًا على وصف يكون مسبّبًا عن الوصف الأوّل؛ نحو قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل؛ ٣٥: ٢٧]؛ فقد عطف «ناظرة» على «مرسلة» – وهما وصفان مشتقّان – بالفاء التي تفيد سببيّة وصف الإرسال المعطوف عليه لوصف النظر المعطوف.

فتبيّن بذلك أنّ الفاء العاطفة جملة على جملة أو وصفًا على وصف أحيانًا تفيد معنى السببيّة، وهذا كلّ ما ذكره النحاة حول فاء العاطفة جملة على جملة، مشيرين إلى معنى السببيّة فيها، دون أن يفصّلوا القول فيما يؤول إليه الجملتان اللتان يتوسّطهما الفاء العاطفة السببيّة؛ وهذا هو الأمر الذي نريد تفصيله وكشف اللثام عنه في السطور التالية:

الأساليب النحويّة التي تفيدها فاء العاطفة السببيّة حسب توسّطها بين أنواع الجمل:

١- إذا وقعت الفاء العاطفة السببية بين الجملتين الخبريّتين المبدوّتين بالمضارع وكان ما قبلها سببًا لما بعدها فهي ترادف وتفيد معنى «إنْ» الشرطيّة؛ والجملة المقدّمة عليها بمنزلة الشرط والجملة الواقعة بعدها بمنزلة الجزاء؛ نحو: «يقوم زيد فيغضب عمرو» فإنّ هذا الكلام مساو لقولك: «إن يقم زيد يغضب عمرو»؛ ومنه قوله تعالى: ﴿سَنُقْرِؤُكَ فَلاَ تَنسَى﴾ [الأعلى؛ ٨٧: ٦] فإنّ هذا الكلام مساو من جهة أصل المعنى لقولك: «إن نقرئك فلا تنسى» أو «إذا أقرأناك فلا تنسى»؛ فإنّ إقراء الله سبحانه سبب لعدم عروض النسيان على النبيّ ﷺ؛ وعلى هذا تصير الجملة المعطوف عليها بالفاء والمعطوفة بها بمنزلة كلام واحد يُغني وجود الرابط في إحداها عن وجود الرابط في الأخرى، إذا وقعتا موقع ما يحتاج إلى الرابط من صلة أو صفة أو خبر أو حال؛ نحو: «الذي إن يَطر يغضب زيد الذباب» فإنّ الجملة المعطوف عليها مشتملة على ضمير الوصول ومغنية عن لزوم الضمير في الجملة المعطوفة؛ لأنّ فاء السببيّة جعلت الجملتين بمنزلة كلام واحد، وبمثابة: «الذي إن يطر يغضب زيد الذباب»، ولو كان بدل الفاء الواو لكانت كلّ من الجملتين بحاجة إلى الضمير لترتبط بالموصول؛ وكذلك الأمر بالنسبة إلى ما ذكر ممّا يحتاج إلى العائد. (ابن مالك، التسهيل، ج٣، ص٢١٢) و(الرضي، شرح الكافية، ج٤، ص٤١٦).

٢- إذا وقعت الفاء العاطفة السببيّة بين الجملتين الخبريّتين الماضويّتين وكان ما قبلها أيضًا سببًا لما بعدها كما في الأسلوب الأوّل، فهي ترادف وتفيد معنى «لّما» الشرطيّة الظرفيّة؛ نحو: «اجتهد سعيد في دروسه فنجح في الامتحان»؛ فإنّ هذا الكلام مساو لقولك: «لّما اجتهد سعيد في دروسه نجح في الامتحان»، ومنه قوله تعالى: ﴿..وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ

الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ...﴾ [البقرة؛ ٢: ٢٢] فإنّ هذا الكلام من جهة أصل المعنى دون النظر إلى الوجوه البلاغيّة مساو لقولك «لمّا أنزل من السماء ماء أخرج به من الثمرات رزقًا لكم».

وهذا الأسلوب يوجد بكثرة في الكلام المعجز وفي الكلام الفصيح؛ منه أيضًا قوله تعالى في: (البقرة؛ ٢: ٣٧، وهود؛ ١١: ٦٧، والكهف؛ ١٥: ٥، والقصص؛ ٢٨: ١٥، وص؛ ٣٨: ٢٥ وغيرها).

٣- إذا وقعت الفاء العاطفة السببيّة بين الجملتين المختلفتين بالخبريّة والإنشائيّة، وكان ما قبلها جملة خبريّة وما بعدها جملة إنشائيّة، وكان ما قبلها سببًا لتحقّق مضمون ما بعدها؛ فهذه الفاء موضع خلاف بين النحويّين من جهة الاستعمال، وإن كانت غير مختلف فيها من جهة المعنى؛ فالذين يقولون بجواز عطف الإنشاء على الخبر لا يشترطون اتّحاد المتعاطفين من جهة الخبريّة والإنشائيّة، فقياس قولهم جواز اعتبار الفاء عاطفة؛ فلابأس بأن يُقال في مثل: [إنّ زيدًا فاضل فأكرمه] «إنّ فاء السببيّة في مثل هذا الأسلوب أيضًا عاطفة كالأسلوبين السابقين، فقد عطفت جملة «أكرمه» الإنشائيّة على الجملة الخبريّة «إنّ زيدًا فاضل» عَطْفَ الخبريّة على الإنشائية. وأمّا الذين لا يُجيزون عطف الإنشاء على الخبر فاعتبار الفاء عاطفة موضع إشكال عندهم؛ يقول ابن هشام في نهاية البحث عن الفاء الزائدة (مغني اللبيب، الباب ١، حرف الفاء، ص ٢٢١): «الفاء في نحو: [خرجت فإذا الأسد، زائدة لازمة عند الفارسي وعاطفة عند مبرمان وأبي الفتح، وللسببيّة المحضة كفاء الجواب عند أبي إسحاق، ويجب عندي أن يحمل على ذلك [أي السببيّة المحضة] مثل ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر؛ ١٠٨: ١و ٢]، ونحو: [إيتني

فإنّي أكرمك]؛ إذ لا يعطف الإنشاء على الخبر ولا العكس، ولا يحسن إسقاطها ليسهل دعوى زيادتها».فتلاحظون أنّ ابن هشام انتبه إلى المشكلة؛ حيث قال: إنّ اعتبار الفاء عاطفة في الآية يُوقعنا في مشكلة عطف الخبر على الإنشاء، واعتبارها زائدة يستلزم دعوى حُسن إسقاطها، وهو غير حسن في مثل هذه المواضع، فيجب في زعمه أن تحمل الفاء على السببيّة المحضة. ولكن هل فيما اقترحه من حمل الفاء على السببيّة المحضة حلّ لهذه المشكلة؟. الحقيقة أنّ اقتراحه لا يحلّ المشكلة؛ لأنّا لا نشكّ في أنّ الفاء في مثل هذا الأسلوب للسببيّة، إنّما المشكلة في وجه استعمالها؛ ولا تخلو الفاء على ما ذكره هو نفسه من أحد الأوجه الثلاثة، وهي كونها للعطف ولربط الجواب بالشرط أو بشبه الشرط. (ابن هشام المرجع نفسه، ص ٢١٣- ٢١٩)؛ فقد ردّ أن تكون الفاء في مثل الآية المذكورة عاطفة كما ردّ أن تكون زائدة، فبقي أن تكون رابطة؛ فهل يجوز أن تكون رابطة في مثل هذا الأسلوب؟؛ نقول في الجواب نعم، وبكل تأكيد، ولا مانع من حمل الفاء على أنّها رابطة؛ على أن تُنَزَّل جملة السبب قبلها منزلة الشرط أو دالّة على الشرط المحذوف، والجملة الإنشائيّة بعدها جواب لذلك المنزّل منزلة الشرط أو الشرط المحذوف؛ فقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ...﴾ [الكوثر؛ ١٠٨: ١و ٢]، من حيث الأسلوب في تأويل «إن كنّا قد أعطيناك الكوثر فصلّ لربّك؛ ويقوّي هذا التأويل وأنّ الفاء في مثل هذه المواضع رابطة ما قد أشار إليه الزمخشري (الكشّاف، ج٣، ص٢١٠) ذيل الآية ﴿إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ [العنكبوت؛ ٢٩: ٥٦]؛ يقول: «فإن قلت: ما معنى الفاء في﴿ فاعبدون﴾ وتقديم المفعول؟ قلت: الفاء جواب شرط محذوف؛ لأنّ المعنى: إنّ أرضي واسعة، فإن لم تُخلِصوا

العبادة لي في أرض فأخلصوها في غيرها، ثمّ عوّض من حذفه تقديم المفعول مع إفادة تقديمه معنى الاختصاص والإخلاص»؛ ولو كان ابن هشام قد لاحظ كلام الزمخشري هذا لصرّح بأنّ الفاء في الآية ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ...﴾ هي فاء الرابطة و لم يسمّها فاء السببيّة المحضة.

٤- إذا وقعت الفاء العاطفة السببيّة بين الجملتين المختلفتين بالخبريّة والإنشائيّة، وكان ما قبلها جملة إنشائيّة وما بعدها جملة خبريّة - عكس الأسلوب السابق ، وكان ما بعدها سببًا لتحقّق مضمون ما قبلها؛ وبعبارة أخرى تبادلت الجملتان في الأسلوب السابق مكانهما في هذا الأسلوب مثل قولك: «أكرم زيدًا فإنّه فاضل» فما معنى هذا الفاء وما هو حكمها؟.

أمّا معناها فهو بقرينة تبادل مكان السبب والمسبّب عكس معناها في الأسلوب السابق، أي إنّها تفيد سببيّة مدخولها لما قبلها ولذلك يقول الرضي (شرح الكافية، ج٤، ص٤١٢): «وكثيرًا ما تكون فاء السببيّة بمعنى لام السببيّة، وذلك إذا كان ما بعدها سببًا لما قبلها...».

أمّا حكمها فهو أمر يحتاج إلى شيء من البحث والتفصيل كما يلي:

إذا قلنا بجواز عطف الخبر على الإنشاء عكس الحالة السابقة فالفاء هذه تُعتبر عاطفة، عطفت جملة خبريّة على جملة إنشائيّة، وهي كما ذكرنا تفيد سببيّة ما بعدها لما قبلها؛ ولهذا تسمّى فاء التعليلية؛ فالسببيَّة والمسببيّة معنى يُستفاد من سياق الكلام ومن مضمون الجملتين المتعاطفتين، والفاء تُفيد ربط كلّ من الجملتين بالأخرى. وإذا لم نقل بجواز عطف الخبر على الإنشاء فلا تخلو من أن تكون رابطة أو زائدة أو استئنافيّة (إذا قلنا بجواز مجيء الفاء في موضع الاستئناف [ابن هشام، مغني اللبيب، الباب ١ حرف الفاء، ص

٢٢٢]؛ أمّا كونها رابطة فأمر ممتنع البتة؛ لأنّ فاء الرابطة تربط ما هو جواب أو جزاء للشرط أو ما يشابه الشرط بالشرط، والأمر في هذا الأسلوب معكوس؛ لأنّ ما بعد الفاء مُنَزَّل منزلة الشرط. فبقي أن تكون إمّا استئنافيّة – لا استئنافًا نحويًّا بل استئنافًا بيانيًّا؛ لأنّ هذا الموضع من مواضع شبه كمال الاتّصال (التفتازاني، مختصر المعاني، ص١٠٢)؛ لأنّ ما بعد الفاء في الحقيقة جواب عن سؤال مقدّر؛ فجملة «فإنّه فاضل» في قولك «أكرم زيدًا فإنه فاضل» جواب عن سؤال هو «لماذا أكرم زيدًا» – وإمّا زائدة للتأكيد؛ لأنّ قولك «أكرم زيدًا فإنّه فاضل» يساوي من جهة إفادة معنى التعليل قولك «أكرم زيدًا إنّه فاضل»، و«أكرم زيدًا لأنّه فاضل» لأنّ سياق الكلام سياق التعليل؛ ولذلك يجيز النحاة (ابن هشام الأنصاري، أوضح المسالك، ج١، ص٢٧٥) قراءة «أنّ» «بالكسر والفتح في موضع التعليل؛ منه قوله تعالى: ﴿...وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ..﴾ [التوبة؛ ١٠٣:٩]. ويمكن أن يُقال: «إنّ ما بعد الفاء على تقدير كونها استئنافيّة أو زائدة بمنزلة شرط محذوف الجواب، وما قبلها قرينة على الجواب المحذوف على قول البصريّين؛ أو هو نفسه الجواب على قول الكوفيّين؛ نحو قوله تعالى: ﴿وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ﴾ [البقرة؛ ٢١٧:٢] أي إن استطاعوا فلا يزالون يقاتلونكم، (الأزهري خالد، ج٢، ص ٢٥٣، والعكبري ج١، ص ١٧٥، وابن الناظم، ص٧٠٤)، وهذا وجه أشار إليه الرضي (شرح الكافية، ج٤، ص ٤١٢) بقوله: «وهذه الفاء [في أكرم زيدًا فإنّه فاضل] تدخل على ما هو شرط في المعنى؛ كما أنّ الأولى [زيد فاضل فأكرمه] دخلت على ما هو جزاء في المعنى، وذلك أنّك تقول: «زيد فاضل فأكرمه» وتعكس وتقول: «أكرمه فإنّه فاضل».

ب. حكم فاء السببيّة في إطلاقها الخاصّ:

فاء السببيّة في إطلاقها الخاصّ هي الفاء الداخلة على المضارع المنصوب في جواب نفي أو طلب بأنواعه، من أمر ونهي واستفهام وعرض وتحضيض وتمنّ ورجاء (ابن مالك، شرح التسهيل، ج٣، ص٢٢٩). وهذه الفاء من جهة المعنى لا شكّ أنّها سببيّة، ومن جهة الاستعمال موضع خلاف بين النحويّين: فمنهم من اعتبرها الفاء العاطفة جملة على جملة؛ يقول الإربلّي (جواهر الأدب، ص٦٥): «... وهي العاطفة جملة تقديرًا على جملة تحقيقًا، فتقدّر الكلام [قم فأكرمك] بقولك: [إن يكن منك قيام فإكرام منّي]»، فهو – وإن أصاب في هذا الرأي فتأويله لا يناسب المؤوّل؛ بل يصدق عليه فاء الرابطة، وكان ينبغي أن يؤوّل المثال المذكور بقولك: «ليكن منك قيام فليكن منّي إكرام» أو «يكون منك قيام فإكرام منّي لك»، كي يتحقّق عطف الجملة على الجملة، ويصير ما بعد الفاء جملة، ومن ثَم صالحًا لأن يكون معطوفًا على الجملة المتوهّمة مّما قبلها حسب رأيه. ومنهم من اعتبرها الفاء العاطفة مفردًا على مفرد، وهذا هو ما يُستفاد من كلام سيبويه؛ يقول – ٦ – (ج١، ص ٤٨٩) عند البحث عن قول القائل: «لا تأتيني فتحدّثني»: لم ترد أن تدخل الأوّل فيما دخل فيه الأوّل، فتقول: «لا تأتيني ولا تحدّثني» لكنّك لّما حوّلت المعنى عن ذلك تحوّل إلى الاسم، كأنّك قلت: «ليس منك إتيان فحديث»؛ ويأتي الأشموني (ج٣، ص٥٦٥) بمثل هذا التأويل للمثال ممّا يُفهم تأييده له، ويعدّ الرضي (المصدر نفسه، ص٦٨) هذا الوجه بقوله: «... لأنّ فاء السببيّة إن عطفت وهو قليل فهي إنّما تعطف الجملة على الجملة؛ نحو: «الذي يطير فيغضب زيد الذباب»؛ ولعلّ سبب ذلك – أي اختصاص فاء العاطفة إذا

كانت سببيّة بعطف الجملة على الجملة - ما سبق في البحث عن الفاء العاطفة مفردًا على مفرد (ص٤ من هذا المقال) من أنّ في عطف المفرد على المفرد تكرار عامل المعطوف عليه على المعطوف، ثمّ حذفه وإقامة حرف العطف مقامه، والعامل الواحد لا يمكن أن يكون في آن واحد سببًا ومسبّبًا. ومنهم من اعتبرها فاء الرابطة، واعتبر ما قبل الفاء بمنزلة جملة شرطيّة، وما بعد الفاء وهو المضارع المنصوب مؤوّل بالمصدر مبتدأ محذوف الخبر؛ فقولك: «زرني فأكرمك» في تأويل «إن تزرني فإكرام لك منّي» (الرضي، المصدر نفسه) ولعلّ هذا الوجه أقرب إلى الصحّة من القولين السابقين؛ لأنّ الفعل المضارع بدون الفاء بعد الأشياء السبعة (النفي والطلب بأقسامه) إذا كانت سببًا لتحقّق المضارع يجزم على قيام هذه الأشياء مقام الشرط، أو على تضمينها معنى الشرط أو على إضمار شرط مستنبط من الأشياء السبعة (الأشموني، المرجع نفسه، ص٥٦٨)؛ فقولك: «زرني فأكرمك» يساوي في أصل معناه قولك: «زرني أكرمْك» فالأسلوبان يشتركان في إفادة ترتّب الإكرام على الزيارة، ويختلفان في وجود معنى التعقّب الذي يُستفاد من الفاء في الأسلوب الأوّل دون الثاني؛ فهو أسلوب أوكد وأبلغ لتحقيق معنى الترتّب من الأسلوب الثاني.

خاتمـــة البحث:

حول فاء الفصيحة وصلتها بفاء السببيّة:

البحث عنها وإن كان يتطلّب مقالاً على حدة فإنّا نلمح إليه في هذا المقال بما له من صلة وثيقة بهذا البحث وندع تفصيله لفرصة أخرى:

ففاء الفصيحة في مصطلح البلاغيّين والنحاة هي الفاء التي تنبئ عن محذوف (العاملي الصمديّة ضمن مجموعة جامع المقدّمات، ج٢، ص٦٠٠)؛

وهذا المحذوف أحيانًا يكون شرطًا، وأحيانًا جملة معطوفًا عليها؛ وإنّما تُسمّى فصيحة لأنّها تُفصح أي تُعرب عن ذلك المحذوف شرطًا كان أو معطوفًا عليها، أو لأنّها لا ترد إلاّ من فصيح لعدم معرفة غيره بمواردها (الدسوقي، محمّد بن عرفة، ج١، ص١٤٠).

وإذا تأمّلنا الأمثلة التي أوردها علماء البلاغة والبيان لهذه الفاء وجدناها لا تختلف في أكثرها عن فاء السببيّة؛ فقد ذكروا من أمثلتها ممّا هو ينبئ عن جملة معطوف عليها محذوفة قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً...﴾ [البقرة؛ ٢: ٦٠]؛ يقول الزمخشري (الكشّاف، ج١، ص٢٨٤): «الفاء متعلّقة بمحذوف أي فضرب فانفجرت، أو فإن ضربت فقد انفجرت، وهي على هذا فاء فصيحة لا تقع إلاّ في كلام بليغ»، وكذا قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ...﴾ [البقرة؛ ٢: ٢١٣]؛ فقد حذفت الجملة المعطوف عليها قبل «فبعث» أي «فاختلفوا فبعث الله»؛ كما قال الزمخشري (المرجع نفسه، ص٣٥٥): وإنّما حذفت لدلالة قوله: «ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه» «وفي هذه الآية نرى الجملة المعطوف عليها المحذوفة هي سبب لما بعد الفاء، فقد دخلت هذه العبارة من الآية في شواهد الأسلوب الثاني من الأساليب التي ترادفها فاء السببيّة؛ وهو وقوع فاء السببيّة بين الجملتين الماضويّتين؛ ومثله أيضًا قوله تعالى: ﴿... فَتُوبُواْ إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة؛ ٢: ٥٤] يقول السكّاكي (مفتاح العلوم، ص١٣٤): «أي فامتثلتم فتاب عليكم»، فالفاء الثالثة هي فاء الفصيحة.

ومن أمثلتها ممّا هو ينبئ عن شرط محذوف قوله تعالى: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن

دُون الله أَوْلِيَاء فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ...﴾ [الشورى؛ ٤٢: ٩]؛ فيقدّر البلاغيّون شرطًا محذوفًا هو: «إن أرادوا وليًّا فالله هو الوليّ، (السكّاكي المرجع نفسه، ص١٥٣، والزمخشري، المرجع نفسه، ج٣، ص ٤٦١، والتفتازاني، المطوّل ص١٩٣، ٢٣٠، والعليمي الحمصي، يس، حاشية التصريح، ج٢، ص١٥٣). والكاتب يرى أنّ هذه الآية من قبيل ما يكون ما بعد الفاء سببًا وما قبلها مسبّبًا. أي إن كان الله هو الولي فهل يتّخذون من دونه وليًّا؛ وعلى هذا تدخل الآية في الأسلوب الرابع من الأساليب المذكورة للفاء العاطفة السببيّة.

ومن أمثلتها ممّا هو ينبئ عن شرط محذوف قوله تعالى: ﴿... فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلاَلاً طَيِّباً...﴾ [الأنفال؛ ٨: ٦٩]؛ يقول الزمخشري (المرجع نفسه، ج٢، ص١٦٩): «فإن قلت: «ما معنى الفاء» قلت: «التسبّب، والسبب محذوف؛ معناه: قد أبحت لكم الغنائم فكلوا ممّا غنمتم»، وهذا التأويل يصدق عليه الأسلوب الثالث من الأساليب التي أخرجناها للفاء والمعنى على هذا التأويل: «إن ثبت أنّي قد أبحت لكم الغنائم فكلوا ممّا غنمتم».

ويظهر بالتتبّع فيما أطلق عليه البلاغيّون مصطلح «فاء الفصيحة» أنّها ليست إلاّ الفاء العاطفة السببيّة بأقسامها التي سبق ذكرها في هذا المقال؛ غاية الأمر أنّ فاء الفصيحة لا يُطلق إلاّ على فاء العاطفة السببيّة التي حذف فيها إمّا السبب وإمّا المسبّب.

محصّلــة:

الفاء العاطفة التي تفيد معنى السببيّة ترادف في معناها وأسلوب استعمالها أربعة أساليب نحويّة، وبعبارة أخرى تستنبط من مواضع استعمالها قواعد نحويّة هي:

١- إذا اكتنفتها جملتان مضارعيّتان (أي مبدوّتان بالمضارع) تساوي في أصل معناها «إن» الشرطيّة.

٢- إذا اكتنفتها جملتان ماضويّتان فهي تساوي في أصل معناها «لمّا» الظرفيّة التي تفيد (وجود لوجود) أو (وجوب لوجوب) (ابن هشام، مغني اللبيب، الباب ١ حرف اللام، ص٣٦٩).

٣- إذا اكتنفتها جملتان مختلفتان بالخبريّة والإنشائيّة والخبريّة قبلها؛ فإذا لم نقل بجواز عطف الخبر على الإنشاء فهي فاء الرابطة، والجملتان تساويان أسلوب الشرط والجزاء، وإذا قلنا بجواز عطف الإنشاء على الخبر فمن الممكن أن نعتبرها عاطفة.

٤- إذا اكتنفتها جملتان مختلفتان بالخبريّة والإنشائيّة والإنشائيّة هي المقدّمة عليها، والخبريّة هي المؤخّرة عنها، والسبب للجملة الإنشائيّة المتقدّمة فالجملتان تساويان أسلوب الشرط المحذوف الجواب بتقديم ما يدلّ عليه.

٥- الفرق بين استعمال «إن» و«لمّا» في إفادة معنى الشرط وبين استعمال «فاء العاطفة السببيّة» للمعنى نفسه، مِثلُ الفرق بين «إنّما» و«إلاّ» في إفادة معنى الحصر؛ فكما أنّ «إنّما» تتصدّر المحصور والمحصور فيه و«إلاّ» تتوسّطهما كذلك «إن» و«لمّا» تتصدّران جملتي الشرط والجزاء والفاء تتوسّطهما.

٦- في الفاء العاطفة السببيّة الداخلة على المضارع خلاف بين النحاة؛ فبعض يجعلها عاطفة وبعض يجعلها رابطة؛ والمرجّح أن تكون رابطة؛ بحجّة أنّ هذا الأسلوب هو مثل أسلوب المضارع المجزوم بعد النفي أو الطلب؛ فكما أنّ المضارع المجزوم المجرّد عن الفاء جواب لشرط مقدّر أو لما قام مقامه أو ما ضمّن معناه، كذلك المضارعُ في هذا الأسلوب المبحوث عنه هنا

جوابٌ لشرطٍ كذلك، وكلا الأسلوبين يُفيد معنى ترتّب ما بعد الفاء على ما قبلها، وإنّما الفرق يأتي من جهة أنّ الفاء تزيد إلى ترتّب الجواب على الشرط معنى التعقيب الذي لا يُستفاد من المضارع المجرّد عن الفاء المجزوم بعد الطلب أو النفي.

٧- هذه الأساليب الستة (أحدها بدون الفاء وبالمضارع المجزوم بعد الطلب أو النفي، وباقيها بالفاء؛ إمّا مع المضارع المنصوب بعد الطلب أو النفي، وإمّا بين الجملتين بالتفصيل المتقدّم) مع أنّها مشتركة في أصل معنى الترتّب والشرطيّة، فلكلّ منها مقام ليس للآخر، يجب أن يبحث عنها في فنون البلاغة وندع البحث عنه لفرصة أخرى ومقال آخر.

٨- وأخيرًا كلّما أمعنّا النظر وروّينا الفكر في اللغة العربيّة وقفنا منها على دقائق معنويّة ولطائف بيانيّة، ومن ثَم تزداد معرفتنا بسرّ نزول القرآن الكريم بتيك اللغة وذاك اللسان العربي المبين.

انتهى بعون الله تعالى.

المراجع والمصادر

١- القرآن الكريم.

٢- ابن جنّي، أبو الفتح (١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م). سرّ صناعة الإعراب، ج١، تحقيق حسن هنداوي، دمشق: دار القلم.

٣- ابن الحاجب، عثمان (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م)، أمالي ابن الحاجب، تحقيق: فخر صالح سليمان قدارة، عمان: دار عمّار، بيروت: دار الجيل.

٤- ابن مالك، محمّد بن عبد الله (١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م)، شرح التسهيل (تسهيل الفوائد)، ج٣، تحقيق: عبد القادر عطا وطارق فتحي السيّد، بيروت: دار الكتب العلميّة.

٥- ابن عصفور، علي بن مؤمن (١٤١٨هـ- ١٩٩٨م)، المقرّب، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمّد معوّض، ط١، بيروت: منشورات محمّد علي بيضون.

٦- ابن الناظم، بدر الدين، (بدون سنة الطبع)، شرح ألفيّة ابن مالك، تحقيق: عبد الحميد السيّد محمّد عبد الحميد، بيروت: دار الجيل.

٧- ابن هشام الأنصاري، عبد الله بن يوسف (١٤٠٩هـ)، أوضح المسالك إلى ألفيّة ابن مالك، تحقيق: حنّا الفاخوري، بيروت: دار الجيل.

٨- ابن هشام الأنصاري، عبد الله بن يوسف (١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م)، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: مازن المبارك ومحمّد علي حمد الله. ط٥، بيروت.

٩- الأخفش، سعيد بن مسعدة (١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م)، معاني القرآن، دراسة وتحقيق: عبد الأمير محمّد أمين الورد، ج١، بيروت: عالم الكتب.

١٠- الإربلّي، علاء الدين بن علي، (١٤١٢هـ- ١٩٩١م)، جواهر الأدب في معرفة كلام العرب، صنعة إميل بديع يعقوب. بيروت: دار النفائس.

١١- الأزهري، خالد، (بدون سنة الطبع)، شرح التصريح على التوضيح، ج٢، بيروت: دار الفكر.
١٢- الأشموني، علي بن محمّد (١٣٧٥هـ- ١٩٥٥م)، منهج السالك إلى ألفيّة ابن مالك، ج١ و٣، تحقيق: محمّد محيي الدين عبد الحميد، ج١، بيروت: دار الكتاب العربي.
١٣- التفتازاني، مسعود بن عمر (١٣٧٤هـ)، شرح المختصر، باهتمام: رضا لطفي ومحمّد علي محمّدي، مطبعة التوحيد.
١٤- التفتازاني، مسعود بن عمر (١٣٧٤هـ)، المطوّل في شرح تلخيص المفتاح، طهران: المكتبة العلميّة الإسلاميّة.
١٥- الخوارزمي، قاسم بن الحسن (١٤١٠هـ- ١٩٩٠م)، التخمير (شرح المفصّل في صنعة الإعراب)، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، بيروت: دار الغرب الإسلامي.
١٦- الدسوقي، مصطفى محمّد عرفة (بدون سنة طبع)، حاشية الدسوقي على مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري ج١. مصر: مطبعة عبد الحميد أحمد صفي. رضي الدين الأستراباذي، محمّد بن الحسن (١٤١٩ هـ- ١٩٩١م)، شرح كافية ابن الحاجب، تقديم وتحقيق: إميل بديع يعقوب. ج ٢، ط١، بيروت: دار الكتب العلميّة.
١٧- الزمخشري، محمود بن عمر (بدون سنة الطبع)، الكشّاف عن حقائق التنزيه، ج٣، طهران: انتشارات آفتاب.
١٨- السكّاكي، يوسف بن أبي بكر (١٣٥٦هـ- ١٩٣٧م)، مفتاح العلوم، ط١، مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

* * *

١- سيبويه، عمرو بن بشر (١٤٠٤هـ)، كتاب سيبويه، ج١، قم: نشر أدب الحوزة.
٢- الصبّان، محمّد بن علي (١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م)، حاشيّة الصبّان على شرح الأشموني على ألفيّة ابن مالك، ج٣. بيروت: دار الفكر.
٣- العاملي، بهاء الدين (١٣٧٣هـ. ش). كتاب الصمديّة، (ضمن مجموعة جامع المقدّمات)، تحقيق وتعليق: المدرّس الأفغاني. قم: انتشارات هجرت.
٤- العكبري، عبد الله بن الحسين (١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م)، التبيان في إعراب القرآن، تحقيق: علي محمّد البجاوي. بيروت: دار الجيل.
٥- العليمي الحمصي، يس بن زين الدين (بدون سنة الطبع)، حاشية التصريح على التوضيح، ج٢، بيروت: دار الفكر.
٦- الفاكهي، أحمد بن الجمال (١٣٩٠هـ- ١٩٧١م)، مجيب النداء إلى شرح قطر الندى، ج١- ٢، ط٢، القاهرة: مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.
٧- القوجوي، محمّد بن مصطفى (١٤١٨هـ- ١٩٩٧م)، شرح قواعد الإعراب لابن هشام، تحقيق: إسماعيل مروة. دمشق: دار الفكر. ط١.

مَقامات الحريري والدّراسات اللُّغويّة

أ. محمود الحسن

في مطلع القرن الخامس الهجري عرف الأدبُ العربي فنًا جديدًا، ابتكره العلامة بديع الزمان الهمذاني (ت٣٩٨)، أُطلق عليه فن المقامات. وما كادت مقامات البديع تخرج إلى النور حتى لاقَت قبولاً منقطع النظير، بين أوساط العلماء والمؤدّبين. فأقبلوا على دراستها وتدريسها للناشئة، وانكبُّوا على شرحها وحفظها، إلى أن جاء الحريري بمعجزته التي بهرت جميع مَن تذوَّقوا الأدب، وأحبوا هذا الفن.

١- نشأة فنّ المَقامات وتَطوّره

المقامات: جمع مَقامة. وهي في أصل اللغة اسم للمجلس والجماعة من الناس. ثم أُطلق لفظ المقامة على الأحدوثة من الكلام، كأنها تُذكر في مجلس واحد، يجتمع فيه الجماعة من الناس لسماعها. [١] والمقامات أقاصيص قصيرة، تحكي مغامرات أديب ظريف، يحتال بفصاحته الأدبية، وبراعته الأسلوبية على الناس، فيصطاد منهم الأعطيات، ويتلقّف من جيوبهم المَعونات، ثم يتابع رحلته متنقلاً بين البلدان، يرمي شباك حيلته حيث حلّ. وفي كل مرة يجمع صيده، ثم ينصرف إلى حيله أخرى. ولهذا البطل راوية يشهد مواقفه، ويرصد أخباره، ويروي ذلك للناس.

ويُجمع العلماء على أن أول من فتح باب عمل المقامات هو بديع الزمان

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشا للقلقشندي ١٤: ١٢٤.

الهمذاني، حيث عَمِل مقاماته المشهور[١]، فاختار لها بطلاً هو أبو الفتح الإسكندري، كما اختار لها راوية هو عيسى بن هشام. والشخصيّتان من ابتداع خَياله. وكان الغرض من تأليفه للمقامات تعليميًا، إذ أراد من خلالها أن يقدّم للناشئة والمُتعلّمين ألفاظ اللغة، وأساليب استعمالها، وطُرق تأليفها، في قالب الفكاهة و التسلية، الذي يجذب القلوب، ويمحو المَلل عن النفوس.

وقد عُني في مقاماته باختراع القصص، والجَري على الطبع، فجاءت متضمنة كل ما تشتهي الأنفس، وتلذّ الأعين من لفظ أنيق، قريب المأخذ بعيد المرام، وسَجع رشيق المَطلع والمقطع كسَجع الحمام، وجدٌّ يروق فيملك القلوب، وهزل يشوق فيسحر العقول[٢].

ويُروى أن الهمذاني استلهم فكرةَ إنشاء المقامات من ابن دُريد الأزدي (ت ٣٢١هـ) الذي أغرب بأربعين حديثًا، ذَكَرَ أنه استنبطها من ينابيع صَدره، وانتخبها من معادن فكره. وأبداها للأبصار والبصائر، وأهداها للأفكار والضمائر، في معارض أعجمية، وألفاظ حوشية. وتوسع فيها، إذ صرف ألفاظها ومعانيها في وجوه مختلفة، وضروب متصرفة. ولما رأى البديع ذلك عارضَ أربعينَ ابن دُريد بأربعمئة مقامة في الكُدْية، تذوب ظَرفًا، وتقطر حسنًا[٣].

وقد انتشرت مقامات البديع في أصقاع العالم الإسلامي، في مدة يسيرة. ولَقيَت من العلماء قبولاً واستحسانًا عجيبَين، فراح البعض يحاول أن ينسج على منوالها، و يستحث الخُطا في اقتفاء أثرها، طمعًا في الانتساب إلى فضيلة

---

(١) صبح الأعشى ١٤: ١٢٥.

(٢) يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر للثعالبي ٤: ٢٩٤.

(٣) زهر الآداب وثمر الألباب للحصري القيرواني ١: ٣١٥.

عملها. ولكن المحاولات كانت متواضعة، إلى أن جاء الحريري (ت ٥١٦هـ)، فأنشأ مقاماته الخمسين المشهورة، فجاءت نهاية في الحُسن، وأتت على الجزء الوافر من الحظّ، وأقبل عليها الخاصّ والعامّ، حتى أنسَت مقامات البديع، وصيَّرتها كالمرفوضة[1].

وقد أشار الحريري في مقدمة مقاماته إلى تأثره ببديع الزمان، كما نوّه بفضله في هذا الفن، حيث قال: «هذا مَعَ اعترافي بأنَّ البَديعَ - رَحِمَهُ اللهُ - سَبّاقُ غايات، وصاحبُ آيات، وأنَّ المُتصَدّيَ بَعدَهُ لإنشاء مقامة، و لَو أُوتِيَ بَلاغةَ قُدامةَ، لا يَغتَرِفُ إلاَّ من فُضالته، ولا يَسري ذلكَ المَسرَى إلاّ بدَلالته[2]» ولا يَخفى ما في هذه العبارة من تواضع جميل، و تقدير لطيف للهمذاني، ولو أن الحريري، في المقامة السابعة والأربعين، عاد فادَّعى لنفسه التفوُّق على البديع، على لسان بطله السروجي فقال: [3]

إن يَكُـن الإسـكَندَريُّ قَبلي فـالطَّـلُّ قَـد يَبدُو أمامَ الوَبل

والفَضـلُ للوابل لا للطَّـلِّ

ويكاد يُجمع العلماء على أن الحريري قد بلغ بهذا الفنّ ذروة شاهقة لا تُدرَك، ووصل إلى مرتبة عالية فاقَت قدرة الأوائل، كما قصَّرت عنها هِمَم الأواخر[4]. فكأنه خُلق ليستأثر بهذا الفن، ويمتلك مفاتيحه دون غيره من الأدباء. ومن طريف ما رواه ياقوتُ الحَمَوي، شاهدًا على علوّ منزلة الحريري، قوله:

(١) صبح الأعشى ١٤: ١٢٥.

(٢) مقامات الحريري ص٧ و شرح مقامات الحريري للشريشي. ١: ٣٢.

(٣) الحريري ص ٥٥٥ والشريشي ٥: ٢٨٤.

(٤) معجم الأدباء لياقوت الحموي ٦: ١٩٥.

«ومن عَجيب ما رأيتُهُ وشاهَدتُهُ أنّي وَرَدتُ آمد، في سنة ثلاث وتسعينَ وخَمسمئة، وأنا في عُنفوان الشَّباب ورَيعه، فبلَغني أنَّ بها عَليَّ بنَ الحَسَن بن عَنتر، المَعروف بالشَّميم الحلّيّ (ت٦٠١هـ). وكان من العلم بمَكانٍ مَكين، واعتَلقَ من حباله برُكنٍ رَكين، إلاّ أنّه كان لا يُقيم لأحَدٍ من أهل العلم المُتقَدِّمينَ ولا المُتأخّرينَ وَزنًا، ولا يَعتَقدُ لأحَدٍ فَضيلةً، ولا يُقرُّ لأحَدٍ بإحسانٍ في شَيء من العُلوم ولا حُسنٍ. فحَضَرتُ عندَه، وسَمعتُ من لَفظه إزراءَهُ عَلى أُولي الفَضل، وتَنديدَهُ بالمَعيب عَلَيهم بالقَول والفعل.

فلمّا أبرَمَني وأضجرَ، وامتَدَّ في غَيِّه وأصحَرَ، قُلتُ لَه: أما كانَ فيمَن تَقَدَّمَ علَى كَثرتهم، وشَغَف النّاس بهم، عندَكَ قَطُّ مُجيدٌ ؟ فقالَ: لا أعلَمُ إلاّ أن يَكُونَ ثَلاثةَ رجال: المُتَنَبّي في مَديحه خاصّةً، و لَو سَلَكتُ طَريقَهُ لَما بَرَّزَ علَيَّ، ولَسُقتُ فَضيلتَهُ نَحوي ونَسَبتُها إلَيَّ. والثّاني: ابنُ نُباتةَ في خُطَبه، وإن كانَت خُطَبي أحسَنَ منها وأسيَرَ، وأظهَرَ عندَ النّاس قاطبةً وأشهَرَ. والثّالث: ابنُ الحَريري في مَقاماته. قُلتُ: فما مَنَعَكَ أن تَسلُكَ طَريقَتَهُ، وتُنشئَ مَقاماتٍ تُخمدُ بها جَمرتَهُ، وتَملكُ بها دَولتَهُ؟ فقالَ: يا بُنَيَّ الرُّجُوعُ إلَى الحَقّ خَيرٌ منَ التَّمادي في الباطل. ولَقَد أنشأتُها ثَلاثَ مَرّات، ثُمّ أتأمَّلها فأستَرذلها، فأعمدُ إلَى البركة فأغسلها. ثمَّ قالَ: ما أظُنُّ اللهَ خَلقَني إلاّ لإظهار فَضل الحَريري[1]. وقَد شَرح الشَّميم الحلّيّ المقامات بشرحٍ قُرئَ عَليه وأُخذَ عَنه.

وقد جاء بعد الحريري مَن تَصدّى لعَمل المَقامات، كالسَّرقسطي (ت٥٣٨هـ) والزّمخشري (ت٥٣٨هـ) والسّيوطي (ت٩١١هـ). وجميع هؤلاء حاكُوا

(١) معجم الأدباء ٦: ١٩٩- ٢٠٠.

مقامات الحريري، دون مقامات الهمذاني، لأنها وَصلَت إلى الكَمال كما تقدَّم، ولكنْ لم يَبلغ أحدٌ مَبلغَه من الشُّهرة والإتقان.

ولم يقتصر انتشار المقامات على العالم الإسلامي، بل انتقلت عبر الأندلس إلى أوربة، حيث تأثر بها الأوربيون، وكان لها تأثير واضح في الأدب الإسباني، إذ نشأ على غرارها في منتصف القرن السادس عشر لون من الفنّ القصصي، ازدهر في القرن التالي، يصف حياة المشرَّدين والمتسوّلين، ويَقوم على الكُدْيَة أو الشحاذة، سُمِّيَت أقاصيصُه باسم «الأقاصيص البيكارسية»، وسُمِّي بطلُها باسم «البيكارو». ودائمًا نشأتُهُ متواضعة، ويُعاني من آلام البطالة والمَسغبة، ويتَّخذ التَّسوُّل حرفة لــه يكسب بها قوتَهُ، مستخدمًا في ذلك حيَلاً وألاعيبَ شتّى، تُشبهُ حيَل أبي زَيد السَّروجيّ في مقامات الحَريري، والشَّيخ أبي حَبيب في مقامات السَّرقسطي، مع صَبغ كلامه مثلَهُما بصبغة وَعظيّة خُلُقيّة[1].

الحَريري ومُؤَلَّفاتُهُ

هو الرئيس أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري[2]. وُلد ونَشأ في قَرية قريبة من البصرة تُسَمَّى «المشان» سنة ٤٤٦ للهجرة. وسكن البصرة في مَحلّة بني حَرام.

كان غاية في الذكاء والفطنة. وقد اتصل بأكابر علماء عصره، وأخذ عنهم الفقه والحديث واللغة والأدب، فامتلك عنان الفصاحة، وبَلَغَ مرتبة رفيعة من مراتب العلم والبلاغة. ويُروى أنه كان من ذوي اليَسار في البصرة، حيث كان يمتلك في قريته « المَشان» ثَمانية عَشر ألفَ نخلة، فضلاً

(١) عصر الدول والإمارات «الأندلس» للدكتور شوقي ضيف ص٥٢٦.
(٢) معجم الأدباء ٦: ١٩٥ وَفَيات الأعيان لابن خَلّكان ٤: ٦٤.

عن أنه كان من ذوي المرتبة والنفوذ، إذ كان (صاحب الخَبَر) في البصرة. وهو الذي يحمل إلى الخليفة أخبار الناس والجيش والإدارة. وقد أمضى حياته متنقلاً بين المَشان والبصرة وبغداد، مختلفًا إلى أندية العلم ومجالس الأدب، يحصد ثناء الألسنة، وإعجاب الأفئدة، بما يبتدعه من بدائع الشعر والأدب، وما يُمليه من دقائق العلم وعجائب الاستنباط.

وكان الحريري مُرهفَ الشُّعور صادقَ الحسّ والتَّخمين، حُكي أن شخصًا غريبًا زارَه ليأخذ عنه شيئًا. فلما رآه الشخص استَزرَى شكلَه، لأن مَظهره لم يكن يُطابق فَضله وسمعتَه، ففَهم الحريري ذلك منه، ولما التمسَ منه أن يُمليَ عليه قال له اكتبْ:

مـــا أنـــتَ أوَّلُ ســـارٍ غَرَّهُ قَمَرٌ، ورائـــد أعجَبَـــتهُ خُضرةُ الدِّمَـــنِ
فاخـــتَرْ لنَفسكَ غَيري، إنَّني رَجُلٌ مـــثلُ المُعَيديِّ، فاسْمَعْ بي ولا تَرَني

فخَجل الرجلُ وانصرف[1].

وتُجمع المصادر التي تَرجَمَت للحريري أنه كان حسنَ السِّيرة، ذائعَ الفضل، مستقيم الخُلُق، ملتزمًا مبادئَ الدِّين الحَنيف، مُحترمًا حُقوق الله عزَّ وجَلَّ. ويُروى أنه بلغَهُ أن صاحبه أبا زيد المُطَهَّر بن سَلام البَصري قد شَرب مُسكرًا، فكتَبَ إليه:

أبا زَيدٍ، اعلَمْ أنَّ مَن شَربَ الطِّلا تَدَنَّسَ، فافهَمْ ســـرَّ قَولي المُهَذَّب
ومـــن قَـــبـــلُ سُـــمّيتَ المُطَهَّرَ، يُصَـــدّقُ بالأفعال تَسميةَ الأب
فـــلا تَحسُها كَيما تَكُونَ مُطَهَّرًا، وإلاّ فغَيِّـــرْ ذلكَ الاسمَ، واشرَب

(١) وفيات الأعيان ٤: ٦٦- ٦٧ وشَذرات الذَّهب لابن العماد ٦: ٨٥.

فلما بلَغَه الأبيات أقبلَ حافيًا إلى الحريري، وبيده مصحف. فأقسَمَ به ألاّ يعودَ إلى مُسكِر. فقال له الحريري: ولا تُحاضِرْ مَن يَشرب[١].

وكتاب المقامات هو المرآة التي تتجلى فيها شخصية الحريري، وصفاته النفسية والعقلية والخُلُقية، فمَن يقرأ المقامات يشعر أن مؤلّفها غزيرُ العلم، متعمق في دقائق الأمور، وغوامض الأشياء، ويشعر أنه أمام إنسان واثق بنفسه وعلمه، قادر على التلاعب بالألباب ومداعبة العقول، متمكّن من الخَوض في المنطق والفلسفة، وجزئيات التفكير، غير مُنازَع في سَوق البراهين وإسراج الحُجج. وكل ذلك يصطبغ برُوح الدّعابة الحريرية. وأعني الدّعابة العقلية الهادئة، التي يتسم لها العلماء والشيوخ، ويستعصي الإحساسُ بها على الجُهَلاء. إنها «مَلهاة» العُقلاء الّتي يشتاقُها العقلُ، وتستريح إليها الخَواطرُ المُنشغلة بمسائل العلم والتفكير العَميق، وليست الملهاة التي تُداعبُ الغرائز والحَواس[٢].

مقامات الحريري وقيمتها التاريخية

تُعدُّ المقامات أهمَّ كتاب أَلّفه الحريري. وإلى هذا الكتاب يُعزَى كلُّ ما جناه الحريري من شهرة وفضل في مجال التأليف. وهي خمسون مقامة بدأ بتأليفها سنة ٤٩٥ للهجرة، وأتمّها حوالي سنة ٥٠٤ للهجرة. وأما عن سبب تأليفه للمقامات فقد قال: «فأشارَ مَن إشارتُهُ حُكمٌ، وطاعتُهُ غُنمٌ، إلَى أن أُنشئَ مَقاماتٍ أتلُو فيها تلوَ البَديع... فلَمّا لَم يُسعِفْ بالإقالة، ولا أعفَى منَ المَقالة،

(١) معجم الأدباء ٦: ٢٠٣.

(٢) ومن مؤلفات الحريري: كتاب دُرّة الغَوّاص في أوهام الخَواص، ومُلحة الإعراب، والرِّسالتان السِّينيّة والشِّينيّة، والفَرق بين الضّاد والظّاء، إضافة إلى أشعاره.

لَبّيتُ دَعوتَهُ تَلبيةَ المُطيع، و بَذَلتُ في مُطاوَعته جُهدَ المُستَطيع»[١].

فالحريري هنا يتحدَّث عن أن إنشاء المقامات كان بإشارة من أحد رجال الحُكم. وقد قيل: إنَّه أنوشروان بن خالد وزير الخليفة المُسترشد، وقيل: بل هو والي البَصرة، وقيل غير ذلك. ورجَّح الشَّريشي أن يكون صاحب الإشارة هو الخليفة المُستظهر (٤٨٧ -٥١٢)، الذي كانت له رَغبة في الطَّلَب، وحَظّ في الأدب، وعناية بأهل العلم[٢].

وقد وصل الحريري بمقاماته إلى ذروة هذا الفن. واختار لها بطلاً هو أبو زَيد السَّرُوجيّ، وراوية هو الحارث بن هَمّام البَصري. والشخصيّتان من ابتداع خَياله على الأرجَح، كما هو الشأن عند بَديع الزَّمان. وهناك مَن اقتنَعَ من العُلماء بأن السَّروجي شخصيّة واقعيّة، متمسكًا بما رواه ياقوت وغيرُه عن الحريري نفسه أنه قال: «أبو زَيد السَّروجيّ كان شَيخًا شَحّاذًا بَليغًا، ومُكدِيًا فَصيحًا، وَرَدَ عَلينا يَومًا في مَسجد بَني حَرام، فسَلَّم ثم سأل الناسَ. وكان بعضُ الوُلاة حاضرًا، فأعجَبَهم بفَصاحته، وحُسن صناعته ومَلاحته. وذَكَر أسرَ الرُّوم ابنتَهُ، كَما ذَكَرْنا في المَقامة الحَراميّة، وهي الثّامنة والأربعون.

قال: فاجتَمَع عندي عَشيّة ذلك اليَوم جماعةٌ من مَعارف فُضَلاء البَصرة وعُلمائها، فحَكَيتُ لَهم ما شاهَدتُ من ذلكَ السّائل، وسَمعت من لَطافة عبارته في تَحصيل مُرادِه، وظَرافة إشارته في تَسهيل إيراده. فحَكى كلُّ واحد من جُلَسائي أنه شاهَدَ من هذا السّائل مثلَ ما شاهَدتُ، وأنّه سَمع منه في معنى آخر فَصلاً أحسنَ مّما سَمعتُ. وكان يُغيّر في كلّ مَسجد زيَّه

(١) الحريري ص ٥- ٦؛ الشريشي ١: ٢٥ و ٢٩.

(٢) الشريشي ١: ٢٧.

وشَكلَه، ويُظهرُ في فُنُون الحيلة فَضلَهُ. فتَعجَّبوا من جَرَيانه في مَيدانه، وتصرُّفه في تلوُّنه وإحسانه. فأنشأت المَقامة الحَراميّة. ثم بَنَيتُ عَليها سائرَ المَقامات. وكانت أوَّلَ شَيء صَنَعتُهُ»[١].

ومخطوطات المقامات كثيرة جدًّا، لا تكاد تخلُو من نُسَخها مكتبةٌ من مكتبات العالم، التي تضمُّ المَخطوطات وتُعنَى بها. وهي تعود إلى أزمنة مختلفة، أقدمها يرجع إلى سنة ٥١٣ للهجرة[٢]. وقد طُبعت مرارًا في باريس ولندن وبُولاق والقاهرة ولَكنُو وتَبريز وطَهران وبيروت وغيرها.

وفيما يخصّ القيمة التاريخية للمقامات بيَّن لنا الحريري تلك القيمة بقوله: «فأنشأتُ خَمسينَ مَقامةً، تَحتَوي عَلَى جدِّ القَول وهَزله، ورَقيق اللّفظ وجَزله، وغُرَر البَيان ودُرَره، ومُلَح الأدَب ونَوادره، إلَى ما وَشَّحتُها به منَ الآيات، ومَحاسن الكنايات، ورَصَّعتُهُ فيها منَ الأمثال العَرَبيّة، واللّطائف الأدَبيّة، والأحاجي النَّحْويّة، والفَتاوَى اللُّغَويّة، والرَّسائل المُبتَكَرة، والخُطَب المُحبَّرة، والمَواعظ المُبكية، والأضاحيك المُلهية، ممّا أملَيتُ جَميعَهُ عَلَى لسان أبي زَيدٍ السَّرُوجيّ، وأسنَدتُ روايَتَهُ إلَى الحارث ابن هَمّامٍ البَصريّ»[٣].

فالمقامات إذًا تحفة فنيّة تستمدُّ قيمتها ممّا تضمَّنته من مَباحث جديدة، وأساليبَ مُبتكَرة. فهي تنفرد بالأحاجي الفقهية والنحْوية التي تضمَّنتها، والتي تُشكّل مادة مُسلّية، كانت تُدار على ذكرها المَجالس، ويستحسنُها العلماء للاستراحة من عناء التفكير بمسائل العلم. ويقال إن الحريري تأثر في إيراد

---

(١) الشريشي ١: ٢٦ ومعجم الأدباء ٦: ١٩٦.

(٢) بروكلمان ٥: ١٤٥.

(٣) الحريري ص ٦- ٧ والشريشي ١: ٢٩.

الأحاجي برسائل أحمد بن فارس (ت٣٩٥)، الذي كان مُغرمًا بهذا اللون[١].

والأحاجي: الألغاز. ومن أمثلتها في المقامة الثانية والثلاثين قوله: «أيَجُوزُ الوُضُوءُ ممّا يَقذفُهُ الثُّعبانُ؟ قالَ: وهَل أنظَفُ منهُ للعُربان»[٢]؟ الثُّعبان: جمع ثَعْب. وهو مَسيل الوادي. وإنما يُحاجي بذلك لأن المشهور عن الثعبان أنه الحَيّة. ومنها قوله: «أيَحلُّ بَيعُ الهَديّة ؟ قال: لا. ولا بَيعُ السَّبيّة»[٣]. الهَديّة: ما يُهدَى إلى الكَعبة. والسَّبيّة: الخَمر.

والمقامات تحوي بعض المسائل اللغوية الهامة، كما أنها تضمّ الكثير من الأمثال العربية، التي يعود إلى الحريري الفضل في إخراجها من زوايا النسيان، إلى ميادين الاستعمال. يضاف إلى ذلك أن المقامات أضافت ذخيرة جديدة، إلى التراث الأدبي، بما تضمَّنته من خُطَب بليغة، ابتكر الحريري معانيَها، وأشعار بديعة ابتدع نظمَها، وأحسنَ صياغتها، كما احتوَت المقامات على تحليلات نفسيّة عميقة لشخصيّة البطَل، انفرَدَ الحريري بإيرادها.

والأهم من ذلك أن المقامات قد تدفّقَت في تُربتها أفضلُ الأساليب الفَصيحة المتنوّعة، التي اصطفاها عالِمٌ مُتقن هو صاحب «دُرّة الغوّاص»، ومُتيقّظ يضع في حُسبانه أن يهاجَمَ بسهام النَّقد. ولذلك جاءت أساليبه قمّة في البيان والفصاحة والسّحر. فهو تارةً يجمع بين الجدّ والهَزل، ومرةً يُغرَم بالمحسِّنات البديعيّة، وحينًا يُرصّع كلامَه بألوان التّشبيه والاستعارات، وتارة يَجري على الطّبع فيُلامس شَغافَ القُلوب، ويستمطر من العُيون الدّموعَ،

---

(١) وفيات الأعيان ١: ١١٨.

(٢) الحريري ص ٣٣٧– ٣٣٨ والشريشي ٤: ٤٦.

(٣) الحريري ص ٣٤٦ والشريشي ٤: ٥٣.

وتارة يَنثني إلى مُداعبة الرُّوح واستحضار البَسمات، وأحيانًا يَلجأ إلى التَّضمين[١] فيَصل فيه إلى حُدود الإعجاز، بجَمال النَّقل، وحُسن الإشارة، ولُطف المُلاءمة، وجَودة التمهيد.

وتَنبع أهمية المقامات، من جهة أُخرى، من احتوائها على كَمٍّ هائل من الألفاظ، إذ يتميَّز أسلوب الحريري بالابتعاد عن التّكرار قَدر المُستطاع. وهذا يدعو إلى اتّساع المعجم اللفظي، كما سيتَّضح، ويُفيد في إبقاء الألفاظ ضمن حيِّز الاستعمال، لتظلَّ حيّة مأنوسة. ولهذه السّمة فائدة كبيرة فيما يُسمَّى بالتَّواصل اللغوي. وهو أن يستمرّ استعمال، المفردات القديمة في العصور اللاحقة، وهو ما يُمكّن أبناءَها من فهم التُّراث القَديم دون عناء. وهذه الخاصّة تنفرد بها اللغة العربية دون غيرها من لغات العالم، بفضل القرآن الكريم، والحديث الشريف، والتراث الشعريّ الرّفيع، والنصوص الأدبية التي تجذب الاهتمام، كالمقامات وغيرها من الرسائل والخطب والأمثال.

ولا يَقتصر الفرار من التكرار في المقامات على الألفاظ، بل يتعدّاها إلى التَّعابير أيضًا. فالحريري مثلاً في كل مرة يحتاج إلى أن يقول: «فلَمّا حانَ وَقتُ الصُّبح» نجده يُعبّر عن هذا المعنى بغَير عبارته الأولى، فتارة يقول: «فلَمّا لاحَ ابنُ ذُكاءَ، وألحَفَ الجَوَّ الضّياءُ»[٢]، وتارة يقول: «إلَى أن أظَلَّ التَّنويرُ، وجَشَرَ الصُّبحُ المُنيرُ»، [٣] وتارة يقول: «حتَّى إذا لألأ الأُفقَ ذَنَبُ السّرحان، وآنَ انبلاجُ الفَجر وحانَ»[٤]، وتارة يقول: «إلَى أن عَطَسَ أنفُ

---

(١) يُنظَر في التَّضمين: مجلة التراث العربي العدد ٨٥ ص ٤٩.

(٢) الحريري ص ٣٧ والشريشي ١: ١٧٢.

(٣) الحريري ص ٤٧ والشريشي ١: ٢١٥.

(٤) الحريري ص ٩٥ والشريشي ١: ٤٣٢.

الصَّباح، ولاحَ داعي الفَلاح»[١]، وتارة يقول: «فلَمّا بَلَغَ اللّيلُ غايتَهُ، ورَفَعَ الفَجرُ رايتَهُ»[٢]. وهذا -كما قال الصَّفديّ - كثير في مقاماته. وهو من القدرة على الكلام[٣].

ويمكن القول أخيرًا: إن قيمة المقامات هي قيمة لغوية أدبية تعليميّة. وليس لها أهمية كبيرة في غير ذلك، لأنها لا ترقى إلى تصوير جوانب الحياة، كما أنها لا تُعطي صورةً واضحة عن طبيعة عصر الحريري، الذي سادت فيه الفتَن والحروب، لضعف الخلافة العباسية، وتأرجح الحُكم، وانتشار الفساد والعيّارينَ انتشارًا واسعًا.

شروح مقامات الحريري

لقد وافق كتابُ المقامات من السَّعد ما لَم يُوافقْ مثلَهُ كتابٌ أَلَّفَهُ الحريري. «فقَدَ جمَعَ فيه مُؤلِّفُه بَين حَقيقة الجَودة والبَلاغة، واتَّسَعَت لَه الألفاظُ، وانقادَت لَهُ نُوَرُ البَراعة، حتّى أخَذَ بأزمّتها، ومَلَكَ ربقتَها. فاختارَ ألفاظَها، وأحسَنَ نَسقَها، حتّى لَو ادَّعَى بها الإعجازَ لَما وَجَدَ مَن يَدفَع في صَدره، أو يرُدُّ قولَه، أو يأتي بما يُقاربُها، فَضلاً عن أن يأتيَ بمثلها. ثم رُزقَت مع ذلك من الشُّهرة وبُعد الصّيت، والاتّفاق على استحسانها من المُوافق والمُخالف ما استحقّت وأكثَر»[٤].

هذه هي الحُلّة التي خلعَها ياقوت الحَمَوي على المقامات، لتبقى

---

(١) الحريري ص١٤٩ والشريشي ٢: ١٨٨.

(٢) الحريري ص٤٧٦ والشريشي ٥: ٨٦.

(٣) أعيان العصر وأعوان النصر للصفدي ١: ٤١.

(٤) معجم الأدباء ٦: ١٩٩.

شاهدًا يشهد بأهميتها، وعلوّ منزلة صاحبها، وحصنًا مَنيعًا تتحطّم عليه سهام الطّاعنين، وتتصاغرُ أمامَه هِمَم العباقرة المُبدعين. لقد تعهَّد الحريري مقاماته بالجُهد والاجتهاد، حتى أخرجَها في النهاية عَلَمًا شاهقًا بَينَ رَوابي الأدَب، يَستعصي على السّالك، وتَتوعَّر إليه المَسالكُ، ويجذب نظَرَ كلّ مَن يَتنسَّم عطرَ الكلمات، ويَستهويه الجَمال الكامنُ في دَقيق العبارات.

وخلاصة القول أن المقامات نالت شهرةً عظيمة، وإقبالاً مُنقطع النَّظير، منذ تكشَّفَت عنها براعمُ الوُجود، وحَظِيَت بعناية العلماء منذ أن باحَ بخاتمتها قلمُ الحريري، وأخرجَها إلى الحَياة. وقد احتلَّت مكانًا لائقًا في حلقات العلم، ومجالس الأُنس، ونَوادي الأدب. ويدلّ على مدى شُهرتها، واتّساع تَداوُلها، ما يُروى من أن الحريري وَقَّع بيده على سبعمئة نسخةٍ منها قُرِئت عليه، وأُخذَت عنه[1].

ونظرًا لأهمية المقامات فقد قام عدد كبير من العلماء، بشَرْحها وتوضيح غوامضها، في أزمنة مختلفة من تاريخ الحضارة الإسلامية. وقد أوردَ حاجي خليفة في كتابه «كشف الظنون» أسماءَ العلماء الذين شرحوا المقامات، كما ذكر بروكلمان في كتابة «تاريخ الأدب العربي» أسماء المخطوطات لتلك الشروح، وأماكن وجودها في مكتبات العالم. وقد وصل عدد الشروح التي ذكرها كل من حاجي خليفة وبروكلمان إلى سبعة وأربعين شرحًا، إضافةً إلى تعليقات ابن الخَشّاب وابن برّي[2].

ويُشار إلى أن هذه الشروح ما تزال مخطوطة، و لم يُطبَع منها سوى «شرح غريب

(١) معجم الأدباء ٦: ١٩٩.

(٢) كشف الظنون ص ١٧٨٧- ١٧٩١ وبروكلمان ٥: ١٤٧- ١٥٠.

المقامات الحريرية» للعكبري (ت٦١٦) بتحقيق محمد رجب ديب و«شرح مقامات الحريري الكبير» للشريشي (ت ٦١٩) بتحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم.

ويُعَدُّ الشرح الكبير للشريشي أهم الكتب التي شرَحَت المقامات على الإطلاق، إذ لم يترك صاحبُه في كتاب من شروحها فائدةً إلا استخرجها، ولا فريدةً إلا استدرَجَها، فصار شرحًا يُغني عن كلّ شَرح تقدَّمَه، ولا يُحتاج إلى سواه في لَفظ من ألفاظها[1]. يقول الشريشي: «لَم أدَعْ كتابًا أُلِّفَ في شَرح ألفاظها، وإيضاح أغراضها، إلاّ وَعَيتُه نَظَرًا، وتحقَّقتُه مُختبرًا، وترَدَّدتُ في تفهُّمه وردًا وصدَرًا، وعكَفتُ على استيفائه بَسيطًا كان أو مُختصَرًا، حتّى أتَيتُ على جَميع ما انتهَى إليه وسَعَى ممَّن فَسَّرها، واستَوعَبتُ عامةَ فَوائده المُمكنة بأسرها. ولَم أترُك في كتاب منها فائدةً إلا استَخرَجتُها، ولا فَريدةً إلا استَدرَجتُها، ولا نُكتةً إلاّ علَّقتُها، ولا غَريبةً إلاّ استَلحَقتُها، ولا غادَرتُ في مَوضع منها مُستَحسَنًا يشذّ عَن جَمعي، ولا مُستَجادًا يَنبُو عَنه بَصَري أو سَمعي.

وأنا في خلال ذلك ألتَمسُ مَزيدًا، ولا أسأمُ بَحثًا وتَقييدًا، إلى أن عَثَرتُ على شَرح الفَنجَديهي للمقامات، فرأيتُ فيه الغايةَ المَطلُوبة، والبُغيةَ المَرغُوبة، والضَّالّةَ التي كانت عنّي إلى هذا الأوان مَطويّةً مَحجُوبةً. فاستأنَفتُ النَّظَر ثانيًا، وشَمَّرتُ عَن ساعد الجدّ لا مُتَكاسلاً ولا وانيًا، فاستَوعَبتُه أيضًا أبلَغَ استيعاب، وقيَّدتُ من فَوائده ما لَم أجدْ قَبلَهُ في كتاب»[2].

يتَّضح مما سبق مدى الأهمية التي يَتمتّع بها هذا الشرح، الذي ضَمَّنَهُ صاحبُهُ

---

(١) كشف الظنون ص ١٧٩٠.

(٢) الشريشي ١: ٦- ٧.

فوائدَ الشُّرُوح التي سَبَقَتهُ، ثم أضافَ إلى ذلك ما جادَت به عبقريتُه اللاّمعة، وثقافتُه الواسعة، من تَعريف بالبلدان والأماكن، وشَرح للأمثال، ونَقدٍ للأساليب والأشعار. وهذا الشرح سيكون العُمدة في دراسة الأسماء، في نصوص المقامات، لَدَى تَناوُلها بالدراسة في الفصول التالية من هذا الباب. وذلك لأن الشريشي، إضافةً إلى ما سبق، كان حَريصًا على الدّقة في التفسير اللغوي، لدرجة الاقتراب من تفسير المعاجم.

موضوع المقامات وأسلوبها

مرَّ سابقًا أن المقامات جنس أدبي، تَحكُمُه مجموعةٌ من الضَّوابط، تجعله يتميَّز عن غَيره من الأجناس الأخرى. وتلك الضَّوابط منها ما يتَّصل بالمَوضوع، ومنها ما يعود إلى خصائص الأسلوب. وموضوع المقامات الحريرية يتعلّق بالمادة القصَصيّة، والنَّظرات الفكرية، والأحكام اللغوية. أما أسلوبها فيتوزَّع بين القضايا البلاغية، والمسائل الجَمالية، وطرق الأداء التَّعبيريّة.

أ ـ موضوع المقامات:

مقامات الحريري حكايات قصيرة، لا تخضع لَمعايير القصة بمفهومها الحديث، وإنما هي أقرب إلى تلك الحكايات التي نجدها مبثوثة في كُتُب الأدب القديمة، ولا سيَّما كُتُب الجاحظ وكتاب الأغاني، حيث كانت تلك الحكايات تُعنى بأخبار الكَلمة، وجَمال القَول، وحُسن الجَواب، ولُطف التَّدبير، وقوّة الحُجّة، وبَراعة الجَدَل، والإرشاد والنُّصح والنَّقد والفكاهة. ولا تهتمّ عادةً بكثرة الحركة وتَنويعها، أو بإبراز الصّراع بين الشخصيات، وجَعله المُحرّك الأساسي للأحداث، كما أنها لا تُركّز على إعطاء الشخصيات سمات فنيّة مقصودة لذاتها، وليس لها نظام فَنّيّ تَسير الأحداثُ وفق ضَوابطه، كما

هو الشأن في الحَبكة القصصية بالمفهوم الحديث.

ففي المقامة الأولى مثلاً نجد السّروجيَّ خطيبًا بارعًا، يخلب الألبابَ ببراعته، ويسحر القلوبَ بزهده و وَرَعه، ثم ينصرف ليشرب الخمر فيَكتَشفه الحارث بن همام. والذي يقرأ المقامة يشعر أنها وُضعَت من أجل مضمون الخطبة، ودقّة الصّياغة. أما مشهد التّعارف بين الحارث والسروجي، وما جرَى بينهما من حوار قصير، فالغرض منه إيجاد نظامٍ عام يربط هذه المقامة بأخواتها، دون قصد لفَنّيّة الحوار والحركة.

وفي المقامة الثانية يَظهر السروجيُّ شاعرًا كبيرًا، لا يكاد يُسمعُه الحاضرون بَيتًا استَجادُوه إلا يُعلن بُطلانَ رأيهم، ونُقصان معاييرهم، ثم يُنشد على منواله أو يُعارضُه، مُدَّعيًا لنفسه الفَضل والتفوُّقَ على قائلة. فالغرض من هذه المقامة إبداء الإشارات النقدية للشعر، وإظهار المقدرة على النظم، والتفوق في هذا المضمار، في حين يبدو دور الحارث بن همام هامشيًّا، لم يتجاوز به الحريري ذيول المجلس. والفائدة من ذكره هي نظم هذه المقامة في سلك المقامات الأخرى. وعلى الرغم من وجود الحوار فإنه حوار هادئ، وظيفتُهُ الإسهام في العرض وخدمة المعنى، دون الإسهام في نموّ الحَدَث وتطوُّره. وهكذا الشأن في سائر المقامات.

وأما الشخصيات فنجد الحريري قد اتَّخذ أبا زيد السروجي بطلاً لمقاماته. وهو شخصية غير حقيقية على الأرجح، كما سبق. وقد طوَّفَ به في الآفاق، وجعله يمتطي البحار، ويُرافق القَوافل والحَجيج. فكان ينصب حبائل الحيَل ليَصطاد الدراهم والدنانير، فيَظهر زاهدًا تَقيًّا مرةً، وشاعرًا مجيدًا حينًا، وعالمًا في النحو واللغة تارةً، وبارعًا في حَلّ الألغاز وابتكار الأحاجي،

ومعرفة الرُّقَى المفيدة، والتَّمائم العاصمة من السوء، أحيانًا أخرى.

ويَظهر السروجيُّ في المقامات مستهترًا، لا ينتهي عن مُنكَر، ولا يَتوانَى في ارتكاب الكبائر والمُحرَّمات، ويَلجُ كلَّ مدخل لتحصيل الأموال، غير عابئ - على تقدّم سنّه وتوهُّج الشَّيب في لحيته ورأسه- بما يترتَّب على ذلك من آثام. وقد فَطن الحريري إلى أن استمرار بطله على هذه الصفات يجعله منبوذًا، يُثير في النفس شعورًا بعدم الارتياح، وهو ما دعاه إلى الرأفة به أخيرًا، فجعله يتمسَّك بحبال التَّوبة في المقامة الخمسين، فإذا به يقوم الليلَ ويصوم النَّهارَ، ويُبالغ في العبادة والزُّهد، ويُكثر من البُكاء والاستغفار، ويُودّع راويته المخلص على تلك الحال، مُنتظرًا مكتوب القضاء ومحتوم القدر.

واختار الحريري شخصية الحارث بن همام لرواية مقاماته، فكان هذا مُغرمًا بالرحلة والتنقل، مَشغوفًا بسماع الأدب وأخباره، دائبًا على حُبّ التعرُّف إلى رجاله والأخذ عنهم. فكان يلتقي السروجيَّ مُصادَفة فيتعرَّفه، ويكشف أمرَه، ويروي مغامراته. وكان رجلاً وَقُورًا لا يرضى سلوك شيخه السروجي، إلا أن حبَّه للأدب كان يدفعه إلى طلبه، والتزوُّد من بضاعته التي لا توجد عند غيره.

فالشخصية الرئيسة في المقامات هي شخصية السروجي، أما شخصية الحارث فكانت أقلّ أهمية، ويختلف دورها ومقدار ظهورها من مقامة إلى أخرى. أما باقي الشخصيات فقد كانت ثانوية، منها الولاة والقضاة والعلماء والمتسولون، وعامة الناس. وغالبًا ما كانت شخصية السروجي تَطغَى على جَوّ المقامة، فتبدو الشخصيات الأخرى كأشباح ساكنة، تظهر عليها علائم الانبهار والهزيمة، أمام عبقرية السروجي وعلمه الذي لا ينضب. وقلتُ «غالبًا» لأن الحريري أعطى أحيانًا تلك الشخصيات أدوارًا مهمة، كما هو

الشأن حين كان يختصم السروجي وزوجته أمام أحد القضاة، أو يُخاصم ابنَه عند أحد الولاة، فكانت الزوجة تُظهر فَصاحةً في القول، وأدبًا رفيعًا لا يقلّ عن أدب أبي زيد وعلمه، وكذلك ابنه، كما في المقامة الرابعة والثامنة والتاسعة، والخامسة والأربعين...

وكانت أحداث المقامات، مأخوذة من الحياة اليومية، والتقاليد التي تتكرر في حياة الناس، كالمثول أمام القضاة، والتخاصم إلى الولاة، والاستماع إلى العظات، وانتشار المجادلات في حلقات العلم، وسلوك المناظرات في مجالس الأُنس، والإيمان بدور الرُّقى والتعويذات. وتلك الأحداث لم تكن من ابتكار الحريري، وإنما كانت من ابتكار غيره أحيانًا، أو من الأحاديث التي كانت متداولة في عصره. وتُظهر المُوازنة بين مقامات البديع ومقامات الحريري تشابهًا كبيرًا في الموضوعات، وهذا يعني أن الحريري استلهم العديد من الأحداث من مقامات البديع، الذي ابتكرها من بَنات فكره، وجرى في عرضها على سلاسة طبعه، أما الحريري فكان اهتمامه بالأسلوب أكثر من اهتمامه بالموضوع، فجاءت طريقة العرض عنده عبارة عن صناعة لغوية، دقيقة الحَبك والتَّرصيع، وقد استعصَت على حُلِّ العلماء الذين حاولوا محاكاته، والسير على هداه.

وأهم المسائل الفكرية، التي تضمَّنتها المقامات، تتلخَّص في الزهد والوعظ والأدعية، كما في المقامة الأولى، والحادية عشرة، والحادية والعشرين، والحادية والثلاثين، والحادية والأربعين، والتوبة كما في الخمسين، والصداقة وضوابط الصُّحبة كما في المقامة الرابعة، وقضية سرقة الشعر كما في الثالثة والعشرين، وإيراد الألغاز الفقهية والنحوية، كما في المقامة الرابعة والعشرين، والثانية

والثلاثين، والتعرض لَمساوئ الولاة كما في العاشرة، إضافةً إلى أن الحريري تحدَّث في أغلب المقامات عن حياة طبقة من الناس، يتخذون الكدية حرفة لهم، فوصف أسلوبهم في الحياة، وتحدث عن مبادئهم الساسانية، وطريقة تزويجهم، وغير ذلك.

وتتلخَّص المسائل اللغوية في عرض الألفاظ، وطريقة استعمالها، وإمكانات التعبير بها، ونقد الشعر، وتنويع الوصف، وعرض الألغاز، وبعض المسائل النحوية، والفرق بين الضاد والظاء، والحديث عن أوصاف الخمر، وكُنَى الوحوش والبهائم، إضافةً إلى عرض الألفاظ التي تخص المتسوّلين، وتنفرد بتداولها طبقتهم.

ب – أسلوب المقامات:

المقصود بالأسلوب طرائق الأداء التعبيرية عن الأفكار. والحديث عن الأسلوب يفرض الخوض في علم البلاغة، بفروعه الثلاثة: البيان والمعاني والبديع، إضافةً إلى دراسة موسيقا الألفاظ والحروف والحركات، والطبع والصنعة، ثم التركيز على مواطن الجمال بنظرة كلية شاملة في التعابير المستعملة.

ولا يسمح المقام باستقصاء الظواهر البلاغية والمحسنات الأسلوبية في المقامات، لأن ذلك يحتاج إلى دراسة مُطوَّلة لا يتسع لها هذا البحث، إذ لا يوجد لون من ألوان البيان والمعاني والبديع إلا استَعمَلَه الحريري، في مقاماته، استعمال العالم الخبير بفنون الكَلِم، الطَّموح دائمًا إلى التفوُّق، المُتيقّظ الحَذِر من سهام النقد، الذي لم يسمح لقلمه أن يخطَّ كلمةً، إذا كان يعتقد أن غيره أقدر على صَوغها، وامتلاك أزمّة جَمالها. وكان اهتمامه بالأسلوب عظيمًا، لدرجة أنه قد صرفه عن الاهتمام بالموضوع، كما تقدم. ولذلك جاءت

مقاماته لوحة فنية، تَظهَر فيها براعة الصنعة، التي شفع لها وخفّف من غُلَوائها خفّة الروح، وسلاسة الطبع، والخبرة بالمعاني والأساليب. وكل ذلك أسهم في كمال صورتها حتى غدت آية من آيات الإعجاز.

وللحديث عن الأسلوب في المقامات أقتصر على دراسة مقطع منها دراسة مختصرة، تكفي لتوضيح صورة عامة لهذه المسألة، تاركًا التفصيل لأمكنته من البحوث المطوَّلة المختصة بدراسة البلاغة العربية.

قال الحريري، في المقامة الخمسين، التي تَظهَر فيها توبة أبي زيد: «قالَ الحارثُ بنُ هَمّامٍ: فلَم يَزَلْ يُرَدّدُها بصَوتٍ رَقيق، ويَصِلُها بزَفيرٍ وشَهيق، حتّى بَكَيتُ لبُكاء عَينَيه، كَما كُنتُ أبكي عَلَيه. ثُمَّ بَرزَ إلَى مَسجده، بوُضُوء تَهَجُّده. فانطَلَقتُ رِدفَه، وصَلَّيتُ مَعَ مَن صَلّى خَلفَه.

ولَمّا انفَضَّ مَن حَضَر، وتَفَرّقُوا شَغَرَ بَغَر، أخَذَ يُهَينمُ بدَرسه، ويَسبكُ يَومَهُ في قالَب أمسه. وفي ضمن ذلكَ يُرِنُّ إرنانَ الرّقُوب، ويَبكي ولا بُكاءَ يَعقُوب، حتّى استَبَنتُ أنّهُ التَحَقَ بالأفراد، وأُشرِبَ قَلبُهُ هَوَى الانفراد.

فأخطَرتُ بقَلبي عَزمَةَ الارتحال، وتَخليَتَهُ والتَّخلّيَ بتلكَ الحال. فكأنّهُ تَفَرَّسَ ما نَوَيت، أو كُوشفَ بما أخفَيت. فزَفَرَ زَفيرَ الأوّاه، ثُمَّ قَرأ: ﴿فإذا عَزَمتَ فتَوكَّلْ عَلَى الله﴾. فأسجَلتُ عندَ ذلكَ بصدق المُحَدّثين، وأيقَنتُ أنَّ في الأُمّة مُحَدَّثين.

ثُمَّ دَنَوتُ إلَيه كَما يَدنُو المُصافح، وقُلتُ: أوصني أيُّها العَبدُ الصّالح. فقالَ: اجعَل المَـــوتَ نُصبَ عَينك، وهذا فراقُ بَيني وبَينك. فوَدَّعتُهُ وعَبَراتي يَتَحَدَّرنَ منَ المآقي، وزَفَراتي يَتَصَعَّدنَ منَ التَّراقي. وكانَت هذه

خاتمةَ التَّلاقي»[1].

التَّحليل الأسلوبي: إن السمة الأساسية للأسلوب في هذا المقطع، وفي غيره من مقاطع المقامات، هي السَّجع. وهو اتفاق رؤوس الجُمَل بالأحرف. والمقامات مَبنيّة من حيث الشكل على السَّجع، الذي يُعَدُّ أحدَ المَعايير المطلوبة في إنشاء المقامة. وله أشكال عديدة، وَرَدَ بعضُها في هذا المقطع، كالسَّجع الذي يحصل بين أجزاء الجملة الواحدة، نحو قوله: «ثُمَّ بَرَزَ إلَى

(١) الحريري ص٦٠١- ٦٠٢ ، والشريشي ٥: ٣٧٣. ويُرَدِّدها:الـ"ها" عائدة على القصيدة التي كان أبو زيد يقرؤها مراراً في ذلك المجلس، والتي تَضَمَّنت اعترافَه بذنوبه، وإسرافَه على نفسه، وطلَبَه المغفرة من ربه سبحانه. وهذا المقطع يأتي بعد تلك القصيدة مباشرة. وقوله: كما كُنتُ أبكي عليه، أي فيما مَضَى حين كُنتُ أتألَّم لرُؤيته مُستهتِراً، وقد باع آخرتَه بدُنياهُ. وبوُضُوء تَهَجُّده، التَّهَجُّد: قيام الليـــل، يعني أنه وَصَلَ التَّهجُّدَ بصَلاة الفَجر. وانطَلَقتُ رِدفَه، أي: خَلفَهُ. وانفَضَّ مَن حضَرَ، يعني تَفرَّقَ المُصَلُّون بعد الصَّلاة. وشَغَرَ بَغَرَ: في كل اتجاه. ويُهَينِمُ: يُردِّدُ كلاماً خَفيًّا لا يُفهَمُ. ويَسبِكُ يَومَه في قالَب أمسه، أي: يَفعل في اليَوم ما فَعل بالأمسِ من المُداومة على التَّسبيح والاستغفار.

والرَّقُوب: المرأة التي لا يعيش لها ولد. ويُرِنُّ: يُصَوِّت. والأفراد: الأبدال. وهم سَبعة من العُبّاد لا تَخلُو الدُّنيا منهم، فإن ماتَ واحدٌ خلَّفَ اللهُ تعالى في موضعه آخر. والآثار التي تتحدَّث عن وجود الأبدال ضَعيفة. وهَوَى الانفراد: حبّ الوَحدة. وتَفرَّسَ: عَلِم ببَصيرته وجودة نظَره. وكُوشِفَ: أُطلِع وأُخبِر عن طريق الإلهام المَلَكُوتي. والأوّاه: الحَزِين الَّذي يَصيح آه آه. وأسجَلتُ: صَدَّقتُ وتَيَقَّنتُ. والمُحدِّثُون: الذين حدَّثُوه بتَوبة السروجي. والمُحَدَّثُون: الذين يُكشَفُ لَهم ما وراء الحُجُب، ويُحَدَّثُون به. والمآقي: مُفرَدُها مُؤق. وهو حَرف العَين الَّذي يَلِي الأنف. والتَّراقي: جمع تَرقُوة. وهي عظم مُعوجٌ أعلى الصدر. والتَّراقي صيغة جمع عُبِّر بها عن المثنى، لأنهما عظمان اثنان.

مَسجده، بوُضُوء تَهَجُّده»، ومنها ما يحصل بين جملتين كقوله: «حتَّى استَبَنتُ أنَّهُ التَحَقَ بالأفراد، وأُشربَ قَلبُهُ هَوَى الانفراد»، ومنها ما يكون بين أكثر من جملتين كقوله: «فوَدَّعتُهُ وعَبَراتي يَتَحَدَّرنَ منَ المآقي، وزَفَراتي يَتَصَعَّدنَ منَ التَّراقي، وكانَت هذه خاتمةَ التَّلاقي». وفي هذه العبارة يُوجَد ما يُسمَّى بالسَّجع الداخليّ بين الكلمتين «عَبَراتي وزَفَراتي». ويُشار إلى أن كلمات السَّجع موضوعة على أن تكون ساكنة الأعجاز، مَوقُوفًا عليها، لأن الغَرَض أن يُجانَسَ بين القَرائن ويُزاوَج بينها، وما يتم ذلك إلا بالوَقف، وإلا ذَهَبَت أيادي سَبأ[١].

ولا يَخفى أن السجع يسبب عادةً هُبوطًا في مستوى الأسلوب والمعنى، إذا لم يكن الكاتب مُتمتّعًا بخبرة كافية، ورُوح شفّافة، وطَبع لَطيف، يُخفّف من خطَر التَّزَحلُق في مَهاوي الصّنعة وغُلَوائها. وذلك لأن الكاتب يشغل فكره، في هذه الحالة، بالمُلاعبة بَين الألفاظ على حساب المَعايير الأُخرى لسَلامة التعابير ومحاسنها. أما حين يكون الكاتب متمكنًا فالسَّجع يصبح عنصرًا جماليًا في النص. وهذا ما نجده في أسلوب المقامات، حيث إن الغالب فيها أن يكون السجع بين جملتين فقط. وهذا أمر سَهل يُخفّف من كُلفة البحث والمشقّة في التفكير بالألفاظ. ومن جهة أخرى لم يذهب الحريري بالسَّجع إلى لُزُوم ما لا يَلزَم كما فعل السرقسطي، بل اكتفى بتحقيقه بين الحَرفَين الأخيرَين غالبًا، وما وُجدَ من ذلك فقد جاء عَفو الخاطر، دون أن تَظهر الكُلفة باستحضاره.

ويتَّصف الأسلوب في المقامات بقصَر الجُمَل بوجهٍ عام، كقوله: «اجعَل

---

(١) شرح مقامات الزمخشري ص١٣.

المَوتَ نُصبَ عَينك، وهذا فراقُ بَيني وبَينك». وهذه السّمة تمنح الأسلوبَ رشاقةً مُحبَّبةً، وتكسر سكونَ الهُدوء المُملّ، وتُنقّي التّعابير من شَوائب الحَشو والاستطراد.

ومن سمات الأسلوب إقامة التّوازن بين الجُمَل، من حيث الطُّول والقصَر، حيث يغلب أن تأتي الجملة مساويةً لقَرينتها،كقوله هنا: «فأخطَرتُ بقَلبي عَزمَةُ الارتحال، وتَخليتَهُ والتّخَلّيَ بتلكَ الحال». وقد تأتي الجملة الثانية أطول من قَرينتها الأُولى كقوله: «أخَذَ يُهَينمُ بدَرسه، ويَسبكُ يَومَهُ في قالَب أمسه». وقد تجيء الجملة الأولى أطول من الثانية نحو قوله: «فلَم يَزَلْ يُرَدّدُها بصَوتٍ رَقيق، ويَصلُها بزَفيرٍ وشَهيق».

ومن أهم سمات الأسلوب في المقامات التّضمين والاقتباس، وخاصة من القرآن الكريم. والذي يقرأ المقامات يشعر أن الحريري قد استفاد من أسلوب القرآن الكريم استفادةً لم تَتأتَّ لغَيره من الأدباء. ويَرجع السبب في ذلك إلى أنه كان يُضمّن مقاماته الآيات القرآنية، في مواطن خاصة. وذلك حين كان يُريد لقارئه أن يصل إلى اللفظ قبل سماع اللفظ. ومثل هذه المَواطن تشغل القارئ بمُتعة الوُصول عن الإحساس بالفَرق بَين الأسلوبَين.

ومن أمثلة التضمين القرآني في هذا المقطع قوله: فزَفَرَ زَفيرَ الأوّاه، ثُمَّ قَرأ: ﴿فإذا عَزَمتَ فتَوَكّلْ عَلَى الله﴾. فالقارئ ما يكاد يسمع قوله تعالى: ﴿فإذا عَزَمتَ﴾ حتى يُكمل الآية من حفظه. ويُعزّز ذلك كون القرآن الكريم محفوظًا، بخلاف غَيره من الأمثال والنصوص الشعرية. فالحريري قَصَد من التضمين منح القارئ مشاركةً في الوُصول إلى المعنى، تجعله يُحسّ بأن المقامات قريبة من قلبه، إضافةً إلى توظيف الدلالات القرآنية، وإيحاءاتها الإيمانية، في خدمة الأسلوب، إذ

إن السياق القرآني يقع في القلب موقعًا يمنح النص قدرةً على التأثير في وجدان القارئ، ومشاعره الإيمانية.

فالآية السابقة مثلاً تَستَوقف القارئ لتُذَكّره بنعمة الإسلام، وقُرب المُسلم من ربه عزّ وجَلّ. وقد تجعله يتذكّر شيئًا من المصائب التي تمر بساحته، فيَطرُق الحزنُ قلبَه لحظةً، ثم يَتلاشَى أمام قُوّة الإيمان، والثّقة بالله سبحانه، تلك القوة الإيمانية التي تستمدُّ تجدُّدَها من معاني التّوكُّل على الله سبحانه. ويختلف التفاعل مع النّص القرآني من شخص إلى آخر بحسب الهمّة والفقه والمَرتبة الإيمانيّة. والمُهمُّ أن جميع هذه التأملات، التي يتلوَّن بها قلبُ الإنسان عادةً، استطاع الحريري أن يُوَظّفها في تحسين أسلوبه من خلال التضمين.

وحين يُضمّن الحريري مقاماته شيئًا من القرآن الكريم نجده يذكر ذلك أحيانًا كما فعل في الآية السابقة، وقد يُدرج الآية ضمن أسلوبه، دون إشارة إلى أنها من القرآن الكريم، كما في قوله: «اجعَل المَوتَ نُصبَ عَينك، وهذا فراقُ بَيني وبَينك». وهنا أيضًا يستطيع القارئ أن يصل إلى نهاية الآية قبل سماعها، لطول الأُلفة بين المُسلم والذّكر الحَكيم. ولا يَقتصر التّضمين عند الحريري على القرآن الكريم، بل يشمل الشعر وأساليب العرب والأمثال. وكل ذلك مبثوث في نصوص المقامات بكثرة. والملاحَظة العامّة التي تَستحق الوقوف عندها، في شأن هذه المسألة، هي أنه لا يُضمّن إلا ما هو مشهور بين الناس. ولعلّ ذلك يعود إلى رغبته في جعل القارئ يصل إلى الألفاظ مُستعينًا بحفظه، كما تقدم، إضافةً إلى أنه يُصادف لَدَى القارئ أحاسيس مُثارةً سَلفًا، واستعدادًا مُسبقًا للتّفاعُل مع النّص.

ويكثر في أسلوب المقامات الجناس بأنواعه، والطّباق بأشكاله. والأوّل أشهَر

وأكثر، لأن معايير المقامة تُوصل إليه، كالارتحال والحال، والتّراقي والتّلاقي، في هذا المقطع. والخلاصة أن المقامات تبدو كبُردة حَريريّة مُرصَّعة بألوان البديع. وهذا هو السبب الذي جَعَلَني أبدأ بدراسة المحسنات البديعية، قبل غيرها من المحسنات الأخرى، في هذا التحليل الأسلوبي.

ويتَنقّل الحريري بأسلوبه بين الخبر والإنشاء. ويختلف حُضُورُهُما بحسب طبيعة المقامة، إذ كان يُكثر من الخبر في المواطن التي يُقدّم فيها للقارئ خلاصةَ تجاربه، وما انتَهت إليه معارفُهُ وقناعتُهُ، في حين كان يلجأ إلى الإنشاء عند إيراد الحُجَج والألغاز ولاسيما الاستفهام والأمر. ويتجلّى الإنشاء في هذا المقطع في قوله:« قُلتُ: أوصني أيُّها العَبدُ الصّالحُ. فقالَ: اجعَل المَوتَ نُصبَ عَينكَ»، أما باقي المقطع فإنما ينتمي إلى الخبر.

والذي يُلاحَظ في المقامات هو كثرة الأسماء، حيث إن الأسماء فيها أكثر من الأفعال. وهذا أحد الأسباب التي رجَّحت لاختيار البحث. والأفعال تدلّ على التّجدُّد والحركة، على حين تدلّ الأسماء على الثّبات الاستمرار. وهذا يعني رجحان الثبات على الحركة بوجه عام، لولا دَور الجُمَل القصيرة والأسلوب الرَّشيق وموسيقا البديع في إقامة التوازن وتعديل ذلك.

ومن محاسن الأسلوب في المقامات الابتعادُ عن الإلحاح على جوانب الفكرة. وما ألطف قوله في وصف حالة أبي زيد بعد التوبة: «فلَم يَزَلْ يُرَدّدُها بصَوتٍ رَقيق، ويَصِلُها بزَفيرٍ وشَهيق، حَتّى بَكَيتُ لبُكاء عَينَيه، كَما كُنتُ أبكي عَلَيه». فهذه العبارة الموجزة تُصوّر لنا الحالة التي آلَ إليها أبو زيد، بعد أن استقلّ مركب التّوبة، طمعًا في الوُصُول إلى شواطئ المغفرة.

ونحن نستطيع أن نتصور تلك الحالة، بكل ما يُريده لها الحريري من مبالغة،

مع أنه أجمَلَ وأوجَزَ. وذلك لأنه يستفيد، من خلال هذا الأسلوب، من خيال القارئ، الذي ينشط في تصوُّر أبي زيد، وقد خالَطَت لحيتَه دموعُ النَّدَم، وارتعَشَت يداه بوقفة التَّضرُّع والخُشوع، وحارَ به الفكر وسط صَمتٍ رَهيب، وبُهتَ بصرُه بشعاع الرَّجاء البارق من بَعيد. والقارئ في كل مرة يقرأ فيها هذه العبارة يرتسم في خياله تصوُّر جديد لهَيئة السَّرُوجي، فيشعر كأنه يقرأ هذه العبارة أول مرة. وهذه السِّمة مُهمّة جدًا في صَون المقامات من سهام الخَلَق، التي تَندفع من أقواس التَّكرار والاستعمال.

ويُشار إلى أن بديع الزمان كان يُحبُّ التفصيلَ، لدرجة أنه كان يَلجُ المَداخل، ويكشف كُلَّ الأستار، التي تُحيط بالفكرة. وذلك لأن الغاية الجمالية عنده كانت تتساوى مع الغاية التعليمية. فهو يقول على لسان أبي الفتح الإسكندري: «سَلُوا عَنّي البلادَ وحُصُونَها، والجبالَ وحُزُونَها، والأودية وبُطُونَها، والبحارَ وعُيُونَها، والخَيلَ ومُتُونَها، مَن الَّذي مَلَكَ أسوارَها، ونَهجَ سَمتَها، ووَلَجَ حَرّتَها ؟ سَلُوا المُلوكَ وخَزائنَها، والأعلاقَ ومَعادنَها، والأُمُورَ وبَواطنَها، والعُلُومَ ومَواطنَها، والخُطُوبَ ومَغالقَها، والحُرُوبَ ومَضايقَها، مَن الَّذي أخَذَ مُختزَنَها، ولَم يُؤدّ ثَمَنَها؟ ومَن الَّذي مَلَكَ مَفاتَحها، وعَرَفَ مَصالحَها»[1] ؟ فهذا المقطع يَدلُّ على ما فيه من إلحاحٍ وتفصيل، ووَلَعٍ باستقصاء الجزئيات. على حين لا نجد هذا التَّفصيلَ في أسلوب الحريري.

ومن سمات الأسلوب، كما تقدَّم سابقًا، اتّساع المعجم اللفظي، فيُلاحظ مَن يقرأ المقامات أن الحريري كان يستعمل في كل مقامة ألفاظًا جديدة، غير الَّتي

---

(١) شرح مقامات بديع الزمان الهمذاني ص ٢٧.

استعملَها في أخواتها. لهذا تضمَّنت شُروح المقامات ما يَتضمَّنه معجمٌ متوسط الحجم من الألفاظ. ومن العادة أن يكون لكل أديب معجمٌ محدود، يدور في فَلَكه ولا يتجاوزه، أمّا الحريري فكان معجمه اللغة بتمامها، إذ يَظهَر في مقاماته كأنما جُمعَت له اللغة، لِيَنتَقي منها ما يُريد. ويمكن القول: إن المقامات لو تجاوزت حَجمها لاستوعَبَت معظمَ الألفاظ العربية.

ويَفيض أسلوبُ الحريري بالمحسنات، التي تعود إلى أصول علم البيان، من استعارات وتشبيهات وكنايات. ويَدلُّ الاستقراء على أن ما استُعمل من التعابير، على الحقيقة، لا يتجاوز العُشرَ، في حين كانت معظم التعابير مبنية على المجاز. والحديث عن المحسنات البيانية في المقامات يحتاج إلى بحث مُطوَّل، كما تقدَّم، لذلك أكتفي برَصدها في المقطع المختار، علمًا أنها قليلة هنا، بالقياس إلى المواضع الأخرى، لأن الحريري في هذا المقطع أراد أن يجري على الطَّبع، لأنه قَصَد الغوصَ هنا في خَبايا النفس، وأحاسيس الرُّوح ، وأسرار القلب، وأعماق الوُجدان، وما يَعتَلجُ في الصدور من حُرقة وأشجان. ولا يخفى أن الطبع في هذه الحال أقدَرُ من الصّنعة وكُلفتها على الوَفاء بالمطلوب.

ومن الصُّوَر البيانية في هذا المقطع التشبيه البليغ، في قوله: «يُرِنُّ إرنانَ الرَّقُوب، ويَبكي ولا بُكاءَ يَعقُوبَ». فقد شبَّهَ صوتَ أبي زَيد، مُستغيثًا برحمة الله وغُفرانه، بصوت المرأة التي تُفجَعُ بموت أولادها، وحَذَف الأداةَ ووَجهَ الشَّبَه، على سبيل التشبيه البَليغ. ومن هذا قوله: «فزَفَرَ زَفيرَ الأوّاه». وفي قوله: «ثُمَّ دَنَوتُ إليه كَما يَدنُو المُصافحُ» تشبيه مُرسَل من حيث ذكر الأداة، ومُجمَل من حيث حَذْف وَجه الشَّبَه.

وقوله: «وزَفَراتٍ يَتصَعَّدنَ منَ التَّراقي» فيه مَجاز عَقلي علاقته المُجاوَرة،

لأن الأنفاس تخرج من الحَلْق، وإنَّما التَّراقي عَظمان قريبان منه. وفي قوله: ((حتّى بَكَيتُ لبُكاء عَينَيه)) مجاز عقلي أيضًا، لأن الذي يَبكي هو الإنسان، وإنَّما العُيُون تَدمَع. وساغ ذلك التعبير لأن آثار البكاء تَظهَر على العُيُون. ونَجده في قوله: ((وأُشربَ قَلبُهُ هَوَى الانفراد)) قد شبَّهَ القَلب بالأرض العَطشَى، والهَوَى بالماء، ثم حذَفَ المشبَّه به وهو الأرض والماء، وأبقى ما يَدلُّ عليهما وهو الإشراب، على سبيل الاستعارة المَكنيّة. وقوله: ((ويَصلُها بزَفيرٍ وشَهيقٍ)) كناية عن شدّة النَّدَم والحُزن. وقوله: ((ثُمَّ بَرَزَ إلَى مَسجده، بوُضُوء تَهَجُّده)) كناية عن الاستمرار في العبادة ومواصلتها. وقوله:((ويَسبكُ يَومَهُ في قالَب أمسه)) كناية عن تكرار العادة.

إن الصُّوَر البيانية السابقة لا تتجاوَزُ قطرةً من وابل، تَجَمَّع في أودية المَقامات، ليَروي أزاهيرَها، ويَمُدَّ اخضرارَها بالطَّلاوة والرّواء. وفيما يخصّ الموسيقا فقد أتقنَ الحريري نَسجَها من خلال التشابه الشَّكلي بين أوزان كلماتها، إضافةً إلى التطابق بين الكثير من الحروف، التي وَظَّفها من حيث المخارج بحسب المقام. ولا داعي للتفصيل في هذه المسألة فهي معروفة لدى الدارسين، ومشهورة في المقامات. وإنما الذي يَلفتُ الانتباه أن الحريري استفاد، من أوزان الشّعر، في تحقيق موسيقا إضافيّة.

فقوله: ((بصَوت رَقيق)) من مَنهُوك المُتقارَب. وقوله: ((بزَفيرٍ وشَهيق)) من مَنهُوك الرَّمَل. وقوله: ((ولَمّا انفَضَّ مَن حَضَرَ)) من مَنهُوك الوافر. وقوله: ((بوُضُوء تَهَجُّده)) من مَنهُوك المُتدارَك. ولو حَذَفَ الواوَ، ولامَ البُعد من قوله: ((وفي ضمن ذلكَ يُرنُّ إرنانَ الرَّقُوب)) لأصبح قوله شَطرًا من الكامل. ولو استَبدَلَ اسم الإشارة ((هذه)) باسم الإشارة ((تلك)) في قوله: ((وكانَت هذه

خاتمةَ التَّلاقي» لأصبح شطرًا من الوافر. وهذا كثير في المقامات، ويكثر دائمًا في الكتابات النثرية، التي تخطُّها أقلام الشعراء.

هذه بعض سماتِ الأسلوب عند الحريري. وقد آثرتُ أن أقتصر في عرضها على مقطع واحد، رغبةً في الاختصار، واقتناعًا بأن الإشارات تغني عن التفصيل في هذا المقام الذي لا يسمح بالإطالة.

المصادر والمراجع

١- أعيان العصر وأعوان النصر للصفدي. تحقيق: الدكتور علي أبي زيد ورفاقه، ط١، دار الفكر، دمشق ١٩٩٨.

٢- تاريخ الأدب العربي لبروكلمان. ترجمة: الدكتور رمضان عبد التواب، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٥.

٣- زهر الآداب وثمر الألباب للحصري القيرواني. تحقيق: الدكتور صلاح الدين الهواري، ط١، المكتبة العصرية، بيروت وصيدا ٢٠٠١.

٤- شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد. تحقيق: محمود الأرناؤوط، ط١، دار ابن كثير، دمشق ١٩٨٦.

٥- شرح مقامات بديع الزمان الهمذاني لمحمد محيي الدين عبد الحميد. ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٩.

٦- شرح مقامات الحريري للحريري. دار الفكر، دمشق، دون تاريخ.

٧- شرح مقامات الحريري للشريشي. تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت وصيدا ١٩٩٨.

٨- شرح مقامات الزمخشري للزمخشري. تحقيق: يوسف البقاعي، ط١، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٨١.

٩- صبح الأعشى في صناعة الإنشا للقلقشندي. شرح وتحقيق: محمد حسين شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٧.

١٠- عصر الدول والإمارات ((الأندلس)) للدكتور شوقي ضيف. جامعة حلب ١٩٩٤.

١١- كشف الظنون لحاجي خليفة. دار الفكر، بيروت ١٩٩٠.

١٢- مجلة التراث العربي، العدد ٨٥، لعام ٢٠٠٢.

١٣- المزهر للسيوطي. تحقيق: محمد جاد المولى ورفاقه، المكتبة العصرية، صيدا وبيروت ١٩٨٧.

١٤- معجم الأدباء لياقوت الحموي. تحقيق: الدكتور عمر إبراهيم الطباع، ط١، مؤسسة المعارف، بيروت ١٩٩٩.

١٥- وفَيات الأعيان لابن خلكان. تحقيق: الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت، دون تاريخ.

١٦- يتيمة الدهر للثعالبي. تحقيق: الدكتور مفيد قميحة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٣.

واو الثمانيـــة

أ. يوخنّا مرزا الخامس

تعريفٌ بواو الثّمانية:

يُعرِّف النُّحاة الّذين يقولون بمصطلح واو الثّمانية: إنّها الواو الّتي «تقع في الكلمة الثّامنة مِن الصِّفات المسرودة لِتدلَّ على أنَّ المعبِّر عنه بها ثامنٌ، أو عدده ثمانية»[1]؛ أيْ إنّها الواو الّتي تقع قبل الصِّفة الثّامنة، مع خلوِّ الصِّفات السابقة لها مِن الواو؛ لذلك سمّوها بـــ(واو الثّمانية).

وقالوا إِنَّ سببَ مجيء الواو في الصِّفة الثّامنة دون غيرها، هو أَنَّ العدد عند العرب ينتهي إِلى السَّبعة وهو عدد كامل لديهم، فإذا زادوا عليه زادوا واوًا على الصِّفة الثّامنة[2]. لذلك قالوا: « السبعة نهاية العدد عندهم كالعشرة الآن عندنا »[3]. وقيل: جاءتْ مع الصِّفة الثّامنة؛ «لأنَّ السَّبعة أصل المبالغة في العدد، كما كانتِ السبعون كذلك في قوله - تعالى- ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ[4]﴾»[5]. وقيل هي لغة قريش، قال أبو حيّان الأندلسيُّ

(١) جواهر الأدب في معرفة كلام العرب ص(٩٦).

(٢) ينظر: فقه اللُّغة وسرُّ العربيّة ص(٥٣٠)، دُرَّة الغوّاص ص(٢٤)، الجامع لأحكام القرآن ٣١٨/١٠، مغني اللّبيب ٤٧٤/١، الإتقان في علوم القرآن ٢٥٧/٢، صرف العناية في كشف الكفاية ص(١٥١).

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٣١٨/١٠. وينظر: وضح البرهان في مشكلات القرآن ٤٠٥/١، الجنى الدّاني ص(١٩٥).

(٤) التوبة: (٨٠).

(٥) البيان في غريب إعراب القرآن ٨٥/٢.

(ت٧٤٥هـ): «... وإنَّ قريشًا إذا تحدَّثتْ تقول ستَّة سبعة وثمانية تسعة فتُدخل الواو في الثَّمانية»(١).

نستشفُّ مِنْ هذا أنَّ الواو ذُكرتْ في الصِّفة الثَّامنة مِنَ الصِّفات المعدودات؛ إمَّا لأنَّها نهاية العدد كالعشرة عندنا الآن، وإمَّا جيءَ بها لأنَّ العدد سبعة في غاية مِنَ المبالغة، وإمَّا هي لغة قريش وبها نزل القرآن الكريم لذلك ذُكِرَتْ فيه.

ومهما يكنْ مِنْ شيءٍ فإنَّ علماءَنا مِنَ السَّلف حصروا الآيات الَّتي وردتْ فيها واو الثَّمانية، وهي:

١- ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾. [التَّوبة ١١٢].

٢- ﴿سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُم﴾. [الكهف ٢٢].

٣- ﴿وَسِيقَ الَّذينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا... وَسِيقَ الَّذينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّة زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾. [الزُّمر ٧١، ٧٣].

٤- ﴿عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِنكُنَّ مُسْلِمَات مُؤْمِنَات قَانِتَات تَائِبَات عَابِدَات سَائِحَات ثَيِّبَات وَأَبْكَاراً﴾ [التَّحريم ٥].

٥- ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً﴾. [الحاقَّة ٧].

فالواو في قولـــه تعالى ﴿ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾، و﴿ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾،

---

(١) تفسير البحر المحيط ٦/١١٤، وينظر: الجامع لأحكام القرآن ٨/٢٣٥، ١٠/٣١٨، ١٥/٢٢٨، الدُّرُّ المصون في علوم الكتاب المكنون ٤/٤٤٦.

و﴿وفُتحَتْ أَبْوَابُهَا﴾، و﴿ثيِّبات وأبكارًا﴾، و﴿وثمانيةَ أيَّام﴾، هي (واو الثَّمانية) في اصطلاح عددٍ منَ الكُتَّاب والنُّحاة والمُفسِّرين.

أقسام واو الثّمانية:

والنَّاظر في هذه الآيات يجد أنَّ (واو الثَّمانية) تنقسم قسمينِ اثنينِ:

الأوَّل: واو الثَّمانية المعنويَّة: - وهي الواو الَّتي تأتي في نصٍّ لا تكون الصِّفات الثَّمانية ملفوظةً فيه، وإنَّما تُعرف منْ معنى النَّصِّ، ونعلم منْ خَلَله أنَّ هناك صفاتٍ معدوداتٍ لكنَّها غيرُ مذكورات. وخير دليلٍ على ذلك آية الزُّمر المذكورة آنفًا، إذ جاءت الواو عند ذكر أهل الجنَّة، ولم تأتِ عند ذكر أهل النَّار؛ «إذ قيل (فُتحتْ) في آية النَّار لأنَّ أبوابها سبعة، (وفُتحتْ) في آية الجنَّة لأن أبوابها ثمانية»(1).

وقد فُسِّرتْ هذه الواو تفسيرًا آخرَ، فقيل: « لمَّا قال اللهُ عزَّ وجلَّ في أهل النَّار ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ دلَّ بهذا على أنَّها كانتْ مُغلقةً، ولمَّا قال في أهل الجنَّة ﴿ حَتَّى إِذَا جَاؤوهَا وفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ دلَّ بهذا على أنَّها كانتْ مُفتَّحة قبل أنْ يجيئوها.(2)

وما ينطبق على هذه الآية ينطبق على آيات: ﴿وثامِنُهم كَلبُهم﴾، ﴿وثمانية أيَّام﴾، في كون الواو فيه جاءتْ لثمانية أشياء لم يُعدِّدها النَّص القرآني؛ وإنَّما

---

(1) إرشاد السَّاري لشرح صحيح البخاري ٣٩٧/٧. وينظر: معاني الحروف ص (٦٤)، فقه اللُّغة وسرُّ العربيَّة ص(٥٣١)، دُرَّة الغوَّاص ص(٢٤)، الجامع لأحكام القرآن ١٥/ ٢٢٧- ٢٢٩، بدائع الفوائد ١٧٥/٢، الدُّرُّ المصون ٢٦/٦، جواهر الأدب ص(٩٦).

(2) إعراب القرآن ٨٣١/٢. وينظر: مُشكل إعراب القرآن ٢٦١/٢، المحرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٥٤٣/٤، تفسير النَّسفي ٦٨/٤.

عرفناها مِنْ خلل المعنى.

الآخر: واو الثَّمانية اللَّفظيَّة: - وهي الواو الَّتي تأتي مع صفات معدودات ملفوظاتٍ في النَّص القرآني، فتردُ الواو مع الصِّفة الثَّامنة دون الصِّفات السبع السَّابقة. مثالها قوله تعالى: ﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾. وقوله تعالى: ﴿مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَاراً﴾. فنرى أنَّ الصِّفات في الآيتين معدوداتٌ، لذا فهي واو جاءتْ مع صفةٍ ثامنةٍ قبلها صفات ملفوظات في النَّص القرآني.

وقد تنبَّـــه ابن قيِّم الجوزيَّة (ت٧٥١هـ) إلى هذا الفرق بين الواوين دون أنْ يُسمِّيَهُما، فقال: « ... ومنْ دعوى كونها واو الثَّمانية لأنَّ أبواب الجنَّة ثمانية [في آية الزُّمر المذكورة آنفًا] فإنَّ هذا لو صحَّ فإنَّما يكون إذا كانت الثَّمانية منسوبة في اللَّفظ واحدًا بعد واحدٍ فينتهون إلى السَّبعة ثُمَّ يستأنفون العدد مِنَ الثَّمانية بالواو وهنا لا ذكر للفظ الثَّمانية ولا عدِّها فتأمَّلْهُ»[1].

نشأَةُ مصطلحِ واو الثَّمانية، وأدلَّتُهُ:

بعد التَّنقير في كتب المتقدمينَ النَّحويَّة لم أعثر على مصطلح واو الثَّمانية فيها؛ بل إنَّهم كانوا يسمُّونها تسمياتٍ أُخرى سنأتي عليها في آخرِ مطالب هذا البحث. والحقُّ أنَّ هذا المصطلح عثرنا عليه في مؤلفات علماء القرن الرَّابع الهجري. قال المُرادي (ت٧٤٩هـ): «واو الثَّمانية: ذهب قومٍ إلى إثبات هذه الواو منهم: ابن خالويه والحريريُّ وجماعةٌ مِنْ ضَعَفةِ النَّحويين»[2]. وزادوا عليهم

---

(١) بدائع الفوائد ١٧٥/٢.

(٢) الجنى الدَّاني ص(١٩٤- ١٩٥). وينظر: مُغني اللَّبيب ٤٧٤/١، الإتقان في علوم القرآن ٢٥٧/٢، صرف العناية في كشف الكفاية ص(١٥١).

الثّعلبي مِنَ المُفسِّرين[١]، والثّعالبي مِنَ الأُدباء[٢]. وأرى أنّ ابنَ خالويه هو أوّلُ مَنْ استعمل هذا المصطلح؛ إذا ما اعتبرنا وفاة مُستخدميه هي الفيصل في تقدم عالِمٍ على صاحبِه. وهذهِ نصوصٌ تؤكّد استعمالَ أصحابها لمصطلح واو الثّمانية صراحةً:

١- الحسين بن أحمد، أبو عبد الله بن خالويه (ت٣٧٠هـ): - قال الزّركشي (ت٧٩٤هـ): « ... وفي هذا ما حُكي أنّه اجتمع أبو عليٍّ الفارسيُّ مع أبي عبد الله الحسين بن خالويه في مجلس سيف الدّولة، فسُئل ابن خالويه عن قوله تعالى : (حتّى إذا جاءوها فُتِحَتْ أبوابها) في النّار بغير واوٍ وفي الجنّة بالواو، فقال ابن خالويه : هذهِ واو الثّمانية ...»[٣].

٢- أحمد بن محمَّد بن إبراهيم الثّعلبي، أبو إسحاق (ت٤٢٧هـ): صاحب تفسير (الكشف والبيان في تفسير القرآن)، المعروف بتفسير الثّعلبي[٤]. وقد ذكرتْ كتب النّحو والتّفسير أنّه مِنْ أوائل المفسّرين الّذين استعملوا هذا المصطلح في كتابه المذكور آنفًا وأيّده. فقيل : « واو الثّمانية، ذكرها جماعة مِنَ الأُدباء ... ومِنَ المُفسِّرين كالثّعلبي»[٥].

٣- عبد الملك بن محمَّد، أبو منصور الثّعالبي (ت٤٢٩هـ)، قال: «ومنها واو الثّمانية كقولك: واحد اثنان ثلاثة أربعة خمسة ستّة سبعة وثمانية ... وواو

(١) ينظر: مُغني اللّبيب ٤٧٤/١، الإتقان في علوم القرآن ٢٥٧/٢، صرف العناية في كشف الكفاية ص(١٥١).

(٢) ينظر: فقه اللُّغة وسرُّ العربيّة ص(٥٣١).

(٣) البرهان في علوم القرآن ١٨٩/٣. وينظر: الجامع لأحكام القرآن ٢٣٤/٨.

(٤) ينظر: الأعلام ٢١٢/١.

(٥) مُغني اللّبيب ٤٧٤/١. وينظر: المحرّر الوجيز ٥٠٨/٣، الجامع لأحكام القرآن ٣١٨/١٠

الثَّمانية مُستعمَلةٌ في كلام العرب»[١].

٤- **القاسم بن عليٍّ، أبو محمَّد الحريري** (ت٥١٦هـ)، قال: « ومِنْ خصائص لغة العرب إِلحاق الواو في الثَّامن مِنَ العدد ... وتُسمَّى هذهِ الواو: واو الثَّمانية»[٢].

وقد تنبَّه عدد مِنَ العلماء إِلى هذهِ الواو على الرُّغم مِنْ أنَّهم لم يقولوا بهذا المصطلح، بل كان كلامهم تنظيرًا للآخرين الَّذين وضعوا المصطلح. فأوَّلُهم الَّذي له قصب السَّبق لولادة مصطلح جديد هو أبو بكر سالم عيَّاش (ت١٩٣هـ)، إذ قال القرطبي (ت٦٧١هـ) في كلامه على قوله تعالى: ﴿حتَّى إِذا جاءوها وفُتِحَتْ أبوابُها﴾: - «وقيل: إِنَّها واو الثَّمانية وذلك عادة قريش أنَّهم يعدُّون مِنَ الواحد فيقولون خمسة ستَّة سبعة وثمانية، فإذا بلغوا السَّبعة قالوا: وثمانية. قاله أبو بكر بن عيَّاش»[٣]. وقد تلا تلوهُ في ذلك محمَّد بن أحمد ابن الحسين الشَّاشي القفَّال (ت٥٠٧هـ)، إذ قال: «إِنَّ قوماً قالوا: إنَّ العدد ينتهي عند العرب إِلى السَّبعة، فإذا احْتيجَ إِلى الزِّيادة عليها استُؤنفَ خبر آخر بإدخال الواو ...»[٤]. وأبو عبد الله محمَّد بن عبد الله المالقي (ت٥١٩هـ) فقال: « العرب مِنْ شأْنهم أَنْ يقولوا إِذا عَدُّوا: واحِد اثنان ثلاثة أربعة خمسة ستَّة سبعة وثمانية تسعة عشرة. وهكذا لغتهم. ومتى جاء في كلامهم أمر ثمانية أَدخلوا الواو.»[٥].

---

(١) فقه اللُّغة وسرُّ العربيَّة ص(٥٣٠- ٥٣١).

(٢) دُرَّة الغواص ص(٢٤).

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٢٢٨/١٥، و٣١٨/١٠. وينظر: المحرِّر الوجيز ٥٠٨/٣.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٣١٨/١٠.

(٥) الجامع لأحكام القرآن ٢٣٥/٨. وينظر: المحرِّر الوجيز ٨٩/٣ - ٩٠.

مِنْ هذهِ النُّصوص نتوصَّل إلى أنَّ هؤلاء العلماء – الَّذين قالوا بهذا المصطلح، أو الَّذين تنبَّهوا لهذهِ الواو – وجدوا أنَّ لهذهِ الواو خصيصة تختلف عن واو العطف وواو الاستئناف وغيرهما منَ الواوات.

وقد وجدوا – أيضًا – بعد أنْ قُعِّدَ النَّحو، وأخذ المنطق والفلسفة يدبَّان فيه مِنْ كُلِّ جانب أنَّ لهذهِ الواو دلالات تختلف عن بقيَّة الواوات، ولا يمكن أنْ تدخل تحت تلك المُسمَّيات الإعرابيَّة للواو . لهذا فهي – عندهم – ليستْ واو العطف أو واو الاستئناف أو الواو الزائدة . وأخذوا في تعليل ورودها في الصِّفة الثَّامنة تعليلات مختلفة وبأدلَّة شتَّى، منها:

١– إنَّ ذِكْرَ عددِ مِنَ الصِّفات بغير واو مرّة وبواوٍ مرَّة أُخرى يأتي مِنْ خللِ أنَّ «لكلِّ مقام معنىً يُناسبه، فإذا كان المقامُ مقامَ تعداد صِفات مِنْ غير نظرٍ إلى جمعٍ أو انفرادٍ حسُن إسقاط حرف العطف، وإنْ أُريدَ الجمع بين الصِّفتين أو التَّنبيه على تغايرهما عُطف بالحرف، وكذلك إذا أُريدَ التَّنويع لعدم اجتماعهما أُتي بالحرف أيضًا»[1].

أي إنَّ الجمع بين الصِّفات هو الَّذي جَلَبَ الواو مع الصِّفة الثَّامنة، وهو الَّذي أسقطها لعدم وجود جامعٍ بين الصِّفات تلك؛ لهذا ذُكِرتْ تارة وتُرِكَتْ تارة أُخرى.

٢– إنَّ هذه الواو جاءتْ لتصديق القائل، ولتأكيد أنَّ ما بعد هذهِ الواو هو الحقُّ؛ وذلك «لأنَّها عاطفة على كلامٍ مضمر، تقديره: نعم، وثامنهم كلبهم، وذلك أنَّ قائلاً لو قال: إنَّ زيدًا شاعرٌ، فقلتَ له: وفقيه،كنتَ قد صدقتَهُ، كأنَّكَ قلتَ: نعم هو كذلك، وفقيهٌ أيضًا ... »[2].

---

(١) الأشباه والنظائر في النَّحو ٩٨/٤. وينظر: المحرَّر الوجيز ٨٩/٣.

(٢) الرَّوض الأُنف ١٧٠/٣. وينظر: الجامع لأحكام القرآن ٣١٩/١٠.

٣- وقيل: إنّها جاءتْ مع الصِّفة الثّامنة لتدلَّ على أنَّ الشيءَ قد تمَّ وأنَّ القصَّة قد تمّتْ، قال الزَّجّاجُ (ت٣١١هـ): « وقد يجوز أنْ يكون الواو يدخل ليَدُلَّ على انقطاع القصَّة وأنَّ الشيء قد تمَّ.»[١]. وتدلُّ أيضًا على أنَّ ما بعد هذه الواو أمر قطعيٌّ وحقيقيٌّ، لذا قال ابن عبَّاس (ت٦٨هـ) - رضي الله عنهما - « حين نعقب الواو [في قوله: ﴿وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾] انقطعت العدَّة»[٢].

٤- وقال الزَّمخشري (ت٥٣٨هـ): إنَّ هذه الواو جاءتْ لتؤكِّد لصوق الصِّفة بالموصوف، وإنَّ اتصافه بها هو أمر ثابت مستقرٌّ[٣].

٥- إنَّ الواو جاءتْ بين الصِّفتينِ السَّابعة والثَّامنة؛ لأنَّهما صفتان متنافيتان، ولم تأتِ بين الصِّفات الأُخرى؛ لاجتماع هذه الصِّفات وعدم تنافيها، فكان لابدَّ منَ الواو في الصِّفات المتنافية، وتركها في الصِّفات المجتمعة في المعنى[٤].

٦- وذهب ابن الحاجب (ت٦٤٦هـ) إلى أنَّ هذه الواو جاءتْ إقرارًا منَ الله تعالى على أنَّ عددهم سبعة وأنَّ كلبهم هو ثامنهم في قوله تعالى: ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾، ثُمَّ يُفهم أنَّ القائلينَ بأنَّ عددهم سبعة أصابوا فيما ذهبوا إليه[٥]. ثُمَّ إنَّهم قالوه عن ثباتِ علمٍ وطمأنينة نفسٍ[٦].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٢٧٧/٣. وينظر: إعراب القرآن ٢٧١/٢، مشكل إعراب القرآن ٣٩/٢، تفسير النَّسفي ١٤٨/٢.

(٢) جواهر الأدب ص(٩٦).

(٣) ينظر: الكشَّاف ٤٧٩/٢. وقد نسب صاحب كتاب جواهر الأدب، الإمام الإربلي - في الصَّفحة ٩٦ - هذا الرأْي إلى الإمام أبي صاعد الغزنوي (ت٥٨٢هـ) في كتابه المُسمَّى بالتَّفسير في التَّفسير.

(٤) ينظر: الكشاف ١٢٨/٤، تفسير النَّسفي ١٤٨/٢، ٧١/٤، عمدة القاري ٤٢٧/١٣، الأَشباه والنَّظائر في النَّحو ٩٩/٤.

(٥) ينظر: أمالي ابن الحاجب ٢٤٩/١.

(٦) ينظر: الكشاف ٤٧٩/٢، تفسير النَّسفي ٩/٣.

المُعتَرِضونَ على مصطلح واو الثَّمانية:

أنكرَ عددٌ مِنَ العلماءِ صحَّة مصطلح (واو الثَّمانية) وردُّوه. وتجاهل عدد آخر هذا المصطلح. فممَّنْ أنكرَهُ وردَّهُ، وذهب إلى غلطه:

١- الحسن بن علي، أبو عليٍّ الفارسيّ (ت٣٧٧هـ): أوضح الفارسيُّ رأيه في المناظرة التي ذكرناها بينه وبين ابن خالويه في تخريج الواو التي وردتْ مع آية أهل الجنَّة ولم تردْ مع آية أهل النَّار في قوله تعالى ﴿وفُتحَتْ أبوابُها﴾، « ... فقال ابن خالويه: هذه الواو تُسمَّى واو الثَّمانية؛ ... قال فنظر سيف الدَّولة إلى أبي عليٍّ الفارسيِّ، وقال: أحَقٌّ هذا ؟ فقال أبو عليٍّ لا أقول كما قال، إنَّما تُركت الواو في النَّار لأنَّها مغلقةٌ، وكان مجيئهم شرطًا في فتحها ... وأمَّا قوله (وَفُتحتْ) في الجنَّة فهذه واو الحال»[1].

٢- عليُّ بن عيسى، أبو الحسن الرَّبعي (ت٤٢٠هـ): قال الرمّانيّ (ت ٣٨٤هـ): « وذهب بعض المُفسِّرين إلى أنَّ الواو ها هنا [أي في الآية المذكورة في الفقْرة السَّابقة] تدلُّ على أنَّ للجنَّة ثمانية أبواب. قال: لأنَّ العرب تستعمل الواو فيما بعد السَّبعة، واحتجَّ على ذلك بقوله تعالى: ﴿ويقولون سبعة...﴾. وكان علي بن عيسى يُصحِّح هذا القول ....»[2].

٣- عبد الرَّحيم بن عبد الكريم بن هوازن القُشَيريِّ، أبو نصر (ت٥١٤هـ): ردَّ أبو نصر القُشيري هذا المصطلح بأدلَّة مِنَ القرآن الكريم، ولم يُوافق قول مَنْ قال: إنَّ السَّبعة هو نهاية العدد عند العرب بعامّة، وعند القُرَشيينَ بخاصة، فقال:

---

(١) البرهان في علوم القرآن ١٨٩/٣. وينظر: المحرَّر الوجيز ٨٩/٣، الجامع لأحكام القرآن ٢٣٤/٨.

(٢) معاني الحروف ص(٦٤).

«ومثل هذا الكلام تحكُّم، ومن أينَ السَّبعة نهاية العدد عندهم! ثُمَّ هو منقوضٌ بقوله تعالى ﴿هُوَ اللهُ الَّذي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلاَمُ الْمُؤْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾(١). ولم يذكر الاسم الثّامن بالواو»(٢). أيْ إنَّ (المُتكبِّر) صفة ثامنة لله تعالى ولكنْ لم تُذكرْ معها الواو.

٤– عبد الحقِّ بن عطيَّة الأندلسيِّ، أبو محمَّد (ت٥٦٤هـ): يفترض ابن عطيَّة أنَّ واو الثّمانية هي واو زائدة يمكن الاستغناء عنها، على حين النُّصوص القرآنيَّة الخمسة المذكورة آنفًا لا تبدو فيها الواو زائدةً (٣)؛ لذلك قال « ... بل هي [الواو] لازمة لا يستغني الكلام عنها»(٤). فعلى رأيِه هذا تكون الواو هذه عاطفة وليستْ واو الثّمانية.

٥– عبد الرَّحمن بن محمَّد، أبو البركاتِ الأنباريِّ (ت٥٧٧هـ) قال ابن عطيَّة: « وقال قوم: أشار إليهم ابن الأنباريِّ وضعَّف قولهم: هذهِ واو الثّمانية مستوعبًا في سورة الكهف»(٥).

٦– أحمد بن محمَّد بن المُنير السِّكندريِّ المالكيِّ (ت٦٨٣هـ): وهو أشدُّ المعارضينَ لهذا المصطلح، وقد ردَّ على القائلين به في أغلب الآيات الَّتي وردتْ فيها واو الثّمانية. فقال في قولـــه تعالى ﴿وَفُتِحَتْ أبوابُها﴾: « قالوا: [هي واو الثّمانية] لأنَّ أبواب الجنَّة ثمانية وأبواب النّار سبعة، وهَبْ أنَّ في اللُّغة واوًا تصحب الثّمانية فتختصُّ بها، فأينَ ذِكْرُ العدد في أبواب الجنَّة حتَّى ينتهي إلى

(١) الحشر/ ٢٣.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٣١٩/١٠.

(٣) المحرَّر الوجيز ٥٠٨/٣.

(٤) المحرَّر الوجيز ٥٠٨/٣.

(٥) المحرَّر الوجيز ٥٤٣/٤. ولم أعثرْ على رأي ابن الأنباريِّ هذا فيما تيسَّرَ لي مِنْ كتبه.

الثّامن فتصحبه الواو؟»[١]. يريد أنْ يقولَ: إنّ هذا المصطلح مردود؛ لعدم ذِكْرِ الصّفات أو المعدودات الثّمانية في النّص القرآني .

وقال في الواو الواردة في قوله تعالى: ﴿وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾: « وهذا أيضًا مردود بأنّ الواو إنّما اقترنتْ بهذه الصّفة لتربط بينها وبين الأُولى الّتي هي ﴿الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ لما بينهما مِنَ التّناسب والرّبط»[٢]. فيرى أنّ التّناسب الحاصل، والرّابط بين ﴿الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ و﴿ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ هو الّذي جاء بالواو، ولا علاقة للصّفات المذكورة قبلهما بمجيء الواو.

وردّها - أيضًا - في قوله: ﴿ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَاراً﴾، فقال « وربّما عدّ بعضهم مِنْ ذلك الواو في قوله: ﴿ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَاراً﴾ لأنّه وجدها مع الثّامن، وهذا غلط فاحش فإنّ هذه الواو واو التّقسيم، ولو ذهبتَ تحذفها فتقول ثيّبات أبكارًا، لم يستدّ الكلام»[٣]. أيْ إنّ واو الثّمانية واو زائدة -كما أجملنا ذلك، وسنُفصّله عند عرض أشكال إعراب هذه الواو - فلو كانتْ كذلك فكيف يمكن أنْ تُحْذفَ ؟ وبذلك لا يمكن الجمع بين الثّيب والباكر دون واو؛ لأنّهما صفتان متنافيتان -كما بيّنّا -.

وبعد أنْ قدّم هذه الأدلّة توصّل إلى أنّ الواو في جميع هذه المواضع واردة لغير ما زعمه القائلون في كون هذه الواو واو الثّمانية[٤].

٧- محمّد بن يوسف، أبو حيّان الأندلسيّ: لم يرضَ أبو حيّان الأندلسيّ بهذا المصطلح، فبعد أنْ قدّم دعوى القائلينَ به ، وعلّل مجيء هذه الواو في عدد

---

(١) الإنصاف فيما تضمّنه الكشّاف مِنَ الاعتزال، (بهامش تفسير الكشّاف) ٢/٤٧٩.

(٢) الإنصاف فيما تضمّنه مِنَ الاعتزال ٢/٤٧٩.

(٣) الإنصاف فيما تضمّنه الكشّاف مِنَ الاعتزال ٢/٤٧٩.

(٤) الإنصاف فيما تضمّنه الكشّاف مِنَ الاعتزال ٢/٤٧٩.

منْ آيات القرآن الكريم، قال: «ودعوى الزِّيادة أو واو الثَّمانية ضعيف»[١]. لأنَّه يرى أنَّ الصِّفات إذا كانتْ للمدح أو للذمِّ أو للتَّرحُّم جاز فيها الإتباع للمنعوت بالواو، أو القطع بدون ذكر الواو في بعضها أو كلِّها[٢].

٨- محمَّد بن أبي بكر، ابن قيِّم الجوزيَّة: لم يرضَ ابن القيِّم - أيضًا - بهذا المصطلح، وهي عنده واو العطف[٣]، فقال في قوله تعالى: ﴿ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَاراً﴾: «فقيل: هذه واو الثَّمانية لمجيئها بعد الوصف السَّابع وليس كذلك، ودخول الواو هنا مُتعيِّن؛ لأنَّ الأوصاف الَّتي قبلها، المراد اجتماعها في النِّساء، وأمَّا وصفا البكارة والثُّيوبة فلا يمكن اجتماعهما فتعيَّن العطف»[٤].

٩- عبد الله بن يوسف، ابن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ): عدَّ ابن هشام واو الثَّمانية زائدة، إذ قال في عدد من الآيات الَّتي وردتْ فيها واو الثَّمانية: «وقول جماعة: إنَّها واو الثَّمانية وإنَّ منها ﴿وثامنهم كلبُهم﴾ لا يرضاه نحويٌّ، والقول به في آية الزُّمر أبعد منه في ﴿والنَّاهون عن المنكر﴾، والقول به في ﴿ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَاراً﴾ ظاهر الفساد»[٥]. وقد أورد رأْيه هذا في سياق كلامه عن واو الثَّمانية. ولم يقف ابن هشام عند هذا الحدِّ، بل ذهب إلى أنَّ الواو في آية التَّحريم جاءتْ مع الصِّفة التَّاسعة، وليستْ مع الثَّامنة مخترقًا إجماع النُّحاة والمُفسِّرينَ والأُدباء على أنَّها جاءتْ مع الصِّفة الثَّامنة؛ إذ قال: « ... ثُمَّ إنَّ ﴿أَبْكَاراً﴾ صفة تاسعة لا ثامنة، إذ أوَّل الصِّفات (خيرًا منكُنَّ) لا (مُسلِمات).»[٦].

---

(١) تفسير البحر المحيط ١٠٤/٥.

(٢) ينظر: تفسير البحر المحيط ١٠٤/٥.

(٣) ينظر: بدائع الفوائد ٥٤/٣.

(٤) بدائع الفوائد ٥٤/٣.

(٥) الإعراب عن قواعد الإعراب ص(١٣٩ - ١٤١).

(٦) مُغني اللَّبيب ٤٧٧/١.

١٠- الشَّيخ خالد بن عبد الله الأزهريّ (ت٩٠٥هـ): أيَّد الشَّيخ خالد في شرحه لكتاب ابن هشام الأنصاريّ (الإعراب عن قواعد الإعراب) آراءه؛ ففسَّر قوله «لا يرضاه نحويٌّ» قائلاً: «لأنَّه لا يتعلَّق به حكم إعرابيٌّ ولا سرٌّ معنويٌّ»[١]. أيْ إنَّ إعرابنا لهذه الواو (واو الثَّمانية) لا يحمل أيَّة قيمةٍ إعرابيَّة ظاهرة، أو تخريجٍ معنويٍّ يمكن أنْ نقدِّره، فلذلك تُرِكَ المصطلح مِنْ قبل أغلب النَّحويين.

وفَسَّر - أيضًا - قول ابن هشام « ظاهر الفساد» ، فقال: « لأنَّ واو الثَّمانية صالحة للسقوط عند القائل بها، وهي في هذهِ الآية [﴿ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَاراً﴾] لا يصحُّ إسقاطها إذ لا تجتمع الثُّيوبة والبكارة»[٢].

١١- جلال الدِّين السُّيوطيّ (ت٩١١هـ): لم يوافقْ السُّيوطيُّ على أنَّ هذه الواو هي واو الثَّمانية، فبعد أنْ عرض الآيات الَّتي وردتْ فيها (واو الثَّمانية). قال: «والصَّواب عدم ثبوتها وأنَّها في الجميع للعطف»[٣].

مِنْ هذا العرض السَّريع لآراء عددٍ مِنَ العلماء[٤]، نرى أنَّ منْهم مَنْ تجاهل هذا المصطلح؛ لقلَّة تداوله كالفارسيِّ والرَّبعي وأبي بركات الأنباري. ومنْهم مَنْ قال: إنَّ هذه الواو لم تقع مع الصِّفة الثَّامنة في عددٍ مِنَ الآيات كأبي نصر القُشيريِّ وابن هشام؛ ولكنَّنا نقول إنَّ هذه الواو لا تأتي مع الصِّفة الثَّامنة دائمًا إلاَّ إذا كان هناك شرط التَّنافي بين الصِّفة السَّابعة والصِّفة الثَّامنة،كما قال

(١) مُوصِل الطُّلاَّب إلى قواعد الإعراب ص(١١٧).

(٢) مُوصِل الطُّلاَّب إلى قواعد الإعراب ص(١١٧).

(٣) الإتقان في علوم القرآن ٢/٢٥٧.

(٤) ليس الَّذين ذكرتهم هم المعارضون الوحيدون لهذا المصطلح، بل ثمَّةَ علماء آخرونَ أنكروا المصطلح؛ ولكنَّنا سَرَدنا آراء أهمِّهم.

الزَّمخشريُّ وابن قيِّم الجوزيَّة وغيرهما. فإنْ لم يكن التَّنافي بينهما جاز ذِكْرُ الواو وجاز عدم ذكرها، كما في قوله تعالى المذكور آنفًا: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَـٰهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلاَمُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾(١).

وبقية الآراء الَّتي تذهب إلى أنَّها واو الحال، أو واو العطف، أو واو زائدة، أو واو التَّقسيم سنُناقشها في الفقرة القابلة مِنْ البحث هذا.

إعــــرابُها:

ذَكَرْنا أنَّ ابن خالويه، والحريريَّ، والثَّعلبيَّ، والثَّعالبيَّ، يعربونها (واو الثَّمانية)، لكنَّ أغلب النَّحويينَ سمَّوها بغير هذا المصطلح، هي :

١- **حرف عطف**: ذهب ابنُ عطيَّة، والقرطبيُّ، وأبو حيَّان، والسُّيوطيُّ(٢)، وغيرهم إلى أنَّها واو عطف؛ لدليلٍ أنَّها أفادتْ في الصِّفة السَّابعة والثَّامنة معنى الإشراك والجمع. وأنَّها عطفت معنى الصِّفة الثَّامنة على معاني الصِّفات التي قبلها. ويبدو أنَّ القائلين بهذا الرَّأي يأخذونَ النُّصوص على ظاهرها دون الاكتراث بالمعاني الَّتي تعتور الألفاظ في الجُمل.

٢- **حرف زائد**: ذهب أغلب النَّحويينَ، والمُفسِّرينَ إلى أنَّ هذهِ الواو هي واو زائدة(٣)، دخولها مثل خروجها في قولهِ تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا

---

(١) الحشر /٢٣.

(٢) ينظر على التَّتالي: المُحرِّر الوجيز ٥٠٨/٣، الجامع لأحكام القرآن ٣١٨/١٠، تفسير البحر المحيط ١١٤/٦، الإتقان في علوم القرآن ٢٥٧/٢، الأشباه والنَّظائر في النَّحو ٩٨/٤، ٩٩.

(٣) ينظر: معاني القرآن للفرَّاء (ت٢٠٧هـ) ٢١١/٢، معاني القرآن للأخفش ٦٧٣/٢، المُقتضب ٨٠/٢، تفسير الطَّبري (ت٣١٠هـ) ٤٣/٢٤- ٤٤، معاني القرآن وإعرابه ٢٧٧/٣، شرح القصائد السَّبع الطِّوال الجاهليَّات ص(٥٥)، إعراب القرآن ٢٧١/٢، –

وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾.

والحقّ أنّ البصريين والكوفيين اختلفوا في الواو الواردة في قوله تعالى المذكور في هذه الفقْرة فذهب البصريُّونَ إلى أنّها واو عاطفة لا يمكن أنْ تكون زائدة، بأيّة حالٍ من الأحوال، وذهب الكوفيون إلى أن واو العطف تكون زائدة، وإلى هذا الرّأي ذهب الأخفش (ت٢١٥هـ)، والمُبرِّد (ت٢٨٥هـ)، وابن بَرْهان (ت٤٥٦هـ) منَ البصريين. واحتجَّ الكوفيُّون على زيادة الواو بقوله تعالى: ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ المذكورة، وردَّ البصريونَ عليهم بأنّ هذه الواو حرف عطفٍ، ووافقهم أبو البركات الأنباريّ[1]، في ذلك.

والنّاظر في هذا الخلاف يجد أنّ البصريينَ والكوفيينَ اتّفقوا على أنّ هذه الواو هي واو العطف، وخلافهم كان حول: هل تكون الواو العاطفة زائدة، أم هي واو عاطفة فقط . والفائدة مِن هذا الخلاف أنّ كلا الفريقينِ آمنَ أنّ هذهِ الواو هي واو عاطفة؛ وهذا يعْضُدُ ما ذهبنا إليه مِنْ أنّ قدماء النّحو لم يعرفوا مصطلح (واو الثّمانية).

وقد ضعّف بعض النّحويينَ المُتأخّرين كون هذهِ الواو زائدة، قال أبو

= ٨٣٠، معاني الحروف ص(٦٣)، مُشكل إعراب القرآن ٣٩/٢، ٢٦١، شرح عيون الإعراب ص(٢٤٩)، الاقتضاب في شرح أدب الكتّاب ٢١٧/٣- ٢١٨، البيان في غريب إعراب القرآن ٢٧٤/٢، ٤٥٦، الجامع لأحكام القرآن ٢٣٤/٨، شرح عمدة الحافظ وعُدّة اللافظ ص(٥٣٨)، تفسير النّسفي ٧١/٤، خزانة الأدب ٤٣/١١ وما بعدها، وغيرها مِنَ المصادر.

(١) ينظر في المسألة: الاقتضاب في شرح أدب الكُتّاب ٢١٧/٣- ٢١٨، المُحرِّر الوجيز ٥٤٣/٤، الإنصاف في مسائل الخلاف المسألة (٦٤)، ٤٥٦/٢- ٤٦٢، الدُّرُّ المصون ٢٥/٦، ائتلاف النُّصرة في اختلاف نُحاة الكوفة والبصرة ص(١٤٨).

حيَّان: « ودعوى الزِّيادة [في هذه الواو] أو واو الثَّمانية ضعيف»[١].

٣- **واو الحال:** - وذهب فريقٌ[٢]، آخر إلى أنَّ هذه الواو هي واو الحال، قال أبو عليٍّ الفارسيّ: «... وأمَّا قولُهُ (وفُتِحَتْ) في الجَنَّة فهذه واو الحال كأنَّه قال: جاؤوها وهي مفتوحة الأبواب»[٣]. وقال الزَّركشيُّ: إنَّ رأْيَ الفارسيِّ هذا هو الصَّواب[٤]. وفصَّل الزَّمخشريُّ ذلك فقال: « قلتُ: هي الواو الَّتي تدخل على الجملة الواقعة صفة للنَّكرة كما تدخل على الواقعة حالاً عن المعرفة في نحو قولك: جاءني رجلٌ ومعه آخر، ومررتُ بزيد وفي يده سيفٌ»[٥].

٤- **واو الاستئناف:** - وقيل: إنَّها جاءت للاستئناف؛ لتدُلَّ على انقطاع ما قبل الواو عمَّا بعدها[٦].

٥، ٦- **واو الابتداء: وهي واو إذْ :** - قال مكِّي بن أبي طالب (ت ٤٣٧هـ) عند سرده لأشكال إعراب هذه الواو: « ويُقال [فيها] واو الابتداء، ويُقال واو (إذْ) أيْ هي بمعنى إذْ ...»[٧]. وردَّ ابن هشام هذا الرَّأْي؛ كون واو الحال، و واو الابتداء، و واو (إذْ) شيئًا واحدًا، فقال: « والثَّلاثة بمعنىً واحدٍ»[٨].

---

(١) تفسير البحر المحيط ١٠٤/٥. وينظر: الجامع لأحكام القرآن ٢٣٤/٨.

(٢) ينظر: مُشكل إعراب القرآن ٣٩/٢، وضَحُ البرهان في مشكلات القرآن ٢٦١/٢، الدُّرُّ المصون ٢٦/٦.

(٣) البرهان في علوم القرآن ١٨٩/٣، وينظر: الجنى الدَّاني ص(١٩٦)، مُغني اللَّبيب ٤٧٦/١

(٤) البرهان في علوم القرآن ١٨٩/٣.

(٥) الكشَّاف ٤٧٩/٢.

(٦) أمالي ابن الحاجب ٢٤٩/١، الدُّرُّ المصون ٤٤٥/٤.

(٧) مُشكِل إعراب القُرآن ٣٩/٢.

(٨) مُغني اللَّبيب ٤٧١/١.

٧- واو التّقسيم: - وهذا المصطلح مِنْ ابتداعات الإمام ناصر الدِّين أحمد بن محمّد السّكندريّ إذْ قال عند حديثه على قوله تعالى ﴿ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا ﴾ : « وربّما عدَّ بعضهم مِنْ ذلك الواو في قولِهِ ﴿ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا ﴾ لأنَّهُ وجدها مع الثّامن، وهذا غلط فاحشٌ فإنَّ هذه الواو واو التّقسيم، ولو ذهبتَ تحذفها فتقول: ثيِّباتٍ أبكاراً لم يستدَّ الكلام ...»[1].

الخاتمـــة:

وبعد أنْ عرفنا واو الثّمانية، وعلّة ورودها ووجه إعرابها عند علماء التّفسير، والحديث، والنّحو، والأدب، نقول إنَّ هذه التّسمية لم تلقَ رضا العديد مِنَ العلماء، وسمّاها كثيرٌ مِنهم بغير واو الثّمانية. والباحثُ يرى أنَّ هذه الواو هي واو وردت في القرآن الكريم وحدَه؛ لذا فهي (واو قرآنيّة) انفرد القرآن الكريم بذكرها حصرًا، دون غيرِهِ مِنَ مصادرِ النّحو واللّغة، وهذه أدلّةٌ على قيلنا:

١) إنَّ المتقدّمين مِنَ النّحويينَ والمُفسّرينَ لم يعرفوا مصطلح (واو الثّمانية). على الرُّغم مِنْ أنَّ لهذه الواو وضعًا خاصًـــا يجعلها تختلف عن غيرها مِنَ الواوات، وكما بيّنّا ذلك مُفصّلاً في عِلَلِ ورود هذه الواو.

٢) اختلاف النّحويينَ فيما بينهم في تسمية الواو هذه، فهي عند عددٍ منهم واو العطف، وعند أكثرهم زائدة، وفريق ثالث يذهب إلى أنّها واو الحال أو للابتداء، وسمّاها فريق رابع واو التّقسيم -كما بيّنّا -، ثُمَّ اختلف البصريُّون والكوفيُّون فيها. وهذا التّشتيت يعني أنَّ النّحويينَ لم يتّفقوا على تسميةٍ واحدةٍ

(١) الإنصاف فيما تضمّنه الكشّاف مِنَ الاعتزال ٤٧٩/٢. وينظر في: مُغني اللّبيب ١/ ٤٧٦، وإرشاد السّاري ٣٩٧/٧، ما يُشعِر كون الواو في قولِهِ تعالى ﴿ثيِّباتٍ وأبكارًا﴾ واو التّقسيم.

هذه الواو. ولأنها ذُكِرتْ في القرآن حصرًا فمِنَ الأهمّية بمكان أنْ يكون اسمها (**الواو القرآنيَّة**)، لكي نسمِّي الأشياءَ بمسمّياتها. ومِنْ هذا كثيرٌ في النَّحو العربي؛ فمثلاً: سُمِّيتْ إحدى اللامات بـــ(المُزَحْلَقَة) لأنَّها زُحلقتْ مِنَ المُبتدأ إلى الخبر عند دخول (إنَّ) عليهما.

٣) لم أعثرْ أنا، أو غيري مِنَ الباحثينَ على شواهدَ سبقتْ نزول القرآن الكريم، وردتْ فيها (واو الثَّمانية). لهذا لا نرى شواهد شعريَّةً، أو نصوصًا نثريَّة توثِّق لواو الثَّمانية غير الشَّواهد القرآنيَّة الخمسة المذكورة في أوَّل هذا البحث. ومهما يكن مِنْ شيءٍ فإنَّها لغة قريش -كما أسلفنا - والقرآن الكريم نزل بلغةِ هذه القبيلة[1].

٤) رَفَضَ كثيرٌ مِنَ النَّحويينَ مصطلح (واو الثَّمانية)، ووسَمُوهُ بالضَّعيف، ومِنْهم مَنْ قال: إنَّ هذه الواو لم تأْتِ مع الصِّفة الثَّامنة بل مع الصِّفة التَّاسعة، لهذا نرى أنَّ النَّحويينَ لم يستقرُّوا على هذه الواو، وكان الخلاف بينهم عليها شديدَ المحال.

وللتَّخلُّص مِنْ كلِّ هذا، وللأَدلَّة الَّتي قدَّمناها نرى أنَّ مصطلح (**الواو القرآنيَّة**) هو مصطلح يخدم مادَّة النَّحو بقدْرٍ كبيرٍ، وينأى به عن الخلافات والمصطلحات المُتعدِّدة، ونستطيع جمعها كلَّها تحتَ هذا المصطلح، مع الاحتفاظ للقدماء بفكرهم وطريقة بحثهم الرَّائعة.

والحمدُ لله أوَّلاً وآخرًا

---

(١) [يقول الثعالبي في فقه اللغة: ٥٣١ «وواو الثمانية مستعملة في كلام العرب»/ المجلة].

المصـــادر

١- القرآن الكريم.
٢- ائتلاف النُّصرة في اختلاف نُحاة الكوفة والبصرة -لعبد اللَّطيف بن أبي بكر الزَّبيدي (ت٨٠٢هـ) - تح: د - طارق الجَنابي - بيروت ١٩٨٧م.
٣- الإتقان في علوم القرآن - لجلال الدِّين السُّيوطي (ت٩١١هـ) - تح: محمَّد أبي الفضل إبراهيم - مكتبة دار التُّراث - القاهرة .
٤- إرشاد السَّاري، شرح صحيح البخاري - لشهاب الدِّين القسطَّلاني (ت ٩٢٣هـ) - ط/٧- المطبعة الميريَّة ببولاق - مصر ١٣٢٣هـ.
٥- الأشباه والنَّظائر في النَّحو - لجلال الدِّين السُّيوطي (ت٩١١هـ) - تح: طه عبد الرَّؤوف سعد - مكتبة الكُلِّيَّات الأزهريَّة - مصر ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
٦- الإعراب عن قواعد الإعراب - لابن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ) - تح: رشيد عبد الرَّحمن العبيدي - ط/١ - دار الفكر/بيروت ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.
٧- إعراب القرآن - لأبي جعفر النَّحاس (ت٣٣٨هـ) - تح: د. زهير غازي زاهد - مطبعة العاني - بغداد ١٩٧٩م.
٨- الأعلام - لخير الدِّين الزِّرِكْلي - ط/٤ - دار العلم للملايين/بيروت ١٩٧٩م.
٩- الاقتضاب في شرح أدب الكُتَّاب - لابن السيِّد البطليوسي (ت٥٢١هـ) - تح: مصطفى السَّقَّا، ود. حامد عبد المجيد - دار الشؤون الثَّقافيَّة العامَّة/بغداد ١٩٩٠م.
١٠- أمالي ابن الحاجب - لابن الحاجب (ت٦٤٦هـ) - تح: د. فخر صالح سُليمان - دار الجيل/بيروت - دار عمَّار/عمَّان ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
١١- الإنصاف فيما تضمنَّه الكشَّاف مِنَ الاعتزال، (بحاشية تفسير الكشَّاف)- لناصر الدين أحمد بن محمَّد السَّكندري (ت٦٨٣هـ) - دار للمعرفة للطِّباعة والنَّشر/بيروت - لبنان.

١٢- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النَّحويين البصريين والكوفيين- لأبي البركات الأنباري (ت٥٧٧هـ) - تح: محمَّد مُحيي الدِّين عبد الحميد - دار الفكر.
١٣- بدائع الفوائد لابن قيِّم الجوزيَّة (ت٧٥١هـ) دار الكتاب العربي /بيروت لبنان.
١٤- البرهان في علوم القرآن - لبدر الدِّين بن عبد الله الزَّركشي (ت٧٩٤هـ) - تح: محمَّد أبي الفضل إبراهيم - دار الجيل/بيروت ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
١٥- البيان في غريب إعراب القرآن - لأبي البركات الأنباري (ت٥٧٧هـ)- تح: بركات يوسف - شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنَّشر والتَّوزيع / بيروت - لبنان .
١٦- تفسير البحر المحيط - لأبي حيَّان الأندلسي (ت٧٤٥هـ) - ط/٢ - دار الفكر للطباعة والنَّشر والتَّوزيع - ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
١٧- تفسير النَّسفي - لأبي البركات عبد الله بن أحمد النَّسفي (ت٧٥١هـ) - دار إحياء الكتب العربيَّة بمصر.
١٨- جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطَّبري) - لأبي جعفر محمَّد بن جرير الطَّبري (ت٣١٠هـ) - ضَبْطٌ وتعليق: محمود شاكر ط/ ١ - دار إحياء التُّراث العربي/ بيروت - لبنان ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
١٩- الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) لأبي عبد الله محمَّد بن أحمد القرطبي (ت٦٧١هـ) - تح: عماد زكي، وخيري سعيد المكتبة التَّوفيقيَّة بمصر.
٢٠- الجنى الدَّاني في حروف المعاني - لابن أمِّ قاسم المُرادي (ت٧٤٩هـ)- تح: طه محسن- مؤسسة دار الكتب للطباعة والنَّشر/ جامعة الموصل ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.
٢١- جواهر الأدب في معرفة كلام العرب - لعلاء الدِّين بن علي الإربلي - قدَّم له: محمَّد مهدي الموسوي - ط/ ٢ - المطبعة الحيدريَّة/ النَّجف ١٣٨٩هـ- ١٩٧٠م.

٢٢- خزانة الأدب ولُبُّ لُباب لسان العرب – لعبد القادر البغدادي (ت١٠٩٣هـ)
تح: عبد السّلام هارون – ط/٣ مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.
٢٣- دُرَّة الغواص في أوهام الخواص – لأبي القاسم محمَّد الحريري (ت٥١٦هـ)
– تح: هنري ثوربج – لايبزك ١٨٦١م.
٢٤- الدُّرُّ المصون في علوم الكتاب المكنون – لشهاب الدِّين أحمد بن يوسف المعروف بـــ(السَّمين الحلبي) (ت٧٥٦هـ) – تح: الشَّيخ علي محمَّد معوَّض، وآخرين – ط/١ – دار الكتب العلميَّة/ بيروت – لبنان ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.
٢٥- الرَّوض الأُنف – لعبد الرَّحمن السُّهيلي (ت٥٨١هـ) – تح: عبد الرَّحمن الوكيل – ط/١ – دار الكتب الحديثة/ القاهرة ١٣٨٧هـ – ١٩٦٧م.
٢٦- شرح عمدة الحافظ وعُدَّة اللافظ – لجمال الدِّين محمَّد بن مالك (ت٦٧٢هـ)
– تح: عدنان الدُّوري – مطبعة العاني – بغداد ١٣٩٧هـ – ١٩٧٧م.
٢٧- شرح عيون الإعراب – لعلي بن فضَّال المُجاشعي (ت٤٧٩هـ) – تح: د. حنَّا حدَّاد – ط/١ مكتبة المنار/ الأُردن ١٤٠٦هـ – ١٩٨٥م.
٢٨- صرف العناية في كشف الكفاية – لعبد الله بن محمَّد البِيتُوشي (ت١٢١١هـ)
– دار إحياء الكتب العربيَّة بمصر/١٣٤١هـ.
٢٩- عمدة القاري، شرح صحيح البخاري – لبدر الدِّين أبي محمَّد محمود العيني (ت٨٥٥هـ) – إشراف ومراجعة صدقي العطَّار – دار الفكر للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع/ بيروت – لبنان ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.
٣٠- فقه اللُّغة وسرُّ العربيَّة – لأبي منصور الثَّعالبي (ت٤٢٩هـ) – مطبعة الاستقامة/ القاهرة.
٣١- الكشَّاف – لأبي القاسم جار الله محمود الزَّمخشري (ت٥٣٨هـ) – دار المعرفة للطباعة والنَّشر / بيروت – لبنان.

٣٢- المُحرِّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز – لأبي محمَّد عبد الحقِّ بن عطيَّة الأندلسي (ت٥٤٦هـ) – تح: عبد السَّلام عبد الشَّافي محمَّد – دار الكتب العلميَّة/ بيروت – لبنان ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

٣٣- مُشكِل إعراب القرآن – لمكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ) – تح: ياسين محمَّد السَّوَّاس – مطبوعات مجمع اللغة العربية/ دمشق ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

٣٤- معاني الحروف – لأبي الحسن عليِّ الرُّمَّاني (ت٣٨٤هـ) – تح: د. عبد الفتَّاح شلبي – ط/٢ – مكتبة الطَّالب الجامعي/ مكَّة المكرَّمة ١٤٠٧هـ- ١٩٨٦م.

٣٥- معاني القرآن – لأبي الحسن الأخفش (ت٢١٥هـ) – تح: د. عبد الأمير محمَّد أمين الورد – عالم الكتب / بيروت.

٣٦- معاني القرآن – لأبي زكريَّا الفرَّاء (ت٢٠٧هـ) – تح: أحمد يوسف نجاتي، ومحمَّد علي النَّجَّار، ود. عبد الفتَّاح شلبي- ط/٢- الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب ١٩٨٠م.

٣٧- معاني القرآن وإعرابه – لأبي إسحاق الزَّجَّاج (ت٣١١هـ) – تح: د. عبد الجَليل شلبي – ط/ ١ – عالم الكتب / بيروت ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

٣٨- مُغني اللَّبيب عن كتب الأعاريب- لابن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ)- تح: د. مازن المبارك، ومحمَّد علي حمد الله – ط/١- مؤسَّسة الصَّادق/طهران ١٣٧٨هـ.

٣٩- المقتضب – لأبي العبَّاس المُبرِّد (ت٢٨٥هـ) – تح: محمَّد عبد الخالق عُضيمة – عالم الكتب / بيروت.

٤٠- مُوصِل الطُّلاب إلى قواعد الإعراب (بهامش إعراب الألفيَّة) – للشيخ خالد الأزهري (ت٩٠٥هـ) – المكتبة الشَّعبيَّة/ بيروت – لبنان.

٤١- وَضَحُ البرهان في مُشكلات القرآن – لمحمَّد بن أبي الحسن الغزنوي (ت٥٥٥هـ) – تح: صفوان عدنان – ط/ ١ – دار القلم/ دمشق – دار الشَّاميَّة / بيروت ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م.

شعر إدريس بن اليمان اليابسي الأندلسي

د. أحمد عبد القادر صلاحية

القسم الأول

إدريس بن اليمان اليابسي:

شاعر من فحول الشعراء الأندلسيين عاش في مرحلة حرجة من مراحل الوجود العربي في الأندلس، إذ شهد عهد الفتنة أواخر عصر الدولة الأمويّة في الأندلس وعصر دول ملوك الطوائف، ويعدّ بذلك حلقة وصل مهمة بين شعراء هذين العصرين. وكان النقّاد الأندلسيون يعدّونه خلفًا لمتنبّي الأندلس في عصر الدولة الأمويَّة ابن درّاج القسطلّي، قال الحميدي: «لم يكن بعد ابن درّاج من يجري عندهم مجراه».

ولا غرو كذلك أن يكتوي بنار تلك الفتنة وأن يطّرح كلّ مطرح ويتلون شعره في عصر الطوائف المتعددة، ولا عجب أن تضيع أغلب أشعاره - المجموعة قديمًا - مع ما ضاع من شعر أندلسي.

ولم يحظ هذا الشاعر الكبير - حديثًا - بأيّة دراسة منفصلة صغيرة كانت أم كبيرة، وليس له حيِّز كاف ولا حضور واضح في أغلب دراسات الأدب الأندلسي العامّة، لذلك فإنّي أحاول بتعريفي هذا الشاعر المشهور في عصره، والمغمور في عصرنا، وبجمع ما تبقّى من أشعاره، أن أضعه موضعه اللائق به في مصافّ كبار الشعراء الأندلسيين، وأن أوضِّح جانبًا جديدًا من صورة الأدب الأندلسي، وأزيد في خطوطها وألوانها وتفصيلها، كي ترجع - كما كانت - جميلة ساحرة أخّاذة.

حياتــه:

اسمه ونسَبه:

هـــو إدريس بن اليمان[١] أو اليماني[٢] العبدري[٣] اليابسي[٤] الشبيني[٥] الأندلســـي، ويذكر كل من الذهبي (ت ٧٤٨هـ) والصفدي (ت ٧٦٤هـ) أن

---

(١) البديع في فصل الربيع (تح. د. كردي): ٦٩ – ١٠٩– ١١٣– ١١٧– ١٤١، الإكمال ٤٧٥/١، جذوة المقتبس: ١٦٠-٧٦، اقتباس الأنوار: ٨٢، اختصاره: ١٩٠، بغية الملتمس: ٢٣٦، الأنساب ٦٧٤/٥، معجم البلدان: ٤٨٦/٥، اللباب ٤٠٤/٣، المطرب: ١٣٠، التكملة: ١٩٥/١، المغرب ٤٠٠/١، عنوان المرقصات والمطربات: ٥٩، رايات المبرزين: ٢٢٩، تاريخ الإسلام: ٢٦٣، مسالك الأبصار ٤١/١٧، المشتبه: ٢/ ٦٦٤، الوافي بالوفيات ٣٢٧/٨، فوات الوفيات: ١٦١/١، مختارات ابن عزيم: ٥٩، توضيح المشتبه ١٩٩/٩، تبصير المنتبه: ١٥٠٣/٤، وثمة وهم في كتاب حلبة الكميت إذ ذكر مرة أولى باسم ابن أويس: ٨٨، وثانية باسم ابن إدريس اليماني: ٢٤٢.

(٢) البديع في وصف الربيع (تح. د. عسيلان): ٩٧– ١٠١– ١١١– ١١٥– ١٤٠، الذخيرة ٣٣٦/١/٣، اقتباس الأنوار: ٨٢، اختصاره: ١٩٢، فهرسة ابن خير: ٤٠٦، بدائع البدائه: ٨٤، الحلة السيراء ١٨٤/٢، نفح الطيب ٧٥/٤، ٦٠١/٥.

(٣) الذخيرة: ٣٣٦/١/٣، التكملة: ١٩٥/١، المغرب ٤٠٠/١، مسالك الأبصار ١٧/ ٤١، تاريخ الإسلام: ٢٦٣، الوافي بالوفيات ٣٢٧/٨، فوات الوفيات ١٦١/١، نفح الطيب ٧٥/٤.

(٤) الإكمال ٤٧٥/١، الذخيرة ٣٣٦/١/٣، اقتباس الأنوار ٨٢ -٩٤، اختصاره: ١٩٠– ١٩٨، الأنساب ٦٧٤/٥، اللباب ٤٠٤/٣، إرشاد الأريب ٤٨٦/٥– مسالك الأبصار: ٤١/١٧.

(٥) اقتباس الأنوار: ٨٢-٩٤، اختصاره: ١٩٠-١٩٨، التكملة: ١٩٥/١، الوافي بالوفيات: ٣٢٧/٨، تاريخ الإسلام: ٢٦٣، وفيه تحريف (المعروف بالشيني).

جدّه هو سام[١]، وينفرد ابن الأبّار(ت ٦٥٨هـ) في تكملته لكتاب الصلة بالقول بأن اسم جده هو سالم[٢]، ويخالف الكتبي (ت ٧٦٤هـ) جميع المترجمين فيجعل أباه عبد الله وجدّه اليمان أي «إدريس بن عبد الله بن اليمان»[٣].

أما نسبته **العبدريّ** فهي نسبة إلى عبد الدار بن قصي الذين كانت لهم حجابة الكعبة المشرّفة[٤].

وأما نسبته **اليابسي**- وهي الأشهر-، ونسبته **الشبيني** فيوضّح الحميدي (ت ٤٨٨هـ) ذلك ويقول: «ذكره أبو عامر ابن شهيد فنسبه إلى بلده فقال اليابسي، وينسبه آخرون فيقولون: الشبيني بياء المعجمة لأن الغالب على بلده شجرة الشبين وهي شجرة الصنوبر»[٥].

ويقول أبو محمد الرشاطي (ت ٥٤٢هـ): «الشبيني: هو أبو علي إدريس ابن اليمان الأندلسي اليابسي الشبيني منسوب إلى شجرة الشبين وهو الصنوبر كثير بيابسة ينسب إليها»[٦].

ويذكر ابن الأبّار أنه «يعرف بالشبيني وهو بالعجمية[٧]، شجر الصنوبر»[٨].

وكنيته هي **أبو علي** بإجماع كل من ترجم له إلا أنه لابدّ من الإشارة إلى

---

(١) الوافي بالوفيات ٣٢٧/٨، تاريخ الإسلام: ٢٦٣.

(٢) التكملة ١٩٥/١.

(٣) فوات الوفيات: ١٦١/١.

(٤) توضيح المشتبه: ١١٠/٦.

(٥) جذوة المقتبس: ١٦٠، وانظر الإكمال: ٤٧٦/١.

(٦) اقتباس الأنوار: ٨٢، واختصاره: ١٩٠.

(٧) والشبين - بالإسبانية -: **Sabina**، وبالفرنسية: **Sapin**.

(٨) التكملة: ١٩٥/١.

أن ابن بسّام (ت ٥٤٢هـ) صاحب أطول ترجمة لابن اليمان وأهمها وأوسعها والذي ذكره في أغلب أجزاء سفره الكبير «**الذخيرة في محاسن أهل هذه الجزيرة**» قد ذكره في سرد أسماء الأدباء والشعراء الذين سيترجم لهم في أول الكتاب بكنية أبي عبد الله[١]، ثم ذكره حيثما ذكره بكنيته أبي علي[٢].

ويستقصي ابن بسام أصله فيقول: «وأخبرت أن أصله من قسطلة الغرب من عمل شنت مرية ابن هارون»[٣]، وبناء على ذلك وضعه ابن سعيد (ت ٦٨٥هـ) في كتابه المغرب في حلى المغرب في قسم «كتاب المملكة الشلبية وهو كتاب: الكواكب المطلّة في حلى مدينة قسطلّة، تعرف بقسطلّة الغرب»[٤].

بلده ومولده:

رأينا من قبل أن ابن شهيد (ت ٤٢٦هـ) ذكره في بعض كتبه التي لم تصل إلينا «فنسبه إلى بلده فقال: اليابسي»[٥]، وثمّة إشارة يسيرة في تعليق ابن بسام على قول حاجب الموفق مجاهد: «إن رائحة الشبين على شعرك، تعريضًا له **بيابسة - جزيرة في البحر كان منها أكثر** ثمرها الشبين»[٦]. ويذكر كل من ابن دحية(ت ٦٣٣هـ) وابن الأبّار أنه «من أهل جزيرة يابسة»[٧]. وهذه الشواهد تؤكّد أن موطنه الأصيل هو جزيرة يابسة، وتشير إلى أن مولده كان فيها.

---

(١) الذخيرة: ٢٨/١/١ ولم يتنبه لذلك محقّقه الفاضل الدكتور إحسان عباس رحمه الله تعالى.

(٢) الذخيرة: ١٠٦/١/٢، ٣٣٦/١/٣.

(٣) الذخيرة: ٣٣٦/١/٣.

(٤) المغرب: ٤٠٠/١.

(٥) جذوة المقتبس: ١٦٠.

(٦) الذخيرة: ٣٤٠/١/٣.

(٧) المطرب: ١٣٠، التكملة ١٩٥/١.

وقـــد ذكـــر ذلك د. عصام سيسالم في دراسته المميَّزة عن جزائر الأندلس المنسية، قال: «اشتهر في جزر[1] البليار في عهد المملكة المجاهدية العامرية عدد من الشـــعراء والأدبـــاء من أصلاء أهلها والوافدين إليها وكان من أشهرهم: أبو علي إدريس بن اليمان العبدري الشبيني اليابسي من جزيرة يابسة ثالثة جزر البليار»[2].

ويـــرى ابـــن سعيد بأن اليابسي هي نسبة إلى جزيرة يابسة لأنه «أطال الإقامة في جزيرة يابسة حتى عرف منها»[3].

بـــيد أن أحداث حياته وتوزع ممدوحيه في أنحاء متفرقة من الأندلس يدل على عكس ذلك كما سوف نرى، ويُرجّح أنه ولد في جزيرته الصغيرة يابسة وفيها ترعرع ثم خرج هذا الولد الصغير منها إلى شبه جزيرة الأندلس للبحث عن الجواء العلمية للوصول إلى حياة كريمة.

ملامح حياتـــه:

انتقل إدريس بن اليمان إلى أقرب مدينة أندلسية من جزيرته يابسة وهي مدينة دانية الواقعة على الساحل الجنوبي الشرقي من الأندلس ونشأ في تلك المدينة ودرس وتعلّم ونبغ فيها ولمع نجمه وارتفع ذكره وسار شعره في الآفاق قال ابن بسّام: «وبدانية قرأ وبها نشأ، ومنها انبعث انبعاث السيل وأدرك إدراك الليل، حتى تضاءلت الهضاب عن قدره، وماجت الأرض ببحره وصار شعره سمر النادي وتعلّة الحادي وتمثّل الحاضر والبادي»[4].

---

(١) الصواب: جزائر، لأن جمع جزيرة جزائر.

(٢) جزر الأندلس المنسيّة: ٥٣١. وانظر تعريف يابسة في : معجم البلدان ٤٨٦/٥، والروض المعطار:٦١٦.

(٣) المغرب: ٤٠٠/١.

(٤) الذخيرة: ٣٣٦/١/٣.

أما على من درس وقرأ، فلا نكاد نعرف من أساتذته إلاّ صاعدًا[١]، اللغوي (ت ٤١٧هـ) فقد ذكر غير واحد من المترجمين لـه أن ابن اليمان «روى عن أبي العلاء صاعد اللغوي»[٢].

ويوضّح ابن خير الإشبيلي (ت ٥٧٥ هـ) بعض هذه الرواية عن صاعد فيقول: «قال أبو بكر المصحفي: وفي شعر ابن حجاج[٣]، المذكور مجون كثيرة، وكان يسمعه معنا عليه [أي على صاعد] شيخ من بني مفرج أقارب القاضي ابن مفرج وإدريس بن اليماني الشاعر»[٤]، ونظن أن مثل هذا الديوان لا يروى للشداة الصغار، ثم إن إدريس قد سمعه على صاعد في سرقسطة بين سنتي (٤١٢-٤١٤) مع شيخ من بني مفرج، وليس من المعهود أن يسمع الصغير مع الكبير لذلك فإن المرجح أن سماعه على صاعد كان في سنّ متقدمة، ولعل ذلك في أثناء قدومه على سرقسطة لمديح صاحبها ولا يكون هذا في زمن التحصيل والطلب.

ومـع ذلـك فقـد كان يوصف إدريس بأنه «شاعر جليل عالم»[٥]،

---

(١) انظر ترجمته الموسَّعة في كتاب: صاعد البغدادي حياته وآثاره – د. عبد الوهّاب التازي سعود وقد جعله مقدمة لتحقيق كتاب الفصوص لصاعد – وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب – ١٩٩٣.

(٢) التكملة: ١٩٥/١، تاريخ الإسلام: ٢٦٣، الوافي بالوفيات ٣٢٧/٨، فوات الوفيات: ١٦١/١.

(٣) شاعر عباسي مشهور (ت ٣٩١ هـ)، يتيمة الدهر ٢١١/٢، تاريخ بغداد ١٤/٨، سير أعلام النبلاء ٥٩/١٧، وفيات الأعيان ١٥٥/١، البداية والنهاية ٣٢٩/١١، الكامل في التاريخ ٥٨/٩، الأعلام ٢٣١/٢، تاريخ الأدب العربي (د. فروخ): ٥٧٤/٢.

(٤) فهرسة ابن خير: ٤٠٦.

(٥) جذوة المقتبس: ١٦٠، و انظر المطرب : ١٣٠

والصفة الأخيرة تشي بأنه نهل من العلم وعلّ حتى امتلأ وطابه علمًا وفهمًا.

وبعد أن نضجت مواهب إدريس بن اليمان الشعرية، وصقلت علومه واشتهر ذكره، وذاع شعره؛ انتقل إلى مرحلة انتجاع ملوك الطوائف في الأندلس للتكسب بشعره، وأخذ يتنقل بين الملوك لأن عقد الخلافة قد انفرط وتوزَّعت حبّاته في مختلف أرجاء الأندلس - كما هو معروف - ويُخبر الحميدي بأن إدريس بن اليمان كان «ينتجع الملوك فينفق عليهم»[1].

ويقول ابن الأبّار: «وتجوّل في بلاد الأندلس»[2].

ويذكر ابن سعيد عن ابن اليمان أنه «له أمداح كثيرة في ملوك الطوائف»[3].

ويُشير ابن اليمان في بعض أمداحه إلى كثرة تطوافه على ملوك الطوائف، كما في مديحه لمجاهد العامري.

ويفصّل ابن بسام القول في هذا الشطر المهم من حياته، وهو تجواله بين ملوك الطوائف وفهمه لأهوائهم، وتحقيقه لرغباتهم في الشعر، من غير إرخاص لشعره، إذ كان يشترط أن يأخذ من ممدوحه مئة دينار قبل إنشاده القصيدة!!، كما يُورد ابن بسام عددًا مهمًا من قصائده المدحية: «وطفق يتردد على ملوك الطوائف بالأندلس تردُّد الكاس على الشَّرْب ويجري في أهوائهم جري الماء في الغصن الرطب، وكان كلما قال قصيدة لم يضرب عليها حجابًا ولا ضمّنها كتابًا حتى يأخذ بها مئة دينار». و ينقل قول إدريس لمن يسأله قصيدة مدحية: «إشارتي مفهومة، وبنات صدري كريمة، فمن أراد أن ينكح بكرها فقد عرف مَهرها»[4].

---

(١) جذوة المقتبس: ١٦٠.

(٢) التكملة ١/١٩٥.

(٣) المغرب ١/٤٠٠.

(٤) الذخيرة: ٣/١/٣٣٦-٣٣٧.

ويلمّح ابن اليمان في بعض قصائده المدحية إلى طلب العطاء بطريقة ذكية وينتقل انتقالاً بارعًا من الغزل إلى المديح فيقول:

فريد جمال تم لي توأم الهوى ... به ولكل العاشقين فراداه

تكامل فيه السول حتى كأنه ... ندى ابن أبي موسى إذا الشعر ناجاه

لقد كان معنى الجود عُمِّي فانبرى ... له ابن أبي موسى ففك معمّاه

هصرت به الدنيا فمالت رطيبة ... عليّ ميودًا تحت أوراق نعماه

فمن يك عني سائلاً فأنا الذي ... تمنى فأفضى للذي قد تمنّاه

وما ضحك النوّار من شق جيبه ... ولكن أياديه التي أضحكت فاه

وما فتحت أيدي الحيا زهرةَ الربا ... كما فتحت روض القريض عطاياه[1]

وقد تُفهم إشارته تلك وتفلح، وقد لا تُفهم ولا تفلح عند بعض الممدوحين كما في الخبر الذي أشار إليه ابن شهيد نفسه، وعلّق عليه ابن ظافر (ت ٦١٣هـ)، فقد وفد ابن اليمان على الوزير أبي جعفر أحمد بن عبّاس (ت ٤٢٩هـ) بالمرية فمدحه فلم يُلْقِ إليه بالاً، ولم يعطه شيئًا فهجاه وأفحش: «قال علي بن ظافر: وأحسب أن الذي هجاه به إدريس وأفحش فيه قوله – وقد كان وفد عليه بالمريّة وامتدحه بقصيدة فلم يحفل به فأنفذ إليه عند خروجه منها، يقول:

إيهٍ أبا جعفر المرجّى ... ما بال طيري خلاف طيرك

أهديت رقراقة المعاني ... لم أهد أمثالها لغيرك

فلم تَمِزْها ولم تَمِزْني ... ولم تمرها بفضل ميرك

(١) الذخيرة: ٣٥٣/١/٣.

فصـــار شـــعري لديـــك بكرًا .... ك[١]

ويـــبدو أن الإخفـــاق كان كثيرًا في ذلك الزمن الصعب، وأن كثيرًا من الوعـــود لا يـــنجزها قاطعوهـــا ولا يفون بها، فنرى ابن اليمان يراجع بعض أصحاب هذه الوعود الذين أبطؤوا بالوفاء بها، فقد ذكر الحميدي عن محمد بن غالـــب «قـــال: أنشدني أبو علي إدريس بن اليمان لنفسه إلى صديق له وعده بوعد فأبطأ به:

عـــدات الحـــر خـــيل في رهان تكحّـــل بـــالمنى حـــدق الأمـــاني
وكانـــت مـــنك لي عدة أطلّت كمـــا غنّـــت صـــبوح في عـــنان
وقـــد حرنـــت فعاودها بسوط مـــن الإنجـــاز عـــن ذاك الحِـــران
ولا يـــكُ جيد جودك جذعَ نخل وطـــرفُك ينـــثني كالخـــيزران[٢]

ممـــدوحـــوه:

١- أبو الجيوش مجاهد بن يوسف بن علي العامري[٣] (حكم ٤٠٠-٤٣٦هـ) ويكنّى أيضًا بأبي الحسن ويلقّب بالموفّق.

وهو من ملوك الطوائف حكم دانية وجزائر الأندلس الشرقية.

وثمة إشارة يسيرة ذكرها ابن سعيد في ترجمة مجاهد تؤكّد وفود ابن اليمان عليه إذ يقول: «وقد وفد عليه أفراد الشعراء كإدريس بن اليمان»[٤].

---

(١) بدائع البدائه: ٨٤.

(٢) جذوة المقتبس: ٧٦.

(٣) انظر جذوة المقتبس: ٣٥٢، الذخيرة ٢٢/١/٣، المعجب: ٧٤، المغرب ٤٠١/٢، البيان المغرب ١٥٥/٣، أعمال الأعلام: ٢١٧، دول الطوائف: ١٨٨، جزر الأندلس المنسية: ١٣٦، الأعلام ٢٧٨/٥.

(٤) المغرب: ٤٠١/٢.

وثمة خبر واحد يتحدث عن تعريج ابن اليماني عليه أورده ابن بسام في ذخيرته ونصّه: «ودخل إدريس بن اليماني على الموفّق أبي الجيش فأنشده:

ولربّ ليل قد طرقت وهمتي أسري بها إذ ليس يسري كوكبُ

في معشر شم الأنوف كأنهم سيدان رمل أو أسود دُرّب

لبسوا دياجير الدجى إذ أسأدوا وتقنعوا بسنا الضحى إذ أوّبوا

وسروا فمغرب كلّ أرض مشرق لهم ومشرق كل أرض مغرب

.....

وكأن قرن الشمس وجه مجاهد لّما أنار سناه كادت تغربُ

وهو في كل ذلك يعبث بيديه في قليل شعر عارضته، استثقالاً للعارفة، وبخلاً بالجائزة، وجهلاً بالفائدة، فلما أملقه الأمر، وأعوزه الصبر، غمز حاجبه بشطر حاجبه، فاختطف القرطاس من يده وقال وقد سدَّ خياشيمه: إن رائحة الشبين على شعرك، تعريضًا له بيابسة – جزيرة في البحر كان منها أكثر ثمرها الشبين – فخجل لمقامه وتعثّر في ذيل كلامه، فلما وثبت إليه نفسه، وراجعه حسّه، قال: أيها الأمير: إن كنت أسأت في مدحك، فأحسن في منحك، أو قصّرت في وصفك، فأطلْ في عرفك.

وهذا الأمر لم يكن مصادفة أو خاصًّا بابن اليمان وحده، ولكنه كان دأبًا في مجاهد وسلوكًا معيبًا فيه، فقد نقل ابن بسّام عن ابن حيّان قوله عن مجاهد: «على أنه كان – فيما بلغني – مع أدبه من أزهد الناس في الشعر وأحرمهم لأهله وأنكرهم على منشده، لا يزال يتعقّبه كلمة كلمة كاشفًا لما زاغ فيه من لفظة وسرقة، فلا تسلم على نقده قافية، ثم لا يفوز المتخلّص من مضماره على الجهد لديه بطائل، ولا يحظى منه بنائل، فأقصر الشعراء لذلك مدحه، وخلا

الشعر من ذكره»[١].

٢- أبو زيد عبد العزيز بن محمد بن أيّوب البكري[٢] (حكم ٤٠٣-٤٤٣هـ)

يلقّب بعزّ الدولة.

أحد ملوك الطوائف وصاحب مدينة ولبة (أو أونبه)، وجزيرة شلطيش. أثنى عليه ابن الأبّار وأورد شطرًا من قصيدة لابن اليمان في مدحه، قال: «وكان جوادًا ممدّحًا، وفيه يقول أبو علي إدريس بن اليماني من قصيدة فريدة - وكان إدريس هذا مقدّمًا من فحول شعراء الأندلس...

أعيدي سقى مثواك ألعس أشنب إذا مرضت أرضُ الأحبّة جادَها

يضوع بواديك الأغن أغانيا متى ما يعدها لم تملّ معادها

إذا ما أجادت كفّه حول روضة حسبنا جدا عبد العزيز أجادها

ثم تصرّف في المديح تصرّفه في النسيب وأحسن وأبدع»[٣].

٣- ابن واجب[٤] وزير المنذر بن يحيى التجيبي (حكم ٤٠٨-٤١٤هـ)

لا نعرف عنه شيئًا أكثر من أنه أحد جلّة كتّاب المنذر ووزرائه الذي حكم في سرقسطة. وأن ابن اليمان مدحه بقصيدة كافيّة؛ فقد أورد ابن بسام قصيدة له وذكر أنها في ابن واجب ومطلعها:

وادي الأراك أطلـــت شكوى الشاكي بشـــميم كـــل بشـــامة وأراكِ[٥]

---

(١) الذخيرة: ٢٣/١/٣، ونقل النص صاحب البيان المغرب: ١٥٦/٣.

(٢) الذخيرة ٢٣٣/١/٢، الحلة السيراء ١٨٤/٢ (وثمة خلاف)، المغرب ٣٤٧/١، البيان المغرب ٢٤٠/٣، أعمال الأعلام: ٢١٠، دول الطوائف: ٤٣، الأعلام: ٢٥/٤، معجم ما استعجم: المقدمة (ص)، سمط اللآلئ شرح أمالي القالي: المقدمة (ز - ح).

(٣) الحلّة السيراء: ١٨٥/٢.

(٤) الذخيرة: ١٨٣/١/١، البيان المغرب ١٧٧/٣، الإحاطة ٢٨٦/٣، دول الطوائف: ٢٦٨.

(٥) الذخيرة: ٣٤٤/١/٣-٣٤٥.

ولكنه انتقى منها أربعة أبيات أخرى في وصف حمامة فقط، ولم يتعرض للغرض الرئيس وهو مدح الوزير الكاتب ابن واجب.

٤- ابن بقنّة[١] وزير المعتلي يحيى بن علي بن حمّود، أحمد بن أبي موسى ابن بقنّة البربري (ت ٤٣٣هـ). وزير المعتلي وكاتبه ومدبِّر دولته.

وقد أورد ابن بسّام شطرًا من قصيدة لابن اليمان يمدح فيها «ابن بقنّة»[٢]، وزير يحيى بن حمود أوّلها:

دعاه الهوى من ذي الأراك فلبّاه وغنّاه أيكيُّ الحمام فأبكاه[٣]

وفيها يذكر اسم الوزير صراحة غير مرة:

تكامل فيه السول حتى كأنه ندى ابن أبي موسى إذا الشعر ناجاه

لقد كان معنى الجود عمّيَ فانبرى له ابن أبي موسى ففكّ معمّاه[٤]

٥- ابن حمّود

ذكر ابن بسام أن عبّادًا المعتضد سأله أن «يمدحه بقصيدة يعارض السينية التي مدح بها آل حمّود»[٥]، وفي بعض نسخ الذخيرة «السينية في ابن حمّود»، فمن ابن حمّود هذا، وما هي هذه السينية الفائقة التي طلب منه ابن عبّاد معارضتها.

---

(١) جذوة المقتبس: ٣٠، الذخيرة ٥٥٢/١/١، ٦٤٩/٢/١، ٣٥٢/١/٣، المغرب ٢٠٦/٢، البيان المغرب ١٤٣/٣، ٢١٧، أعمال الأعلام ١٣٦-١٤١، الخلافة الأموية والدولة العامرية ٦٧١/٢/١.

(٢) في الأصل ابن مقنة، وهو وهم من الأستاذ الفاضل العالم محقّق الذخيرة، وذكره أيضًا باسم ابن أبي موسى في مواضع أخر لم يعلم أن الاسمين لعَلَم واحد.

(٣) الذخيرة ٣٥٢/١/٣.

(٤) الذخيرة ٣٥٣/١/٣.

(٥) الذخيرة: ٣٣٦/١/٣.

ولعل المقصود هو: يحيى بن علي بن حمّود العلوي الحسني[١] (٣٨٥-٤٢٧هـ)، أحد ملوك دولة بني حمود من عقب الأدارسة.

وثمّة قصيدة لاميّة أوردها ابن بسام في مختاراته لابن اليمان ولم يحدّد لمن قيلت ولكن بعض أبياتها تدل على أنها قيلت في أحد آل حمّود الذين يرجعون بنسبهم إلى عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه، وهي:

هذا ابن خاضب ذي الفقار بجانبي   وادي حنين والصفوف حوافلُ

وبخيبر والحرب بارق عارضٍ   وبنات أعوج ما شحته زائل

دفع الرسولُ إليه رايته وقد   طمحت عيون نحوه وأنامل[٢]

٦- أبو جعفر[٣] بن عبّاس وزير الفتى زهير الصقلبي العامري (ت٤٢٩هـ)

أبو جعفر أحمد بن عبّاس بن أبي زكرياء القرطبي (ت ٤٢٩هـ) وزير كاتب من أعلام كتّاب عصر الفتنة.

وقد سبق[٤]، أن أشرنا إلى أن ابن ظافر قد أكّد أن ابن اليمان «قد كان

---

(١) جذوة المقتبس: ٢٤، المعجب: ٥٢-٥٤، المغرب ٢٩٩/١، البيان المغرب ١٣١/٣، أعمال الأعلام: ١٣٢، الخلافة الأموية والدولة العامرية: ٦٧٠/٢/١، الأعلام: ٨/ ١٥٧، وانظر كتاب: «الحموديون سادة مالقة والجزيرة الخضراء» – لويس سيكو دي لوثينا: ٢٥ وما بعدها.

(٢) الذخيرة ٣٥٧/١/٣.

(٣) الذخيرة ٦٤٥/٢/١، ورسائله في ٢٢٩/١/٣ ومواضع متعددة، المغرب ٢٠٥/٢، البيان المغرب ١٦٩/٢، الإحاطة ٢٥٩/١، أعمال الأعلام: ٢١٦، الخلافة الأموية والدولة العامرية ٦٧٢/٢/١، دول الطوائف: ١٢٩- ١٣٠- ٢٢١، الأعلام ١٤٢/١ (ووهم في سنة وفاته إذ جعلها ٥٣٠هـ).

(٤) انظر الصفحة (٨٣٦).

وفد عليه بالمرية وامتدحه بقصيدة فلم يحفل به»[١]، وبعد أن خرج ابن اليمان من المرية أوصل إليه مقطّعة هجاه فيها وأفحش.

٧– أبو مناد باديس[٢] بن حبّوس بن ماكس بن زيري بن مناد الصنهاجي (حكم ٤٢٨–٤٦٥هـ). أعظم ملوك البربر في عصر ملوك الطوائف وأقواهم جانبًا. وقد أورد ابن بسّام قطعة لابن اليمان في مديح باديس منها:

القائد الجرد العتاق كأنها لجج زواخر أو عوارض لمعُ

متوقّد في الحادثات إذا دجت فكأنه فيها شهاب يسطعُ

علم هو القمر المباهي طالعًا صنهاجة وهمُ النجوم الطلّعُ[٣]

٨– أبو عمرو المعتضد[٤] عبّاد بن محمد بن إسماعيل الإشبيلي (حكم ٤٣٣–٤٦١هـ)

أحد كبار ملوك الطوائف وصاحب إشبيلية وما حولها.

وقد مرّ ابن اليمان بالمعتضد بإشبيلية و«سأله عبّاد في بعض رحله إليه، على كثرة بوائقه وشكاسة أخلاقه، أن يمدحه بقصيدة يعارض بها قصيدته السينية التي مدح بها آل حمود، فقال له: إشارتي مفهومة وبنات صدري كريمة فمَن أراد أن ينكح بكرها فقد عرف مهرها»[٥].

---

(١) بدائع البدائه: ٨٤.

(٢) المغرب ١٠٧/٢، البيان المغرب ٢٦٢/٣، الإحاطة ٤٣٥/١، أعمال الأعلام: ٢٣٠، دول الطوائف: ١٢٦، الأعلام: ٤٠/٢.

(٣) الذخيرة ٣٥٥/١/٣.

(٤) مطمح الأنفس: ١٧٢، الذخيرة ٢٤/١/٢، البيان المغرب ٢٠٤/٣، أعمال الأعلام: ١٥٥، دول الطوائف: ٣٩، الأعلام: ٢٥٧/٣.

(٥) الذخيرة: ٣٣٦/١/٣.

وأغلب الظن أن عبادًا قد دفع مهر قصيدة ابن اليمان وأن إدريس بن اليمان قد قال فيه قصيدة عارض بها قصيدته في آل حمود، ولكن القصيدتين كلتيهما قد ضاعتا فيما ضاع من شعر الرجل خاصة، ومن الشعر الأندلسي عامة.

٩- أبو زكريا[1] المأمون يحيى بن إسماعيل ابن ذي النون البربري (حكم ٤٣٥-٤٦٧هـ) ويكنّى كذلك بأبي الحسن. أحد كبار ملوك الطوائف وأعظم بني ذي النون وأشهرهم.

وقد أورد ابن بسّام لابن اليمان قصيدة ميمية طويلة في مدح المأمون ابن ذي النون ذكر اسمه وكنيته فيها غير مرة:

ولكنّ هذا الزمان استقام ... ولولا ابن ذي النون لم يستقمْ

فقد سكنت عين دهمائه ... كما سكن الفعل جزمًا بلمْ

رعايا الملوك قطا البيد لكن ... رعية يحيى حمام الحرم

....

أرى العالم اعتدلت حاله ... فلا ما يعاب ولا ما يذم

وكان بحال انتقاص فتمّ ... ولكنه بابن ذي النون تم

همام له شيمة كالشمول ... تميت الهموم وتحيي الهمم

أبا الحسن الحسن المكتني ... بما هو نعت له لا جرم[2]

---

(١) الذخيرة ٢٦٨/١/٢، المغرب ١٢/٢، البيان المغرب ٢٧٧/٣، أعمال الأعلام: ١٧٧، دول الطوائف: ٩٧، الأعلام ١٣٨/٨.

(٢) الذخيرة: ٣٤٢/١/٣-٣٤٣.

١٠- إقبال الدولة[١] علي بن مجاهد العامري (حكم ٤٣٦-٤٦٨هـ)

أحد ملوك الطوائف حكم دانية والجزائر الشرقية. وقد أورد ابن بسّام لابن اليمان قصيدة حائية شهيرة نظمها في إقبال الدولة بن مجاهد بدانية وفيها يذكر اسمه واسم أبيه:

بعلي بن مجاهد أوردته روض المديح وموسم المدّاحِ

ثهلان في عقد الحبا ولدى الوغى غصن يَراحُ إلى نسيم رياح

فالبر بحر من مدائحه التي تربي على الطيّار والسبّاح[٢]

أصدقاؤه:

١- أبو الوليد[٣] إسماعيل بن محمد بن عامر بن حبيب الحميري الإشبيلي (ت نحو ٤٤٠هـ)

لقد ذكر أبو الوليد الحميري في كتابه البديع في فصل الربيع إدريس بن اليمان مرارًا وانتقى له بعض المقطوعات في وصف الأزهار، ومما يدل على معرفته الأكيدة به، وصداقته له أنه كان يأخذ أكثر ما اختار له عن الشاعر نفسه فنجده يقول في مقدمات بعض ما اختاره له: «وأنشدني لنفسه فيه أبو علي إدريس بن اليماني»[٤]، أو يقول: «وله أيضًا فيه تشبيه عجيب أنشدنيه وهو»[٥].

---

(١) المعجب: ٧٤، المغرب ٢/٤٠١، البيان المغرب ٣/١٥٧، أعمال الأعلام: ٢٢١، دول الطوائف ٢/١/٢٠٠، جزر الأندلس المنسية: ١٦٤، الأعلام ٤/٣٢٢.

(٢) الذخيرة ٣/١/٣٤٤.

(٣) كتب عنه د. عبد الله عسيلان دراسة مطوّلة في مقدمة تحقيق كتابه البديع في وصف الربيع وحقّق الكتاب أيضًا وكتب عنه دراسة موجزة د. علي كردي، وكذلك المستشرق هنري بيرس. وانظر كذلك مصادره في تاريخ الأدب العربي (د. فروخ) ٤/٤٩٤.

(٤) البديع: ٩٧. وانظر: ١٠٨-١١٢.

(٥) البديع: ١١٥.

٢- أبو جعفر أحمد بن محمد ابن الأبّار[1] الخولاني الإشبيلي (ت ٤٣٣هـ)
٣- أبو عامر محمد بن عبد الله بن محمد بن مسلمة[2] (ت في عهد المعتضد عباد).

نقل ابن بسّام من كتاب «حديقة الارتياح في صفة حقيقة الراح» للوزير ابن مسلمة ونصَّ على ذلك فقال: «نقلت من خطه، قال:

كتبت يومًا بهذه الأبيات إلى الأديبين أبي علي إدريس وأبي جعفر بن الأبّار مستدعيًا لهما:

أيـــا شـــقيقي إخـــاء ويـــا قســيمي صــفاءِ
ومــن همــا في ذوي الفهـــم جوهــر الأدبــاء
تفضـــلا وأجيـــبا إلى نـــديّ نـــداء
لتأنســـا بحديـــث وقهـــوة وغـــناء

قال، فأجابني إدريس:

يــا صــنو مــاء الســماء في رقـــة وصـــفاء
ويـــا ســـراج ضـــياء يجلــو دجــى الظــلماء
بهـــرت ســـيما ذُكـــاء في بهجـــة وذكـــاء
وحـــزت في العلـــياء قـــوادم الجـــوزاء
يـــا حـــاتم الكـــرماء وأحمـــد الشـــعراء

---

(١) انظر: البديع (مواضع كثيرة)، جذوة المقتبس: ١٠٧، الذخيرة ١٣٥/١/٢، المغرب ٢٦٤/١، وفيات الأعيان ١٤١/١،الوافي :١٣٧/٨، نفح الطيب ٤٧٧/٣، تاريخ الأدب العربي (فروخ) ٤٧٢/٤، الأعلام ٢١٣/١.

(٢) انظر البديع (مواضع كثيرة)، جذوة المقتبس: ٦١، مطمح الأنفس: ٢٠٣ – ٢٠٤، الذخيرة ١٠٥/١/٢، بغية الملتمس: ٨٠، المغرب: ٩٦/١.

بادهتـــــنا بـــــلآلٍ ســـــواطع الـــلألاء
قـــريض حســـن كـــدرّ عـــلى طـــلى الحســـناء
يقـــود في كـــلّ معـــنى معـــنى الغـــنى والغـــناء
وقـــد أجبـــنا إلى مـــا دعـــوت مـــن آلاء
[لا زال] نجمـــك أسمـــى مـــن نجـم كل سماء»[1].

ولكن ابن بسّام لم يورد ردّ ابن الأبّار.

وأشار ابن سعيد في ترجمة ابن مسلمة إلى ذلك فقال: «وبينه وبين إدريس بن اليمان وابن الأبّار مراسلات»[2].

وفي شعره المتبقي مقطوعة في وصف المجالس الإخوانية في مجالي الطبيعة الساحرة يقول فيها:

و إخوان صدق قد أناخوا بروضة ولـيس لهـم إلا النـبات فِراشُ
فخلـتهم والـنور يسقط فوقهم مصـابيح تهـوي نحوهن فَراش[3]

ويتبدى حرصه على قيم الصدق والمحبة في إضافة لفظة الفتيان إلى الصدق، و في هذه الصورة.

معاصروه:

من معاصريه - زيادة على ممدوحيه و أستاذه وأصدقائه - الذين ذكروا في أخبار معه من دون أن نعرف مدى صلتهم به:

(١) الذخيرة: ٢/١/١٠٦-١٠٧.

(٢) المغرب: ١/٩٧.

(٣) الذخيرة ٣/٢/٨٨٧-٨٨٨ ، و انظر: الوافي ٨/٣٢٧، فوات الوفيات ١ /١٦٢.

١- أبو عامر أحمد بن عبد الملك بن شهيد[١] الأشجعي (٣٨٢-٤٢٦هـ)

فقد عاش ابن شهيد في العصر نفسه الذي عاش فيه ابن اليمان، وتوفي قبله وأورد له شيئًا من المختارات في بعض كتبه التي لم تصل إلينا، ونقل عنها بعض المؤلّفين كالحميدي الذي أشار مرتين إلى ذلك في أثناء ترجمته لابن اليمان إذ يقول: «وذكره أبو عامر بن شهيد فنسبه إلى بلده»[٢]، ويقول: «واستحسن له أبو عامر بن شهيد في التشبيه قوله:»[٣]

وتتبدّى كذلك معرفته به في القصة التي حكاها ابن شهيد عن نفسه وأوردها ابن بسّام في ذخيرته، حدّث ابن شهيد عن نفسه «قال: لما قدم زهير الصقلبي فتى بني عامر حضرة قرطبة من المرّية وجّه أبو جعفر بن عباس وزيره عن لمّة من أصحابنا منهم: ابن برد وأبوبكر المرواني وابن الحنّاط والطبني» وطلب الوزير منهم إجازة شطر من بيت شعري فقام ابن شهيد وأكمل ذلك في مقطوعة قافيّة ثم يكمل ابن شهيد: «ثم قمت عنهم فلم ألبث أن وردوا عليّ وأخبروا أن أبا جعفر لم يرض ما جئنا به من البديهة وسألوني أن أحمل مكاوي الكلام على حتاره، وذكروا أن **إدريس** هجاه فأفحش فلم أستحسن الإفحاش فقلت فيه معرضًا إذ التعريض من محاسن القول.»[٤].

---

(١) جمع ديوانه وحقّقه وصدره بدراسة كل من: شارل بلاّ - دار المكشوف - بيروت - ١٩٦٣. ويعقوب زكي - دار الكاتب العربي - القاهرة - د.ت، وحقّق رسالة التوابع والزوابع - بطرس البستاني - دار صادر - بيروت - ١٩٨٠، وثمة دراسات كثيرة عن أدبه ونقده.

(٢) جذوة المقتبس: ١٦٠.

(٣) جذوة المقتبس: ١٦١.

(٤) الذخيرة ٣٠٧/١/١.

ومن الخبر السابق يستنتج بأنه عاصر عددًا من الأشخاص -كذلك - وهم:

٢- أبو عبد الله محمد بن سليمان بن الحنّاط[1] الرعيني الأعمى (ت ٤٣٧هـ).

٣- أبو حفص أحمد بن محمد بن أحمد بن برد المعروف بابن برد الأصغر[2] (ت نحو ٤٥٠هـ).

٤- أبو مروان عبد الملك بن زيادة الله بن علي الطبني[3] (ت ٤٥٧هـ).

٥- أبو بكر المرواني[4].

٦- ميمون بن يوسف بن درّي[5].

قال ابن بسّام: وحدّث ميمون بن يوسف بن درّي، قال: اعتمدني أبو علي إدريس بن اليماني فجاذبني في ذكر البديع من القول فأنشدني هذه القطعة في صفة الثريا، فعمدت بعدُ إلى سبعة مثاقيل صحاحًا فطبعت عليها وكتبت معها:

---

(١) البديع: ٢٢، جذوة المقتبس: ٥٣، بغية الملتمس: ٦٧، الذخيرة ٤٣٧/١/١، التكملة ٣٨٧/١، الذيل التكملة ٢٢١/٦، المغرب ١٢١/١، نفح الطيب ٤٨٣/١، تاريخ الأدب العربي (د.فروخ): ٤٨٢/٤، الأعلام: ١٤٩/٦.

(٢) البديع (مواضع متعددة)، جذوة المقتبس: ١٠٧، بغية الملتمس: ١٥٣، مطمح الأنفس: ٢٠٧، الذخيرة ٤٨٦/١/١، المطرب: ١٢٧، المغرب ٨٦/١، نفح الطيب ٥٤٦/٣، تاريخ الأدب العربي (د. فروخ) ٥١٠/٤، الأعلام: ٢١٣/١.

(٣) جذوة المقتبس: ٢٦٥، بغية الملتمس: ٣٦٦، مطمح الأنفس: ٥٠، الذخيرة ١/١/ ٥٣٥، الصلة: ٣٤٣، المطرب: ٢١٥، المغرب ٩٢/١، تاريخ الأدب العربي (د.فروخ) ٥٥٩/٤، الأعلام: ١٥٨/٤.

(٤) لم يذكر سوى هذه المرة الوحيدة في الذخيرة، وهو من أهل الأدب روى عنه الحميدي في جذوته: ٣٢٨، وانظر البغية: ٤٦٨، ونفح الطيب ٣٣٠/٣.

(٥) ذكره ابن بسّام في ترجمة ابن الحنّاط ٤٣٨/١/١، وفي ترجمة المنفتل ٧٥٧/٢/١ ونعته بالقائد بجيان، نفح الطيب ٢٦٤/٣.

وجه الثريا إن شيت تعرفه فاسلك من القول نحو موعبه
نجمك في البعد ظل مشبهها وشبهها شبه ما بعثتُ به[(١)]

٧- أبو عثمان خلف بن هارون القطيني[(٢)].

قال الحميدي: «وأنشدني عنه أبو عثمان خلف بن هارون القطيني»[(٣)].

ونصّ ابن الأبّار على ذلك فقال: «وروى عنه أبو عثمان خلف بن هارون القطيني»[(٤)]. واختصر الذهبي فقال «عنه خلف بن هارون»[(٥)].

٨- محمد بن غالب[(٦)].

قال الحميدي: «وأنشدني، قال: أنشدني أبو علي إدريس بن اليمان لنفسه»[(٧)].

٩- أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي الحميدي[(٨)] (ت ٤٨٨هـ).

قال في جذوته: «وقد أدركت زمانه و لم أره»[(٩)].

---

(١) الذخيرة: ٣/١/٣٣٧.

(٢) جذوة المقتبس: ١٩٨، مطمح الأنفس: ٢٨، اختصار اقتباس الأنوار: ١٨٢، بغية الملتمس: ٢٨٩، نفح الطيب ٣/٤٥٩-٥٥٥.

(٣) جذوة المقتبس: ١٦٠.

(٤) التكملة: ١/١٩٥.

(٥) تاريخ الإسلام: ٢٦٣.

(٦) جذوة المقتبس: ٧٦، بغية الملتمس: ١٢٥.

(٧) جذوة المقتبس: ٧٦.

(٨) انظر ترجمته ومصادره في كتاب تاريخ الأدب العربي للدكتور عمر فروخ ٤/٧٢٥. وثمة دراسة ضافية موسّعة في مقدمة تحقيقي لكتابه تسهيل السبيل الذي سينشر قريبًا إن شاء الله تعالى.

(٩) جذوة المقتبس: ١٦٠.

١٠- أبو بكر محمد بن هشام بن محمد بن هشام المصحفي[(١)] (٣٩٣-٤٨١هـ).

قال ابن خير في فهرسته عن صاعد اللغوي: «قال أبو بكر المصحفي: وفي شعر ابن حجاج المذكور مجون كثيرة، وكان يسمعه معنا عليه شيخ من بني مفرج أقارب القاضي ابن مفرج[(٢)]، وإدريس بن اليماني الشاعر»[(٣)].

١١- شيخ من بني مفرج. كما هو واضح في الخبر السابق.

وفـــاتـــه:

على قلّة المراجع الحديثة التي ترجمت لابن اليمان واختصـــارها فإن المراجـــع التي ذكرت وفاته مجمعة على أنه «كانت وفاتـــه سنة ٤٧٠»[(٤)]، وعلى ذلك د. عمر فروخ صاحب الترجمة الوافية الوحيدة لابن اليمان الذي يفصِّل ذلك في سفره الكبير فيقول «وكانت وفاة إدريس بن اليمان سنة ٤٧٠ (١٠٧٧) وإذا نحن قبلنا أن يكون مدحه قد بدأ بابن مقنة وزير يحيى ابن حمّود، وكان يحيى قد حكم مالقة في فترتين بين سنة ٤١٢، وسنة ٤٢٧، (١٠٢١- ١٠٣٥) فيجب أن يكون قد عاش ثمانين سنة أو تزيد»[(٥)]!!

---

(١) بغية الملتمس: ١٣٩، الصلة: ٥٢٦، فهرست ابن خير: ٤٢٩، فهرست ابن عطية: ١٠٢-١٠٦، سير أعلام النبلاء ٥٨٠/١٨، فهرس الفهارس ٥٧٣/٢، شعر ابن شخيص الأندلسي: ٢٣، شعر ابن هذيل القرطبي: ٩٩.

(٢) ترتيب المدارك ٩٨/٦، الصلة، ١٣٦/١، سير أعلام النبلاء ٣٠/١، ٨٣/٨، تاريخ الإسلام (وفيات ٤٢١-٤٤٠هـ): ٥٠١، المرقبة العليا: ٧٨، نفح الطيب ٦٤٣/٢١، إيضاح المكنون: ٣١/٣، هدية العارفين ٢٧٥/١، الأعلام: ٢١٣/٢.

(٣) فهرسة ابن خير: ٤٠٦.

(٤) من ترجمة د. إحسان عباس لابن اليمان في حاشية الذخيرة ٣٣٦/١/٣، وكذلك علماء الأندلس: ٤٧١. معجم الحضارة الأندلسية: ٨٩. معجم الشعراء الأندلسيين والمغاربة: ٤٤.

(٥) تاريخ الأدب العربي (د. فروخ): ٦٢٣/٤.

وإذا عدنا إلى المصادر التي اعتمد عليها د. فروخ في ترجمته لابن اليمان نجد أنها لا تهتم بوفاته وليس سوى كتاب واحد منها يذكر سنة وفاته هو الوافي بالوفيات للصفدي الذي حدّد سنة وفاة ابن اليمان بسنة (٤٥٠هـ) وليس (٤٧٠هـ) فمن أين أتى بهذا الرأي الواهم؟!

ثم إن مقدمـــات التحليل كانت ناقصة وواهمة فوزير يحيى بن حمود هو ابن بقـــنّة وليس ابن مقنة وكذلك فإن النتائج ليست صحيحة إذ لم يشر أحد من المـــترجمين أن ابـــن اليمان قد امتد به العمر ووصل إلى مرحلة الشيخوخة فبلغ الثمانين أو أكثر ولم يشر (د. فروخ) إلى مصدر تحديده لوفاة ابن اليمان.

وإذا بحثـــنا عـــن ذلك المصدر فسوف نجد أنه كتاب فوات الوفيات فقط. وأعجب من ذلك أن أغلب المصادر الأندلسية التي ترجمت لابن اليمان لم تذكر سنة وفاته وأن الذين ذكروا وفاته هم المترجمون المشارقة.

وأول من ذكر وفاته هو الحافظ ابن ماكولا (ت ٤٧٥هـ) وهو معاصر له، وقد ذكر أن ابن اليمان «بقي إلى قبل سنة أربعين وأربعمئة»[1].

ونقل السمعاني عنه ذلك[2].

كما أن ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ) يذكر أنه «بقي إلى قبيل سنة ٤٤٠»[3].

ويتشكك ابن الأبار (ت ٦٥٨هـ) في زمنه فيقول «وأحسبه توفي في نحو الخمسين وأربعمئة»[4].

ويذكر الذهبي (ت ٧٤٨هـ) أنه توفي «في حدود ٤٤٠، كان بالأندلس»[5]،

---

(١) الإكمال: ٤٧٦/١.

(٢) الأنساب ٦٧٤/٥.

(٣) معجم البلدان ٤٨٦/٥ (يابسة).

(٤) التكملة ١٩٥/١.

(٥) المشتبه ٦٦٤/٢، وعنه توضيح المشتبه ١٩٩/٩، تبصير المنتبه ١٥٠٣/٤.

ولكنه في كتابه تاريخ الإسلام يجعله في قسم خاص «بالمتوفين تقريبًا» ويقول: «وتوفي في نحو الخمسين وأربعمئة»[١].

ويذكر الصفدي (ت ٧٦٤هـ) أنه «توفي سنة خمسين وأربعمئة»[٢].

وتفرّد الكتبي (ت ٧٦٤هـ) بالقول إنه «توفي سنة سبعين وأربعمئة»[٣]، ونظن أن ذلك وهم من الناسخ أو المحقّق أو الطابع، فالكتبي قد نقل ترجمة ابن اليمان عن كتاب الوافي بالوفيات للصفدي الذي جعل وفاته سنة (٤٥٠).

ونحن نجزم بخطأ تحديد وفاة ابن اليمان بسنة (٤٧٠) لأمور كثيرة أهمّها:

١- إن ممدوحه المأمون بن ذي النون الذي توفي (٤٦٧هـ) تحسّر على فقده وموته كما ذكر ذلك شيخ مؤرِّخي الأندلس[٤]، الذي توفي كذلك قبل ذلك الزمن بسنة أي سنة (٤٦٩هـ) مما يؤكّد حتمًا أن وفاته كانت قبل هذا الزمن بمدة طويلة.

٢- إن أزمنة حكم بعض ممدوحيه تشير إلى تقدُّم زمنه وسبقه للقرن الخامس بعقدين على الأقل، فقد مدح ابن واجب الذي وزر للمنذر بن يحيى الذي حكم بين (٤٠٨-٤١٤هـ)، ومدح ابن بقنّة الذي وزر للمعتلي الذي حكم قرطبة (٤١٢هـ) ومرة ثانية (٤١٦هـ) وتوفي سنة (٤٢٧هـ)، ومدح مجاهدًا العامري الذي حكم (٤٠٠- ٤٣٦) ومدح أبا زيد البكري (٤٠٣-٤٤٣) وهجا أبا جعفر ابن عباس (ت ٤٢٩هـ) قبل سنة ٤٢٥هـ.

وفي قبالة ذلك يجب ألا تسبق وفاته سنة (٤٣٦هـ) لأنه مدح إقبال الدولة بن مجاهد الذي حكم (٤٣٦-٤٦٨هـ).

---

(١) تاريخ الإسلام: ٢٦٣.

(٢) الوافي بالوفيات ٣٢٧/٨.

(٣) فوات الوفيات ١٦٢/١.

(٤) الذخيرة: ١٤٠/١/٤.

٣- إن ثمة عددًا من الحوادث تدل على تقدُّم ولادته قبل نهاية القرن الرابع الهجري، من ذلك أنه روى عن صاعد البغدادي[١] (ت ٤١٧) ديوان ابن حجاج البغدادي في سرقسطة بين سنتي (٤١٢-٤١٤هـ) لأن صاعدًا انتقل إلى صقلية نحو سنة (٤١٤هـ)[٢].

ومثل هذا الديوان الذي يحتوي على مجون كثير لا يُروى للتلاميذ الصغار، كما أن شيخًا من بني مفرج قد سمع الديوان معه وليس من عادة السماع أن يسمع الصغير مع الكبير. فنظن أن ابن اليمان كان في سن تسمح له بحضور مثل هذه المجالس وسماع هذه الدواوين.

٤- ذكره معاصره ابن شهيد الذي توفي (٤٢٦هـ) في بعض كتبه كما تدل على ذلك بعض النقول التي أوردها الحميدي عن ابن شهيد كذكر اسمه ونسبته إلى بلده واستحسان بعض شعره[٣]. ثم إن ابن شهيد يُورد ذكره في خبره مع أبي جعفر بن عباس الذي جرى سنة (٤٢٥هـ)[٤].

٥- ثم إن أصدقاءه وندماءه قد ماتوا في النصف الأول من القرن الخامس الهجري، فأبو جعفر ابن الأبّار توفي (٤٣٣هـ) وأبو الوليد الحميري توفي (نحو ٤٤٠هـ) وأبو عامر ابن مسلمة (قتله المعتضد).

٦- ويذكر الحميدي الذي وُلد زهاء سنة (٤٢٠هـ) وتوفي سنة (٤٨٨هـ) ابن اليمان فيقول عنه: «وقد أدركت زمانه ولم أره»[٥]، والعبارة الأولى تدل على قدم عهد ابن اليمان.

---

(١) فهرسة ابن خير: ٤٠٦.

(٢) انظر كتاب «صاعد البغدادي»: ١٣٩.

(٣) جذوة المقتبس: ١٦٠.

(٤) الذخيرة ١/١/٣٠٧.

(٥) جذوة المقتبس: ١٦٠.

ومما سلف يتبيَّن لنا استحالة كون وفاة إدريس بن اليمان سنة (٤٧٠هـ) وأن الزمن الأقرب لوفاته هو في حدود الأربعين والأربعمئة أو في العقد الخامس من القرن الخامس الهجري.

شـــعره

الثناء على الشاعر وشعره:

حظي إدريس بن اليمان بثناء عاطر وإطراء وافر من قبل المترجمين المعاصرين له والذين أتوا بعده من الأندلسيين والمشارقة.

فمعاصره ابن حيّان (ت ٤٦٩هـ) يتحدث عن ضعف الشعر وانعدام الشعراء الحذّاق في بعض بلاطات ملوك الطوائف، كالمأمون بن ذي النون، ويذكر بعض الشعراء الذين أنشدوه شعرًا ثم يعلّق بقوله: «فبدا على الشعر يومئذ انكسار ولحق أحفافه انهيار وأصم به الناعي مسمعًا يندب شجوه بابن اليماني مناديًا ينادي: يا إدريساه ولا إدريس يومئذ للقوافي، وكل شيء له حتف موافي»[(١)].

ويقول ابن الأبّار «وذكره ابن حيّان في تضاعيف تاريخه وأثنى عليه بالإجادة»[(٢)].

ويبدأ معاصره الآخر الحميدي (ت ٤٨٨هـ) ترجمته له بعد ذكر اسمه بقوله: «شاعر جليل عالم»، ويختم الترجمة بقوله عن الأندلسيين: «لم يكن بعد ابن درّاج من يجري عندهم مجراه»[(٣)].

ويسبغ عليه ابن بسّام ثوب الثناء المرفّل فيقول عنه: «انبعث انبعاث السيل، وأدرك إدراك الليل، حتى تضاءلت الهضاب عن قدره وماجت الأرض ببحره، وصار شعره سمر النادي وتعلّة الحادي، وتمثّل الحاضر والبادي... وقد أخرجت

---

(١) الذخيرة ٤/١/١٤٠.

(٢) التكملة ١/١٩٥.

(٣) جذوة المقتبس: ١٦٠-١٦١.

من أخباره ما يشهد بسمو مقداره، ويعرب عن غرائب أخباره»[١].

وينعته أبو محمّد الرشاطي بأنه «شاعر متقدم يناظر بالقسطلي»[٢].

وينشد ابن دحية شعرًا «للأديب العالم»[٣].

ويُسهب ابن الأبّار في مدحه في كتابه الأول التكملة فيقول: «وكان عالمًا بالآداب، إمامًا في صناعة القريض، أحد الشعراء الفحول»[٤].

ويثني عليه ابن الأبّار في كتابه الثاني الحلة السيراء عند الاستشهاد بشعره - عرضًا - فيقول: «كان إدريس هذا مقدّمًا من فحول الشعراء»[٥].

ويصفه ابن سعيد بوصف مهم في رايات المبرزين بقوله: «من أشهر شعراء الأندلس»[٦]، وهو الشاعر الوحيد الذي انتقاه من جزيرة «يابسة» في كتابه المغرب بل من الجزائر الشرقية كلها.

أما ثناء المشارقة عليه فقد سبقت كتب الأنساب إلى التعريف بهذا الرجل والثناء عليه، فقال معاصره ابن ماكولا فيه: «أديب شاعر متقدم يناظر بالقسطلّي»[٧].

ونقل ذلك السمعاني[٨]، وياقوت الحموي[٩]، واختصره ابن الأثير[١٠].

---

(١) الذخيرة ٣/١/٣٣٦-٣٣٧.

(٢) اقتباس الأنوار: ٨٢، واختصاره: ١٩٠.

(٣) المطرب: ١٣٠.

(٤) التكملة: ١/١٩٥.

(٥) الحلة السيراء: ٢/١٨٤.

(٦) رايات المبرزين: ٢٢٩.

(٧) الإكمال: ١/٤٧٦.

(٨) الأنساب: ٥/٦٧٤.

(٩) معجم البلدان: ٥/٤٨٦.

(١٠) اللباب: ٣/٤٠٤.

ووصفه الذهبي في كتابه المشتبه بوصف عالٍ فقال: «الشاعر المفلق»[١].

ونعته في كتابه تاريخ الإسلام بقوله: «كان أديبًا شاعرًا محسنًا، لم يكن بعد أبي عمرو بن دراج من يجري عندهم مجراه»[٢].

وحلاّه ابن فضل الله العمري (ت ٧٤٩هـ)وحبّر مديحه تحبيرًا فقال: «أثار معدنها منه ذهبًا، وأطار زندها منه لهبًا، وقرّ حلمًا رجح وانبثّ سعيًا نجح، وكفل أبناءَ الأدب كفالة زكريا لمريم، وأقبل على أهل الطلب إقبال قيصر على جبلة بن الأيهم، وهمى وسميًّا ووليًّا ولا غرو لإدريس إذ رفع مكانًا عليًّا»[٣].

وفي العصر الحديث لا نكاد نجد ترجمة كاملة لابن اليمان إلا لدى الدكتور عمر فروخ – رحمه الله تعالى – فضلاً عن بعض الترجمات القصار[٤].

ويثني د. فروخ عليه ثناء عطرًا ويفصِّل في أغراضه فيقول عنه: «شاعر جليل ومكثر مطيل، نجد في شعره الوجداني عذوبة، أما شعره الرسمي في الفخر

---

(١) المشتبه: ٦٤٤/٢، توضيح المشتبه: ١٩٩/٩، تبصير المنتبه: ١٥٠٣/٤.

(٢) تاريخ الإسلام: ٢٦٣.

(٣) مسالك الأبصار: ٤١/١٧.

(٤) من أهم هذه الترجمات المختصرة التي ترجمت له:

– جزر الأندلس المنسية للدكتور عصام سالم سيسالم: ٥٣١.

– معجم الشعراء الأندلسيين والمغاربة: د. عفيف عبد الرحمن: ٤٤-٤٥.

– معجم الحضارة الأندلسية: د. يوسف عيد – د. يوسف فرحات: ٨٩.

– الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف د. سعد عبد الله البشري: ٣١٨.

وإضافة إلى ذلك لا نجد سوى إشارات خاطفة أو ذكرًا لاسمه فقط لدى بعض دارسي الأدب الأندلسي مثل د. إحسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة: ١١٥، وعصر الطوائف والمرابطين: ١٥٩، ومنيرة الشرقي في كتابها علماء الأندلس في القرنين الرابع والخامس الهجريين: ٢٤٧، ٤٧١، ٧٧١.

والمديح ففيه تقليد للمشارقة في الأغراض، وهو – مع ذلك – من فحول الشعراء و لم يكن بعد ابن دراج من يجري مجراه في متانة التركيب وعلوّ النفس، وقد تصرّف في المديح تصرفًا حسنًا وكان يأخذ على القصيدة مئة دينار، وغزله ونسيبه حسنان وله وصف بارع للخمر وللطبيعة وله هجاء»[(١)].

وكذلك أشار د. سيسالم إلى أن ابن اليمان «من أشهر شعراء عصر الطوائف»[(٢)].

وقال د. البشري: «وصف ببراعته في الآداب وأنه من فحول الشعراء»[(٣)].

ووصفه كل من د. يوسف عيد ود. يوسف فرحات بأنه «شاعر وعالم جليل»[(٤)].

أما الثناء على شعره فطويل عريض يبدأ من معاصريه من المترجمين وأولهم ابن شهيد (ت ٤٢٦هـ) إذ يذكر الحميدي أنه «استحسن له أبو عامر ابن شهيد في التشبيه قوله:

فكـأن كـل كمامـة من حولهم خلـب وكـل شقيقة ناموس»[(٥)]

وثانيهم أبو الوليد الحميري (ت نحو ٤٤٠هـ) الذي يقدّم لجميع ما يختاره من مقطوعات ابن اليمان بأوصاف تدل على إعجاب بها وتقدير لها؛

فيقدّم للمقطوعة الأولى بقوله: «وأنشدني لنفسه فيه أبو علي إدريس بن اليماني قطعة حسنة التشبيه وهي»[(٦)].

---

(١) تاريخ الأدب العربي (د. فروخ) ٦٢٣/٤.

(٢) جزر الأندلس المنسية: ٥٣١.

(٣) الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف: ٣١٨.

(٤) معجم الحضارة الأندلسية: ٨٩.

(٥) جذوة المقتبس: ١٦١.

(٦) البديع في وصف الربيع: ٩٧.

ويقدّم للمقطوعتين الثانية والثالثة ويعلّق عليهما بالثناء الوفير:

«ولأبي علي إدريس بن اليماني فيه قطعة رفيعة الوصف بديعة الرصف وهي:

فسقى السُّرى من نوره بكواكب دعج النواظر والخدود عجائبِ

فأدره علّيُّ الكأسَ بيذختية في دولة النجم الرفيع الثاقبِ

طبع الربيع على بشاشته به طبع الشبيبة فوق ثدي الكاعبِ

شبَّه لونه بلون أطراف الثدي وهو من الاختراع السري، وبيذختية منسوبة إلى بَيْذَخْت؛ قرية بعينها.

وأنشدني لنفسه أيضًا فيه بيتين أنيقي التشبيه وهما:

وأريضة حاك الغمامُ بُرودها وسقى بريق الغانيات برودَها

ضحك البنفسج فوقها فكأنما نثرت به خضر الحمام عقودَها

شبهه بلون أطواق القماريّ، وهي موضع العقود ممن يستعملها، وهذا التمثيل مفضّل له مستحسن منه»[1].

ويقدّم للمقطوعة الرابعة بقوله: «وقال أبو علي إدريس بن اليماني يصفه بوصف متقدم الإحسان وهو»[2].

ويقدّم للمقطوعة الخامسة بقوله: «وله أيضًا تشبيه عجيب أنشدنيه وهو»[3].

ويقدّم للمقطوعة السادسة بقوله: «ولأبي علي إدريس بن اليماني فيه أوصاف مستطرفة وتشبيهات مستظرفة منها قوله»[4].

---

(١) البديع في وصف الربيع: ١١١-١١٢.

(٢) المصدر نفسه: ١١٥.

(٣) المصدر نفسه: ١١٥.

(٤) المصدر نفسه:. ١٤٠

ويقدّم للمقطوعة السابعة بقوله: «ولأبي علي إدريس بن اليماني قطعة بديعة التشبيه موافقة الوصف لكل ما فيه وهي»[١].

وثالث ثناء من معاصريه من الحميدي (ت ٤٨٨هـ) الذي أدرك زمانه ولم يره يقول: «ومما يستحسن له في صفة الدرق:

إلى موقحة الأبشار من درق يكاد منها صفا الفولاذ ينفطرُ

مؤنثات ولكن كلّما قرعت تأنث الرمح والصمصامة الذكر»[٢]

وتتوالى عبارات الإطراء والمدح والثناء على قصائده من قبل الأندلسيين الذين ترجموا له أو تعرّضوا له بالذكر، كابن بسّام الذي يبدي رأيه في بعض ما اختاره له في ترجمته فيقول عن قصيدته الكافيّة: «يقول فيها في وصف الحمامة وأجاد ما أراد وزاد»[٣]، ويصف قصيدته الداليّة بقوله: «ولإدريس من قصيد فريد»[٤].

ويعلّق ابن بسّام أيضًا على مقطوعة يتنازعها ابن اليمان وابن الأبّار فيقول:

«وهي لمن كانت منهما رائقة ومتأخرة سابقة، في التزام العفاف مع السلاف، وما سمعت بأبدع منها لأحد من أهل هذا الأفق»[٥].

ويقدّم ابن الأبّار للأبيات التي أوردها لابن اليمان في مديح عبد العزيز البكري بأنها «من قصيدة فريدة» ويعلّق على ما أورده منها بقوله: «ثم تصرّف في المديح تصرّفه في النسيب وأحسن وأبدع»[٦].

---

(١) البديع في وصف الربيع:: ١٤٠.

(٢) جذوة المقتبس: ١٦٠، وانظر المطرب: ١٣٠.

(٣) الذخيرة: ٣/١/٣٤٥.

(٤) المصدر نفسه: ٣/١/٣٥٨.

(٥) المصدر نفسه: ٢/١/١٣٦.

(٦) الحلة السيراء: ٢/١٨٥.

وينقل ابن سعيد في رايات المبرزين عن ابن بسام بيتين أنشدهما لابن اليمان ويقدِّم لهما: «وأنشد له وهو طائر بجناح الاشتهار:

ثقلت زجاجات أتتنا فرَّغًا حتى إذا ملئت بصرف الراح

خفَّت فكادت تستطير بما حوت وكذا الجسوم تخف بالأرواح»[١]

ويقول ابن سعيد في المغرب عن البيتين السابقين إنهما «أبدع شعره»[٢]، ويجعلهما في كتابه عنوان المرقصات المطربات من أعلى طبقات اختياراته وهي طبقة المرقص[٣].

ويقدّم المقّري (ت ١٠٤١هـ) لهذين البيتين بقوله «ومن مشهور شعره بالمغرب والمشرق قوله»[٤].

ما يُنسَب إليه وإلى غيره:

أشار ابن بسّام في القسم الأول من المجلد الأول من ذخيرته إلى أن ابن اليمان قد أخذ معنى من شعر ابن درّاج «فقال من جملة أبيات وهي ثابتة في موضعها من هذا المجموع:

بدر ألمّ وبدر الليل ممحق والأفق محلولك الأرجاء من حسد

تحيّر الليل فيه أين مطلعه أما درى الليل أن البدر في عضدي»[٥]

ولكن هذين البيتين لم يردا مع «جملة أبيات» في ترجمته ومختاراته الشعرية

(١) رايات المبرزين: ٢٣٠.

(٢) المغرب: ١/٤٠٠.

(٣) عنوان المرقصات والمطربات: ٥٩.

(٤) نفح الطيب: ٤/٧٥.

(٥) الذخيرة: ١/١/٨٧.

التي أوردها له في القسم الثالث من الكتاب، بل يفجؤنا ابن بسّام بإيرادهما في القسم الثاني في ترجمة معاصره أبي جعفر أحمد ابن الأبّار (ت ٤٣٣هـ) في آخر مقطوعة من تسعة أبيات ثم يعلّق عليها فيقول: «وقد رأيت من يروي هذه القطعة لإدريس بن اليماني وهو الأشبه بما له من الألفاظ والمعاني، وهي لمن كانت له منهما رائقة ومتأخرة سابقة، في التزام العفاف مع السلاف، وما سمعت بأبدع منها لأحد من أهل هذا الأفق»[1]. و قد نسبها صاحبا وفيات الأعيان و الوافي بالوفيات إلى ابن الأبّار معتمدين على الذخيرة.

ما نُسب إليه وليس له :

١- نسب كلٌّ من صلاح الدين الصفدي وابن شاكر الكتبي مقطوعة في وصف الخمر إلى إدريس بن اليمان وجعلاها في مقدمة ما اختاراه من شعره وهي:

«ومن شعره:

ومُوسّدين على الأكفّ رؤوسهم قد غالهم في السكر ما قد غالني

ما زلت أسقيهم وأشرب فضلهم حتى انثنيت ونالهم ما نالني

والخمر تعرف كيف تأخذ حقّها إنّي أملت إناءها فأمالني»[2]

والمقطوعة من أشهر شعر أبي بكر محمد بن عبد الملك بن زهر الحفيد، يقول ابن سعيد في رايات المبرزين: «وأنشدني والدي عنه»[3]، ويذكر الأبيات الثلاثة السالفة، والأبيات ثابتة النسبة إلى ابن زهر في وفيات الأعيان[4]،

---

(١) الذخيرة: ٢/١/١٣٦.

(٢) الوافي بالوفيات: ٣٢٧/٨، فوات الوفيات: ١٦١/١، وقد أوردها د. فروخ ضمن مختاراته لابن اليمان: ٦٢٥/٤!!

(٣) رايات المبرزين: ٥٦.

(٤) وفيات الأعيان: ٤٣٤/٤.

ومعجم الأدباء[١]، والمطرب[٢]، ونفح الطيب[٣]...

٢- ونسب المقّري لابن اليمان بيتين في وصف الحمامة فقال:

«وقال أبو علي بن اليمان:

أبنات الهديل أسعدن أوعدنَ قليلَ العزاء بالإسعاد

بيد أني لا أرتضي ما فعلتنّ فأطواقكنّ في الأجياد»[٤]

وهو وهم جليّ منه لأن هذين البيتين من قصيدة شهيرة لأبي العلاء المعري مطلعها:

غير مُجدٍ في ملّتي واعتقادي نوحُ باكٍ ولا ترنّم شاد[٥]

للبحث صلة

(١) معجم الأدباء: ٦/٢٥٥٥ [فيه البيتان: الثاني والثالث].

(٢) المطرب: ٢٠٧.

(٣) نفح الطيب: ٢/٢٤٧.

(٤) المصدر نفسه: ٤/١٥٦.

(٥) ديوان سقط الزند: ٤٩-٥٢، شروح سقط الزند: ٣/٩٧١- ٩٨- ٩٨٣.

جولة مع تمّام حسّان في العامل النحوي

د. عمر مصطفى

لا يستطيع باحث أن يفرق بين الكلام واللغة، أو يعزل أحدهما عن الآخر، فقد اتفق الفلاسفة واللغويون على أن الإنسان لا يستطيع أن يفرق بين فكرتين تفريقًا حقيقيًا بلا علامات لغوية أي كلمات، فالتفكير بلا كلمات عائم، والكلمات أهمُّ مكونات اللغة، وتسمى وحداتٍ لها، وما يسميه النحاة أقسام الكلام، وهم يقصدون الاسم والفعل والحرف، ليس في الواقع إلا أقسام اللغة»[1].

فوظائف المباني الصرفية هي معانٍ نحوية، وهذا تأثيرها، إذ لا وجود لأيٍّ مبنى دون أثر ومعنى، فلكل مبنىً معنى، سواء أكان في سياق معين أو لم يكن، والجيد أن يقال: إن معنى المبنى ذا الدلالة المرادة التي يقتضيها السياق كامنة فيه بصرف النظر عن تخصيص النظرة الواحدة التي يريدها قائلها، فلو قيل: كاتب، أو أرض، أو مشفى، أو أي كلمة أخرى، سواء أدلت على اسم معنى أم دلت على اسم ذات، لوضعها المتلقي في سياق يفترضه، يؤدي إلى توظيفها، إذ لا وجود لكلمة مجردة، وإنما هي في سياق كامن فيها، قال إبراهيم أنيس: «أما الدلالة الهامشية فهي تلك الظلال التي تختلف باختلاف الأفراد وتجاربهم وأمزجتهم... وفي هذه الأخيرة يتسع مجال التأويل وتظهر المعاني الثانية»[2].

إنَّ لكلِّ جملة اكتفى السياق بها أصلاً تُذكر فيه عناصر الكلام كافةً،

---

(١) اللهجات العربية، نشأة وتطورًا، ص ١٢، وانظر مناهج البحث في اللغة، ص ٢٤٤.

(٢) دلالة الألفاظ، ص ١٠٣.

يُسكت عن بعضها لعدم لزومه، ولاكتفاء السياق بما ذُكر عما أُغفل، فذكْرُ الحـــدث يعني أنَّ لحدوثه فاعلاً ومفعولاً وزمانًا ومكانًا وغيَر ذلك، ولفاعله حالة تدلّ عليه، وكذا لمفعوله، وشدة حدوث الفعل، وسببه، وكل ما يمكن أن يتعلق بهذا الحدث، لأنه الأصل الذي أقيم عليه بنيان المعنى بتمامه.

وما يتطلبه المعنى المرادُ في السياق يُذكر، وما لا حاجة إليه لا يُذكر، وهذا لا يعني أنَّ ما لم يذكر في طور العدم، بدليل أنه قد يُذكر متى احتاج إليه السياق، فالسياق هو الذي يحدّد العناصر التي تُقيمه، فتذكر، وما لا تفيده، فتغفل، لأنها حشو فيه، وكلُّ ما هو حشو يكون زيادة في سياقه.

يقول الدكتور عبد الصبور شاهين: «إن المادة الأولية للغة ثابتة، ولكن أشكالها متغيرة، وليس من الممكن أن يتطرق الفناء أو الإماتة إلى المادة الخام، إلا إذا قضى الله ألا تكون اللغة ذاتها، فأما الأشكال فإنها تحيا وتموت، تحييها ضرورة تعبيرية، ويميتها انعدام هذه الضرورة، ثم تبعثها في صورة أخرى ضرورة جديدة، وهكذا دواليك.

وفي هذا يقول اللغوي الشهير فرديناند دو سوسير: «إن المتكلم يدير في ذهنه كل العناصر التي يستخدمها في بناء صيغة جديدة بطريقة لا شعورية، قبل أن ينطق بهذه الصيغة الجديدة، أي إن الصيغة الجديدة تكون موجودة لغويًا في حيّز القوة، قبل أن توجد بالفعل»[1].

وقد استُدلَّ على أن الاسم دليل قاطع على المسمى، فهو يحمل في ذاته دليل وجوده، فالوجود كامن في «زيد» مثلا، وسبب ذلك يرجع إلى عدم وجود مجرد لأي كلمة، لأنها تحمل معنى، وهو ليس مجردا عما يجعله ذا دلالة معينة.

فالوجود متحصّل من الاسم نفسه، لأنه دليل على مسمى معين، ولأن

---

(١) العربية لغة العلوم والتقنيّة، ص ٥٥-٥٦

الكلمة يجب أن تُدرج في سياق مفترض عند السامع، فهي في سياق ظاهر أو كامن في حالة معينة ذات صيغة معينة، فوظيفة علم المعنى البحث في معاني الألفاظ أو التراكيب، والأول دراسة تقليدية قديمة. يقول جون ليونز: «لقد كان علماء اللغة حتى وقت قريب يثيرون اهتمامًا كبيرا لوصف معاني الكلمات المستقلة أكثر من اهتمامهم بتحديد تفاصيل كيفية اشتقاق معنى الجملة من معاني الكلمات المكونة لها؛ وذلك بإعطائهم قواعد تشير إلى تركيبها النحوي، إلا أن الموقف تغير على نحو ملحوظ خلال السنوات الماضية»[1].

والمسمى سابق في الظهور على الاسم، إذ ليس ثمة اسم بلا مسمى، فالمسمى متبوع باسمه، والاسم تابع لمسماه في ذلك.

يقول الدكتور تمام حسان: «ولقد أشرنا من قبل إلى النحو لا يتخذ لمعانيه مباني من أي نوع إلا ما يقدمه لـــه الصرف من المباني، وهذا هو السبب الذي جعل النحاة يجدون في أغلب الأحيان أنه من الصعب أن يفصلوا بين الصرف والنحو، فيعالجون كلا منهما علاجا منفصلا، ومن هنا جاءت متون القواعد مشتملة على مزيج من هذا وذاك، يصعب معه إعطاء ما للنحو للنحو وما للصرف للصرف.

يقول ابن مالك مثلا:

وتاء تأنيث تلي الماضي إذا   كان لأنثى كأبت هند الأذى

وهذا كله يفهم على وجهين، أحدهما صرفي والآخر نحوي، ويمكن لنا أن نضع خطة الفهم الصرفي على النحو الآتي:

المعنى	المبنى	العلامة
التأنيث	التاء على إطلاقها	التاء في أبت

فالتأنيث معنى صرفي من معاني التصريف على نحو ما أسلفنا، ففهمُ بيت

(١) اللغة والمعنى والسياق، ص ٢٥

الألفية على هذا النحو فهمٌ صرفي، ولكننا نستطيع أن نفهم هذا البيت أيضا من زاوية النحو، وهي زاوية العلاقات السياقية، ويكون ذلك كما يأتي:

المعنى	المبنى	العلامة
المطابقة في التأنيث بين الفعل والفاعل	التاء على إطلاقها	التاء في أبت»[1].

وهذا تفتيت مفترض لا وجود له في اللغة، وغريب أن يُفترض شيء، ما ظهر قط، ولن يظهر، فالمبنى «التاء في أي فعل»، والمعنى الذي تؤديه «التأنيث»، والعلامة «التاء» في فعل معين، في حين أن التاء وحدها لا معنى لها، وإنما هي ذات معنى إذا كانت متصلة بالفعل، فالمبنى -إذًا- ليس التاء وحدها على إطلاقها، وإنما هي التاء حال كونها متصلة بفعل أُريد بها التأنيث، فالتاء في «صمت» وما شابهه، ليست ذات دلالة نحوية، فهي على إطلاقها ليست كما ذهب إليه الباحث.

إن النظامين الصرفي والنحوي لا ينفكّ أحدهما عن الآخر، إذ لا يمكن الوقوف على مفهوم نحوي دون الاعتماد على مفهوم صرفي، فهما بمنزلة الاسم والمسمى، إذ إن الصيغة الصرفية المجردة تتأتى من الكلمة الواحدة المنفكة عن غيرها، ولا دلالة نحوية لها إلا في سياقها، لكن هذه الدلالة حين تتأتى لا تنفكّ عن دلالتها الصرفية. فهي للكلمات ذواتها، أما الدلالة النحوية فمنفصلة عن هذا المعنى، وتتمايز بحسب تمايز الوظائف النحوية في سياقها. يقول سوسير: «علم الصرف (Morphology) والتركيب (Syntax) معا هما ما يسمى عادة بالنحو (Grammar)، على حين علم المعجم أو علم الكلمات هو مستثنى.

ولكـــن من البداية، هل هذه التقسيمات تناسب الحقائق؟ وهل تتفق مع الأسس التي افترضت الآن؟

(١) اللغة العربية معناها ومبناها، ص ١٧٨-١٧٩

إن علم الصرف يتناول أنواع الكلمات المختلفة «أفعال، أسماء، صفات، ضمائر...إلخ»، والصيغ الاشتقاقية المختلفة «تصريف الأفعال، تصريف الأسماء... إلخ»، ولفصل هذه الدراسة عن دراسة التركيب، فإنه يزعم أن موضوع التركيب الوظائفُ المرتبطة بالوحدات اللغوية، على حين علم الصرف لا يأخذ بالاعتبار إلا صيغتها... إن الصيغ والوظائف متداخلتان، ويبدو من الصعب، بل من المستحيل فصل بعضها عن بعض، لغويًا. ليس لعلم الصرف حقيقة أو موضوع مستقل، إنه لا يشكل مجالاً متميزًا للمعرفة عن التركيب، إنه لا يستطيع تشكيل علم متميز عن التركيب»[1].

«وهنا لا بدّ أن نتذكر دائمًا أن الفصل بين أنظمة اللغة المختلفة أمر طبيعي، وإنما قد يحدث ذلك بقصد تسهيل الدراسة وعمليات التحليل اللغوي لا غير، ولشدة هذا الترابط بين أنظمة اللغة المختلفة يستخدم كثير من علماء اللغة في العصر الحالي مصطلح «قواعد اللغة» Grammar للإشارة إلى هذه النظم جميعًا، وقد يستخدم بعضهم هذا المصطلح في الدلالة على النحو والصرف فقط، أما مصطلح النظم Syntax فهو يدلّ على دراسة نظام الجملة وطرق صياغتها، وسنستعمل مصطلح «النحو» هنا للدلالة على النظم وطرق صياغة الجملة وتحديد قواعدها»[2].

يقول د.تمّام حسّان: «فإدراك المبنى بواسطة النظر إلى العلامة لا يُعدُّ من العمليات العقلية الكبرى في التحليل، وإنما تأتي الصعوبة عند إرادة تعيين المعنى بواسطة المبنى فلقد أشرنا من قبل إلى أن المعنى الوظيفي متعدد بالنسبة للمبنى الواحد»[3].

---

(١) فصول في علم اللغة العام ص ٢٣٣-٢٣٤

(٢) مقدمة لدراسة علم اللغة، ص ١٠٧-١٠٨

(٣) اللغة العربية معناها ومبناها، ص ١٨٠

والأهمية تكمن في تعيين المعنى، وسببها أنها تحدد المطلوب، وهذه أهمية اللغة، فالتفاهم الحاصل بين المرسل والمتلقي يقف على معاني الكلمات الوظيفية[1]، ولا أهمية كبرى لإدراك المبنى، ولذلك لا يعد في العمليات العقلية الكبرى، لكن هذا كله لا يفلت من الاعتماد على النظام التقليدي للنحو لمعرفة الوظائف المختلفة، أي لمعرفتها من خلال إسقاط القاعدة المناسبة عليها.

ويقـول أيضًـا: «والكشف عن العلاقات السياقية – أو التعليق كما يسميه عبد القاهر– هو الغاية من الإعراب، فإذا طلب إلينا مثلاً أن نعرب جملة مـثل: «ضرب زيد عمرًا »، نظرنا في الكلمة الأولى «ضرب» فوجدناها قد جـاءت عـلى صيغة «فعل»، ونحن نعلم أن هذه الصيغة[2] تدل على الفعل الماضي سواء من حيث صورتها أو من حيث وقوفها بإزاء «يَفْعَلُ وافْعَل»، فهي

---

(١) قال السيوطي: « قال أبو الأسود الدؤلي: «دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، فرأيته مطرقا متفكرًا، فقلت: فيمَ تفكر يا أمير المؤمنين؟ قال: إني سمعت ببلدكم هذا لحنًا فأردت أن أصنع كتابًا في أصول العربية. فقلت: إن فعلت هذا أحييتنا، وبقيت فينا هذه اللغة. ثم أتيته بعد ثلاث، فألقى إليَّ صحيفة، فيها: بسم الله الرحمن الرحيم، الكلام كله: اسم وفعل وحرف، فالاسم ما أنبأ عن المسمى، والفعل ما أنبأ عن حركة المسمى، والحرف ما أنبأ عن معنى ليس باسم ولا فعل». سبب وضع علم العربية، ص ٣٤.

وقد ذكروا أيضًا في سبب وضع النحو أن أبا الأسود الدؤلي سمع قارئًا يقرأ: «إن الله بريءٌ من المشركين ورسولِه» بالجر، فقال: معاذ الله أن يكون الله بريئًا من رسوله، اقرأ: ﴿إن الله بريءٌ من المشركين ورسولُه﴾، سورة التوبة، الآية ٣.

وانظر القصة بتمامها في طبقات النحويين واللغويين، ص٢٢-٢٣.

(٢) كان على الباحث ألاّ يستسلم لأمر الصيغة في هذا السياق، لأن فكرة الزمن ودلالة الصيغة الفعلية عليها غيرُ ناضجة في أذهان النحويين السابقين، وقد أنكر ذلك أكثر الباحثين المحدثين سواء في أصول الفقه، أم في فقه اللغة. انظر البحث النحوي عند الأصوليين، ص ١٥٠ وما بعدها، ومن أسرار اللغة، ص ١٦٥.

تندرج تحت قسم أكبر من بين أقسام الكلم يسمى «الفعل»، ومن هنا نبادر إلى القول بأن «ضرب فعل ماض»، ثم ننظر بعد ذلك في «زيد» فنلاحظ ما يأتي:

١- أنه ينتمي إلى مبنى الاسم. (قرينة الصيغة).

٢- أنه مرفوع. (قرينة العلامة الإعرابية).

٣- أن العلاقة بينه وبين الفعل الماضي هي علاقة الإسناد. (قرينة التعليق).

٤- أنه ينتمي إلى رتبة التأخر. (قرينة الرتبة).

٥- أن تأخره عن الفعل رتبة محفوظة. (قرينة الرتبة).

٦- أن الفعل معه مبني للمعلوم. (قرينة الصيغة).

٧- أن الفعل معه مسند إلى المفرد الغائب. (وهذا إسناده مع الاسم الظاهر دائمًا قرينة المطابقة).

وبسبب كل هذه القرائن نصل إلى أن «زيد» هو الفاعل. ثم ننظر بعد ذلك في «عمرًا»، ونلاحظ:

١- أنه ينتمي إلى مبنى الاسم. (قرينة الصيغة).

٢- أنه منصوب. (قرينة العلامة الإعرابية).

٣- أن العلاقة بينه وبين الفعل هي علاقة التعدية. (قرينة التعليق).

٤- أن رتبته من كل من الفعل والفاعل هي رتبة التأخر. (قرينة الرتبة).

٥- أن هذه الرتبة غير محفوظة. (قرينة الرتبة).

وبسبب هذه القرائن نسارع إلى القول بأن «عمرًا» مفعول به»[1].

فتحديد الفاعل يحتاج إلى سبع قرائن، والمفعول به إلى خمس قرائن، وهذه تختلف بين وظيفة وأخرى، فهو ذكر ذلك في صدد الفاعل والمفعول، ولم يذكر شيئًا في صدد المبتدأ أو الخبر، ولاسيما أن هذا قد يؤدي إلى شيء

(١) اللغة العربية، معناها ومبناها، ص ١٨١-١٨٢.

من التشابه. قال العكبري: «وأما اختلاف الإعراب مع اتفاق المعنى وعكسه، فشيء عارض جاز لضرب من التشبيه بالأصول، فلا يناقض به»[١]. ولو سلّمنا بذلك لأصبح لكل وظيفة نحوية لأي كلمة في سياق ما قرائن خاصة بها للدلالة عليها، وهذا يقعّر المسألة، ويزيدها تعقيدًا، وليس هذا هو القصد، ولاسيما أن وضع هذه القرائن كان لكشف الوظائف أو لإعراب الكلمات، وهي مسألة تعليمية بفهمها اليسير، وإن كانت تدخل في صلب التفكير النحوي[٢].

إن العلاقة التي تربط الفعل والفاعل ذات تأثير، يحتاج إلى مفعول، بصرف النظر عن الناصب الحقيقي للمفعول، فالعلاقة الناظمة لهذين الأمرين تكوِّن الجملة الفعلية، إذ بهما تقوم، وتتحقق علاقة الإسناد.

إن سلّمنا بأن الرافع للفاعل هو الفعل، وأنّ الناصب للمفعول هو الفعل؛ فعلينا أن نسلِّم أن هذا التأثير الذي يرفع الفاعل وينصب المفعول ثابت في الاسمين معًا، فالتسليم بتأثير العلاقة بين الفعل والفاعل تسليمٌ بأنّ ظهورها يكون على المفعول، وأثر العامل يظهر عندما نعلم أنّ الناصب للمفعول به ليس الفعل وحده، ولا الفاعل وحده، ولا الفعل والفاعل معًا، وإنما علاقة الفعل بالفاعل وتأثير ذلك في المفعول، ولاسيما أنهما يكونان علاقة الإسناد في الجملة الفعلية، وإعراب الكلمة حالاً دليلٌ على ذلك، فالفاعل في «جاء زيد فرحًا» صاحب الحال، والعامل في نصبها الفعل، والحقيقة لا معنى للحال بلا صاحبها، والنصب من علاقة الفعل والفاعل، ولا نصب من غير الفعل والفاعل معًا.

ومَن قال: إن نصب الحال من تأثير الفعل جرى على ما أراده البصريون[٣] من جعْل الفعل هو العامل الحقيقي في المنصوب، أو ما له تأثير

---

(١) اللباب في علل البناء والإعراب ٥٧/١.

(٢) انظر ص ٢ من هذا البحث.

(٣) انظر الإنصاف ٧٨/١–٨٠، وكذا سيبويه ٩٢/١، وشرح المفصل لابن يعيش ٩/٨-١٠.

الفعل، وهذا نصٌّ على أن تأثير الحدث ليس مجردًا، والحدث المجرد لا تأثير له، وإنما التأثير بسبب العلاقة الإسنادية، فالأمور المجردة لا معنى لها، ومعانيها تتأتّى من سياقها، وهو أشبه بنار تخرج من ضرب حجرين أحدهما بالآخر، إذ الحجر الواحـــد لا يقـــوى على ذلك، ولكنَّ العلاقة بين هذين العنصرين تخرج هذه النار، فالتأثير حصل من علاقتهما، وليس من أحدهما فقط، ومحصوله أن هذا من أثر النظم الذي يؤثر في الكلمات، ويسميها بمسمياتها الوظيفية في السياق.

ولو سلّمنا بما ذهب إليه د.تمّام حسّان وجدنا أن الأخذ بذلك يفرض أن تُراقب عملية التفكير بنحو دقيق عند إعراب الفاعل مثلاً، لتتبيّن حقيقة مرور هذا التفكير بـــهذه المراحل، أو تُستحضر هذه المعاني التي عبر عنها بالقرائن، وإن كانت تعتمد على فهم سابق، استُخلص من قاعدة نحوية معينة، فلو لم يكن لدى المعرب مفهوم سابق لهذه العملية على أن هذه الصيغة تنتمي إلى صيغ الاسم لما استطاع معرفة ذلك، وكذا القرائن الأخرى، ولاسيما قرينة التعليق، وسآتي على ذكرها.

فمراقبة ذلك تعني استحضار عدد من القواعد، لأستطيع تحديد الوظيفة للكلمة المعنية، مع أن علاقة الإسناد وحدها تكفينا مؤونة القرائن الأخرى للوصول إلى ما نريد في أمر الفاعل، وهي التعليق كما سماها عبد القاهر، وتبعه الباحث؛ لأن ما يوضح ذلك، ويحتاج إليه المعرب معرفةُ حقيقة الإسناد، فمعرفة ذلك تبيّن الفاعل، وأمّا ظهور الضمة عليه فمسألة أخرى، فكون الكلمة فاعلا على سبيل المثال هو الذي تطلّب وجود الضمة، لأنها مجرد علامة على ذلك، ولا صلة لها بحقيقة العلاقات بين الكلمات بصرف النظر عن ظهور الحركات، وأما تفسير ظهور الحركات فهذا يدفع إلى معرفة حقيقة العوامل التي جعلت هذه الحركة دون غيرها تظهر على هذا الاسم.

وهل يلزم أن أنظر في القرائن التي ذكرها الباحث حتى أتبين فاعلية الكلمة أو مفعوليتها، وما أقول إذا كان الكلام مكتوبًا، ولم تظهر حركاته؟ لكن معرفة حقيقة الإسناد، هي التي تجعلني أضع الضمة على هذه الكلمة والفتحة على تلك، وليس ظهور الحركة هو الذي يدلل على ذلك، ولاسيما أن الفتحة – على سبيل المثال- تظهر على عدد غير قليل من الوظائف المختلفة للكلمات.

ويضاف إلى ذلك ما للسياق من أثر ظاهر في هذا الأمر، فقد اعتنى النحاة بالمقام الذي تتشكل فيه العناصر اللغوية، مشيرين بذلك إلى تأثير دلالة السياق اللغوي وسياق الموقف الملابس لـــه في العناصر النحوية، من حيث الذكر والحذف والتقديم والتأخير والتعريف والتنكير، وغير ذلك مما يعرف بعلم المعاني، إذ يدرس أحوال الإسناد الخبري وأحوال المسند إليه وأحوال المسند وأحوال متعلقات الفعل[١].

والوظيفة النصية تختص ببناء الحدث اللغوي «المقال»، وذلك باختيار الجمل المناسبة للمقام ولقوانين النحو ولتنظيم المحتوى بطريقة منطقية مترابطة تتسق مع عملية الاتصال في مجموعها[٢].

والباحث أغفل أثر المقام في الكشف عن العلاقات، وهو الغاية من الإعراب كما قال الباحث[٣]، وأعني بذلك أنه لما ذكر القرائن التي تكشف وظيفة الكلمة في السياق أو ما يسمى بالإعراب لم يذكر قرينة المقام، فبدلُ النسيان أو الغلط كما عبَّر عنه النحويون في كلامهم قد يصبح بدل قصْدٍ

(١) انظر النحو والدلالة، محمد حماسة عبد اللطيف، ص ١١٣.

(٢) انظر الأسلوب: دراسة لغوية إحصائية، ص ١١٨.

(٣) اللغة العربية معناها ومبناها، ص ١٨١.

بالنظر إلى أثر المقام، نحو: «قرأ زيد كتابًا، مجلةً»، فالنحويون يعربون «مجلة» بدلَ نسيان أو غلط، والمقامُ هنا يأبى الخطأ أو النسيان، بل الأمر مقصودٌ بذاته، والمغزى أن يُوحى إلى زيد بضرورة قراءة كتاب بدل مجلة. فهذا الذي ظُنّ أنه غلط مقصودٌ، فهو – إذًا – بدلُ قصد، لا نسيان. والأمثلة على ذلك كثيرة. وهذا كله مما يؤكد أثر المقام في الكشف عن العلاقات وتبيانها، وإذا سلّمنا بذلك كان «المقام» قرينة لا تقلّ أهمية عن القرائن التي ذكرها لأجل الإعراب.

قال نهاد الموسى: «وكنت نظرت في سياق بحث مختلف في كتاب سيبويه، ألتمس فيه هذا العنصر من عناصر التحليل، فوجدته منذ ذلك العهد المبكر، يفزع إلى «السياق» والملابسات الخارجية وعناصر المقام، ليردَّ ما يعرض في بناء المادة اللغوية من ظواهر مخالفة، إلى أصول النظام النحوي طلبا للاطراد المحكم، وهو يوافق فيما صدر عنه في الكتاب ملاحظات كثيرة مما تنبني عليه الوظيفة ومناهج «التوسع» أو اللغويات الخارجية بعبارة دي سوسير»[1].

ثم قال: «وسيبويه يجمع في كتابه بين التفسير اللغوي وملاحظة السياق، ولا يقف عند الجانب اللغوي الخالص المنسجم مع نظرية العامل، بل يتسع في تحليل التراكيب إلى وصف المواقف الاجتماعية التي تستعمل فيها، وما يلابس هذا الاستعمال من حال المخاطب وحال المتكلم وموضوع الكلام، كما تنبه إلى أثر السياق في أمن اللبس وتحديد البناء الجواني المقصود من البناء البراني ذي الاحتمالات»[2].

وقول تمّام حسّان: «والكشف عن العلاقات السياقية... هو الغاية من الإعراب»، يقتضي أن يكون المقصود الإعراب التطبيقي، وهذا مختلف عن

---

(١) نظرية النحو العربي، ص ٨٨.

(٢) نفسه، ص٩٠-٩١.

الإعراب الذي دخل الكلام لأغراض توضيح الوظائف وإزالة اللبس[١]، فهو موجــود في اللغة بالقوة، سواء أُعرب الكلام أم لم يُعرب، وهو ما صرح به غير واحد من النحويين.

قال الزجاجي: «والإعراب إنما دخل الكلام ليفرق بين الفاعل والمفعول، والمالك والمملوك، والمضاف والمضاف إليه، وسائر ما يعتور الأسماء من المعاني»[٢].

وقال ابن جني: «الإعراب هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ، ألا ترى أنك إذا سمعت: أكرمَ سعيدًا أباه، وشكر سعيدًا أبوه، علمت برفع أحدهما ونصب الآخر، الفاعل من المفعول، ولو كان الكلام شرجا واحدا؛ لاستبهم أحدهما من صاحبه»[٣].

وقال ابن فارس: «الإعراب هو الفرق بين المعاني المتكافئة في اللفظ، وبه يعرف الخبر الذي هو أصل الكلام، ولولاه ما ميز فاعل من مفعول، ولا مضاف من منعوت، ولا تعجب من استفهام، ولا صدر من مصدر، ولا نعت من تأكيد»[٤].

وقال عبد القاهر الجرجاني: «قد علم أن الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها، وأن الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها، وأنه هو المعيار الذي لا يتبين نقصان كلام ورجحانه حتى يعرض عليه»[٥].

---

(١) انظر تيسير النحو التعليمي قديمًا وحديثًا مع نهج تجديده، ص ٥٨.

(٢) الإيضاح، ص ٧٦، وانظر الجمل، ص٢٦٠.

(٣) الخصائص ١/٣٥، وانظر نحو وعي لغوي، ص ٥٥.

(٤) الصاحبي، ص ٧٦، وانظر المزهر ١/٣٢٧ .

(٥) دلائل الإعجاز، ص ٢٨، وانظر المقتصد ١/٢١٠ .

وقال السهيلي: «إن الإعراب دليل على المعاني التي تلحق الاسم نحو كونه فاعلا، أو مفعولا، أو غير ذلك»[١].

وقال السكاكي: «إن كل واحد من وجوه الإعراب دال على معنى، كما تشهد لذلك قوانين علم النحو»[٢].

وقال ابن أبي الربيع: «وهذا التغيير في الحركات إنما قصد به في الأصل الدلالة على المعاني من الفاعلية والمفعولية والإضافة»[٣].

وقال ابن قيم الجوزية: «اختص الإعراب بالأواخر، لأنه دليل على المعاني اللاحقة للمعرب، وتلك المعاني لا تلحقه إلا بعد تحصيله، وحصول العلم بحقيقته»[٤].

إذًا، ثمة فرق كبير بين الكلام على العامل الذي أثّر في الكلمة، فكان ظهورُ هذه الحركة دون غيرها دليلاً عليه، وبين معرفة المعنى الوظيفي للكلمة ذاتها في السياق ذاته. ويدلُّ على أن المسألة ليست محصورة في العامل النحوي فقط، بل في السياق الذي له أثر في ذلك، وهو ما يُعرف بالنظام النحوي. فالعامل يُحدث الحركة على الكلمة المعربة في الأصل، غير أنه لا يُحدثها على الكلمة المبنية في الأصل، وهذا يعني أن العامل من حيث المبنى لم يؤثر في الكلمة، لكن السياق ما زال يؤثر فيها، فيبين وظيفتها، ويكشف ارتباط الكلمات الأخرى بها.

ولعلّ الباحث في كلامه على العامل النحوي خلط بين العامل ذي الأثر الظاهر على الكلمات بسبب اختلاف المعاني الوظيفية، وبين النظام

---

(١) نتائج الفكر، ص ٨٢ .

(٢) مفتاح العلوم، ص ٢٥١ .

(٣) البسيط ١/ ١٧٢-٥٨١ .

(٤) بدائع الفوائد ١/٣٤.

النحوي الذي يكشف وظائف الكلمات بعملية الإعراب.

وهو أمر يظهر واضحًا في عملية ضبط الكلمات المكتوبة أو المنطوق بها عند من يجهل ما تقتضيه القواعد، وضرب الباحث مثالاً على ما نحن فيه قولنا: «ما أحسن زيدًا»، فقال: «وأما بالنسبة لمبنى «ما»؛ فقد رأينا من قبل أنها تصلح على إطلاقها للشرط، والاستفهام، والموصول، والمصدرية، وأن تكون كافة، أو زائدة، إلخ، بل إنها في هذا الموضع بالذات رأينا أن النحاة اختلفوا فيها بين أن تكون:

١- نكرة تامة بمعنى «شيء».

٢- استفهامية.

٣- معرفة ناقصة بمعنى «الذي».

٤- نكرة ناقصة، وبعدها صفة.

وإن كانوا اتفقوا على أنها اسم وأنها مبتدأ، والمغزى من وراء كل ذلك أن ما يتسم به المعنى الوظيفي للمبنى الواحد من التعدد والاحتمال يجعل الناظر في النص يسعى دائماً وراء القرائن اللفظية والمعنوية والحالية، ليرى أي المعاني المتعددة لهذا المبنى هو المقصود، ومن هنا نرى التفاصيل بين المعربين للجملة الواحدة»[1].

وهذا يدل دلالة قاطعة على أن القرائن السبع التي سبق ذكرها أو الخمس أو غيرها، لا تعين على كشف المراد من «أحسن»، وأن تسليط هذه القرائن وغيرها على«أحسن» لا يحدد حركتها، إذًا، فما قيمة هذه القرائن وحدها إذا لم تبيّن حركة هذه الكلمة في هذه الجملة؟ ولا بدّ من اللجوء إلى قرائن أخرى لمعرفة وظيفة الكلمة أو إعرابها، ولاسيما أن القرائن التي ذكرها

(١) اللغة العربية، معناها ومبناها، ص١٨٠-١٨١.

لا توجب حركة ما دون أخرى، ولا تحدد كون حركة الكلمة ضمةً أو فتحة، وفي هذا السياق نجد أن المراد لا يستبين إلا باللجوء إلى السياق العام الذي وردت فيه الجملة، فإذا تعذر هذا، أُخضعت الجملة للمعنى الشائع والأكثر ورودًا في هذا النمط من التعبير، وهو – على سبيل المثال في هذا الأمر– أن تكون «ما» نكرة تامة، و«أحسن» فعلاً ماضيًا لإنشاء التعجب.

فالتنوع السياقي يؤدي إلى تنوع في المعاني الوظيفية بصرف النظر عن أي عامل، وهذا من طبيعة النظام النحوي[1]، وليس من خصائص العامل النحوي، فالعامل يؤثر في الكلمات التي تقبل التأثُّر، فتكون الحركات دلائل على ذلك، وأما ما يضبط هذه الأمور جميعًا – بالإضافة إلى العامل– فهو النظام العام للسياق، إذ ليس من وظيفة أحد ولا بمقدوره أن يحدد المعنى الوظيفي بمعزل عن السياق المعين.

ثم قال: «وفي رأيي –كما كان في رأي عبد القاهر على أقوى احتمال– أن التعليق هو الفكرة المركزية في النحو العربي، وأن فهم التعليق على وجهه كاف وحده للقضاء على خرافة العمل النحوي والعوامل النحوية، لأن التعليق يحدد بواسطة القرائن معاني الأبواب في السياق، ويفسر العلاقات بينها على صورة أوفى وأفضل وأكثر نفعًا في التحليل اللغوي لهذه المعاني الوظيفية النحوية»[2].

إن إدراك التعليق أمر خاص بالعملية الإعرابية التي تبين المعاني الوظيفية

---

(١) «والنحو من اللغة كالقلب من الجسم الإنساني –كما يقول تشومسكي– وإذا كان القلب يمد الجسم الإنساني بالدم الذي يكفل له الحياة، فإن النحو يمد الجملة بمعناها الأساسي الذي يكفل لها الصحة ويحدد لها عناصر هذا المعنى». النحو والدلالة، ص ٩.

(٢) اللغة العربية، معناها ومبناها، ص ١٨٩ .

للكلمات في السياق، ولا يعني القضاء على خرافة العمل النحوي كما ذهب الباحث إليه، إذ إن بين الإعراب والعامل فرقًا كبيرًا، فقد يجري هذا الكلام على الإعراب، فيصبح التعليق هو الأهم بين القرائن التي ذكرها، قال ابن يعيش: «الإعراب: الإبانة عن المعاني باختلاف أواخر الكلم لتعاقب العوامل في أولها، ألا ترى أنك لو قلت: «ضرب زيد عمرو» بالسكون من غير إعراب، لم يُعلم الفاعل من المفعول، ولو اقتُصر في البيان على حفظ المرتبة، فيعلم الفاعل بتقدُّمه والمفعول بتأخُّره، لضاق المذهب، ولم يوجد من الاتساع بالتقديم والتأخير ما يوجد بوجود الإعراب، ألا ترى أنك لو قلت: «ضرب زيد عمرًا»، و«أكرم أخاك أبوك»، فيعلم الفاعل برفعه، والمفعولُ بنصبه، سواء تقدَّم أو تأخَّر.

فإن قيل: فأنت تقول: «ضرب هذا هذا»، و«أكرم عيسى موسى»، وتقتصر في البيان على المرتبة، قيل: هذا شيء قادت إليه الضرورة هنا لتعذُّر ظهور الإعراب فيهما، ولو ظهر الإعراب فيهما أو في أحدهما، أو وُجدت قرينة معنوية أو لفظية، جاز الاتساع بالتقديم والتأخير»[1].

أما أمر العامل النحوي؛ فمختلف عما سبق، إذ لا مدخل للمتكلم على السليقة بأمر العامل، فهو مسألة لا سلطان له عليها، فالمتكلم –قصد أو لم يقصد– لا يستطيع إلا أن يلفظ بنحو صحيح، وبذلك يظهر أثر العامل النحوي في كلامه، وهذا الإنسان الذي أعنيه هو صاحب الفطرة والسليقة، وخير مثال على ذلك ما فعله بعضهم في مناصرة الكسائي على سيبويه، عندما قالوا: هي بالنصب لا بالضم، ولم يلفظوها[2]، لأنهم لو لفظوها لما استطاعوا أن يناصروا

---

(١) شرح ابن يعيش ١/٧٢.

(٢) انظر الإنصاف ٢/٧٠٢.

الكسائي، وذلك بسبب قوة العامل في كلام صاحب السليقة، أي إن الاسم الواقع بعد «إن» وهي حرف ناسخ، لا يكون إلا منصوبًا، ولو أراد المتكلم غيرَ ذلك لما استطاع، فهذا هو العامل، وما دون ذلك لا يكون إلا بتأثير المتكلم نفسه، فالمتكلم اليوم هو الذي يرفع الفاعل وينصب المفعول[١]، ولكن الفاعل عند أصحاب السلائق يرفعه الفعل بتأثيره، وليس بتأثير إرادة المتكلم نفسه.

قال سيبويه في باب مجاري أواخر الكلم من العربية: «وإنما ذكرت لك ثمانية مجار لأفرُق بين ما يدخله ضرب من هذه الأربعة لما يُحدث فيه العامل[٢] – وليس شيء منها إلا وهو يزول عنه– وبين ما يُبنى عليه الحرف بناء لا يزول عنه لغير شيء أحدث ذلك فيه من العوامل، التي لكل عامل منها ضرب من اللفظ في الحرف، وذلك الحرف حرف الإعراب»[٣].

وابن جني نفسه أقرَّ بالعامل النحوي مع أنه كان قد استسلم في بداية كلامه عليه بجعله من فعل المتكلم نفسه بقوله: «فأما في الحقيقة ومحصول الحديث فالعمل من الرفع والنصب والجر والجزم إنما هو للمتكلم نفسه لا لشيء غيره، وإنما قالوا: لفظي ومعنوي، لما ظهرت آثار فعل المتكلم بمضامة اللفظ للفظ، أو باشتمال المعنى على اللفظ، وهذا واضح»[٤]، ثم عاد عن

---

(١) انظر إحياء النحو، ص ٧٨، و«في إصلاح النحو العربي»، ص ١٠٠، والنحو العربي بين التطوير والتيسير، ص ٢٤٢، وإحياء النحو وتجديده بين إبراهيم مصطفى وأمين الخولي، ص ١١٥-١١٦ .

(٢) قال الفارسي: «وهذا مما يدلّ على أن الغرض في الأسماء أن تكون معرَّضة للعوامل والإخبار عنها، ألا ترى أن الحركة تجب لها بالعامل». المسائل العسكريات، ص ١٥١.

(٣) سيبويه ١/١٣.

(٤) الخصائص ١/١٠٩-١١٠.

ذلك، وجعله من أثر السياق[١]. لأنه مفروض على المتكلم، ولا إرادة لـه فيه، وشأنه شأن التلفظ في أي حرف من حروف العربية بنحو صحيح، إذ لا قدرة للمتكلم على تغيير ذلك.

قال العكبري: «واختلفوا هل الإعراب سابق على البناء أم العكس؟ فالمحققون على أن الإعراب سابق، لأن واضع اللغة حكيم، يعلم أن الكلام عند التركيب، لابد أن يعرض فيه لبس، فحكمته تقتضي أن يضع الإعراب مقارنا للكلام. وقال الآخرون تكلمت العرب بالكلام عاريا من الإعراب، فلما عرض لهم اللبس، أزالوه بالإعراب، وهذا لا يليق بحكمتهم»[٢]. إن إعراب الكلام من صنع المعرب، وهو توضيح الوظائف، غير أن العامل هو الذي أحدث هذه الحركات المنبية عن بعض الوظائف، وأما السياق فهو الذي أناط الوظائف بالكلمات.

فالنظام النحوي لا يقوم على تبيان وظيفة الكلمة، لأنه في الكلمة ذاتها، فهو – وإن لم نفصح عنه– كامن فيها بسبب مكانها في السياق، وهي مسألة يسيرة تعليمية، لأن تبيان وظائف الكلمات لا يلغي هذه الوظائف في سياقها أو يغيرها، وعدم تبيانها لا يؤثر في جوهر النظم وحقيقته وصحته. «فقد اتخذ التشومسكيون من معرفة التركيب شرطا أساسيا لمعرفة المعنى، كما اتخذوا من المادة الدلالية دليلا يهتدون به في معرفة الصلات النحوية»[٣]. والدراسات التي تحاول الإجابة عن هذه التساؤلات تكشف صعوبة البحث في هذا المجال وأهميته في الوقت نفسه.

---

(١) وهذا ظاهر في مواضع كثيرة من الخصائص.

(٢) اللباب في علل البناء والإعراب ١/٥٧ .

(٣) نظرية تشومسكي اللغوية، ص ١١٨ .

ولهذا أثر في إنشاء النص اللغوي، وليس في دراسة نصٍّ مُنشأ، والفرق بين الأمرين كبير، لأن دراسة أمرٍ ما بقصد تفسيره تختلف عنها بقصد إنشائه، والقاعدة تظهر من جراء التفسير، وليس من جراء الإنشاء. «إن جميع التأويلات النحوية تفسير لواقع الجملة، أي للحدث اللغوي، وهي بهذا لا تتصل بعلم النحو الذي هو علم النماذج التركيبية، بل بعلم المعاني الذي هو تفسير لمعاني الأحداث اللغوية الواقعية من ناحية والنماذج التركيبية من ناحية أخرى»[١]. أما دراسة علل ظهور النص اللغوي على هذا النمط؛ فهي جوهر المسألة. لأنّ العبرة في الإنشاء أولاً، ثم في تفسيره ثانيًا، لأن في ذلك يسرًا قد لا يكون لولا المرحلة المتقدمة عليه، وهي تَكَشُّفُ هذه العلل التي جعلت السياق اللغوي يسير على هذا السمت دون غيره.

وخلاصة الكلام أن صعوبة تفسير النمط اللغوي الخاص باللغة العربية وكثرة اختلافات النحويين في علل ذلك تحتاج إلى ما يزيل عنها هذا الغموض، ويكشفها كشفًا، يجعل تلك الاختلافات تنحصر في مسائل قليلة ودقيقة. وهي بغنى عن تفسير جديد، لا يقدم إليها إلا ما يزيدها صعوبة وتعقيدًا، والرغبة في التفرّد برأي ما، قد يجرّ صاحبه إلى غير ما يلبي العوز فيه، ويحقق المنشود.

والمسألة إما علمية أو تعليمية، والتيسير فيهما مطلوب بنفسه، وعدم الإغراق في استكشاف قواعد ذلك أو مراحله قصدٌ مطلوب. فالعامل النحوي على ما هو عليه عند النحويين ثار عليه بعض منهم، فكيف الحال عند المحدثين منهم؟ وكيف الحال عند المتعلمين؟ وما نقول عنه إذا سلّمنا بأنّ معرفة إعراب الفاعل تحتاج إلى سبع قرائن، والمفعول به خمس قرائن؟ وذلك يعني أن لكل

(١) دراسات نقدية في النحو العربي، عبد الرحمن أيوب، ص ١٢٧ .

حالة إعرابية قرائن خاصة بها، أو عاملاً مختلفًا عن الآخر، كما أن إدراك العملية الإعرابية التي تبين المعاني الوظيفية للكلمات في السياق، لا يعني القضاء على العامل النحوي، كما أشار الباحث، إذ الفرق بين الأمرين كبير.

فهو بما أراده وذهب إليه جعل وظيفة النظام النحوي كشفَ الوظائف النحوية أو معرفةَ العوامل فحسب، غير أن التنوع السياقي يؤدي إلى تنوع في المعاني الوظيفية بصرف النظر عن العامل، وهذا من طبيعة النظام النحوي، وليس من خصائص العامل النحوي.

ومهما يكن من أمر؛ فالمسألة لا تقف عند حدود العامل النحوي، وإنما تتعلق بالنظام النحوي، وما ذهب إليه الباحث يحتاج إلى إعادة نظر إذ لا يلبي الغرض، ولا يُيسِّر الأمر.

ثبت المصادر والمراجع

– إحياء النحو، إبراهيم مصطفى، القاهرة، ١٩٣٧م.

– إحياء النحو وتجديده بين إبراهيم مصطفى وأمين الخولي لعبد الله أحمد خليل منشورات جامعة عمر المختار، ليبيا، ط١، ١٩٩٤م.

– الأسلوب: دراسة لغوية إحصائية، الدكتور سعد مصلوح، عالم الكتب، القاهرة، ط٣، ١٩٩٢م.

– الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري، المكتبة التجارية الكبرى.

– الإيضاح في علل النحو للزجاجي، تحقيق مازن المبارك، دار النفائس، ط٤، ١٩٨٢م.

– البحث النحوي عند الأصوليين لمصطفى جمال الدين، دار الرشيد للنشر، ١٩٨٠م.

– بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

– البسيط في شرح جمل الزجاجي لابن أبي الربيع، تحقيق د.عياد الثبيتي، دار الغرب

الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.

– تيسير النحو التعليمي قديمًا وحديثًا مع نهج تجديده، الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف.

– الجمل للزجاجي، علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م.

– الخصائص لابن جني، تحقيق محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت.

– دلائل الإعجاز للجرجاني، تصحيح محمد عبده، نسخة مصورة، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٨م.

– دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، مطبعة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٦م.

– سبب وضع علم العربية للسيوطي، تحقيق مروان العطية، دار الهجرة، دمشق، ط١، ١٩٨٨م.

– شرح المفصل لابن يعيش، مكتبة المتنبي، القاهرة.

– الصاحبي لابن فارس، تحقيق أحمد صقر، البابي الحلبي، ١٩٧٧م.

– طبقات النحويين واللغويين لأبي بكر الزبيدي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر.

– العربية لغة العلوم والتقنيّة، الدكتور عبد الصبور شاهين، دار الاعتصام، ط٢، ١٩٨٦م.

– فصول في علم اللغة العام، ف. دي. سوسير، نقله إلى العربية أحمد نعيم الكراعين، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٥م.

– في إصلاح النحو العربي، دراسة نقدية، عبد الوارث مبروك، دار القلم الكويت، ط١، ١٩٨٥م.

–كتاب سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٨٨م.

– اللباب في علل البناء والإعراب للعكبري، تحقيق غازي مختار طليمات، وعبد الإله نبهان، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤١٦هـ.

– اللغة العربية، معناها ومبناها لتمّام حسان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٣م.

– اللغة والمعنى والسياق، جون ليونز، ترجمة د.عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة، سلسلة «آفاق عربية»، بغداد ١٩٨٧م.

– اللهجات العربية، نشأة وتطورًا، دكتور عبد الغفار حامد هلال، ط٢، ١٩٩٠م.

– المزهر للسيوطي، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وزملائه، دار التراث، القاهرة، ط٣

– المسائل العسكريات للفارسي، تحقيق إسماعيل أحمد عمايرة، منشورات الجامعة الأردنية، ١٩٨١م.

– مفتاح العلوم للسكاكي، المطبعة الأدبية بمصر، ١٣١٧هـ.

– المقتصد في شرح الإيضاح للجرجاني، تحقيق كاظم بحر المرجان، وزارة الثقافة العراقية، ١٩٨٢م.

– مقدمة لدراسة علم اللغة، دكتور حلمي خليل، دار المعرفة، الإسكندرية، ١٩٩٣م.

– من أسرار اللغة لإبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٤

– مناهج البحث في اللغة، دكتور تمام حسان، طبعة الرسالة، ١٩٥٥م.

– نتائج الفكر للسهيلي، تحقيق د. محمد البنا، دار الرياض، ١٤٠٤هـ.

– النحو العربي بين التطوير والتيسير، عبد الرحمن السيد، مجلة مجمع القاهرة، مجلد ٧٠، ١٩٩٢م.

– نحو وعي لغوي، الدكتور مازن المبارك، دار البشائر، دمشق، ط٤، ٢٠٠٣م.

– نظرية تشومسكي اللغوية، جون ليونز، ترجمة حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط١، ١٩٨٥م.

معجم مصطلحات الصيدلة والعقاقير

في كتاب القانون لابن سينا

(القسم الرابع والعشرون)(*)

د . وفاء تقي الدين

جُبْن*

جبن	١: ٢٢، ٩٧، ١٤٤، ١٦٨، **٢٨٦**، ٢٨٧/
	٢: ٤٥٧، ٥٧١، ٥٩٩
أجبان	٢: ٢٣٤، ٢٣٥، ٤٧٠، ٥٠٠
جبن حديث	٢: ١٢٨

(*) نُشرت الأقسام الثلاثة و العشرون السابقة في مجلة المجمع (مج٦٧: ص٧٤، ٤٢٨) و (مج ٦٩: ص ٣٤١، ٥٢٥) و (مج ٧٠: ص٧٥، ٣٠٣) و (مج ٧١: ص ٣٠٩، ٦٠٣) و (مج ٧٢: ص ١١٧، ٣٢٣، ٧٤٧) و (مج٧٣: ص ١١٧) و (مج ٧٥: ص ١٥٣) و (مج ٧٦: ص ١٣٥، ٦١١) و (مج ٧٧: ص٥٢٥) ومج (٧٩: ص٧١، ٣٣٣ ، ٦٢٥، ٨٣٧) ،و مج (٨٠: ١٦١، ٣٩١، ٦٢١) .

*كتاب ديسقوريدس ١٥٢ (توروس تاروس)، والحاوي ٢٠: ٢٧٢، والملكي ١: ١٩٦، ومنهاج البيان ٦٦ب، ٢٤١ أ (ماء الجبن)، وأقرباذين القلانسي ٣٩ (ماء الجبن)، والمنتخب من مفردات الغافقي ١٠١، ومفيد العلوم ٧٤ (ماء الجبن)، ومفردات ابن البيطار: ١: ١٥٧، والمعتمد ٦٣، والشامل ١٥٨، ومالايسع ١٤٢، وتركيب مالايسع ٨٢ب (ماء الجبن)، وتذكرة الأنطاكي ١: ٩٩، ومعجم الشهابي ٢٨٩، ومعجمات اللغة (جبن).

٤٤٨/ ٢: ٦٩، ٧١، ٨٥، ١٣٩، ٢٢٣،
٣٠٢، ٣٥٦، ٣٥٩، ٣٩٢، ٣٩٥، ٤٠٥،
٤٠٩، ٤١٠، ٤٦٥، ٤٩٣، ٣/٦١١:
٢٨، ٥٣، ٧٠، ١١٧، ١٣٧، ٢٥١،
٢٨٢، ٢٨٧، ٢٨٩، ٢٩١، ٣٣٦، ٣٧٣،
٤٣٤.

مياه الجبن ٢: ٣٩٢

الجبن من الأغذية التي ذكرتها كتب المفردات الطبية، واتخذه ابن سينا مدخلاً مستقلاً عن اللبن، وقال فيه: «الماهية: الجبن قد يتخذ من الحليب، وقد يتخذ من الرائب، وهو المسمى الأقط..» ثم ذكر خواصه وفوائده الطبية الكثيرة وبخاصة ماء الجبن الذي ذكر نسخة منه في معالجات اليرقان الأصفر، أما غراء الجبن فذكره مرتين الأولى علاجاً لإلصاق الشعر المنقلب إلى داخل العين حيث قال: «ومن الإلزاق الجيد أن يلزق بالدهن الصيني، وأجود منه بغراء الجبن وقد ذكرناه في القراباذين» والثانية في صفة بعض أنواع القاثاطير الذي يصنع من جلود الحيوانات ويلصق بغراء الجبن. ولم أجد في قراباذين القانون ولا في غيره من القراباذينات ذكراً لهذا الغراء بله وصفاً له.

الجبن ماجُمِّد صناعةً من اللبن، وله أصناف كثيرة جداً تختلف باختلاف المادة المجبِّنة واللبن المجبَّن. وقد أشار ابن سينا إلى صنفين منه أحدهما يصنع من اللبن المحلوب حديثاً، والآخر منه حين يروب فينفصل بعض مائه عن سائر مكوناته، وذكر أصنافاً أخرى في تضاعيف الكتاب. وأكثر مايخثر الجبن

بالإنفحة.

ضبط الكلمة المشهور بضم الجيم وسكون الباء، وجاء في لسان العرب: «الجُبْن، والجُبُن والجُبُنّ مثقل: الذي يؤكل، والواحدة من كل ذلك بالهاء .. الجوهري: الجبن هذا الذي يؤكل، والجبنة أخص منه».

جثرد

جثرد ١: ٣٣١

ورد هذا الاسم في كلام ابن سينا على حيوان سماه طاطيقس، قال فيه «..وأهل خراسان يسمونه جثرد» فهو اسم محلي لذاك الحيوان. انظر (طاطيقس).

كذا وردت اللفظة في القانون المطبوع، ومادة طاطيقس مما حذف من المصورة والمخطوطات الأخرى في جملة أدوية ذات أسماء غريبة مجهولة.

جُدْجُد*

جدد [كذا وهو تصحيف] ١: ٤١٦

في فصل الصاد من كتاب الأدوية المفردة ذكر ابن سينا الصرصر، وقال في شرحه هو الجدد، كذا وردت الكلمة مصحفة في المطبوع ببولاق، وهي محذوفة من المطبوع برومة، وفي المصورة «الهدهد» وهو خطأ أيضًا. والصواب من المخطوطات الأخرى. جاء في لسان العرب: «قال ابن سيده: والجُدْجُد دويبة على خلقة الجندب إلا أنها سويداء قصيرة، ومنها مايضرب إلى البياض ويسمى

* حياة الحيوان ١: ١٦١، ومعجم الحيوان ٧٥، ١١٩، ومعجم الأمير مصطفى الشهابي الألفاظ الزراعية ٣١٩، ومعجمات اللغة (جدد).

صرصراً. وقيل: هو صرار الليل، وهو قفّاز فيه شبه من الجراد، والجمع الجَدَاجِد..» واسمه العلمي Cryllus وهو من جنس حشرات من فصيلة الجدجديات ورتبة مستقيمات الأجنحة

ضبط هذا الاسم بضم الجيمين وسكون الدال. قال في تاج العروس: «والجدجد كهدهد طويئر يصر بالليل ..»

جَدْوار*

جدوار ١: **٢٨٧**، ٣٠٣، ٣١١/ ٢: ٢٦٧/ ٣: ٢١٨. ٢٢٣، ٢٣٧، ٢٦١.

هو من أدوية القانون المفردة. قال فيه ابن سينا: «الماهية: قطع تشبه الزراوند، وأدق منه، وفي قوته، وأفضل منه، ينبت مع البيش، ويضعف نبات البيش بجواره. قال ابن ماسرجويه إنه في فعله كالدرونج، إلا أنه أضعف منه. أقول: إن عنى به أن الجدوار أضعف منه، فقد أساء فيما نظن، وإن عنى به أن الدرونج أضعف فلا يبعد ذلك، وما عندي أن ابن ماسرجويه وَقَتْ تجربته بهذا التمييز، ثم ليس له في هذا رواية مأثورة إلى صدر موثوق بقوله، وقد عرف أن الجدوار يقاوم البيش، فكيف يكون أضعف من الدورنج؟!»[1] وذكر من فوائده أنه مضاد

* الحاوي ٢٢: ١٨، والصيدنة ١٣١، ومنهاج البيان ٦٧أ، والمختارات ٢: ٥٠، وشرح أسماء العقار ١٢، والمنتخب ٩٤، ومفردات ابن البيطار ١: ١٥٩، ومنهاج الدكان ١٨٤، والمعتمد ٦٥، ومالايسع ١٤٣، وحديقة الأزهار ٨١ (٨٤): والتذكرة ١: ١٠٠، وقاموس الأطبا ١: ١٥٨، ومعجم أسماء النبات ٦٣(٤)، ومعجم الشهابي ٦٨٨، والألفاظ الفارسية المعربة ٣٩، ومحيط المحيط ٩٦ (جدر)، وبرهان قاطع ٢: ٥٦٦ (جدوار) ١٠٠٨ (زدوار)، ١٠٥٨ (زْدوار).

(١) كثيراً ماينقل ابن سينا عن غيره من أطباء العرب دون أن يذكر اسمهم، فإذا أراد تَنَقُّصَهم ذكره. انظر المقدمة: علاقته بمعاصريه.

لجميع السموم. ونقل عنه ابن البيطار أنه عده في الأدوية القلبية من المفرحات القوية.

قال الرازي في الحاوي: «جدوار: هو قطع صلبة تشبه الزرنباد» ونقل البيروني في الصيدنة من أسمائه، زدوار، وماه پروين بالفارسية، وأنتله وزرنب وزرنباد وزرنباهه وبوحا وبيش بوحا. واسمه بالهندية تربس، وباليونانية سوطيريوس أي مخلص الأرواح .. وقال: هو خمسة أصناف كلها تجلب من الهند، وذكر من خواصه أنه يقاوم السموم جميعًا، ويفرح تفريحًا عظيمًا يقارب الخمر. وأكثر المراجع بعد ابن سينا نقلت ما جاء في القانون، منها منهاج البيان ومختارات ابن هبل ومالايسع الطبيب جهله وقاموس الأطباء.. أما أبو المنى العطار، وابن سمجون (فيما نقله عنه ابن البيطار) فقالا إنه الأنتله. وجاء في المنتخب من مفردات الغافقي:«جدوار. ابن سينا: هو قطع تشبه الزراوند وأدقّ منه... ابن الكتاني وغيره من المحدثين قالوا إنه الأُنْتُلَة. والبيش الذي ينبت معها هو الطوارة، وهي أصول كالبلوط الصغير ينفع من السموم والقولنج .. والأنتلة مرة، وهي درياق عجيب يقوم مقام الترياق الفاروق .. لي: الأنتلة عندنا ضربان: ضرب يعرف بالأنتلة السوداء، وهي التي ذكروا أنها الجدوار، والأخرى هي البيضاء فأما السوداء فهي مدورة وخارجها أسود وداخلها أبيض إلى الصفرة وورقها كورق كزبرة الثعلب وينبت معه الطوارة ...» ولم يقطع ابن البيطار في أمر هذا الكلام بل نقل بعضه ثم قال: «لي: قد ذكرت الأنتلة والطوارة في حرف الألف فتأمله هناك» وفي الأنتلة قال: «هي الجدوار الأندلسي». أما داود الأنطاكي فنقل في تذكرته كلام البيروني في الصيدنة. الاسم العلمي لنبات الجدوار Cur-cuma zedoaria.

ضبطت جدوار في جميع المراجع بفتح الجيم وسكون الدال، وهي معربة من الفارسية زدوار، ومنها أخذ الاسم العلمي.

جدول

جدول، جداول ١: ٢٤٢، ٢٤٣/ ٢: ٢٣٧، ٣٩٤، ٥٧٥/ ٣: ١٤٩، ١٨٤، ٤١٣ وغيرها.

استعمل ابن سينا كلمة الجداول في كتاب الأدوية المفردة للدلالة على ما أورده منها منظمًا متتاليًا مرتبًا ترتيبًا خاصًا، وفي مقدمة كتاب الأدوية المفردة مايبين أنها كانت مرتبة في جداول ملونة. يقول ابن سينا[1]: «اعلم أني قد جعلت الأدوية الجزئية المفردة المستعملة في صناعتنا الطبية ألواحًا مصبوغة بأصباغها .. فجعلت اللوح الأول لأسماء الأدوية .. والثاني لاختيار الجيد منها.. والرابع لخواص أفعالها .. وجعلت لكل واحد منها كتابة بصبغ حتى يسهل التقاطه، والخامس في أفعالها التي تتعلق بالزينة إما في الجلد نحو إزالة البهق والبرص .. وفي الشعر نحو تطويله .. وأعلمت على كل شيء يقع في الجلد أو الشعر أو أعضاء أخر بعلامة صبغية ليسهل بذلك طلبه في الجداول حتى يلتقط جميع الأدوية المفردة التي يقع فيها بسرعة. ويستعير ابن سينا أيضًا هذا المصطلح عند الكلام على الأوردة والشرايين وفروع القصبة الهوائية مما لا يعنينا تدوينه هنا.

الجدول في معجمات اللغة النهر الصغير، والجمع جداول. قال البستاني في محيط المحيط «وفي اصطلاح العلماء عبارة عن شبكة تحتوي مجموع قضايا على وجه مختصر يمكن به الوقوف عليها ومقابلتها معًا دفعة واحدة مرتبة على شكل شجرة كجدول الكليات في المنطق .. والجدول في اصطلاح الكتاب خطوط مستقيمة ترسم في صفحة الكتاب حول الأسطر محيطة بها من كل الجهات ..»

قلت: مصطلح ابن سينا قريب مما ذكر، ولا يمكننا الجزم بشكل الجداول التي صنعها للأدوية إلا إذا توصلنا إلى نسخة القانون الأم.

---

(١) القانون ١: ٢٤٢.

جدي

اطلبه في مادة (ماعز) في باب الميم من هذا المعجم.

جَذْر*

جذر	١: ٣٤٤
جذر التودري	انظر تودري
جذر الكبيكج	انظر كبيكج
جذر اللوف	انظر لوف

جذر كل شيء أصله. وفق ماورد معجمات اللغة. وجذور النبات والشجر أصوله التي في باطن الأرض. ويلاحظ أن ابن سينا استعمل في كتابه كلمة أصل وجمعها أصول أكثر بكثير مما استعمل كلمة جذر[1] على حين تميل كتب النبات الحديثة إلى استعمال كلمة الجذر بدل أصل.

أما كلمة جذر التي وردت في القانون أثناء كلام ابن سينا على الكرفس[2] فهي تصحيف فيما أُرجِّح، والنص الذي وردت فيه هو كما يلي: «.. ومنها الكرفس العظيم .. ورأيت أنا منه بخلف جبال طبرستان وعلى أصله أصول كثيرة كأنها مفلقة منه بأطوالها كالجذر، ولغلظه إذا دعكته تقصف وفاحت منه رائة كرائحة ماء الكافور» كذا وردت اللفظة بإعجام الذال في القانون المطبوع ببولاق وبالإهمال في المطبوع برومة، والكلام على أنواع الكرفس كله مما حذف من المخطوطات والمصورة. وأظن أن الصواب «الجدر» كما في طبعة رومة جاء في اللسان: « الجَدر سلع تكون في البدن خلقة أو من ضرب أو جراحة، واحدته

* معجم الشهابي ٥٤٨، ومعجمات اللغة (جذر، جدر).

(١) انظر مادة أصل وقد سبقت في باب الهمزة من هذا المعجم.

(٢) القانون ١: ٣٤٤.

جَدَرة وجُدْرة .. وقيل الجدر إذا ارتفعت عن الجلد، وإذا لم ترتفع فهي نَدَب. وقال اللحياني: الجدر السلع تكون بالإنسان أو البثور الناتئة».

جراد*

جراد	١: **٢٨٦**، ٣٣١
جراد سمين لاجناح له	١: ٢٨٦
جراد صغير	١: ٢١٤
الجرادة العظيمة التي لا جناح لها	٣: ٢٥٦
رأس الجراد	١: ٢٨٦
رجل الجراد، أرجل الجراد	١: ٢٨٦، ٣٥٢
زبل الجراد	١: ٣٠٨
أطراف الجراد	١: ٢٨٦
مرقة الجراد الحي	٣: ٢٣٧

الجراد من أدوية القانون المفردة. لم يحدد ابن سينا ماهيته لأنه معروف بل بدأ ببيان أصنافه ثم ذكر فوائده في الطب فقال: «جراد. الاختيار: أجوده السمين الذي لا جناح له. الزينة: أرجلها تقلع الثآليل فيما يقال ... مستديراتها .. يشرب للاستسقاء وتؤكل للسع العقرب».

الجراد حشرة ضارة معروفة، ذكرها الأطباء في كتبهم واستخدموها دواء،

* كتاب ديسقوريدس ١٤٤ (اقروش)، وكتاب النبات ٣: ٥٣، وكتاب الحيوان ١: ٣٠/ ٤: ٣٣٧/ ٥: ٥٥١ وغيرها كثير، والمخصص ٨: ١٧٢، والملكي ٢: ١٣٧، والحاوي ٢٠: ٢٨٤، ومختارات ابن هبل ٢: ٥٥ ومنهاج البيان ١٣٩ ب (زبل الجراد) والمنتخب من مفردات الغافقي ١٠٣، ومفردات ابن البيطار ١: ١٦١، والمعتمد: ٦٥، ومالايسع الطبيب جهله ١٤٥، وحياة الحيوان ١: ١٦٢، وتذكرة الأنطاكي ١: ١٠٠، وقاموس الأطباء ١: ١٢٦، ومعجم الشهابي ٥٨٩، ومعجم الحيوان ١٥٢، ومعجمات اللغة (جرد).

وذكرها مصنفو معجمات اللغة وكتب الحيوان. الاسم العلمي لهذا الجنس من الحشرات هو Acridium، وهي من الفصيلة الجرادية ورتبة مستقيمات الأجنحة. أما ما جاء في القانون (١: ٣٩٣) فالمراد به الجراد البحري.

فصل ابن سيده في المخصص في أسماء الجراد وأنواعها وبيضها وأسماء أطوارها وغير ذلك، ويكفينا اختصاراً أن نقول كما جاء في التاج: «جراد بالفتح معروف، الواحدة جرادة للذكر والأنثى».

جراد البحر*

ماء ملح الجراد المالح ١: ٣٩٣

في كتاب الأدوية المفردة تكلم ابن سينا على السمك وأصنافه وفوائده فكان مما قال: «.. وماء ملح الجراد المالح إذا جلس فيه [ينفع] من به قرحة الأمعاء في ابتداء العلة»فمراده هنا حيوان بحري وصفه البيروني في الصيدنة حيث قال: «جراد البحر... حيوان بحري ذو رأس مربع أو يكاد، وله فيما يلي رأسه صدف خزفي، وبعضه لا خزف عليه، ولها من كلا الجانبين عشر أيد طوال شبيهة بالعناكب إلا أنها كبار جداً، ولها قرنان دقيقان قائمان، ولها في مواضع شواربها قرنان دقيقان، وعينان بارزتان متدليتان من رأسها، وهذا الجراد يكثر في بحر الروم..» نقل هذا الوصف كثيرون بعد البيروني منهم ابن البيطار الذي نسبه إلى الشريف، وابن الكتبي، والدميري، وغيرهم. ونبه مؤلف معجم الحيوان على أن هذا الاسم قد يطلق على هذا السرطان النهري وعلى الروبيان أيضًا والظاهر أن ابن سينا أراد الأول واسمه العلمي Palinurus vulgaris وهو من القشريات عشارية الأرجل.

---

* الصيدنة ١٣٢، ومفردات ابن البيطار ١: ١٦١، ومالايسع الطبيب جهله ١٤٥، وحياة الحيوان ١: ١٦٦، وتذكرة الأنطاكي ١: ١٠٠، ومعجم الحيوان ١٥٢ ومعجم الألفاظ الزراعية ٣٨٢.

جُرَادة

جرادة القرع انظر قرع

الجُرادة وزن فُعالة من جرد الشيء يجرده جرداً: قشره، فمراد ابن سينا من جرادة القرع ماينقشر منه. انظر مادة (قرع) في معجمنا هذا.

جِرْجِير*

جرجير	١: ٨٤، ١٥١، ٢٠١، **٢٨٨**، ٣٨٧/ ٢: ٢٨٠، ٢٨١، ٤٧٠، ٥٣٨، ٥٤٠، ٥٤٢، ٥٤٤، ٥٤٨/ ٣: ٢٩، ٢٥٤، ٢٩٨
جرجير بري	١: ٢٨٨
جرجير بستاني	١: ٢٨٨
جرجير الماء	١: ٤٢٤ وانظر كرفس الماء وقطف وقرة العين.
جرجير مسلوق	٣: ٢٥٠
جرجير مطحون	٣: ٤٢٩
بزر الجرجير	١: ٢٣٥، ٢٨٨، ٣١٤/ ٢: ٣١٦، ٣٧٨، ٥١٤، ٥٣٩، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٤، ٦١٢/

* كتاب ديسقوريدس ٢٠٤ (اوزمن)، وكتاب النبات ١: ٩٦، والحاوي ٢٠: ٢٣٦، والملكي ١: ١٨٤، والصيدنة ١٣٢، ١٣٣ (جرجير الماء)، ومنهاج البيان ٦٧أ، وشرح أسماء العقار ١١، والمختارات ١: ٢٥٧، والمنتخب من مفردات الغافقي ٩٢، ومفيد العلوم ٣١، ومفردات ابن البيطار ١: ١٦٠، والمعتمد ٦٦، والشامل ١٦٢، ومالايسع ١٤٣، ١٤٥ (جرجير الماء) وحديقة الأزهار ٧٢ (٧٢)، وقاموس الأطباء ١: ١٥٨، وتذكرة داود ١: ١٠١، ومعجم أسماء النبات ٧٧ (١٢) جرجير، ٣٢ (١٢) جرجير بري، ١٧٠ (١١) جرجير الماء، ومعجم الشهابي ٨٤. ٥٧٠ (جرجير الماء)، ١٠٣ (جرجير بري).، والمعجم الموحد ١٧١، ومعجمات اللغة (جرر).

	٣: ٢٣٨، ٢٥٤، ٢٥٧، ٢٦٧، ٢٦٨،
	٢٧٧، ٢٨٠، ٢٨٤، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩٢،
	٣٠٨، ٣١٨، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣،
	٣٢٨، ٣٢٩، ٣٥٣، ٣٥٦، ٣٥٨، ٣٧٤،
	٣٩٣، ٣٩٨، ٤٣٩.
بزر الجرجير البري الاقليطي	٣: ٣٣٣
بزر الجرجير الرطب	٢: ٥٤٠
حب الجرجير	٣: ٣٦١، ٤٣٨
دهن بزر الجرجير	٣: ٢٩٢
دهن الجرجير	٣: ٣٩٧
طبيخ الجرجير	٣: ٢٢٣، ٢٢٨، ٢٥٤
عصارة الجرجير	٢: ٥٤٠
ماء الجرجير	١:٢٨٨/ ٢: ١٢٤، ٥٤٣، ٥٤٤/ ٣:
	٢٩، ٢٣٧، ٢٨٠
ماء الجرجير الرطب	٢: ٥٤٠
ورق الجرجير	١: ٣٩٧

أورد ابن سينا الجرجير في مفرداته لكنه لم يُحَلِّه واكتفى في ماهيته بالقول: «معروف منه بري ومنه بستاني، وبزر الجرجير هو الذي يستعمل في الطبخ بدل الخردل» ثم ذكر خواصه وفوائده الطبية ..

وهكذا معظم المراجع استغنت عن وصفه فعل أبي حنيفة الذي قال في كتاب النبات:«جرجير: هذه البقلة. وبزرها الأيهقان وقد وصفناه» وذكر القرطبي في شرح أسماء العقار أن اسمه بالعربية الكثاء، والبري منه يقال له بالعربية الأيهقان. وممن فصَّل شيئًا ما في الكلام عليه مؤلف الشامل الذي قال:

«الجرجير نبات مأكول فيه حرافة، ومنه بري هو أشد حرافة شبيه بالخردل في هيئته وطعمه، ومنه بستاني، وهذا على قسمين أحدهما عريض الورق قليل الحرافة رخص طيب الطعم خضرته إلى صفرة ما، وثانيهما ورقه دقيق مشرف من الجانبين تشريفًا داخلاً فيه كثيرًا، وهو شديد الحرافة يعمل بزره في الطعام فيطيبه تطييب الأبزار الحارة..» الاسم العلمي للجرجير هو Eruca sativa، والجرجير البري Brassica eurcastrum، وجرجير الماء Sium latifolium وهو نفسه كرفس الماء أو قرة العين الذي ذكره ابن سينا في باب القاف.

ضبطت جرجير بكسر الجيمين؛ قال أبو حنيفة: «ولم أسمعها عن الفصحاء إلا بالكسر. وقال الفراء: تخفف جرجير فيقال جِرجِر، ويقال لها الكثأة، وسمعتها من الأعراب غير مهموزة».

جُرَذ*

طبيخ الجرد الحي ٣: ٣٨

ذكره ابن سينا في جملة الأطلية على اللسوع فقال: «ومن النطولات الجيدة ماء البحر حارًا مفردًا، ومع الخردل، وطبيخ الجرد الحي وابن عرس».

كذا ورد الاسم بالدال المهملة في المطبوع، وهو في المصورة بالمعجمة.

الجُرَذ حيوان قارض معروف. جاء في اللسان وغيره نقلاً عن ابن سيده: «الجرذ الذكر من الفأر، وقيل الذكر الكبير من الفأر، وقيل هو أعظم من اليربوع

---

* كتاب الحيوان ٣: ١٤٥/ ٥: ٢٦/ ٦: ٢٢٢ وغيرها، والحاوي ٢٠: ٢٥١ (جرذان البيوت)، ومنهاج البيان ٦٧ أ (جرذان)، وحياة الحيوان ١: ١٦٦، وقاموس الأطباء ١: ١٤٧، ومعجم الحيوان ١٦٦، ومعجم الألفاظ الزراعية ٤٣٩، ومعجمات اللغة (جرذ)، ومحيط المحيط ١٠١. وانظر مادة (فأر).

أكدر في ذنبه سواد، والجمع جُرذان. الصحاح: الجُرَذ ضرب من الفأر». قال الجاحظ: «والفرق بين الجرذ والفأر كالفرق بين الجواميس والبقر» الاسم العلمي لهذا الحيوان هو Mus، وهو اسم يشمل مايسمى بالعربية الفأر والجرذ لا فرق بينهما إلا أن الفأر صغير والجرذ كبير.

ضبطت اللفظة بضم الجيم وفتح الراء، والجمع جرذان بضم الجيم أو كسرها كصُرَد وصِرْدان ولم يقل أحد إن ذاله تهمل، لكن العامة عندنا يسميه الجردون بالدال.

جرمدانق

جرمدانق ٣: ٢٢٦

وردت اللفظة في القانون مرة واحدة أثناءالكلام على النباتات السامة وطريقة علاج من يتضرر بها. قال ابن جزلة في منهاج البيان[1]: «جرمدانق هو كرمدانه» وقاله آخرون. قلت: وكلاهمامن الفارسية. انظر التحقيق في مادة (كرمدانه)

جِرْو*

جرو ثعلب انظر (ثعلب)

جرو ضبع انظر (ضبع)

جرو كلب انظر (كلب)

الجرو معروف وهو الصغير من أولاد الكلب وسائر السباع. قال ابن سيده: الجرو الصغير من كل شيء حتى من الحنظل والبطيخ والقثاء ونحوه. قال

(١) منهاج البيان ٦٧ب.

* حياة الحيوان ١: ١٦٧، ومعجمات اللغة (جرو)، والكليات ٢: ١٣٦.

الزبيدي: .. والصحيح أنه على المجاز كما نبه عليه الزمخشري. ولم يستعمل ابن سينا هذا المصطلح إلا في الحيوان فوافقه ماجاء في الكليات: «الجرو: وَلَدُ كل سبع جرو، ووحشية طلا، وطائر فرخ، وإنسان طفل».

الجرو مثلثة الجيم تفتح وتضم وتكسر. وجمعها أجر والجمع الكثير جراء. وقد ألحقتُ كل جرو بأصله أثناء الفهرسة.

جِرِّيّ*

الجري	٢: ٥٤٠
السمك الجري	١: ٣٩٣
لحم السمك الجري	١: ٣٩٣

ذكره ابن سينا في كلامه على السمك ولم ينعته بل ذكر بعض فوائده. وهو نوع مشهور معروف من السمك خلط كثير من مؤلفي المفردات بينه وبين مايسميه الفرس مارماهي[1] منهم البيروني وابن هبل، لكن ابن سينا لم يقع في هذا الغلط. وهذا السمك لايزال يعرف في بعض المناطق باسم الجري، ويطلق عليه في بلاد الشام اسم سلُّور وهو اسم معرب من اليونانية. وصفه ابن الكتبي في مالايسع فقال: «جري اسم لسمكة لا فصوص لها، ولا عظام كثيرة كباقي السمك بل سلسلة وعظمان تحت الفك كالضلعين، ويسمى باليونانية سلورس ..

* كتاب ديسقوريدس ١٣٧ (سلورس)، والحيوان ١: ٢٣٤، ٢٣٥/ ٤: ٩٦/ ٧: ٣٩ وغيرها، والصيدنة ١٤٣، والمنتخب من مفردات الغافقي ١٠٢، ومفردات ابن البيطار ١: ١٦١، ومالايسع ١٤٥، وقاموس الأطباء ١: ١٥٨، وتذكرة الأنطاكي ١: ١٠٠، ومعجم الحيوان ٦٥، ٢٢٩، ومعجم الألفاظ الزراعية ٦٠٤، ولسان العرب وتاج العروس (جري)، ومحيط المحيط ١٠٥. وانظر مراجع مادة (سمك).

(١) انظر مادة (مارماهيج).

وفي لحمه رخاوة ولزوجة، واليهود لا تأكله..» وهذا السمك كثير في نهر الفرات اسمه العلمي Silurus.

ورد هذا الاسم مصحفًا أحيانًا في القانون المطبوع بإهمال الجيم. أما ضبطه فهو كما في المعجمات بكسر الجيم وتشديد الراء والياء. جاء في التاج: «الجري كذِمّي سمك معروف».

جَزَرٌ*

جزر	١: ١٥٢، **٢٨٧**، ٤٤٩/ ٢: ٨٣، ٢٨٠، ٣٩٧، ٥٤٣، ٥٤٤، ٦٢٤
جزر بريّ	١: ٢٨٧/ ٢: ٣٧٧، ٣٩٨، ٤١٥.
جزر بستانيّ	١: ٢٨٨
جزر صلب صافي اللون	٣: ٣٨٠
جزر له ثمر	١: ٢٨٨
جزر مربى	١: ٢٨٨، ٤٣٦/ ٣: **٣٨٠**
أصل الجزر البري	٢: ٣٩٣
بزر الجزر	١: ١٥٢، ٢٦٢، ٢٨٧، ٢٨٨/ ٢: ٣٣، ٥٠٥، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٤/ ٣: ٢٢٠، ٢٢١، ٣١٨، ٣٢٢، ٣٢٣،

* كتاب ديسقوريدس ٢٦٤ (سطافولينس اغريوس)، وكتاب النبات ١: ٩٤، والحاوي ٢٠: ٢٢٦، ٢٤٥ (جزر بري)، والملكي ١: ١٨٥/ ٢: ٥٩٤ (جزر مربّى)، والصيدنة ١٣٤، ومنهاج البيان ٦٧ب (جزر بري)، وشرح أسماء العقار ١١، والمنتخب من مفردات الغافقي ٦٩، ومفيد العلوم ٣١، ومفردات ابن البيطار ١: ١٦١، والمعتمد ٦٦، والشامل ١٦٣، ومالايسع ١٤٦، وحديقة الأزهار ٧٢ (٧١)، وقاموس الأطباء ١: ١٥٨، وتذكرة الأنطاكي ١: ١٠١، ومعجم أسماء النبات ٦٩ (٤، ٥). ومعجم الألفاظ الزراعية ١٢٥، والمعجم الموحد ٣٤، ومعجمات اللغة (جزر)، وبرهان قاطع ٣: ١٨١١ (گزر)

الجزر من أدوية القانون المفردة، استغنى ابن سينا بشهرته عن وصفه فقال: «الماهية. معروف وأقوى بزره البري. قال ديسقوريدس: صنف منه ورقه أصغر من ورق الرازيانج وهو في صورته، وساقه إلى شبر، وفقاحه أصفر، وله كصومعة الكزبرة أو الشبث، وله ثمر أبيض حاد طيب الرائحة والممضغ، وينبت في الأمكنة الضاحية المشموسة الحجرية. والبستاني منه يشبه الكرفس الرومي حريف محرق طيب الرائحة. والثالث ورقه كورق الكزبرة أبيض الفقاح شبيه الصومعة والثمرة وله كأقماع الجوز محشوة بزراً كمّونياً في هيئته وحدته». كذا جاء في القانون بعد قوله هو معروف.

والذي في كتاب ديسقوريدس يوافقه مانقله عنه ابن البيطار: «الجزر البري نبات له ورق شبيه بورق الشاهترج إلا أنه أعرض منه، وطعمه إلى المرارة ماهو، وله ساق مستوٍ خشن عليه إكليل شبيه بإكليل الشبث فيه زهر أبيض، وفي وسط

(١) وانظر مادة (دوقوا) في هذا المعجم

الزهر شيء صغير شبيه بالفطر[1] لونه فرفيري، وله أصل في غلظ اصبع طوله نحو من شبر طيب الرائحة يؤكل مطبوخاً». وقال الغساني في حديقة الأزهار: «جزر: هو من جنس الهُدَبات[2] بعضه بقل ينبت من بزره وبعضه جنبة ينبت من أرومته. وهو على نوعين: بستاني وبري. فالبستاني على أنواع منها ماهو أصله أبيض وأصفر وأسود وأحمر ومجزّع، وكلها متقاربة القوى الطبيعية، ويعرف عندنا بفاس بالسفنارية، وبمراكش خيزّو. وأما البري فأنواعه كثيرة منها الدوقو...». وقال أبو حنيفة في كتاب النبات إن الجزر البري يقال له الخِنْزاب.

الاسم العلمي للجزر هو Daucus Carota

ضبطت معجمات اللغة هذا الاسم بفتح الجيم وكسرها. قال أبو حنيفة: «يفتح ويكسر، أصله فارسي» وفارسيته گزر بفتح الكاف الفارسية والزاي التي تليها. ويظن بعضهم أنها من أصل سنسكريتي.

جزور

انظر مادة (إبل) التي سبقت في باب الهمزة

جزي

الجزي ٣: ٤١٠

معجون يعرف بالجزي ٣: **٣٢١**

في كتاب الأدوية المركبة، وفي المقالة الأولى التي تتكلم على الترياقات والمعاجين الكبار: «معجون يعرف بالجزي ينفع من المرتين[3] والمليلة [4]والحكة

---

(١) في المفردات (بالقطن).

(٢) الهدب كل ورق غير مستعرض كورق الأثل والطرفاء والسرو.

(٣) أي المرة الصفراء والمرة السوداء.

(٤) نوع من أنواع الحمّى.

والأدرة ويقوي المعدة وينفع من القولنج .. أخلاطه: .. سقمونيا ولباب التربد ودارفلفل من كل واحد ستة دراهم، عاقرقرحا وبزر الكرفس ونانخواه وزنجبيل وملح هندي من كل واحد وزن درهم، قرنفل وزرنب من كل واحد نصف درهم.. الخ».

لم أجد هذا المعجون بهذا الاسم في القراباذينات، وقد ورد ذكره ثانية في الكلام على المعاجين التي تنفع المعدة، ورسمت اللفظة بالرسم نفسه في المطبوع ببولاق، أما في طبعة رومة فهي في الموضع الأول كالمذكور، وفي الثاني الحزي، وكذلك في إحدى المخطوطات.(١) أما في المصورة فهي في الموضع الأول الجربي(٢) وفي الثاني الحربي. ومن الاعتساف الجزم بصحة هذا الرسم أو ذاك دون دليل مقنع.

جص

انظر مادة (جبسين) التي سبقت.

جَعْدة *

جعدة	١: ٢٤٥، **٢٨٥**، ٣٧١/ ٢: ٧٠، ٨٤، ١٠٠، ١٢٣، ١٨٨، ١٨٩، ٢٢٢، ٢٦٠،

---

(١) هي المخطوطة رقم ٣١٤٠.

(٢) لعل الناسخ استفاد هذا الإعجام من قول ابن سينا إنه ينفع من الحكة. يدعم ظني عبارة المصورة وهي: «معجون يعرف بالجربي ينفع من الحكة والمرتين والمليلة.. الخ».

* كتاب ديسقوريدس ٢٨٩ (فوليون)، وكتاب النبات ١: ٨٨/ ٢: ٢٠٧، والحاوي ٢٠: ٢٥٢، والملكي ٢: ١٠١، ١١٩، والصيدنة ١٣٥، ومنهاج البيان ٦٨أ، وشرح أسماء العقار ١١، ومختارات ابن هبل ٢: ٥٤، والمنتخب ٩٦، ومفيد العلوم ٣٠، ومفردات ابن البيطار ١: ١٦٣، ومنهاج الدكان ١٨٤، والمعتمد ٦٨، والشامل ١٦٥، ومالايسع ١٤٧، وحديقة الأزهار ٨٢ (٨٥)، وقاموس الأطباء ١: ١٢٦، وتذكرة الأنطاكي ١: ١٠١، ومعجم أحمد عيسى ١٧٩ (٨، ١٠، ١١)، ومعجم الشهابي ٣٠٥، ٦٣٨، واللسان ومستدرك التاج (جعد) ومحيط المحيط ١١١.

قال ابن سينا في كتاب الأدوية المفردة: «جعدة. الماهية: نوع من الشيح فيه حرارة وحدةٌ يسيرة. والصغيرة أحدّ وأمر، وهي قضبان وزهر زغبي أبيض إلى الصفرة مملوء بزراً ورأسه كالكرة فيه كالشعر الأبيض، ثقيل الرائحة مع أدنى طيب. والأعظم أضعف وهو مرّ أيضًا وفيه حرافة. والجبلي هو الأصغر..» ثم ذكر فوائدها واستعمالاتها في الطب.

ورد هذا الاسم في كتب النبات وكتب الطب وكتب اللغة للدلالة على

عدة أنواع من جنس واحد، لذلك قد يختلف الوصف من مرجع لآخر. ففي كتاب النبات قال أبو حنيفة: «جعدة: أخبرني بعض الأعراب أن نبات الجعدة نبات العِظْلِم إلا أنها غبراء طيبة الريح ولها ثمر مثل فقاح الإذخر إلا أنه أثخن متلبد لين تحشى به المخاد. وقال ومنبت الجعدة الجبال. وقال غيره من الأعراب: الجعدة خضراء وغبراء تنبت في الجبال لها رَعَثة مثل رعثة الديك تحشى به المرافق طيبة الريح. والوصفان متقاربان. والجعدة مما تدوم خضرته ذكر ذلك أبو نصر». وجاء في الملكي: «أفضل الجعدة ما كانت شآمية»، وفي منهاج الدكان «جعدة هي نوع من أنواع الشيح يجلب من أرض الشام يستعمل في الترياق وغيره»، وفي الشامل: «النوع المستعمل من هذا النبات هو الجبلي، وهو نبات صغير دقيق لايزيد طوله على شبر كثير البزر في رائحته طيب وطعمه مر ومرارته ليست بشديدة ومع ذلك فإنها لا تظهر بدءاً وعند أول ملاقاته للسان بل يكون أولاً فاقد الطعم ثم تظهر مرارته..» الاسم العلمي لهذا النبات الطبي هو Teucrium polium من الفصيلة الشفوية.

ضبطت اللفظة بالفتح ضبط قلم. وفي قاموس الأطباء ضبط ألفاظ، لكنها ضبطت في حديقة الأزهار وفي معجم أسماء النبات بضم الجيم.

جفت

جفت البلوط، جفت انظر (بلوط).

جُفْت آفَريد*

جفت افرند ١: **٢٨٥**/ ٣: ٣١٩

* الصيدنة ١٣٦ (جفت أفريد)، ومنهاج البيان ١٨ ب (جفت افريذ)، ومختارات ابن هبل ٢: ٥٥ (جفت أفريد) والمنتخب من مفردات الغافقي ١٠٠ (جفت آفريد)، ومفردات ابن البيطار ١: ١٦٤ (جفت افريد)، والمعتمد ٦٩ (جفت افريد)، ومالايسع الطبيب جهله ١٤٧ (جفت افريد). وتذكرة داود الأنطاكي ١: ١٠٢، ومعجم أحمد عيسى ٦ (٢١)، والألفاظ الفارسية المعربة ٤٢ (جفتا فريد) وبرهان قاطع ٢: ٥٧٧ (جُفت آفَريد).

جفت افريد ٣: ٣٢٥

ذكره ابن سينا في كتاب الأدوية المفردة فقال: «الماهية: شيء صنوبري الشكل في رأسه كالشوكتين، ويقال أيضًا إنه يشبه اللوز وربما انشق وانفتح. أعضاء النفض: يزيد في الباه جدًا» ثم ذكره في موضعين آخرين داخلاً في تركيب كل من معجون الشليثا ومعجون الكاسكبينج وهما من المعاجين الكبار المشهورة.

نقل كلام ابن سينا السابق بحذافيره كلٌّ من ابن هبل في المختارات وابن العبري في المنتخب وابن جزلة في المنهاج واكتفوا بما قال. أما البيروني فقد وصف نباته قائلاً: «هو باليونانية ارقيس، وبعضهم يصحفها بصورة رقاقس. ومعنى جفت آفريد: المخلوق زوجًا. وهو نبت كثير الشبه بالسورنجان يستأنف كونه في كل عام طوله نحو شبر وأطول منه بقليل، له ساق معقدة عليها قضبان كثيرة دقاق، وورق أدق من ورق الحمص متراصف يعلو بعضه بعضًا، وله على طرف الساق غلف صنوبرية الشكل ثلاثة أو أربعة في طرف الساق كالهليلج الأصفر، وفي أطرافها كالشعب. وفي داخل كل ثمرة منها ثلاثة حجب على الطول فيها بزر يشبه الحلبة عددها خمس حبات. وقد ظن بعضهم أنه خصى الثعلب وهو غير هذا وإن كان يشبهه». ثم نقل ابن البيطار كلام ابن سينا معزواً إليه وكلام البيروني مضافًا إلى الشريف محذوفًا منه عبارة التنبيه الأخيرة ثم قال: «لي: هذا الدواء يعرف اليوم[١] بالشام والمشرق أيضًا عند العامة والخاصة جميعهم بخصى الثعلب وإياه يستعمل أطباء العصر بالبلاد المذكورة اليوم مكان خصى الثعلب، وخصى الثعلب في الحقيقة غيره». الاسم العلمي لهذا النبات كما ورد في معجم الدكتور أحمد عيسى هو Androsaces وذكر من أسمائه رقاقس ومُلاّح وكلف وكُشْمَلَخ قال: وهو نوع من الحمص البري.

(١) أي في النصف الأول من القرن السابع الهجري.

ورد هذا الاسم في القانون المطبوع ببولاق «جفت افرند» بالنون، وهو في طبعة رومة «خفت افريذ» وفي المصورة «جفت افريد» وهو الصواب. معرّب من الفارسية ومعناه المخلوق زوجًا،، لأن جفت معناها زوج وآفريد المخلوق. وكتبت في بعض المراجع متصلة هكذا «جفتافريد» ولم تضبطه المراجع العربية، على حين ضبط في برهان قاطع ضبط ألفاظ بضم الجيم وفتح الفاء. وضبطه اديشير بكسر الجيم.

جُلَّاب*

جلاب	١: ٩٧، ١٨٦، ١٩٨، ٢٠١، ٢٦٦، ٤٠٩، ٤٦٨/ ٢: ٤٠، ٤١، ٧١، ٨٨، ٩٨، ٢٢٧، ٢٣٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٥، ٢٨٠، ٣٢١، ٣٢٨، ٣٣٣، ٣٤٥، ٣٧٦، ٣٩٥، ٣٩٧، ٤٥٩، ٤٦٦، ٤٩١، ٤٩٨، ٥٥٥، ٦٢٣/ ٣: ١٠، ٢٤، ٢٦، ٢٧، ٣٦، ٥١، ٦٠، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٣١، ٢٣٢، ٣٠٦. ٣١١، ٣٦٨، ٣٧٠، ٣٨٢.
الجلاب بماء الورد	٣: **٣٦٦**
جلاب رقيق جداً	٣: ٢٥

* الملكي ١: ٢٠٧/ ٢: ٥٩٠ (صفة الجلاب النافع من الحميات)، ومنهاج البيان ٨٦ ب، واقرباذين القلانسي ١٧٣ (صفة جلاب ساذج)، ومفيد العلوم ٣١، ومنهاج الدكان ٦، والمُعتمد ٧١، وتركيب مالايسع ٢٦أ، وتذكرة داود ١: ١٠٣، وكشاف اصطلاحات الفنون ١: ١٩٠، ولسان العرب والقاموس المحيط وتاج العروس (جلب)، وشفاء الغليل ٩١، والمعربات الرشيدية ١٢٠..، والألفاظ الفارسية المعرّبة ٤٢، وبرهان قاطع ٢: ٥٨٠ (ح٦: گلاب).

جلاب كثير المزاج	٣: ٢٢
جلاب بأفاويه	٢: ٤١
جلاب ساذج	٢: ٤١
جلاب مبرد بالثلج	٢: ٤٨
جلاب العسل	٣: ٤٩
جلاب الفواكه	٢: ٣٣٣
شراب الجلاب	٢: ٣٢٨
صنعة جلاب	٣: ٣٦٦

الجلاب من أدوية القانون المركبة ذكره ابن سينا في اقرباذينه وبين طريقتين لصنعه. الأولى: «يؤخذ منا من سكر ويصب عليه أربع أواقي ماء، ويطبخ بنار ليِّنة، ويصب عليه أوقيتان من الورد وينزل عن النار ويصفى..» والثانية أساسها أيضًا السكر وماء الورد يضاف إليهما الزعفران.. والجلاب شراب معروف يكثر ذكره في كتب الطب والقراباذينات وهو ماء ورد عُقد بالسكر أو العسل، وهو كما قال الكوهين العطار في منهاج الدكان ـ أصل جميع الأشربة السكرية المعروفة.

هذا الاسم معرب من الفارسية گل ومعناها الورد وآب ومعناها الماء». قال ابن الحشاء شارح ألفاظ المنصوري في كتابه مفيد العلوم «جلاب معناه بالفارسية ماء الورد، والمراد به عند المؤلف في جميع الكتاب شراب ماء الورد فكان ينبغي أن يقول شراب الجلاب كما يقول الناس، ولكنه حذف لفظ الشراب واستمر على ذلك». وهذا ما فعله ابن سينا أيضًا إلا مرة واحدة.

ضبطت اللفظة بضم أولها وتشديداللام. قال الفيروزبادي: «الجلاب كزنار ماء الورد معرب» وجاء في بعض المراجع بالتخفيف.

جلباب*

الجلباب وهو ضرب من اللبلاب ٢: ٥٥٠

ذكره ابن سينا في بعض معالجاته فقال: «والجلباب وهو ضرب من اللبلاب له لبن» كذا وردت اللفظة في المطبوع برومة وببولاق، وهي في المصورة الحليلاف.

لم يرد هذا الاسم في كلام ابن سينا على اللبلاب ولا في المراجع المعتمدة، لكنني وجدت في منهاج البيان في باب الجيم «جلبوب هو اللبلاب العريض» وفي المنتخب: «جلبوب هو لبلاب صغير»، ومن أسمائه التي جمعها الدكتور أحمد عيسى حبل المساكين، ولبلاب كبير (العريض الورق)، وجلبلاب وحَلْباب. واسمه العلمي كما ورد في معجمه هو Hedera helix

لم أتمكن من معرفة الضبط الصحيح لهذه الكلمة على وجه اليقين، وأُرجِّح أن إعجام الحرف الأول منها تصحيف وأن الصواب الإهمال (حلباب).

جُلُبَّان**

جلبان ١: ٢٨٧

عرض ذكر هذا الحب مرة واحدة في أثناء كلام ابن سينا على أصناف اللبن حيث ذكر أن جبن الماعز الذي يرعى الملطفات خير من جبن الماعز الذي يرعى مثل الثيل والجلبان.

---

* منهاج البيان ٦٩أ (جلبوب)، والمنتخب لابن العبري ٩٨ (جلبوب)، ومعجم أسماء النبات ٩١ (٢).

** كتاب النبات ١: ٩٧، والحاوي ٢٠: ٢٤٦، ومنهاج البيان ٦٨ب، وشرح أسماء العقار ١٢، والمنتخب ٩٨، ومفردات ابن البيطار ١: ١٦٤، والشامل ١٦٨، وتذكرة داود الأنطاكي ١: ١٠٢ ومعجم أسماء النبات ١٠٥ (٩)، ومعجم الشهابي ٣٠٦، والمعجم الموحد ٣٩، ومعجمات اللغة (جلب، خرف).

و الجلبان حب معروف من الأعلاف ويأكله بعض الناس مطبوخاً. اسمه العلمي Lathyrus Sativum وهو جنس نباتات عشبية من القرنيات الفراشية له أنواع كثيرة. ومن أسمائه المذكورة في المراجع العربية الخَرْفى والخُلَّر وغيرهما.

ضبط أبو حنيفة هذا الاسم في كتابه النبات حيث قال: «الجلبان من القطاني وهو يسمى بالفارسية الخرفى وهو الخلر أيضاً.. ولم أسمعه من الأعراب إلا بالتشديد، وما أكثر من يخففه ولعل التخفيف لغة» واختُلف في أمر التشديد أهُوَ للاّم [كما نص على ذلك الزبيدي في مادة خرف حيث قال: «والخرفى كسكرى الجلبان بتشديد اللام، وتخفيفها غير فصيح قاله أبو حنيفة وهو اسم لحب معروف..» والأمير الشهابي الذي رآه هكذا في مخطوطة الجزء الخامس من كتاب النبات]. أم هو للباء كما في سائر المراجع اللغوية. من أجل هذا آثرت التخفيف الشائع على ألسنة الناس.

جلبهنك

لم يرد هذا العقار بهذا الاسم في كتاب القانون مع أنه هو الصواب. انظر مادة (جبلاهنك) التي سبقت.

جِلْد*

جلد	١: ٢٨٦
جلود خلقة محرقة	٣: ١٦٠

---

* الحاوي ٢٠: ٤٤٧، والملكي ٢: ١٣٩، ومنهاج البيان ٦٩أ، ١٩٣ب (غراء الجلود)، ومختارات ابن هبل ٢: ٥٥، ومنتخب ابن العبري ١٠٢، ومفردات ابن البيطار ١: ١٥٦، والمعتمد ٧٠، والشامل ١٦٨، ومالا يسع ١٤٨، وتذكرة داود ١: ١٠٢، ومعجم الشهابي ٤٩٠، ومعجمات اللغة (جلد).

جلد أسود سالخ	انظر أفعى
جلد الأفعى	انظر أفعى
جلد الألية	انظر ألية
جلد الأيل	انظر أيل
جلدالتامور	انظر تامور
جلد الجداء	انظر ماعز
جلود حيوانات بحرية	انظر حيوان
جلود حيوان البر	انظر حيوان
الجلدة الداخلة في قوانص الطير	انظر طير
جلد الذئب	انظر ذئب
جلود الرضّع	انظر حيوان
جلود السمك	انظر سمك
جلود السمك المعروف بسير	انظر سمك
جلد سينيانوس	انظر سمك
جلد الضبع	انظر ضبع
جلد العجل	انظر بقر
جلد فرس الماء	انظر فرس
جلد القنفذ	انظر قنفذ
جلد كلب	انظر كلب
جلدٌ مسلوخ من شاة	انظر ماعز
جلدُ المهر	انظر فرس
جلد تامور	انظر تامور
غراء الجلود	١: ٤٧٩/ ٢: ٦٠٧/ ٣: ٢٨٩

ذكر ابن سينا الجلد في مفرداته فعل كثيرين غيره فبين فوائده واستعمالاته في الطب وهي تختلف باختلاف الحيوان، وقد فهرست كل جلد مع أصله. أما غراء الجلود الذي سبق ذكره فقد شرح ابن جزلة في المنهاج طريقة صنعه فقال: «صنعته أن يؤخذ جلد غير مدبوغ إما بقري أو جاموسي أو غير ذلك فيغسل نظيفًا ويقطع لطافًا ويجعل في قدر مرصصة أو برام ويجعل عليه غمرة ماء ويوقد تحته في كانون مدور بحطب جزل بحيث يبقى على جمرها تحته فإذا صار تحته من النار مايبقى يومًا قطع الوقود. ويغطى رأس القلة بخيش .. وفوقه غطاء خشب ويثقل ويترك ست ساعات ويكشف عنه فإنه ينحل أكثره ويصفّى..»

الجلد الذي يغطي أجسام معظم أصناف الحيوان هو بكسر الجيم وسكون اللام، وفتحهما لغة

جُلَّنار*

جُلَّنار ١: ١٥٥، ١٥٧، **٢٨٤**، ٣٢٧، ٤٣٠، ٤٣١/ ٢: ٣٨، ١١٦، ١٦٤، ١٨٠، ١٨٢، ١٨٥، ١٩٠، ١٩٣، ١٩٥، ٢٠١،، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٨٠، ٢٨٧، ٣١٥،

* كتاب ديسقوريدس ١٠٨ (بالوسطيون)، والحاوي ٢٠: ٢٥٤، والملكي ٢: ١١٨، ٥٦٩ صفة قرص الجلنار)، منهاج البيان ٦٩أ، ٢٠٦ب (أقرص الجلنار)، ومختارات ابن هبل ٢: ٥٤، وشرح أسماء العقار ١١، ومنتخب ابن العبري ٩٠، ومفيد العلوم ٣٠، ومفردات ابن البيطار ١: ١٦٤، ومنهاج الدكان ١٨٣، والمعتمد ٦٩، والشامل ١٦٧، ومالا يسع الطبيب جهله ١٤٨، وتركيب مالايسع الطبيب جهله ٧٣أ (قرص الجلنار)، وتذكرة الأنطاكي ١: ١٠٢، ومعجم أحمد عيسى ١٥١ (٣). ومعجم الشهابي ٧٢، والقاموس واللسان والتاج (جلنر)، والمعربات الرشيدية ١٥٨، ومحيط المحيط ١١٩، وبرهان قاطع ٣: ١٨٣١ (گلنار)، وانظر مادة (رمان) في معجمنا هذا.

طبيخ الجلنار	٣: ٣٠، ١٤٦
عصارة الجلنار	١: ٢٨٤
أقراص الجلنار	٢: ٣٣٦، ٤٣١، ٤٣٨، ٥٢٧، ٥٨٧/ ٣: **٣٨٨**، ٤١١
قرص الجلنار بدم الأخوين	٢: ٥٣١
مرهم الجلنار	٢: ٦٢٨

ذكر ابن سينا الجلنار في أدوية القانون المفردة فقال: «الماهية: زهرة الرمان البري فارسي أو مصري. وقد يكون أحمر، وقد يكون أبيض، وقد يكون مورداً، وعصارته في طبعها كعصارة لحية التيس. قال بولس: قوته كقوة شحم الرمان» ثم ذكر فوائده الطبية وأهمها أنه يقطع نفث الدم وكل سيلان، وتصنع منه أقراص مشهورة لها نسخ مختلفة.

اتفقت المراجع عى أن المراد بهذا الاسم زهر الرمان، لكن الأطباء يخصون به زهر الرمّان البري كما جاء في القانون، وقال ابن الحشاء في مفيد العلوم مفسراً ألفاظ الكتاب المنصوري للرازي: «جلنار معناه ورد الرمان والمراد به هنا وعند أكثر الأطباء ورد الرمان البري. ويخص ورد الرمان البستان بالجنبذ».

الاسم العلمي للجلنار Balauste وهومأخوذ من اليونانية القديمة.

ضبط هذا الاسم ضبط مفردات في القاموس المحيط «جلنار بضم الجيم وفتح اللام المشددة معرب گلنار» وگلنار اسم مركب من گل ومعناها بالفارسية ورد، وانار ومعناها الرمان.

التعريف والنقـــد

كتاب المثلث لابن حبيب(*)

الدكتور عزة حسن

المؤلّف:

هو أبو جعفر محمد بن حبيب المتوفى سنة (٢٤٥). وحبيب اسم أمه، فلذلك لا يُصْرَف(١).

وهو من علماء الكوفة. ذكره أبو بكر الزبيدي في الطبقة الرابعة من النحويين الكوفيين(٢). وقال عنه: «وله كتب صحيحة»(٣). وقال عنه أبو الطيب اللغوي: «فأما أبو جعفر محمد بن حبيب فإنه صاحب أخبار. وليس في اللغة هناك»(٤).

المثلث في اللغة:

المثلث ظاهرة لغوية فريدة في اللغة العربية. وهي مجيء فاء الكلمة أو عينها بالحركات الثلاث، الفتحة والكسرة والضمة. جاء في معجم لسان العرب: «والوُجْد والوَجْد والوِجْد: اليسار والسَّعة. وفي التنزيل العزيز:﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ

(*) حقق هذا الكتاب كاتب هذا المقال، وقد أشار إلى ذلك في نهاية هذه المقدمة.

(١) مراتب النحويين (٩٦).

(٢) طبقات النحويين واللغويين (١٥٣– ١٥٤).

(٣) المصدر نفسه (٦/ ٢).

(٤) مراتب النحويين (٩٦).

حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ﴾[١]. وقد قُرِئَ بالثلاث»[٢].

وقد عرف علماء اللغة ظاهرة المثلث الفريدة في اللغة، وبيّنوا صورها. قال ابن السيّد البَطَلْيَوْسي في تفصيل بيانها وإيضاحها في كتابه (المثلث): «وإنما نعتدّ (مثلثًا)، في كتابنا هذا، ما اتفقت أوزانه، وتعادلت أقسامه. ولم يختلف إلا بحركة فائه فقط، كالغَمْر والغِمْر والغُمْر، أو بحركة عينه، كالرَّجَل والرَّجِل والرَّجُل، أو كانت فيه ضمّتان تقابلان فتحتين وكسرتين، كالسُّمْسُم والسَّمْسَم والسِّمْسِم، والجَرْجار، والجِرْجِير والجُرْجُور، والهَمْهام والهِمْهيم والهُمْهوم»[٣].

وتوالى علماء اللغة على التأليف في المثلث اللغوي، وجمع الكلمات المثلثة، وترتيبها في كتب خاصة، في بداية تدوين اللغة وجمعها في الصحف.

ويبدو أن الباعث للتأليف فيه معجمي تعليمي، يهدف إلى جمع المثلثات في اللغة، ووضعها بين أيدي جمهور المتعلمين. والشأن في ذلك كالشأن في تأليف الكتب في الظواهر اللغوية الأخرى. مثل (كتاب النوادر) لأبي مِسْحَل الأعرابي، وكتاب (المذكر والمؤنث) لأبي حاتم السِّجِسْتاني، وكتاب (الفصيح) لأبي العباس ثعلب، وكتاب (الأضداد في كلام العرب) لأبي الطيّب اللغوي. وأول من ابتدأ التأليف في المثلث أبو علي محمد بن المستنير المعروفُ بقُطْرُب، المتوفى سنة ٢٠٦[٤].

(١) سورة الطلاق (٦٥/ ٦).

(٢) لسان العرب (وجد).

(٣) المثلث (١/ ٢٩٨).

(٤) حقق الدكتور رضا السويسي كتاب المثلث لقطرب. وطبعه في الدار العربية للكتاب، ليبيا- تونس ١٩٧٨.

ومن أوائل العلماء المؤلّفين في المثلث اللغوي أبو جعفر محمد بن حبيب. و لم نقف على كتابه. ويبدو أنه ضاع في غياهب السنين الماضية فيما ضاع من آثار التراث العربي، و لم يصل إلينا.

وقد عثرنا على قطعة منه، نظن أنها أول الكتاب، في مجموع مخطوط في الخزانة الكَتّانية المحفوظة في قسم المخطوطات، في الخزانة العامة بالرباط، برقم (١٠٠٣ ك)، في الصفحات (١٠٨-١١٨). وهو مكتوب بخط مغربي جيد، والكلمات المثلثات مكتوبة بالحمرة لإبرازها وتمييزها من سائر الكلام. وقد كتب الناسخ كتاب ابن حبيب بعد فراغه من نسخ (المثلث) لقطرب. وقال: «الزيادة لابن حبيب».

بادرنا إلى تحقيق هذا الشيء الباقي من الكتاب. فضبطنا متنه بالشكل. وزدنا ما نقص فيه من ضلال النسخ . وشرحنا بعض عباراته التي تحتاج إلى بيان وإيضاح، لتيسير فهمها فهمًا صحيحًا.

ثم خرَّجنا شواهده من آي القرآن الكريم، وأحاديث الرسول ﷺ، وأشعار العرب وأقوالهم. وشرحنا فيها ما يحتاج إلى التفسير والتوضيح.

وبعدُ فإن عملنا هذا مُهْدى، إتحافًا وإكرامًا، إلى روح أستاذنا الكبير الدكتور أمجد الطرابلسي، رحمه الله وأرضاه، وجعل الجنة العليا مثواه، في أكرم جوار، مع الصديقين والأبرار.

والله ولي المخلصين من عباده الصالحين.

الزيادة لابن حَبيبَ رحمه الله تعالى ورضي عنه.

الأَلّ والإِلّ والأُلّ

فأمّا الأَلّ فالبَريق. يقال: أَلَّ يَؤُلُّ، إذا بَرَقَ ولَمَعَ. ومنه سُمّيت الحَرْبَةُ أَلَّةً. ويقال أيضًا: أَلّت الفرسُ، إذا أسرعتْ وخفّفتْ قوائمَها.

قال الشاعر:

حـتى أَتيـتُ بهـا يَؤُلّ فَريصُها وكـأنّ صَهْوَتَها مَدَاكُ رُخام[١]

وأمّا الإِلّ بالكسر فالعَهْد. قال الله عزَّ وجلّ: ﴿لاَ يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إلاًّ وَلاَ ذِمَّةً﴾[٢]. والإِلّ أيضًا بالكسر القَرابة. قال الشاعر لمعاويةَ [بنِ أبي سفيانَ] بنِ حرب[٣]:

ألاَ بَلّـغْ معاويـةَ بـنَ حَـرْب مُغَلْغَلـةً عـن الـرجل الـيَمانِ

أتغضـبُ أنْ يقـالَ: أبوك عَفٌّ، وترضـى أنْ يقـالَ: أبوك زانِ؟

وأشـهد أنّ إِلّـكَ مـن قريش كَـإِلّ السَّـقْبِ من وَلَد الأَتانِ

وأمّا الأُلّ بالضم فالأوَّل في بعض اللغات. قال امرؤ القيس[٤]:

---

(١) البيت في لسان العرب (ألل). وروايته فيه حتى رميتُ بها يئِلّ فريصها...

(٢) سورة التوبة (٩/ ١٠).

(٣) الأبيات ليزيد بن مفرِّغ الحِميَري في ديوانه (٢٢٩– ٢٣٢) مع تخريجها من مصادر عديدة. المغلغلة: الرسالة المحمولة من بلد إلى بلد. والرجل اليماني: هو الشاعر نفسه لأنه حمْيري من اليمن. والسقب: ولد الناقة ساعة يولد.

(٤) البيتان في الأمالي للقالي (١/ ٤١) والمثلث لابن السِّيد البطليوسي (١/ ٣١٠). ولسان العرب (ألل)، وديوان امرئ القيس (٤٧٣) نقلاً من المصادر. والزحلوقة: آثار تزلّج الصبيان من فوق الرمل إلى أسفل.

لِمَـــنْ زُحْلوقـــةٌ زُلُّ بهــا العيـــنان تـــنهلُّ
يـــنادي الآخِـــرَ الأُلُّ: ألاَ حُلّـــوا، ألاَ حُلّـــوا

* * *

ومنه[1] العَضّ والعِضّ والعُضّ

فأمّا العَض بالفتح فمصدرُ عَضَّ يَعَضّ عَضًّا.

وأمّا العِضّ بالكسر فالرجل الداهي.

أحاديـــثُ من عادٍ وجُرْهُمَ جَمَّةٌ يُنَـــتِّجُها العِضّانِ: زَيْدٌ ودَغْفَلُ[2]

هو زيدُ بنُ الكَيِّس النُّمَيْري، وكان عالمًا نسّابًا.

ودَغْفَل النسَّابةُ البكريّ معروف.

وأمّا العُضُّ بالضم فنَبْتٌ معروف.

* * *

ومنه الحَبَّة والحِبَّة والحُبَّة

فأمّا الحَبَّة بالفتح فواحد الحَبّ.

وأمّا الحِبَّة بالكسر فواحدة بِزْر البَقْل. ومنه حديث رسول الله ﷺ: «يخرج قومٌ من النار، فيدخلون في نَهَرٍ من أنهار الجنة، يَنْبُتون به كما تنبُتُ

(١) ومنه: أي من المثلث.

(٢) البيت للقطامي عُمَيْر بن شُيَيْم التغلَبي في لسان العرب (عضض). وروايته فيه:

أحاديثُ من أنباءِ عادٍ وجرهُمٍ يُثوِّرُها...

يريد بالعِضّين زيدَ بنَ الكَيِّس النمَيْري ودغفلاً النسّابة، وهو دغفل بن حنظلة الشيباني البكري. وكانا عالمين بأنساب العرب وأيامها وحِكَمها.

الحِبَّة في حَميل السيل»[١].

وأمّا الحُبَّة بالضم فمعروف[٢].

* * *

ومنه الرَّبَّة والرِّبَّة والرُّبَّة

فأمّا الرَّبّة بالفتح فيقال: فلانةُ ربَّةُ البيت، أي صاحبتُه.

وأمّا الرِّبّة بالكسر فقِطْعة من سَمْن مجتمعةٌ. ومنه سُمِّيت الرِّباب قبائلُ، لاجتماعها.

وأمّا الرُّب بالضم فمعروف[٣]. والرُّبَّة منه.

* * *

ومنه الخَلْب والخِلْب والخُلْب.

فأمّا الخَلْب بالفتح فمصدرُ خَلَبَتْه المرأةُ خَلْبًا، إذا استمالتْه وخدعتْه عن عقله. وكلُّ خادعٍ خالبٌ.

وأمّا الخِلْب بالكسر فمعناه شَغَاف القلب. وهو غِشاء رقيق يلبسه. قال الراجز[٤]:

(١) ورد الحديث في لسان العرب (حبب، حمل). وفيه (حمل): «حَميل السيل: ما يحمل من الغُثاء والطين.. فإذا اتفقت فيه حِبّة، واستقرت على شط مجرى السيل فإنها تنبت في يوم وليلة. فشَبَّهَ بها سرعةَ عَوْد أبدانهم وأجسامهم إليهم بعد إحراق النار لها».

(٢) الحُبّة: هي الحُبّ. لسان العرب (حبب).

(٣).الرب: سلافة كل ثمرة بعد الاعتصار والطبخ. لسان العرب (ربب).

(٤) الرجز في المثلث لابن السيِّد البَطَلْيوسي (١/ ٤٩٧). ولسان العرب (بكر). وفيه: «البِكْر: أوّل ولد الرجل، غلامًا كان أو جارية. وهذا بكر أبويه: أي أول ولد يولد لهما».

يـــا بِكْرَ بِكْرَيْنِ، ويا خِلْبَ الكَبِدْ
أصـــبحتَ مني كذراعٍ من عَضُدْ

وأمّا الخُلْب بالضم فجمعُ خالِب[1]. يقال: قوم خُلْب وخُلَب وخُلُب.

* * *

ومنه الخَلْف والخِلْف والخُلْف

فأمّا الخَلْف بالفتح فالرديء. قال الله عزَّ وجل: ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ﴾[2].

والخَلْف أيضًا بالفتح الاستسقاءُ. يقال: خَلَفْتُ خَلْفًا، إذا استسقيتَ.

والخَلْف أيضًا ضِدُّ أمَام.

وأمّا الخِلْف بالكسر فواحدُ أخلاف الناقة. وهي الحَلَمات والضُّروع.

وأمّا الخُلْف بالضم فاسمُ الإخلاف ومَصْدَرُه. يقال: أخْلَفْتُ موعدَه إخلافًا وخُلْفًا.

* * *

ومنه المَلْح والمِلْح والمُلْح

فأمّا المَلْح بالفتح فهو الإسراعُ. قال الشاعر:

مَلْحَ الصُّقورِ تحت دَجْنٍ مُغْيِنِ[3]

---

(١) الخالب: الخادع الكذّاب. لسان العرب (خلب).

(٢).سورة مريم (١٩/ ٥٩).

(٣) الشطر في المثلث لابن السِّيد البَطَلْيوسي (٢/ ١٥٤)، ونسبه إلى رؤبة. وليس في ديوانه. وهو في لسان العرب (ملح) من غير نسبة.
والمغين: من الغَيْن وهو الغيم. لسان العرب (غين).

ومنه سُمِّيَ الملاَّحون. والدَّجن إلباسُ الغيمِ السماءَ.

مـــثل مُغْـــيم ومُغْـــين ســـواء.

وسُمِّي الملاحون لإسراعهم بالمجاذيف. ويُسَمَّوْنَ أيضًا الصَّرَارِيِّينَ، واحدُهم صَرَارِيّ، لأنه يَعْطِفُ السفينةَ.

ويقال: صَرَى إذا جَمَعَ. قال الشاعر:

مُعَـــتَّقَة مِمّـــا صَرَى أرضُ بابلِ

وأمّا المِلْح فمعروف. وهو أيضًا الرَّضاع.

ومنه قولُ هَوَازِنَ لرسول الله ﷺ: «لَوْ مَلَحْنا للنُّعْمان بنِ المنذر، أو الحارث ابنِ أبي شَمِر، لَنَفَعنا ذلك عندهما. وأنت خيرُ الكَفِيلَيْن»[١]. قال الشاعر:

وإني لأَرْجـــو مِلْحَها في بطونكمْ وما نَسَحَتْ من نسج أشْعَثَ أغْبَرا[٢]

المِلْح أيضًا من المَلاَحة. تقول: جاريةٌ عليها مِلْحٌ.

وأمّا المُلْح بالضم فجَمْعُ أمْلَحَ ومُلَح. والمُلْحَة سواد وبياض يختلطان. يقال: كبشٌ أملحُ ومُلَحٌ، إذا كان كذلك.

والأَخْرَجُ قريبٌ من ذلك. يقال: ظَلِيمٌ أَخْرَجُ.

---

(١) جاء في لسان العرب (ملح): «وفي حديث وفد هوازن: أنهم كلّموا رسول الله ﷺ في سَبْي عشائرهم. فقال خطيبهم: إنّا لو كنّا مَلَحْنا للحارث ابن أبي شَمِر أو للنعمان بن المنذر، ثم نزل هذا منا، لَحُفظ ذلك لنا. وأنت خير المكفولين فاحفظ ذلك. قال الأصمعي في قوله (مَلَحْنا)، أي أرضعنا لهما. وإنما قال الهوازني ذلك، لأن رسول الله ﷺ، كان مُسْتَرْضَعًا فيهم. أرضعته حليمة السعدية».

(٢) البيت لأبي الطَّمَحان القَيْني. جاء في لسان العرب (ملح): «قال أبو الطمحان، وكانت له إبل يسقي قومًا من ألبانها، ثم أغاروا عليها فأخذوها:

وإني لأَرْجـــو مِلْحَهـــا في بطونكمْ، ومـــا بَسَـــطَتْ من جلد أشْعَثَ أغْبَرا

ومنه سُمِّي الخُرْجُ خُرْجًا[1]، لاختلاط البياض والسواد فيه.

ويقال للخرج: الكُرْزُ. وبه سُمِّي الرجل كُرْزًا وكُرَيْزًا والكَرّاز: تَيْسٌ يحمل عليه الراعي أداته.

* * *

ومنه الغَيْل والغِيل والغُول

فأمّا الغَيْل بالفتح فهو ما تسقيه المرأةُ ولدَها في صِغَره إذا جَلَتْ عنه.

وأمّا الغِيل بالكسر فشجرٌ ملتفّ.

وأمّا الغول فالشياطين.

* * *

ومنه الفَرْج والفِرْج والفُرْج

فأمّا الفَرْج بالفتح ففرج المرأة. والفَرْج ما بين الشيئين. يقال لما بين رِجْلَي الفرس: فَرْج. قال امرؤ القيس[2]:

لها ذَنَبٌ مثلُ ذيلِ العروسِ   تَسُدُّ به فَرْجَها من دُبُرْ

والفَرْج أيضًا موضعُ المخافة من أرض العدوّ والثَّغْر.

وأمّا الفِرْج بالكسر فالذي ينكشف فَرْجُه أبدًا. يقال: رجلٌ فِرْج، وفُرْج.

= وذلك أنه كان نزل عليه قوم، فأخذوا إبله. فقال: أرجو أن تَرْعَوْا ماشربتم من ألبان هذه الإبل، وما بسطت من جلود قوم، كأن جلودهم قد يبست فسمنوا منها... يقول: إني لأرجو أن يأخذكم الله بحرمة صاحبها وغدركم به. وكانوا استاقوا له نَعَماً كان يسقيهم لبنها)).

(١) الخرج: هو هذا الوعاء، جُوَالق ذو أُوْنَيْن. لسان العرب (خرج).

(٢) البيت في وصف الفرس. وهو من قصيدة في ديوان امرئ القيس (١٥٤- ١٦٧).

ومنه الطَّرْق والطِّرْق والطُّرق

فأمّا الطَّرْق بالفتح فمصدر طرقتُ طَرْقًا، وهو الضرب. ومنه سُمّيت المِطْرَقةُ. والطَّرْق أيضًا البعير الذي يُختار لِضراب الإبل. وهو أيضًا الكَهَانة. قال لَبيد(1):

لَعَمْرُك، ما تَدْري الطوارقُ بالحصى ولا زاجِـراتُ الطيرِ ما اللهُ صانعُ

وهو أيضًا الماء الذي بالت فيه الماشيةُ وخَوَّضَتْه.

وأمّا الطِّرق بالكسر فالقوة. والطِّرْق أيضًا الشحم. يقال: إنما سُمِّيت القوةُ طِرْقًا، لأنها من الشحم تكون. كما سُمّيَ هُدْبُ العين شُفْرًا، لأنه على الشُّفْر يكون. وقد تسمّي العربُ الشيءَ باسم الشيء إذا كان مجاورًا له، أو كان منه بسبب.

وأمّا الطُّرق بالضم فجمع طَرِيق، أي المطروق المسلوك عليها.

* * *

ومنه الجِلّة والجَلّة والجُلّة

فأمّا الجَلّة بالفتح فالبعير.

وأمّا الجِلّة بالكسر فقَوْم أَجلاّءُ.

وأما الجُلّة بالضم فجُلّة التمر. وهي القَوْصَرَة.

* * *

ومنه النَّحْلة والنِّحْلة والنُّحْلة

فأمّا النَّحْلة بالفتح فالذُّبابة التي تجمع العسلَ.

وأما النِّحْلة بالكسر فالعَطيّة.

وقد يقال في العَطيّة: نُحْلَة، بالضم.

---

(1) البيت من قصيدة في ديوانه (١٦٨–١٧٢) وهي في رثاء أخيه أرْبَد.

ومنه الغَسْل والغِسْل والغُسْل

فأمّا الغَسْل بالفتح. فمصدر غَسَلْتُ.

وأمّا الغِسْل بالكسر فهو ما غُسِلَ به الرأسُ من خَطْمِيٍّ[١] وغيره.

وأمّا الغُسْل بالضم فاسْمُ الاغتسال.

* * *

ومنه القَطْع والقِطْع والقُطْع

فأمّا القَطْع بالفتح فمصدر قَطَعْتُ قطعًا.

وأمّا القِطْع بالكسر فآخِرُ الليل، وهو السَّحَر. ومنه قول الله عزّ وجلّ: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ﴾(٢).

وأما القُطْع بالضم فجمعُ أَقْطَعَ(٣).

* * *

ومنه الضَّر والضِّر والضُّر

فأمّا الضَّرّ بالفتح فمصدر ضَرَرْتُ ضرًّا. وهو ضدُّ النَّفْع.

وأمّا الضِّرّ بالكسر فأَنْ يتزوّجَ الرجلُ الضَّرائرَ.

يقال: تزوَّجَ الرجلُ فلانةَ على ضِرٍّ.

وأمّا الضُّرّ بالضم فاسمٌ أيضًا من الضَّرّ الذي هو ضدّ النَّفْع. وهو لغتانِ.

* * *

ومنه الرَّوَاء والرِّوَاء والرُّوَاء

فأمّا الرَّوَاء بالفتح والمدّ فالماءُ الكثير.

---

(١) الخطمي: ضرب من النبات يغسل به الرأس. لسان العرب (خطم).

(٢) سورة هود (١١/ ٨١).

(٣) الأقطع: الرجل المقطوع اليد. لسان العرب (قطع).

يقال: ماءٌ رَوَاءٌ. ويقال: ماء رِوَاء، ممدودٌ مكسور.

وأمّا الرِّواء بالمدّ والكسر فالحَبْل. والرِّواء أيضًا جمع ريّان[١].

وأمّا الرُّوَاء بالضم فمن قولك: فلانٌ حَسَنُ الرُّوَاء.

والرُّؤى جمعُ رؤيةٍ ورؤيا.

* * *

ومنه السَّرْب والسِّرْب والسُّرْب

فأمّا السَّرْب بالفتح فالطريق. يقال: خَلِّ سَرْبَ فلان، أي طريقَه.

والسِّرْب بالكسر من قولهم: فلانٌ أمينٌ في سِرْبه، أي في نفسه وحاله. والسِّرْب أيضًا من القَطا والنِّساء والظِّباء.

وأما السُّرْب بالضم فجمعُ سُرْبَةِ الخيل[٢].

* * *

ومنه العَرْج والعِرْج والعُرْج

فأمّا العَرْج بالفتح فالجماعةُ من الإبلِ الكثيرةُ، نحوُ الألف.

وأمّا العِرْج بالكسر فموضعٌ بالحجاز[٣]، يُنْسَب إليه العِرْجيّ الشاعرُ[٤]، من ولد عثمانَ، رحمه الله.

وأما العُرْج بالضم فجمعُ أعْرَجَ.

---

(١) نَبتٌ ريّانٌ، وشجرٌ رِوَاء. لسان العرب (روى).

(٢) سربة الخيل: الجماعة من الخيل، ما بين العشرين إلى الثلاثين. لسان العرب (سرب).

(٣) جاء في معجم البلدان (العرج): «وقال الأصمعي في كتاب جزيرة العرب وذكر نواحي الطائف: وادٍ يقال له النَّخب، وهو من الطائف على ساعة. ووادٍ يقال له العِرْج، وهو غير العَرْج الذي بين مكة والمدينة».

(٤) هو عبد الله بنُ عمرَ بنِ عمرِو بنِ عثمانَ بنِ عفّانَ. وكان من شعراء قريش، ومَنْ شُهِر بالغزل منها. ونحا نحوَ عمرَ بنِ أبي ربيعة، وتشبّه به فأجاد. الشعر والشعراء (٢/ ٥٧٤- ٥٧٦)، والأغاني (١/ ٣٨٣- ٣٨٥).

ومنه القَلّة والقِلّة والقُلّة

فأمّا القَلّة بالفتح فإسالةُ الشيء مرّةً واحدة.

وأمّا القِلّة بالكسر فالإقلال. والقِلّة أيضًا بالكسر الرِّعْدَة. يقال: فلانٌ به قِلّةٌ، إذا كانت به رِعْدَة.

وأمّا القُلّة بالضم فرأسُ الشيء. قال تأبّطَ شرًّا[١]:

وقُلّـــةٍ كسِـــنانِ الـــرمحِ باسِقَةٍ ضَحْيانةٍ في شهور الصيفِ، مِحْراقِ

* * *

ومنه الفَلْج والفِلْج والفُلج

فأمّا الفَلْج بالفتح فمصدر فَلَجْتُ الشيءَ فَلجًا إذا قطعتَه، وأصبتَ بُغْيَتَك منه.

وأمّا الفِلْج بالكسر فالنهرُ.

وأمّا الفُلْج بالضم فجمعُ أَفْلَجَ[٢]. والفُلْج أيضًا النُّجْح.

* * *

ومنه النَّعْمة والنِّعْمة والنُّعمة

فأمّا النَّعْمة بالفتح فهي النعيم.

وأمّا النِّعْمة فاليَدُ من النِّعْمة[٣]. قال الله عزَّ وجلّ :﴿وَتِلْكَ ...،﴾ [٤]

---

(١) البيت من قصيدة في ديوانه (١٢٥– ١٤٤)، والمفضليات (٢٧– ٣١).

القلة: هي قلة الجبل هنا: وضحيانة: بارزة للشمس. وباسقة: مرتفعة في عُلُوّ. لسان العرب (بسق).

(٢) رجل أَفْلَجُ إذا كان في أسنانه تفرّق. والفَلَج في الأسنان تباعُد ما بين الثنايا والرَّباعيّات خِلْقةً. لسان العرب (فلج).

(٣) النِّعْمة: اليد البيضاء الصالحة، والصَّنيعة والمِنّة وما أُنعِم به عليك. لسان العرب (نعم).

(٤) تمام الآية: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾. سورة الشعراء (٢٦/ ٢٢).

المصـــادر

١- الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني. طبعة دار الكتب المصرية. (طبعة مصورة عنها).

٢- الأمالي، لأبي علي القالي. مطبعة السعادة في القاهرة سنة ١٣٧٣/ ١٩٥٣.

٣- ديوان امرئ القيس. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعارف بمصر، سنة ١٩٦٩. (الطبعة الثالثة).

٤- ديوان تأبط شرًا. تحقيق علي ذو الفقار شاكر. دار الغرب الإسلامي في بيروت، سنة ١٤٠٤/ ١٩٨٤.

٥- ديوان رؤبة بن العجّاج. تصحيح W. Ahlwardt (طبعة مصورة في دار الآفاق في بيروت).

٦- ديوان لبيد بن ربيعة. تحقيق الدكتور إحسان عباس. وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت سنة ١٩٦٢.

٧- ديوان يزيد بن مفرّغ الحميري. تحقيق الدكتور عبد القدوس أبو صالح. مؤسسة الرسالة في بيروت. سنة ١٣٩٥/ ١٩٧٥.

٨- الشعر والشعراء، لابن قتيبة. تحقيق أحمد محمد شاكر. دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٦

٩- طبقات النحويين واللغويين، لأبي بكر الزبيدي. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. طبعة الخانجي في القاهرة سنة ١٣٧٣/ ١٩٥٤.

١٠- لسان العرب، لابن منظور الإفريقي. طبعة دار صادر في بيروت.

١١- المثلث، لابن السِّيد البَطَلْيوسي. تحقيق صلاح مهدي علي الفرطوسي. دار الرشيد للنشر في بغداد سنة ١٩٨١.

١٢- مراتب النحويين، لأبي الطيب اللغوي. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. مكتبة نهضة مصر سنة ١٣٧٥- ١٩٥٥.

١٣- معجم البلدان، لياقوت الحموي. طبعة دار صادر في بيروت سنة ١٣٩٧/ ١٩٧٧.

١٤- المفضليات، للمفضل الضبي، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون. دار المعارف بمصر سنة ١٣٨٣/ ١٩٦٤ (الطبعة الرابعة).

الشيخ إبراهيم المنذر

١٨٧٥ - ١٩٥٠

أ. حكمت هلال

كانت المحيدثة التي فتح إبراهيم المنذر عينيه فيها أول مرة، ليرى نور الحياة في السابع من حزيران سنة ١٨٧٥م، قد بقي لها أكبر الأثر في فكره وقلبه طوال عمره.

هو إبراهيم بن ميخائيل بن منذر بن كمال أبي راجح، من بني المعلوف، الأسرة الغسَّانية الحورانية، من قرية المحيدثة بلبنان، تعلَّم في مدرسة القرية، ثم انتقل إلى المدرسة اللبنانية في قرنة شهوان، واستمر يتعلم فيها مدة أربع سنوات، درس خلالها العربية والفرنسية والإنكليزية، حتى أكمل دراسته سنة ١٨٩٠م.

باشر التعليم بعد نَيله الشهادة وهو في العشرين من عمره في مدرسة النبي إلياس في شويا، ثم في مدرسة الشوير الوطنية، ومن ثَمَّ انتقل إلى بيروت، ودرّس في مدارسها علم اللغة والأدب العربي، وكان على قسط وافر من الذكاء وقوة الشخصية، وكان يلمّ بدقائق اللغة بعقله وقلبه أكثر مما يفهمها بقوة ذاكرته وحفظه، نجح إبراهيم المنذر في التعليم نجاحًا باهرًا، ويعود ذلك إلى تفانيه وإخلاصه في تعليم تلاميذه، وإلى غيرته الشديدة على العربية من أن تضعف وتندثر، أضف إلى ذلك حُسن سلوكه، وطيب معشره، وحبه للناس والاختلاط بهم.

وفي أثناء وجوده في بيروت علَّم في أغلب مدارسها: ثلاثة الأقمار، وزهرة الإحسان، والمدرسة الابتدائية، والفرير، والوطنية، والعلمانية، والبطريريكية، والأهلية، ودار المعلمات الإنكليزية، ودار المعلمين الرسمية، وعيَّنته وزارة المعارف سنينَ عديدة في لجان امتحان الشهادات الثانوية العالية لطلاب الأدب والفلسفة.

ثمّ انتُخب شيخ صلح عن بلدته عام ١٩٠٨، وفي سنة ١٩٠٩ عُين رئيسًا لدائرة النيابة العامة في منطقة الجبل.

وقد رأس فرع جمعية الإصلاح العربية، التي حقّقت مؤتمر باريس، وتعرَّض بسبب ذلك للمحاكمة أمام المجلس العرفي، حيث أُنقذ من الإعدام بتدخل صديقيه الأميرين: شكيب أرسلان وفائز شهاب.

شغل عضوية محكمتي المتن وكسروان من عام ١٩١٥- ١٩٢٠. وفي سنة ١٩٢٠ عندما أُعلن استقلال لبنان ألقى خطابًا حماسيًّا، ندّد فيه بالاستقلال الزائف، فعزلته السلطة عن منصبه، فذهب إلى سورية، فكلّفته الحكومة السورية بإدارة المدارس العامة في حلب والإسكندرونة، ومن ثمّ دعاه الملك فيصل الأول لتولّي منصب رفيع في المعارف، فاعتذر عن إجابة دعوته بسبب انشغاله في الشؤون اللبنانية.

انتخبه الشعب نائبًا عنه في الجبل عام ١٩٢٢، وجُدِّد انتخابه أربع مرات متتالية، فكان وطنيًّا حرًّا، ومناوئًا عنيدًا للانتداب الفرنسي طَوال مدة حكمه في المجلس النيابي، وكان يدافع عن الدستور والدعوة إلى إلغاء الطائفية وتحرير المرأة.

انتخبه المجمع العلمي العربي في دمشق عضوًا فيه في الثالث من تشرين الأول ١٩٢٦. وانضم إليه فعليًّا في عام ١٩٢٧.

وكان يرى في هذا المجمع مثلاً يُحتذى، ويشيد بمنجزاته على الرغم من الصعوبات التي تواجهه، فيقول في مجلة المعارف: «فأعجبت بما جاء فيه من الأعمال الكبيرة التي قام بها المجمع، مع ما في هذه البلاد من المصاعب التي تعترض أمثال هذه المعاهد العلمية المفيدة»[1].

ويلحُّ كثيرًا في المطالبة بإنشاء مجمع علمي في بيروت على غرار المجمع العلمي بدمشق، ويصرِّح بذلك على صفحات الإصلاح فيقول: «ولقد كنت

(١) مجلة المجمع العلمي العربي: مجلدة - عام ١٩٢٥ ص (١٨).

ولا أزال أُلحُّ بوجوب إنشاء مجمع علمي في هذه المدينة (بيروت) من نخبة الجهابذة في اللغة على مثال المجمع العلمي في دمشق، فينظر في أصولها، ويطرح العقيم منها، ويؤيِّد الجديد الذي ينطبق على قواعد البيان، ويوافق مقتضيات القرن العشرين»[1].

نظم الشيخ إبراهيم منذر قصيدة شعرية بمناسبة انتخابه عضوًا في المجمع العلمي بدمشق يقول فيها[2]: [من الطويل]

ولــوْلا رجالٌ في دمَشقَ عَرَفْتُهمْ	أكــارمُ لا يــأتُونَ إلاّ المَعالــيَا
حَمَوا لُغَةَ الأَعْرابِ من كُلِّ لَكْنَةٍ	وشَــادُوا بها دُورَ الهُدَى والمَغَانيا
لَمَا كانَ لي في منْبَرِ الشّامِ مَوْقفٌ	قَطَعْــتُ إلَــيه هَضْــبَها والفَيافيا
وَلا عَجَــبٌ في ذَاكَ وَالشّامُ كَعْبَةٌ	يَحُــجُّ إلَــيْهَا الصَّادقُ الحُرُّ هَانيا
إذا نَهَضَتْ صَانَتْ لسَانَ جُدُودهَا	وَأَجْلَتْ عَن الأَوْطان تلْكَ الدَّوَاهيَا
وإنْ فَشلَتْ تَهْوي وتَحْتَاجُ عُجْمُهَا	حمَاهَــا، وتُخْبي نُورَهَا والدَّرَاريَا

وشفع قصيدته هذه بأطروحة قدّمها للمجمع تحت عنوان: «كتاب المنذر»، وهو كتاب لطيف الحجم، غزير المادة، تصدَّى فيه الشيخ المنذر للأغلاط الشائعة على ألسنة الكُتَّاب في عصره، والتي وردت في شعرهم ونثرهم، واقترح إنشاء مجمع علمي لغوي في بيروت، وجمع ما نشره الكتّاب في صحف بيروت تأييدًا له، أو تفنيدًا لرأيه.

وقدَّم كتابه هذا إلى المجمع، فتقبَّله منه شاكرًا له، وقام بنشر القسم الذي يتعلَّق بنقد الأخطاء اللغوية في مجلة المجمع، لِما رأى فيها من الفائدة الكبيرة والخير العميم لأبناء اللغة العربية.

---

(١) مجلة المجمع العلمي العربي، مجلدة - عام ١٩٢٥ ، ص (١٧).

(٢) المصدر نفسه، مجلد ٩ - ص (٣٤) عام ١٩٢٩.

وقد قرّظ هذا الكتاب، وأشاد بفضل مؤلّفه الأستاذ أحمد رضا، أحد أعضاء المجمع العلمي، فقال:

«حيّا الله الأستاذ المنذر، فقد جاهد في سبيل لغته الشريفة جهادًا محمودًا، ودافع عنها دفاع الأبطال، لما رأى أقلام بعض الكتّاب، أو كثير منهم قد تجاوزت – عن غير تعمُّد – الحدود، وفكّت القيود باستعمالها اللحن والخطأ، حتى كادت – من ذلك – محاسن اللغة تشوّه، وسلاستها تذهب، فأخرج للناس كتابًا جليلاً مفيدًا»[1].

لقد كان الشيخ المنذر من خيرة العلماء والفضلاء الذين ضمّهم المجمع العلمي بين جوانحه، ومن صفوة الأدباء الغيورين على مجد الأمة العربية، وعلى لغة الضاد السائدة في بلادها.

نظم الشعر في مختلف المناسبات الوطنية والقومية والاجتماعية، فكان لسان لبنان المعبِّر عن آلامه وآماله، والمصوِّر الصادق لهموم الأمة العربية وطموحاتها.

فديوان شعره النفيس يدل على تضلُّعه من اللغة العربية، واطلاعه على أسرارها، ويُعتبر الشاعر إبراهيم المنذر من أنبغ رجال عصره في العلم والأدب، وقد جادت قريحته بمصنَّفات ذات قيمة عالية في الفكر والأدب، وكيفِ لا؟ وقد خُطّت بيراع مؤلّف وأديب وشاعر.

فإبراهيم المنذر أحد أعلام لبنان الأفذاذ في عصره، كونه أحد أعلام اللغة العربية، ورافع لواء الفصاحة والبيان، تحرّى بشعره الكلام البسيط الخالي من التعقيد، فهو البليغ الذي يُؤثر الإيجاز في الفصاحة، وهو الفصيح الذي يُؤثر الإسهاب في البلاغة.

فأسلوبه هو السهل الممتنع، رقيق سلس، غزير المادة، فصيح اللهجة، قوي

(١) مجلة المجمع العلمي العربي: مجلد ٨ – ص (٥٣٧) – عام ١٩٢٨.

الحجة، سريع الخاطر، تمكّن بأسلوبه، هذا من التفوق في الصناعة الأدبية، فكان فكره منطلقًا تقطر منه نفحات عبقة هزّت مشاعره، وفتحت قلبه، وصقلت موهبته، وكوّنته تكوينًا جديدًا، فكان لهذا كله الأثر الكبير في نمط حياته، وطبيعة أسلوبه.

وصَف نواحي عدة في الحياة والمجتمع والوطن فقال[1]: [من البسيط]

أبـــناءَ قوْمــــي ما حَنَّ الفُؤادُ إلى ... ســـِوَاكُمُ تَمْلَؤُونَ السَّهْلَ وَالهِضَبَا
أنَـــا عَلَـــى العَهْدِ باقٍ عَامِلٌ أَبَدًا ... حَـــتّى أراكُمْ عَلَى مَتْنِ الذُّرا شُهُبَا
ولـــو بَذَلْتُ حَيَاتِي في عُلا وَطَني ... لكـــانَ ذلكَ منّي بَعْضَ ما وَجَبَا

وكان دائمًا يحضُّ على الجهاد ومقاومة الغاصبين فيقول[2]: [من البسيط]

مَـــنْ جَدَّ فازَ، ومَنْ خانَتْهُ همَّتُهُ ... هَوَى، وَما خَابَ في المِضْمَار عَدَّاءُ
إنَّ الجِهـــادَ حَيَاةٌ، والخُمُولَ رَدىً ... وَطَيِّـــبي الذِّكْرِ بَعْدَ المَوْتِ أَحْيَاءُ

وكان ينادي بالوحدة العربية ويدعو إليها إذ يقول[3]: [من البسيط]

يـــا فتْيَةَ العُرْبِ إنَّ العلم مَفْخَرَةٌ ... وَأَهْلُـــهُ الغُـــرُّ إخْـــوانٌ أَحِـــبَّاءُ
يـــا فتْـــيَةَ العُرْبِ إنّا نَاظِرونَ إلى ... جُهُودِكُمْ وَهْيَ كالأَعْراقِ شَحَّاءُ
ما في فِلَسْطِيْنَ أَوْ أَرضِ العِراقِ ولا ... لُبْـــنَانَ أَوْ سُـــورِيَّة إلا أَشِـــقَّاءُ
جارَتْ عَلَيْهِمْ يَدُ البَاغِيْنَ فَاغْتَرَبُوا ... في الشَّرْقِ والغَرْبِ والأَيَّام سَوْدَاءُ
مِـــن كُلِّ شَهْمٍ إذَا نُودِي لِمَكْرُمَة ... لَـــبَّى نِـــدَاءَ المُنَادي وَهْوَ معْطَاءُ
لا يَعْـــدَمُ الحَـــقُّ أَنْصَـــارًا تُؤَيِّدُهُ ... والحَقُّ في الشَّرْقِ كالنِّبْراسِ وَضَّاءُ

---

(١) مجلة المجمع العلمي العربي: مجلد ٨ - ص (٥٣٧) - عام ١٩٢٨.

(٢) إبراهيم المنذر: «ديوان الشعر» ص (٢٠).

(٣) المصدر نفسه: ص (٢٢).

وكان يحثُّ دائمًا على حب الأرض والتفاني من أجلها، فيقول[1]: [من الخفيف]

أيُّهــا الـنَّاطِقُونَ بالضَّادِ صُونُوا أَرْضَـكُمْ مِـنْ طَوَارِقِ الحَدَثَانِ

فَبَـنُوهَا بَـنُو المَعَـالِي وَأَهْـلِ السَّـيْفِ والضَّيْفِ وَالمزَايَا الحِسَانِ

وتُعَدُّ قصيدته التي يصف فيها «قلب الأم» ومدى حبّها لولدَها، وخوفها عليه من أن يناله أذى أو ضرر، من أجمل قصائده التي ترقرق لها الدموع في المآقي[2]. وهي: [من الكامل]

أَغْــرى امْرُؤٌ يَوْمًا غُلامًا جاهلاً بِـنُقُودِهِ حَـتَّى يَـنَالَ بِهِ الوَطَرْ

قــال: ائتِــنِي بفُؤادِ أُمِّكَ يا فَتَى وَلَــكَ الدَّراهِمُ والجَواهِرُ والدُّرَرْ

فَمَضَى وأَغْمَدَ خَنْجرًا فِي صَدْرِهَا والقَلْــبُ أَخْرَجَهُ وَعادَ عَلَى الأَثَرْ

لكـنَّهُ مِـنْ فَـرْطِ سُرْعَتِه هَوَى فَـتَدَحْرَجَ القَلْبُ المُضَرَّجُ إِذْ عَثَرْ

نَـاداهُ قَلْـبُ الأُمِّ وَهْـوَ مُعَفَّرٌ: وَلَدي حَبِيبي هَلْ أَصَابَكَ مِنْ ضَرَرْ

فَكَـأَنَّ هذَا الصَّوْتَ رَغْمَ حُنُوِّهِ غَضَبُ السَّماءِ بِهِ عَلَى الوَلَدِ انْهَمَرْ

فَاسْـتَلَّ خَـنْجَرَهُ لِيَطْعَنَ نَفْسَهُ طَعْـنًا سَـيَبْقَى عِبْرَةً لِمَنِ اعْتَبَرْ

نَـادَاهُ قَلْـبُ الأُمِّ: كُفَّ يَدًا وَلا تَطْعَـنْ فُؤَادي مَرَّتَيْنِ عَلَى الأَثَرْ

قال الأستاذ أمين نخلة فيه:

«كان الشيخ إبراهيم المنذر بحرًا لا ساحل له، فهو قد أحاط بشاذٍّ ومقيس، ووقف على غرائب ونوادر، وغاص على دقائق، واستقصى أطرافًا، وجمع أشتاتًا... إلى ذاكرة تحفظ للفور، وتُحضر المحفوظ عند الاقتضاء، فإذا هو تلا عن لوح قلبه، فكأنما يستفرغ من وعاء. وإني لا أعرف في علماء زماننا مَنْ

(١) إبراهيم المنذر: «ديوان الشعر»، ص (٢٤).

(٢) المصدر نفسه، ص (٣١).

رُزق تلك القوة في الحافظة إلا الشيخ عبد القادر المغربيّ علاّمة وقته رحمه الله، والشيخ عبد الله العلايلي علاّمة هذا الوقت.

هو في الخطابة ليس له نظير، كان طلق البديهة، طلق اللسان، أما الشعر فإن المنذر لم يجعله مَرْمَى آماله... وهو لو انصرف إلى الشعر، لأدرك فيه أمدًا بعيدًا.

شعره شعر العلماء؛ فأسلوب رصين، وألفاظ بيّنة، وانسجام مطّرد، ومعانٍ قريبة... يصول في الإنشاد ويجول، ويتدفق تدفّق النهر الشديد الجَرْيَة... أراد من النّظم أن يُري الناس كونَ العلماء يستطيعون المشاركة في فن الشعر علاوةً على فَـــنِّهم المخصوص بهم. وقديمًا جاء من العلماء شعراء، ومن الشعراء علماء»[1].

أُقيمت له عدة حفلات تكريمية في الوطن والمهجر، كان آخرها وأكبرها حفلة اليوبيل الذهبي التي أُقيمت في بكفيّا في ٢٩ آب سنة ١٩٤٨.

تُوفي - رحمه الله - عن خمسة وسبعين عامًا بتاريخ ٢٧ آب ١٩٥٠ في مستشفى القديس جاورجيوس في بيروت على أثر عملية جراحية، وفي اليوم التالي وُوْرِيَ ثرى المحيدثة بموكب مهيب اشتركت فيه الدولة، حيث وقف الشاعر رئيف خوري يرثيه ويقول[2]: [من السريع]

ثَلاثَـــةٌ تَبْكـــيكَ: أُمُّ اللُّغَـــاتْ ... وَأَرْزُ لُبْـــنانَ وعُلْـــيَا الصِّـــفَاتْ
وَفَّيْـــتَ حَقَّـــا لِلْعُـــلا وَاجِـــبًا ... فَعِشْـــتَ لِلْعِلْـــمِ وَلِلْمَكْـــرُمَاتْ
إنْ عَـــدَّ لُبْـــنَانُ ذَوِي فَضْـــلِه ... عَـــدَّكَ في أَعْلامِـــه الخَافِقَـــاتْ
قَـــدْ رَدَّكَ الـــيَوْمَ إِلَـــى أَرضِـــه ... وَكَـــانَ أَنْمَـــاكَ كَأَزْكَى النَّبَاتْ

(١) مقدمة «ديوان شعر» للأستاذ أمين نخلة بتصرُّف.

(٢) إبراهيم المنذر: «ديوان شعر» ص (١٩).

مؤلّفاتـــه

كتب كثيرًا نثرًا وشعرًا في الجرائد منها: المنار والحرية والبرق والمعرض والإصلاح والمنبر والأحرار والمستقبل والأمة. وكتب في مجلات: العرفان والمعارف والفجر والخدر ومنيرفا والمرأة الجديدة والحياة وبيت لحم والهلال وراسل الدليل ومرآة الغرب والسمير والهدى والحديقة والبريد والوطن.

نشر بعنوان «حديث نائب» مقالات شهيرة في النقد السياسي والاجتماعي، وبرع في الخطابة فلقّب بشيخ المنابر. وألّف عدة تمثيليات منها:

١- الأعرابي. ٢- الأمير بشير الشهابي.

٣- الحرب في طرابلس الغرب. ٤- المملوك الشارد.

٥- أمير القصر. ٦- علي بن أبي طالب.

٧- صلاح الدين الأيوبي.

٨- كتاب المنذر في النقد اللغوي وعثرات الأقلام.

٩- كتاب الدنيا وما فيها. في الأدب والاجتماع.

١٠- ديوان شعر. منشورات مكتب الدراسات العلمية ١٩٧٣.

المراجـــع

١- الأعلام للزركلي صفحة (١٧٦م).

٢- ديوان شعره، طبع بيروت ١٩٧٣.

٣- مصادر الدراسة الأدبية – يوسف أسعد داغر.

٤- القاموس العام – حنّا أبي راشد، طبع لبنان، الجزء الثاني، صفحة ٥٧٩.

٥- معجم المؤلّفين – عمر رضا كحالة. طبع دار إحياء التراث، بيروت، الجزء الأول، صفحة (١١٩).

الكتب والمجلات المهداة

إلى مكتبة مجمع اللغة العربية

في الربع الثالث من عام ٢٠٠٥م

أ – الكتب العربية

أ. خير الله الشريف

- **أصول النحو عند البغدادي: دراسة في شواهد الخزانة/** د. فاطمة راشد الراجحي – الكويت: مجلس النشر العلمي، ٢٠٠٥ – (حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ٢٥، الرسالة ٢٢٥).
- **أوراق جامعية/** د. داخل حسن جريو – بغداد: المجمع العلمي، ٢٠٠٥.
- **تاريخ القدس والخليل عليه السلام/** الخليلي – لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ٢٠٠٤.
- **تاريخ مدينة دمشق/** ابن عساكر، تحقيق: سكينة الشهابي – دمشق: مجمع اللغة العربية، ٢٠٠٥ – مج ٦٤.
- **تجارة الجزيرة العربية خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة/** د. سعيد بن عبد الله القحطاني – الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ٢٠٠٤ – (الرسائل الجامعية ١٤٧).
- **تجاوز ضفاف المألوف: دراسة في شعر الأعشى الكبير/** د. نسيمة راشد الغيث – الكويت: مجلس النشر العلمي، ٢٠٠٥ – (حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ٢٥، الرسالة ٢٢٤).
- **جمالية الخبر والإنشاء/** د. حسين جمعة – دمشق: اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٥.
- **الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الدولة السعودية الثانية/** د. حصة بنت

حمدان الهلالي الزهراني – الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ٢٠٠٤ – (الرسائل الجامعية ١٥٠).

– **حياة الحيوان الكبرى/** الدميري، تحقيق: إبراهيم صالح – دمشق: دار البشائر، ٢٠٠٥ – ٥ج.

– **دليل جامعة دمشق لعام ٢٠٠٤ – ٢٠٠٥/** جامعة دمشق – دمشق: الجامعة، ٢٠٠٥.

– **رحمة من الرحمن في تفسير وإشارات القرآن/** ابن عربي، جمع: محمود الغراب، دمشق: مطبعة نضر، ١٩٨٩ – ٤ج.

– **قواعد الإملاء/** مجمع اللغة العربية بدمشق – دمشق: المجمع، ٢٠٠٤.

– **كتابات ثقافية/** د. داخل حسن جريو – بغداد: المجمع العلمي، ٢٠٠٥.

– **للوفاء والذكرى: الأستاذ الدكتور مسعود بوبو المدير العام لهيئة الموسوعة العربية /** هيئة الموسوعة العربية دمشق: الموسوعة، ٢٠٠٠.

– **المعتزلة/** د. سهام ترجمان – دمشق: جامعة دمشق، ٢٠٠٥.

– **المفصل في فلسفة التاريخ/** د. هاشم يحيى الملاح – بغداد: المجمع العلمي، ٢٠٠٥.

– **من ظواهر الأشباه والنظائر بين اللغويات العربية والدرس اللساني المعاصر: الترادف /** د. عبد الرحمن بودرع – الكويت: مجلس النشر العلمي، ٢٠٠٥ – (حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ٢٥، الرسالة ٢٢٧).

– **موارد ابن عساكر/** د. طلال بن سعود الدعجاني – المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، ٢٠٠٤ – ٣ج.

– **ندوة مشروع النهضة العربية للقرن الحادي والعشرين/** مجموعة – دمشق: المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، ٢٠٠٢ – ٢ج.

– **ندوة المحافظة على بيئة وعمران مدينة دمشق من خلال المحافظة على**

التنوع الحيوي للغوطتين / مجموعة - دمشق: المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، ٢٠٠١ - ٢ج.

- **وثائق الوقف الكويتية وأهميتها التاريخية...**/ د. فيصل عبد الله الكندري - الكويت: مجلس النشر العلمي، ٢٠٠٥ - (حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ٢٥، الرسالة ٢٢٦).

ب- المجلات العربية

أ.ماجد الفندي

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
١ - الأسبوع الأدبي	(٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢)	٢٠٠٥م	سورية
٢ - بناة الأجيال	العدد (٥٥)	٢٠٠٥م	سورية
٣- التراث العربي	العدد (٩٧)	٢٠٠٥م	سورية
٤- الحياة الموسيقية	الأعداد (٣٢، ٣٣، ٣٤)	٢٠٠٤م	سورية
٥- رسالة معهد التراث العلمي العربي	العدد (٧٧)	٢٠٠٥م	سورية
٦- صوت فلسطين	الأعداد (٤٤٧، ٤٤٨)	٢٠٠٥م	سورية
٧- المعرفة	الأعداد (٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠)	٢٠٠٥م	سورية
٨- الموقف الأدبي	الأعداد (٤٠٩، ٤١٠)	٢٠٠٥م	سورية
- النشرة الاقتصادية	العدد (١ أيار)	٢٠٠٥م	سورية
١٠- نضال الفلاحين	العدد (٣٥)	٢٠٠٥م	سورية

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
١١- دراسات	علوم إدارية (١)	٢٠٠٥م	الأردن
	علوم شريعة وقانون (٢)	٢٠٠٤م	
	علوم تربوية (٢)	٢٠٠٤م	
١٢- الشريعة	الأعداد (٤٧١، ٤٧٢)	٢٠٠٥م	الأردن
١٣- مجمع اللغة العربية الأردني	العدد (٦٧)	٢٠٠٤م	الأردن
١٤- الأدب الإسلامي	العدد (٤٥، ٤٦)	٢٠٠٥م	السعودية
١٥- الأمن والحياة	العدد (٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤)	٢٠٠٥م	السعودية
١٦- الحج والعمرة	الأعداد (٢، ٣) السنة (٦٠)	٢٠٠٥م	السعودية
١٧- عالم الكتب	الأعداد (٣، ٤) مج (٢٦)	٢٠٠٥م	السعودية
١٨- المجلة العربية	الأعداد (٣٣٨، ٣٣٩)	٢٠٠٥م	السعودية
١٩- مجلة المجمع العلمي العراقي	مج (٥١) الجزء (٤)	٢٠٠٤م	العراق
٢٠- البيان	الأعداد (٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠)	٢٠٠٥م	الكويت
٢١- العلوم	الأعداد (١، ٢) مج (٢١)	٢٠٠٥م	الكويت
٢٢- إسلامية المعرفة	الأعداد (٣٧، ٣٨)	٢٠٠٤م	ماليزيا
٢٣- مجلة كلية دار العلوم	الأعداد (٣٣، ٣٤)	٢٠٠٥م	مصر
٢٤- الأكاديمية المغربية	العدد (٢١)	٢٠٠٤م	المغرب
٢٥- الواضحة	العدد (٢)	٢٠٠٤م	المغرب
٢٦- أخبار الألكسو	العدد (٢٩)	٢٠٠٥م	للنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
٢٧- صوت الأمة	الأعداد (٤، ٥، ٦، ٧) مج (٣٧)	٢٠٠٥م	الهند

ج- الكتب والمجلات الأجنبية

أ. ربى معدني

1- Books:

- Poets of The Thirties / D.E.S. Maxwell.
- Shakespeare's Doctrine of Nature/ John F.Danby.
- Axel's Castle/ Edward Wilson.
- The Situation of the Novel/ Bernard Bergonzi.
- Literature and Criticism/ H. Coombes.
- Problems of Leninism/ J. Stalin.
- Oxford Lectures on poetry / A .C. Bradley.
- The Truest Poetry /Laurence Lerner.
- Hamlet and the Philosophy of Literary criticism / Morris Weitz.
- Elizabethan and Metaphysical Imagery/ Rosemond Tuve.
- The Matter of Britain/ A. L. Morton.
- Collected Essays (Virginia Woolf)/ Leonard Woolf.
- Language and Silence/ George Steiner.

2 – Periodicals:

- Population and Development Review, Vol. 32, No. 1, 2006.
- Resistance, No. 1, 2, 3, 4, 2006.
- East Asian Review, Vol. 18, No.1, 2006.
- Deutschland, No. 1- 2, 2006.
- معارف (باللغة الفارسية), Vol. 177, No. 2.

فهرس الجزء الرابع

من المجلد الثمانين

(المقالات)

(التعريف والنقد)

(آراء وأنباء)

الفهارس العامة للمجلد الثمانين

أ- فهرس أسماء كُتّاب المقالات

منسوقة على حروف المعجم

ب- فهرس عناوين المقالات

منسوقة على حروف المعجم

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٠

- قصيدة في مشكل اللغة وشرحها لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري (فصلة)، تحقيق عز الدين البدوي النجار.
- فهارس شرح المفصل لابن يعيش، صنعة عاصم بهجة البيطار

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩١

- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، مج ٤١ تحقيق سكينة الشهابي
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، السيرة النبوية (القسم الثاني) تحقيق نشاط غزاوي
- عبد الله كنون: سبعون عاماً من الجهاد المتواصل في خدمة الإسلام والعروبة للدكتور عدنان الخطيب (فصلة)
- كتاب التنوير في الاصطلاحات الطبية، لأبي منصور الحسن بن نوح القمري تحقيق وفاء تقي الدين

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٢

- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر مج ٤٢، تحقيق سكينة الشهابي
- ألوان من التصحيف والتحريف في كتب التراث، تأليف الدكتور صالح الأشتر
- بقية الخاطريات لابن جني (وهي ما لم ينشر في المطبوعة) تحقيق الدكتور محمد أحمد الدالي
- حفل تأبين فقيد المجمع الأستاذ أحمد راتب النفاخ ١٩٢٧ ــ ١٩٩٢م

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٣

- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر مج ٤٣، تحقيق سكينة الشهابي
- حفل تأبين الأستاذ المهندس وجيه السمان ١٩١٣ ــ ١٩٩٢م

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٤

- محاضرات المجمع في الدورة المجمعية (١٩٩٢ ــ ١٩٩٣)

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٥

كشف المشكلات وإيضاح المعضلات للباقولي، تحقيق د. محمد أحمد الدالي (أربعة أجزاء)

النجوم الزواهر في معرفة الأواخر لابن اللبودي، تحقيق مأمون الصاغرجي ومحمد أديب الجادر

تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر المجلد ٤٤ تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٦

تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر المجلد ٤٥ تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٧

تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر مج ٤٧، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي

علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب ج٢، دراسة وتحقيق د. مراياتي، د.ميرعلم، د. الطيان

محاضرات المجمع في الدورة المجمعية ١٩٩٤ ـــ ١٩٩٥م

تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر مج ٣٥ ـــ ٣٦، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٨

محاضرات المجمع في الدورة المجمعية ١٩٩٥ — ١٩٩٦

كتاب بهجة العابدين بترجمة حافظ العصر جلال الدين السيوطي، تأليف عبد القادر الشاذلي، تحقيق الدكتور عبد الإله نبهان

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٩

تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر مج ٤٨، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي

تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر مج ٤٩، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي

مطبوعات المجمع في عام ٢٠٠٠

تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر مج ٥١، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي

رسائل الأستاذ الرئيس محمد كرد علي إلى الأب أنستاس ماري الكرملي، تحقيق حسين محمد عجيل

NO.4 VOL LXXX

REVUE

DE L' ACADEMIE ARABE DE DAMAS

B.P (327)

E-mail: mla@net.sy

مطبوعات المجمع في عام ٢٠٠١

تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي الجزء ٥٢.

كتاب «كتب الأنساب العربية» تأليف الدكتور إحسان النص.

مطبوعات المجمع في عام ٢٠٠٢

تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي الجزء ٥٩.

تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي الجزء ٦٠.

الأسماء والأفعال والحروف (أبنية كتاب سيبويه)، تأليف أبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي، تحقيق الدكتور أحمد راتب حموش

فهرس مجلة مجمع اللغة العربية للمجلدات الخمس عشرة (٦١-٧٥)، (الجزء السابع) (١٩٨٦ - ٢٠٠٠م) صنعة مأمون الصاغرجي

مطبوعات المجمع في عام ٢٠٠٣

تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي الجزء ٦١.

استدراك الغلط الواقع في كتاب العين، لأبي بكر الزبيدي، تح: د. صلاح مهدي الفرطوسي

مطبوعات المجمع في عام ٢٠٠٤

تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر مج ٦٢، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي

تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر مج ٦٣، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي

قواعد الإملاء.

السعر: ٤٠ ل.س داخل القطر

مطابع دار البعث


Bibliotheca Alexandrina
06730065